ديوان

ابن حيوس

المجلد الأول



دار صادر

ديوان ابن حيوس
تحقيق خليل مردم بك
1
دار صادر

ديوان ابن حيوس

ديوان

ابن حيوس

الأمير مصطفى الدولة أبي الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيوس الغنوي الدمشقي

٣٩٤ - ٤٧٣

الجزء الأول

عُني بنشره وتحقيقه

خليل مردم بك

دار صادر
بيروت

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

المقــــدّمة

ابن حَيُّوس

٣٩٤ — ٤٧٣

حياته

الأمير مصطفى الدولة (١) أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس بن محمد بن المرتضى ابن محمد بن الهيثم(٢) بن عثمان الغَنَوي الدمشقي . يتصل نسبه بقبيلة غَنِيّ بن أعْصُر، وهي من العرب العدنانية ، كانت منازلها في الجاهلية بنجد مجاورةً لطيء ؛ ونزحت طوائف منها بعد الإسلام إلى العراق والجزيرة والشـــام ، قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (ص ٢٣٦ و ٢٣٧) : «وغَنِيّ بالجزيرة والكوفة ولهم ظاعنة ضخمة بطفوف الشام » .
وقد أشار ابن حَيُّوس إلى نسبه هذا في غير موضع من شعره، من ذلك قوله:

إِلى أَنْ أَبَتْ لِي عَزْمَةٌ أَغْصُرِيَّةٌ صَرَعْتُ بِهَا الْخَطْبَ الَّذِي كانَ صارِعِي (٣)

كان الهيثم بن عثمان الغَنَوي — الجد السابع لابن حَيُّوس - من أهل الجزيرة، ومن قواد المعتصم(٤) ، ومن الرؤساء الذين مدحهم البحتري، وله فيه قصيدتان ومقطوعة ، (٥) منها القصيدة التي فيها الأبيات السائرة في وصف الربيع :

أَتاكَ الرَّبِيعُ الطَّلْقُ يَخْتالُ ضاحِكاً مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كادَ أَنْ يَتَكَلَّما

ويقول ابن حَيُّوس مفتخراً بنسبه إلى الهيثم :

---

(١) في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٢ « صفي الدولة » وهو خطأ مطبعي .
(٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٢ « الهيثم بن عدي بن عثمان » وهو خطأ مطبعي أو وهم من المصحح ، فالهيثم بن عدي لم يكن غنوياً ، وهو غير الهيثم بن عثمان الغنوي .
(٣) ديوان ابن حيوس ص ٣٢٨ وانظر أيضاً ص ٦٦ وص ١٥٠
(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ١٠ ص ٣٠٨
(٥) ديوان البحتري طبعة بيروت ص ١٢٤ وص ١٢٦ وص ٥٧٧

إِنَّ ٱلْوَفاءَ طَرِيقُ أَسْلاَفِي ٱلْأُلىٰ ... عَمَرُوهُ ما بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْهَيْثَمِ [1]
وَمَضَوْا فَأَحْسَنْتُ ٱلنِّيابَةَ عَنْهُمُ ... فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْأَفْعالِ غَيْرَ مُذَمَّمِ

لا نعلم أول من نزح من الجزيرة إلى دمشق من أبناء الهيثم الغنوي ، ولكنا نعلم أن حَيُّوس بن محمد – جد أبي الشاعر والذي اشتهر الشاعر بالنسبة إليه – كان من سكان دمشق ، وكان له فيها دار فخمة ، توارثها بنوه من بعده إلى زمن الشاعر ، وسيأتي تعيين مكانها .

أما سلطان بن محمد – والد الشاعر – فقد كان من أمراء العرب [2]، وكان له مع وجاهته نصيب من العلم ، فقد روى شيئاً من الحديث وروي [3] عنه .

وأم الشاعر بنت القاضي أبي العباس أحمد بن هٰرون المعروف بابن الجندي الغساني قاضي غوطة دمشق [4] .

* * *

ولد ابن حَيُّوس بدمشق يوم السبت سلخ صفر سنة (٣٩٤) أربع وتسعين وثلاثمائة. ونشأ نشأة جمعت بين الوجاهة والعلم . فأهل أبيه من ذوي الوجاهة والثراء ، وأهل أمه من أهل العلم والتقوى . قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار [5] : « ابن حَيُّوس من بيت يخيّم على منازل النجوم فخاره ، ويحوّم على مناهل الغيوم مطاره »

وكانت دار أبيه التي ورثها عن جده حَيُّوس في زقاق عَطّاف [6] داخل باب الجابية [7] .

---

(١) ديوان ابن حيوس ص ٥٧٢

(٢) صفحة العنوان من مخطوطة ديوان ابن حيوس نسخة السلطان سليم نقلاً عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي. وورد في نسختين مخطوطتين من وفيات الأعيان لابن خلكان محفوظتين في دار الكتب الظاهرية تحت رقم ٣٢ ورقم ٥٤١٨ بترجمة ابن حيوس ما نصه : (كان يدعى بالأمير لان أباه كان من أمراء العرب) وورد في مخطوطة تاريخ الاسلام الكبير للذهبي نسخة السلطان احمد الثالث باستانبول رقم ١٢٨ الجزء الحادي عشر ورقة ٢٨٠ بترجمة ابن حيوس (إن أباه كان من أمراء العرب) وكذلك في الوافي بالوفيات للصفدي ج ٣ المحفوظ بالسليمانية باستانبول . أما النسخة المطبوعة من ابن خلكان ج ٢ ص ١٢ فقد تصحفت كلمة (العرب) فيها إلى (المغرب) فوهم بعض الناس أن أصل الشاعر من المغرب ، وليس كذلك .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط في دار الكتب الظاهرية بترجمة كلثوم بن زياد المحاربي الداراني.

(٤) توفي سنة ٣٨٤ وله ترجمة بتاريخ دمشق لابن عساكر .

(٥) ج ١٠ ص ٣٤١ (مخطوط) .

(٦) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧١

(٧) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢١٦ وثمار المقاصد ص ٦١ والدارس في تاريخ المدارس ج ٢ ص ٣٠٤

ولئن تنوسي اليوم اسم زقاق عطّاف ، فيمكن تعيين محله على وجه التقريب بحي الخيضريّة [1].
ولما بلغ السادسة من عمره ولد لأبيه غلام آخر سماه محمداً أيضاً وكناه بأبي المكارم تمييزاً بينه وبين أخيه الأكبر الشاعر أبي الفتيان محمد وذلك سنة (٤٠٠). وهكذا كان للشاعر كنية ولقبان (الأمير مصطفى الدولة أبو الفتيان محمد) أما الإمارة فلأن أباه كان من أمراء العرب،[2] ولم يشاركه أخوه أبو المكارم بها ، وأما تلقيبه بمصطفى الدولة فنرجح أن يكون أحد أمراء دمشق أنعم عليه به ، ولعله الدِّزْبري الآتي ذكره ، وأما الكنية فمن أبيه . وتقلّب الشقيقان في أعطاف النعمة، وطلبا العلم معاً ونبغ كل منهما في فنه . أما أبو الفتيان فقد كان ميله للشعر والأدب ، وأما أبو المكارم فللفقه والفرائض[3] . وندع الآن الفقيه لنواصل بحثنا عن الشاعر .

لا نعلم كيف طلب ابن حَيُّوس العلم ولا أسماء مشايخه ولا أسماء الكتب التي درسها ، على أن أثر العلم والتمكن من اللغة والأدب ظاهر في شعره ، ولم يذكر عنه في هذا الباب إلا أنه روى هو وأخوه أبو المكارم الحديث عن خالهما القاضي أبي نصر محمد بن أحمد بن هرون المعروف بابن الجندي الغساني ، وعن أبيهما سلطان ، وسيأتي بسط ذلك عند الكلام على علمه وأدبه في فصل خاص .

وفي سنة (٤٠٦) وكان عمر الشاعر إذ ذاك اثنتي عشرة سنة نزل في دار ابن حَيُّوس ضيفاً على أبيه ، أنوشتكين الدِّزْبري أحد قواد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي[4]. فكان لهذه الضيافة أثر في نفس الشاعر ظهر بعد أربع عشرة سنة حين عاد الدِّزْبري إلى دمشق والياً عليها وحين تمكن ابن حَيُّوس من قياد الشعر . فقصر شعره عليه حتى أصبح شاعره الخاص .

وذلك أنه لما قتل الحاكم بأمر الله سنة (٤١١) وولي ابنه الظاهر انتقض الشام على الفاطميين، فاجتمع حسّان بن المفرّج أمير بني طيء وصالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان أمير بني كلب وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب الى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسّان ، وتكون دمشق لسنان ، فاستولى صالح على حلب سنة (٤١٤)، واستولى حسّان على

(١) ويلفظه الدماشقة « الخضيرّية »
(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٦
(٣) قال ابن عساكر : « كان أوحد زمانه في علم الفرائض » تاريخ دمشق ج ١٥ ورقة ١٩٠ ب
(٤) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧١

الرملة سنة (٤١٥) ،وحاصر سنان مدينة دمشق سنة (٤١٦) ومات سنة (٤١٩) .فجهز الظاهر سنة (٤١٩) أنوشتكين الدِّزْبِري بجيش عظيم ، وكانت وقعة الأقحوانة قرب طبرية سنة (٤٢٠) بينه وبين صالح وحسَّان وانجلت عن مقتل صالح وانهزام حسَّان [١]، ودخل الدِّزْبِري دمشق دخول الظافرين . وكان ابن حَيُّوس إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة قد استكمل ثقافته وتمكن من رياضة الشعر. وهو الذي عرف الدِّزْبِري قبل بضع عشرة سنة. تقرب منه الآن ومدحه بقصيدتين ذكر فيها ما تمّ على يديه من النصر ، وهما أول ما دوّن من شعر ابن حَيُّوس ، مطلع الأولى :

هَلْ لِلْخَلِيطِ الْمُسْتَقِلِّ إِيابُ　　أَمْ هَلْ لِأَيّامٍ مَضَتْ أَعْقابُ [٢]

ومطلع الثانية :

حَمى النَّوْمَ أَجْفانَ صَبٍّ وَصِبْ　　غُرابٌ عَلَى غُصُنٍ مِنْ غَرَبْ [٣]

ولازمه وصار شاعره الخاص وأكثر من مدحه في كثير من المناسبات ودوّن في قصائده أعماله في الحرب والسياسة والإدارة والعمران، وصحبه ثلاث عشرة سنة منذ أن دخل دمشق والياً عليها سنة (٤٢٠) إلى أن توفي بحلب سنة (٤٣٣). ولما فتح الدِّزْبِري حلب سنة (٤٢٩) وقتل صاحبها نصر بن صالح بن مرداس ، دخل معه إلى حلب وأنشده قصيدة أولها[٤] :

أَمّا وَسَيْفُكَ فِي النُّفوسِ مُحَكَّمُ　　فَالْعِزُّ أَجْمَعُهُ إِلَيْكَ مُسَلَّمُ

ومدحه بغيرها أيضاً يذكر فيها هذه الوقعة كالقصيدة التي أولها [٥] :

سَلِ الْمَقادِيرَ ما أَحْبَبْتَهُ تُجِبِ　　فَما لَها غَيْرَ ما تَهْواهُ مِنْ أَرَبِ

وفي هذه المدة مرّ ابن حَيُّوس وهو في طريقه إلى حلب على معرة النعمان وزار أبا العلاء

(١) الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٧٩
(٢) الديوان ص ٥٧
(٣) الديوان ص ٦٥
(٤) الديوان ص ٥٤٩
(٥) الديوان ص ٧٢

المعري وجرى بينهما حديث في الشعر والشعراء رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بترجمة عبد المحسن الصوري في خبرٍ يحسن إيراد بعضه هنا قال : « . . . وذُكر عن أبي العلاء بن سليمان أنه كان يعيب عبد المحسن الصوري بقصر النفس ، فحُدِّثتُ أن أبا الفتيان بن حَيُّوس لما حضر عند أبي العلاء المعري أنشده أبو العلاء أبياتاً لعبدالمحسن الصوري وقال:هذه لقصيرك ، فقال له أبو الفتيان : هو أشعر من طويلك . يعني المتنبي ، فمدّ أبو العلاء يده إليه وقبض على ثوبه وقال : الأمراء لا يُناظَرون » .

ومدح ابن حَيُّوس الدِّزْبري بما لم يمدح بهأحداً سواه، وعددقصائده فيه أربعون قصيدة، وذلك أقصى مايمكن أن يقوله شاعر في مدح إنسان . ومدح من حاشية الدِّزْبري الشريف فخر الدولة نقيب الطالبيين وقاضي دمشق [1] وصدقة بن يوسف الفلاحي ناظر الأموال [2] وكانا قدأتيا إلىدمشق مع الدِّزْبري . كل ذلك وابن حَيُّوس يدّعي بأنه لا يمدح مستجدياً لأنه من ذوي اليسار ، ولكنه يطلب المجد والعلاء ، وله في هذا المعنى أبيات غير قليلة موزّعة في قصائده ، من ذلك قوله :

وما أَعْرِفُ الْفقْرَ حتّى أقولَ عَلَى أنَّنِي رَبُّ بَيْتِ الْفقْرْ [3]

وولي دمشق بعد وفاةالدِّزْبري سنة(٤٣٣) الأميرناصر الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين ابن ناصر الدولة الحمداني ، فأقام والياً فيهاإلىسنة(٤٤٠)فتقرّب ابن حَيُّوس منهومدحهوحاول أن يكون عنده كما كان عند الدِّزْبري وله فيه عشر قصائد ، ومدح كاتبه [4] .

وفي سنة (٤٤١) ولي دمشق الأمير حيدرة بن الحسين بن مفلح فمكثالىسنة(٤٥٠) فعزل عنها، ثم وليها دفعة ثانية سنة (٤٥٣) وصرف عنها سنة (٤٥٥) فلم يقل فيه ابن حَيُّوس إلا قصيدة واحدة [5] .

وسبب ذلك فيما نظن أن ابن حَيُّوس انصرف عن الولاة إلى الوزراء « ومن قصد البحراستقلّ السواقيا »فقد ولي وزارة المستنصر الفاطمي الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري سنة (٤٤٢) واستمرفي الوزارة إلى سنة (٤٥٠) وهومن أعظم وزراء الفاطميين علماً

(١) انظر الديوان ص ٣١٢ و ٣٨٥ و ٥٠٠
(٢) انظر الديوان ص ٣٠٤
(٣) الديوان ص ٢٤٠
(٤) انظر الديوان ص ٦٣٣
(٥) انظر الديوان ص ٤٢

وذكاءً ودهاءً وسياسةً وتدبيراً ، فرحل إليه ابن حَيُّوس واتصل به ولقي عنده الحفاوة والإكرام، ومدحه مدة وزارته بإحدى عشرة قصيدة، رحل إلى القاهرة أكثر من مرة لينشده ما قاله فيه من القصائد، وقد يبعث ببعضها من دمشق إذا تعذر السفر عليه. وقد أشار إلى رحلته إليه في عدة مواضع من شعره[1] . وما قاله في اليازوري أراه من جيد شعره .

وتولى الوزارة سنة (٤٥٠) الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي فمدحه ابن حَيُّوس بقصيدتين[2] وتولى الوزارة بين سنة (٤٥٠) وسنة (٤٥٤) الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ثلاث مرات فمدحه ابن حَيُّوس بقصيدة واحدة[3] .

ومنذ سنة (٤٥٤) اضطربت أمور الدولة الفاطمية في مصر واختلت شؤون الوزارة وتتالى الوزراء واحداً بعد واحد ، ومنهم من يمكث فيها شهوراً ومنهم من كانت مدة وزارته أياماً ومنهم من مكث فيها يوماً واحداً[4]، إلى أن استدعى المستنصر بدراً الجمالي الأرمني سنة (٤٦٥) وفوض إليه جميع أموره. وكانت الحال في دمشق أشبه بالفوضى ، فالولاة بها كالوزراء في القاهرة لا يكاد أحدهم يستقر بها حتى يخرج معزولاً أو مدحوراً ، والأمور تزداد سوءاً ، وأهل البلد أحزاب يثورون بالولاة والقواد . وتأججت الفتنة سنة (٤٦٠) فثار أهل دمشق بأمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني والي الشام واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياه[5] وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام .

واشتد الخلف بين الجنود وبين أهل دمشق ، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت منه بجامع بني أمية من غربيه فاحترق في شعبان سنة (٤٦١) ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة[6] ونهبت دور أهل البلد وأموالهم فعظم الخطب، واشتد الأمر . واستولى في هذه السنة على دمشق معلى بن حيدرة الكتامي من غير أن يؤمر له بذلك عند خلو دمشق من متول بعد ما هرب أمير الجيوش ، فأساء السيرة في أهلها ووقعت بينه وبين عساكر البلد وحشة فهرب إلى بانياس[7] .

(١) انظر الديوان ص ١٩٤ وص ٣٥٣ وص ٥٩٧
(٢) انظر الديوان ص ٥٠٢ وص ٥٦٢
(٣) انظر الديوان ص ١٩٨
(٤) انظر كتاب الاشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي من ص ٩٤ إلى ص ٥٤
(٥) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٣
(٦) « « . « « « ص ٩٦
(٧) خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي ٢٥٥/١

وفي سنة (٤٦٣) فتح أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس، وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها، فضاق الناس وصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد[1].

ويطول صمت ابن حيوس في هذه الفترة التي تقدر بعشر سنوات من سنة (٤٥٤) إلى سنة (٤٦٤) حتى كأنه أصفى، فلا تقع العين في ديوانه على شيء من الشعر يدل على أنه قيل في تلك الفترة من الزمن. حتى إذا تتالت الفتن على دمشق وعمّها الدمار وفقد الأمن وشاع الخوف وذهبت الأموال ونزح عنها أكثر سكانها، وبدا لابن حيوس أن يتركها انفجر في صدره بركان من الشعر فقال قبل أن يترك دمشق [2]:

لَقَدْ دُفِعْنا إلى حالَيْنِ لَسْتُ أَرى ... ما بَيْنَ ذاكَ وَهٰذا حَظَّ مُخْتارِ

إِمّا ٱلْمُقامِ عَلَى خَوْفٍ وَمَسْغَبَةٍ ... أَوِ ٱلرَّحيلِ عَنِ ٱلْأَوْطانِ وَٱلدّارِ

وَٱلْمَوْتُ أَيْسَرُ مِنْ هٰذا وَذاكَ وَما ... كَرْبُ ٱلْمَماتِ وَلا فِي ٱلْمَوْتِ مِنْ عارِ

مَنْ جاوَرَ ٱلْأُسْدَ لَمْ يَأْمَنْ بَوائِقَها ... وَلَيْسَ لِلْأُسْدِ إِبْقاءٌ عَلَى ٱلْجارِ

ذهب في هذه الفتن جميع ما يملك ابن حيوس مما ورثه وجمعه، وهو الذي كان يدل في شعره بيسر حاله ويدّعي أنه لم يمدح أحداً بغية المال لأنه من أرباب النعمة والثراء، وأنه لم يعرف الفقر:

وَلَمْ أَعْرِفَ ٱلْفَقْرَ حَتّى أَقُولَ ... عَلَى أَنَّني رَبُّ بَيْتِ ٱلْفَقْرْ [3]

لقد أصبح رقيق الحال يشكو ظلم الزمان فيقول[4]:

تَحَيَّفَني ٱلزَّمانُ بِكُلِّ فَنٍّ ... فَما أَنْفَكُّ مِنْ داءٍ عُضالِ

وَأَعْوَزَتِ ٱلْأَمانَةُ فيهِ حَتّى ... تَخَوَّفَتِ ٱلْيَمينُ مِنَ ٱلشِّمالِ

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٣

(٢) الديوان ص ٢٩٧

(٣) الديوان ص ٢٤٠

(٤) الديوان ص ٤٦٦

وَأَذْهَبَ كُلَّ ما أَحْوِي ضَياعًا ... فَها أَنا ذا بِنارِ الْفَقْرِ صالِ

وَقَدْ أَوْدَعْتُ ما أَبْقَى صَديقًا ... فَعَرَّضْتُ الْبَقِيَّةَ لِلْوَبالِ

لَقَدْ آلَتْ بِيَ الدُّنْيا – فَقُبْحًا ... لِما صَنَعَتْ – إِلى هٰذا الْمَآلِ

وَغالَ الدَّهْرُ مَنْزِلَتِي وَوَفْرِي ... فَأَرْخَصَ مِنْ مَديحي كُلَّ غالِ

سَأَتْرُكُ ذِي الْبِلادَ بِلا اخْتِيارٍ ... وَأَهْجُرُ أَهْلَها لا عَنْ تَقالِ

بِحالٍ لَوْ تَأَمَّلَها عَدُوِّي ... لَساءَهُنِي الرَّزِيَّةَ أَوْ رَثى لِي

وضاقت عليه دمشق لاضطراب أحوالها قبل زوال الحكم الفاطمي عنها ، ولما مُني به من فقد ما تملك يداه ، ولكرهه لمن يريدون الاستيلاء عليها من الأتراك السلجوقيين الذين لايفهمون الشعر العربي ، زد على ذلك أنهم لا يمكن أن يعتبروه إلا من أنصار الدولة الفاطمية ، بعد أن وقف شعره على مدح وزرائها وأمرائها وولاتها .

عزم ابن حَيُّوس على ترك دمشق ، ولكن إلى أين ؟ أيذهب إلى مصر وحالها في الاختلال لا تقل عن دمشق ؟ أم يذهب إلى بغداد وقد عرّض ببني العباس ونال منهم في غير موضع من شعره ؟ وله في ذلك أقوال منها :

وَمَنْ أَبُوهُ عَلِيٌّ لا يُنازِعُهُ ... مِيراثَ أَحْمَدَ باغٍ عَمُّهُ قُثَمُ (١)

أم يذهب إلى حلب وقد كان حرباً على أمرائها المرداسيين ، معدوداً في بطانة الدِّزْبري عدوهم الألد وقاتل كبيرَيهم صالح بن مرداس ثم ابنه نصر ، وما مدح الدِّزْبري بقصيدة إلا ذمهم بها ؟

أَوْلادُ مِرْداسٍ لِسَيْفِكَ طُعْمَةٌ ... في كُلِّ أَرْضٍ أَنْجَدُوا أَوْ أَتْهَمُوا (٢)

وكان في الساحل الشامي قاضيان هما أشبه بأميرين مستقلين ، القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمّار في طرابلس الشام ، والقاضي عين الدولة أبو الحسن محمد بن أبي عقيل في صور ،

(١) الديوان ص ٦٢٣ وقثم بن العباس عم الخلفاء العباسيين .

(٢) الديوان ص ٥٥٢

فلم يجد بداً من الذهاب إلى أحدهما ، فترك دمشق في أوائل سنة (٤٦٤) مغيظاً محنقاً وخائفاً يترقب،وإلى ذلك يشير بقوله [١] :

وَلِلْحَمِيَّةِ لاَ عَنْ زَلَّةٍ حَكَمَتْ   بِالْبُعْدِ فارَقْتُ أَخْدَانًا وَخُلاَّنا
تُخِيفُني بَلَدٌ حَتَّى أَعُودَ إِلىٰ   أُخْرىٰ كَأَنِّيَ عِمْرَانُ بنُ حِطَّانا

ويقول [٢] :

وَنَبا بِيَ الْوَطَنُ الْقَدِيمُ وَإِنَّنِي   فِي الْبُعْدِ عَمَّنْ حَلَّهُ لَسَعِيدُ

ويقول في التفجع على فراق دمشق [٣] :

فِرَاقٌ قَضىٰ أَلاَّ تَأَسِّيَ بَعْدَ أَنْ   مَضىٰ مُنْجداً صبْرِي وَأَوْغَلَتُ مُتْهِما
وَفَجْعَةُ بَيْنٍ مِثْلُ صَرْعَةِ مالكٍ   وَيَقْبُحُ بِي أَلاَّ أَكُونَ مُتَمِّما
خَلِيلَيَّ إِنْ لَمْ تُسْعِدَانِي عَلَى الأَسٰى   فَمَا أَنْتُما مِنِّي وَلاَ أَنا مِنْكُما
وَحَسَّنْتُما لِي سَلْوَةً وَتَنَاسِياً   وَلَمْ تَذْكُرَا كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِما

ودخل طرابلس الشام في أوائل سنة (٤٦٤) ولم يكد يستقر بها ويترفق في الوصول إلى صاحبها القاضي أمين الدولة حتى توفي أمين الدولة في شهر رجب سنة (٤٦٤) وخلفه ابن أخيه القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن عمّار . فقال ابن حَيُّوس قصيدة يرثي السلف ويعزي الخلف أولها [٤] :

ذُدْ بِالْعَزَاءِ الْهَمَّ عَنْ طَلِبَاتِهِ   لاَ تُسْخِطَنَّ اللهَ فِي مَرْضَاتِهِ

فلم تستفزّ هذه الرقية جلالَ الملك ، ولم يبسط له حبل الرجاء لما عرف به ابن حَيُّوس من الميل إلى الفاطميين .

(١) الديوان ص ٦٥٧
(٢) الديوان ص ١٥٨
(٣) الديوان ص ٥٩٩
(٤) الديوان ص ١٣٢

فلم يبق أمامه إلا القاضي عين الدولة صاحب صور ، ورأى من الحيطة أن يختبره قبل الذهاب إليه فكتب إليه قصيدتين[1] يشكو بها رجلاً استودعه مالاً فخانه ، ويشرح فيها ما صار إليه من سوء الحال وضياع الثروة وحيف الدهر . وتوسل إليه مرة بأحد أصدقائه وله في ذلك قصيدة[2] تشير إلى أنه لم يستفد من الوسيلة .

واتفق أن كان بطرابلس الشام وقتئذ الأمير علي بن منقذ الأديب النبيل جد أسامة بن منقذ ، فاجتمع بابن حَيُّوس وأنس كل بصاحبه وكانا يلتقيان من حين لآخر ، ورأى ابن منقذ انصراف القاضي جلال الملك عن ابن حَيُّوس وحذره منه لما عرف من ميله إلى الفاطميين ، فأشار عليه أن يفد على محمود بن نصر المرداسي صاحب حلب . فورد على ابن حَيُّوس مالم يكن في حسبانه ، كيف يقصد محموداً بعد ما سارت قصائده في النيل من أبي محمود نصر وجده صالح بن مرداس ؟ حتى رد عليه ابن أبي حصينة أحد شعراء بني مرداس[3] وبعد ما عرفه الناس من أنه شاعر عدوهم الألد أنوشتكين الدِّزْبِري؟ ولكي يطمئن ابن حَيُّوس إلى ما أشار به ابن منقذ، عرض عليه أن يُصحبه بابنه نصر بن علي ليقدمه إلى صاحب حلب ويكون صلة التعارف بينهما ووسيلة التجمل والصفاء بعد الجفاء .

وكان الأمر كذلك ، وبرح ابن حَيُّوس طرابلس الشام صحبة نصر بن علي بن منقذ ، ودخل حلب في شوال سنة (٤٦٤) وكان قد بلغ السبعين من عمره ، وعلم أن صاحب حلب مرتاح لوفوده فتنفس الصعداء ، وأعد قصيدة من عيون شعره ، وعُيِّن له يوم اللقاء .

قال ابن العديم في زبدة الحلب[4] « ... وكان محمود قد جلس في مجلسه وأمر بإحضار الشراب فشرب أقداحاً ثم قال ارفعوا الخمر فان ابن حَيُّوس يحضرني ممتدحاً وفي نفسي أن أهبه جائزة سنية ، فإن كان الشراب في مجلسي قيل وهبه وهو سكران ، فرفع . وحضر الأمير أبو الفتيان فأنشده قصيدته الميمية التي أولها[5] :

قِفُوا فِي الْقِلَى حَيْثُ انْتَهَيْتُمْ تَذَمُّما ... وَلاَ تَقْتَفُوا مَنْ جَارَ لَمَّا تَحَكَّما

(١) انظر الديوان ص ٣٩٦ وص ٤٦٥
(٢) انظر الديوان ص ٤٦٩
(٣) انظر الحاشية رقم (٤) ص ٥٥٢
(٤) صورة شمسية
(٥) انظر الديوان ص ٥٩٨

وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، وذكر إشارة ابن منقذ عليه بقصده فقال :

سَأَشْكُرُ رَأْياً مُنْقِذِيّاً أَحَلَّنِي ذَرَاكَ فَقَدْ أَوْلَى جَمِيلاً وَأَنْعَما

فوهب له ألف دينار ذهباً في صينية فضة وجعلها له رسماً عليه في كل سنة » .

وفي هذه القصيدة يتفجع على فراق دمشق بأبيات تقدم ذكرها ، ويحن إلى ماضي أيامه بها ويشير إلى بلوغه السبعين من عمره فيقول :

سَقَى ٱللهُ أَيَّامَ ٱلصِّبا كُلَّ هاطِلٍ مُلِثٍّ إِذَا ما ٱلْغَيْثُ أَنْجَمَ أَثْجَما (1)

وَعَيْشاً سَرَقْناهُ بِرَغْمِ رَقِيبِنا وَقَدْ مَلَّ مِنْ طُولِ ٱلسُّهادِ فَهَوَّما

بِمَعْصُورَةٍ وَٱلدَّهْرُ ما أَصْفَرَّ عُودُهُ فَيَلْوِي وَما أَلْوَى بِعادٍ وَجُرْهُما

أَرَاحَتْ مِنَ ٱلْهَمِّ ٱلدَّخِيلِ وَشَجَّعَتْ جَباناً وَسَنَّتْ لِلْبَخِيلِ ٱلتَّكَرُّما

وَشادٍ جَزَاهُ ٱللهُ رَوْحاً وَرَحْمَةً إِذَا ما ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُحْسِنُونَ ٱلتَّرَحُّما

فَلَسْتَ تَرَى إِلاَّ يَداً صافَحَتْ يَداً لإِنْجازِ وَعْدٍ أَوْ فَماً لاَثِماً فَما

بِأَذْيالِ دَوْحٍ نَيْرَبِيٍّ (2) كَأَنَّهُ سَماءُ دُجًى أَبْدَتْ مِنَ ٱلنَّوْرِ أَنْجُما

إِذَا قابَلَتْ شَمْسُ ٱلأَصائِلِ ما عَلاَ تَدَنَّرَ أَوْ بَدْرُ ٱلظَّلاَمِ تَدَرْهَما

إِلاَمَ أُمَنِّي ٱلنَّفْسَ مالاَ تَنالُهُ وَأَذْكُرُ عَيْشاً لَمْ يَعُدْ مُذْ تَصَرَّما

وَقَدْ قالَتِ ٱلسَّبْعُونَ لِلَّهْوِ وَٱلْهَوَى دَعا لِي أَسِيرِي وَٱذْهَبا حَيْثُ شِئْتُما

وأحسن محمود بن نصر وفادة ابن حَيُّوس واحتفى به وأقبل عليه وصحبه وجعله من جلسائه وأغدق عليه نعمه ، فحسنت حاله وأثرى وعوض مافقده وبنى داراً بحلب عين مكانها ابن

(1) أنجم : أقلع . وأثجم : أمطر بسرعة .

(2) نسبة إلى النيرب أحد متنزهات دمشق المشهورة .

خلكان بقوله :هي الدار المعروفة الآن بالأمير علم الدين سليمان بن جندر . وواصل ابن حَيُّوس قصائده في محمود ولقي من نبله وكرمه ماجعله مديناً لابن منقذ الذي قدمه إلى محمود وأنساه الفاطميين ووزراءهم وأمراءهم ،وفي ذلك يقول من قصيدة كتب بها إلى ابن منقذ(١) :

يا بْنَ المُقلِّدِ قَدْ قَلَّدْتَنِي مِنَناً ما قارَبَ الحَمْدُ أَدْناها وَلا كَرَبا

فَيُمْنُ جَدِّكَ أَفْضى بي إلى مَلِكٍ ما ابْتَزَّهُ الشِّعْرُ إلاَّ هَزَّهُ طَرَبا

أَغْنى وَأَقْنى وَأَدْنى ثُمَّ أَغْرَبَ في إنعامِهِ فَأَفادَ العَقْلَ وَالأَدَبا

فَكُلُّ نَوْءٍ بِعَصْرٍ جادَني زَمَناً فِداءُ نَوْءٍ سَقاني الرِّيَّ في حَلَبا

وفي سنة (٤٦٦) توفي أخوه القاضي أبو المكارم محمد بن حَيُّوس الفقيه الفرضي ، ترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال : « كان مستخلفاً من قبل الحكام على الفروض والتزويجات ، وكان ديِّناً حسن الطريقة ، وكان أوحد زمانه في علم الفرائض » .

ولم تطل حياة الأمير محمود بن نصر بعد مجيء ابن حَيُّوس إلى حلب فقد توفي سنة (٤٦٧) ورثاه ابن حَيُّوس بعد أن كان مدحه بعشر قصائد ، وخلفه ابنه الأمير نصر وجرى على رسم أبيه في رعاية ابن حَيُّوس وإيثاره على غيره من الشعراء ، دخل عليه ابن حَيُّوس لما تولى بعد أبيه وأنشده القصيدة التي أولها :(٢)

كَفى الدِّينَ عِزّاً ما قَضاهُ لَكَ الدَّهْرُ فَمَنْ كانَ ذا نَذْرٍ فَقَدْ وَجَبَ النَّذْرُ

وبعد أن مدحه ورثى أباه وعزّاه عنه قال :

تَباعَدْتُ عَنْكُمْ حُرْفَةً لا زَهادَةً وَسِرْتُ إِلَيْكُمْ حِيْنَ مَسَّنِيَ الضُّرُّ

وَجادَ ابْنُ نَصْرٍ لي بِأَلْفٍ تَصَرَّمَتْ وَإِنِّي عَلِيمٌ أَنْ سَيُخْلِفُها نَصْرُ

وَما بِيَ إلى الإِشْطاطِ في السَّوْمِ حاجَةٌ وَقَدْ عُرِفَ المُبْتاعُ وَانْفَصَلَ السِّعْرُ

(١) انظر الديوان ص ٢٢

(٢) انظر الديوان ص ٢٤٢

فأطلق له نصر ألف دينار وقال : وحياتي لو قال سيضعفها نصر لأضعفتها .

واجتمع على باب نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك إلى دار بولص النصراني ، وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجلس الأنس عنده ، فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم إلى باب بولص ، وفيهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعري فكتبوا إليه أبياتاً اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة وهي :

عَلَى بابِكَ ٱلْمَحْرُوسِ مِنَّا عِصابَةٌ ... مَفالِيسُ فَٱنْظُرْ في أُمُورِ ٱلْمَفالِيسِ

وَقَدْ قَنِعَتْ مِنْكَ ٱلْجَماعَةُ كُلُّها ... بِعُشْرِ ٱلَّذي أَعْطَيْتَهُ لِٱبْنِ حَيُّوسِ

وَما بَيْنَنا هٰذَا ٱلتَّفاوُتُ كُلُّهُ ... وَلٰكِنْ سَعِيدٌ لا يُقاسُ بِمَنْحُوسِ

فأطلق لهم مائة دينار وقال : والله لو قالوا « بمثل الذي أعطيته لابن حَيُّوس » لأعطيتهم مثله.

وأكثر ابن حَيُّوس من مدح نصر بن محمود على قصر مدة إمارته، ففي الديوان عشر قصائد قيلت فيه في أقل من سنة. وذلك أن نصراً تولى الإمارة بعد أبيه سنة (٤٦٧) وقتل في شوال سنة (٤٦٨) قال ابن العديم في زبدة الحلب « وفي يوم عيد الفطر من سنة ثمان وستين وأربعمائة عيّد نصر بن محمود في أحسن زي وكان الزمان ربيعاً والأرض نضرة ، واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ، ودخل عليه ابن حيوس فأنشده قصيدة منها :

صَفَتْ نِعْمَتانِ خَصَّتاكَ وَعَمَّتا ... حَدِيثُهُما حَتّى ٱلْقِيامَةِ يُؤْثَرُ [(١)]

فشرب إلى العصر وحمله السكر على الخروج إلى الأتراك وسكناهم في الحاضرة وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله » .

وتولى بعد نصر بن محمود أخوه سابق بن محمود ، فدخل عليه ابن حَيُّوس ومدحه بقصيدة أولها[(٢)] :

عَلَيَّ لَها أَنْ أَحْفَظَ ٱلْعَهْدَ وَٱلْوِدَّا ... وَإِنْ لَمْ يُفِدْ إِلاَّ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلصَّدَّا

(١) انظر الديوان ص ٢٧٠

(٢) انظر الديوان ص ١٤٤

فأطلق له سابق ألف دينار وجعل له في كل شهر ثلاثين ديناراً (١) . وكانت منزلته عنده كمنزلته عند أخيه نصر ووالده محمود . وبقي يقول فيه الشعر إلى أن استولى شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش العُقَيلي على حلب سنة (٤٧٣) وانقضت دولة آل مرداس. وفي الديوان من شعر ابن حَيُّوس في سابق ثماني قصائد .

دخل ابن حَيُّوس حلب في شوال سنة (٤٦٤) وهو ابن سبعين سنة وبقي في كنف آل مرداس حتى انقرضت دولتهم سنة (٤٧٣) وقال فيهم كثيراً من الشعر، وفي الديوان من شعره فيهم ثلاثون قصيدة من أجزل شعره وأحسنه ، يعجب الإنسان كيف استجابت له وهو في عشر الثمانين من عمره .

ثم استيلاء مسلم بن قريش على حلب في شهر ربيع الآخر سنة (٤٧٣) فمدحه ابن حَيُّوس بقصيدة من أحسن ما قال من الشعر ولعلها آخر ما قال . قال ابن العديم في زبدة الحلب : « مدح ابن حَيُّوس شرف الدولة بالقصيدة التي أولها :

ما أدْرَكَ الطَّلِباتِ مِثْلُ مُصَمِّمِ ... إنْ أَقْدَمَتْ أَعْدَاؤُهُ لَمْ يُحْجِمِ (٢)

فلما وصل إلى قوله :

أَنْتَ الَّذِي نَفَقَ الثَّناءُ بِسُوقِهِ ... وَجَرى النَّدى بِعُرُوقِهِ قَبْلَ الدَّمِ

اهتز شرف الدولة وأمره بالجلوس ، فأتمها جالساً ، وأجازه بألفي دينار وقرية . وقيل إنه لما مدحه ابن حَيُّوس قال له وزيره أبو العز بن صدقة البغدادي : هذا رجل كبير السن ولم يبق من عمره إلا القليل فأرى أن تعظم له الجائزة فتحصل على الذكر الجميل. فأقطعه الموصل جائزةً له، فمات في هذه السنة قبل أن يصل إليها ، وترك مالاً جزيلاً .فقيل لشرف الدولة:هذا لا وارث له إلا بيت المال . فقال : والله لا يدخل خزانتي مال قد جمعه من صلات الملوك ، انظروا له قرابة . فسألوا عن ذلك فوجدوا له من ذوي الأرحام بنت أخ فأعطاها ماله جميعه ، وهي بنت أخيه أبي المكارم محمد بن سلطان بن حَيُّوس (٣) »

---

(١) زبدة الحلب (مخطوط).

(٢) الديوان ص ٥٦٩

(٣) ومثل هذه الرواية مع اختلاف يسير بالألفاظ في خريدة القصر للعماد الاصفهاني ج ٣ ورقة ١٧٢ (نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي).

توفي ابن حَيُّوس في شعبان سنة (٤٧٣) ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب وهو في الثمانين من عمره ولم يعقب ولداً. قال جمال الدين القفطي في كتابه «المحمدون[1] من الشعراء» بترجمة ابن حَيُّوس: «... قلت ودفن بمقبرة بني الموصول على جانب الخندق خارج باب قنسرين. وكانت بنت أخيه [2] أبي المكارم مزوجة بحلب إلى أحد بني جرادة، وله منها ولد سمته باسم أبيها، ونشأ ورحل إلى بغداد وخالط أهل العلم وسمع كثيراً ثم عاد إلى حلب وأولدبها، وبها مات رحمه الله تعالى»

* * *

وقبل أن أختم هذا الفصل أريد أن أشير إلى أن هناك شاعرين يتصحف اسمهما على الناس باسم ابن حَيُّوس، أحدهما مغربي من أهل فاس، والآخر أندلسي من أهل إشبيلية.

أما الأول فقد نبه إلى وهم الناس فيه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/١٥ فقال: «وفي شعراء المغاربة ابن حَبُوس بالباء الموحدة المخففة، وإنما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حَيُّوس ورأيت خلقاً كثيراً يتوهمون أن المغربيّ يقال له ابن حَيُّوس أيضاً، وهو غلط والصواب ماذكرته والله أعلم» وابن حَبُوس المغربي هذا هو أبوعبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حَبُوس ولد بفاس سنة (٥٠٠) وتوفي سنة (٥٧٠) وله ترجمة في التكملة لابن الأبار ص ٣٧٠. وبعد كل ذلك فقد تصحف اسمه على صاحب تاج العروس فظنه ابن حَيُّوس وأورده في مادة (حاس).

وأما الثاني فقد ذكره عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص ١/٢٣٦ بعد ترجمة ابن حَيُّوس الدمشقي فقال «وابن حَيُّوس الاشبيلي ... له في أشتر العين لا تفارقه الدمعة:

شَتِرَتْ فَقُلْنَا زَوْرَقٌ فِي لُجَّةٍ ... مالَتْ بِإِحْدَى دَفَّتَيْهِ الرِّيحُ
فَكَأَنَّما إِنْسانُها مَلَّاحُهُ ... قَدْ خافَ مِنْ غَرَقٍ فَظَلَّ يَصِيحُ»

فكتبتُ منذ أربع سنوات إلى الصديق الفاضل الأستاذ عبد العزيز محمد الأهواني وكان في مدريد يتخصص بالأدب الأندلسي أسأله عن ابن حَيُّوس الاشبيلي فأجابني بما يلي: «صاحب

(١) نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي

(٢) هي فاطمة بنت أبي المكارم محمد بن سلطان بن حيوس وزوجها أحمد والد أبي غانم محمد بن هبة الله ابن أبي جرادة. «اعلام النبلاء نقلا عن الوافي بالوفيات والمختار من الكواكب المضية» ١/٣٥٦

الأبيات في أشتر العين هو أبو العباس احمد بن حَنُّون (بنونين) ورد ذلك في كتاب المُغرب في حُلى المَغرب لعلي بن سعيد المغربي ، وهذا الكتاب مخطوط موجود في دار الكتب المصرية ونسخة الدار بخط المؤلف نفسه ومعي من هذا الأصل نسخة هنا في اسبانيا . ورد في الجزء الأول ورقة ٢٩٩ ما يأتي : — أبو العباس احمد بن حنون الإشبيلي من بيوت إشبيلية واغنيائها . . . وإذن فالصواب في نص صاحب معاهد التنصيص أن يكون الاسم ابن حَنُّون الإشبيلي لا ابن حَيُّوس كما ذكر » .

* * *

علمه وأدبه

نشأ ابن حَيُّوس في بيت وجاهة وثراء ، وأهل أمه بيت علم وصلاح ، فجده لأمه القاضي أبو العباس أحمد بن هٰرون بن موسى المعروف بابن الجندي الغساني قاضي غوطة دمشق[١] ، وخاله القاضي أبو نصر محمد بن أحمد الجندي الغساني إمام جامع دمشق وخليفة القاضي بها[٢] . وأبوه سلطان[٣] كان مع وجاهته وثرائه على أثارة من العلم .

لا نعرف كيف ابتدأ ابن حَيُّوس يطلب العلم في حداثته وماهي الكتب التي درسها وعلى من درسها . وكل ما اطلعنا عليه في هذا الشأن أنه وأخاه أبا المكارم سمعا خالهما أبا نصر[٤] — أي أخذا علم الحديث عنه — كما رويا عن أبيهما سلطان . وكان ميل أبي المكارم إلى علوم الدين فبرع في الفقه وكان أوحد زمانه في الفرائض . أما أبو الفتيان فقد كان أميل إلى الشعر والأدب واللغة ، على أن ثقافته في علوم الدين وغيرها ظاهر أثرها في شعره .

ولما قدم أبو بكر الخطيب البغدادي دمشق سنة (٤٥١) وسكنها مدة صحب ابن حَيُّوس وروى عنه وعن أخيه أبي المكارم ، كما روى عنه أبو محمد بن السمرقندي[٥] . وسمع منه طائفة من شعره أبو المفضل يحيى بن علي القرشي قاضي دمشق وجد ابن عساكر لأمه وقرىء عليه

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦)

(٢) توفي سنة ٤١٧ وله ترجمة بتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ : ورقة ٣٧٠ ب (مخطوط)

(٣) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٦)

(٤) ابن عساكر ج ١٥ رقة ١٩٠ و ١٩١ (مخطوط) .

(٥) تاريخ الاسلام الكبير الذهبي ج ١١ ورقة ٢٨٠ (مخطوط) .

ببغداد سماعُه من شعر ابن حَيُّوس،[1] وروى عنه أيضاً شيئاً من شعره أبو القاسم النسيب علي ابن ابراهيم بن العباس خطيب دمشق وذكر أنه ثقة .

وذكر ابن خلكان والصفدي أن ابن حَيُّوس كان شيخ ابن الخياط الشاعر الدمشقي المشهور، وأن ابن الخياط لما دخل حلب سنة (٤٧٢) وبها يومئذ ابن حَيُّوس كتب إليه ابن الخياط :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ما يُباعُ بِدِرْهَمٍ   وَكَفاكَ مِنِّي مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي

إلاَّ بَقِيَّةُ ماءِ وَجْهٍ صُنْتُها   عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ أَيْنَ الْمُشْتَرِي

فقال لو قال « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن [2] .

أما ثقافته في العربية وآدابها فواسعة تظهر في كل قصيدة من شعره ، فهناك إشارات كثيرة إلى عيون من طرائف الأدب والتاريخ في الجاهلية والإسلام حيث يحسن إيرادها ، مثل الإشارة إلى أخبار العرب وأيامهم وملوكهم وفرسانهم وأجوادهم وخطبائهم وشعرائهم وفحول خيلهم وإبلهم ، والاقتباس من أمثالهم والسائر من أشعارهم . ومثل الإشارة إلى عظام الحوادث وأعلام الرجال في الإسلام من الخلفاء والملوك والقواد والفاتحين والشعراء وأصحاب الشأن . وايراد الشواهد على ذلك يطول كثيراً فإنها مبثوثة في مواطن كثيرة من شعره. ولنكتف بإيراد شيء مما يدل على ثقافته في الدين والمنطق والنجوم ، فقد كان يتفقه في بعض المواطن من شعره ، من ذلك قوله : ص٤٣٥

وَالْفِقْهُ غَيْرُ مُبِيحَةٍ أَحْكامُهُ   مَنْ لاَ يُؤَدِّي الْفَرْضَ أَنْ يَتَنَفَّلا

وقوله : ص ٥٣٢

مَواهِبُ لَمَّا لَمْ تُغادِرْ فَرِيضَةً   وَلا سُنَّةً فِي الْجُودِ جادَتْ تَنَفُّلا

وقوله : ص ١٥٨

قَدْ أَعْوَزَ الْماءُ الطَّهُورُ وَما بَقِي   غَيْرُ التَّيَمُّمِ لَوْ يَطِيبُ صَعِيدُ

---

(١) مخطوطة ابن عساكر ج ١٠ ورقة ٨٠ بترجمة يحيى بن علي القرشي .

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥ والوافي بالوفيات للصفدي ج ٣ (مخطوط)

وقوله : ص ٢٠٣

بَدَّدْتَ وَفْرَكَ في فَرْضٍ وَنافِلَةٍ ... وَسُنَّةٍ فَجَمَعْتَ السُّؤْدُدَ البَدَدا

وقوله : ص ٦٠١

تَيَمَّمْتُ لَمَّا أَعْوَزَ الْماءُ طاهِراً ... فَيَمَّمْنَ بي بَحْراً كَفاني التَّيَمُّما

وقوله وفيه مسألة في الفرائض : ص ٥٠٢

وَأَبُو الرَّسُولِ فَجَدُّكُمْ أَوْلَى بِهِ ... مِنْ دُونِ إِخْوَتِهِ بِلاَ إِشْكالِ

أَنَّى يَكُونُ شَرِيكُهُ في عَمِّهِ ... كَشَرِيكِهِ في عَمِّهِ وَالْخالِ

نَسَبٌ بَنُو الْعَلاَّتِ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ ... وَبِذَاكَ تَقْضِي سُورَةُ الأَنْفالِ

وقوله وفيه من مصطلح المنطق الجوهر والعرض : ص ٦٤

وَمِنَ الثَّنا عَرَضٌ وَمِنْهُ جَواهِرٌ ... وَمِنَ الْجَواهِرِ جامِدٌ وَمُذابُ

وقوله وفيه من مصطلح الفلكيين النعائم وهي من منازل القمر: ص ٥٩٧

عَلاَ قِمَمَ النَّعائِمِ مُسْتَطِيلاً ... وَسارَ وَمِنْ قَلاَئِصِهِ النَّعامى

ومثله قوله وفيه من مصطلحهم القِران : ص ٦٤٣

لأَنَّكَ مُنْذُ صِرْتَ لَها قَرِيناً ... بَدَا في الأَرْضِ تَأْثِيرُ الْقِرَانِ[1]

وأشباه هذا مما يدل على ثقافته العامة .

٭ ٭ ٭

صفته وأخلاقه

كل من ترجم لابن حَيُّوس لم يصف شيئاً من هيئته أو ملبسه أو ما يشير إلى شيء من ذلك ، فلا نعلم أكان طويلاً أم قصيراً بديناً أم نحيفاً أبيض أم أسمر ، وما إلى هذا من الصفات التي تعين على تمثله واستحضار صورته في الذهن . ولكن سيرته مع الأمراء المرداسيين في حلب وهو في عشر الثمانين من عمره تدل على أنه كان قوي البنية شديداً مملوءاً صحة ونشاطاً ، فقد كان يصحبهم ويجالسهم ويركب معهم ، وإلى ذلك يشير بقوله : ص ٢٧٤ .

(١) وورد في شعره ذكر النسرين ص ١٦١ والفرقدين ص ٤٤٦ وبهرام وكيوان وزحل والمشتري والحمل والجوزاء والثريا في غير موضع .

وَما أَضْعَفَتْ عَشْرُ الثَّمانِينَ مُنَّتِي   كَما تُضْعِفُ الضِّرْغامَ وَهْوَ غَضَنْفَرُ

ركب يوماً مع محمود بن نصر صاحب حلب إلى ظاهر حلب ينظر المدّ في النهر وقال في ذلك أبياتاً تجدها في الديوان ص ١٩٧ . وكان يوماً مع محمود أيضاً وقد زلَّت قوائم فرس كان تحته فقال أبياتاً تجدها في الديوان ص ٦٣٢ . وبقي ممتّعاً بعقله وإدراكه وشاعريته وحواسه إلى آخر أيام حياته ، ولعله يشير إلى ذلك بقوله يخاطب نصر بن محمود صاحب حلب : ص ٦١٠

عَلَّمْتَنا الطَّلَباتِ مِنْ بَعْدِ الْغِنَى   وَرُزِقْتَ شَيْخاً يَقْبَلُ التَّعْلِيما

ولم يظهر عليه من علامات الشيخوخة إلا انحناء ظهره قبل وفاته ، على أنه كانحناء السيف من غير عجز ، وإلى ذلك يشير في آخر قصيدة قالها قبيل وفاته ببضعة أشهر : ص٥٧٧

وَلَئِنْ حَنَتْ ظَهْرِي السِّنُونَ بِمَرِّها   فَالرُّمْحُ يَنْفَعُ وَهْوَ غَيْرُ مُقَوَّمِ

وقبل ذلك قال وقد ملّ من طول الحياة : ص ٣٩٢

صَحِبْتُ لَيالِي الدَّهْرِ حَتَّى مَلِلْتَنِي   وَثَقَّلْتُ حَتَّى آنَ لِي أَنْ أُخَفِّفا

أما أخلاقه فقد كان يغلب عليه الجد والتصاون . فليس في سيرته أو شعره لهو أو عبث أو مجون ،ولم يكن مختالاً فخوراً ، ولا سبَّاباً طعَّاناً ، ويكاد ديوانه يخلو من الغزل ووصف الخمر والفخر والهجاء لولا أبيات في هذه المعاني أحسن في بعضها وظهر عليه التعمل في بعضها . ولعل غلبة الجد عليه جعلته خشناً في بعض أحاديثه . قال ابن عساكر[1]: « كان أبو الفتيان ابن حَيُّوس يوماً مع الشريف أحمد بن علي النصيبي قاضي دمشق في أيام المستنصر ،فقال الشريف: وددت لو كنتُ في الشجاعة مثل علي، وفي السخاء مثل حاتم ، وذكر غيرهما . فقال له أبو الفتيان: وفي الصدق مثل أبي ذر الغفاري ،يعرّض له بأنه كذاب ، لأن المترجم كان يرمى بالكذب». وكذلك قوله لأبي العلاء المعري لما أنشده شيئاً من شعر عبد المحسن الصوري وقال هذا لقصيرك. فقال له ابن حَيُّوس هو أشعر من طويلك . يعني المتنبي ، فأراد أبو العلاء أن يحوّل مجرى الحديث . فمدّ يده إليه وقبض على ثوبه وقال : الأمراء لا يناظَرون (٢).

(١) تاريخ دمشق ١/٤١٠

(٢) انظر ص ٨

كان ابن حَيُّوس طموحاً إلى الثراء والجاه والاستزادة منها ، عزوفاً عن اللهو والتصابي . وقد أشار إلى ذلك في عدة مواطن من شعره منها قوله : ص ١٥٨

أَمَّا ٱلنِّسَاءُ فَمَا لَهُنَّ عُهُودُ ... وَلَهُنَّ عَنْكَ وَمَا ظَلَمْنَ مَحِيدُ

وَأَبْغِ ٱلنَّبَاهَةَ وَٱلثَّرَاءَ بِعَزْمَةٍ ... لَمْ يَثْنِهَا لَوْمٌ وَلاَ تَفْنِيدُ

وهو إلى ذلك شاعر منصرف إلى قرض الشعر لا يشتغل بسواه ، فلم يكن له بد إذن من التكسب به - وإن كان يدعي أنه لا يريد بمدحه المال لأنه غني موسر - فمدح ولكنه لم يمدح إلا أميراً أو وزيراً أو من في معناهما، وابتدأ بمدح والي دمشق أنوشتكين الدِّزْبري سنة (٤٢٠) وهو مولى تركي واستمر بمدح ولاة دمشق واحداً بعد واحد إلى سنة (٤٥٤) حين اضطربت أحوال دمشق ولم تستقم حال الولاة بعدها ، ومدح ثلاثة من الوزراء ورحل إلى القاهرة لهذه الغاية ، وكأنه حين التزم ألا يمدح إلا رجال الدولة وأصحاب السلطان أصبح شاعراً من شعراء الدولة الفاطمية ومن دعاتها السياسيين ، فكان يهاجم خصومهم ويشتد على الخارجين عليهم ، ولكنه قد شهد مصارع جميع أولئك الولاة والوزراء الذين مدحهم واتصل ببعضهم اتصالاً وثيقاً ولم يرث واحداً منهم .

كان في مدحه لرجال الدولة الفاطمية ينال من بني العباس ويعرّض بضعف الخليفة في بغداد ، ويزين للفاطميين الاستيلاء على العراق ، من ذلك قوله : ص ١٨١

عَجِبْتُ لِمُدَّعِي ٱلْآفَاقِ مُلْكاً ... وَغَايَتُهُ بِبَغْدَادَ ٱلرُّكُودُ

وَمِنْ مُسْتَخْلَفٍ بِٱلْهُونِ رَاضٍ ... يُذَادُ عَنِ ٱلْحِيَاضِ وَلاَ يَذُودُ

وقد كان على تسننه يمدح رجال الدولة الفاطمية بما يرتاحون إليه من النيل من بني أمية وبني العباس ، ولكنه لم يتعرض للصحابة بسوء . قال : ص ٦٢٣

حَوَادِثُ وَرَّثَتْ مَرْوَانَ ظَالِمَةً ... خِلاَفَةً لَمْ يُخَلِّفْهَا لَهُ ٱلْحَكَمُ

وَعَاوَدَتْ بِبَنِي ٱلْعَبَّاسِ قَاهِرَةً ... بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى زَالَ مُلْكُهُمُ

حَتَّى إِذَا أَقْلَعَتْ عَنْ جَوْرِهَا عَقَدَتْ ... مِنْ ذِي ٱلْإِمَامَةِ عَقْداً لَيْسَ يَنْفَصِمُ

كان أول من مدح من ولاة دمشق أنوشتكين الدِّزْبِري وهو مولى تركي جاء على رأس جيش ضخم لمقاتلة عرب الشام الذين خرجوا على طاعة الفاطميين ، فكان ابن حَيُّوس في قصائده بالدِّزْبِري يمدح الأتراك ويعرِّض بالعرب من ذلك قوله ص ٦٢٨ :

وَعَزْمَةٍ مُذْ أَلَمَّتْ بِالشَّآمِ بَنَتْ دُونَ الْخِلافَةِ سُوراً لَيْسَ يَنْهَدِمُ

وَطالَما عَرَّسَتْ في أَرْضِهِ فِتَنٌ تَشِيبُ مِنْها قُلُوبُ الْخَلْقِ لا اللِّمَمُ

وَرُبَّ جَيْشٍ إِذَا سالَ الْفَضاءُ بِهِ رَأَيْتَ فِيهِ جِبالَ الْأَرْضِ تَصْطَدِمُ

بَحْرٌ فَإِنْ عَسَلَتْ فِيهِ الرِّماحُ أَرَتْ أَمْواجَ بَحْرِ الْمَنايا كَيْفَ تَلْتَطِمُ

ثَناهُ بَأْسُكَ فَانْصاعَتْ كَتائِبُهُ كَأَنَّ آسادَها مِنْ ذِلَّةٍ نَعَمُ

عَنَتْ حُماةُ بُيُوتِ الشَّعْرِ راغِمَةً مُذْ طُنِّبَتْ لَكَ في أَوْطانِها الْخِيَمُ

وَكَمْ لَهُمْ مَوْقِفٌ جالَ الْحِمامُ بِهِ لَوْ كانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْخَصْمَ ماخُصِمُوا

مَنَعْتَ آسادَهُمْ قَسْراً فَرائِسَها فَلَيْسَ يُنْكَرُ أَنْ تَنْبُو بِها الْأَجَمُ

ذَرْهُمْ وَنُصْرَةَ مَنْ لاذُوا بِعَقْوَتِهِ فَقَدْ وَهَتْ عَرَبٌ بِالرُّومِ تَعْتَصِمُ

وله أشياء كثيرة في هذا المعنى موجودة في قصائده بالدِّزْبِري .

فلما أفل نجم الفاطميين من الشام ، واضطر ابن حَيُّوس إلى مغادرة دمشق إلى حلب والالتجاء إلى بني مرداس الذين طالما نهش أعراضهم ؛ ورأى عندهم مالم ير عند غيرهم من حسن الوفادة تغيرت نغمته فقال معرِّضاً بالفاطميين :

فَكُلُّ نَوْءٍ بِمِصْرٍ جادَنِي زَمَناً فِداءُ نَوْءٍ سَقانِي الرِّيَّ في حَلَبا

وكان محمود بن نصر صاحب حلب قطع خطبة المستنصر الفاطمي وخطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي ، وأرسل الخليفة إليه الخلع مع نقيب النقباء ، فقال ابن حَيُّوس في ذلك قصيدة

عرّض بها بالفاطميين وبما يروى عنهم من التأويل ويرمون به من التعطيل ، وذكر الخليفة العباسي بالتعظيم والتبجيل يقول فيها : ص ٤٢٣

وَلَكَ ٱلْأَدِلَّةُ أَوْضَحَتْ حَتَّى رَأَىٰ   إِثْبَاتَ فَضْلِكَ مَنْ رَأَىٰ ٱلتَّعْطِيلا

وَلِمُرْهَفَاتِكَ بِٱلْفُنَيْدِقِ [1] وَقْعَةٌ   مَلَأَتْ مَسَامِعَ مَنْ بِمِصْرَ صَلِيلا

غُرُّوا بِأَنْ شَرَّقْتَ عَنْهُمْ مَذْهَبًا   فِي ٱلرَّأْيِ مَا عَرَفُوا لَهُ تَأْوِيلا

ومنها :

مِنْ مُقْرَبَاتٍ أَوْرَدَتْ أَمَّاتُهَا   بَرَدَىٰ وَأَحْرِ بِأَنْ يَرِدْنَ ٱلنِّيلا

فَلْتَحْذَرِ ٱلْهِمَمُ ٱلْمُذَالَةُ فِي ٱلثَّرَىٰ   هِمَمًا تَجُرُّ عَلَى ٱلسَّمَاءِ ذُيُولا

مُنْذُ أُنْبِرَتْ دُونَ ٱلْخَلِيفَةِ جُنَّةً   مَلَأَتْ غِرَارَ ٱلنَّائِبَاتِ فُلُولا

وَلَقَدْ دَعَاكَ إِلَىٰ ٱلَّتِي إِدْرَاكُهَا   عَسِرٌ فَكُنْتَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلا

أَعْلَمْتَهُ أَنْ لَيْسَ يَذْهَبُ ثَأْرُهُ   مَا دُمْتَ لِلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ مُدِيلا

وَأَتَاكَ مِنْ إِكْرَامِهِ وَصِفَاتِهِ   مَا جَاوَزَ ٱلْإِكْرَامَ وَٱلتَّبْجِيلا

هٰذَا هُوَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لَا يُرْتَقَى   أَدْنَاهُ وَٱلْعِزُّ ٱلَّذِي مَا نِيلا

وأراد أن يقطع صلته بالفاطميين ، فعالج طبعه واقسره على نظم قصيدة[2] هجا بها بدراً الجمالي وزير المستنصر ومدح محمود بن نصر ، وليس له في الهجاء من القصائد غيرها لأنه لم يكن هجّاءً .

وكأن محمود بن نصر بعد أن أغدق على ابن حَيُّوس عطاياه وغمره باحسانه أراد أن يقرعه ضمناً ، فاقترح عليه أن يرثي أباه نصر بن صالح الذي طالما مزّق ابن حَيُّوس أديمه ، وعيّن له

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص ٤٢٣

(٢) انظر الديوان ص ١١٩

البحر والقافية [1]، وفي ذلك من المضايقة والحرج والتبكيت المعنوي ما فيه، لما فرط من أقوال ابن حَيُّوس في النيل من نصر.

كان ابن حَيُّوس على نبل أسرته ويساره وعلمه وأدبه وشاعريته زاهداً في الفخر والاعتداد بالعصبية العربية، وهو من أقل الشعراء فخراً واعتداداً بالنسب، يشير إلى ذلك قوله: ص ٩٦

فَقَدْ تَرَكْتُ غَنِيّاً غَيْرَ مَقْلِيَةٍ لَمَّا تَجَدَّدَ لِي فِي عَامِرٍ نَسَبُ

و (غني) قبيلته و (عامر) جد بني كلاب قبيلة المرداسيين [2].

ولم تستيقظ به العصبية العربية إلا حين طغى سيل الأتراك السلجوقيين على العراق والشام قبيل سنة (٤٥٠) وعلى رأسهم طغرل بك السلجوقي، وفي ذلك يقول ابن حَيُّوس مستنهضاً همة الوزير اليازوري لصد طغرل بك الذي وصفه بالحية: ص ٤٠٥

وَقَدْ دَبَّ مِنْ أَقْصَى الْمَشَارِقِ حَيَّةٌ لَهَا لَدَغَاتٌ لاَ تُدَاوَى وَلاَ تُرْقَى

فَطَبَّقَ تِلْكَ الْأَرْضَ ظُلْماً وَظُلْمَةً فَكُنْ فَلَقاً يَجْلُو دَجُوجِيَّهُ فَلْقَا

فَمِنْ دُونِ دِينٍ قَدْ تَوَلَّيْتَ نَصْرَهُ قَبَائِلُ مِنْ قَيْسٍ وَقَحْطَانَ مَا تُلْقَى

هُمُ سَلَبُوا كِسْرَى بنَ سَاسَانَ مُلْكَهُ وَقَبْلَهُمُ عَقَّ الْمُلُوكَ وَمَا عُقَّا

وَذَادُوا عَلَى الْيَرْمُوكِ ذَادَةَ قَيْصَرٍ بِكُلِّ حِسَامٍ يَمْنَعُ النَّاطِقَ النُّطْقَا

وَلاَ شَكَّ أَنَّ التُّرْكَ يَنْسَوْنَ رَمْيَهُمْ بِطَعْنٍ بِهِ أَنْسَيْتَ صِنْهَاجَةَ الزُّرْقَا

ويقول أيضاً: ص ١٨١

لَقَدْ طَاحَ الرَّجَاءُ بِطُغْلُبَكٍّ وَكَمْ أَمَلٍ إِلَى أَجَلٍ يَقُودُ

كَأَشْدَقِ عَبْدِ شَمْسٍ إِذْ تَبَغَّى تُرَاثاً لَمْ يُخَلِّفْهُ سَعِيدُ

وَجَاوَرَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَرِيدٌ لاجْتِيَاحِهِمُ مُرِيدُ

وَأَرْسَلْتَ الْعِتَاقَ الْجُرْدَ قُبّاً يُعَارِضُ مُمْتَطًى مِنْهَا مَقُودُ

(١) انظر الديوان ص ٣٥٦

(٢) انظر أيضاً ص ٣٨٥

وَمِنْ أُدَدٍ وَعَدْنانَ عَلَيْهَا جُنُودٌ لاَ تُلاقِيهَا جُنُودُ
مِنَ الْأُسْرِ الَّتِي أَلْوَتْ بِكِسْرَى وَذَاكَ وَمَنْ سِلاَحُهُمُ الْجَرِيدُ

ويقول لمسلم بن قريش لما استولى على حلب سنة (٤٧٣) وهي آخر ما قال من الشعر : ص ٥٧٠

يا رَحْمَةً بُعِثَتْ فَأَحْيَتْ أُمَّةً قَدْ طالَمَا مُنِيَتْ بِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ
في يَوْمِ قارٍ رَايَةٌ لَكَ فَهِمَتْ مِنْ قادَةِ الْأَتْراكِ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ
لَمَّا تَقاصَرَتِ الصَّوارِمُ وَالْخُطَى حَذَرَ الْبَوَارِ وَثَبْتَ وَثْبَةَ ضَيْغَمِ
فِي عُصْبَةٍ كَعْبِيَّةٍ تَرَكُوا الْقَنَا مُتَعَوِّضِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمِ
يَلْقَوْنَ أَعْرَاءً بِكُلِّ كَرِيهَةٍ يَجْتابُ فِيهَا اللَّيْثُ ثَوْبَ الْأَرْقَمِ
قَلَّلْتُمُ عَدَدَ الْعِدَى بِقَوَاضِبٍ كَثَّرْنَ أَزْوَادَ النُّسُورِ الْحُوَّمِ
مِنْ مُرْهَفَاتٍ لَمْ تَزَلْ أَيْمانُكُمْ أَنْصارَها فِي كُلِّ يَوْمٍ أَيْوَمِ
ماعايَنَتْها التُّرْكُ تَحْكُمُ فِي الطُّلَى حَتَّى تَوَلَّتْ طائِشاتِ الْأَسْهُمِ
مِنْ نابِذٍ لِسِلاحِهِ فاتَ الرَّدَى سَبْقاً وَمِنْ مُسْتَلْئِمٍ مُسْتَسْلِمِ
فَخَصَصْتَ بِالْإِذْلالِ كُلَّ مُقَلْنَسٍ وَعَمَمْتَ بِالْإِعْزازِ كُلَّ مُعَمَّمِ
وَغَداً سَتُخْلِي الشَّامَ مِنْهُمْ مِثْلَما أَخْلَتْ خُزاعَةُ مَكَّةَ مِنْ جُرْهُمِ
يَوْمٌ لَعَمْرُكَ لَمْ تَزَلْ أَخْبارُهُ مَسْمُوعَةً مِنْ مُنْجِدٍ أَوْ مُتْهِمِ
عَزَّتْ بِهِ عَرَبُ الْبِلادِ كَعِزِّها بِالْقادِسِيَّةِ يَوْمَ مَقْتَلِ رُسْتُمِ

أَصْفَيْتَ لِلعُرَبِ الْمَشارِبَ بَعْدَ أَنْ ... كانَتْ كَرُمْحٍ لاَ يُعانُ بِلَهْذَمِ

وفي هذه القصيدة يذكر نسبه الذي طالما تناساه فيقول :

إِنَّ الْوَفاءَ طَرِيقُ أَسْلاَفِي الأُلىٰ ... عَمَرُوهُ ما بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَيْثَمِ

هذه صورة استعنت على تصويرها بأخبار الشاعر وأقواله ، قد تكون غير تامة ولكن فيها مشابه تحكيه في أخلاقه وأطواره . وقد يكون له عذر في بعض ما يؤخذ عليه في سيرته ، وقديماً قيل : يباح للشاعر مالا يباح لغيره .

* * *

شعره

ابن حَيُّوس شاعر محسن، لم يدوِّن شيء مما قاله من الشعر إلا بعد أن بلغ السادسة والعشرين من عمره ، فليس في ديوانه قصيدة قيلت قبل سنة (٤٢٠). والشعراء عادةً يبدؤن بنظم الشعر قبل بلوغهم العشرين . ولعله لم يرتض ما قاله في صباه فأتلفه ولم يدوِّن منه شيئاً .

وبواكير قصائده تريك أنه كان ينحو منحى أبي تمام الطائي ويترسم خطاه على أصعب السنن ، وأعني بذلك أنه يذهب مذهبه في الصنعة اللفظية وفي الغوص على المعاني ، من ذلك قوله من قصيده قالها سنة (٤٢٠)

أَوْصابُ جِسْمِي مِنْ جِنايَةِ بُعْدِكُمْ ... وَالصَّبْرُ صَبْرٌ بَعْدَكُمْ أَوْ صابُ[1]

دَامَتْ سَحابَةُ تَحْتَ ظِلِّ سَحابَةٍ ... وَجَرىٰ عَلَى دَارِ الرَّبابِ رَبابُ

وَسَقَىٰ بِقاعَ الْجُونِ جَوْنٌ مُرْزِمٌ ... ما لِلذِّهابِ الْغَمْرِ عَنْهُ ذَهابُ

وهي كما ترى صنعة لفظية متكافة ، وفي القصيدة نفسها محاولة للغوص على المعاني على طريقة أبي تمام يقول فيها :

كانُوا حَدِيداً فِي الْوَغىٰ لٰكِنَّهُمْ ... لَمَّا اصْطَلَوْا نارَ الْمُظَفَّرِ ذَابُوا

ويقول :

وَجَوَاهِرٌ غَمَرَ النُّضارَ شُعاعُها ... فَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِها جِلْبابُ

(١) الديوان ص ٥٨

ومنها :

وَمِنَ الثَّنا عَرَضٌ وَمِنْهُ جَواهِرٌ ... وَمِنَ الْجَواهِرِ جامِدٌ وَمُذَابُ

رَوَّيْتَ تِرْبَ الْمَجْدِ تُرْبَ مَدائِحٍ ... لِسُهُولِها وَوُعُورِها إِعْشابُ

وَالْأَرْضُ تُجْدِبُ حِينَ يَهْجُرُها الْحَيا ... وَيُصابُ فِيها الْخِصْبُ حِينَ تُصابُ

هذا في أول أمره فلما احتنك وملك زمام القول أحسن التصرف في السير على نهج أبي تمام ، وبقي معجباً به إلى آخر حياته ، يلذُّ له أن يحاكيه في أوزانه وما يسهل عليه من أغراضه ، كقصيدته في فتح حلب التي أولها : ص ٧١

سَلِ الْمَقادِيرَ ما أَحْبَبْتَهُ تُجِبِ ... فَما لَها غَيْرَ ما تَهْوَاهُ مِنْ أَرَبِ

وقد عارض بها قصيدة أبي تمام في فتح عمورية :

اَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

وكأبياته في وصف القلم : ص ٣٠٧

عَجَباً لَها تَجْرِي بِأَسْوَدَ فاحِمٍ ... يَكْسُو الطُّرُوسَ ظَلامُهُ أَنْوَارا

وهي تنظر لأبيات أبي تمام في وصف القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَباتِهِ ... تُصابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلَى وَالْمَفاصِلُ

وهو معجب أيضاً بالبحتري ، يشبهه في بعض قصائده من حيث استواء الشعر وعدم التفاوت، ولكن إعجابه بأبي تمام أشد . وبشعرهما تخرّج وعلى غرارهما يطبع ، وإلى ذلك يشير في وصف قصيدة له : ص ١٦٤

لَوْ أَنَّ فَحْلَيْ طَيِّءٍ حَضَرا لَها ... أَمْضَى حَبِيبٌ حُكْمَها وَوَلِيدُ

ولم يكن من المعجبين بأبي الطيب المتنبي .

أظهر خصائص شعر ابن حَيُّوس الفصاحة، والجزالة، والاستواء وعدم التفاوت، وطول النفس .

وقد عزا ابن فضل الله العمري[1] فصاحة أسلوبه إلى أنه كان يخرج إلى البادية ويعاشر البدو قال : « . . . وكان يتردد إلى البادية أحياناً ، ويتخذ مما حول الزمان أوطانا ، فأتت على أشعاره فصاحة البدو ولطف الحضر ، وجاءت فيها مواضع كأنما خرجت من ألسنة العرب »

وكان حبه للجزالة والسمو أغراه بالإكثار من ذكر الجبال واليفاع والتشبيه بها وذكر أسمائها كرضوى وحراء وثهلان ومُتالع وشَمام ويلملم ويذبل وأجأ وسلمى، ولأمر ما لم يذكر من ملوك الغسانيين إلا جَبَلة بن الأيهم ، وجبلة مشتق من الجبل والأيهم الجبل الصعب الطويل الذي لا يرتقى . وهو أميل إلى الأوزان الجزلة الطويلة كالطويل والبسيط والكامل والوافر ، وقلما يختار الأوزان القصيرة . وهكذا فالمتانة في شعره أظهر من الرقة ، وربما أرادها فاستعصمت .

وقد كان هو نفسه يعلم ذلك من طبعه . قال ابن عساكر[2] « سمعت جدي القاضي يحيى بن علي القرشي يذكر عن أبي الفتيان ابن حَيُّوس أنه كان يقول : إني ليعرض لي الشيء من شعر أبي تمام والبحتري وغيرهما من المتقدمين ، فأعمل في معناه فأبلغ مرادي منه ، ولا أقدر على أن أبلغ من موازنة شعر عبد المحسن الصوري ما أريد ، لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه وقصر أبياته. وذكر شيخنا أبو القاسم النسيب قال : قال لي أبو الفتيان بن حَيُّوس : يقال إن أغزل ما قيل قول جرير :

إنَّ العُيُونَ التَّي في طَرْفِها حَوَرٌ ... قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلانَا

يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتَّى لا حَرَاكَ بهِ ... وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكانا

وقول عبد المحسن أغزل منه :

بالَّذي أَلْهَمَ تعْذِيـ ... ـبي ثَنَاياكِ العذَابا

ما الَّذي قالَتْهُ عَيْنَا ... كِ لِقَلْبِي فأَجابا »

وشعره على كثرته بيّن الاستواء غير متفاوت يشبه بعضه بعضاً ، وقد يعلو في بعض قصائده ولكنه قلما يسف أو يسخف . فله الحسن وله الأحسن ، والرديء نادر جداً . فهو من هذه الناحية يشبه البحتري ، على أن البحتري أطبع وأعذب .

(١) مسالك الابصار ج (١٠) ص ٣٤١ (مخطوط) .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر بترجمة عبد المحسن الصوري ج ١٠ ورقة ٢٢٥ (مخطوط)

وهو من أطول الشعراء نفساً تتراوح أبيات قصائده بين السبعين والمائة وقد تزيد ، وليس له من المقطعات إلا مقدار يسير ، يشابه في طول نفسه ابن الرومي ومهيار الديلمي ، ويقصر عن الأول في ابتكار المعاني وتعدد المناحي . والغريب في أمره أن أحسن شعره وأمتنه وأكثره اطراداً وتسلسلاً ماقاله بعد أن بلغ السبعين من عمره ، وهي السن التي يسكت فيها الشعراء عادة . والقصيدة[1] التي قالها قبل وفاته بأشهر وهو شيخ هرم قد بلغ الثمانين وأنشدها بحضرة مسلم بن قريش من الصفوة المختارة من شعره ، وفي ذلك دليل على قوة طبعه وتوقد شاعريته .

وقد كان على فصاحة أسلوبه ونصاعة بيانه يعمد إلى الصنعة اللفظية ويذهب في ذلك مذهب أبي تمام ، وقد أخذ عليه ابن فضل الله العمري شدة ولعه بالجناس فقال : « . . . وديوانه كبير الحجم ، كأنما طلع في آفاقه النجم ، وقد اعتمد فيه الجناس فأكثر منه حتى كدر صفو الزلال ، وستر عفوه حتى كاد يبطل به عمل السحر الحلال[2] »

ومما يسترعي الانتباه أن لحاسة الشم محلاً في عدة مواطن من شعره من ذلك قوله : ص ٣٥١

مَجْـــدٌ تَضَوَّعَتِ الْبِلادُ بِنَشْرِهِ ... طِيباً فَأَغْنَى سائِفاً أَنْ يَسْمَعا

ما إِنْ أَتَى فَهْمَ الْقَرِيبِ عِبارَةً ... حَتَّى أَتَى أَنْفَ الْبَعِيدِ تَضَوُّعا

وقوله يصف إحدى قصائده : ص ٣٥٠

إِذَا قَلَّ عَرْفُ الْمِسْكِ مِنْ طُولِ لُبْثِهِ ... أَجَدَّ لَهــــا مَرُّ اللَّيالِي تَضَوُّعا

ومثل ذلك غير قليل في شعره[3].

ويعجبني من معانيه التي أحسن فيها قوله : ص ٣٢٧

مُخـــــالِفَةٌ أَقْوالُهُمْ وَفِعالُهُمْ ... كَما خالَفَ الصَّهْباءَ لَوْنُ الْفَواقِعِ

وقوله : ص ٤٠٤

وَقَدْ تَلِدُ الْمَعْرُوفَ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ ... وَلٰكِنَّها مِنْ قَبْلِهِ تُكْثِرُ الطَّلْقا

(١) انظر الديوان ص ٥٦٩

(٢) مسالك الأبصار ج ١٠ ص ٣٤١ (مخطوط)

(٣) انظر على سبيل المثال أيضاً ص ٢٠٩ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٣١٦ و ٣٣٣

وقوله : ص ٤٤٢

تُضحي سُيُوفُكَ لِلْبِلادِ مَفاتِحاً فَإِذَا فَتَحْتَ جَعَلْتَهـــا أَقْفالا

وقوله : ص ٦٤

وَجَواهِرٌ غَمَرَ النُّضارَ شُعاعُهـــا فَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوارِها جِلْبابُ

وقوله : ص ٢٦٦

فَبَكَى وَأَضْحَكَهُ الرَّجاءُ فَما رَأَتْ عَيْنٌ سِواهُ ضاحِكاً مُسْتَعْبِرا

وقوله : ص ٢٧٨

وَلَمْ يَكُ مِثْلَ الصُّبْحِ يَقْدُمُهُ الدُّجى وَلٰكِنَّهـــا شَمْسٌ تَقَدَّمَها فَجْرُ

وقوله : ص ٣٠٧

زانَتْ فَضائِلُهُ بَدائِعَ نَظْمِها كَمْ مِعْصَمٍ أَضْحى يَزِينُ سِوارا

وقوله : ص ١٠٧

أُناسٌ سُقُوا دَرَّ الإِباءِ لِيَنْتَخُوا كَما سُقِيَ الْماءَ الْحَدِيدُ لِيَصْلُبا

وقوله : ص ١٥

تُذْكَى مَصابِيحُ الظَّلامِ عُلالَةً أَبَداً وَما يَجْلُوهُ كابْنِ ذُكاءِ

وقوله : ص ٧٢

كَذٰلِكَ النّارُ في نَفْعٍ وَفي ضَرَرٍ مُيَمَّمٌ نُورُها مَرْهُوبَةُ اللَّهَبِ

وقوله : ص ٩٩

شَفَعَ الشَّجاعَةَ بِالْخُشُوعِ لِرَبِّهِ ما أَحْسَنَ الْمِحْرابَ في الْمِحْرابِ

وقوله : ص ١٤١

وَإِذَا النَّارُ نامَ مُوقِدُهـا عَنْـهـا فَأَجْدِرْ بِأَنْ تَحُولَ رَمادا

وقوله : ص ٣٩٩

وَوَلَّوْا عَنْ حَرِيمِهِمُ فِراراً فَكُنْتَ بِصَوْنِ مَنْ تَرَكُوا حَقِيقا

وقوله : ص ٥٣٤

تَجارٰى بِفُرْسانٍ تُضاعِفُ أَيْدَها إِذاصارَتِ الأَيْدِي مِنَ الرُّعْبِ أَرْجُلا

وقوله : ص ١٤٦

يَدُلُّ وَلَمْ يُدْلَلْ عَلَى نَهْجِ سُؤْدُدٍ كَذاكَ النُّجُومُ الزُّهْرُ تَهْدِي وَلاتُهْدٰى

وقوله : ص ١٧٤

وَلاَ تُخْلِ قَلْباً فِي الْوَرٰى مِنْ مَخافَةٍ فَلَوْلاَ حَياةُ الْخَوْفِ لَمْ يَمُتِ الْحِقْدُ

وقوله : ص ١٨٤

جَناحا جارِحٍ غَرْثانَ هِيضـا فَأَصْبَحَ لاَ يَطِيرُ وَلاَ يَصِيدُ

وقوله : ص ١٩٢

بِهِ صَمَمٌ عِنْدَ السُّؤَالِ فَإِنْ لَحٰى عَلَى الْجُودِ لاَحٍ كانَ أَسْمَعَ مِنْ خُلْدِ

ومثل ذلك غير قليل تقدم بعضه في الأمثلة التي سبق إيرادها من شعره .

ويلوح على شعره أثر الثقافة في الأدب واللغة والتاريخ، إلى إلمام بالعلوم الدينية والعقلية ، وقد سبق تفصيل ذلك في الكلام على علمه وأدبه . ولكن هناك أثراً آخر هذا مكان معالجته وهو أثر الباطنية في شعره .

كان ابن حَيُّوس سنياً ولم يكن باطنياً .ولكنه ولد ونشأ في حكم الدولة الفاطمية ، واتصل بولاتها ووزرائها زمناً طويلاً . وقضى من عمره سبعين سنة في سلطانها ، فترك كل ذلك أثراً ظاهراً في شعره .

وكان هواه السياسي — على تسننه — مع الفاطميين حتى عرف بمشايعته لهم ، وكان يمدح رجالهم بما يرتاحون إليه، ويدعو إلى طاعة القوم ويحمل على خصومهم ، ولم يكن له بد من

ذلك بعد أن أصبح وكأنه شاعر الدولة في الشام . وأبرز أثر للباطنية في شعره تقديس أئمتهم تقديساً يرفعهم إلى أفق أعلى من أفق البشر ، ويجعل الدنيا مخلوقة لأجلهم ، وفي ذلك يقول : ص ٢٨٥

... وَقَدْ جَرَى ٱلْقَلَمُ ٱلْأَعْلَى بِنُصْرَتِهِ   فَقَبْلَ يُدْعَى بِهِ مُسْتَنْصِراً نُصِرَا

وَخُصَّ بِٱلشَّرَفِ ٱلْمَحْضِ ٱلَّذِي ٱرْتَفَعَتْ   لَهُ ٱلنَّوَاظِرُ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي بَهَرَا

نُورِ ٱلنَّبِيِّ ٱلَّذِي مَا زَالَ مُنْتَقِلاً   فِيمَنْ دَعَا ظَاهِراً مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرَا

أَهْلُ ٱلصَّفَا كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُمْ وَزَكَتْ   فَكُلُّ صَفْوٍ سِوَاهُمْ عَائِدٌ كَدَرَا

وَمَا بَقِي خَلَفٌ مِنْهُمْ فَمَا نَقَضَتْ   مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلنَّدَى أَيْدِي ٱلرَّدَى مِرَرَا

هُمُ ٱلْأُلَى أَخَذَ ٱللهُ ٱلْعُهُودَ لَهُمْ   وَٱلنَّاسُ ذَرٌّ عَلَى مَنْ بَرَّ أَوْ فَجَرَا

لِأَجْلِهِمْ خَلَقَ ٱلدُّنْيَا وَأَسْكَنَهَا   وَذَنْبُ آدَمَ لَوْلَاهُمْ لَمَا غُفِرَا

أَئِمَّةٌ لَمْ يَغِبْ عَنَّا لَهُمْ قَمَرٌ   إِلَّا وَأَعْقَبَنَا مِنْ سِنْخِهِ قَمَرَا

لَا تَسْأَلَنَّ ٱلْقَوَافِي عَنْ فَضَائِلِهِمْ   إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُهَا فَٱسْأَلْ بِهَا ٱلسُّوَرَا

وهذا بعض ما يعتقده الإسماعيليون في أئمتهم . ولابن هانيء الأندلسي كبير شعراء الفاطميين وأقدمهم قصائد في المعز الفاطمي تشتمل على عقيدة الإسماعيليين في الإمام منها قوله [1] :

هُوَ عِلَّةُ ٱلدُّنْيَا وَمَنْ خُلِقَتْ لَهُ   وَلِعِلَّةٍ مَّا كَانَتِ ٱلْأَشْيَاءُ

مِنْ صَفْوِ مَاءِ ٱلْوَحْيِ وَهْوَ مُجَاجَةٌ   مِنْ حَوْضِهِ ٱلْيَنْبُوعُ وَهْوَ شِفَاءُ

مِنْ أَيْكَةِ ٱلْفِرْدَوْسِ حَيْثُ تَفَتَّقَتْ   ثَمَرَاتُهَا وَتَفَيَّأَ ٱلْأَفْيَاءُ

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني للدكتور زاهد علي ص ١٥ وانظر الفصل الرابع في شرح الاصطلاحات الاسماعيلية في الديوان للدكتور زاهد علي ص ٥٢ من المقدمة .

١ * * *

مِنْ شُعْلَةِ ٱلْقَبَسِ ٱلَّتِي عُرِضَتْ عَلَى ... مُوسَى وَقَدْ حارَتْ بِهِ ٱلظَّلْماءُ

مِنْ مَعْدِنِ ٱلتَّقْدِيسِ وَهْوَ سُلالَةٌ ... مِنْ جَوْهَرِ ٱلْمَلَكُوتِ وَهْوَ ضِياءُ

مِنْ حَيْثُ يُقْتَبَسُ ٱلنَّهارُ لِمُبْصِرٍ ... وَتُشَقُّ عَنْ مَكْنُونِها ٱلْأَنْباءُ

فَتَيَقَّظُوا مِنْ غَفْلَةٍ وَتَنَبَّهُوا ... ما بِٱلصَّباحِ عَنِ ٱلْعُيُونِ خَفاءُ

لَيْسَتْ سَماءُ ٱللهِ ما تَرَأَوْنَها ... لٰكِنَّ أَرْضاً تَحْتَوِيهِ سَماءُ

أَمَّا كَوَاكِبُها لَهُ فَخَوَاضِعٌ ... تُخْفِي ٱلسُّجُودَ وَيَظْهَرُ ٱلْإِيماءُ

وقوله :

ما شِئْتَ لا ما شاءَتِ ٱلْأَقْدارُ ... فَٱحْكُمْ فَأَنْتَ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ(1)

ولم يبلغ ابن حَيُّوس هذا المبلغ، لأن تسننه يحجز بينه وبين الغاية التي جرى إليها ابن هاني .

وفي قسم من شعر ابن حَيُّوس ظاهرة غريبة وهي تهوين شأن العرب ، تجدها في كثير من القصائد التي مدح بها أنوشتكين الدِّزْبري ، مثال ذلك قوله للدِّزْبري : ص ٧٣

بَنَيْتَ لِلْعَجَمِ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُبَلِّغَهُمْ ... مَجْداً بَناهُ رَسُولُ ٱللهِ لِلْعَرَبِ

لاذَتْ بِكَ ٱلْعَرَبُ ٱلْعَرْباءُ وَٱعْتَلَقَتْ ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ حَبْلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ

أَصْفَيْتَها ٱلْمالَ شِرْباً وَٱلْعُلى كَلاً ... مِنْ بَعْدِ أَنْ رَضِيَتْ بِٱلْماءِ وَٱلْعُشُبِ

ناقَضْتَ حُكْمَهُمُ لَمَّا أَجَحْتَهُمُ ... ما قَدْ سَلَبْتَ بِأَطْرافِ ٱلْقَنا ٱلسُّلُبِ

أَعْدَمْتَها ٱلْجَهْلَ وَٱلْإِعْدامَ مُذْ وَجَدَتْ ... فِي ظِلِّكَ ٱلرَّغَبَ ٱلْمَخْلُوطَ بِٱلرَّهَبِ

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٣٦٥

ومثل هذا تجده في ص (٢٣٠ و ٢٦٤ و ٣٤٢ و ٥٢٢ و ٥٤١ و ٥٤٤) من الديوان ، ولست أدري أ كان ذلك اقتفاء لأثر ابن هاني الذي يقول :

وَلَمْ أَقِسْكَ بِشَيْبانٍ وَما جَمَعَتْ ... لٰكِنَّما أَنْتَ عِنْدِي كُلُّ رَبْعِيِّ[1]

لا بَلْ رَبِيعَةُ وَالْأَحْلافُ مِنْ مُضَرٍ ... بَلْ أَنْتَ كُلُّ تِهامِيٍّ وَنَجْدِيِّ

بَلْ شِسْعُ نَعْلِكَ عَدْنانٌ وَما وَلَدَتْ ... بَلْ أَنْتَ وَحْدَكَ عِنْدِي كُلُّ إِنْسِيِّ

على أن ابن حَيُّوس رجع عن تهوين شأن العرب وتنبهت به العصبية العربية لما رأى سيل الأتراك السلجوقيين يطغى على العراق والشام .

ومن آثار الباطنية في شعره نسبة المعجزات إلى غير الأنبياء ، فقد طالما نسبها إلى ممدوحيه من الولاة والأمراء والوزراء ، وادعى أن سلطتهم من السماء ، وله في ذلك أقوال كثيرة ، منها قوله : ص ٨٥

لَتَخِذْتَ إِعْجازَ الْأَنامِ خَلِيقَةً ... فَغَرِيبُ ما تَأْتِيهِ لا يُسْتَغْرَبُ

وقوله : ص ٢٩٠

هُنـــاكَ انْفِرادُكَ بِالْمُعْجِزاتِ ... وَيَوْمُكَ ذا فَهْوَ يَوْمٌ أَغَرّْ

وقوله : ص ٣٦٥

قَضٰى بِحُكْمِ الْكِتابِ مُتَّبِعا ... وَأَظْهَرَ الْمُعْجِزاتِ مُبْتَدِعا

وقوله : ص ٢٦٣

ما هٰذِهِ الْأَفْعالُ في قَدْرِ الْوَرٰى ... فَلِذاكَ نَحْنُ نَظُنُّ يَقْظَتَنا كَرٰى

وقوله : ص ٢٦٥

وَهَلْ تَعْصِي مُلُوكُ الْأَرْضِ مَلْكاً ... بِسُلْطانٍ سَمائِيٍّ أُعِينــــا

---

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٨١٠

وأمثال ذلك كثيرة جداً . ومن آثار الباطنية في شعره أنه كان يصف بعض من يمدحهم بالتقية ، ويقرنها بصفات المدح كالحمية والحزم ، من ذلك قوله : ص ١٣

وَلَقَدْ جَمَعْتَ حَمِيَّــةً وَتَقِيَّةً ثَنَتَا إِلَيْكَ عِنانَ كُلِّ ثَنـاءِ

وقوله : ص ٢٧٧

حَمِيَّةُ بَأْسٍ قَدْ تَلَتْهــا تَقِيَّةٌ فَطالُوا وَهُمْ بَدْوٌ وَطابُوا وَهُمْ حَضَرُ

وقوله : ص ٣٢١

ذُدْتَ الْحَمِيَّةَ بِالتَّقِيَّةِ رَاغِباً فِي الْأَجْرِ تُغْرِبُ فِي الْجَمِيلِ وَتُبْدِعُ

وقوله : ص ٣٥٢

وَلَقَدْ أَضَفْتَ إِلَى التَّقِيَّةِ هَيْبَةً جَبَرَتْ عَدُوَّكَ أَنْ يَذِلَّ وَيَخْضَعا

وقوله : ص ٤٠٣

وَقَدْ زِدْتَها مِنَ التَّقِيَّةِ نِحْلَةً فَكُنْتَ الْأَعَفَّ الْأَحْلَمَ الْأَكْرَمَ الْأَتْقَى

وقوله : ص ٥٩١

فاقَ الْمُلُوكَ حَمِيَّةً وَتَقِيَّةً مَلِكٌ سَرَتْ عَزَماتُهُ وَأَقاما

وقوله : ص ٦٢٣

حَمِيَّةٌ أَفْنَتِ الْمُرّانَ تَنْصُرُهــا تَقِيَّةٌ زالَ فِيــها الشَّكُّ وَالْوَهَمُ

ومنها استعماله القول المأثور الذي يتمثل القوم به كثيراً وهو (جَفَّ القلم) قال : ص ٥٤٨

جَرَى لَكَ فِي اللَّوْحِ أَلَّا عَزِيزَ يَعِزُّ عَلَيْكَ وَجَفَّ الْقَلَمْ

ومنها إشارته إلى أحكام النجوم، فقد كان القوم يعنون بها وبتأثيرها واختلاف مطالعهـا وقرانها ، قال : ص ١٦٤

وَأَرَى النُّجُومَ تَخالَفَتْ أَحْكامُها إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُنَّ سُعُودُ

وقال : ص ٥٣٠

فَلاَ تَجْعَلْ لِمَقْدَمِهِ أَوَانًا عَلَيْهِ ٱلطَّالِعُ ٱلْمُخْتَارُ دَلاَّ
وَأَبْعِدْ أَنْ تُدَبِّرَهُ نُجُومٌ تَمَنَّى أَنْ تَحُلَّ بِحَيْثُ حَلاَّ

وقال : ص ٥٥١

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ عَوَاقِبِ رَأْيِهِ أَيْقَنْتَ أَنَّ ظُنُونَهُ تَتَنَجَّمُ

وقال : ص ٦٤٣

لِأَنَّكَ مُنْذُ صِرْتَ لها قَرِينًا بَدَا فِي ٱلْأَرْضِ تَأْثِيرُ ٱلْقِرَانِ

وهذا بحث طريف يحتاج استقصاؤه وشرحه إلى دراسة خاصة لا تتسع لها هذه المقدمة .

وأبواب شعره على كثرته قليلة طغى عليها باب المديح ، فليس له في الحكمة أو الفخر أو الهجاء ما يستحق الدراسة ، وليس له في الرثاء قصيدة خالصة ، وإنما له أربع قصائد يصح أن يكون عنوان ثلاث[1] منها (مات الملك فليحيى الملك) وذلك أن ابن حَيُّوس كان يرثي السلف من الأمراء ويعزي الخلف ويمدحه وهو المقصود ، قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات[2]:

« ولابن حَيُّوس أبيات جمع في كل بيت منها بين الرثاء والمديح وهي :

فَلِلَّهِ مُلْكٌ زَيَّنَ ٱلدَّسْتَ مُلْكُهُ وَجَادَ ٱلْحَيَا مُلْكًا تَضَمَّنَهُ ٱلْقَبْرُ
وَكُنَّا نَظُنُّ ٱلْأَرْضَ تُظْلِمُ بَعْدَهُ فَقُمْتَ مَقَامَ ٱلشَّمْسِ إِذْ أَفَلَ ٱلْبَدْرُ
صَبَرْنَا عَلَى حُكْمِ ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي سَطَا عَلَى أَنَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُنِ ٱلصَّبْرُ
غَزَانَا بِبُؤْسَى لَا يُفَارِقُهَا ٱلْأَسَىٰ تُقَارِنُ نُعْمَى لَا يَقُومُ بِهَا شُكْرُ
وَكَادَ شِعَارُ ٱلْخَوْفِ يَنْبَثُّ فِي ٱلْوَرَىٰ فَنَادَىٰ شِعَارُ ٱلْأَمْنِ يَا نَصْرُ يَا نَصْرُ »[3]

(١) انظر الديوان ص ٢٤٢ وص ٣٥٦ و ص ٤٧٩

(٢) الجزء الثالث بمكتبة المدرسة السليمانية باستانبول (مخطوط)

(٣) انظر الديوان ص ٢٤٣

فلم يبق له إلا قصيدة واحدة رثى بها محمود بن نصر وعزّى بها والدته علوية ابنة وثاب النميري أولها : ص ١١٤

يَطْمَعُ ٱلنَّاسُ فِي ٱلْبَقاءِ وَتَـابَى   نُوَبٌ تَسْلُبُ ٱلنُّفُوسَ ٱغْتِصابا

وغزله قليل وقد يكون أقل الشعراء غزلاً ، وربما أشار في بعض قصائده إلى ذلك قال : ص ٥١٤

فَضائِلٌ مَلأَتْ شِعْرِي بِكَثْرَتِها   مِنْ أَنْ يَفُوزَ بِهِ ٱلتَّشْبِيبُ وَٱلْغَزَلُ

وذلك الغزل القليل أحسن في بعضه كقوله : ص ٤٠٩

أَرَقَدْتَ عَنْ قَلَقِ ٱلْفُؤَادِ مَشُوقِهِ   فَأَمَرْتَ بِٱلسُّلْوَانِ غَيْرَ مُطِيقِهِ

وَمُمَنْطَقٍ يُغْنِي ٱلنَّدِيمَ بِوَجْهِهِ   عَنْ كَأْسِهِ ٱلْمَلأَى وَعَنْ إِبْرِيقِهِ

فِعْلُ ٱلْمُدَامِ وَلَوْنُها وَمَذَاقُهـا   فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

وليس له في الغزل الخالص إلا قصيدتان[١] قَصُر فيهما نَفَسُه على خلاف ما عرف به من طول النفس ، وليس فيهما ما يطرب . على أن له أبياتاً حسنة في الحنين إلى دمشق والتفجع على فراقها، ذكر فيها مسارح صباه ومعاهد أنسه في متنزهاتها مثل النَّيْرَب وسَطْرى ومَقْرى، وفي ما يحيط بدمشق مثل آبل ودير قانون وعلية وداعل[٢] .

وله في الوصف مقاطع حسنة ولكنها قليلة أتت ضمن قصائد المدح كوصف موكب[٣] الأمير حيدرة بن مفلح والي دمشق ، ووصف الدار[٤] التي بناها محمود بن نصر بن مرداس صاحب حلب .

أما المديح فهو الذي طغى على كل ما سواه ، يطول به نفسه ويتصرف به كما يشاء وتنقاد له القوافي وتطيعه المعاني ، فيعبر عما يحيك بصدره ويجول بخاطره بأسلوب جزل مبين ، وكأنما

(١) انظر الديوان ص ٧٨ و ص ٦٦٣

(٢) انظر الديوان ص ١٥٢ و ٤٧٢ و ٦٠٠

(٣) انظر الديوان ص ٤٤

(٤) انظر الديوان ص ٣٢٢

قصائده في المدح صور أو سير للممدوحين تصف خصائصهم وتنطق بأعمالهم وتشير إلى حوادثهم ، وليست من المدح المبتذل الذي يمكن أن يمدح به كل إنسان .

وتشتمل قصائد مدحه على فنون من القول يقتضيها المقام ، كوصف الوقائع والسلاح والخيل وغير ذلك . ولكنه لا يتغزل في مطالعها إلا في القليل النادر . وهي في جملتها أشبه بالشعر السياسي ، لأنها قيلت في الملوك والوزراء والأمراء ، وفي كل منها دعوة إلى سياسة الممدوح وحملة على خصومه . حتى عرف بمشايعته لسياسة الفاطميين ثم لبني مرداس .

وهو على استواء شعره وعدم تفاوته له الحسن والأحسن . ويعجبني من شعره ثلاث قصائد تعد من عيون الشعر أحسن فيها كل الإحسان ، مطلع الأولى : ص ٢٤٢

كَفَى ٱلدِّينَ عِزّاً ما قَضاهُ لَكَ ٱلدَّهْرُ فَمَنْ كانَ ذَا نَذْرٍ فَقَدْ وَجَبَ ٱلنَّذْرُ

والثانية : ص ٥٩٨

قِفُوا فِي ٱلْقِلَى حَيْثُ ٱنْتَهَيْتُمْ تَذَمُّما وَلاَ تَقْتَفُوا مَنْ جارَ لَمَّا تَحَكَّما

والثالثة : ص ٥٦٩

ما أَدْرَكَ ٱلطَّلِباتِ مِثْلُ مُصَمِّمٍ إِنْ أَقْدَمَتْ أَعْدَاؤُهُ لَمْ يُحْجِمِ

أما منزلته بين الشعراء فقد اتفق على أنه من المحسنين المجيدين ، انتهت إليه زعامة الشعر في الشام بعد وفاة أبي العلاء المعري ، فلم يكن في الشعراء من يتقدم عليه . قال ابن ما كولا : « الأمير أبو الفتيان محمد بن حَيُّوس شاعر مجيد لم أدرك بالشام أشعر منه[1] » . على أن الذين سبقوه من شعراء الشام كأبي تمام الطائي والبحتري وأبي العلاء المعري كانت لهم زعامة الشعر العربي عامة ، أما ابن حَيُّوس فقد آلت إليه زعامة الشعر ولكن في الشام خاصة .

* * *

(١) الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ج ١ ورقة ١٨٥ (مخطوط) . ودعاه الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٧٩ : «بشاعر الشام» ، كما دعاه المزي في الكشف والبيان ج ٢٢ ورقة ١٢ « بأمير الشعراء » وكلاهما مخطوط .

لغته

من خصائص ابن حَيُّوس فصاحة لغته وجزالة ألفاظه من غير إغراب . ومفرداته على كثرتها ليس فيها وحشي أو مستكره ، وهو بصير في انتقائها وصوغها ووضعها حيث ينبغي أن تكون. وتراكيبه محكمة رصينة يقل فيها التقديم والتأخير ، وقوافيه على طول قصائده تدل على سعة ثروته اللغوية ليس فيها مجتلب أو مقتسر . وقد يستعمل في تراكيبه غير المألوف ليدل على سعة اطلاعه في العربية وعلومها ، من ذلك قوله : ص ١٣٩ .

مُقوَرَّةٌ طالَمَا أَنْضَيْتَها تَعَباً ... عِلْماً بِأَنَّ سَيَجْنِي الرَّاحَةَ التَّعَبُ

وهذا تركيب غير مألوف ولكن سبقه إليه أبو السمراء الغساني فقال :

كُلُّ الرِّجالِ وَإِنْ تَعَفَّفَ جَهْدَهُ ... لا بُدَّ أَنَّ بِنَظْرَةٍ سَيَخُونُ

ومن ذلك قوله : ص ٨٣

لَوْ كانَ ذَبُّكَ فِي الزَّمانِ اللَّذْ مَضَى ... لَمْ تَفْتَخِرْ بِحِمَى كُلَيْبٍ تَغْلِبُ

وَاللَّذْ لغة في الذي ، قال أبو الطيب المتنبي:

لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوْ ... عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِها حَوَّاءُ

وثنّاه بحذف النون فقال : ص ٥١١

وَرَاءَها عَلَما النَّصْرِ اللَّذَا كَفَلا ... لِمَنْ أَظَلاَّ بِعِزٍّ لَيْسَ يَنْتَحِلُ

وعدّد الفاعل في قوله : ص ٥٥٨

فَفَرَّقَهُمْ بَحْرُ الرَّدَى وَهْوَ ساكِنٌ ... فَماذَا يَظُنُّونَ الشَّقِيُّونَ إِنْ طَمَى

على أن الذي أريد أن أخصه بالذكر ، ألفاظ حظيت عنده فأكثر من ترديدها. منها (المساعي) ويريد بها الأعمال العظيمة الصالحة، انظر الديوان (ص ٧ و ١٢ و ٢٥ و ٢٩ و ٣٧ و ٧٧ و ٨٧ و ٩١ و ١١٠ و ١٨٩ و ٢٠٢ و ٢٢٣ ، و ٢٣٨ ، و ٢٦٣ و ٢٧٣ و ٣٤١ ، و ٣٤٧ و ٣٧٥

٤٠٢ و ٤٠٧ و ٤٣١ ، ٥١٦ ، ٥٢٧ و ٥٣٦ و ٥٦٨ ، ٥٩٦ ، ٦٣١ ، ٦٦٤) ، ومادة (سطا) وما يشتق منها كالسطوة ويجمعها على سُطى انظر الديوان (ص ٢٨و٤٨ و٥٥و٦٣ و ٦٩ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥ و ١١١ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٢٤و١٦٩ و ١٨٤و ١٩٨و٢٠٦و٢٠٨ و ٢٢٠ و ٢٢٥ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٣٧ و ٣٦٤) ، ويكثر من استعمال (تردي الخيل) أي ترجم الأرض بحوافرها ، انظر الديوان (ص ١٠٣ و ١٦٧ و ١٩١ و ٢٠٢ و ٢٢٤) كما يكثر من استعمال(ألوى به)أي ذهب بهوأهلكه ، انظرالديوان (ص ٣٥و١٩١و١٩٨ و ٢١١و٢٤٧ ٢٥٢ و ٥٦٦) وقد سبقت الإشارة إلى كثرة ما يلهج به من ذكر الهضاب واليفاع والجبال وترديد أسمائها . ومما أغري به إضافة كلمة أم إلى المعنى الذي يريده كأم العزاء وأُم الهم وأم الغادرين وأُم الخافة وأُم المدامة وأم الحمد وأُم المجد .

قال : ص ٥٣٩

وَتَرَى بِهــا أُمَّ الْمُدامَةِ عاقِراً أَبَداً وَأُمَّ الْحَمْدِ حُبْلَى مُتْئِما[1]

ويستعمل (ظافر) بمعنى ظاهر أو أيّد[2]. ويكثر من استعمال (عاود) بدلاً من عاد[3].

وفي لغته كلمات وجمل لا يزال الدماشقة يستعملونها فى أحاديثهم إلى اليوم مثل (العوافي ، وحمل الثقلة ، والتثقيل ، والتخفيف ،وكفّى) . قال: ص ٣٨١

وَعَوافٍ تَتْرَى وَلاَ رُؤِيَتْ مِنْكَ رُبُوعُ الْعَلْيا وَهُنَّ عَوافِ

وهي جملة دعائية لا يزال أهل دمشق يستعملونها فيقولون (على العوافي)

وقال : ص ٣٧٦

فَلاَ يُلْزِمَنِّي شُكْرُها حَمْلَ ثِقْلَةٍ فَمَنْ لي بِشِعْرٍ حامِلٍ مِنْهُ ما خَفَّا
لَعَمْرِي لَقَدْ خُوِّلْتُ ما دُونَهُ الْغِنَى وَفِي عُشْرِ مِعْشارِ الَّذِي نِلْتُ ما كَفَّى

(١) انظر أيضاً الديوان ص ٣٤٦ و ٤٣٩ و ٤٨٢ و ٦٢٥

(٢) انظر الديوان ص ٢٥ و ٢٩ و ١٨١ و ٢٠١ و ٦٠٤ و ٦١٨ و ٦٦٨

(٣) انظر الديوان ص ٥١ و٧٧ و ٨٨ و ١٧٣ و ١٩٨ و٢٨٨ و ٣٤٩

وقال : ص ٣٩٢

صَحِبْتُ لَيالِي الدَّهْرِ حَتَّى مَلِلْنَنِي ... وَثَقَّلْتُ حَتَّى آنَ لِي أَنْ أُخَفِّفا

وهذه كلها تعابير يصح أن يطلق عليها دمشقية .

واستعمل كلمة (جعمس) بقوله : ص ٣١١

وَجَعْمَسَنِي مُسْتَخْبِراً فَصَفَعْتُهُ ... فَقُمْتُ بِلاَ أَنْفٍ وَقامَ بِلاَ راسِ

ويظهر أنها من لغة العامة في دمشق بعصر الشاعر بمعنى هزّ رأسه أو رفعه ، وقد بقيت إلى عصر ابن عُنين (أوائل القرن السابع) فاستعلمها بمعنى التيه قال :

تَجَعْمُسٌ قَلَّ مَنْ يُنـاظِرُهُ ... فِي النَّاسِ إِلاَّ تَعَنْفُقُ الرَّجِي (١)

وقد وردت في شعره أسماء رومية لمجاورة الروم للشام ولكثرة الوقائع بين العرب وبين الروم في أيام الشاعر منها : (الدّوقس) وهي لاتينية Dux أي الرئيس، و(الدُّمُسْتُق) وهو لقب قائد جيش الروم ، و(البِطريق) وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، و (القَطَبان) وهو عامل أنطاكية الرومي .

قال : ص ٦١٣

كَالدَّوْقَسِ الْمَغْرُورِ ظَنَّ بِجَهْلِهِ ... أَنَّ الْوِهادَ تُطاوِلُ الآكاما

وقال : ص ٥٨٩

وَلْيَلْزَمِ الْحِصْنَ الدُّمُسْتُقُ مُحْجِماً ... عَنْ حَرْبِها فَسَيَحْمَدُ الإِحْجاما

وقال : ص ٤١٢

وَافَى مَلِيكَ الرُّومِ مِنْهُ مانِعٌ ... عَنْ نَصْرِ دَوْقَسِهِ وَعَنْ بِطْرِيقِهِ

وقال : ص ٥٤٦

وَقالُوا بَغَى الْقَطَبانُ اللَّقاءَ ... وَأَوْعَدَ بِالْحَرْبِ فِيما زَعَمْ

* * *

(١) ديوان ابن عنين ص ١٧٩

ديوانه

رزق ابن حَيُّوس السعادة بشعره، فكان بنو مرداس يعطونه على القصيدة ألف دينار ، وكان الأدباء والعلماء في حياته يتلقون شعره عنه، ويقرؤونه عليه ، ويقرؤه الناس عليهم في الشام وغير الشام . فقد روى عنه شيئاً من شعره أبو القاسم علي بن ابراهيم النسيب خطيب دمشق ، وسمع منه طائفة من شعره قاضي دمشق يحيى بن علي القرشي جد ابن عساكر لأمه وقرىء عليه في بغداد سماعه من شعر ابن حَيُّوس .

وعني الأدباء بعد ابن حَيُّوس بجمع شعره وتدوينه فكان منه ذلك الديوان الضخم، وجمعه غير واحد، قال جمال الدين القفطي في كتابه « المحمدون من الشعراء » : (... جمع ديوانه جماعة ، وأجود ما جمعه ابن أكبر بن المعري نزيل مصر، فإنه أكبرها وأكثرها).

والمعروف من نسخ ديوانه أربع(١)

الأولى : نسخة السلطان سليم المحفوظة في خزانة لاله لي باستانبول رقم ١٧٢٦

الثانية : نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في خزانة عاشر باستانبول رقم ٩٤٩

الثالثة : نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٩١ فهرس الدار ج ٣ ص ١٠٧

وسنصف هذه النسخ الثلاث .

والرابعة : في غوطا بالمانيا رقم ٢٢٤١ بذلت الجهد في سبيل الحصول على صورة منها بعونة المستشرق الكبير الأستاذ ف . كرنكو فعلمت بعد مراسلات متعددة أنها فقدت مع ما فقد من كتب غوطا في الحرب العالمية الثانية .

وفي خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا نسخة رقمها (٣٠٣) منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية لم نر حاجة لتصويرها .

وفي خزانة مجلس النواب في طهران (مجلس شوراي ملّي) ديوان مخطوط ذكر في الفهرس أنه ديوان ابن حَيُّوس . وبعد تصويره اتضح لنا أنه لشاعر من أهل كرمان متأخر عصره عن ابن حَيُّوس .

وفي مكتبة برلين خمس صفحات فيها مختارات من شعر ابن حَيُّوس تلطف فبعث لنا بصورة عنها الدكتور ج . كرامر في توبنغن، وهي بخط حديث وليس فيها شيء غير موجود في الديوان .

---

(١) تاريخ الأدب العربي للأستاذ بروكلمن ج ١ ص ٢٥٦ والذيل ج ١ ص ٤٥٦

هذا كل ما يعرف عن ديوان ابن حَيُّوس[1] بذلنا الجهد في سبيل تصويره والإتيان به لتحقيقه ونشره في سلسلة مطبوعات المجمع العلمي العربي .

اجتمع لدينا ثلاث صور من نسخ الديوان، والعمدة فيها نسخة لاله لي ونسخة عاشر، أما النسخة المصرية فتبع لهما . على أن النسخ الثلاث يتمم بعضها بعضا . وقد استعنت بها كلها في تحقيق الديوان، وعند اختلاف الرواية كنت أُثبت في المتن ما أرجحه وأَذكر في الحاشية الرواية المختلفة . وقد يكون النص في بعض الأحيان خطأ في النسخ الثلاث فأجتهد في تصويبه إما في المتن وإما في الحاشية مع الإبقاء على الأصل . على أنه لا يزال في النفس أشياء من مواطن في الديوان لم أطمئن إليها ولم أهتد إلى تقويمها فتركتها على حالها، وأرجو أن يهتدي غيري إلى تقويمها .

ولم أجد من شعر ابن حَيُّوس إلا أبياتاً يسيرة غير مذكورة في الديوان أثبتها في الحواشي حيث ينبغي أن تكون[2]. وهاك وصف النسخ التي اعتمدنا عليها .

(١) نسخة السلطان سليم المحفوظة في خزانة لاله لي باستانبول تحت رقم ١٧٢٦ والمرموز اليها بحرف (ل)

نسخة قديمة، خطها نفيس يشبه خطوط أوائل القرن السابع ، وقلمها القلم المعروف بالنسخ . وهي من وقف السلطان سليم بن السلطان مصطفى طبع على هامش الورقة رقم (٤٥) خاتم وقفه، وهذا نقشه بأربعة أسطر: « هذا وقف سلطان الزمان ـ الغازي سلطان سليم خان ـ ابن السلطان مصطفى خان ـ عفى عنهما الرحمان ١٢١٧ » وكذلك على الورقة رقم (٩٣) والورقة رقم (١٣٩). عدد ما بقي من أوراقها (٢٢١) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطراً ، تغلب عليها الصحة في الرواية والنقط والشكل . سقط من أولها ورقة واحدة تشتمل صفحتاها على تسعة عشر بيتاً . ونرجح أن تكون اقتطعت اقتطاعاً طمعاً بما يكون عادةً في صدر الصفحة الأولى من النقوش المذهبة النفيسة في المخطوطات القيمة . وسقط من آخرها عدد غير قليل من الأوراق ذهب معها سبع قصائد ومقطوعة من قافية النون ولم يبق من هذه القافية إلا بقايا قصيدتين .

والنسخة مرتبة على حروف المعجم ، يُراعى في كثير من الأحيان الترتيب الزمني في إيراد

---

(١) وذكر الأستاذ بروكلمن مرجعين آخرين يتصلان بابن حيوس:

الأول: رسالة المستشرق مولر طبعت في بون سنة ١٨٢٩ كتب إلي الأستاذ كرانكو أنها رسالة باللغة اللاتينية تشتمل على ترجمة نبذة من تاريخ حلب لابن العديم فيها أخبار آل مرداس وليس فيها شيء ذو بال عن ابن حيوس .

الثاني : فهرس مصادر الدراسات الشرقية جاء في ص ٨١٨ منه ذكر ابن حيوس .

(٢) انظر حاشية الديوان ص ١٩ و ١٣١ و ١٣٥ و ٦٣٢

القصائد في كل قافية ، فقصائد الشاعر التي قالها فى دمشق مقدمة على القصائد التي قالها في حلب في الغالب ، بخلاف بقية النسخ التي لا تراعي هذا الأمر ، وتكتفي بالقافية دون اعتبار الزمن فيها . ومن هنا تختلف مواضع القصائد في كل قافية بهذه النسخة عن بقية النسخ حتى نهاية قافية العين ، وتتفق مع بقية النسخ في الترتيب من قافية الفاء إلى آخر الديوان . ويذكر في آخر كل قافية عدد أبياتها ، مثال ذلك ما ورد في آخر قافية الألف من أن عدد أبياتها ١٥٧ بيتاً وهكذا بقية القوافي .

ومجموع ماورد فيها من القصائد أقل منه فى بقية النسخ ، وتختلف في رواية بعض القصائد زيادة ونقصاً ، كما تختلف فى رواية بعض الأبيات وفى تقديم بعضها أو تأخيره . وقد أشير إلى كل ذلك في مواضعه . وهذه الفروق تدل على أن جامع هذه النسخة هوغير جامع نسخة عاشر الآتي وصفها ، تصديقاً لقول القفطي من أن ديوان ابن حَيُّوس جمعه غير واحد .

(٢) نسخة رئيس الكتاب المحفوظة بخزانة عاشر باستانبول تحت رقم ٩٤٩ والمرموز اليها بحرف (ع)

نسخة قديمة ، كتب على ظاهرها بخط غير قديم: «ديوان شاعر الدهر نادرة العصر فصيح الزمان بليغ الأوان ابن حَيُّوس عفي عنه» . وتحت ذلك موجز ترجمة ابن حَيُّوس بثلاثة عشر سطراً من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . وفى أعلى الصفحة خطوط مَن ملك هذه النسخة ، ففي الزاوية اليمنى ما نصه : «من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني » . وفى الزاوية اليسرى : «من كتب العبد علي عزت» وتحته خاتمه . وتحت ذلك مانصه : «من العواري المعادة والهبات المستفادة لدى العبد الفقير محمد الخفاجي سامحه الله سبحانه عنه آمين » .

وفى ظهر هذه الورقة فى أعلى الزاوية اليسرى ما نصه: « الله حسبي من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني ». وتحته : « هذا لله المالك الأحد عند عبده مصطفى سامي». وفى نصف الصفحة خاتم صنوبري الشكل فى أعلاه أذينة نقش فيها : «الله حسبي» ، ونقش فى الخاتم عشرة أسطر هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم ــ وقف هذا الكتاب مصطفى ــ رئيس الكتاب السابق لوجه الله ــ الخالق وسلمه للمتولي وحكم بصحته ــ حاكم الشرع الشريف وشرط الاستفادة ــ منه لأولاده ثم ثم وبعدهم ــ يعمل به كما فى الوقفية إلى قيام ــ الساعة وأخزى الله ــ من اشتراه عنا ــ سنة ١١٥٤ ــ » .

ثم تأتي أوراق الديوان، وخطها من خطوط القرن السابع، وقلمها قلم النسخ، ويبدو لنا أن الورقة الأولى اقتطعت طمعاً بما عليها من النقوش المذهبة، وعوض عنها بورقة نسخت فيها أبيات الورقة الأولى بخط يختلف عن خط بقية الصفحات .

وعدد أوراق هذه النسخة ٢٥١ ورقة، في كل صفحة خمسة عشر سطراً. وفي آخرها بضع عشرة صفحة بخط أحدث من خط الأصل، في كل صفحة منها تسعة عشر سطراً . وخط البقية واضح منقوط ومشكول تغلب عليه الصحة وإن كان لا يخلو من الغلط .

والنسخة مرتبة على حروف المعجم ، ومن خصائص هذه النسخة أن يذكر في أول كل قصيدة بحرها ، ويرمز إلى عدد أبياتها بحروف الجمّل، مثال ذلك ماورد في الورقة التاسعة والعشرين: (كامل وقال يمدح أمير الجيوش الدزبري عج) فالمراد بكامل: بحر الكامل، وبعج: ثلاثة وسبعون بيتاً، لأن العين تدل على ٧٠ والجيم على ٣ وهكذا بقية القصائد ، إلا القصائد المنقولة بخط حديث في آخر النسخة وهي أربع قصائد فلم يرمز في أوائلها إلى عدد أبياتها، وتقع من الورقة ٢٤٣ إلى الورقة ٢٤٧ ومن الورقة ٢٤٩ إلى الورقة ٢٥١ .

وقد ورد في آخر النسخة مانصه : (وهذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأمير أبي الفتيان ابن حَيُّوس تغمده الله برحمته وفيه زيادة عن غيره والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده)

ويترجح عندنا أن جامع هذه النسخة هو ابن أكبر المعري لما فيها من الزيادات التي لم ترد في غيرها ، وقد ورد في كتاب « المحمدون من الشعراء » للقفطي أن ما جمعه ابن أكبر المعري من شعر ابن حَيُّوس يزيد على ما جمعه غيره .

أما الفروق التي بين هذه النسخة وبين نسخة لاله لي فقد ذكرت عند الكلام على نسخة لاله لي

(٣) نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٩١ . فهرس الدار ج ٣ ص ١٠٧ والمرموز اليها بحرف (م) :

نسخة حديثة، عدد أوراقها ١٧٤ ورقة، في كل صفحة ٢١ سطراً ، مخطوطة بقلم النسخ، خالية من الشكل، وليس في آخرها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها . دخلت بالشراء إلى دار الكتب سنة ١٨٨٣ م . وهي مرتبة على حروف المعجم، ويغلب على الظن أنها منقولة من نسخة عاشر فهما متفقتان في الترتيب والرواية ، والفوارق القليلة بينهما قد تكون من سهو الناسخ . على أن في آخرها اختلافاً في الترتيب قد يكون من اجتهاد الناسخ، ويلخص بما يأتي :
القصيدة التي أولها : ص ٦٣٧

إِدْرَاكُ وَصْفِكَ لَيْسَ فِي الْإِمْكانِ ... ما لِلْمَقَالِ بِذَا الْفَعَالِ يَدَانِ

ذات قسمين وردت في هذه النسخة متصلة بقسميها ، ووردت في نسخة عاشر منفصلة ، كل قسم على حدة ، وبين القسمين سبع قصائد ، وقد أشير إلى ذلك في مكانه من الديوان .

وورد في نسخة عاشر قصيدة أولها : ص ٦٤٢

بِجِيدِ عُلاكَ مَدْحِي كُلَّ آنٍ ... يَلُوحُ كَأَنَّه عِقْدُ الْجُمَانِ

لم ترد في هذه النسخة . كما أن في آخر قصائد قافية النون اختلافاً بينهما في الترتيب . ويغلب على الظن أن بعض قصائد هذه النسخة عورضت بنسخة لاله‌لي .

وقد جاء في آخر النسخة مانصه : (هذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأمير أبي الفتيان بن حَيُّوس وفيه زيادة عن غيره والحمد لله رب العالمين) .

* * *

هذا هو الشاعر الذي أنجبته دمشق قبل نحو من ألف سنة ، ورأى المجمع العلمي العربي أن ينشر ديوانه نشراً علمياً بعد أن ضنَّ الدهر به زمناً طويلاً ، فعهد إليَّ في تحقيقه ، فبذلت الجهد في سبيل إخراجه أقرب ما يكون إلى الصحة ، والله يتولى المجمع برعايته ويجزيه عن العربية وآدابها خير الجزاء .

دمشق | ٤ المحرم سنة ١٣٧١
٤ تشرين الأول ١٩٥١

خليل مردم بك



(رموز النسخ المخطوطة من ديوان ابن حيوس)

ل   نسخة السلطان سليم المحفوظة في مكتبة لالهلي باستانبول .

ع   نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في مكتبة عاشر باستانبول .

م   نسخة دار الكتب المصرية .

ولو كنت أرجو أن تدوم مدائحي بأيسر ما تولي لأسهبت أشعبا

أصار لماء المدح مجدك مشربا وأصفيته من جودك الغمر مشربا

فلا عذر للشعر الذي شاع فضله إذا لم يكن في وصف فضلك مطنبا

وهذي المساعي عن صفاتك عيّة ولكنها لم تمل إلا لتكتبا

فلا برح الملك العزيز مانعا مكانك من أعلى من الناس وأجنبا

ولا زلت تجلو الحادثات وتجتلي عذارى القوافي ما جلا الصبح غيهبا

وقال أيضا

على قافية الباء

يرثي القاضي الأجل أمين الدولة

أبا طالب عبد الله بن محمد بن عمار

ابن الحسين بن قندس بن عبد الله

ابن إدريس بن أبي يوسف الطائي

قدس الله روحه وكانت

وفاته بطرابلس الشام يسر الله

فتحها ليلة السبت النصف من

صفحة من نسخة السلطان سليم المحفوظة في خزانة لاله لي باستانبول والمرموز إليها بحرف (ل)

(ديوان ابن حَيُّوس)

رجب سنة اربع وستين واربعمائة
ويعزى القاضى الامير الاجل
سديد الحكام جلال الدولة وعمادها
ذا المعالى صفى امير المؤمنين ٥

ذد بالعزاء الهم عن طلباته لا تسخطن الله فى مرضاته
لك من سدادك مخبر بل منذر ان الزمان جرى على عاداته
اذ كلنا احداثه وخطوبه فاصبر له ان نال بعض تراته



صدع القلوب بما اتى متيقنا ان لا يدوم وانت من حسناته
ان الذى عم الزمان مصابه وتشعبت شعب المنى بوفاته
املوا شتات الشمل شيب ظنهم انى وقد ملكت جمع شتاته
لما راى ان التشيد للعلى وزر وبان الضعف فى حركاته
ولاك منها ما تولى برهة وفدا احبا بك راضيا بحياته
فلذاك لاقى يومه مستبشرا حتى ظننا الموت بعض عفاته
وقضى عليما ان تقوم مقامه بعد الفراق فلم يقف بوصاته
مليت ما ورثته من عزة ووفيت بالمسموع من دعواته

صفحة من نسخة السلطان سليم المرموز إليها بحرف (ل)

(ديوان ابن حَيُّوس)

ابن حيوس

ابو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الملقب مصطفى الدولة ابن عم المشهور وكان … من امراء العرب ومن امراء الشعراء المجيدين … له ديوان كبير … جماعة من الملوك والاكابر ومدحهم واخذ جوائزهم وانقطع الى بني مرداس بحلب … قصائد … نصر بن محمود … واجتمع على باب الامير نصر جماعة شعراء امتدحوه وتاخرت صلته عنهم … وعقد مجلس الانس … الشعراء الذين تاخرت جوائزهم … ومنهم ابو الحسن احمد بن محمد ابن الدويدة المعري … فكتبوا ورقة فيها ابيات … نظمها وقيل نظمها ابن الدويدة وسيرها اليه وهي

على بابك المحروس منا عصابة … مفاليس فانظر في امور المفاليس

وقد قنعت منك الجماعة كلها … بعشر الذي اعطيته لابن حيوس

وما بيننا هذا التفاوت كله … ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الامير نصر اطلق لهم مائة دينار وقال والله لو قالوا بمثل ما اعطيته لابن حيوس لاعطيتهم مثله ومولد ابن حيوس سنة اربعمائة … بدمشق ومات سنة اربع … بحلب انتهى

من مراة الزمان لسبط ابن الجوزي

صفحة العنوان من نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في خزانة عاشر باستانبول والمرموز إليها بحرف (ع)

(ديوان ابن حَيُّوس)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس يمدح الأمير
الأجل أمير الجيوش المظفر ويذكر هدنته للروم وانقيادهم بعد
رجوعه من نوبته على عين بردا وعند وصول ابن سيف
والأسارى معه من بلاد الروم والهدية المنفذة إليه وذلك
في شوال سنة ثمان وعشرين وأربعمائة

عاذ بالصفح من أحب البقاء * واحتمى جاعل الخضوع وقاء
فلتسر أنت المسيح طويلا * كف من يمنع العدى الإغفاء
ملك يطلب الملوك رضاه * مثل ما يطلب العليل الشفاء
تمت راحتاه جودا وفتكا * في الأنام السراء والضراء
ما بهرت العقول يا معجز الآيات إلا النجح الأمعاء
هدنة يعقب السرور على الروم فكانوا ببشرها أملياء
وإن استعجم المقال فذي الأفعال قد أصبحت به فصحاء
لم تغادر أيد من مصانع بالشيء رجاء أن يمنع الأشياء
آمنوا بالإمداد إذ جيشهم هدي العوادي حتى تلقى اهتداء
نظرت بنت المكارم فيهم رب أخذ غدا لهم عطاء

فاقامت

الصفحة الأولى من نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في خزانة عاشر باستانبول والمرموز إليها بحرف (ع)

(ديوان ابن حَيُّوس)

ء يعدوا هدى المناهج حسرا انما الحسن لو عرفت البقاء

لن يريد الجزاء منك عليها ما لديهم حسبه رضاك جزاء

سل منه سبقا على غير الايام واجاب نثره حصد

يا سبيل الاخا اذا عظم الخطب واحدة ثم تفقد الاعضاء

وبراي رد العداوة في البين ودادا واستاصل البغضاء

وشفوا انفس السمائك الاحرار عفوا واستنقذ الاسراء

حرتف حكم الجيوش فيهم وما جهزت جيشا ولا عقدت لواء

فاقروا اذعانا فما نلت بالآراء تغني العدى وتنفي العداء

وعظتهم الانف الاولى عطلت عن رجال الخلافة الاعباء

ثم انس من دنا من الحرب جهلا واخافت اخبارها من تناء

وكلاب اذ صبحتهم بيوم اكثر القتل فيهم والسباء

في كماة تمشي البراح الى الموت اذا دبت الكماة الضراء

كيف يقوى على محاربة الطائر من لا يواجه العرداء

كان اقدام عامر الناصر الدولة واحسنوا هناك البلاء

عجبا للذي حوى مفخر الفتح ولما يفئ فيه الجفاء

تم

الصفحة الثانية من نسخة رئيس الكتاب المرموز إليها بحرف (ع)

(ديوان ابن حَيُّوس)

وقال يمدح أمير الجيوش

طاولت بهمتك الزمان وحيدا فأرى مداك على الأنام بعيدا

ولقد بلغت ببعض سعيك رتبة أعيت على من لم يدع مجهودا

فلبس التشريف الذي أوتيته من لا يقوم مقامك المحمودا

فالعز يأبى أن تقبل نسبة من لا يكون على الجلاد جليدا

وتحمل الأيام ما لم تحمل تبقى الحياة مجنبا مكدودا

أنى ينال محلة الجوزاء من لا يستطيع من الصعيد صعودا

قد شاع مجدك فهو أشهر في الورى من أن يروم له عداك جحودا

فلو ابتغيت بما أقول شهادة لوجدت أهل الخافقين شهودا

غاضت ينابيع الكلام لعارض يربي على جود الغمائم جودا

تزجي عواطفه سحائب للمنى بيضا وسحبا للمنايا سودا

متعجرف كفت للطغام أنفه لم يبق ذا عدم ولا مزؤودا

واعتاض أهل الشام من خوف الردى أمنا ومن عدم اليسار وجودا

يا عز ما أم المناقب تابعا فيها ولا أخذ العلى تقليدا

لكن أنوشتكين ما ثنى عزمه أبدا انعطاف المنهل المورودا

صفحة من نسخة رئيس الكتاب المرموز إليها بحرف (ع)

(ديوان ابن حيُّوس)

وإذا انتهى منهم أعيانه وإذا أتى خير فهم أعوانه
وإذا أتوا بلدا جديبا أخصبت فيه رباه وأينقت عذرانه
لولا تنزّه العفاة لما درى متطلب المعروف أين مكانه
لن يجحد الأعداء واضح مجدهم كيف الجحود وساطع برهانه
من خصّ بالشرف الذي ظنّت به زهر الكواكب أنها جيرانه
ممنوعة أحواله متبوعة أقواله متتابع إحسانه
ما إن تفادى العلم أو تحوى العناصر تقبض بيانه وبنانه
لا خاب آمله ولا حبت الردى يوما إليه ولا خبت نيرانه
يا عون من غدرت به أيامه ومعين من نبتوا به أوطانه
أغنيت عن مر السؤال وحلوه بندى يزيد على الحيا تهتانه
هو كالغوادي لا تمنّ إذا همت لا كالغمام تباعدت أحيانه
لم أدر يا ابن الحسين مدحك مطنبا والشعر طرف خاطري ميدانه
أثني عليك بما أنا لثنى بذ بكر الغنى من سيبها وعوانه
فليعذر المولى الذي خالفته فأذعت جودا رابه كتمانه

وهذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأبر
أبي الفتيان ابن حيوس
تغمده الله برحمته وفيه زيادة من غيره والحمد لله وحده وصلى الله على [illegible]

الصفحة الأخيرة من نسخة رئيس الكتاب المرموز إليها بحرف (ع)

(ديوان ابن حيّوس)

فللتم عدد العدى بقواضب ، كثرت ازواد النسور الحوم
من مرهفات لم تزل ايمانكم ، انصارها في كل يوم ايوم
ما عاينتها الترك تحكم في الطلى ، حتى تولت طائشات الاسهم
من نابذ لسلاحه فات الردى ، سبقا ومن مستلئم مستسلم
الوى بهم صدق اعتزامك مثلما ، تلوي الرياح العاصفات بخشرم
فخصصت بالاذلال كل مقلنس ، وعممت بالاعزاز كل معمم
وبصدرك القلب الذي لم يرع ، وبكفك السيف الذي لم يكهم
ما شيم الا بعد قتل معظم ،، ماضي الشبا وثبات ملك معظم
وغدا ستخلي الشام منهم مثلما ، اخلت خزاعة مكة من جرهم
دون الذي املوا ظبي هندية ، قد حكمتك على العدى فتحكم
اذكرتهم يَرْفَا ومِكْنَاسالدن ، طرقا البلاد واهلها بالصيلم
فتنتهما دون المراد عشيرة ، وفت الزرافة منهم بعرمرم
منعوا ذمارهم بكل مهند ، قد الدلاص وعاد غير مثلم
يوم لعمرك لم تزل اخباره ، مسموعة من منجد او متهم
عزت به عرب البلاد كعزها ، بالقادسية يوم مقتل رستم
امنت قبائل عامر صرف الردى ، والجدب في ظل المعز المنعم
متعصمين بذروة لا ترتقى ، متمسكين بعروة لم تفصم
ان اجدبوا لاذوا بغيث هاطل ، او روعوا عاذوا بطود ايهم
اصفيت للعرب المشارب بعدما ، كانت كرمح لا يعان بلهذم
لا راعت الايام من بعنائه ، كنز الفقير وعصمة المستعصم
انت الذي نفق الثناء بسوقه ، وجرى الندى بعروقه قبل الدم
ومخفق

صفحة من نسخة دار الكتب المصرية المرموز إليها بحرف (م)
(ديوان ابن حَيُّوس)

ديوان

ابْنِ حَيّوس

الجــزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

قافية الهمزة

١

قال الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حَيُّوس يمدح الأمير الأجل أمير الجيوش المظفّر (١)، ويذكر هدنته الروم (٢)، وأنشدها بعد رجوعه من نزهته

---

(١) هو أنوشتكين الدِّزْبري، مولده في البلد المعروف بِخُتَّن من بلاد تركستان، سُبي منه وحُمل إلى كاشغر، فهرب إلى بخارى ومُلِك بها، وحُمل إلى بغداد ثم إلى دمشق سنة ٤٠٠ وكان شتيم الوجه بيِّن التركية، فاشتراه بدمشق القائد دِزْبِر الديلمي فنسب إليه، وأهداه إلى الحاكم بأمر الله العبيدي الفاطمي صاحب مصر سنة ٤٠٣ وسيّره الحاكم في عسكر إلى الشام سنة ٤٠٦ ودخل دمشق ثم عاد إلى مصر. ثم ولي بعلبك فقيسارية. وفي سنة ٤١٤ ولاّه الظاهر بن الحاكم فلسطين، وفي سنة ٤١٩ ولاّه دمشق. وسار سنة ٤٢٩ في أيام المستنصر بن الظاهر إلى حلب فملكها وقتل صاحبها نصر بن صالح بن مرداس، وعاد إلى دمشق وتقلبت به الأحوال وتوفي بحلب سنة ٤٣٣. وكان ذا شجاعة وشهامة وفطنة وسياسة حسنة وإنصاف ومعرفة بأمور الحرب، ضبط أمور الشام مدة ولايته، واختلّتْ بعده، ولم يل الشام من ولاة الفاطميين مثله. أما ألقابه فهي: الأمير المظفَّر أمير الجيوش عدة الإمام سيف الخلافة عضد الدولة شرف المعالي أبو منصور منتجب الدولة. وكثيراً ما يذكر ابن حيُّوس هذه الألقاب في مدحه له. وله ترجمة وافية في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٠٧١ وترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/١٥١ وسماه أنوجور الختني.

(٢) ذكر ابن الأثير خبر هدنة الروم في حوادث سنة ٤٢٩ فقال: «وفيها هادن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر ملكَ الروم وشرط عليه إطلاق خمسة آلاف أسير».

الكامل ٩/١٥٩

على عين بَرَدَا [١] ، وعند وصول ابن سَيف والأسارى معه من بلاد الروم والبُرد المنفذ اليه ، وذلك في شوال من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

عاذَ بِالصَّفْحِ مَنْ أَحَبَّ الْبَقاءَ ... وَاحْتَمَى جاعِلُ الْخُضُوعِ وِقاءَ

فَلْتَنَمْ أُمَّةُ الْمَسِيحِ طَوِيــلاً ... كَفَّ مَنْ يَمْنَعُ الْعِدَى الْإِغْفاءَ

مَلِكٌ يَطْلُبُ الْمُلُوكُ رِضـاهُ ... مِثْلَما يَطْلُبُ العَلِيلُ الشِّفاءَ [٢]

قَسَمَتْ رَاحَتَاهُ جُوداً وَفَتْكاً ... في الْأَنامِ السَّرَّاءَ وَالضَّرَّاءَ

ما بَهَرْتَ الْعُقُولَ يا مُعْجِزَ الْآيا ... تِ إِلاَّ لِتَجْمَعَ الْأَهْـواءَ

هُدْنَةٌ بَقَّتِ النُّفُوسَ عَلَى الرُّو ... مِ فَكانُوا بِشُكْرِها أَمْلِياءَ

وَإِنِ اسْتَعْجَمَ الْمَقالُ فَذِي الْأَفْـعالُ قَدْ أَصْبَحَتْ بِهِ فُصَحاءَ

لَمْ يُفِدْ رَأْيُ مَنْ يُصَانِعُ بِالشَّـيْءِ رَجاءَ أَنْ يَمْنَعَ الْأَشْياءَ

أَمِنُوا بِالْإِهْداءِ ما خِيفَ مِنْ هٰـذي الْعَوادِي حَتَّى لَظُنَّ اهْتِداءَ

نَظَرٌ ثَبَّتَ المَمالِكَ فِيهِمْ ... رُبَّ أَخْذٍ تَخالُهُ إِعْطاءَ

---

(١) بَرَدَى : نهر دمشق المشهور وكثيراً ما يكتبه القدماء بالألف كما رسم في الأصل ، ولكن المعروف اليوم أن يرسم بالألف المقصورة . ومنبع بَرَدَى قرب الزبداني ويجري إلى عين الفيجة فتنضم إليه .

(٢) ذكر ابن الأثير في الكامل ٩ / ١٧٣ أن أنوشتكين كانت تعظمه الملوك وتهابه الروم .

لا يَعُدُّوا هٰذي ٱلْمَنائِحَ خُسْراً إِنَّما ٱلْخُسْرُ (١) لو عَزَمْتَ لِقاءَ

لَنْ يُريدَ ٱلْجَزاءَ مِنْكَ عَلَيْهـا مَلْـكُهُمْ ، حَسْبُهُ رِضاكَ جَزاءَ

سَلَّ مِنْـهُ سَيْفاً عَلَى غِيَرِ ٱلأَيَّـامِ وَٱجْتابَ نَثْرَةً (٢) حَصْداءَ

يا مُبِيدَ ٱلأَحْقادِ أَعْظَمُ طَبٍّ (٣) واحِدٌ عَمَّ نَفْعُهُ ٱلأَعْضـاءَ

وَبِرَأْيٍ رَدَّ العَداوَةَ في ٱلدِّيـنِ وِداداً وَٱسْتَأْصَلَ ٱلشَّحْنـاءَ

وَبِعَفْوٍ أُنِيـلَ فَٱسْتَمْلَكَ ٱلأَحْـرارَ عَفْواً وَٱسْتَنْقَذَ ٱلأُسَراءَ

حُزْتَ حُكْمَ ٱلْجُيُوشِ فيهِمْ وما جَهَّزْتَ جَيْشـاً وَلا عَقَدْتَ لِواءَ

فَأَقِمْ وادِعاً فَمـا نِلْتَ (٤) بِالآراءِ تُفْني العِدى وَتُبْقي العِداءَ

وَعَظَتْهُمْ آياتُكَ ٱللَّائي حَطَّتْ عَنْ رِجالِ ٱلْخِلافَةِ ٱلأَعْبـاءَ

قَتَلَتْ (٥) مَنْ دَنا مِنَ ٱلْحَرْبِ جَهْلاً وَأَخافَتْ أَخْبارُها مَنْ تَناءَى

وَكِلابٌ (٦) إِذْ صَبَّحَتْهُمْ (٧) بِيَوْمٍ أَكْثَرَ ٱلقَتْلَ فِيهِمُ وَٱلسِّبـاءَ

(١) في الأصل (الحسن) وهو تصحيف .

(٢) اجتاب : لبس . والنثرة الحصداء : الدرع الضيقة الحلق المحكمة .

(٣) الطَّبُّ : الماهر الحاذق بعمله والعالم بالطِّب .

(٤) لعله : فما زلت .

(٥) من هنا تبتدىء نسخة لاله لي المرموز إليها بحرف (ل) .

(٦) بنو كلاب من عرب الشام وهم بطن من عامر بن صعصعة من العرب العدنانية ملكوا حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام وأول من ملك منهم صالح بن مرداس (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٣٢٩)

(٧) أصبحتهم (ل) .

فِي كُماةٍ تَمْشِي ٱلْبَرَاحَ إِلَىٰ ٱلْمَوْ تِ إِذا دَبَّتِ ٱلْـكُماةُ ٱلضَّراءَ [1]

كَيْفَ يَقْوٰى عَلَى مُحارَبَةِ ٱلطِّا رِدِ مَن لا يُواجِهُ [2] ٱلطُّرَداءَ

كانَ إِقْدامُ عامِرٍ [3] لَكَ إِضْرا [4] ءً وقَدْ أَحْسَنُوا [5] هُناكَ ٱلْبَلاءَ

عَجَباً لِلَّذي حَوٰى مَفْخَرَ ٱلْفَتْـــحِ وَلَمّـــا يُشاهِدِ ٱلْهَيْجاءَ

فَأَقامَتْ وَلَوْ أَقَمْتَ عَلَى السُّخْــــطِ لَجاءَتْ في أَهْلِها شُفَعاءَ [6]

حِينَ راؤا ٱلسُّيُوفَ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً أَغْمَدُوهـــا وَجَرَّدُوا ٱلْآراءَ

رَهِبُوا أَنْ يَـكُونَ حَرْبُكَ لِلْمُلْــــكِ ٱنْتِهاءً فَٱسْتَعْطَفُوكَ ٱبْتِداءَ

وَأَناخُوا بِكَ ٱلْمُنىٰ حِينَ أَلْفَوْا في يَدَيْكَ ٱلْآراءَ وَٱلْإِجْراءَ

فَسَقَيْتَ ٱلْمُنىٰ مِنَ ٱلْأَمْنِ رَيّاً وَرَكَزْتَ ٱلْقَنــا ٱللِّدانَ ظِماءَ

هَبْكَ أَعْطَيْتَهُمْ أَمـــاناً أَعَدَّيْـــتَ إِلَىٰ أَشْرَفِ ٱلْخِلالِ ٱلْعَطاءَ

---

(١) الكُماة : جمع كَمِيّ وهو الشجاع أو لابس السلاح . والبَراح : المكان الذي لاسترة فيه . والضَّراء : الاستخفاء يقال : هو يمشي الضَّراءَ : إذا مشى مستخفياً في ما يواريه من الشجر . ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يدبُّ له الضَّراءَ ويمشي له في الخَمَر .

(٢) من لم يواجه الطرداءَ (ل) .

(٣) انظر الحاشية رقم (٦) ص ٥

(٤) إطراءً (ل)

(٥) حسَّنوا (م)

(٦) هذا البيت وأربعة عشر بيتاً بعده ساقطة من (ل)

مِنَّةٌ عَلَّمتْ ذَوِي ٱلْبَخَلِ ٱلْجُو دَ وَسَنَّتْ لِلْغَادِرِينَ[١] ٱلْوَفاءَ

فَعَلُوا ما حَبَاكَ مَجْداً فَلَمْ أَدْ رِ أَعْتِمَاداً أَتَوْهُ أَمْ إِخْطَاءَ

حِينَ فَكُّوا أَسْرَى فَأَحْرَزْتَ أَجْراً وَأَنالُوا وَفْراً فَحُزْتَ ثَنَاءَ

فَلِهٰذا أَطْلَقْتَهُمْ مِنْ إِسارِ ٱلْـ خَوْفِ بَعْضاً مَنًّا وَبَعْضاً فِداءَ

فَٱشْكُرِ ٱلْآنَ لِلْمَسَاعِي ٱللَّواتِي جَعَلَتْ فِي إِسارِكَ ٱلطُّلَقَاءَ

وَإِذا رُمْتَ غايَةً بَعُدَتْ نَيْـ ـلاً أَخَذْتَ الظُّبَى بِها كُفَلاءَ

لَوْ تَيَمَّمْتَ أَرْضَ خَفَّانَ[٢] يَوْماً لَأَحَلْتَ ٱلزَّئِيرَ فِيها عُواءَ

عَطَفُوا دَهْرَهُمْ بِعَطْفِكَ عِلْماً أَنَّهُ لَنْ يَشاءَ حَتَّى تَشاءَ

عَرَفَ ٱلنَّاسُ مِنْهُمُ ٱلْحَزْمَ قِدْماً فَلِهٰذا سَمَّوْهُمُ حُكَماءَ

لَمْ تَزَلْ[٣] تَقْهَرُ ٱلْعِدَى فَلِهٰذا كُلَّما أَنْجَبُوا ٱسْتَزَدْتَ[٤] سَنَاءَ

يُحْرِزُونَ ٱلْمَدَى وَتَذْهَبُ بِٱلْحَمْـ دِ فَما يَرْبَحُونَ إِلَّا ٱلْعَنَاءَ

أَيُّ حَيْفٍ[٥] وَلِلْخِلافَةِ[٦] سَيْفٌ تَسْتَمِدُّ السُّيُوفُ مِنْهُ ٱلْمَضَاءَ

---

(١) كذا ولعله (للغادرين).

(٢) خفَّان : مأسدة قرب الكوفة .

(٣) لم يزل يقهر ... (ع) و (م).

(٤) استردت (ل).

(٥) أي حتف (م).

(٦) من ألقاب الممدوح : سيف الخلافة .

فَلْتُفاخِرْ[١] بِجَدِّهِ بَعْدَ عِلْمٍ أَنَّ صَفْوَ الْحَياةِ مِمّا أَفاءَ
ما تَخَلَّفْتَ عَنْ صَلاحٍ لِهٰذا الدِّيــنِ مُـذْ ظَلْتَ تَخْلُفُ الْخُلَفاءَ
رُقْتَهُمْ بِالْإِباءِ وَالنُّصْحِ فَالْآ باءُ مِنْهُمْ تُوصي بِكَ الْأَبْناءَ
وَأَبَنْتَ الْغِنىٰ لَهُمْ عَنْ جَميعِ الْـ خَلْقِ مُـذْ صادَفوا لَدَيْكَ الْغَناءَ
تُوقَدُ النّارُ في الظَّلامِ وَلٰكِنْ لَيْسَ يَجْلُو الْهَزِيعَ كَابْنِ ذُكاءَ[٢]
ما سَبَقْتَ الْكُفاةَ في الْأَمَدِ الْأَبْــعَدِ إِلّا لِتَعْـدَمَ الْأَكْفـاءَ
خابَ راجي الْعُلُوِّ يا عَضُدَ[٣] الدَّوْ لَةِ مُـذْ أَحْرَزَتْ يَداكَ الْعَلاءَ
وَلِمَنْ يَبْتَغي عُقوقَكَ ظَنٌّ عَوَّدَتْـهُ صَفاتُكَ[٤] الْإِكْداءَ
مَنْ بَغىٰ أَنْ يَعِزَّ سِلْماً وَحَرْباً فَلْيُقـارِعْ قِراعَكَ الْأَعْـداءَ
يا أَميرَ الْجُيوشِ[٥] لا عَدِمَتْ مِنْــكَ أَميراً يَسْتَخْـدِمُ الْأُمَراءَ

---

(١) فلتفاخر (م).

(٢) الهزيع من الليل : الطائفة منـه . وابن ذُكاء : الصبح . وفي (ع) و (ل) الهريع وهو تصحيف .

(٣) من ألقاب الممدوح : عضد الدولة .

(٤) الصفاة : الحجر الصلد الضخم . والإكداء : الرد والإخفاق وأصله بلوغ الكُدْية وهي الصفاة العظيمة الشديدة . يقال أكدى الحافر أي بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر .

(٥) من ألقاب الممدوح : أمير الجيوش .

فَإِذا ما الْأَصْحابُ خامَتْ (١) عَنِ الْأَرْ ... بابِ كانُوا بِسَيْفِهِ عُتَقاءَ

أَنْتَ غَيْثٌ إِذا اعْتَرى الْأَرْضَ مَحْلٌ ... وَدَواءٌ إِذا اشْتَكى الدِّينُ داءَ

فِضْتَ حَتّى عَلَى التُّرابِ نَوالاً ... وَفَكَكْتَ الْعُناةَ حَتّى الْماءَ (٢)

أَفَعَيْناً حَفَرْتَ (٣) أَمْ هُوَ بَحْرٌ ... بانَ لَمّا كَشَفْتَ عَنْهُ الْغِطاءَ

لَمْ نَخَلْ قَطُّ أَنَّ فِي الْعَزْمِ سَيْلاً ... تَذْهَبُ الرّاسِياتُ (٤) فِيهِ جُفاءَ (٥)

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ: تَعالَتْ ... هِمَّةٌ تَتْرُكُ الْجِبالَ هَباءَ

وَمِنَ النَّاسِ قائِلٌ: لَيْسَ يُسْتَنْـ ... ـكَرُ أَنْ تُجْرِيَ الْبِحارُ النِّهاءَ (٦)

أَثَرٌ (٧) سَوْفَ تَنْقَضِي حِقَبُ الدَّهْـ ... ـرِ وَلَمْ تَسْتَطِعْ لَهُ إِخْفاءَ

قَدْ رَأَتْ رَأْيَكَ الْمُلُوكُ وَعَجْزاً ... تَرَكُوا (٨) ما أَتَيْتَ لا إِلْغاءَ

(١) خامت أي نكصت وجبنت. وفي (ع) و (م) حامت وهو تصحيف.

(٢) يظهر من هذا البيت وما بعده أن الممدوح تعهد عين بردى بالإصلاح والكري.

(٣) جهّزت (ل)

(٤) الراسبات (ل)

(٥) الجُفاء: ما نفاه السيل إذا رمى به.

(٦) النهاء: أصغر محابس المطر والنهاء من الماء ارتفاعه.

(٧) شرفٌ سوف ... (ل)

(٨) تركوا ما أبيت لا الإلغاء (ل)

لَأَفَضْتَ الْأَمْواهَ حَتّىٰ تَخِيلَ[1] الصَّـ يْفُ مِمّا سَقَتْ فَرَوَّتْ شِتاءَ

كَمْ بِقُطْرَيْ دِمَشْقَ مِنْ قَفْرَةٍ حَصَّـاءَ[2] صارَتْ خَمِيلَةً خَضْراءَ

جادَها مِنْ جَمِيلِ رَأْيِكَ نَوْءٌ قَدْ كَفاها أَنْ تَرْقُبَ الْأَنْواءَ

لَجَنَىٰ أَهْلُها مِنَ الْماءِ مالاً إِنَّ رَيَّ الثَّرىٰ يُفِيدُ الثَّراءَ

فَلْيَشِمْ غَيْرُنا السَّحابَ فَقَدْ أَنْـ شَأْتَ في الْأَرْضِ دِيمَةً وَطْفاءَ

نِعْمَةٌ عَمَّتِ الْبِلادَ وَأُخْرىٰ في ابْنِ سَيْفٍ قَدْ عَمَّتِ الْأَحْياءَ

فَانْكَفا مُطْلَقاً وَلَوْ غَيْرُكَ الطّا لِبُ إِطْلاقَهُ أَطالَ ثَواءَ

وَإِذا[3] الْخَطْبُ طالَ في دَفْعِهِ الْخَطْـ بُ وَأَعْيا فَصَلْتَهُ إِيماءَ

مِنَّةٌ في عَدِيٍّ[4] قَدْ جَلَّتِ الْغَمّـاءَ عَنْهُمْ وَفاقَتِ النَّعْماءَ

عَظُمَتْ مَوْقِعاً وَما زِلْتَ بِالْآ لاءِ قِدْماً تُطَرِّزُ الْآلاءَ

كُلَّ يَوْمٍ تُسْدي إِلَيْهِمْ يَداً بَيْـ ضاءَ تُلْوي[5] بِأَزْمَةٍ سَوْداءَ

فَتَغَمَّدْ سَمِيَّهُ مِنْكَ بِالرَّأْ فَةِ وَالْعَفْوِ مُحْسِناً إِنْ أَساءَ

---

(١) تُخِيلَ (ل)

(٢) الحَصّاء : الجدبة الجرداء .

(٣) فإذا ... (ع) و (م)

(٤) عدي : بطن من بني عامر بن صعصعة .

(٥) ألوَى به : ذهب .

مُلحقاً بالإحسان مَعْناً بِكَلْبٍ[١] لِيَكونَ الحَيَّانِ[٢] فيهِ[٣] سَواءَ

قدْ أصَمَّ[٤] الخُطوبَ مِنْ حَيْثُ نادى مَلِكٌ بِالنَّدى يُجيبُ النِّداءَ

فَتَدارَكْ حُشاشَةً لَمْ تَدَعْ مِنْـ ـها صُروفُ الزَّمانِ إلاَّ ذَماءَ

وَإنِ[٥] اسْتَنْفَدَتْ[٦] جَرائِرُهُ الرَّحْـ ـمَةَ فَاصْفَحْ حَمِيَّةً وَإباءَ

لَيْسَ ذا المُلْكُ راضِياً أنْ[٧] تُرى الرُّو مُ لِعُرْبٍ مِنْ بَعْدِها خُفَراءَ

خَلَفَتْكَ المُلوكُ فيهِمْ وَلٰكِنْ مِثْلَما يَخْلُفُ الظَّلامُ الضِّياءَ

لَمْ تَزَلْ مُبْدِعاً فَلَمْ أدْرِ إلّهـا مًا عَرَفْتَ الإعْجازَ أمْ إيحاءَ

أمْ أصارَ السُّمُوَّ قِسْمَكَ مَن عَـ ـلَّمَ مِنْ قَبْلُ آدَمَ الأسْماءَ

فَتَجاوَزْ رُكوبَ جُرْدِ المَذاكي أنَفاً مِنْـهُ وَامْتَطِ الجَوْزاءَ[٨]

مَيَّزَتْكَ الأفْعالُ عَنْ عالَمِ الأرْ ضِ فَلا غَرْوَ أنْ تَنالَ السَّماءَ

(١) معن : بطن من ربيعة . وكلب : بطن من قضاعة .

(٢) الحنان (م)

(٣) فيك (ل)

(٤) أضم (ع) و (م)

(٥) فإن (ع) و (م)

(٦) استنفذت (ع) استنقذت (م)

(٧) أن يرى ... (ل)

(٨) المذاكي : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها . والجوزاء : برج في السماء .

غَمَرَتْني آلاءُ جُـــودِكَ حَتَّى ... لَمْ تَدَعْ لي في ٱلْعالَمينَ رَجاءَ
فَرَفَضْتُ ٱلْوَرٰى وَغَيْرُ مَلُومٍ ... تارِكُ ٱلرَّشْحِ مَنْ أَصابَ الرَّواءَ (١)
دامَ عَيْشِي في ذا ٱلْجَنابِ هَنيئًا ... فَلْيَدُمْ في ذَراهُ (٢) شِعري هَناءَ
حَسُنَتْ في ٱلْعُيُونِ مَرْأًى مَساعِيـ ... ـكَ وَطابَتْ بَيْنَ ٱلْوَرٰى أَنْباءَ
خَلَقَ ٱللّٰهُ فيكَ ما شِئْتَ فَضْلاً ... فَلْيَقُلْ كُلُّ مادِحٍ ما شـــاءَ
قَدْ مَلَأْتَ ٱلْأَرْضَ العَرِيضَةَ عَدْلاً ... فَمَلا أَهْلُهـــا ٱلسَّماءَ دُعاءَ
فَوَقانا ٱلْأَسْواءَ فيكَ جَميعـــاً ... مَنْ وَقانا بِقُرْبِكَ ٱلْأَسْواءَ

٢

وقال (٣) يمدح الأمير ناصر الدولة (٤) وسيفها أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان رحمه الله تعالى، وأنشده إياها في عيد الأضحى من سنة ست وثلاثين وأربع مئة.

مَحْضُ ٱلْإِباءِ وَسُؤْدُدُ ٱلْآباءِ ... جَعَلاكَ مُنْفَرِداً عَنِ ٱلْأَكْفاءِ

---

(١) الرشح: تحلب الماء: والرّواء: الماء العذب الكثير المروي. وفي (ل) تارك النشح إذ أصاب الرواء.

(٢) الذّرا: فناء الدار ونواحيها وكل ما استترت به، يقال أنا في ظل فلان وفي ذَراه أي في كنفه وستره.

(٣) وقال يمدح ناصر الدولة (ع) و (م)

(٤) هو الأمير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي، ولي دمشق بعد أنوشتكين الدزبري سنة ٤٣٣ من قبل المستنصر العبيدي الفاطمي صاحب مصر، فأقام والياً فيها إلى سنة ٤٤٠ إذ قبض عليه وسيّر إلى مصر.

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٨٣ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤/١٧٠ »

وَلقدْ جَمعتَ حَمِيَّةً وَتَقِيةً(١) ثنتا(٢) إِلَيْكَ عِنانَ كُلِّ ثَناء
يا مَنْ إذا أَجْرى ٱلْأَنامُ حَديثَهُ وَصَلُوا ثَنــــاءً طَيِّباً بِدُعاء
اَلدَّهْرُ في أَيَّامِ عِزِّكَ لا ٱنْقَضَتْ مُتَعَوِّضٌ مِنْ ظُلْمَةٍ بِضِيــاء
وَتَحَكُّمُ ٱلْأَيَّامِ مُنْذُ رَدَعْتَهـا عَنْ جَوْرِها كَتَحَكُّمِ ٱلْأُسَراء
حُطْتَ ٱلرَّعِيَّةَ بِٱلرِّعايَةِ رَأْفَةً فاضَتْ عَلَى ٱلْقُرَباءِ وَٱلْبُعَداء
وَشَمِلْتَها بِٱلْعَدْلِ إِحْساناً بِهــا فَجَزاكَ عَنْها ٱللّٰهُ خَيْرَ جَزاء
عَدْلٌ كُفِيتَ بِهِ ٱلْعِداءَ(٣) يَضُمُّهُ عَزْمٌ أَقامَ قِيــامَةَ ٱلْأَعْداء
عَزْمٌ إِذا سَمِعَ ٱلْعَدُوُّ بِذِكْرِهِ أَغْنى غَناءَ ٱلْغــارَةِ ٱلشَّعْواء
إِنْ صُلْتَ كُنْتَ مُجَبِّنَ ٱلشُّجْعانِ أَوْ ظافَرْتَ كُنْتَ مُشَجِّعَ ٱلْجُبَناء
وَإِذا مَرَرْتَ عَلَى مَكانٍ مُجْدِبٍ نابَتْ يَداكَ لَهُ عَنِ ٱلْأَنْواء
كَمْ أَزْمَةٍ سَوْداءَ راعَتْ(٤) إِذْ عَرَتْ جَلَّيْتَهـــا بِنَدٰى يَدٍ بَيْضاء
وَكَتيبَةٍ شَهْباءَ مِنْ ماذِيِّهـا(٥) لاقَيْتَهــــا بِمَنِيَّةٍ دَهْماء

---

(١) التقية : الوقاية والحذر .

(٢) تثني إليك ... (ل)

(٣) العدى فضمنته عزماً ... (ل)

(٤) ذاعت (ل)

(٥) الكتيبة الشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . والماذيّ : كل سلاح من الحديد .

تَلْقى ٱلْفَوارِسُ مِنْكَ في رَهْجِ ٱلْوَغى زَيْدَ ٱلْفَوارِسِ أَوْ أَبا ٱلصَّهْباءِ(١)

وَٱلعِزُّ لا يَبْقى لِغَيْرِ مُعَوَّدٍ أَنْ يَكْشِفَ ٱلْغَمّاءَ بِٱلْغَمّاءِ

إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ في ٱصْطِفائِكَ أُيِّدُوا بِمُؤَيِّدِ ٱلرّاياتِ وَٱلْآراءِ

ذي هِمَّةٍ عَدَوِيَّةٍ(٢) ما رُوِّعَتْ بِعِدىً وَلا(٣) باتَتْ عَلَى عُدَواءِ

وَجُدُودُكَ في مَنْعِ ٱلتُّراثِ وَحِفْظِهِ أَقْوى(٤) ٱلْحُماةِ وَأَوْثَقُ ٱلْأُمَناءِ

ما زِلْتَ(٥) مُذْ أَعْلَوْا مَكانَكَ مازِجاً صِدْقَ ٱلْوَلاءِ لَهُمْ بِحُسْنِ وَفاءِ(٦)

وَلَقَدْ أَعَدُّوا لِلْخُطُوبِ صَوارِماً لَيْسُوا وَأَنْتَ إِذا عَدَتْ بِسَواءِ

---

(١) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين بن ضرار من فرسان العرب قال الفرزدق :

زيد الفوارس وابن زيد منهم وأبو قبيصة والرئيس الأول

« نقائض جرير والفرزدق ١/١٨٨ »

وأبو الصهباء : هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني من فرسان العرب .

« النقائض ١/١٩٢ »

(٢) عدوية : منسوبة إلى عديّ أحد أجداد بني حمدان المذكورين في عمود نسبهم . والعُدَواء : المركب لا يطمئن من قعد عليه .

(٣) فلا باتت ... (ع) و (م)

(٤) أنوى : (م) ومعنى أنوى : أحفظ .

(٥) إذ (ل)

(٦) بحسن ثناء (ل)

تُذْكِي مَصابِيحُ الظَّلام[١] عُلالَةً ... أَبداً وَما يَجْلُوهُ كابْنِ ذُكاءِ[٢]

لَوْ كُنْتَ قِدْماً سَيْفَهُمْ لَمْ يَسْتَثِرْ[٣] ... أَبْناءُ هِنْدٍ مِنْ بَني الزَّهْراءِ

أَوْ كُنْتَ ناصِرَ حَقِّهِمْ فيما مَضى ... ما حازَهُ ظُلْماً بَنُو الطُّلَقاءِ[٤]

ما غَيْظُ مَنْ يَبْغي مَحَلَّكَ ضِلَّةً ... إِلاَّ كَغَيْظِ ضَرائِرِ الْحَسْناءِ

حَسَدٌ كَحَرِّ النَّارِ مُنْذُ عَراهُمُ ... لا زالَ غَصَّهُمُ[٥] بِبَرْدِ الْماءِ

يا بْنَ الأُلى ما رُشِّحَتْ أَيْمانُهُمْ ... إِلاَّ لِبَذْلِ[٦] نَدىً وَعَقْدِ لِواءِ

نَزَلُوا عَلى حُكْمِ الْمُرُوءَةِ وَامْتَطَوْا ... بِالْبَأْسِ ظَهْرَ الْعِزَّةِ الْقَعْساءِ

أَمْواتُهُمْ بِالذِّكْرِ كَالْأَحْياءِ ... وَلِحَيِّهِمْ فَضْلٌ عَلَى الْأَحْياءِ

---

(١) السماء (ل)

(٢) ابن ذُكاء : الصبح .

(٣) لعله لم يَثَّئِرْ : تقول اِثَّأَرَ من زيد أي أدرك منه ثأره . وهند : بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية بن أبي سفيان ، وأبناء هند بنو أمية . وبنو الزهراء : أبناء علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت النبي عليهم السلام .

(٤) الطلقاء : هم الذين خلّى عنهم النبي يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم . والطلقاء من قريش ، والعتقاء من ثقيف . ميزت قريش بهذا الاسم ، كما في النهاية لابن الأثير ، ويريد ببني الطلقاء هنا بني أمية .

(٥) لا زال بغضهم ... (ل)

(٦) ببذل (م)

وَلأَكَ حَمْدانُ (١) اُلْفَخارَ بِأَسْرِهِ وَأَجَلَّهُ لِبَنِي أَبِي اُلْهَيْجاءِ
اَلْفائِضِينَ عَلَى اُلْعُفاةِ مَواهِباً وَاُلنّاهِضِينَ بِباهِظِ (٢) اُلْأَعْباءِ
سَكَنَ اُلْقُصُورَ اُلْعِزُّ مُنْذُ حَضَرْتُمُ وَبِكُمْ قَدِيماً حَلَّ فِي اُلْبَيْداءِ (٣)
وَعَلَوْتُمُ حَتّى لَقالَ عَدُوُّكُمْ أَمُلُوكُ أَرْضٍ أَمْ نُجُومُ سَماءِ
فَلْتَفْتَخِرْ بِكُمُ رَبِيعَةُ (٤) بَلْ بَنُو عَدْنانَ طُرًّا بَلْ بَنُو حَوّاءِ
أَيْدِيكُمُ مَشْكُورَةُ اُلْآلاءِ وَوُجُوهُكُمْ مَشْهُورَةُ اُللَّأْلاءِ
وَأَرَى مُشَبِّهَكُمْ (٥) بِأَهْلِ زَمانِكُمْ كَمُشَبِّهِ اُلْإِصْباحِ بِاُلْإِمْساءِ
وَلَأَنْتَ فِي اُلرُّؤَساءِ غَيْرُ مُطاوَلٍ وَكَذٰلِكَ اُبْنُكَ فِي بَنِي اُلرُّؤَساءِ

---

(١) هو أبو العباس حمدان بن حمدون بن الحرث التغلبي توفي في حدود سنة ٣٠٠ وإليه ينتسب بنو حمدان . وأبو الهيجاء هو عبد الله بن حمدان وهو أبو جد ناصر الدولة ، ولاه المكتفي بالله الموصل وأعمالها سنة ٢٩٣ وعزله المقتدر سنة ٣٠١ ثم ولاه بعض الأعمال وقتل سنة ٣١٧ . « الأعلام »

(٢) بباهض (ل) . بهضه الأمر : فدحه وثقل عليه كبهظه لكنه بالظاء أكثر .

(٣) بالبيداء (ل)

(٤) ربيعة من العرب العدنانية منها بنو تغلب الذين منهم بنو حمدان .

(٥) وأرى المشبهكم ... (ع) و (م)

أَخذَ الْحُسَيْنُ(١) مِنَ الْمَحاسِنِ صَفْوَها عَفْواً وما أَبْقى سِوى الأَقْذاءِ
عَمْري لقَدْ كُبِتَ الْحَسُودُ بِوُصْلَةٍ تَصِلُ الرِّفاءَ بِصالِحِ الأَبْناءِ
وَاجْتابَ(٢) مِنْ خِلَعِ الْخِلافَةِ كُلَّ ما تُقْذي(٣) سَناهُ نَواظِرَ النُّظَراءِ
فَلْيَعْلُ أَبْناءَ الْمُلُوكِ كَما حَوى(٤) أَسْنى الْحِباءِ وَعُدَّ في الأَحْياءِ
وَمَلابِسُ الْخُلَفاءِ لائِقَةٌ بِمَنْ أَضْحى أَبُوهُ ناصِرَ الْخُلَفاءِ
إِنْ حازَ أَقْطارَ السَّعادَةِ فهو مَنْ نَمَّتْ عَلَيْهِ مَخايِلُ السُّعَداءِ
وَتَحَدَّثَتْ تِلْكَ الشَّمائِلُ أَنَّهُ عَيْنُ الزَّمانِ بِأَلْسُنٍ فُصَحاءِ
فَاثْنِ الْمَلامَةَ في فِراقٍ بالِغٍ بِأَبي عَلِيٍّ(٥) أَشْرَفَ الْعَلْياءِ
أَدْناهُ مِنْ أَنْدى الأَئِمَّةِ راحَةً لِمُؤَمِّلِيهِ أَكْرَمُ(٦) الْوُزَراءِ

---

(١) يريد بالحسين : ابن الممدوح وهو أبو علي الحسين بن الحسن بن الحسين ، ولقبه أيضاً كلقب أبيه ناصر الدولة . قال ابن عساكر :« ولي إمارة دمشق سنة خمسين وأربعماية فمكث سنتين أميراً ، ثم ندب لقتال بني كلاب ، فجرت بينه وبينهم موقعة في حلب تعرف بواقعة الفُنيدق فكسر ، وخرج إلى مصر منهزماً »

« ابن عساكر ج ؛ ص٢٩٠ »

(٢) اجتاب : لبس .

(٣) تقذى (ع) و (م)

(٤) بأن علا (ل)

(٥) أبو علي : هو الحسين ابن الممدوح .

(٦) وأكرم الوزراء (ل)

لَنْ تُحْسَبَ(١) ٱلضَّرّاءُ ضَرّاءً إِذا أَفْضَتْ بِصاحِبِها إِلىٰ ٱلسَّرّاءِ
فَٱجْعَلْهُ مِثْلَ ٱلشَّمْسِ يَنْفَعُ وَقْعُها وَضِياؤُها وَمَكانُها مُتَنـائِي
لِلْعِزِّ سارَ مُحَمَّدٌ عَنْ أَهْلِهِ ثُمَّ ٱسْتَعـانَ بِنُصْرَةِ ٱلْغُرَباءِ
إِنْ كانَ عَنْ عَيْنَيْكَ غابَ فَلَمْ تَغِبْ(٢) أَنْبـاءُ مَنْ يَأْتي مِنَ ٱلْأَبْناءِ
لا يَعْدَمِ ٱلنّائي حَياةَ ٱلْحـاضِرِ ٱلـدّاني وَلا ٱلدّاني حَيـاةَ ٱلنّائي
إِنّا لَنَدْعُو بِٱلْبَقاءِ لِتَسْلَمـا أَبَداً وَلا نَدْعُو بِقُرْبِ لِقـاءِ
فَرَقاً لَعَمْرُكَ أَنْ يُفارِقَ عاصِماً بِٱلْبَأْسِ مَعْصُوماً مِنَ ٱلْفَحْشاءِ
حُكْمٌ(٣) بِغَيْرِ تَحامُلٍ وَحِراسَةٌ حَمَتِ ٱلْهُدىٰ وَتُقىً بِغَيْرِ رِياءِ
لَمْ تُلْفَ في ٱلْعُبّادِ وَٱلزُّهّادِ في(٤) هٰذا ٱلْوَرىٰ فَضْلاً عَنِ ٱلْأُمَراءِ
إِنّا أَمِنّا ٱلسُّوءَ مُنْذُ وَلِيتَنـا فَوَقَتْكَ أَنْفُسُنـا مِنَ ٱلْأَسْواءِ
وَهَنـاكَ ذا ٱلعِيدُ ٱلَّذي حَسَّنْتَهُ وَبَقِيتَ مَخْصُوصاً بِكُلِّ هَناءِ
مُسْتَعْلِياً(٥) بِمَنـاقِبٍ مَسْمُوعَةٍ مِنْ أَلْسُنِ ٱلْخُطَباءِ وَٱلشُّعَراءِ

---

(١) لا تحسب ... « شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٣١٧ »
(٢) ... فلم يغب أنوار ما يأتي من الأنباء (ل)
(٣) حلم . (م)
(٤) من (ل)
(٥) متعليا (ل)

لا يَجْحَدَنَّكَها[1] الْحَسُودُ تَجاهُلاً فَالصُّبْحُ لا يَخْفَى عَلَى الْبُصَراءِ

إِنَّ الْمَحامِدَ في الْمَحافِلِ رُتْبَةً[2] ما حُرِّمَتْ إِلاّ عَلَى الْبُخَلاءِ

فَتَمَلَّ مِنْ وَشْيِ الْقَرِيضِ مَلابِساً طَرَّزْتَهـا بِجَلالَةٍ وَعَلاءِ

لَوْ كانَ لِلْعَرَبِ الْقَدِيمَةِ مِثْلُها لَمْ[3] تَحْمَدِ الْمَصْنُوعَ في صَنْعاءِ

إِنِّي عَقَلْتُ رَكائِبِي وَوَسـائِلِي في حَضْرَةٍ مَسْكُونَةِ الأَفْنـاءِ

مَأْهُولَةِ الأَرْجاءِ بِالنِّعَمِ الَّتي ما كُدِّرَتْ بِالْمَنِّ وَالإِرْجاءِ

شُفِعَتْ مَواهِبُها الْجِسامُ بِعِزَّةٍ كَفَلَتْ بِإِعْدائِي عَلَى أَعْدائِي

أَبَقِيَّةَ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ بِناؤُهُ لا زِلْتَ تِرْبَ عُلىً حَلِيفَ بَقاءِ

مُسْتَمْتِعـاً بِالْمَأْثُراتِ مُمَتِّعاً أُذُنَ السَّمِيعِ بِها وَعَيْنَ الرّائي[4]

---

(١) لا يحسدنكها (ل)

(٢) زينة (ل)

(٣) لم يحمد المصنوع لي صنعائي ؟ (م) و (ع) . وصنعاء أعظم مدن اليمن وقصبتها . والمراد بالمصنوع في صنعاء : الثياب الفاخرة المنسوجة فيها .

(تابع قافية الهمزة)

(٤) ورد في الكشكول ص ١٩١ للبهاء العاملي ما نصه :قال ابن حيوس :

ما أَبْصَرَتْ عَيْناي أَحْسَنَ مَنْظَراً فِيما رَأَتْ عَيْني مِنَ الأَشْيـاءِ

كَالشّامَةِ الْخَضْرآءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ الْـحَمْرآءِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدآءِ

قافيــة البــاء

٣

وقال (١) يمدح الأمير أبا الحسن علي بن منقذ (٢) ويلقب بسديد الملك سعد الدولة ، ويهنيه بعافية ولده .

أَمّا ٱلْفِراقُ فَقَدْ عاصَيْتُهُ فَأَبىٰ وَطالَتِ ٱلْحَرْبُ إلاّ أَنَّهُ غَلَبا (٣)

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) متأخر عن موضعها هنا ، وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً وكتب بها إلى الأمير الأجل سديد الملك أبي الحسن علي بن المقلّد بن منقذ نضّر الله وجهه عند وصوله إلى ثغر حلب وهو مقيم بطرابلس » .

(٢) هو الأمير أبو الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ الكناني الملقّب بسديد الملك ، كان شجاعاً كريماً وله شعر جيد . ذكر ابن عساكر أنه دخل دمشق غير مرة . وذكر ابن خلكان أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه قلعة شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمّار فأقام عنده . وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ أن خروجه من حلب كان سنة ٤٦٥ .

وعلي بن مقلّد هذا أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ لأنه كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ ، وكانت القلعة بيد الروم فنازلها وتسلمها بالأمان سنة ٤٧٤ وتوفي سنة ٤٧٩ وقيل سنة ٤٧٥ .

« وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٤٦٤ » « تاريخ دمشق لابن عساكر – مخطوط – »
« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ و ١١٣ و ١١٤ »

(٣) ورد في إرشاد الأريب لياقوت (١/١٨٧) : « والأمير سديد الملك هو ممدوح فحول الشعراء والذي امتدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها – وكتبها إليه من طرابلس وهو بحلب – : » ولكن ما في القصيدة يدل على أنه كتبها من حلب »

أَرانِي ٱلْبَيْنُ لَمّا حُمَّ عَنْ قَدَرٍ وَداعُنا كُلَّ جِدٍّ قَبْلَهُ لَعِبا
أَشْكُو إِلَى ٱللهِ فَقْدَ ٱلسَّيْفِ مُنْصَلِتاً وَٱللَّيْثِ مُهْتَصِراً (١) وَٱلْغَيْثِ مُنْسَكِبا
وَٱلْعِلْمِ وَٱلْحِلْمِ وَٱلنَّفْسِ ٱلَّتِي بَعُدَتْ عَنِ ٱلدَّنِيّاتِ وَٱلصَّدْرِ ٱلَّذِي رَحُبا
وَمَنْ (٢) أَعادَ حَياتِي غَضَّةً وَيَدِي مَلْأَى وَرَدَّ لِيَ ٱلْعَيْشَ ٱلَّذِي ذَهَبا
قَدْ كُنْتُ أَكْرَعُ كاساتِ ٱلْكَرَى نُخَبًا وَبَعْدَ بَيْنِكَ لَمْ أَظْفَرْ بِهِ نُغَبا (٣)
وَقَدْ أَظَلَّنِيَ ٱلسُّقْمُ ٱلْمُبَرِّحُ بِي فَإِنْ سَلِمْتُ فَمَا (٤) أَدَّيْتُ ما وَجَبا
ما ٱعْتَضْتُ مِنْكَ (٥) وَلَوْ مُلِّكْتُ ما مَلَكَتْ يَمِينُ قارُونَ أَوْ أُسْكِنْتُ عَرْشَ سَبا (٦)
أَقُولُ هٰذا وَقَدْ صَيَّرْتَ لِي نَشَبا لَوْلاكَ لَمْ أَرَ لِي فِي غَيْرِهِ (٧) نَسَبا

أمّا الفراق فقد عاصيته فأبى وطالت الحرب إلا أنه غلبا »

وقد نقل طائفة من هذه القصيدة العماد الكاتب في خريدة القصر في ترجمة سديد الملك علي بن منقذ ، قسم شعراء الشام ورقة ١١٣ « مصور في المجمع العلمي العربي »

(١) هصر الأسد فريسته واهتصرها : كسرها والمهتصر الأسد لأنه يهصر فريسته وفي (ل) مهتضماً .

(٢) ومذ (ع) و (م)

(٣) النُّخَب : جمع نُخْبة وهي الشربة العظيمة . والنُّغَب : جمع نُغْبة وهي الجرعة يقال نغب الطائر : أي حسا من الماء .

(٤) وإن (ل)

(٥) عنك (ل)

(٦) قارون : رجل يضرب به المثل في الغنى . وسبأ : مدينة بلقيس باليمن وفيها عرشها العظيم .

(٧) لولاك لم أر لي في بعضه نسبا (ل)

يَا ٱبْنَ ٱلْمُقَلَّدِ قَـدْ قَلَّدْتَنِي مِنَنًا ... ما قارَبَ ٱلْحَمْدُ أَدْناها وَلا كَرَبا

سَأَمْلَأُ (١) ٱلْأَرْضَ مِنْ شُكْرٍ يُقارِنُ ما ... (أَوْلَيْتَنِي) (٢) رَضِيَ ٱلشّانِيكَ أَوْ غَضِبا (٣)

فَيُمْنُ (٤) جَدِّكَ أَفْضَى بِي إِلَىٰ مَلِكٍ (٥) ... ما ٱبْتَزَّهُ ٱلشِّعْرُ إِلاّ هَزَّهُ طَرَبا

مَحْضِ ٱلْقَبِيلَيْنِ يُلْفَىٰ (٦) صالِحاً أَبَداً ... في حَلْبَةِ ٱلْفَخْرِ (٧) وَثّاباً إِذا نُسِبا (٨)

وِلادَتانِ لَهُ مِنْ عامِرٍ (٩) قَضَتا ... أَنْ يَشْرُفَ ٱلنّاسَ خالاً فاقَهُمْ وَأَبا

أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ وَأَدْنَىٰ ثُمَّ أَرْغَبَ (١٠) في ... إِنْعـامِهِ فَأَفادَ ٱلْعَقْلَ وَٱلْأَدَبا

---

(١) محل هذا البيت في (ل) آخر بيت من القصيدة .

(٢) ما بين الهلالين بياض في (م) ونقص في (ع) على أن في هامش (م) بخط مغاير : لعله (غَمَرتَ جوداً)

(٣) رضي شانيك ام غضبا (ع) و (م)

(٤) ويمن . (ل)

(٥) يريد بذلك أن الممدوح هو الذي قدّمه إلى صاحب حلب محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، قال ابن العديم في زبدة الحلب : وفي سنة ٤٦٥ وقيل في شوال سنة ٤٦٤ وفد أبو الفتيان بن حيوس على محمود بن نصر بن صالح (صاحب حلب) وكان سديد الملك ابن منقذ اجتمع به بطرابلس ، ورأى نفور بني عمّار منه لأجل ميله إلى الدولة المصرية ، فأشار عليه أن يقصد محموداً بحلب ، فقصده صحبة نصر بن سديد الملك بن منقذ .

(٦) يلقى (ل) كأنه يشير مورياً إلى صالح بن مرداس جد محمود وإلى وثّاب النميري جده لأمه .

(٧) المجد (ع)

(٨) إذا وثبا (ل)

(٩) يشير بذلك إلى أن محمود بن نصر يمتّ إلى عامر بن صعصعة بنسبتين ، فأبوه من بني كلاب وهم بطن من عامر بن صعصعة ، وأمه علوية بنت منيع بن وثّاب النُّميري وبنو نُمير بطن من عامر بن صعصعة .

(١٠) أغرب (ل)

يَزِيدُنِي كُلَّما أُحْضِرْتُ مَجْلِسَهُ   فَضِيلَةً لَمْ يَدَعْ (١) لي غَيْرَها أَرَبا

لَوْ تَدَّعِي الشَّمْسُ يَوْماً نُورَهُ كُسِفَتْ   وَلَوْ جَرَى النَّجْمُ يَبْغِي شَأْوَهُ لَكَبا

شَمائِلٌ بِصُنُوفِ الْفَضْلِ ناطِقَةٌ   وَهِمَّةٌ قارَنَتْ بَلْ طالَتِ الشُّهُبا

تَدْنُو الْعُلَى أَبَداً مِنْهُ وَإِنْ بَعُدَتْ   عَلَى سِواهُ وَيَنْأَى كُلَّما قَرُبا

فِي الْمُمْحِلاتِ غَمامٌ لا يُقالُ وَنَى   وَفِي الْحُرُوبِ حُسامٌ لا يُقالُ نَبا

وَقَبْلَ قَلْعَتِهِ دامَتْ مُمَنَّعَةً   ما إِنْ رَأَيْنا سَماءً تُمْطِرُ الذَّهَبا

فَكُلُّ (٢) نَوْءٍ بِمِصْرٍ جادَنِي زَمَناً   فِداءُ نَوْءٍ سَقانِي الرِّيَّ فِي حَلَبا

أَرَى الْمَطامِعَ ضَلَّتْ وَهِيَ رائِدَتِي   قِدْماً وَقَدْ هُدِيَتْ فَاخْتارَتِ السُّحُبا

يَعِنُّ ذِكْرُكَ أَحْياناً فَيُخْبِرُنِي   فَرْطُ الإِصاخَةِ عَنْ قَلْبٍ إِلَيْكَ صَبا

يُصْغِي لَهُ فِي حَدِيثٍ جاءَ مُقْتَضِياً (٣)   لَهُ وَيَبْغِيهِ (٤) إِنْ لَمْ يَأْتِ مُقْتَضِبا

أُثْنِي فَيُعْجِبُهُ قَوْلِي وَيُكْثِرُ مِنْ   سَلامَتِي بَعْدَ أَنْ فارَقْتُكَ الْعَجَبا

يا مُحْرِزَ الْمَجْدِ مَوْرُوثاً وَمُبْتَدَعاً   وَحائِزَ الْفَضْلِ مَوْلُوداً وَمُكْتَسَبا (٥)

وَكُلُّ ما نِلْتُ مِنْ عِزٍّ وَتَكْرِمَةٍ   وَثَرْوَةٍ فَإِلَى آلائِكَ انْتَسَبا

---

(١) لم تدع في غيرها أربا (ل)

(٢) وكل (ل)

(٣) مقتضبا (ل)

(٤) وتبغيه (ل) وينعيه (ع) وينفيه (م) ولعل الصواب ما اثبتناه

(٥) محل هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

لَمْ يعْدُ مَنْ شامَ نَصْراً[١] عِنْدَ نائبَةٍ خيفَتْ بَوائقُها إِدْراكَ ما طَلَبا

سَلَّتْهُ[٢] وَضَرَبْتُ النّائباتِ بِهِ ما كُلُّ مَنْ سَلَّ سَيْفاً صارماً ضَرَبا

فَمَرَّ كَالسَّهْمِ إِسْراعاً لِوِجْهَتِهِ إِنْ[٣] هيجَ عَنَّ وَإِنْ سيلَ الْجَزيلَ حَبا

بِهِمَّةٍ لا تُجارى في اكْتِسابِ عُلىً وَعَزْمَةٍ لا تَشَكّى الْأَيْنَ وَالْوَصَبا[٤]

تَلْقى أَعاديهِ مِنْهُ شَرَّ مَنْ لَقِيَتْ وَيَصْحَبُ الْمَجْدُ مِنْهُ خَيْرَ مَنْ صَحِبا

وَيُشْبِهُ[٥] التُّرْكَ إِقْداماً وَمَحْمِيَةً فَإِنْ دَعاهُ وَفاءٌ عاوَدَ الْعَرَبا

صاحَبْتُهُ وَلَداً بَرّاً يُعينُ عَلى قَطْعِ الطَّريقِ فَكانَ الْوالِدَ الْحَدِبا[٦]

تَلاكَ فِيَّ فَأَكْرِمْها مُصاحَبَةً تُعْطي الْمُنى وَتُزيلُ الْهَمَّ وَالتَّعَبا

يا بْنَ الَّذينَ إِذا شَبَّتْ وَغىً مَلَؤُا دُروعَهُمْ نَجْدَةً وَاسْتَفْرَغُوا الْعَيَبا

وَخَوَّفُوا النّاسَ فَارْتاعَتْ مُلوكُهُمُ تَرَوُّعَ السِّرْبِ لَمّا عارَضَ السُّرَبا[٧]

---

(١) هو الأمير أبو المرهف نصر بن علي بن مقلّد تولى شيزر بعد وفاة ابيه سنة ٤٧٩ كان فارساً كريماً فصيحاً وله شعر جيد توفي سنة ٤٩١ .
« النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٤ و ص ١٦٣ »

(٢) سلكته (ع) و (م)

(٣) لوهيج عزّ ولوسيل الجزيل أبا (ل)

(٤) محل هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

(٥) يناسب الترك ... (ل) وعلى هامش (م) و (ع)

(٦) يشير بذلك إلى أن نصر بن سديد الملك صحبه من طرابلس إلى حلب وقدّمه إلى أميرها .

(٧) السِّرب : القطيع من الظباء وغيرها . والسُّرَب : جمع سُرْبة وهي جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

مَنْ أَمَّ مَسْعاكَ أَنْضى(١) فِكْرَهُ سَفَهاً ... وَلَسْتَ تَلْقاهُ إِلاّ خائِفاً(٢) وَصِبا

وَقَدْ(٣) حَلَلْتَ بِثَغْرٍ عَزَّ ساكِنُهُ ... سَدَدْتَهُ بِسَدادٍ صَحَّحَ(٤) اللَّقَبا

ظافَرْتَ(٥) مالِكَهُ دامَتْ سَعادَتُهُ ... بِمَحْضِ وُدٍّ أَزالَ(٦) الشَّكَّ وَالرِّيَبا

فَأَنْتُما فيهِ سَيْفا عِصْمَةٍ وَرَدًى(٧) ... أَمْضى مِنَ الْمُرْهَفاتِ الْباتِراتِ شَبا

إِنْ طاوَلا عَلَوا أَوْ فاضَلا فَضَلا ... أَوْ حارَبا حَرَبا أَوْ خاطَبا خَطَبا

إِنِّي أَقُولُ وَلَيْسَ الْمَيْنُ مِنْ شِيَمي ... إِنِّي شَريكُكَ فِيما عَنَّ أَوْ حَزَبا

لَمّا اشْتَكى مُرْشِدٌ(٨) أَعْظَمْتُهُ نَبَأً ... ذادَ الْكَرى وَاسْتَثارَ الْهَمَّ وَالْوَصَبا

حَتّى إِذا جاءَتِ الْبُشْرى بِصِحَّتِهِ ... قَضَتْ بِتَسْكينِ قَلْبٍ طالَما وَجَبا

فَلا بَرِحْتَ وَإِنْ ساءَ الْعِدى أَبَداً ... تَلْقى الْخُطُوبَ بِجَدٍّ يَخْرُقُ الْحُجُبا

---

(١) أمضى (م)

(٢) إلا خائباً نصبا (ل) و (خريدة القصر)

(٣) وكم حللت ... (خريدة القصر)

(٤) أنجح اللقبا (ل)

(٥) ضافرت (خريدة القصر)

(٦) أراك ؟ (ع)

(٧) وذرى (ع) و (م)

(٨) هو الأمير أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلد، كان فارساً جواداً فصيحاً حسن التدبير، ولد سنة ٤٦٠ وتوفي بشيزر سنة ٥٣١ وهو والد أسامة بن مرشد المشهور. « إرشاد الأريب ٢/١٨٩ »

٤

وقال يمدح تاج الملوك (١)

بَقِيتَ[٢] وَلا عَزَّتْ عَلَيْكَ ٱلْمَطالِبُ ... فَإِنّا بِخَيْرٍ ما عَدَتْكَ ٱلنَّوائِبُ

لَقَدْ كَذَبَتْ مُذْ ذُدْتَ عَنّا[٣] ظُنُونُها ... فَلا صَدَقَتْ تِلْكَ ٱلظُّنُونُ ٱلْكَواذِبُ

وَلا بَرِحَتْ تُثْني عَلَى ٱلدَّهْرِ أُمَّةٌ ... نُفُوسُهُمُ مِنْ بَعْضِ ما أَنْتَ واهِبُ

وَهَبْتَ لَها ٱلْأَرْواحَ فِيما وَهَبْتَهُ[٤] ... فَجاوَزْتَ مَنْ أَثْنَتْ عَلَيْهِ ٱلْحَقائِبُ[٥]

وَهَلْ ضَمِنَتْ تِلْكَ ٱلْحَقائِبُ آنِفاً ... أُلُوفاً بِها لا تَسْتَقِلُّ ٱلرَّكائِبُ[٦]

---

(١) تاج الملوك هو : « محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب ، وليها سنة ٤٥٢ ووجه إليه المصريون عمه ثمال بن صالح فانتزعها منه سنة ٤٥٣ وتوفي ثمال بعد عام ، فوليها عطية بن صالح ، فأغار عليه محمود فامتلكها سنة ٤٥٤ وقوي أمره وصفا له جوها ، فاستمر إلى أن توفي سنة ٤٦٧ كان شجاعاً فيه حزم وعقل » « الأعلام »

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) متأخر عن موضعها هنا وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح محمود بن نصر ويهنئه بعيد »

(٣) عنها (ع) و (م)

(٤) فيما أنلته (ل)

(٥) يشير إلى قول نصيب في سليمان بن عبد الملك :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ... ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

« الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٣ »

(٦) الحقائب ؟ (ل)

حَبَوْتَ بِها مَنْ أَمَّ مُلْـكَكَ عائِلاً[(١)] وَعاوَدَ[(٢)] يُرْجى جُودُهُ وَهو آيِبُ
وَلَمْ تَزَلِ الْغُدْرانُ تَرْوي مِياهُها وَتَذْهَبُ بِالذِّكْرِ الْجَميلِ السَّحائِبُ
وَأَتْبَعْتَها كُومَ الْقِلاصِ جَميعُها عِرابُ الْمَتالي وَالْفُحُولُ الْمَصاعِبُ[(٣)]
أَعَدْتَ ابْنَ سامانٍ كَأَنْ لَمْ تُنِخْ بِهِ خُطُوبٌ وَلَمْ يَغْصِبْهُ ماحازَ غاصِبُ
عَطايا كَريمٍ لا يُحيطُ بِوَصْفِهـا مَقالٌ وَلا يُحصي لَها الْعَدَّ حاسِبُ
وَأَرْوَعَ لِلْعـافِينَ في حُجُراتِهِ مَواهِبُ تَتْلُوها وَتَتْرى[(٤)] مَواهِبُ
يَفيضُ[(٥)] وَأَفواهُ الشِّعابِ[(٦)] إِلى الْحَيا ظِماءٌ وَأَمْواهُ الْعُيُونِ نَواضِبُ[(٧)]
صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرامِ أَمّا انْتِقامُهُ فَغِبٌّ وَأَمّا عَفْوُهُ فَهْوَ دائِبُ
قَديرٌ عَلَى الْإِيجازِ وَهْوَ مُخاطِرٌ مُبينٌ عَنِ الْإِعْجازِ وَهْوَ مُخاطِبُ[(٨)]

---

(١) عال الرجل يعيل عيلة فهو عائل إذا افتقر . « مفردات الراغب »
(٢) وعاد يزجيّ جودَه (ل)
(٣) الكُوم جمع كوماء : وهي الناقة المرتفعة السنام . والقِلاص جمع قَلوص : وهي الناقة الطويلة القوائم . وعِراب الإبل : كرائمها . والمتالي من الإبل : الأمهات إذا تلاها أولادها الواحدة مُتْلٍ ومُتْلِية . والمصاعب : جمع مُصْعَب وهو الفحل من الإبل ترك ولم يُركب ولم يمسسه حبل حتى صار صعباً .
(٤) فتترى (ل)
(٥) تفيض (ل)
(٦) الشِّعاب : جمع شِعْب وهو مسيل الماء في بطن أرض .
(٧) نواصب ؟ (م)
(٨) محل هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه .

مُعاديهِ في قَيْدٍ مِنَ ٱلْعَجْزِ راسِفٌ ... وَخاشيهِ في يَمٍّ مِنَ ٱلْهَمِّ راسِبُ

فَما تَرْتَقي ٱلْأَمْلاكُ في دَرَجاتِهِ ... وَلا تَلْتَقي أَفْعالُهُ وَٱلْمَعايِبُ

ضَرائِبُ[1] فيها ٱلْعِلْمُ وَٱلْحِلْمُ وَٱلْحِجى ... أَحاديثُها في ٱلْخافِقَيْنِ ضَوارِبُ[2]

وَما ذُكِرَتْ إِلّا وَماتَ بِدائِهِ ... حَسُودٌ حَقُودٌ أَوْ كَنُودٌ مُوارِبُ[3]

تَفَرَّدْتَ في كَسْبِ ٱلْمَعالي وَحَوْزِها ... وَغَيْرُ فَريدٍ مَنْ لَهُ ٱلْعَزْمُ صاحِبُ

وَما رَبُّها مَنْ رَبُّها نابِيَ ٱلشَّبا ... وَمَنْ خَطْوُهُ في طُرْقِها مُتَقارِبُ

ذَرِ ٱلْهَمَّ لِلْمُرْتادِ ما لا يَنالُهُ ... وَمَنْ لَمْ تُنَكِّبْهُ ٱلْخُطُوبُ ٱلنَّواكِبُ

وَذَلِّلْ عَصِيَّ ٱلنَّوْمِ بِٱلسَّطْوَةِ ٱلَّتي ... أَرَحْتَ[4] بِها نَوْمَ ٱلْوَرى وَهْوَ عازِبُ

وَطيبِ ثَناءٍ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ فَٱكْتَسَتْ ... مَشارِقُها مِنْ عَرْفِهِ وَٱلْمَغارِبُ

وَمَمْلَكَةٍ نَصْرِيَّةٍ صالِحِيَّةٍ ... حَمَتْها ٱلْعَوالي وَٱلرِّهافُ ٱلْقَواضِبُ

أَبَتْ حَوْزَها أَيْدي ٱلْأَباعِدِ هِمَّةٌ ... حَفِظْتَ بِها ما ضَيَّعَتْهُ ٱلْأَقارِبُ

وَكُنْتَ شَجًى لِلْآخِذيها تَعَدِّيًا ... وَلَوْلا ٱلشَّجى ما غَصَّ بِٱلْماءِ شارِبُ

أَصَفْتَ إِلى ٱلتَّكْديرِ خَوْفًا وَقَدْ صَفَتْ ... مَشارِبُ فيها وَٱطْمَأَنَّتْ مَسارِبُ

---

(١) الضرائب : جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية .

(٢) ضوارب أي سوائر . وفي (ع) و (م) ضرائب .

(٣) يوارب (ع) و (م)

(٤) أرحت : رددت . وفي (ع) و (م) (أزحت) وهو تصحيف .

وَواصلْتَهــا وَصْلَ ٱلْغَريمِ غَريمَـهُ تُطاعِنُ حَتَّى حُزْتَها وَتُضارِبُ
وَأَلْهَمَكَ ٱلْبَأْسُ ٱلْهُجُومَ عَلَى ٱلرَّدٰى فَلَمْ تَهَبِ ٱلْهَوْلَ ٱلَّذي أَنْتَ راكِبُ
أبَتْ لَكَ أَنْ تَرْضٰى بِضَيْمٍ وَقائِعٌ تُعِلُّ[1] ٱلْقَنا فيها فَتَعْلُو ٱلْمَراتِبُ
مَواقِفُكُمْ كَذَّبْنَ ما ٱدَّعَتِ ٱلْعِدٰى وَمَنْ قالَ قِدْماً أَيْنَ[2] بِٱلسَّيْفِ ضارِبُ
وَأَنِّيَ وَقَدْ سَطَّرْتَ في كُلِّ مَأْزِقٍ صَحائِفَ تُتْلٰى وَٱلسُّطُورُ ٱلْكَتائِبُ
صَحائِفُ مَفْرُوضٌ عَلَى ٱلدَّهْرِ حِفْظُها لَهَا ٱلْعَزْمُ مُمْلٍ وَٱلْمُهَنَّدُ كاتِبُ
وَظافَرَ ذاكَ ٱلْعَزْمَ وَٱلْحَزْمَ فِكْرَةٌ تُحَدِّثُ عَمّا أَضْمَرَتْهُ ٱلْعَواقِبُ
وَأَظْهَرْتَ لِلْأَيّامِ لِيناً وَقَسْوَةً[3] تُسالِمُها طَوْراً وَطَوْراً تُحارِبُ
تَمُرُّ وَتَحْلَوْلي عَلَى أَنْ غَلَبْتَهـــا بِرَأْيِكَ وَٱلْإِقْدامِ وَهْيَ غَوالِبُ
وَأَوْضَحْتَ في تِلْكَ ٱلْمَساعي تَبايُناً بِهِ تَمَّ[4] هٰذا ٱلسُّؤْدُدُ ٱلْمُتَناسِبُ
وَطاعَ لَكَ ٱلْمِقْدارُ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَمْرِكَ جارٍ أَوْ لِبَطْشِكَ هائِبُ
أَلَسْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْأُلٰى كَفَلَتْ لَهُمْ بِإِذْلالِ[5] مَنْ عادَوْا عِتاقٌ سَلاهِبُ[6]

---

(١) يُعَلُّ . (ع)
(٢) إن بالسيف ؟ (ل)
(٣) وقوة (ع) و (م)
(٤) به ثم ... ؟ (ع) و (م)
(٥) بأمرك جار أو عتاق سلاهب ؟ (ل) وهو من سهو الناسخ .
(٦) العِتاق من الخيل : النجائب مفرده عتيق . والسلاهب : جمع سَلْهب وهو من الخيل ما عظم وطالت عظامه .

إِذا قَدَحَتْ في اللَّيْلِ لَمْ يَدْجُ غاسِقٌ وَإِنْ ضَبَحَتْ(١) في الصُّبْحِ لَمْ يَنْجُ هارِبُ
وَهِنْدِيَّةٌ إِنْ جُرِّدَتْ لِكَرِيهَةٍ فَأَغْمادُها فيها الطُّلَى وَالتَّرائِبُ (٢)
مَواضٍ إِذا صَلَّتْ وَصَلَّتْ لَها العِدى سُجُوداً فَآثارُ المَذاكي مَحارِبُ (٣)
وَخَطِّيَّةٌ يُلْفَى الرَّدى تَبَعاً لَها إِذا مَرَقَتْ في الأُسْدِ مِنْها الثَّعالِبُ (٤)
أَسافِلُها في أَبْحُرٍ مِنْ أَكُفِّكُمْ(٥) طَمَتْ وَأَعالِيها نُجُومٌ ثَواقِبُ
تُضِيءُ مُثارَ النَّقْعِ وَهْيَ طَوالِعٌ وَتَبْني مَنارَ العِزِّ وَهْيَ غَوارِبُ
عَتادُ مُلُوكٍ لا يُبالُونَ (٦) في النَّدى وَخَوْضِ(٧) الرَّدى المَكْرُوهِ ما الدَّهْرُ جالِبُ

---

(١) ضَبَحَت الخيل : عدت عدواً دون التقريب . وفي (م) وإن صبحت .. وهو تصحيف .

(٢) الطُّلى : الأعناق جمع طلاة . والترائب : عظام الصدر جمع تريبة .

(٣) صلَّت الأولى من صلَّ الشيء صليلاً أي صوَّت يقال صلَّ البيض : سمع له طنين عند مقارعة السيوف . وصلَّت الثانية في قوله « وصلَّت لها العدى » من صلَّى الرجل صلاةً أي أقام الصلاة . والمذاكي : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها . ومحارب جمع محراب . ويريد بآثار المذاكي التي شبهها بالمحاريب آثار حوافرها على الأرض .

(٤) الخطِّيَّة : الرماح المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ بالبحرين . ومرقت : نفذت ، تقول مرق السهم من الرمية أي نفذ فيها وخرج من الجانب الآخر . والثعالب جمع ثعلب وهو : طرف الرمح الداخل في السنان . وفي (ل) ثعالب .

(٥) أكفهم ؟ (ل)

(٦) لا تبالي لدى الندى (ل)

(٧) وحوض الردى المكروه والدهر جالب (م)

تُحِبُّ مِنَ(١) الإقْدامِ ما أَبْغَضَ الوَرَى   وَتَسْلُو عَنِ الأَرْواحِ وَهِيَ حَبائِبُ
نَصِيَّةُ شَدّادٍ وَفَخْرُ رَبِيعَةٍ   وَسادَةُ كَعْبٍ حِينَ تُحْصَى المَناقِبُ(٢)
تَظَلُّ المَعالِي في سِواكُمْ غَرائِباً   ذَواتِ نِفارٍ وَهِيَ فِيكُمْ رَبائِبُ(٣)
إذا عُدِّدَتْ أَفْعالُكُمْ عِنْدَ مَفْخَرٍ   غَنِيتُمْ بِها عَنْ أَنْ تُعَدَّ المَناسِبُ(٤)
وَكُلُّ حَدِيثٍ سارَ لَمْ يَكُ فِيكُمُ   هَباءٌ أَثارَتْهُ صَباً وَجَنائِبُ
لَقَدْ بَلَغَتْ أَبْناءُ صَعْصَعَةٍ(٥) بِكُمْ   ذُرَى شَرَفٍ(٦) لا تَدَّعِيهِ الكَواكِبُ
وَلَوْلا رَسُولُ اللهِ لَمْ تُلْوِ بِالعُلَى   لُؤَيٌّ وَلَمْ تَغْلِبْ عَلَى المَجْدِ غالِبُ(٧)
وَإنَّكَ أَوْفَى النّاسِ بَأْساً(٨) وَنَجْدَةً   إذا أَقْبَلَتْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ مَواكِبُ
وَأَحْضَرُهُمْ في الخَطْبِ إنْ عَزَّ خاطِرٌ(٩)   إذا شاعِرٌ أَكْدَى(١٠) وَأُفْحِمَ خاطِبُ

(١) تحب من الإنعام ما كره الورى (ع) و (م)
(٢) النصية من القوم الخيار . وشدّاد وربيعة وكعب من أجداد الممدوح .
« انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٦/١ »
(٣) غرائب (ل)
(٤) المناقب (ل)
(٥) صعصعة بن معاوية من أجداد الممدوح
(٦) ذرى رفعة (ل)
(٧) ألوى بالشيء : ذهب به واستأثر به . ولؤي بن غالب من قريش وبنوه بطون كثيرة ، وأبوه غالب بن فهر .
(٨) عزاً ونجدةً (ل)
(٩) خاطراً (ع) و (م)
(١٠) أكدى : بلغ الكدية في الحفر وهي الصفاة العظيمة الشديدة ، كناية عن العجز والانقطاع .

أَرى إِبلي أَلِفَتْ مُناخاً فَأَصْبَحَتْ مُسالِمَةً أَقْتـابُها وَالْغَوارِبُ
وَأَسْعَفَها خَفْضُ الْمُقامِ وَخِصْبُهُ بِأَضْعافِ ما بَزَّ السُّرى وَالسَّباسِبُ
وَلَوْ تَرَكَتْ تاجَ الْمُلوكِ وَراءَها تَعَذَّرَ مَطْلوبٌ وَأَخْفَقَ طالِبُ
وَجَدْتُ[1] الْغِنى وَالْعِزَّ وَالْأَمْنَ وَالْعُلى فَلا غَرْوَ أَنْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذاهِبُ
يُريدُ أُناسٌ بِذْلَتي وَضَراعَتي وَلَيْسَ لِمَنْ سَرْبَلْتَهُ الْعِزَّ[2] سالِبُ
أَياديكَ أَغْنَتْ عَنْ مَدائِحِ مَعْشَرٍ مَدائِحُهُمْ لِلنّاظِميها مَثالِبُ
إِذا شُبَّتِ النِّيرانُ لِلْقُرِّ وَالْقِرى فَلا نارَ إِلاّ ما يُريهِ الْحُباحِبُ[3]
فَأَضْرَبْتُ عَمَّنْ لَوْ وَقَفْتُ بِبابِهِ تَنَمَّرَ بَوّابٌ وَأَعْرَضَ حاجِبُ
وَمَنْ تَبْلُغُ الْأَعْداءُ فيهِ مُرادَها وَإِنْ قَصَّرَتْ عَجْزاً وَراجيهِ خائِبُ
فَيَحْيا[4] وَما حَقُّ الْمُواليهِ واجِبٌ عَلَيْهِ وَلا قَلْبُ الْمُعاديهِ واجِبُ[5]
فَيا شائِبَ الْمَعْروفِ بِالْبِشْرِ مُنْعِماً أَعَدْتَ الشَّبابَ الْغَضَّ وَالرَّأْسُ شائِبُ

---

(١) وجدتُ العلى والعز والأمن والغنى (ل)

(٢) سربلته الصون (ل)

(٣) الحُباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه ، وقيل اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بها المثل حتى قالوا نار الحُباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا ينتفع به .

(٤) فحَيَّا ... (ل)

(٥) واجب الأولى من الوجوب ، والثانية من الوجيب وهو الخفوق .

وَلَوْلا زَمانٌ في ذَرَاكَ قَطَعْتُهُ ... لَما عادَ مِنْ شَرْخِ الشَّبيبَةِ ذَاهِبُ

نَحَتْكَ ٱلْقَوافي وَهْيَ عُونٌ عَوانِسٌ ... وَها هِيَ أَبْكارٌ لَدَيْكَ كَواعِبُ

عَقائِلُ تَأْبىٰ أَنْ تُزَنَّ بِرِيبَةٍ ... وَعَهْدي بِها وَهْيَ ٱلْإِماءُ ٱلْحَواطِبُ[1]

وَذَنْبي أَنْ زُفَّتْ إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِها ... أَلا إِنَّني مِنْهُ إِلىٰ ٱلْمَجْدِ تائِبُ

قَبيحٌ ضَلالُ ٱلْمَرْءِ بَعْدَ ٱهْتِدائِهِ ... وَإِبْطالُهُ ما خَبَّرَتْهُ ٱلتَّجارِبُ

وَعِنْدَكَ لاقَتْ يا ٱبْنَ نَصْرِ بْنِ صالِحٍ ... رَغائِبَ في هٰذا ٱلزَّمانِ غَرائِبُ

وَمِنْ رَهْبَةِ ٱلتَّقْصيرِ عاوَدْتُ قائِلاً ... وَلَمْ تَحْوِ شَرْواها ٱلْعُصُورُ ٱلذَّواهِبُ

هَلِ ٱلْعِيدُ إِلاَّ بَعْضُ أَيَّامِكَ ٱلَّتي ... تُماثِلُهُ في حُسْنِهِ وَتُناسِبُ

فَلا زِلْتَ تَكْسُوهُ ٱلْمَحاسِنَ حاضِراً ... وَتَخْلُفُهُ في أَهْلِهِ وَهْوَ غائِبُ

مَنيعَ ٱلْحِمىٰ تَضْفُو عَلَيْكَ مَلابِسٌ ... لِأَذْيالِها فَوْقَ ٱلسَّماءِ مَساحِبُ

وَلا سَلَبَتْنيكَ ٱللَّيالي فَإِنَّني ... عَنِ ٱلْعَيْشِ إِلاَّ في جَنابِكَ راغِبُ

---

(١) الإماء الحواطب تمشي معييات ، قال الأخنس بن شهاب من شعراء الحماسة :

تُمشّي بها حُولُ النعام كأنها ... إماءٌ تُزجّى بالعشيِّ حواطبُ

« شرح الحماسة للتبريزي ص ٣٤٤ »

٥

وقال يمدح ناصر الدولة بن حمدان (١)

لَكُمْ[٢] أَنْ تَجُورُوا مُعْرِضِينَ وَتَغضَبُوا ... وَعَادَتُكُمْ أَنْ تَزْهَدُوا حِينَ نَرْغَبُ

جَنَيْتُمْ عَلَيْنا وَاعْتَذَرْنا إِلَيْكُمُ ... وَلَوْلَا الْهَوى لَمْ[٣] يُسْأَلِ الصَّفْحَ مُذْنِبُ

وَمَوَّهْتُمُ يَوْمَ الْفِراقِ بِأَدْمُعٍ ... تُخَبِّرُ[٤] عَنْ صِدْقِ الْوِدَادِ فَتَكْذِبُ

وَكَمْ غَرَّ ظَمْآنًا سَرَابٌ بِقَفْرَةٍ ... وَخَبَّرَ[٥] بَرْقٌ بِالْحَيَا وَهْوَ خُلَّبُ

وَمَا بَلَغَتْ مِنِّي نَوًى بِسِهَامِهَا ... رَمَانِي التَّجَنِّي قَبْلَهَا وَالتَّجَنُّبُ

وَلَمْ يَبْقَ مِمَّا كَانَ إِلَّا بَقِيَّةٌ ... تَجِيءُ كَمَا جَاءَ الْجَهَامُ وَتَذْهَبُ

يُكَلِّفُ طَرْفِي رَعْيَهَا وَهْوَ طَامِحٌ ... وَيُسْأَلُ قَلْبِي حِفْظَهَا وَهْوَ قُلَّبُ

صُبَابَةُ[٦] شَوْقٍ مِنْ بَقَايَا صَبَابَةٍ ... إِذَا ذَلَّ فِيهَا طَالِبٌ عَزَّ مَطْلَبُ

وَمَا زَادَ ذَاكَ الْوَصْلُ أَيَّامَ عَطْفِكُمْ ... عَلَى مَا أَنَالَ الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ

---

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عن مكانها هنا .

(٣) لم يَسأل ... (م) و (ع)

(٤) تحدّث (ل)

(٥) وحدّث (ل)

(٦) صبابة شوق غادرتها صبابة ... إذا ذلّ فيها مطلب عزّ مطلب (ل)

مُوَاصَلَةٌ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ ... وَإِنْ لَامَ فِيهَا عَاذِلٌ وَمُؤَنِّبُ (١)

دَنَا بُعْدُهَا مِنْ قُرْبِهَا فَكَأَنَّهَا (٢) ... مِنَ الصَّدِّ تُسْبَى أَوْ مِنَ الْهَجْرِ تُسْلَبُ

وَقَدْ رُمْتُ أَنْ أَلْقَى الصُّدُودَ بِمِثْلِهِ ... مُقَابَلَةً لَكِنَّنِي أَتَهَيَّبُ

سَأَصْبِرُ صَبْرَ الضَّبِّ وَالْمَاءُ ذُو قَذًى ... وَأَمْشِي عَلَى السَّعْدَانِ (٣) وَالذُّلُّ مَرْكَبُ

وَأَقْفُو بِعَزْمِي أُسْرَةً تَغْلَبِيَّةً (٤) ... إِلَى الْمَوْتِ مِمَّا يُكْسِبُ الْعَارَ تَهْرُبُ

وَكُلَّ فَتًى كَالْخَيْزُرَانَةِ دِقَّةً ... يُرَاعُ بِهِ لَيْثُ الشَّرَى وَهْوَ أَغْلَبُ

إِذَا رَكِبُوا أَلْوَوْا بِعِزِّ عَدُوِّهِمْ ... وَإِنْ وَهَبُوا جَادُوا بِمَا لَيْسَ يُوهَبُ

تَظَلُّ الْمَعَالِي مِنْ ثَوَابِ (٥) عُفَاتِهِمْ ... وَدَاعِيهِمُ يَوْمَ الْوَغَى لَا يُثَوِّبُ (٦)

وَلَسْتُ كَمَنْ أَنْحَى (٧) عَلَيْهِ زَمَانُهُ ... فَظَلَّ عَلَى أَحْدَاثِهِ يَتَعَتَّبُ

تَلَذُّ لَهُ الشَّكْوَى وَإِنْ لَمْ يُفِدْ بِهَا ... صَلَاحًا كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ أَجْرَبُ

وَلَكِنَّنِي أَحْمِي ذِمَارِي بِعَزْمَةٍ ... تَنُوبُ مَنَابَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مِقْضَبُ

---

(١) أو مؤنب (ل)

(٢) فكأنما (ل)

(٣) السَّعْدان نبت له شوك، وشوك النخل.

(٤) ينتسب ناصر الدولة إلى قبيلة تغلب.

(٥) من تُراث عفاتهم (ل)

(٦) ثوّب الداعي: لوّح بثوبه ليُرى ويشتهر طلباً للاغاثة.

(٧) أخنى عليه « شرح نهج البلاغة ١/٣١٥ »

لَقَدْ كَذَّبَتْ بِالأَمْسِ مَنْ ظَنَّ أَنَّني عَنِ الحَزْمِ أَزْوَى أَوْ عَلَى الرَّأْيِ[١] أُغْلَبُ

وَدَاوِيَّةٍ بِكْرٍ جَعَلْتُ نِكَاحَهَا سُرَى ضُمَّرٍ فَارَقْتُهَا وَهْيَ ثَيِّبُ

تُضِلُّ فَلَوْ بَعْضُ النُّجُومِ سَرَى بِهَا وَرَامَ نَجَاةً مَادَرَى كَيْفَ يَذْهَبُ

دَلِيلَايَ فِيهَا حُسْنُ ظَنِّي وَبَارِقٌ يُبَشِّرُ بِالتَّهْطَالِ وَالْعَامُ مُجْدِبُ

وَمُذْ أَرَيَانِي نَاصِرَ الدَّوْلَةِ انْجَلَى بِرُؤْيَاهُ مَا أَخْشَى وَمَا أَتَرَقَّبُ

رَغِبْتُ بِنَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُصَاحِباً أُنَاساً[٢] إِذَا قِيدُوا إِلَى الضَّيْمِ أَصْحَبُوا

فَجَاوَرْتُ مَلْكاً تَسْتَهِلُّ يَمِينُهُ نَدىً حِينَ يَرْضَى أَوْ رَدىً حِينَ يَغْضَبُ

تَدُورُ كُؤُوسُ الْحَمْدِ حِيناً فَيَنْتَشِي وَطَوْراً تَصِلُّ الْمُرْهَفَاتُ فَيَطْرَبُ

إِذَا مَا ارْتَبَا[٣] غِبَّ الْوَغَى خِلْتَ أَجْدَلاً لَهُ أَبَداً فَوْقَ الْمَجَرَّةِ مَرْقَبُ

وَإِنْ أَعْمَلَ الأَفْكَارَ عِنْدَ مُلِمَّةٍ تُلِمُّ أَرَتْهُ مَا يُسِرُّ الْمُغَيَّبُ

وَرُبَّ نُصُولٍ لاَ تُنَصَّلُ إِنْ جَنَتْ وَتَنْصُلُ مِنْ قَانِي النَّجِيعِ فَتُخْضَبُ

إِذَا الْبِيضُ كَلَّتْ يَوْمَ حَرْبٍ فَإِنَّهَا مَوَاضٍ قَوَاضٍ أَنَّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ[٤]

---

(١) أو عن الرأي أغلب (ع) و (م)

(٢) رجالاً (ل)

(٣) ارتبأ المربأة : علاها وارتبأ على جبل أشرف . وفي مسالك الأبصار للعمري ج ١٠ مخطوط : (اذا ما احتبى غب الوغى . . .)

(٤) تَغْلِبُ : قبيلة الممدوح .

فَإِحْكَامُهُ(١) الأَيَّامَ غَضَّ جِمَاحِهَا ... وَأَحْكَامُهُ في الدَّهْرِ لا تُتَعَقَّبُ

وَلَوْ حِدْتُ عَنْهُ ضَلَّةً وَاسْتَمَالَنِي ... كَرِيمٌ مُرَجًّى أَوْ هُمَامٌ مُحَجَّبُ

لأَغْنَى كَمَا أَغْنَى عَنِ الصُّبْحِ حِنْدِسٌ ... دَجَا لاَ كَمَا أَغْنَى عَنِ الْبَدْرِ كَوْكَبُ(٢)

فَدَاكَ مِنَ الأَسْوَاءِ كُلُّ مُمَلَّكٍ ... عَلَى الْجُودِ يُحْدَى أَوْ إِلَى الرَّوْعِ يُجْذَبُ

تَخِذْتَ اقْتِضَابَ(٣) الْمَكْرُمَاتِ سَجِيَّةً ... فَخَالَفْتَ(٤) قَوْماً بِالْمَوَاعِيدِ شَبَّبُوا(٥)

أَصَخْتَ إِلَى دَاعِي الْوَغَى وَتَصَامَمُوا ... وَصَدَّقْتَ آمَالَ الْعُفَاةِ وَكَذَّبُوا

تَبِيتُ النِّيَاقُ عِنْدَهُمْ مُطْمَئِنَّةً ... وَلَمَّا(٦) يَدُرْ قَعْبٌ وَلَمْ يُدْنَ مِحْلَبُ

إِذَا حَارَدَتْ أَخْلاَفُهَا(٧) عُطِّلَ الْقِرَى ... وَعِنْدَكَ مِنْ أَوْدَاجِهَا الدَّمُ يُحْلَبُ(٨)

مَسَاعٍ بِهَا وَصَّى رَبِيعَةُ وَائِلاً ... وَلَمَّا يَحُلْ عَنْهَا عَدِيٌّ وتَغْلِبُ(٩)

---

(١) أحكمَ الفرسَ : جعل للجامه حكمة.

(٢) ورد في (ل) عند هذا البيت بهامش الصفحة ما نصه : الأولى أن يقال :

لأغنى كما أغنى عن البدر حندس ... وأجزى كما أجزى عن الصبح كوكب

(٣) اقتضاب المكرمات اصطناعها.

(٤) لعله تخالفت.

(٥) سببوا (ع)و(م)

(٦) وإن لم يدر ... (ع) و (م)

(٧) حاردت أخلافها : أي قلَّ لبنها . وفي (ع) و (م) « أخلاقها »وهو تصحيف .

(٨) الدهر تحلب (ع) و (م)

(٩) ربيعة ووائل وتغلب وعدي أجداد الممدوح الأولون .

وَمِنْهُ إِلَى حَمْدَانَ كُلُّ مُمَلَّكٍ لَهُ الْجُودُ وَكْدٌ وَالْمَحَامِدُ مَكْسَبُ[١]
مَصَاعِبُ نَالُوا بَعْضَ مَا نِلْتَ مِنْ عُلىً مُؤَمِّلُهَا مَا عَاشَ يُكْدِي وَيَتْعَبُ
سِوَاكَ بِفَاهَا وَالشَّبَابُ رِدَاؤُهُ فَعَزَّتْ وَزَادَتْ عِزَّةً وَهْوَ أَشْيَبُ
فَأَحْرَزْتَهَا[٢] طِفْلاً فَمَهْدُكَ كَعْبَةٌ يَلُوذُ بِهَا الرَّاجِي وَنَادِيكَ مَكْتَبُ
خَلَائِقُ كَالْمَاءِ الزُّلَالِ وَتَحْتَهَا مِنَ الْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ نَارٌ تَلَهَّبُ[٣]
وَضَحْنَ فَأَعْلَمْنَ الْمُعَلِّمَ أَنَّهُ يُؤَدِّبُ فِي أَثْنَائِهَا لَا يُؤَدِّبُ
يُقِرُّ[٤] لَكَ الْأَعْدَاءُ بِالْبَأْسِ عَنْوَةً وَكُلُّ عَدُوٍّ مَدْحُهُ لَا يُكَذَّبُ
وَحَسْبُهُمُ يَوْمٌ ثَبَتَّ لِشَرِّهِ وَقَدْ عَرَّدَ الْحَامُونَ[٥] عَنْكَ وَنَكَّبُوا
مَضَوْا وَلِكُلٍّ فِي النَّجَاةِ[٦] مَذَاهِبٌ وَمَا لَكَ إِلَّا نُصْرَةَ الْحَقِّ مَذْهَبُ
وَلَوْ شِئْتَهَا كَانَتْ لَدَيْكَ سَوَابِقٌ[٧] لِلَحْقِ[٨] الْعِدَى لَا لِلْفِرَارِ تُقَرَّبُ

(١) حمدان جد بني حمدان ، والوكد بفتح الواو المراد والهم والقصد وبضمها السعي والجهد . وفي (ل) له الجود ترْب . . .
(٢) وأحرزتها (ل)
(٣) هذا البيت ساقط من (ل)
(٤) تقر لك ... (ل)
(٥) الحادون (ل)
(٦) في الجهاد (ل)
(٧) سوابقاً (ع) سوائقاً (م)
(٨) لطرد العدى (ع) و (م)

تَطِيحُ إِلَىٰ أَنْ تَدَّعِي غَيْرَ أَصْلِهَا ... وَتُعْرِبُ عَنْ أَحْسَابِهَا حِينَ تُجْنَبُ [(١)]

إِلَىٰ الرِّيحِ تُعْزَىٰ حِينَ تَجْرِي فَإِنْ مَشَتْ ... رُوَيْداً فَجَدَّاهَا الْوَجِيهُ وَمُذْهَبُ [(٢)]

وَبَعْدَ سُلَيْمَانَ [(٣)] إِلَىٰ أَنْ رَكِبْتَهَا [(٤)] ... وَذَلَّلْتَهَا مَا كَانَتِ الرِّيحُ تُرْكَبُ

تَخَالَفْنَ أَلْوَانــاً وَخُضْنَ عَجَاجَةً ... فَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي اللَّوْنِ جَوْنٌ وَأَشْهَبُ

ثَبَتَّ ثَبَاتاً لَمْ يَكُنْ لِابْنِ مُسْلِمٍ ... وَأُوتِيتَ صَبْراً لَمْ يَنَلْهُ الْمُهَلَّبُ [(٥)]

هُوَ الْيَوْمُ لَوْ آلُ الزُّبَيْرِ مُنُوا بِهِ ... لَقَهْقَرَ [(٦)] عَبْدُ اللهِ عَنْهُ وَمُصْعَبُ [(٧)]

يُخَبَّرُ عَنْهُ مَا تَلَا الْغَسَقَ الضُّحَىٰ [(٨)] ... وَيُرْوَىٰ إِلَىٰ يَوْمِ الْمَعَادِ وَيُكْتَبُ

---

(١) تطيح : تمضي كذهاب السهم بسرعة . وحين تُجنب أي حين تقاد .

(٢) الوجيه ومُذْهَب : فرسان نجيبان من خيول العرب كانا لغني بن أَعْصُر . وفي (ل) الوجيه ومقرب .

(٣) سليمان بن داود عليهما السلام .

(٤) إلى أن ربطتها (ل)

(٥) ابن مسلم : هو قتيبة بن مسلم الباهلي ، ولاّه الوليد بن عبد الملك خراسان وغزا ما وراء النهر وفتح خوارزم وسجستان وسمرقند وغيرها وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية ، قتل بفرغانة سنة ٩٦ . والمهلب : هو ابن أبي صفرة.ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير . قاتل الأزارقة تسعة عشر عاماً لقي فيها منهم الأهوال وأخيراً تم له الظفر بهم ، ثم ولاّه عبد الملك بن مروان خراسان سنة ٧٩ ومات بها سنة ٨٣ « الأعلام »

(٦) تقهقر (ل)

(٧) عبد الله بن الزبير : فارس قريش في زمنه بويع له بالخلافة سنة ٦٤ وقتل بمكة سنة ٧٣ . وأخوه مصعب أحد أبطال العرب قتل في العراق سنة ٧١ « الأعلام »

(٨) الدجى (ع)

أَبَى لكَ طِيبُ النَّجْرِ إلاَّ عَزِيمَةً ... عَلَى الْحَزْمِ في يَوْمِ النِّزَالِ تُغَلَّبُ

وَجُدْتَ بِنَفْسٍ لاَ يَجُودُ(١) بِمِثْلِهَا ... مَعَ الْعِلْمِ بِالْعُقْبَى نَبِيٌّ مُقَرَّبُ

وَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ لَمْ تَسِمْ(٢) جِلْدَهُ الظُّبَا ... وَتُحْطَمُ(٣) فِيهِ مِنْ قَنَا الْخَطِّ أَكْعُبُ

وَكَمْ زُرْتَ أَحْيَاءً فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمُ ... طِعَانٌ وَلاَ نَجَّاهُمُ مِنْكَ مَهْرَبُ

يَوَدُّونَ مُذْ صَارَ الصَّبَاحُ طَلِيعَةً ... لِجَيْشِكَ أَنَّ الدَّهْرَ أَجْمَعَ غَيْهَبُ

عُرِفْتَ فَصَارَ الإِنْتِسَابُ زِيَادَةً ... وَغَيْرُكَ يُخْفِيهِ الْخُمُولُ فَيُنْسَبُ

وَفِي بَعْضِ ذَا الْمَجْدِ الَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ ... يَدَاكَ غِنىً عَمَّا بَنَى الْجَدُّ وَالأَبُ

قَضَى لَكَ أَنْ يَزْدَادَ بَيْتُكَ رِفْعَةً ... عَلَى أَنَّهُ فَوْقَ السِّمَاكِ مُطَنَّبُ

أَلَمْ تَرَ قِرْوَاشاً(٤) بَنَتْ مَكْرُمَاتُهُ ... لِأُسْرَتِهِ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ يَخْرَبُ

مَكَارِمُ لَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهَا(٥) مُقَلَّدٌ ... لَعَمْرِي وَلاَ أَفْضَى إِلَيْهَا مُسَيَّبُ(٦)

وَبَيْنَ اللُّهَى وَالْوَاهِبِيهَا تَنَاسُبٌ ... فَمِنْ أَجْلِ ذَا فِيهَا خَبِيثٌ وَطَيِّبُ

---

(١) لا تجود (ع) و (م)

(٢) من لم يسم (ل)

(٣) وتحكم فيه (ل)

(٤) هو قرواش بن المقلَّد بن المسيَّب العُقَيْلي من هوازن ، صاحب الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات وليها بعد مقتل أبيه سنة (٣٩١) ودامت إمارته خمسين سنة وتوفي سنة (٤٤٤) « الأعلام »

(٥) لم يبلغ إليها (ل)

(٦) المقلّد والد قرواش والمسيّب جده .

كَذَا ٱلْبَأْسُ في أَهْلِ ٱلْغَنَاءِ مُقَسَّمٌ وَمَا يَسْتَوِي فِيهَا عَلِيٌّ وَمِرْحَبُ [١]

وَقَبْلَكَ مَا خِلْتُ ٱلْبُدُورَ لِسَائِلٍ تُرَجَّى وَلَا زُهْرَ ٱلْكَوَاكِبِ تُصْحَبُ

فَإِنْ طَابَتِ ٱلْأَوْطَانُ لِي وَذَكَرْتُهَا فَإِنَّ مُقَامِي في جَنَابِكَ أَطْيَبُ

عَدَلْتُ إِلَيْكَ وَٱلْبِلَادُ رَحِيبَةٌ لِمُرْتَادِهَا [٢] لَٰكِنَّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ

فَهَلْ لَكَ في مَنْ لَا يَشِينُكَ قُرْبُهُ وَيُعْرِبُ [٣] إِنْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَيُغْرِبُ

إِذَا صَاغَ مَدْحًا خِلْتَهُ مِنْ مُزَيْنَةٍ وَتَحْسَبُهُ مِنْ عُذْرَةٍ حِينَ يَنْسُبُ [٤]

قَوَافٍ هِيَ ٱلْخَمْرُ ٱلْحَلَالُ وَكَأْسُهَا لِسَانِي وَلَٰكِنْ بِٱلْمَسَامِعِ تُشْرَبُ [٥]

يُحَلِّي بِهَا أَلْحَانَهُ كُلُّ مَنْ شَدَا وَتَحْلُو بِأَفْوَاهِ ٱلرُّوَاةِ وَتَعْذُبُ

إِذَا أُنْشِدَتْ ظَلَّ ٱلْحَسُودُ كَأَنَّهُ بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْ بَارِعِ [٦] ٱلْحَمْدِ يُثْلَبُ

عَلَى ظَهْرِهِ وِقْرٌ وَفِي عَيْنِهِ قَذًى وَفِي سَمْعِهِ وَقْرٌ وَفِي فِيهِ إِثْلِبُ [٧]

---

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومرحب كمنير يهودي قتله علي يوم خيبر .

(٢) لمن رامها (ل)

(٣) ويُغرب إن أثنى عليك ويُعرب (ل)

(٤) أي كان كزهير بن أبي سُلمى المزني المشهور بحسن مدحه ، وكجميل بن معمر العذري المشهور بحسن نسيبه .

(٥) يشرب (ع) و (م)

(٦) من بارع المدح (ل)

(٧) الأثْلَبُ والإثْلِبُ : فتات الحجارة والتراب يقال : بفيه الأثلب ، وفي (ل) وفي فيه أتيب . وهو تصحيف .

أَخَفْتَ الزَّمانَ وَهْوَ راضٍ مُسَلِّمٌ ... وَأَمَّنَهُ قَوْمٌ مَضَوْا وَهْوَ مُغْضَبُ
وَإِنَّكَ أَهْدَى النَّاسِ فِي طُرُقِ الْعُلَى ... سَمَا بِكَ دَسْتٌ أَوْ عَلاَ بِكَ مَوْكِبُ
وَأَقْرَبُ مِنْ إِدْرَاكِ مَا تَعِدُ الْمُنَى ... عِدَاكَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ

٦

وقال يمدح (١) الأمير المؤيد معزّ الدولة ويهنيه بالتشريف الواصل إليه وتلقيبه مصطفى الملك (٢)

لاَ زِلْتَ تَعْلُو وَإِنْ حُسَّادُكَ اكْتَأَبُوا ... أَوْ(٣) يَبْلُغَ الْحَظُّ مَا يَقْضِي بِهِ الْحَسَبُ
وَإِنْ يَكُنْ مَا بَلَغْتَ الْيَوْمَ مُذْهِلَهُمْ ... فَإِنَّهُ دُونَ مَا تَرْجُو وَتَرْتَقِبُ
تُعْلِي الْمَنَازِلُ قَوْماً قَبْلَهَا خَمَلُوا ... وَأَنْتَ مَنْ لَمْ تَزَلْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ

---

(١) ورد عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : « وقال أيضاً يمدح الأمير المؤيّد لما وصله التشريف من الحضرة الطاهرة وأضيف إلى ألقابه مصطفى الملك عدة الإمام وذلك في شهور سنة أربع وأربعين وأربع مئة» .

(٢) هو الأمير المؤيد معزّ الدولة عدة الإمام ذو الرئاستين مصطفى الملك أبو المكرم حيدرة بن الأمير عضب الدولة الحسين بن مفلح أمير دمشق من قبل المستنصر الفاطمي ، قدمها والياً عليها سنة (٤٤١) فمكث إلى سنة (٤٥٠) فعزل عنها ثم وليها دفعة ثانية سنة (٤٥٣) وصرف عنها سنة (٤٥٥) وكان حسن السيرة .
« ابن عساكر ٥/٢١ ابن القلانسي ٨٥ و ٩١ »

(٣) ويبلغ (ل)

إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلنُّجُومِ ٱلنَّيِّرَاتِ أَخاً فَأَنْتَ غَيْرَ مُنَاوىً جَارُهَا ٱلْجُنُبُ (١)
إِنَّ ٱلْجَلاَلَةَ مِنْ أَفْعَالِكَ ٱنْتَقَلَتْ (٢) فَإِنْ خُصِصْتَ بِأَوْفَاهَا فَلاَ عَجَبُ
فَلْيَدْرِ مَنْ ظَلَّ مَشْغُوفاً بِهَا عَلَقاً أَنَّ ٱلنَّبَاهَةَ عِلْقٌ لَيْسَ يُغْتَصَبُ
فَإِنَّ دُونَ ٱلْمَعَالِي شُقَّةً بَعُدَتْ بِهَا ٱلْمَشَقَّةُ دُونَ ٱلْفَوْزِ (٣) وَٱلشَّجَبُ
لَمَّا ٱصْطَفَاكَ لَهُ (٤) ٱلْمَلْكُ ٱلأَعَزُّ حِمًى حَبَاكَ مَا يَصْطَفِي مِنْهَا وَيَنْتَخِبُ
حِبَاءَ مَنْ يَهَبُ ٱلدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا (٥) وَلاَ يُصَادِفُ مُعْتَدًّا بِمَا يَهَبُ
وَمُذْ دَعَاكَ إِمَامُ ٱلْعَصْرِ عُدَّتَهُ عَادَتْ سِرَاعاً عَلَى أَعْقَابِهَا ٱلنُّوَبُ
وَقَوْلُهُ عُدَّتِي دُونَ ٱلْوَرَى صِفَةٌ وَإِنْ تَظَنَّى جَهُولٌ أَنَّهَا لَقَبُ
وَهَلْ تَحَلَّتْ رِيَاضٌ غِبَّ مَاطِرَةٍ بِمِثْلِ مَا حُلِّيَتْ مِنْ وَصْفِكَ ٱلْكُتُبُ
أَعْظِمْ بِهَا كُتُباً جَاءَتْكَ حَائِزَةً مَنَاقِباً كَثُرَتْ مَا حَازَتِ ٱلْكُتَبُ (٦)
وَسَرْبَلَتْكَ ثَنَاءً جَلَّ مَوْقِعُهُ عَمَّا كَسَتْكَ ثِيَاباً عَمَّهَا ٱلذَّهَبُ
هٰذِي تُعَاوِدُ أَسْمَالاً إِذَا ٱبْتُذِلَتْ حِيناً وَتِلْكَ عَلَى طُولِ ٱلْمَدَى قُشُبُ

---

(١) غير مناوىء : أي غير معارَض . والجارُ الجُنُبُ : جارك من غير قومك .
(٢) ايتلفت (ل)
(٣) الفور ؟ (م)
(٤) لذا (ع) و (م)
(٥) بما جمعت (ل)
(٦) الكُتَبُ : جمع كُتْبَة ويريد بها السيور التي تضم ثقوب أوعية المتاع.

لَمَّا تَضَايَقَ بِالْجَيْشِ الْفَضاءُ ضُحًى بَثَثْتَ في الْجَوِّ جَيْشاً مَالَهُ لَجَبُ [١]

وَمَا رَأَيْنَا سَمَاءً قَبْلَ يَوْمِكَ ذَا في أُفْقِهَا الطَّيْرُ وَالآسَادُ تَصْطَحِبُ [٢]

غَابٌ تَلُوحُ بِأَعْلاَهُ ضَرَاغِمُهُ فَوَاغِراً أَبَداً لَمْ تَدْرِ مَا السَّغَبُ [٣]

مُسْتَعْلِيَاتٌ لَهَا مِنْ فِضَّةٍ قَصَبٌ يُقِلُّهَا وَلَهَا مِنْ عَسْجَدٍ أُهُبُ [٤]

وَقَدْ أَظَلَّتْكَ لَمَّا سِرْتَ أَرْبَعَةٌ قَلْبُ الْغَزَالَةِ إِعْظَاماً لَهَا يَجِبُ

تَعْلُو بِأَقْرَبِهَا عَهْداً بِمَنْ شَرُفَتْ بِذِكْرِهِ سُوَرُ الْقُرْآنِ وَالْخُطَبُ [٥]

سَمَتْ إِلَى حَيْثُ قَوْسُ الْمُزْنِ فَاعْتَصَبَتْ [٦] بِبَعْضِهِ وَلَهَا مِنْ بَعْضِهِ عَذَبُ

وَتَسْتَقِلُّ [٧] بِمَاءٍ مَالَهُ حَبَبٌ وَتَسْتَظِلُّ بِنَارٍ مَا لَهَا لَهَبُ

فَإِنْ بَدَتْ في سَوَادِ النَّقْعِ طَالِعَةً وَأَنْتَ وَأَبْنَاكَ قِيلَ السَّبْعَةُ الشُّهُبُ

كَأَنَّمَا التِّبْرُ بَحْرٌ فَاضَ فَاغْتَرَفَتْ مِنْهُ الْكُسَى وَالْعِتَاقُ الْقُبُّ وَالْقُبَبُ

---

(١) اللجَبُ : كثرة أصوات الأبطال وصهيل الخيل .

(٢) تصطخب (ع) و (م)

(٣) ما الشغب (ع) و (م)

(٤) القَصَب : كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً وكل عظم مستد يرأجوف وكل ما اتخذ من فضة وغيرها . والعسجد : الذهب . والأُهب : جمع إهاب وهو الجلد . وفي (ل) ولها من عسجد ذهب ؟

(٥) لعله يريد بذلك تلقيبه بمصطفى الملك .

(٦) فاعتصمت (ع) و (م)

(٧) فتستقل (ع) و (م)

وَكُلُّ ماضٍ تَدِينُ الْمُرْهَفَاتُ لَهُ ... تُجْنَى السَّلامَةُ مِنْ حَدَّيْهِ وَالْعَطَبُ
إذَا عَلاهُ نَجِيعٌ فَوْقَ جَوْهَرِهِ ... فِي مَأْزِقٍ خِيلَ خَمْراً فَوْقَهَا[1] حَبَبُ
قُلِّدْتُمُوهَـا عَلَى عِلْمٍ بِأَنَّكُمُ ... ذَوُو الْقُلُوبِ الَّتِي مَاحَلَّهَا رُعُبُ
وَأَنَّكُمْ مُورِدُوهَا كُلَّ يَوْمِ وَغًى ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرِدَ الْخَطِّيَّةُ السُّلُبُ
وَإِنْ تَقَلَّدْتُمُوهَـا وَهْيَ نَاصِلَةٌ ... فَإِنَّهَا مِنْ دَمِ الْأَعْدَاءِ تَخْتَضِبُ
وَقَدْ فَرَعْتَ[2] بِهٰذَا الدَّسْتِ مَنْزِلَةً ... نَصِيبُ شَانِيكَ مِنْهَا الْهَمُّ وَالتَّعَبُ
إذَا الْمُلُوكُ إلىٰ لَذَّاتِهَـا جَنَحَتْ ... وَشَارَكَ الْجِدَّ فِي أَفْعَالِهَا اللَّعِبُ
فَلَنْ تَزَالَ[3] بِجِسْمٍ[4] الظُّلْمِ فِي شُغُلٍ ... عَمَّا دَعَاكَ إلَيْهِ الظَّلْمُ وَالشَّنَبُ[5]
لَئِنْ غَضِبْتَ لِسَوْمِ الْخَسْفِ حِينَ رَضُوا ... لَقَدْ رَضِيتَ بِحُكْمِ[6] الْجُودِ إذْ غَضِبُوا
فِي دَوْلَةٍ بِكَ نَالَتْ فَوْقَ بُغْيَتِهَـا ... فِي مَنْ عَصَىٰ فَعَصَا أَعْدَائِهَا شُعَبُ
فَأَنْتَ مُعْتَزُّهَا وَابْنَاكَ مُنْجِبُهَـا ... وَنَصْرُهَا وَلَكَ الْعَضْبُ الْهُمَامُ أَبُ

(١) تحتها الحبب (ل)
(٢) فزعت ؟ (ع) و (م)
(٣) فلمن تراك ؟ (م)
(٤) لحسم (ل)
(٥) الظَّلْمُ : ماء الأسنان وبريقها . والشَّنَبُ : ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان .
(٦) بحلم الجود (ع) و (م)

لَئِنْ أَفَادَا عُلُوّاً فِي بِعـــادِهِمَا فَالْمِسْكُ[١] يَزْدَادُ قَدْراً حِينَ يَغْتَرِبُ

لاَ يَطْمَعَنَّ نَبِيهٌ فِي مَكَانِهِمَـــا فَمَا الْمَجَرَّةُ مِمَّنْ رَامَهَـــا كَثَبُ

الْجَائِدَانِ إِذَا مَا ضَنَّتِ السُّحُبُ وَالذَّائِدَانِ إِذَا مَا كَلَّتِ الْقُضُبُ[٢]

بَنِي أَبِي صَالِحٍ مَازَالَ عِنْدَكُمُ مُذْ كُنْتُمُ الرَّغَبُ الْمَعْرُوفُ وَالرَّهَبُ[٣]

أَنْتُمُ مَعْشَراً يَنْأَى إِذَا بَعُدُوا حُسْنُ الْفِعَالِ وَيَدْنُو كُلَّمَا قَرُبُوا

إِذَا وُجُوهُهُمُ بِالْعِثْيَرِ[٤] انْتَقَبَتْ بَدَا[٥] الْمَضَاءُ الَّذِي مَا دُونَهُ نُقُبُ

طِبْتُمْ فَطَابَ حَدِيثٌ تُوصَفُونَ بِهِ مُكَرَّراً ذِكْرُهُ مَا كَرَّتِ الْحُقُبُ

وَالْمَادِحُونَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ حِزَقاً[٦] لِقَوْلِ حُسَّادِكُمْ[٧] لِلْمَادِحِ السَّلَبُ

تَسْمُو الْإِمَارَةُ إِذْ تُعْزَى إِلَيْكَ كَمَا تَسْمُو تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ حِينَ تَنْتَسِبُ[٨]

وَبَعْدَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ مَا فَخَرَتْ[٩] بِمِثْلِ بَيْتِكَ لاَ عُجْمٌ وَلاَ عَرَبُ

(١) فالمسك يعلو محلاً حين يغترب (ل)
(٢) هذا البيت ساقط من (ل) وعلى هامش (ع)
(٣) مذ كنتم الرعب والمعروف والرهب (ل)
(٤) العثير : التراب والعجاج .
(٥) بذ المضاء (ل)
(٦) الحِزَقُ : الجماعات .
(٧) لقول حاكمكم (ل)
(٧) بنو تميم بن مر : قبيلة عظيمة من العرب العدنانية .
(٩) ما افتخرت (ل)

بَيْتٌ لَهُ ٱلْعِزُّ أَرْضٌ وَٱلْإِباءُ سَماً وَٱلْبَاتِراتُ عِمادٌ وَٱلنَّدىٰ طُنُبُ
حَمَاهُ مِنْ دارِمٍ[1] في كُلِّ مُعْتَرَكٍ غُلْبٌ عَلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعَلْيَاءِ قَدْ غَلَبوا
لَمَّا أَبَوْا دَرَّ أَخْلافِ ٱللِّقَاحِ قِرىً بَاتَتْ لَدَيْهِمْ مِنَ ٱلْأَوْدَاجِ تُحْتَلَبُ
وَإِنْ غَنِيتَ بِما أَثَّلْتَ[2] مِنْ شَرَفٍ عَنْ ذِكْرِ ما أَثَّلَتْ آبَاؤُكَ ٱلنُّجُبُ
فَٱلْمَرْءُ[3] إِنْ لَمْ تُقَدِّمْهُ مَآثِرُهُ لَمْ يُعْلِهِ نَسَبٌ زَاكٍ وَلا نَشَبُ
أَمّا دِمَشْقُ فَقَدْ أَسْلَفْتَ نُصْرَتَها في سَالِفِ ٱلدَّهْرِ إِذْ أَنْصارُها غَيَبُ
غَابُوا[4] بِأَسْرٍ وَقَتْلٍ وَٱنْتِجاعِ عِدىً وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِيها جَحْفَلٌ لَجِبُ
حَامَيْتَ عَنْها مُحَامَاةَ ٱلْمَلِيكِ لَها فَهَلْ زَمانَكَ هٰذا كُنْتَ تَرْتَقِبُ
فَكُنْتَ[5] أَبْعَدَ خَلْقِ ٱللّهِ مِنْ فَرَقٍ إِذا تَفارَقَتِ ٱلْأَسْيافُ وَٱلْقُرُبُ
كَمْ خُضْتَ مِنْ دُونِها ناراً مُضَرَّمَةً مَا خَاضَها مَنْ لَهُ في نَفْسِهِ أَرَبُ
وَكَمْ نَطَقْتَ بِفَصْلِ ٱلْقَوْلِ مُرْتَجِلاً وَٱلْبِيضُ في قِمَمِ ٱلْأَبْطالِ تَصْطَخِبُ[6]
فَمِنْ بَيانِكَ مَاءُ ٱلْفَضْلِ مُنْهَمِرٌ وَمِنْ بَنانِكَ مَاءُ ٱلْجُودِ مُنْسَكِبُ

---

(١) بنو دارم : بطن من تميم بن مر .
(٢) أثْبَتَّ (ل)
(٣) والمرء (ل)
(٤) غابوا بقتل وأسر ... (ل)
(٥) وكنت (ل)
(٦) تصطحب (م)

وَالْمَجْدُ إِنْ كانَ في الْأَقْوامِ مُكْتَسَباً فَإِنَّهُ فيكَ مَوْلُودٌ وَمُكْتَسَبُ

سَطَوْتَ فَاسْتَصْغَرَ الْأَنْجادُ[1] مَا قَهَرُوا وَجُدْتَ فَاسْتَنْزَرَ الْأَجْوادُ مَا وَهَبُوا

مَكارِمٌ بَزَّتِ الرُّكْبانَ رَأْفَتَها بِالْيَعْمَلاتِ فَمَا تُثْنَى لَها رُكَبُ

وَصَيَّرَتْ قَصْرَكَ الْعَافُونَ مَوْطِنَهُمْ إِذا[2] مَضَتْ عُصَبٌ مِنْها أَتَتْ عُصَبُ

إِذا الْوَسَائِلُ عِيفَتْ عِنْدَ مَنْ قَصَدُوا شَرِبْتَ مَا صَرَّفُوا مِنْها وَمَا قَطَبُوا[3]

وَإِنْ أَتَتْكَ كُؤُوسُ الْحَمْدِ مُتْرَعَةً لَمْ تَأْتِهِمْ نُخَبٌ مِنْهَا وَلاَ نُغَبُ[4]

شَرُفْتَ نَفْساً فَأَحْسَنْتَ الْخِيارَ لهَا فَالْمَالُ مُحْتَقَرٌ وَالْحَمْدُ مُحْتَقَبُ

وَلَسْتَ تَذْخَرُ مِمَّا أَنْتَ كَاسِبُهُ إِلاَّ كَمَا ذَخَرَتْ مِنْ مَائِهَا السُّحُبُ

لَقَدْ أَتاحَ غِيَاثُ الْمُسْلِمِينَ[5] لَهُمْ مِنْكَ الشِّفَاءَ[6] الَّذي مَا بَعْدَهُ وَصَبُ

فَدَامَ سُلْطَانُ تَاجِ الْأَصْفِيَاءِ[7] وَلاَ زَالَتْ عَنِ الْخَلْقِ مَاخَافُوا وَمَا رَغِبُوا

---

(١) الأمجاد (ع) و (م)

(٢) وإن مضت ... (ل)

(٣) صَرَفَ الشرابَ وصرّفه: لم يمزجه. وقَطَبَهُ: مزجه.

(٤) النُّخَبُ جمعُ نُخْبة: وهي الشربة العظيمة. والنُّغَب جمع نُغْبة: وهي الجرعة.

(٥) غياث المسلمين: من ألقاب الوزير اليازوري (الإشارة إلى من نال الوزارة ص٤١)

(٦) في (م) الشتاء وهو تصحيف.

(٧) تاج الأصفياء: من ألقاب الوزير اليازوري (الإشارة إلى من نال الوزارة ص٤٠)

يَدٌ لِمُعْتَرِّهَا مِنْ مَنْعِهَا حَرَمٌ (١) — كَمَا لِمُعْتَرِّهَا مِنْ بَذْلِهَا نَشَبُ

نَوَالُهَا كَهَتُونِ الْغَيْثِ مُنْتَجَعٌ — وَمَا حَمَتْ كَعَرِينِ اللَّيْثِ مُجْتَنَبُ

فَلاَ (٢) غَدَتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ رَائِعَةً — رَعِيَّةً كُشِفَتْ عَنْهَا بِكَ الْكُرَبُ

وَلاَ أَلَمَّ بِكَ الْمَكْرُوهُ فِي قَمَرٍ — زَالَتْ بِمَطْلَعِهِ عَنْ قَلْبِكَ الرِّيَبُ

أَنَّى وَأَوْبَتُهُ لِلصَّوْمِ مُوجِبَةٌ — وَوَجْهُهُ كَهِلاَلِ الْفِطْرِ مُرْتَقَبُ

وَمَا تَحَايَدْتُ عَنْ ظِلٍّ نَشَأْتُ بِهِ — وَلاَ انْقَطَعْتُ لِأَنِّي عَنْكَ مُنْجَذِبُ

بَلْ شِئْتُ (٣) إِعْلاَمَ مَنْ تَنْدَى بِمَسْأَلَةٍ — يَدَاهُ أَنَّ نَدَاكَ الْغَمْرَ يَقْتَضِبُ (٣)

جُودٌ هَرَبْتُ بِآمَالِي فَأَدْرَكَهَا — فَالْحَمْدُ لِلَّهِ (٤) إِذْ لَمْ يُنْجِنِي الْهَرَبُ

وَلَوْ أَفَضْتُ حَيَاتِي لِلثَّنَاءِ (٥) بِهِ — لَمَا نَهَضْتُ بِمِعْشَارِ الَّذِي يَجِبُ

فَكُلُّ رَبِّ جَمِيلٍ جَرَّهُ سَبَبٌ — فِدَاءُ بَادٍ بِنُعْمَى مَا لَهَا سَبَبُ

لَيْثِنِ عَنِّي صُرُوفَ الدَّهْرِ رَاغِمَةً — أَنِّي عَلِقْتُ بِحَبْلٍ لَيْسَ يَنْقَضِبُ

وَقَدْ تَحَقَّقْتُ قِدْماً (٦) أَنَّ مَأْرُبَتِي — تُقْضَى وَمَا عَضَّ فِيهَا غَارِبًا قَتَبُ

---

(١) يد لمعترها من منعها حرس كما لمعترهم من بذلها شنب ؟ (ل) كالمعترها (م)

(٢) فلا عدت نائبات الدهر أربعه ! (ل)

(٣) بل شمت . . . مقتضب (ل)

(٤) فأحمد الله . . . (ل)

(٥) في الثناء به (ل)

(٦) علماً (ل)

فَٱنْظُرْ لِمَنْ مَالَهُ فِي ٱلْحِرْصِ مُضْطَرَبٌ ... نَزَاهَةً وَلَهُ فِي ٱلْأَرْضِ مُضْطَرَبُ

لِمُصْعَبٍ يَطَّبِيهِ ٱلعِزُّ يُحْرِزُهُ ... وَٱلْخِصْمُ يُعْجِزُهُ لاَ ٱلْمَاءُ وَٱلْعُشْبُ

إِنِّي إِذَا شِئْتُ أَنْ يَرْتَاحَ ذُو كَرَمٍ ... أَدَرْتُ رَاحاً أَبُوهَا ٱلْفِكْرُ لاَ ٱلْعِنَبُ

وَلاَ ٱعْتِدَادَ بِمَا أَهْدَيْتُ (١) مِنْ مِدَحٍ ... وَإِنْ تَخَيَّرَهَا حُبِّيكَ وَٱلْأَدَبُ

إِنَّ ٱلْفَعَالَ (٢) ٱلَّذِي مَا شَابَهُ كَدَرٌ ... شَادَ ٱلْمَقَالَ ٱلَّذِي مَا شَابَهُ كَذِبُ

٧

وقال (٣) يمدح عز الملوك سابق بن محمود بن صالح (٤)

بِكَ ٱقْتَضَى ٱلدِّينُ (٥) دَيْنًا كَانَ قَدْ وَجَبَا ... وَأَنْجَزَ ٱللهُ وَعْداً كَانَ مُرْتَقَبَا

---

(١) بما أوليت (ل)

(٢) الفَعال بالفتح : اسم للفعل الحسن والكرم .

(٣) محل هذه القصيدة في (ل) مختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي : (وقال أيضاً يمدح الأمير عز الملوك سابق بن محمود ويهنيه بقتل تركمان الغُزّي ورجوع ابن العادل عن حلب) والمراد بابن العادل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان الملقب بالملك العادل الذي نازل حلب في ٣ ذي القعدة سنة ٤٧١ . وتركمان الغُزّي من أمراء خراسان كان مع عسكره حليفاً لتاج الدولة تتش كما في زبدة الحلب لابن العديم .

(٤) هو سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي آخر الأمراء المرداسيين في حلب . تولاها سنة (٤٦٨) بعد ان قتل التركمان اخاه نصراً . وفي سنة (٤٧٢) استولى مسلم بن قريش العُقيلي على حلب وحُصر سابق في قلعتها ثم استسلم وانقرضت باستسلامه دولة آبائه . توفي في حدود سنة (٤٨٠) .

(٥) الدين دين (م)

فَعَاوَدَ ٱلْجَدْبُ خِصْباً وَٱلْمُبَاحُ حِمًى ... وَٱلْأَمْنُ مُسْتَوْطِناً وَٱلْخَوْفُ مُغْتَرِبا

أَنَارَ رَأْيُكَ وَٱلْأَيَّامُ دَاجِيَةٌ ... فَأَشْرَقَتْ وَجَلَا تَأْثِيرُكَ ٱلْكُرَبا

قَرَنْتَ نُوراً وَتَأْثِيراً [1] بِمَنْزِلَةٍ ... لَا تُرْتَقَى فَتَمَنْتَ [2] ٱلسَّبْعَةَ ٱلشُّهُبا

ذُدْتَ ٱلْأُلَى قَهَرُوا ٱلْأَمْلَاكَ وَٱنْتَزَعُوا ... مَا ٱسْتَحْقَبَتْهُ بِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا حُقُبا

ضَرَاغِمٌ تَفْرِسُ [3] ٱلْأَبْطَالَ شَرَّدَهَا ... عَمَّا أَرَادَتْ هِزَبْرٌ يَفْرِسُ ٱلنُّوَبا

لَقَدْ حَمَى مُلْبِداً أَكْنَافَ غَابَتِهِ ... فَمَا تَظُنُّ بِهِ ٱلْأَعْدَاءُ لَوْ وَثَبا

جَذَّ ٱلرِّقَابَ وَمَا إِنْ سَلَّ صَارِمَهُ ... وَٱسْتَنْزَلَ ٱلْخَطْبَ مَقْهُوراً [4] وَمَا رَكِبا

وَأَمَّنَ ٱلنَّاسَ مَا خَافُوهُ مِنْ فِتَنٍ ... ضَاقَ ٱلزَّمَانُ بِأَدْنَاهَا وَإِنْ [5] رَحُبا

لَمْ تُغْنِ فِيهَا [6] عَنِ ٱلْمُثْرِينَ ثَرْوَتُهُمْ ... بَلْ ذُو ٱلْحَلِيلَةِ مِنْهُمْ يَحْسُدُ ٱلْعَزَبا

فَكَيْفَ كَشَفْتَ مَحْجُوباً حَنَادِسَهَا ... وَٱلْبَدْرُ لَا يَكْشِفُ ٱلظَّلْمَاءَ مُحْتَجِبا

وَلَوْ يَكُونُونَ أَكْفَاءً بَرَزْتَ لَهُمْ ... بُرُوزَ جَدِّكَ لَمَّا نَكَّسَ ٱلصُّلُبا

لٰكِنْ قَعَدْتَ وَأَغْرَيْتَ ٱلْخُطُوبَ بِهِمْ ... مُذَلَّلاً مِنْ صُرُوفِ ٱلدَّهْرِ مَا صَعُبا

فِي أَيِّ يَوْمِ نِزَالٍ حَارَبُوكَ فَمَا ... دَارَتْ كُؤُوسُ ٱلْمَنَايَا فِيهِمُ نُخَبا

---

(١) بتأثير (ل)

(٢) فسمقت (ل)

(٣) يفرس (ع) و (م)

(٤) مقصوراً (ع) و (م)

(٥) وما رحبا (ل)

(٦) فيهم (ل)

حَتَّى مَضى مُلْكُهُمْ يَشْكُو وَغًى بَلَغَتْ فيهِ رِضاكَ وَلَمْ [١] يَبْلُغْ بِهَا أَرَبا
شَكْوى الجَرِيحِ الَّذي أَعْيَتْ سَلامَتُهُ لاَ مِثْلَ ما يَتَشَكَّى الغَارِبُ القَتَبا
وَما نَجا تُرْكُمانٌ إِذْ نَدَبْتَ لَهُ مِنْ عَامِرٍ عُصَباً أَعْزِزْ بِهَا عُصَبا [٢]
وَلَوْ تَمَهَّلَ مُرْدِيهِ أَتَوْكَ بِهِ إِتْيَانَ جِنِّ سُلَيْمانَ بِعَرْشِ سَبا [٣]
وَافى بِلادَكَ مُغْتَرًّا بِمَالِكِهَا جَهْلاً وَحَيْناً فَلاقَى دُونَهَا العَطَبا
وَكَانَتِ التُّرْكُ بِالأَعْرابِ جاهِلَةً حَتَّى أَتَحْتَ لَهَا أَنْ تَعْرِفَ العَرَبا
لاَقَوْهُمُ بِرِماحٍ طَالَمَا انْحَطَمَتْ وَاسْتَخْلَفَتْ [٤] فِي العِدى الهِنْدِيَّةَ القُضُبا
وَما ثَنَاها وَإِنْ أَغْمادُها [٥] خَلِقَتْ صَوارِمٌ حُلِّيَتْ أَغْمادُها ذَهَبا
جَحافِلٌ قَيَّضَ اللهُ البَوارَ لَهَا مَنْ نَكَّبَ الحَقَّ في أَحْكامِهِ [٦] نُكِبا
وَلَمْ يَفُتْ مِنْهُمُ إلاّ أُغَيْلِمَةٌ نَجَتْ بِهِمْ مُقْرَباتٌ تَحْمِلُ الأُرَبا [٧]

---

(١) ولم تبلغ به أربا (ع) و (م)

(٢) تركمان : انظر الحاشية (٣) ص (٥٠) وعامر بن صعصعة جد بني كلاب قبيلة الممدوح .

(٣) عرش بلقيس ملكة سبأ وقصتها مع سليمان عليه السلام مشهورة .

(٤) واستلحقت (ع) و (م)

(٥) أعمادها (م)

(٦) أحكامها ؟ (م)

(٧) الأُرَب : جمع أُربة وهي قلادة الدابة في لغة طيء ، وأخية الدابة وذلك كقول حسان بن ثابت : « ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرَّة ولجام »
واذا قرئت (الأربا) بفتح الهمزة فمعناه الإياس كما في لسان العرب ، قال : أرب الرجل أرباً : أيس . ولكنها وردت في تاج العروس : أنس لا أيس . وتصحفت الكلمة في (ل) الى (الأدبا)

تَنْعَى إِلَىٰ ٱلْقَوْمِ مَنْ ظَنُّوا بِعَقْدَمِهِ ... وَٱلْبَغْيُ مَصْرَعُهُ أَنْ يَمْلِكُوا حَلَبا

غُرابُ بَيْنٍ صَمُوتٌ قَبْلَ مَقْتَلِهِ ... حَتّىٰ إِذا ما أَتَاهُ حَيْنُهُ[1] نَعَبا

رَجَوْا بِهِ ٱلْغَايَةَ ٱلْقُصْوَىٰ فَلاعَجَبٌ ... أَنِ ٱسْتَطارَتْ عَصاهُمْ بَعْدَهُ[2] شُعَبا

كَأَنَّ أَنْفُسَهُمْ أَتْباعُ مُهْجَتِهِ ... وَصِدْقَ إِقْدامِهِمْ مِنْ بَعْضِ ما سُلِبا

وَٱلنَّارُ تَخْبُو إِذَا ما غَابَ مُوقِدُها ... وَٱلزَّنْدُ إِنْ لَمْ يُعِنْهُ ٱلْقادِحُونَ كَبا

فَلْيُتْرَكِ[3] ٱلْبَأْسُ لِلأَوْلَىٰ بِنِسْبَتِهِ ... فَٱلْبَأْسُ لاشَكَّ كَعْبِيٌّ إِذا ٱنْتَسَبا[4]

إِنْ ضَيَّعُوا ٱلْحَزْمَ لَمَّا نازَلُوا حَلَبا ... فَقَدْ أَصابُوهُ لَمَّا أَزْمَعُوا هَرَبا

غَداةَ وَلَّوْا عَلَى جُرْدٍ تَشُدُّ بِهِمْ ... وَهُمْ يَظُنُّونَ خَوْفاً شَدَّها خَبَبا

عَنْ هَيْبَةٍ لَكَ لَمْ تُؤْمَنْ بَوائِقُها ... لَوْ أَنَّها في ٱلزُّلالِ ٱلْعَذْبِ ما شُرِبا

دُونَ ٱلْغَنِيمَةِ أَهْوالٌ تُكَدِّرُها ... وَفي ٱلْهَزِيمَةِ مَنْجاةٌ لِمَنْ هَرَبا[5]

طَوْدٌ مِنَ ٱلْعِزِّ مازالَتْ تَهُبُّ بِهِ ... رِياحُ عَزْمِكَ حَتّىٰ صَيَّرَتْهُ هَبا

سَمَوْا إِلَىٰ مُرْتَقًى صَعْبٍ فَعاقَهُمُ ... جِدٌّ رَأَوْا جِدَّهُمْ في جَنْبِهِ لَعِبا

---

(١) حتفه (ل)

(٢) بعدها (ع) و (م)

(٣) فليتركوا البأس ... (ل)

(٤) كعبي : منسوب الى كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب من أجداد الممدوح.

(٥) مكان هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

وَالنَّجْمُ (١) لَيْسَ بِمُغْنٍ نَجْمَ صَاحِبِهِ ... ما لَمْ (٢) يُؤَيِّدْهُ جِدٌّ يَخْرُقُ الْحُجُبا

جَمَاعَةٌ (٣) عَدِمَتْ دُنْيا وَآخِرَةً ... مَا كُلُّ مَنْ سَاءَ مَحْيًا سَاءَ مُنْقَلَبا

وَحَيْثُ (٤) حَلَّتْ فَما تَنْفَكُّ تَطْرُقُها ... جَيْشًا مِنَ الرُّعْبِ لَمْ تَسْمَعْ لَهُ لَجَبا

كَفَفْتَ عَنْهُمْ وَلَوْ شِئْتَ اجْتِيَاحَهُمُ ... لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُمُ رَأْسًا وَلا ذَنَبا

فَهَلْ تَعَمَّدْتَ بُقْيا أُمَّةٍ شَهِدَتْ ... ثَبَاتَ جَأْشِكَ حَتَّى تُنْذِرَ (٥) الْغَيَبا

إِنْ أَقْلَعَتْ غِيَرُ الْأَيَّامِ رَاغِمَةً ... فَبَعْدَ أَنْ أَكْثَرَتْ (٦) مِنْ صَبْرِكَ الْعَجَبا

لَمْ يَطْرُقُوا الشَّامَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَمَعُوا ... مِنَ الْعَشِيرَةِ مُخْتَارًا وَمُغْتَصِبا

مَكَايِدٌ أَوْهَمَتْهُمْ أَنْ تُكَادَ بِهَا ... كَانَتْ لِآسَادِهِمْ عِنْدَ النِّزَالِ زُبا

وَنَارُ حَرْبٍ شَوَوْا فِيها الْوَرَى زَمَنًا ... فَحِينَ قَارَعْتَهُمْ صَارُوا لَهَا حَطَبا

بِأَيِّمَا سَبَبٍ تَخْشَى سَعَادَتُهُمْ ... أَنَّى وَقَدْ (٧) ذَهَبَتْ فِي ضِمْنِ مَاذَهَبا

أَبِالسُّيُوفِ الَّتِي فَلَّلْتَ قَاطِعَهَا ... أَمْ بِالْقُلُوبِ الَّتِي أَسْكَنْتَهَا الرُّعُبا

---

(١) والجد . . . (كما في هامش ع و م)

(٢) إن لم (ل)

(٣) جمائع (ع) و (ل)

(٤) وحيث حلت فما ينفك يطردهم جيش . . . (ل)

(٥) حتى ينذر ؟ (ع) و (م) . والغَيَبُ : جمع غائب .

(٦) كثّرت (ل)

(٧) ولو ذهبت (ع) و (م)

لَوْلاَ كِلابٌ(١) لَمَا جَاسَتْ(٢) جُيُوشُهُمُ هٰذِي الْبِلادَ وَلاَ(٣) مَدُّوا بِهَا طُنُبا
رَامُوا الْمَوَدَّاتِ مِنْ أَعْدَى عُدَاتِهِمُ(٤) وَذَاكَ رَأْيٌ إِلىٰ غَيْرِ الصَّوابِ صَبا
فَقَارَعُوا(٥) عَارِضاً عَمَّتْ مَوَاطِرُهُ وَيَمَّمُوا لَمْعَ بَرْقٍ طَالَمَا كَذَبا
كَطَارِدٍ إِبْلَهُ وَالْأَرْضُ مُخْصِبَةٌ يَبْغِي سِبَاخاً يُرَجِّي عِنْدَهَا الْعُشُبا
حَتّىٰ إِذَا كَذَبَتْ فِيهِمْ ظُنُونُهُمُ فَاؤُا إِلَيْكَ بِظَنٍّ جَانَبَ الْكَذِبا
فَرَدَّ قُرْبُكَ عِزًّا كَانَ مُنْتَزَحاً عَنْهُمْ وَأَطْلَعَ نَجْماً كَانَ قَدْ غَرَبا
حَلُّوا بِهِ الذِّرْوَةَ الْعُلْيَا وَعَاضَهُمُ مِنَ النُّبُوِّ مَضَاءً وَالْوِهَادِ رُبا
وَصَادَفُوا وَلَداً بَرًّا بِكَهْلِهِمُ وَلِلْمُرَاهِقِ مِنْهُمْ وَالِداً حَدِبا(٦)
مَنْ يُجْزِلُ الْعُرْفَ إِذْ يَرْجُونَهُ رَغَباً وَيَبْذُلُ الْعَفْوَ إِذْ يَخْشَوْنَهُ رَهَبا
إِذَا وَحىٰ(٧) الْحِقْدُ وَالشَّحْنَاءُ مَا اجْتَرَمُوا مَحَا تَجَاوُزُهُ وَالصَّفْحُ مَا كَتَبا
وَإِنْ سَطَا فَالْمَنَايَا بَعْضُ أَسْهُمِهِ وَإِنْ عَفَا خِلْتَهُ لاَ يَعْرِفُ الْغَضَبا
مَنْ رَدَّ مَيْتَ الْمُنىٰ حَيًّا وَذَاوِيَهَا غَضًّا وَلاَءَمَ شَعْبَ الْمُلْكِ فَانْشَعَبا

---

(١) كلاب : انظر الحاشية رقم (٦) ص (ع)
(٢) في جميع النسخ : لما جاشت . وهو تصحيف .
(٣) فلا مدوا لها طنبا (ع) و (م)
(٤) من أعدى عدوهم (ع) و (م)
(٥) وقارعوا (ل)
(٦) هذا البيت ساقط من (ع) و (م)
(٧) وحى : كتب .

رَبُّ ٱلعَزَائِمِ لَوْ كَانَتْ مُجَسَّمَةً لَظَنَّهَا كُلُّ طَرْفٍ نَاظِرٍ شُهُبا
تَزْدَادُ إِنْ قَصَّرَ ٱلْخَطِّيُّ عَنْ غَرَضٍ طُولاً وَتَمْضِي إِذَا حَدُّ ٱلْحُسَامِ نَبا
حَلَّ ٱلسِّمَاكَ وَمَا حُلَّتْ تَمَائِمُهُ عَنْ جِيدِهِ وَحَبَا ٱلْعَافِينَ مُنْذُ حَبا
إِنْ صَالَ كَفَّ ٱللَّيَالِي عَنْ إِرَادَتِهَا قَهْراً وَإِنْ قَالَ طَالَ ٱلْأَلْسُنَ ٱلذُّرُبا
حَوَى مِنَ ٱلْفَضْلِ مَوْلُوداً بِلا تَعَبٍ أَضْعَافَ ما أَعْجَزَ ٱلطُّلاَّبَ مُكْتَسَبا
صَغَا إِلَيْهِ إِلَى أَنْ صَارَ[1] مَوْطِنَهُ فَلَوْ عَدَاهُ وَلَنْ يَعْدُوهُ ما اغْتَرَبا
وَأَظْهَرَتْ[2] غَامِضَ ٱلْمَعْنَى بَدِيهَتُهُ فَفَاتَ مَنْ أَتْعَبَ ٱلْأَفْكَارَ مُقْتَضِبا
وَرَاءَكَ ٱلْخَلْقُ فِي فَضْلٍ وَفِي كَرَمٍ فَقُلْ لِسَعْيِكَ مَهْلاً تَرْبَحِ ٱلتَّعَبا[3]
وَقِفْ لِذَا ٱلْأَمَدِ ٱلْأَقْصَى فَإِنَّكَ مَنْ حَوَى مِنَ ٱلْمَجْدِ أَضْعَافَ ٱلَّذِي طَلَبا
مَجْدٌ تَفَرَّدْتَ يا عِزَّ ٱلْمُلُوكِ بِهِ لِلْحَمْدِ مُجْتَنِياً لِلذَّمِّ مُجْتَنِبـا
إِنَّ ٱلْإِلٰهَ حَبَاكَ ٱلْمُلْكَ مَوْهِبَةً مِنْهُ وَلَنْ يَسْتَرِدَّ ٱللهُ ما وَهَبـا[4]
إِنْ عَنَّ ذِكْرُكَ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ فَدَأْبُهُمْ غَضُّ أَبْصارٍ وَفَضُّ حُبا
فَأَذْعَنَ ٱلدَّهْرُ حَتَّى ما أَتَيْتَ أَتَى وَما أَبَيْتَ وَإِنْ سِيئَتْ عِدَاكَ أَبا
إِنِّي أَنَخْتُ رِكَابِي فِي ذُرَى مَلِكٍ لَمْ يُبْقِ لِي فِي بِلادِ ٱللهِ مُضْطَرَبا

---

(١) طال ؟ (ل)
(٢) فأظهرت (ل)
(٣) النصبا (ل)
(٤) ورد هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

مَا شَابَ إِنْعَامَهُ مَنٌّ وَلا عِدَةٌ[١] تَجُرُّ مَطْلاً فَلَوْلا ٱلْبِشْرُ ما قَطَبا
طَلْقُ ٱلْمُحَيَّا إِذا ما زُرْتَ مَجْلِسَهُ حُزْتَ ٱلْعُلى وَٱلْغِنىٰ وَٱلْجاهَ وَٱلْأَدَبا
ما زالَ يَسْمَعُ أَشْعارِي وَيَمْدَحُها حَتّىٰ عَدَدْتُ عَطاياهُ ٱلْجِسامَ رِبا
لاَ أَسْتَزِيدُكَ نُعْمى بَعْدَ وَصْفِكَ لِي حَسْبِي ٱنْتِهائِي إِلىٰ هٰذا ٱلْمَدىٰ حَسَبا
بَرَّحْتَ[٢] فَضْلاً وَإِفْضالاً فَلا بَرِحَتْ تَزِينُ أَوْصافُكَ ٱلْأَشْعارَ وَٱلْخُطَبا
فَخْرُ ٱلْمَدائِحِ أَنْ تُهْدَى إِلَيْكَ كَما فَخْرُ ٱلْفَضائِلِ أَنْ تُدْعىٰ لَهُنَّ أَبا

٨

وقال[٣] يمدح أمير الجيوش الدِّزْبِري[٤]

هَلْ لِلْخَلِيطِ ٱلْمُسْتَقِلِّ إِيَابُ أَمْ هَلْ لِأَيَّامٍ مَضَتْ أَعْقابُ[٥]

---

(١) ولا كدر يجر مطلا ... (ل)
(٢) كذا في جميع النسخ ولعله أبرحت يقال أبرحت كرماً إذا جئت بأمر مفرط.. وفي مختارات البارودي (برعت) ٢/٤٠٥ .
(٣) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يأتي : (وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري رحمه الله ويذكر فتحه للأقحوانة)
(٤) انظر ترجمته في الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٥) ورد في النجوم الزاهرة ٤/٢٥٢ ما خلاصته : « في سنة ٤٢٠ خرج على الظاهر بالبلاد الشامية صالح بن مرداس الكلابي وحسّان بن المفرِّج الطائي وجمعا الجموع واستوليا على الأعمال وانتهيا إلى غزة ، فجهز الظاهر لحربهما أنوشتكين الدزبري ، فقتل صالح وانهزم حسان . ومدح ابن حيوس بسبب هذه الواقعة الدزبري بأبيات أولها : هل للخليط المستقل إيابُ ... »

سَرَتِ النَّوائِبُ عَنْكَ رَوْنَقَ مَنْ سَرَى وَاسْتَحْقَبَتْ لَذَّاتِكَ الأَحْقَابُ
مابَالُ طَيْفِ المَالِكِيَّةِ مُعْرِضاً ولَقَدْ عَهِدْنا طَيْفَهَا يَنْتَابُ
أَلِرِقْبَةِ الوَاشِينَ أَوْجَسَ رِيبةً فَارْتَاعَ أَمْ بِوِدَادِنَا يَرْتَابُ
يَا مَيُّ هَلْ لِدُنُوِّ دَارِكِ رَجْعَةٌ أَمْ لِلْعِتَابِ لَدَيْكُمُ إِعْتَابُ
لاَ أَرْتَجِي يَوْماً سُلُوّاً عَنْكُمُ هَيْهَاتَ سُدَّتْ دُونَهُ الأَبْوَابُ
أَوْصَابُ جِسْمِي مِنْ جِنَايَةِ بُعْدِكُمْ وَالصَّبْرُ صَبْرٌ بَعْدَكُمْ أَوْ صَابُ
دَامَتْ سَحَابَةُ تَحْتَ ظِلِّ سَحَابَةٍ وَجَرَى عَلَى دَارِ الرَّبَابِ رَبَابُ (١)
وَسَقَى بِقَاعَ الجُونِ جَوْنٌ مُرْزِمٌ مَا لِلذِّهَابِ الغُمْرِ عَنْهُ ذَهَابُ (٢)
فَلَقَدْ عَهِدْتُ بِهَا مَعَاهِدَ لِلصِّبَا مَأْهُولَةً تَحْتَلُّهَا الأَحْبَابُ
وَأَمَا وَمَا عَهِدُوا إِلَيْنَا إِنَّهُ عَهْدٌ يُحَقُّ لِحَقِّهِ الإِيجَابُ (٣)
لاَ خَامَرَ السُّلْوَانُ قَلْبَ مُتَيَّمٍ هَاجَتْ لَهُ فِي إِثْرِهِمْ أَطْرَابُ
كَاسٍ مِنَ الأَسْقَامِ جُرِّعَ لِلنَّوَى كَأْساً لَهَا رِيقُ الحُبَابِ حَبَابُ (٤)

---

(١) لعل سحابة الأولى علم لامرأة أو مكان . الرَّباب الأولى : من أسمائهن . والثانية السحاب الأبيض .

(٢) المراد بالجَون السحاب الأسود . والمرزم : الشديد الصوت : والذِهاب : الأمطار الغزار .

(٣) هذا البيت ساقط من (ل)

(٤) الحُباب : الحية . والحَباب نُفّاخات تعلو الماء .

وَتَعَاوَرَتْهُ نَوَائِبٌ بِنُيُوبِهَا ... إِنْ كُلَّ نَابٍ نَابَ عَنْهُ نَابُ

جَابَ الْفَيَافِي الْمُؤْيِدَاتِ وَآلُهُ ... آلٌ تَمَكَّنَ (١) فِيهِ قَلْبٌ جَابُ

قَصَرَ الزَّمَانُ يَدِي وَطَالَتْ هِمَّتِي ... فَالْعَزْمُ لِي دُونَ الرِّكَابِ رِكَابُ

لَمْ أُكْثِرِ الْإِضْرَابَ عَنْ تَرْكِ الْعُلَى ... إِلَّا لِيَقْعُدَ دُونِيَ الْأَضْرَابُ

لَا أَيْأَسُ الْإِتْرَابَ مُذْ (٢) نَطَقَتْ بِهِ ... عِنْدَ الْمُظَفَّرِ أَنْعُمٌ أَتْرَابُ

مَلِكٌ إِذَا مَا الْجَوْدُ غَبَّ هُمُولُهُ ... فَلَدَيْهِ جُودٌ مَالَهُ إِغْبَابُ

سَهُلَتْ خَلَائِقُهُ لِبَاغِي نَيْلِهِ ... لَكِنَّهُنَّ عَلَى الْعَدُوِّ صِعَابُ

تُمْضَى الْوَسَائِلُ فِي ذَرَاهُ لِطَالِبِ الْـ ... ـجَدْوَى وَتُقْضَى عِنْدَهُ الْآرَابُ

بِشْرٌ يُبَشِّرُ مَنْ يَرُومُ نَوَالَهُ ... وَالْبِشْرُ مِنْ قَبْلِ الثَّوَابِ ثَوَابُ

تُرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيُضْحِي (٣) خَوْفُهُ ... وَلَهُ بِأَلْبَابِ الْوَرَى (٤) إِلْبَابُ (٥)

مُتَبَايِنُ الْأَوْصَافِ أَمَّا عِرْضُهُ ... فَحِمًى وَأَمَّا مَالُهُ فَنِهَابُ

غَدَتِ الْأَمَانِي وَالْمَنُونُ بِكَفِّهِ ... فَالْأَرْيُ (٦) فِيهَا بِالسِّمَامِ يُشَابُ

---

(١) تكمن (ل) . الفيافي المؤيدات أي ذوات الدواهي . وآلُهُ : أي شخصه . آلٌ : أي ضامر . وقلب جاب : أي جاف غليظ .

(٢) قد نطقت به (ل)

(٣) ويخشى . هامش (ع) و (م)

(٤) العدى (ل)

(٥) ألبَّ بالمكان إلباباً : أقام به .

(٦) والأري (ل)

يُقْنِي وَيُفْنِي وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ... هٰـذا جَنىً عَذْبٌ وَذَاكَ عَذَابُ

وَإِذا يُهابُ الْخَطْبُ عِنْدَ حُلُولِهِ ... فَبِهِ لِدَفْعِ النَّائِباتِ يُهابُ[1]

سَالٍ عَنِ الْبِيضِ الْحِسانِ فَما لَهُ ... إِلاَّ هَوى الْبِيضِ الْقَواضِبِ[2] دَابُ

لَيْثٌ[3] أَظَافِرُهُ الْأَسِنَّةُ وَالْقَنا ... عِرِّيسُهُ وَلَهُ الظُّبىٰ أَنْيابُ

إِنْ بانَ بانَ الْمَوْتُ فِي نَظَراتِهِ[4] ... أَوْ غابَ فَالسُّمْرُ الشَّواجِرُ غابُ

خِرْقٌ إِذا كَتَبَتْ إِلَيْهِ كَتِيبَةٌ ... مَرَقَتْ فَلَيسَ سِوىٰ السُّيُوفِ جَوابُ

وَإِذا حَمىٰ الْأَصْحابُ نَفْسَ مُمَلَّكٍ ... فَبِسَيْفِهِ[5] يَسْتَعْصِمُ الْأَصْحابُ

بِفَتىٰ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفِهِ ... عَمِرَتْ بِلادُ اللهِ وَهْيَ خَرابُ

نَزَلَتْ كِلَابٌ بِالْجِنابِ وَأَتْهَمَتْ ... طَيٌّ وَعَزَّتْ فِي ذَراهُ جَنابُ[6]

وَلِمُصْطَفىٰ الْمُلْكِ اعْتِزامُ[7] الْمُصْطَفىٰ ... لَمَّا أَحاطَ بِيَثْرِبَ[8] الْأَحْزابُ

(١) يُهاب الأولى : من الهيبة أي الخشية . ويُهاب الثانيـة : من أهاب به إهابة أي دعاه .

(٢) في هامش (ع) و (م) القواطر . وفي (ل) الـكواطع محرفة عن القواطع .

(٣) ليث ولـكنَّ القنا يوم الوغى ... (ل)

(٤) نظرائه (ل)

(٥) فبيأسه ... (ل)

(٦) كلاب وطيء وجناب : قبائل عربية .

(٧) اغترام (م)

(٨) يثرب : المدينة المنورة . ويوم الأحزاب : هو غزوة الخندق .

فَتْحانِ يَوْمَ ٱلْأَرْبَعاءِ كِلاهُما ... لِلْكُفْرِ عَنْ حَرَمِ ٱلْهُدى إِذْهابُ

يَوْمانِ لِلْإِسْلامِ عَزَّ لَدَيْهِما ... دِينُ ٱلْإِلَـهِ وَذَلَّتِ ٱلْأَعْرابُ

ذا لِلنَّبِيِّ وَذا لِمُنْتَجَبِ ٱبْنِهِ ... رَدّا مَشِيبَ ٱلْحَقِّ وَهْوَ شَبابُ

وَصَلَتْ عِداتُكَ لِلْإِمامِ بِصِدْقِها ... فَتَقَطَّعَتْ بِعُداتِكَ ٱلْأَسْبابُ

وَدَعاكَ عُدَّتَهُ فَكُنْتَ ذَخِيرَةً ... يُنْفى بِها ضَيْمٌ وَيُدْفَعُ[1] عابُ

أَلْهَيْتَ عَنْ يَوْمِ ٱلْكُلابِ[2] بِوَقْعَةٍ ... شَقِيَتْ بِها عِنْدَ ٱللِّقاءِ كِلابُ

وَرَمَوْا بِداهِيَةٍ لِبَكْرٍ عِنْدَها ... بَكْرُ ٱلْخُطُوبِ وَلِلضِّبابِ ضِبابُ[3]

طَلَبُوا ٱلْعِقابَ لِيَسْلَمُوا بِنُفُوسِهِمْ ... فَٱبْتَزَّهُمْ دُونَ ٱلْعِقابِ عُقابُ

وَٱسْتَشْعَرُوا نَصْراً فَكانَ عَلَيْهِمُ ... وَتَقَطَّعَتْ دُونَ ٱلْمُرادِ رِقابُ

كانُوا حَدِيداً في ٱلْوَغى لٰكِنَّهُمْ ... لَمّا ٱصْطَلَوْا[4] نارَ ٱلْمُظَفَّرِ ذابُوا

نارٌ تُنِيرُ لِطارِقِيهِ عَلَى ٱلنَّدى[5] ... وَشَرارُها عِنْدَ ٱلْحُرُوبِ حِرابُ

لَمْ يَبْلُغِ ٱلْآرابَ فِيكَ مَعاشِرٌ ... أَجْسامُهُمْ غِبَّ ٱلْوَغى آرابُ[6]

---

(١) في (ل) ويُقذع . محرفة عن ويُقدَع أي ويُدفَع .

(٢) يوم الكُلاب من أيام العرب المشهورة كان بين ملوك كندة وبني تميم.

(٣) بَكر والضِّباب : قبيلتان عربيتان . وضِباب الثانية : الأحقاد .

(٤) لما رأوا ... (ل)

(٥) على السرى (ل)

(٦) آراب الأولى : جمع أرَب أي الحاجة . والثانية : أعضاء أي صارت أجسامهم أشلاءً .

فَلُحُومُهُمْ لِلْحَائِمَاتِ مَطَـاعِمٌ وَدِمَاؤُهُمْ لِلْمُرْهَفَـاتِ شَرَابُ
وَحُمَاتُهُمْ قَتْلَى وَجُلُّ مَتَاعِهِمْ نَهْبٌ وَكُلُّ سِلاحِهِمْ أَسْلَابُ
فِي مَأْزِقٍ تُجْرِي الْقَنَا فِيهِ قِنًى حُمْراً (١) لَهَا مُهَجُ الْكُمَاةِ عِذَابُ (٢)
كَاللَّيْلِ لاَ بَرْقُ الأَسِنَّةِ خُلَّبٌ فِيهِ وَلاَ لَمْعُ النُّصُولِ سَرَابُ
وَتَمَاطَرَتْ خَيْلُ اللِّقَاءِ كَأَنَّهَا غَيْثٌ تَصَوَّبَ وَالْقَتَامُ سَحَابُ
لَمْ يَبْدُ لِلأَعْدَاءِ إِلاَّ عَسْكَرٌ أَوْ عِثْيَرٌ عَنْ (٣) عَسْكَرٍ مُنْجَابُ
أَرْدَتْ سُيُوفُكَ صَالِحاً (٤) فَأَقَامَ فِي دَارِ الْبِلَى وَحَدِيثُهُ جَوَّابُ (٥)
لَمْ تَحْمِهِ الأَصْحَابُ حِينَ اقْتَدَتْهُ (٦) وَلَهُ إِلَى حَوْضِ (٧) الرَّدَى إِصْحَابُ
غَادَرْتَ بِالزُّرْقِ الرِّهَافِ إِهَابَهُ وَعَلَيْهِ مِنْ قَانِي النَّجِيعِ إِهَابُ

---

(١) حمر (ع) و (م)

(٢) العِذاب : جمع عذْبة أي الطحلب . وفي (ل) عُباب . وفي مختارات البارودي (حباب) .

(٣) في عسكر (ل)

(٤) هو أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي أول ملوك بني مرداس بحلب ، تملكها سنة ٤١٤ فجهز اليه الظاهر الفاطمي سنة ٤١٩ أنوشتكين الدزبري في عسكر كثيف ، فلما سمع الخبر خرج اليه وتقدم حتى تلاقيا على الأُقحوانة بالقرب من طبرية وانجلت الوقعة عن قتل صالح المذكور سنة عشرين وقيل تسع عشرة واربعماية (ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٦) ،

(٥) خوّاب ؟ (ل)

(٦) أفدته (ع) و (م)

(٧) خوض (ل)

فَبَلَغْتَ أَمْراً لَوْ سِوَاكَ يَرُومُهُ ... لَثَنَاهُ طَعْنٌ دُونَهُ وَضِرَابُ
وَأَبَى الْمُهَنَّدُ أَنْ يُفَلَّلَ حَدُّهُ ... وَاللَّيْثُ أَنْ تَعْدُو عَلَيْهِ ذِئَابُ
صَفَحَتْ صِفَاحُكَ عَنْ أُنَاسٍ أَيْقَنُوا ... أَنَّ الْهَزِيمَةَ مِنْ سُطَاكَ صَوَابُ
فَمَضَتْ لِطِيَّتِهَا قَبَائِلُ طَيِّءٍ (١) ... فَرَقًا وَحَشْوُ صُدُورِهِمْ إِرْهَابُ
وَاسْتَنْفَقَ الرَّكْضُ الْجِيَادَ فَخَيْلُهُمْ ... مَهْرِيَّةٌ وَسُرُوجُهُمْ أَقْتَابُ
وَانْقَادَ بَعْضُ الْمَارِقِينَ إِلَى الْهُدَى ... بَعْدَ الضَّلَالِ (٢) فَطِبْتَ لَمَّا طَابُوا
حَقَّقْتَ ظَنَّهُمُ الْجَمِيلَ وَزِدْتَهُمْ ... أَضْعَافَ مَا أَمَّلُوهُ حِينَ أَنَابُوا
هٰذِي الْمَفَاخِرُ لَا مَفَاخِرُ تُدَّعَى ... مَيْنًا (٣). وَيَحْجُزُ دُونَهَا أَسْبَابُ
مَنْ مُبْلِغُ الْأَتْرَاكِ أَنَّ أَمِيرَهُمْ ... بِفَعَالِهِ تَتَجَمَّلُ الْأَنْسَابُ
وَالْمَرْءُ مَنْ كَسَبَ الْعُلَى لَمْ تَرْفَعِ الْـ ... أَنْسَابُ مَنْ لَمْ تَرْفَعِ الْأَحْسَابُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي هَانَتْ بِهِ ... نُوَبُ الزَّمَانِ وَعَزَّتِ الْآدَابُ
أَدْعُوكَ لِلْخَطْبِ الْمُبَرِّحِ عَالِمًا ... أَنَّ النِّدَاءَ إِلَى نَدَاكَ (٤) يُجَابُ

(١) كان حسّان بن المفرّج بن الجرّاح الطائي أمير طيء محالفاً لصالح بن مرداس وكان هو وقبيلته مع صالح في وقعة الأقحوانة (ابن القلانسي ص ٧٣)
(٢) الظلال (ل)
(٣) في (ع) و (م) مبنا وهو تصحيف . وفي (ل) قولاً وتحجز . . .
(٤) لدى نداك مجاب (ل)

فِي حَيْثُ تَحْجُبُنِي عُلاكَ مِنَ الرَّدَى (١) كَرَماً وَما دُونَ الثَّراءِ حِجابُ
اِمْنَحْ مَقالِي سَمْعَ مِثْلِكَ إِنَّهُ شَرَفِي فَأَنْتَ الْمَانِحُ الْوَهَّابُ
وَاسْعَدْ بِتَشْرِيفِ الْإِمامِ فَإِنَّ أَدْ نَاهُ إِلَى أَعْلَى الْمَراتِبِ بَابُ
خِلَعٌ لَبِسْتَ بِهَا الْمَفاخِرَ وَاكْتَسَتْ بِكَ فَوْقَ ما أَلْبَسْنَكَ الْأَثْوابُ
وَسَوابِقٌ حُمِّلْنَ مِنْكَ يَلَمْلَماً (٢) عَجَباً لِطِرْفٍ تَمْتَطِيهِ هِضابُ
وَجَواهِرٌ غَمَرَ النُّضارَ شُعاعُها فَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوارِها جِلْبابُ
عَنَّا عَلَى الْإِطْنابِ وَصْفُ مَناقِبٍ لِخِيامِها فَوْقَ السُّهَى أَطْنابُ
حَسُنَتْ أَحادِيثُ الْأَمِيرِ فَحَسَّنَتْ مَا أَلَّفَ الشُّعَراءُ وَالْكُتَّابُ (٣)
فَوْقَ الْمَنابِرِ نَثْرُها وَبِنَظْمِها يَتَعَلَّلُ السَّارُونَ وَالشُّرَّابُ
وَمِنَ الثَّنا عَرَضٌ وَمِنْهُ جَواهِرٌ وَمِنَ الْجَواهِرِ جامِدٌ وَمُذابُ
رَوَّيْتَ تُرْبَ الْمَجْدِ تُرْبَ مَدائِحٍ (٤) لِسُهُولِهَا وَوُعُورِها إِعْشابُ
وَالْأَرْضُ تُجْدِبُ حِينَ يَهْجُرُها الْحَيا وَيُصابُ فِيها الْخِصْبُ حِينَ تُصابُ (٥)

(١) عن الردى (ل)
(٢) يَلَمْلَم : جبل على مرحلتين من مكة .
(٣) والخُطّاب (ل)
(٤) مدائحي فسهولها ووعورها أتراب (ل)
(٥) تُصابُ : تُمطر . وفي (ل) حين يُصاب .

٩

وقال (١) يمدحه (٢)

حَمَى ٱلنَّوْمَ أَجْفَانَ صَبٍّ وَصِبْ غُرابٌ عَلَى غُصُنٍ مِنْ غَرَبْ
وَأَغْرَى ٱلْفُؤَادَ بِأَشْواقِهِ وَقَدْ كَانَ أُعْتِبَ لَمَّا عَتَبْ
فَلَوْ(٣) كانَ يَدْرِي غُرَابُ ٱلنَّوَى بِمَا جَرَّ تَنْعابُهُ مَا نَعَبْ
لَذَكَّرَنَا يَوْمَ زَمُّوا ٱلْجِمَالَ وَأَبْدَى لَنَا ٱلْبَيْنُ سِرَّ ٱلْحُجُبْ
فَخِلْنَا شُمُوسَ (٤) وَجَارَاتِهَا شُمُوساً سَحَايِبُهُنَّ ٱلنُّقُبْ
عَقَدْنَ لِواءً غَداةَ ٱللِّوَى عَلَى سِرْبِ عِينٍ يَصِدْنَ ٱلسُّرَبْ (٥)
نَوَافِرُ تَأْلَفُهُنَّ ٱلْقُلُوبُ فَيَتْرُكْنَهَا نُصْبَ عَيْنِ ٱلنَّصَبْ
خَلِيلَيَّ (٦) عُوجَا نُحَيِّ ٱلدِّيَارَ وَنَنْدُبُ أَوْقَاتَنَا بِٱللَّبَبْ (٧)

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال ايضاً يمدحه رحمه الله تعالى وأنشده إياها بطبرية في عيد النحر سنة عشرين واربعاية »

(٢) في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٤ ما خلاصته : « أن ابن حيوس مدح أنوشتكين الدِّزْبري بهذه القصيدة بعد أن هزم جموع العرب بالأُقحوانة قرب طبرية وقتل صالح بن مرداس الكلابي وانهزم حسان بن المفرّج الطائي سنة ٤٢٠ » .

(٣) ولو كان (ل)

(٤) فخلنا شموساً (ل)

(٥) السِّرْب : القطيع من الظباء والنساء . والسُّرَب : جمع سُرْبة قياساً وهي هنا جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

(٦) هذا البيت والذي يليه ساقطان من (ل)

(٧) اللَّبَبُ : ما استرقّ من الرمل .

وَنَسْأَلُ عَمَّنْ طَوَاهُ ٱلرَّسِيمُ (١) رُسُومَ ٱلدِّيَارِ وَإِنْ لَمْ تُجِبْ
وَلَمْ أَنسَ قَوْلَ ٱبْنَةِ ٱلْمَالِكِيِّ لِسَلْمَى وَأَدْمُعُهَا تَنْسَكِبْ
أَيَا أُخْتِ مَا بَالُ ذَا ٱلْأَعْصُرِيِّ (٢) سَلاَ حِينَ بَلَّغْتِهِ (٣) مَا طَلَبْ
عَهِدْنَاهُ يَرْغَبُ فِي ٱلزَّاهِدِينَ مَتَى صَارَ يَزْهَدُ فِيمَنْ رَغِبْ
تَجَنَّبَنِي وَهْوَ يَشْكُو ٱلْهَوَى عَذِيرِي مِنَ ٱلْعَاشِقِ ٱلْمُجْتَنِبْ
وَكَمْ لَيْلَةٍ نَامَ عَنِّي ٱلرَّقِيبُ وَنَبَّهَنِي ٱلْقَمَرُ ٱلْمُرْتَقِبْ
جَمَعْتُ (٤) بِهَا بَيْنَ مَاءِ ٱلسَّحَابِ وَمَاءِ ٱلرُّضَابِ وَمَاءِ ٱلْعِنَبْ
وَقَدْ (٥) جَلَّلَ ٱلْأَرْضَ غَيْمُ ٱلْقِطَارِ وَجَادَ ٱلثَّرَى عَارِضٌ مُنْسَكِبْ
كَجُودِ ٱلْمُظَفَّرِ سَيْفِ ٱلْإِمَامِ وَعُدَّتِهِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُنْتَجَبْ
مَقَرُّ ٱلْمَعَالِي وَعِزُّ ٱلْهُدَى وَكَنْزُ ٱلْأَمَانِي وَتَاجُ ٱلْحَسَبْ
هُمَامٌ غَدَا عِرْضُهُ فِي حِمًى وَلٰكِنَّ أَعْرَاضَهُ تُنْتَهَبْ (٦)

---

(١) الرسيم : سير فوق الذميل .

(٢) يريد بالأعْصُري نفسه لأن ابن حيوس غنوي ، وغني أبو القبيلة هو ابن أعْصُر بن سعد . (الاشتقاق لابن دريد ص ١٦٤) .

(٣) بلّغنه (م)

(٤) جمعت بها بين ماء الرضاب وماء السحاب وماء العنب (ل)

(٥) وقد ظلل . . . (ل)

(٦) ينتهب (ل)

فَمِنْ جَامِلٍ (١) مَرَّ صَوْبَ ٱلْجَمِيلِ وَمِنْ ذَهَبٍ فِي ٱلْعَطَايَا ذَهَبْ
يُبِيحُ ٱلتِّلاَدَ فَعَالَ ٱمْرِىءٍ يَرَى ٱلْحَمْدَ أَنْفَسَ مَا يُكْتَسَبْ
وَيَأْبَى ٱلْغِنَاءَ وَلٰكِنَّهُ لِوَقْعِ ٱلسُّيُوفِ كَثِيرُ ٱلطَّرَبْ
إِذَا مَا بَغَى حَرْبَ أَعْدَائِهِ فَأَيْقِنْ لَهُمْ عَاجِلاً بِٱلْحَرَبْ
وَقُلْ لِمُيَمِّمِ (٢) مَعْرُوفِهِ تَنَاوَلْتَ مَا تَبْتَغِي مِنْ كَثَبْ
بِشَيْمِكَ رَبَّ نَدًى لَمْ يُشَبْ (٣) بِمَنٍّ وَتِرْبَ عُلًى لَمْ تَشِبْ (٤)
سَيَكْفِيكَ بِٱلْبِشْرِ ذُلَّ ٱلسُّؤَالِ وَيَسْأَلُكَ ٱلْجَلْبَ فِيمَا جَلَبْ (٥)
مَعَالٍ يُحَسِّنُ (٦) نَظْمَ ٱلْقَرِيضِ ثَنَاهَا وَيَرْفَعُ نَثْرَ ٱلْخُطَبْ
وَبَأْسٌ كَبَا عَامِرٌ دُونَهُ وَقَصَّرَ عَنْهُ ٱبْنُ مَعْدِي كَرِبْ (٧)
أَرَى دَوْلَةَ ٱلْحَقِّ أَضْحَتْ رَحًى تَدُورُ بِسَعْدٍ وَأَنْتَ ٱلْقُطُبْ

---

(١) الجامل : القطيع من الإبل مع رعاته وأربابه . وفي (ع) و (م) فمن حامل...
(٢) وقل للميمم معروفه (ل)
(٣) لم تُشَبْ (ع) و (م)
(٤) لم يَشِبْ (ل)
(٥) وهل يسأل الحلب فيما جلب (ل)
(٦) تحسِّن (ل)
(٧) عامر : هو عامر بن الطُفيل العامري فارس قومه وأحد فتَّاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية . وابن معدي كرب : هو عمرو بن معدي كرب الزُّبَيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة وأخبار شجاعته كثيرة . « الأعلام »

وَمَا قَارَنَ الْعِزَّ مَلْكٌ ثَنَى قَرُونَتَهُ[1] عَنْ طَرِيقِ الْعَطَبْ
لَقَدْ سَلَّ مِنْكَ إِمَامُ الْهُدَى حُسَامًا يَقُدُّ إِذَا مَا ضَرَبْ
قَصَمْتَ[2] الْعِدَى بَعْدَمَا اسْتَحْوَذُوا عَلَى الشَّامِ[3] وَاسْتَمْلَكُوهُ[4] حِقَبْ
أَزَرْتَ شَعُوبَ شُعُوبًا طَغَتْ وَفَرَّقْتَ[5] شَمْلَهُمُ الْمُنْشَعِبْ
وَلَمَّا بَغَوْا غَالَهُمْ بَغْيُهُمْ وَمَنْ غَالَبَ الْحَقَّ جَهْلاً غُلِبْ
فَظَنُّوا قَلِيبَ الرَّدَى مَنْهَلاً قَرَاحًا وَجِدَّ الْمَنَايَا لَعِبْ
فَحِينَ أَتَوْكَ يَجُرُّونَهَا كَتَائِبَ مِثْلَ سُطُورِ الْكُتُبْ
بَرَزْتَ لَهَا فَمَضَتْ كَالنَّعَامِ ثَنَاهَا الْغَضَنْفَرُ لَمَّا وَثَبْ

---

(١) القَرُونة : النفس . والبيت ساقط من (ل)

(٢) قسمت (ع) و (م)

(٣) لما قُتل الحاكم بأمر الله سنة (٤١١) وولي ابنه الظاهر انتقض الشام على الفاطميين ، فاجتمع حسّان بن المفرّج أمير بني طيء وصالح بن مرداس أمير بنى كلاب وسنان بن عليان أمير بني كلب وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسان ، وتكون دمشق لسنان ، فاستولى صالح على حلب سنة (٤١٤) ، واستولى حسان على الرملة سنة (٤١٥) ، وحاصر سنان مدينة دمشق سنة (٤١٦) ومات سنان سنة (٤١٩) . وفي سنة (٤٢٠) جرت وقعة الأقحوانة بين أنوشتكين الدزبري وبين حسان وصالح وانجلت عن مقتل صالح وانهزام حسان .

« ابن الأثير ٩/٧٩ »

(٤) واستحقبوه (ل)

(٥) ففرقت (ل)

وَقَدْ كَانَ (١) نَجْمُهُمُ طَالِعـاً ... فَلَمَّا طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ غَرَبْ

قَتَلْتَ حُمَاةَ الْوَغى مِنْهُمُ ... وَعَفَّتْ سُيُوفُكَ عَمَّنْ هَرَبْ

تَرَكْتَهُمُ يَحْمَدُونَ الْفِرَارَ ... وَلَوْ طَلَبُوا لَمْ يَفُتْكَ الطَّلَبْ

وَلا مَهْرَبٌ مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ ... وَأَنَّى مِنَ الْمَوْتِ يُنْجِي الْهَرَبْ

وَلَوْ شِئْتَ مَا مُدَّ لِلْمَـارِقِينَ ... وَأَشْيَاعِهِمْ دُونَ قَافٍ (٢) طُنُبْ

وَلَوْ رُمْتَهُمْ لَمْ يَعِزُّوا عَلَيْكَ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي مُتُونِ السُّحُبْ

وَقَدْ سَكَنَتْ رِيحُهُمْ مِنْ سُطَاكَ ... وَإِنْ لَمْ تَهَبْ جُرْمَهُمْ لَمْ تَهُبّْ (٣)

فَصَمْتَ عُرَى الْإِفْكِ (٤) فِي وَقْعَةٍ ... أَزَالَتْ عَنِ الْمُسْتَرِيبِ الرِّيَبْ

وَرَوَّتْ ظُبَى الْهِنْدِ بَعْدَ الظَّمَا ... وَأَشْبَعَتِ الْوَحْشَ بَعْدَ السَّغَبْ

وَقَدْ بَيَّضَ النَّقْعُ حُمْرَ الْجِيَادِ ... وَقَدْ حَمَّرَ الطَّعْنُ بِيضَ الْعَذَبْ

جَعَلْتَ هُنَاكَ لِبِيضِ السُّيُوفِ ... إِلَى بَذْلِ كُلِّ مَنِيعٍ سَبَبْ

فَكَمْ هَامَةٍ لَمْ يَصُنْهَا التَّرِيكُ ... وَكَمْ جَسَدٍ مَا حَمَاهُ الْيَلَبْ (٥)

---

(١) وقد كان يجمعهم صالحٌ ... (ل)

(٢) جبل قاف : جبل يزعمون أنه محيط بالأرض وأن الشمس تغرب فيه وتطلع منه وأن ما وراءه معدود من الآخرة . « معجم البلدان »

(٣) ... من يَهَبْ (ل)

(٤) الشرك (ع) و (م)

(٥) التريكة : بيضة الحديد . واليَلَب : الدروع .

عَزائِمُ تُظْلِمُ صُبْحَ ٱلعِدٰى عَلَى أَنَّهـا في ٱلدَّياجِي شُهُبْ
تَظَلُّ قَذىً في عُيُونِ ٱلخُطُوبِ وَتُمْسِي شَجاً في حُلُوقِ النُّوَبْ(١)
قَوَاطِعُ تُورِدُ أُسْدَ ٱلعَرِينِ رَداهَا وَتَثْنِي(٢) ٱلخَمِيسَ ٱللَّجِبْ
لَهَا مَنْفَذٌ حَيْثُ تُثْنىٰ ٱلرِّمَاحُ وَمُنْخَرَقٌ حَيْثُ تَنْبُو ٱلقُضُبْ
لَقَدْ قُمْتَ في صَرْفِ صَرْفِ ٱلخُطُوبِ(٣) قِيَامَ ٱلمَلِيِّ بِكَشْفِ ٱلكُرَبْ
فَلَوْلاكَ مَا صَارَتِ ٱلحَادِثَاتُ حَدِيثاً وَفُلَّتْ نُيُوبُ ٱلنُّوَبْ
فَلِلّٰهِ ذَبُّكَ عَنْ دِينِهِ مُشِيحاً وَسَعْيُكَ فِيمَا أَحَبّْ
ذَرَاكَ أَمِيرَ ٱلجُيُوشِ ٱنْتَحَتْ مُنىً إِنْ تَرِمْ عَنْهُ يَوْماً تَخِبْ(٤)
وَغُرٌّ قَوافٍ قَوَافٍ لَهَاكَ(٥) إِلَيْكَ وَقَائِلُهـا تَنْتَسِبْ
أَجَبْتَ نِدَائِي بِبَذْلِ ٱلنَّدٰى فَأَصْبَحَ لِي نَسَبٌ(٦) في ٱلنَّشَبْ
وَقَرَّبْتَ مِنْ مَطْلَبِي مَا نَأىٰ وَأَنْأَيْتَ مِنْ عَدَمِي مَا قَرُبْ
وَجَادَ(٧) نَوَالُكَ تُرْبَ ٱلثَّنَا وَحَيْثُ ٱلغَمامُ يَكُونُ ٱلعُشُبْ

---

(١) العرب (ل)
(٢) وتُردي (ل)
(٣) الردى (ل)
(٤) مُنىً إنْ تَرِمْ عنك زيغاً تخب (ل)
(٥) .. قوافٍ لها ... (ل) .. قوافٍ إليك ... (م)
(٦) فأصبح بي (ل)
(٧) وحاك نوالك ثوب الثنا (ع) وحاز نوالك ثوب الثنا (ل)

أَلاَ أَيُّهـا الْمَلِكُ الْمُبْتَني مَحلاً مِنَ الْمَجْدِ فَوْقَ السُّحُبْ[1]
لِيَهْنِكَ عِيدٌ إِذا ما حَضَرْتَ زَمَاناً سِوَى وَقْتِهِ لَمْ يَغِبْ
جَعلْتَ لَهُ رُتْبَـةً في الْفَخَارِ تَطُولُ الْفَخارَ وَتَعْلُو الرُّتَبْ
وَأَلْبَسْتَهُ حُلَلاً أَصْبَحَتْ عَلَى الشُّهْبِ أَذْيالُها تَنْسَحِبْ
أَقَرَّ جَدَاكَ عُيُونَ الْمُنَىٰ وَأَحْيَا ٱرْتِياحُكَ مَيْتَ الْأَدَبْ
فَلاَ أَيْتَمَ اللّٰهُ مِنْكَ الْعُلَى فَأَنْتَ لَها الْيَوْمَ أُمٌّ وَأَبْ

١٠

وقال [2] يمدحه ويهنيه بعيد الفطر وفتح حلب [3]

سَلِ الْمَقادِيرَ مَا أَحْبَبْتَهُ تُجِبِ فَما لَهَـا غَيْرُ مَا تَهْوَاهُ مِنْ أَرَبِ

(١) فوق الشهب (ل)
(٢) وردت هذه القصيدة في (ل) فاتحة قصائد حرف الباء وعنوانها هناك هكذا : « قال يمدح أمير الجيوش المظفر مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري ويهنيه بعيد الفطر سنة إحدى وثلاثين واربعماية » .
(٣) ملك حلب شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس بعد أن قُتل والده صالح سنة (٤٢٠) وبقي مالـكاً لها الى سنة (٤٢٩) فأرسل إليه أنوشتكين الدِّزْبري العساكر المصرية ، وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله ، فلقيهم عندحماة فقتل في شعبان وملك الدزبري حلب في رمضان سنة (٤٢٩) وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله وأرسل يستدعي الجند الأتراك من البلاد . (ابن الاثير ٩/٧٩)
وأتى برأس شبل الدولة الى دمشق في شعبان سنة ٤٢٩

وَاُطْلُبْ بِهٰذِي الظُّبَى مَاعَزَّ مَطْلَبُهُ ... فَما عَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَثْنِيكَ عَنْ طَلَبِ

وَكَيْفَ تَعْصِي مُلُوكُ الْأَرْضِ ذا هِمَمٍ ... تَجُوزُ أَحْكامُهُ[1] في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

رِيعُوا فَما دَفَعُوا ضَيْماً وَلا كَرَبُوا ... أَنْ يَكْشِفُوا بَعْضَ مَا كَشَّفْتَ مِنْ كُرَبِ

طَالُوا مَقَالاً وَفي أَفْعَالِهِمْ قِصَرٌ ... وَلَنْ تُرَاعَ الْخُطُوبُ السُّودُ بِالْخُطَبِ

وَحَاوَلُوا الْمَجْدَ مِنْ طُرُقٍ مُشَعَّبَةٍ ... وَجِئْتَهُ[2] مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ مُنْشَعِبِ

لا يُذْهِلِ النَّاسَ مَا خُوِّلْتَ مِنْ شَرَفٍ ... فَمَنْ سَعَى سَعْيَكَ اسْتَوْلَى عَلَى الْقَصَبِ

بَأْسٌ تَحُوطُ الْغَرِيبَ الْأَجْنَبِيَّ بِهِ ... كَمَا تَذُودُ الْأَذَى عَنْ جَارِكَ الْجُنُبِ

وَنائِلٌ ظَلَّ ذُو وَفْرٍ كَمُفْتَقِرٍ ... فِيهِ الْغَدَاةَ وَنَاءٍ مِثْلَ مُقْتَرِبِ

كَذٰلِكَ النَّارُ في نَفْعٍ وَفي ضَرَرٍ ... مُيَمَّمٌ نُورُهَا مَرْهُوبَةُ اللَّهَبِ

وَنَخْوَةٌ مَا يَزَالُ الدَّهْرَ يَمْنَعُهَا ... مُسْتَحْسَنُ الْجِدِّ عَنْ مُسْتَقْبَحِ اللَّعِبِ

يُرَى[3] سِوَاكَ إِذا مَاجَاءَ مُفْتَخِراً ... يَوْماً أَحالَ عَلَى آبائِهِ النُّجُبِ

فَاَعْلُ الْوَرَى غَيْرُكَ الْمَسْؤُولُ عَنْ نَسَبٍ ... قَاصٍ وَحَسْبُكَ مَا أُوتِيتَ مِنْ حَسَبِ

وَأَنْتَ مَنْ تَرْفَعُ الْأَشْرافَ خِدْمَتُهُ ... وَالِانْتِماءُ[4] إِلَيْهِ أَشْرَفُ النَّسَبِ

---

(١) أحكامها (ل)

(٢) فجئته (ل)

(٣) نرى سواك إذا ما ظل مفتخراً (ل)

(٤) والاعتزاء اليها أشرف النسب (ل)

وَمَا خَفِيتَ عَلَى ذِي فِطْنَةٍ نَسَباً ... إِذَا النَّدَى وَالْوَغَى قالاَ لَكَ انْتَسِبِ
بَنَيْتَ لِلعجمِ الْمَجْدَ الْمُبَلِّغَهُمْ ... مَجْداً بَنَاهُ رَسُولُ اللهِ لِلْعَرَبِ
لَقَدْ حَمَى الْحَاكِمُ الْمَنْصُورُ[(١)] دَوْلَتَهُ ... بِقَوْلِهِ انْتَجِبِ[(٢)] الْفُرْسَانَ وَانْتَخِبِ
ثُمَّ انْتَضَاكَ ابْنُهُ[(٣)] سَيْفاً زَمَانَ طَغَتْ ... أَعْدَاؤُهُ فَرَمَاهَا مِنْكَ بِالْعَطَبِ
فَحِينَ أَرْبَيْتَ قَالَ ابْنُ[(٤)] ابْنِهِ اعْتَضِدِي ... يَا دَوْلَتِي بِفَتَى جَدِّي وَسَيْفِ أَبِي
أَرَى نَصِيبَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ ... نَصِيبَ شَانِيكَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ نَصَبِ
لاَذَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعَرْبَاءُ وَاعْتَلَقَتْ ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ حَبْلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ[(٥)]
أَصْفَيْتَهَا الْمَالَ شِرْباً وَالْعُلَى كَلَأً ... مِنْ بَعْدِ أَنْ رَضِيَتْ بِالْمَاءِ وَالْعُشُبِ
نَاقَضْتَ حُكْمَهُمُ لَمَّا أَبَحْتَهُمُ ... مَا قَدْ سَلَبْتَ بِأَطْرَافِ الْقَنَا السُّلُبِ
فَقَدْ صَفَا لَكَ إِعْلاَناً وَمُعْتَقَداً ... مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي طَرِيقِ الْحُبِّ ذَا خَبَبِ
أَعْدَمْتَهَا الْجَهْلَ وَالْإِعْدَامَ مُذْ وَجَدَتْ ... فِي ظِلِّكَ الرَّغَبَ الْمَخْلُوطَ بِالرَّهَبِ

---

(١) الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر (٣٧٥ – ٤١١)

(٢) بقوله اينتخب الفرسان وانتجب (ل)

(٣) هو الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله من خلفاء الفاطميين (٣٩٥ – ٤٢٧)

(٤) هو المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله من خلفاء الفاطميين (٤٢٠ – ٤٨٧)

(٥) غير مقتضب (ل)

فِي ظِلِّ أَرْوَعَ إِنْ تَسْأَلْهُ مُنْفِسَهُ ... يَهَبْ وَإِنْ بَاشَرَ الْهَيْجَاءَ لَمْ يَهَبِ (١)
نَدًى مَتَى يَنْزِلِ الْعَافُونَ عَقْوَتَهُ ... يَصُبْ وَعَزْمٌ مَتَى يَرْمِ الْعِدَى يُصِبِ
يَبُثُّ (٢) فِي كُلِّ أَرْضٍ لِلْعَدُوِّ نَأَتْ ... ذِكْراً يَقُومُ مَقَامَ الْجَحْفَلِ اللَّجِبِ
إِنَّ الْجَزِيرَةَ بَابٌ ظَلْتَ (٣) تُوسِعُهُ ... هَزًّا وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْفَتْحِ فَارْتَقِبِ
بَابُ الْعِرَاقِ فَإِنْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِهِ ... وَافَى الْمُبَشِّرُ مِنْ بَغْدَادَ بِالْعَقِبِ
وَكَمْ سَعَيْتَ لِحَظٍّ (٤) كُنْتَ تَلْحَظُهُ ... فَزَادَكَ الْجِدُّ حَظّاً غَيْرَ مُرْتَقَبِ (٥)
وَكَمْ فَتَحْتَ بِلَاداً غَيْرَ مُكْتَرِثٍ ... وَالسُّمْرُ مَرْكُوزَةٌ وَالْبِيضُ فِي الْقُرُبِ
فَلَا يَغُرَّ نُمَيْراً (٦) أَنَّهَا سَلِمَتْ ... لَيْسَ السَّلَامَةُ مِنْ ذَا الْعَزْمِ بِالْهَرَبِ
نَحَوْا (٧) فَحِينَ أَحَسُّوا بِاللِّقَاءِ نَجَوْا ... يَا قُرْبَ هَذَا الرِّضَى مِنْ ذَلِكَ الْغَضَبِ (٨)

---

(١) الْمُنْفِسُ بصيغة الفاعل : كل شيء له قدر وخطر .
(٢) بثثت (ل)
(٣) طلت (ع) و (م)
(٤) بحظ (ل)
(٥) غير محتسب (ل)
(٦) بنو نُمَيْر : بطن من عامر بن صعصعة من العرب العدنانية وكانت منازلهم في الجزيرة الفراتية والشام (نهاية الأرب للقلقشندي ص ٣٤٨)
(٧) نجوا (ع) و (م)
(٨) وبعده في (ل)

« لَمَّا نَدَبْتَ لَهُمْ مِنْ عَامِرٍ عُصَباً ... تُوفِي وَفَاءً وَإِقْدَاماً عَلَى الْعَصَبِ »

والعَصَب : خيار القوم .

هَمُّوا فَمُذْ نَزَلُوا بِالشَّطِّ شَطَّ بِهِمْ عَنْ سَوْرَةِ الْحَرْبِ مَا خَافُوا مِنَ الْحَرَبِ
حَتَّى إِذَا نَزَلَتْ صِرِّينَ (١) مُقْبِلَةً جَاشَتْ بِحَارُ رَدًى طَمَّتْ عَلَى الْقُلُبِ
أَلاَّ تَنُوهَا وَقَدْ ظَلَّتْ (٢) عَجَاجَتُهَا أَوْلَى بِسَتْرِ عَذَارَاهُمْ مِنَ النُّقُبِ
خَيْلٌ أَثَارَتْ غَدَاةَ الْعَبْرِ أَرْجُلُهَا مَاءً حَكَى نَقْعَهَا فِي الْمَرْكَضِ (٣) التُّرَبِ
طَالَ الْقَنَا طَامِحاً (٤) حَتَّى لَقَدْ رُكِزَتْ مِنْ قَبْلِ طَعْنِ الْعِدَى مُبْتَلَّةَ الْعَذَبِ
وَعَادَ بَعْدَ بُلُوغِ الْجَوِّ مُنْعَكِساً كَأَنَّمَا جَادَ تِلْكَ الْأَرْضَ مِنْ سُحُبِ
تَفَرَّقَ الْجَمْعُ لَمَّا أَقْبَلَتْ زُمَراً تَفَرُّقَ السِّرْبِ لَمَّا رِيعَ بِالسُّرَبِ
كَالطَّيْرِ تَحْمِلُ آساداً تُظَلِّلُهَا طَيْرٌ مَوَارِدُهَا قَانِي الدَّمِ السَّرِبِ (٥)
هٰذِي تَفُورُ إِذَا نَارُ اللِّقَاءِ خَبَتْ وَتِلْكَ إِنْ تَخْبُ مِنْ قَبْلِ الرَّدَى تَخِبِ
وَأَحْدَقُوا بِأَبِي كَعْبٍ (٦) لِيَنْصُرَهُمْ وَهَلْ تُرَاعُ لُيُوثُ الْغَابِ بِالشَّبَبِ (٧)

---

(١) صيرين (ع) و (م) : وتلفظ اليوم صِرِّين ، يعرف بهذا الاسم قريتان تابعتان لجرابلس تبعدان عنها ٣٥ كيلومتراً اسم الأولى صرين الشمالية والثانية صرين القبلية (مجموع بلاغات المالية لعام ١٩٣٣ م)

(٢) طلت (ع) و (م)

(٣) في المربض (ع) و (م)

(٤) طالحا (ل)

(٥) دم سَرِبِ (ل)

(٦) كأنه يريد بأبي كعب شبلَ الدولة نصر بن صالح بن مرداس .

(٧) الشَّبَبَ : من الثيران والغنم المُسِنُّ الذي انتهى إسنانه . وفي (ع) و (م) (بالشنب) وهو تصحيف .

أَوْ يحْتَمي مُسْتَجِيرُ ٱلرُّومِ مِنْ مَلِكٍ ... يُزْجِي ٱلْكَتَائِبَ مِلْءَ ٱلْأَرْضِ بِٱلْكُتُبِ

لاَ يَصْطَلِ[1] ٱلرُّومُ جَهْلاً ما يَشُبُّ لَهُمْ ... رَبُّ ٱلْعُلَى لَمْ تُشَبْ وَٱلْجُودِ لَمْ يُشَبِ

وَلْتَجْتَنِبْ بَطْشَ[2] أَلْوَى حَدُّ سَطْوَتِهِ ... أَلْوَى بِمَنْ رَدَّها مَنْكُوسَةَ الصُّلُبِ

نَجْمٌ بِسَيْفِكَ مِنْ بَعْدِ ٱلْوُقُودِ خَبَا ... فَحُزْتَ مَالَكَ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ خُبِي

وأَيْنَ مِنْكَ ٱبْنُ حَمْدانَ[3] ٱلْمُرَوِّعُهُمْ ... وَمِنْ مَمَالِيكِكَ ٱلْوَالِي عَلَى حَلَبِ

مِنَ ٱلْأُلَى هَذَّبَتْهُمْ ذِي ٱلْعُلَى فَحَوَوْا ... حَظّاً مِنَ ٱلْجُودِ وَٱلْإِقْدَامِ وَٱلْأَدَبِ

هُمُ ٱلْمَوَالِي وَإِنْ خَوَّلْتَهُمْ خَوَلاً ... مَاضَرَّ مِنْ يُوسُفٍ أَنْ بِيعَ فِي ٱلْجَلَبِ[4]

وَلَّيْتَهُمْ مَا تَوَلَّتْهُ ٱلْمُلُوكُ لَقَدْ ... أَبَى ٱعْتِزَامُكَ مَانَالَتْ مِنَ ٱلرُّتَبِ

كَأَنَّ مَجْدَكَ وَهْوَ ٱلدَّهْرَ فِي صُعُدٍ ... مِنْ فَرْطِ إِسْرَاعِهِ يَنْحَطُّ فِي صَبَبِ

مَلَكْتَنَا مُلْكَ مَوْلىً عَزَّ مَقْدُرَةً ... وَحُطْتَنَا حَانِياً كَٱلْوَالِدِ ٱلْحَدِبِ

لاَيَرْضَ عَزْمُكَ شَطْرَ ٱلْأَرْضِ مَمْلَكَةً ... فَشَطْرُهَا فِي ضَمَانِ ٱلسُّمْرِ وَٱلْقُضُبِ

وَلاَ تُسَالِمْ عَدُوّاً أَنْتَ قَاهِرُهُ ... قَدْأَمْكَنَتْكَ كُؤُوسُ ٱلْحَدْفِ فَٱنْتَخِبِ[5]

---

(١) لا تصطلي (ل)

(٢) جد (ع) و (م)

(٣) حمدان (م) وهو من سهو الناسخ . وبريد بابن حمدان سيف الدولة . لما فتح الدزبري حلب ولى عليها غلامه رضي الدولة بنجوتكين (زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ١/٢٥٧)

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

(٥) من هذا البيت الى آخر القصيدة ساقط من (ل)

فَكُلُّ مُلْكٍ دَعَاكَ الْيَوْمَ مِنْ بُعُدٍ ... فإِنَّهُ في غَدٍ يَدْعُوكَ مِنْ كَثَبِ

هَوَاكَ أَذْهَلَنِي عَنْ ذِكْرِ كُلِّ هَوًى ... فَمَا أَجِيءُ بِشِعْرٍ غَيْرِ مُقْتَضَبِ

أَمَّنْتَنِي بِالْعَطَاءِ الْغَمْرِ مِنْ عَدَمٍ ... وَبِالْمَسَاعِي إِذَا أَثْنَيْتُ مِنْ كَذِبِ

وَقَدْ شَفَعْتَ الْغِنَى لِي بِالْعُلَى كَرَماً ... فَصِرْتُ ذَا نَسَبٍ فِي الْمَجْدِ وَالنَّشَبِ(١)

فَدُلَّنِي أَيَّمَا الثِّقْلَيْنِ أَحْمِلُهُ ... ثِقْلِ اصْطِنَاعِكَ لِي أَمْ ثِقْلِ صُنْعِكَ بِي

قَدْ شَدَّ أَزْرِيَ أَنَّ الشِّعْرَ لِي سَبَبٌ ... وَأَنَّ هَذَا الَّذِي يُغْنِي بِلاَ سَبَبِ

إِنْ لَمْ تَغُصْ لِيَ أَفْكَارِي عَلَى مِدَحٍ ... تُغْرِي(٢) الْبَعِيدَ مِنَ الْأَطْرَابِ بِالطَّرَبِ

فَلاَ بَلَغْتُ مَدَى مَحْيَايَ أَيْسَرَ مَا ... أَرْجُو وَلاَ نِلْتُ عَفْواً يَوْمَ مُنْقَلَبِي

مَضَى الصِّيَامُ وَمَا أَجْرٌ بِمُطَّرَحٍ ... فِيمَا فَعَلْتَ وَلاَ وِزْرٌ بِمُحْتَقَبِ

وَعَاوَدَ الْعِيدُ فَاسْلَمْ مَا أَتَى وَمَضَى ... مُعَظَّمَ الْقَدْرِ مَحْرُوساً مِنَ النُّوَبِ

أَمَّا الْحَجِيجُ فَقَدْ أَوْضَحْتَ نَهْجَهُمُ ... مَا بَيْنَ ذِي وَطَنٍ دَانٍ وَمُغْتَرِبِ

وَلاَ يُخَيِّبُ إِلٰهُ الْخَلْقِ سَعْيَهُمُ ... وَقَدْ سَمِعْتَ دُعَاءَ الْقَوْمِ مِنْ كَثَبِ

سَيْفَ الْخِلاَفَةِ دُمْ حِلْفَ الْمَضَاءِ كَذَا ... إِنَّ الْخُطُوبَ إِذَا لَمْ تَنْبُ لَمْ تَنُبِ

وَعِشْ لِدَوْلَةِ حَقٍّ ظَلْتَ تَعْضُدُهَا ... فَإِنَّهَا مِنْكَ قَدْ دَارَتْ عَلَى قُطُبِ

---

(١) والنسب (م) وهو تصحيف .

(٢) في الأصل يغري ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

١١

وقال في النسيب (١)

إِنَّ ٱلْفَرِيقَ مُذِ ٱسْتَقَلَّ مُغَرِّباً ... لَمْ يُبْقِ لِي فِي طِيبِ عَيْشٍ مَرْغَبا

لَمَّا تَحَمَّلَ لِلرَّحِيلِ حَسِبْتُهُ ... مِنْ كَثْرَةِ ٱلظَّبَيَاتِ فِيهِ رَبْرَبا

وَبِمُهْجَتِي تِلْكَ ٱلْبُدُورُ عَشِيَّةً ... إِذْ نَكَّبَتْ أَكْنَافَ غُرَّبَ (٢) غُرَّبا

وَعَلَى ٱلْمَطَايَا مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرٍ ... وَجْهٌ يَرُوقُكَ سَافِراً وَمُنَقَّبا

ذُو صَفْحَةٍ لَوْ لَمْ يُصَافِحْ نَارَهَا ... مَاءُ ٱلشَّبَابِ لَخِفْتُ أَنْ تَتَلَهَّبَا (٣)

يَا غُرَّةَ ٱلْحَيِّ ٱللَّقَاحِ (٤) أَوَاجِبٌ ... أَنْ تَزْهَدِي زُهْدَ ٱلْمَلُولِ (٥) وَأَرْغَبا

أَفْدِي بِأَنْفَسِ مَا أُدَافِعُ عَنْهُ مَنْ ... قَطَعَ ٱلْحَيَاةَ تَعَنُّتاً وَتَعَتُّبا

مَا كُنْتُ قِدْماً ذَا نَصِيبٍ فِي ٱلْهَوَى ... فَجَعَلْتِ لِي مِنْهُ ٱلنَّصِيبَ (٦) ٱلْمُنْصِبا

أَصْلَيْتِنِي بِٱلْهَجْرِ نَاراً مَا خَبَتْ ... فَعَلِمْتُ أَنَّ هَوَاكِ زَنْدٌ مَا كَبا

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا .

(٢) غُرَّب : جبل دون الشام في ديار بني كلب (معجم البلدان)

(٣) يتلهبا (ع) و (م)

(٤) اللَّقَاح : الحي الذين لا يدينون للملوك .

(٥) الملوك (م) وهو تصحيف .

(٦) النصيب الاولى : الحظ ، والثانيه : الحصة من الشيء . والمنصب : المتعب المعي .

وَأَمَرْتِنِي أَلاَّ أَمُرَّ بِدَارِكُمْ فَمَتَى مَرَرْتُ بِهَا مَرَرْتُ مُجَنَّبَا
خِفْتِ الرَّقِيبَ وَلَوْ وَصَلْتِ أَمِنْتِهِ وَنَهَيْتِ دَمْعَ الْعَيْنِ أَنْ يَتَصَوَّبَا
وَسَنَنْتِ لِي أَنْ لا يَبُوحَ[1] مُحَدِّثاً أَأَمِنْتِ أَنْ يُمْلِي الصُّدُودُ فَيَكْتُبَا
لاَ تَمْزُجِي صَفْوَ الْوِدَادِ بِجَفْوَةٍ مَا الْمَاءُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يُقْطَبَا[2]
مَا لِلْخَيَالِ الطَّارِقِي مُسْتَرْسِلاً قَدْ صَارَ يَطْرُقُ خَائِفاً مُتَرَقِّبَا
هَلْ خَافَ مِنْ عَدْوَاكِ حِينَ أَمَرْتِهِ أَنْ لاَ يُلِمَّ تَجَنِّيًا[3] وَتَجَنُّبَا
لاَ تَرْدَعِيهِ عَنِ الْمَزَارِ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَزُرْ شَوْقاً لَزَارَ تَطَرُّبَا
كَمْ أَشْتَكِي الْإِعْرَاضَ ظَنًّا أَنَّنِي أُشْكَى وَأَعْتُبُ آمِلاً أَنْ أُعْتَبَا[4]

١٢

وقال[5] يمدح الرئيس أبا العلاء[6]

كُنْ بَعِيداً إِنْ شِئْتَ أَوْ كُنْ قَرِيبا فَأَيَادِيكَ عِنْدَنَا لَنْ تَغِيبا

---

(١) أن لا أبوح (ل)
(٢) يُقْطَب : يُمزَج .
(٣) تجنباً (ل) .
(٤) أشكاه : أعتبه من شكواه أي أرضاه ونزع عنه شكايته . وأعْتَبَهُ : أزال عتبه.
(٥) عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : « وقال أيضاً يودع الرئيس أبا العلاء عند مسيره من حلب » .
(٦) لعله أبو العلاء صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب ، كاتب محمود بن نصر بن صالح ، ذكره ابن العديم في زبدة الحلب في تاريخ حلب ٢٨٣/١ وروى له قصيدة قالها على لسان محمود أولها :

ألا أيها الساري تخب برحله قصيرة فضل النسعتين إذا تسري

خَلَفَتْكَ ٱلْآلاَءُ مُذْ سِرْتَ[1] فِينا فَتَساوَيْتَ مَشْهَداً وَمَغِيبا

كَٱلْغَمامِ ٱلرُّكامِ يَمْضِي وَيُبْقِي مَوْرِداً فائِضاً وَمَرْعًى خَصِيبا

فُرْقَةٌ يا أَبا ٱلْعَلاَءِ أَصارَتْ حَسَناتِ ٱلزَّمانِ عِنْدِي ذُنُوبا

كَمْ سَبَقْتَ ٱلْجارِينَ فِي حَلْبَةِ ٱلْمَجْـ ـدِ وَكَلُّوا[2] وَما شَكَوْتَ لُغُوبا

لا كَما يَسْبِقُ ٱلْمُجارِي ٱلْمُجارَى بَلْ كَما يَسْبِقُ ٱلشَّبابُ ٱلْمَشِيبا

لَمْ يَزَلْ جانِبِي مَنِيعاً مَهِيبًا مُذْ رَأَتْنِي بِكَ ٱلْخُطُوبُ مَهِيبا

وَلِهٰذَا أَصْبَحْتُ مِنْ أَلَمِ ٱلْفُرْ قَةِ أَوْفَى مُفارِقِيكَ نَصِيبا

وَلَوْ أَنِّي مَلَكْتُ نَفْسِي وَرَأْيِي لَوَصَلْتُ ٱلْإِسْآدَ وَٱلتَّأْوِيبا

فَكَفانِي مَؤُونَةَ ٱلشَّوْقِ عَزْمٌ لاَ يَمَلُّ ٱلتَّقْوِيضَ وَٱلتَّطْنِيبا[3]

غَيْرَ أَنِّي أُوَدِّعُ ٱلْقَلْبَ عِلْماً أَنَّهُ لاَ يَؤُوبُ حَتَّى تَؤُوبا[4]

* * *

(١) مذغبت (ل)

(٢) فكلوا (ل)

(٣) وكفاني ... لا يمل الإسآد والتأويبا (ع) و (م) ومكانه فيهما آخر بيت من القصيدة .

(٤) حتى يؤوبا ؟ (ل)

١٣

وقال (١) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبري (٢)

مَالِي مَقَالٌ عَنْ فَعَالِكَ يُعْرِبُ ... قَدْ ضَلَّتِ ٱلْأَفْكَارُ مِمَّا تُغْرِبُ
بَذْلاً (٣) وَمَنْعاً فَٱلرَّجَاءُ مُخَيِّمٌ ... بِذَرَاكَ وَٱلنَّكَبَاتُ عَنْكَ تَنَكَّبُ
وَسُطاً وَصَفْحاً فَٱلْمَمَالِكُ قَدْ عَنَتْ ... مِنْ خَوْفِ بَأْسِكَ وَٱلْجَرَائِمُ تُوهَبُ
وَتَوَاضُعاً سَنَّ ٱلتَّوَاضُعَ لِلْوَرَى ... مَعَ رُتْبَةٍ يَنْحَطُّ عَنْهَا ٱلْكَوْكَبُ
يا جَامِعَ ٱلْأَضْدَادِ فِي كَسْبِ ٱلْعُلا ... مِنْ أَيْنَ لِي قَلْبٌ كَقَلْبِكَ قُلَّبُ
لَوْ مَيَّزَتْكَ سَجِيَّةٌ عَنْ ضِدِّهَا ... لَعَلِمْتُ مَا آتِي وَمَا أَتَجَنَّبُ
مَا سَارَ فِي ٱلْآفَاقِ ذِكْرٌ طَيِّبٌ ... عَمَّنْ مَضَى إِلاَّ وَذِكْرُكَ أَطْيَبُ
قَعَدُوا (٤) عَنِ ٱلْغِيَرِ ٱلَّتِي نَاهَضْتَهَا ... وَٱسْتَبْعَدُوا ٱلْأَمَدَ (٥) ٱلَّذِي تَسْتَقْرِبُ
فَضَفَتْ عَلَيْكَ مِنَ ٱلثَّنَاءِ مَلابِسٌ ... لَمْ يَقْدِرُوا مِنْهَا عَلَى مَا تَسْحَبُ (٦)

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدحه ويهنيه بعيد الأضحى » .
(٢) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٣) بدلا (ع) و (م)
(٤) تعدو على ؟ (م)
(٥) الأمل (م)
(٦) على ما يُسحب (ل)

نَسَخَتْ فَضائِلُكَ ٱلْفَضائِلَ كُلَّها ... إِنَّ ٱلْكَثِيرَ عَلَى ٱلْقَلِيلِ يُغَلَّبُ(١)

فَلْيَعْتَرِفْ لَكَ بِٱلسِّيادَةِ أَهْلُها ... لَزِمَتْ مَلازِمَها وَصَرَّ ٱلْجُنْدَبُ(٢)

لاَ يَدَّعِ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ مُدَّعٍ ... فَٱلْمَجْدُ مِنْ هٰذِي ٱلْخِلالِ مُرَكَّبُ

فَظُباكَ مُذْ خَطَبَتْ(٣) عَلَى قِمَمِ ٱلْعِدٰى ... خَطَبَتْ لَكَ الرُّتَبَ ٱلَّتِي لا تُخْطَبُ

فَفَرَعْتَ مِنْها كُلَّ مالاَ يُرْتَقَى(٤) ... إِنَّ ٱلنُّجُومَ قَلائِصٌ ما تُرْكَبُ(٥)

فَلِذا إِذا نُسِبَتْ عُلىً في مَشْهَدٍ ... فَإِلَيْكَ يا شَرَفَ ٱلْمَعالِي تُنْسَبُ

بَعُدَ ٱلْمَدٰى إِلاَّ عَلَيْكَ فَما لِمَنْ ... يَأْتَمُّهُ إِلاَّ ٱلنَّصِيبُ ٱلْمُنْصِبُ

ما ٱنْقادَتِ ٱلْأَمْلاكُ طَوْعَكَ(٦) كُلُّها ... حَتّىٰ ٱسْتَقادَ لَكَ ٱلزَّمانُ ٱلْأَصْعَبُ

لَوْ غَيْرُكَ ٱلْمُبْتَزُّ يا سَيْفَ ٱلْهُدٰى ... ما كانَتِ ٱلنَّخَواتُ مِمَّا تَسْلُبُ(٧)

تَتَجَنَّبُ ٱلْأَحْداثُ مالاَ تَشْتَهِي ... وَتُسارِعُ ٱلْأَقْدارُ فِيما تَطْلُبُ

---

(١) مغلّب (ل)

(٢) أصل المثل (علقت معالِقَـها وصرَّ الجندب) أي قد وجب الأمر . وللمثل خبر تجده في مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٣١١ الطبعة الخيرية .

(٣) حظيت (م)

(٤) ما لا يُمْتَطَى (ل)

(٥) لا تركب (ل)

(٦) طوعاً (ل)

(٧) مما يُسلب (ل)

لَوْ كانَ ذَنْبُكَ في ٱلزَّمانِ ٱللَّذْ مَضَى ... لَمْ تَفْتَخِرْ بِحِمَى كُلَيْبٍ تَغْلِبُ (١)

أَوْ كانَ جُودُ يَدَيْكَ عاصَرَ حاتِماً (٢) ... لَرَأَيْتَهُ مِنْ فِعْلِهِ يَتَعَجَّبُ

فَطُلِ ٱلْوَرَى يا مَنْ لِباذِخِ فَخْرِهِ ... أَلْقَتْ مَفاخِرَها نِزارُ وَيَعْرُبُ (٣)

فَلَئِنْ عَلَوْتَ فَكُلُّ ما أَدْرَكْتَهُ ... وَهُوَ ٱلتَّناهِي بَعْضُ ما تَسْتَوْجِبُ

أَضْحَتْ بِعُدَّتِها ٱلإِمامَةُ هَضْبَةً (٤) ... لَيْسَتْ تُرامُ وَرَوْضَةً لا تُجْدِبُ

بِأَغَرَّ يَثْنِي ٱلْحادِثاتِ فَتَنْثَنِي ... رَهَباً وَيَقْتادُ (٥) ٱلْجِبالَ فَتُصْحِبُ

يابالِغَ ٱلْغَرَضِ ٱلْبَعِيدِ وَدُونَهُ ... جَيْشٌ يَضِيقُ بِهِ ٱلْفَضاءُ ٱلسَّبْسَبُ

---

(١) اللَّذْ : لغة في الذي ، قال أبو الطيب المتنبي :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو ... عقمت بمولد نسلها حواء

وكليب بن ربيعة التغلبي الوائلي من أبطال العرب في الجاهلية ، بلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب فيقول : ما أظلته هذه السحابة في حماي ، فلا يرعى أحد ما تظله . وكان يقول : وحش أرض كذا في جواري ، فلا يصاد . وكان لا يورد أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولا يمر أحد بين بيوته، ولا يحتبي أحد في مجلسه. ومن أمثالهم : « هو في حمى كليب » لمن كان آمناً .

وتَغْلِبُ قبيلة عظيمة من ربيعة من العرب العدنانية ، كانت منازلها في الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وتعرف ديارهم هذه بديار ربيعة .

(٢) حاتم الطائي : يضرب المثل بجوده .

(٣) أي قبائل نزار بن معد بن عدنان وهم العرب العدنانية ، وقبائل يعرب بن قحطان وهم العرب القحطانية .

(٤) نصبة (ع) و (م) والنصبة : السارية المنصوبة لمعرفة علامة الطريق .

(٥) وتقتاد (ل) و (م)

تُغْنِي ٱلْخِلافَةُ[١] ما عُدِدْتَ ظَهِيرَهَا ... وَٱلْجَيْشُ مالاَ قاكَ حَرْباً[٢] رَبْرَبُ

قَدْ صارَتِ ٱلدُّنْيا بِعَدْلِكَ مَعْقِلاً ... هَلْ فِي ٱلْوَرٰى عادٍ[٣] وَأَنتَ ٱلْمُرْهِبُ

أَنّىٰ وَفِي هٰذِي ٱلْجُفُونِ بَوارِقٌ ... ما أَوْمَضتْ إِلاَّ تَجَلّىٰ غَيْهَبُ

وَعَلَى عَوامِلِ ما رَكَزْتَ كَواكِبٌ ... مِمَّا ٱنْتَصَيْتَ لَهاوَخَلَّفَ قَعْضَبُ[٤]

تَجْلُو ظَلامَ ٱلنَّقْعِ عِنْدَ طُلُوعِها ... وَظَلامَ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ ساعَةَ تَغْرُبُ

تَرَكَ ٱلزَّئِيرَ[٥] ٱللَّيْثُ مُذْ أَشْرَعْتَها ... فَرَقاً كَما تَرَكَ ٱلْهَدِيرَ ٱلْمُصْعَبُ

بِكَ عاذَ هٰذا ٱلدّينُ دُمْتَ نَصِيرَهُ ... مِمَّا يَخافُ وَنالَ ما يَتَرَقَّبُ

أَنْتَ ٱلْمُظَفَّرُ بِٱلأَعادِي وَٱلْمُنىٰ ... إِنْ خِيفَ حَيْفٌ[٦] أَو تَعَذَّرَ مَطْلَبُ

فَرَّقْتَ شَمْلَ ٱلْخَوْفِ وَهُوَ مُجَمَّعٌ ... وَجَمَعْتَ شَمْلَ ٱلأَمْنِ وَهْوَ مُشَعَّبُ

مَازِلْتَ تَبْعَثُ كُلَّ يَوْمٍ نَكْبَةً ... حَتّىٰ ٱسْتَقامَ لَكَ ٱلْعَنُودُ ٱلأَنْكَبُ

فَلْيَنْتَجِ ٱلْقَمْقامَ[٧] عِنْدَ سُكُونِهِ ... مَنْ[٨] نَدَّ عَنْهُ وَمَوْجُهُ مُغْلَوْلِبُ

---

(١) الزرافة (ل)

(٢) حرب (م)

(٣) هادٍ (ل)

(٤) عوامل الرماح : صدورها ، وانتصى : اختار ، وقعضب : كجعفر رجل كان يعمل الأسنة .

(٥) تركت زئير الليث (ع) و (م)

(٦) حتف (ل)

(٧) القمقام : البحر .

(٨) من يدعيه ؟ (ع) و (م)

فَالْعِزُّ أَقْعَسُ وَالْمَجازُ[(١)] مُساهِمٌ ... وَالرَّوْضُ أَحْوى وَالْحَيَا مُتَصَوِّبُ
غَيْرُ الَّذي عاداكَ يَظْفَرُ بِالْمُنىٰ ... وَبِغَيْرِ آمِلِكَ الظُّنُونُ تُخَيَّبُ
تُسْدِي الْكِرامُ مَكارِماً مَبْتُولَةً ... وَلِكُلِّ نَيْلٍ مِنْ يَدَيْكَ مُعَقِّبُ
فَمِنَ الْعُفاةِ مُقَوِّضٌ وَمُطَنِّبٌ ... وَمِنَ الثَّناءِ مُشَرِّقٌ وَمُغَرِّبُ
وَلَقَدْ أَجَرْتَ الْخائِفِينَ وَمالَهُمْ ... فِي الْأَرْضِ عَنْ حُجُراتِ مُلْكِكَ مَذْهَبُ
وَغَمَرْتَهُمْ صَفْحاً يُقَرِّبُ مِنْهُمُ[(٢)] ... مَنْ مالَهُ عَمَلٌ إِلَيْكَ[(٣)] يُقَرِّبُ[(٤)]
حَتّىٰ لَقالَ النّاسُ مِمّا عَمَّهُمْ ... ما ثَمَّ ذَنْبٌ لِلْعُقُوبَةِ مُوجِبُ
فَالْعَفْوُ فِيكَ[(٥)] فَضِيلَةٌ مَكْنُونَةٌ ... حَتّىٰ يُبَيِّنَ فَضْلَهُ[(٦)] مَنْ يُذْنِبُ
وَأَراكَ تَكْرَهُ طَيَّها فَلِأَجْلِ ذا ... كُلٌّ إِلَيْكَ بِنَشْرِها يَتَقَرَّبُ
لَتَخِذْتَ إِعْجازَ الْأَنامِ خَلِيقَةً ... فَغَرِيبُ ما تَأْتِيهِ لا يُسْتَغْرَبُ
وَعَمَمْتَ كُلَّ الْعالَمِينَ بِنائِلٍ ... ما امْتازَ فِيهِ عَنِ الْبَعِيدِ الْأَقْرَبُ
أَنْشَأْتَ مِنْهُ بِكُلِّ أُفْقٍ دِيمَةً ... لِسَحابِها فِي كُلِّ أَرْضٍ هَيْدَبُ

(١) والمجار (ع) و (م)
(٢) فيهم (ل)
(٣) إليه (ع) و (م)
(٤) مقرّب (ل)
(٥) منك (ع) و (م)
(٦) حتى يبين خبثها من يذنب (ل)

فَالْغَيْمُ إلاَّ مِنْ سَمائِكَ زِبْرِجٌ ... وَالْبَرْقُ إلاَّ مِنْ سَحَابِكَ خُلَّبُ (١)

فَلْتَعْلُ أَرْضُ التُّرْكِ أَنَّ تُرَابَهَا ... مَاحَازَ أَصْلاً فَرْعُهُ لاَ يُنْجِبُ

وَلَقَدْ أَبَنْتَ لَنَا بِضَرْبِكَ فِي الطُّلَى ... يَوْمَ الْوَغَى فِي أَيِّ عِرْقٍ تَضْرِبُ

لِلْمَشْرِقِ الأَقْصَى بِبَيْتِكَ مَفْخَرٌ ... قَدْ ظَلَّ يَحْسُدُهُ عَلَيْهِ الْمَغْرِبُ

وَدِمَشْقُ فَهْيَ لَهُ (٢) الْغَدَاةَ قَسِيمَةٌ ... إِنَّ الْمَعَالِيَ مِنْ جِوَارِكَ تُكْسَبُ

لَوْلاَ انْتِقَالُ مُحَمَّدٍ عَنْ قَوْمِهِ ... مَا شَارَكَتْ فِي الْفَخْرِ مَكَّةَ يَثْرِبُ

وَبِفَضْلِ قَوْمِكَ مِنْ إِبَائِكَ شَاهِدٌ ... إِنَّ الإِبَاءَ عَنِ الأُبُوَّةِ يُعْرِبُ

وَلَوَ انَّهُمْ لَمْ يُشْهَرُوا بِفَضِيلَةٍ ... لاَزْدَانَ (٣) بِالْفَرْعِ الزَّكِيِّ الْمَنْصِبُ

فَلْيَهْنِ بَيْتاً أَنْتَ مِنْهُ أَنَّهُ ... أَبَداً عَلَى ظَهْرِ السِّمَاكِ مُطَنَّبُ

فَنَوَاظِرُ الأَفْلاَكِ شَاهِدَةٌ لَهُ ... بِالْمَجْدِ وَهْوَ عَنِ الْعُيُونِ مُحَجَّبُ

وَإِذَا السَّحَابُ رَأَيْتَهُ مُتَرَاكِماً ... فَاحْكُمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ فِيهِ صَيِّبُ

شَغَفَ (٤) الْوَرَى حُبّاً فَعَالُكَ كُلُّهُ ... إِنَّ الْجَمِيلَ إِلَى النُّفُوسِ مُحَبَّبُ

تَتَطَلَّبُ الأَهْوَاءَ أَفْئِدَةُ الْوَرَى ... وَعَنِ الْمَنَاقِبِ مَا تَزَالُ تُنَقِّبُ

فَلْيَطْلُبِ الصَّبَوَاتِ غَيْرُكَ صَاحِباً ... مَاذَا الْعَزُوفُ لِصَبْوَةٍ مُسْتَصْحِبُ

---

(١) الزِّبْرِجُ : السحاب الرقيق . والبرق الخُلَّب : المُطْمِع المُخْلِف .

(٢) لنا (ع) و (م)

(٣) لازداد (ع) و (م)

(٤) شعف (ل)

وَلَقَدْ شُغِلْتَ بِمَنْعِ ثَغْرٍ طَارِفٍ (١) عَمَّا دَعَاكَ إِلَيْهِ ثَغْرٌ أَشْنَبُ
قُلْ لِلْمَسَاعِي بَعْضَ مَا تُمْلِينَهُ قَدْ مَلَّتِ الْأَقْلَامُ مِمَّا تَكْتُبُ
يَرْجُوكَ مِنَّا خَائِفٌ وَمُؤَمِّلٌ وَمِنَ الْمُلُوكِ مُتَوَّجٌ وَمُعَصَّبُ
لا أَدَّعِي بِالْقَوْلِ فِيكَ فَضِيلَةً بَاغِي مَدِيحِكَ رَائِدٌ لا يَتْعَبُ
بِكَ عَادَ دَهْرِي ضَاحِكاً مِنْ بَعْدِمَا أَلْوَى بِصَدْرِ الْعُمْرِ وَهْوَ مُقَطِّبُ
هَلْ غَالَنِي زَمَنٌ وَظِلُّكَ عَاصِمِي أَوْ فَاتَنِي طَلَبٌ وَأَنْتَ الْمَطْلَبُ
فَلأَشْكُرَنَّ نَدَاكَ مَبْلَغَ طَاقَتِي أَنَا إِنْ رَجَوْتُ لَهُ جَزَاءً أَشْعَبُ (٢)
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَسْتُ أَبْلُغُ شَأْوَهُ مَعَ أَنَّنِي فِي وَصْفِ مَجْدِكَ مُطْنِبُ
زِينَتْ بِهٰذَا الْمُلْكِ أَعْيَادُ الْوَرَى فَبَقِيتَ مَا دَامَتْ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
لِلْخَطْبِ تَنْفِيهِ فَلَيْسَ بِعَائِدٍ وَالْأَمْرِ تُمْضِيهِ فَلَا يُتَعَقَّبُ

١٤

وقال (٣) يعزيه بزوجه ابنة صمصام الدولة (٤)

تُسَدُّ إِذَا حُمَّ الْحِمَامُ الْمَذَاهِبُ وَيُعْيِي الْبَرَايَا فَوْتُ مَا اللهُ طَالِبُ

(١) المراد بالطارف هنا البعيد . وفي (ع) و (م) طارق وهو تصحيف .
(٢) أشعب بن جبير : ظريف من أهل المدينة يضرب المثل بطمعه .
(٣) وقال أيضاً يعزيه بزوجته شوّاقة ابنة صمصام الدولة (ل)
(٤) في الأصل : (بزوجة ابنه صمصام الدولة) وهو تصحيف دقيق . إذ أن الدزبري لما مات كان ابنه طفلاً . وورد في اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء ص ١٤٤ أن (أنوشتكين الدزبري تزوج شوّاقة ابنة صمصام الدولة)

وَأَنْتَ وَمَا فِي الْخَلْقِ مِنْكَ مُعَوَّضٌ ... لَهُمْ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ ذَاهِبُ

أَرَى غِيَرَ الْأَيَّامِ تَلْعَبُ بِالْوَرَى ... فَلا زِلْتَ مَحْرُوساً وَلا جَدَّ لاعِبُ

هَوَى(١) كَوْكَبٌ زُهْرُ الْكَوَاكِبِ مُذْ هَوَى ... فَفَارَقَ(٢) مَثْوَاهَا عَلَيْهِ نَوَادِبُ

وَلَوْ لَمْ يُرَاعِ الْأُفْقُ حَقَّ جِوَارِهِ ... لَمَا شَيَّعَتْهُ بِالْبُكَاءِ السَّحَائِبُ

أُعَبِّرُ بِالتَّذْكِيرِ عَمْداً(٣) وَإِنَّنِي ... وَمَا إِنْ تَعَدَّيْتُ الْكِنَايَةَ هَائِبُ

وَلَيْسَ لِمَا أَخْفَى إِبَاؤُكَ مُظْهِرٌ ... وَلَيْسَ لِمَنْ سَرْبَلْتَهُ الصَّوْنَ سَالِبُ

وَكَمْ(٤) مُظْهَرٍ مِنْ فَضْلِهِ وَهْوَ مُضْمَرٌ ... وَكَمْ شَاهِدٍ مِنْ مَجْدِهِ وَهْوَ غَائِبُ

إِذَا مَا سَمَاءُ الْمَجْدِ لَمْ يَهْوِ بَدْرُهَا ... فَأَهْوِنْ بِأَنْ تَنْقَضَّ مِنْهَا(٥) الْكَوَاكِبُ

فَدَتْ سَائِرُ الْأَرْوَاحِ مَلْكاً فِدَاؤُهُ ... وَطَاعَتُهُ(٦) فَرْضٌ عَلَى النَّاسِ وَاجِبُ

لَئِنْ ظَفِرَتْ أَيْدِي الْخُطُوبِ بِبُغْيَةٍ ... فَمَا زِلْتَ تَفْرِي وَالْخُطُوبُ الضَّرَائِبُ

وَلَوْ أَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يُثْنَى بِقُوَّةٍ ... لَعَاوَدَ عَنْ هٰذَا الْحِمَى وَهْوَ خَائِبُ

---

(١) ثوى (ع) و (م) وفي هامشها : هوى .

(٢) تفارق (ل)

(٣) عنه (ل)

(٤) فكم (ل)

(٥) منه ؟ (م)

(٦) وَكَمَّا أَجُرْ فرضاً على الخلق واجب (ل)

وَلَوْ كانَ شَخْصاً صَدَّهُ عَنْ مُرَادِهِ ... مُؤَلَّلَةٌ (١) زُرْقٌ وَبِيضٌ قَوَاضِبُ (٢)

وَلَوْ أَنَّهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ عَدِيدُهُ ... لَقَارَعَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ كَتَائِبُ

تُرَى نُزْهَةَ الْأَبْصارِ وَهْيَ مَوَاكِبٌ ... وَهادِمَةَ الْأَعْمارِ وَهْيَ مَقَانِبُ

وَما هِيَ إِلاَّ عَزْمَةٌ مِنْكَ صَدْقَةٌ ... وَلاَ (٣) الصَّبْرُ مَغْلُوبٌ وَلاَ الْهَمُّ غالِبُ

وَعَزْمُكَ قَدْ أَفْنَى حُمَاةَ مَمالِكٍ ... تُطاعِنُ شَزْراً دُونَها وَتُضارِبُ

مَمالِكُ قَدْ دَوَّخْتَهَا بَعْدَ ما صَفَتْ ... مَشارِبُ فِيها وَاطْمَأَنَّتْ مَسارِبُ

فَحُزْتَ مَدًى قَدْ عاوَدَتْ دُونَ نَيْلِهِ ... أَمانِيُّ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهْيَ لَوَاغِبُ (٤)

لَئِنْ ناسَبَتْكَ التُّرْكُ فَرْعاً وَعُنْصُراً ... فَما لَكَ في حَوْزِ الْعَلاَءِ مُناسِبُ

تَحَلَّى زَمانٌ أَنْتَ فِيهِ مَحاسِناً ... عَوَاطِلُ مِنْهُنَّ السِّنُونَ الذَّوَاهِبُ (٥)

وَأَنْتَ الَّذِي ما إِنْ يَزَالُ مُظَفَّراً ... إِذَا ما الْتَقَتْ آرَاؤُهُ وَالنَّوَائِبُ

لَقَدْ كَذَبَتْ مُذْ ذُدْتَ عَنَّا ظُنُونُها ... فَلا صَدَقَتْ تِلْكَ الظُّنُونُ الْكَوَاذِبُ

أَذَا الْفَتَكاتِ اللاَّئِي لَوْ لَمْ تَبُحْ بِها ... نُفُوسُ الْعِدَى ما الْتَذَّ بِالْماءِ شارِبُ

---

(١) مُؤَلَّلَة : محدَّدة الأطراف .

(٢) قواصب (ع) و (م)

(٣) وما الصبر مغلوب ولا الحزن غالب (ل)

(٤) كواذب (ل) لواعب (م)

(٥) هذا البيت ساقط من (ل)

تَعَزَّ بِذَا ٱلْعِزِّ ٱلْأَشَمِّ فَإِنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى حَسْمِ ٱلْمَسَاءَةِ لَاحِبُ
وَطِيبِ ثَنَاءٍ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ فَٱكْتَسَتْ مَشَارِقُهَا مِنْ عَرْفِهِ وَٱلْمَغَارِبُ
بِعَزْمِكَ[1] يَا سَيْفَ ٱلْخِلَافَةِ يُقْتَدَى فَلَا تُرِ خَطْبًا أَنَّهُ لَكَ غَاصِبُ
أَنِلْنَا بِتَرْكِ ٱلْهَمِّ نَعْضِي لِشَأْنِهِ مُنَانَا فَكَمْ نِيلَتْ لَدَيْكَ ٱلرَّغَائِبُ
وَذَلِّلْ عَصِيَّ ٱلنَّوْمِ بِٱلسَّطْوَةِ ٱلَّتِي أَرَحْتَ بِهَا نَوْمَ ٱلْوَرَى[2] وَهُوَ عَازِبُ
وَهَبْنَا ٱلْأَسَى فِيمَا وَهَبْتَ فَإِنَّنَا[3] تَهُونُ عَلَيْنَا مَا بَقِيتَ ٱلْمَصَائِبُ

* * *

(١) بحزمك (ل)
(٢) نوم الوغى (ل)
(٣) فإنه (ل)

١٥

وقال (١) يمدح نصر بن محمود (٢)

لَافَاتَ مُلْكَكَ ما أَعْيا بهِ الطَّلَبُ ... وَلاَ تَزَلْ أَبَداً تَعْلُو بِكَ الرُّتَبُ
فَقَدْ حَلَلْتَ بِما تَأْتِي ذُرَى شَرَفٍ ... لَوْ يُدَّعَى لَادَّعَتْهُ السَّبْعَةُ الشُّهُبُ
وَعَمَّ بَيْتَكَ مِنْ مَجْدٍ خُصِصْتَ بِهِ ... فَخْرٌ تَشارَكَ فِيهِ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
يُشَبَّبُ النَّاسُ إِنْ هَمُّوا بِمَكْرُمَةٍ ... عِيًّا وَأَنْتَ عَلَى الْحالاتِ تَقْتَضِبُ
نافَيْتَهُمْ بِمَساعٍ مَنْ أُعِينَ بِهـا ... فَكُلُّ مَرْمىً بَعِيدٍ رَامَهُ كَثَبُ
كَمَا تَنافَى الثُّرَيَّا وَالثَّرَى رُتَباً ... لاَ مِثْلَما يَتَنافَى الصُّفْرُ وَالذَّهَبُ

---

(١) يختلف مكان هذه القصيدة في (ل) عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح نصر بن محمود بن صالح »

(٢) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب، وليها بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٧ وقتلته التركمان سنة ٤٦٨ . قال أبو الفدا في المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٩٣ « لم يذكر ابن الأثير تاريخ قتل نصر متى كان ، ثم إني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم تاريخ قتل نصر المذكور قال : وفي يوم عيد الفطر سنة ٤٦٨ عيّد نصر بن محمود وهو في أحسن زي ، وكان الزمان ربيعاً واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ، ودخل عليه ابن حيوس فأنشده قصيدة منها :

ضفت نعمتان خصتاك وعمتا ... حديثهما حتى القيامة يؤثر

فجلس نصر فشرب إلى العصر ، وحمله السكر على الخروج على الأتراك، وسكناهم في الحاضر، وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم ، فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله . وكان قتله يوم الأحد مستهل شوال سنة ٤٦٨ ولما قتل نصر ملك حلب بعده أخوه سابق بن محمود »:

فَصَحَّ حَقُّكَ لَمَّا اعْتَلَّ بَاطِلُهُمْ ... لَنْ يَنْفُقَ الصِّدْقُ حَتَّى يَكْسُدَ الْكَذِبُ

يَا بْنَ الْأُلَى دَانَتِ الدُّنْيَا لَهُمْ رَهَباً ... وَأَدْرَكُوا عَنْوَةً أَضْعَافَ مَا طَلَبُوا

بِالْعَزْمِ حِينَ يَخُونُ الْعَزْمُ طَالِبَهُ ... وَالْغَزْوِ حِينَ يَمَلُّ السَّرْجُ وَالْقَتَبُ(١)

ذَوُو(٢) الْوَقَائِعِ حَلَّى مُرَّهَا لَهُمُ ... ضَرْبُ الطُّلَى رُبَّ ضَرْبٍ دُونَهُ ضَرَبُ

الْوَارِدُونَ(٣) حِيَاضَ الْمَوْتِ مُحْمِيَةً ... وَالْجَائِدُونَ(٣) إِذَا مَاضَنَّتِ السُّحُبُ

لَهُمْ ظُبًى تَسْلُبُ الْأَعْدَاءَ أَنْفُسَهَا ... يَوْمَ الْوَغَى وَرِمَاحٌ كُلُّهَا سُلُبُ

وَطَالَمَا أَضْرَمُوا فِي كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... نَاراً حُمَاةُ أَعَادِيهِمْ لَهَا حَصَبُ(٤)

مَا عَاشَ مَنْ لَمْ تَكُنْ هٰذِي الصِّفَاتُ لَهُ ... حُلًى وَلَا مَاتَ مَنْ نَصْرٌ لَهُ عَقِبُ

طَلْقُ الْمُحَيَّا بِحَيْثُ الْحَرْبِ عَابِسَةٌ ... كَأَنَّ جِدَّ الْوَغَى(٥) قُدَّامَهُ لَعِبُ

فِي مَوْقِفٍ شَهِدَتْ شُوسُ الْكُمَاةِ لَهُ ... بِالْجُودِ بِالنَّفْسِ وَالْأَرْوَاحُ تُسْتَلَبُ

إِذْ عَمَّ كُلَّ فَصِيحٍ مِذْرَهٍ خَرَسٌ ... وَلِلظُّبَى وَالْعَوَالِي أَلْسُنٌ ذُرُبُ(٦)

---

(١) بالغزو حتى يجوز العزمَ طالبُهُ ... والغزو حتى يميل السرج واللَّبَبُ (ل)

(٢) ذروا الوقائع (ل)

(٣) الواردين .. والجائدين ... (ع) و(م)

(٤) حطب (ل)

(٥) الردى (ل)

(٦) دُرُبُ (ل)

وَرَأْيُهُ(١) ٱلْبِكْرُ فِي أَعْقَابِ أُسْرَتِهِ … إِذْ رَأْيُ كُلِّ عَزِيزٍ جَارُهُ ٱلْهَرَبُ
حَتَّى ٱنْجَلَتْ وَلَهُ ٱلذِّكْرُ ٱلْمُبَلِّغُهُ … هٰذَا ٱلَّذِي(٢) رَضِيَ ٱلْحُسَّادُ أَوْ غَضِبُوا
مَنْ لَيْسَ يُجْزِلُ نُعْمَى جَرَّهَا سَبَبٌ … إِلَّا تَلَاهَا بِأُخْرَى مَا لَهَا سَبَبُ
وَمُظْهِرُ ٱلْعَدْلِ فِي نَأْيٍ وَمُقْتَرَبٍ … حَتَّى لَقَدْ عَدَلَتْ عَنْ ظُلْمِهَا ٱلنُّوَبُ
فَٱلْجُودُ(٣) وَٱلْعَدْلُ مَفْرُوضٌ وَمُتَّبَعٌ … وَٱلْجَوْرُ(٣) وَٱلْبُخْلُ مَرْفُوضٌ وَمُجْتَنَبُ
تَخْفَى ٱلْكِرَامُ مَتَى عُدَّتْ مَكَارِمُهُ … إِذَا ٱلْأَتِيُّ(٤) طَغَى لَمْ تَظْهَرِ ٱلْقُلُبُ
فَلَا يُحَاوِلُ مَدَاهُ كُلُّ ذِي نَسَبٍ … فَمَا لَهُ(٥) فِي حَدِيثٍ طَيِّبٍ نَشَبُ
لَنْ يُعْدَمَ ٱلْخَيْرُ فِي بَيْتٍ قَوَاعِدُهُ … غُلْبٌ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَٱلْإِفْضَالِ قَدْ غَلَبُوا
مَعَاشِرٌ لَا يَرَوْنَ ٱلْجُودَ عَارِفَةً … حَتَّى تَكُونَ ٱلْعُلَى مِنْ بَعْضِ مَا وَهَبُوا
إِنَّ(٦) ٱلْخَلِيفَةَ لَمَّا رُقْتَهُ شِيَماً … عَلِقْتَ مِنْهُ بِحَبْلٍ لَيْسَ يَنْقَضِبُ
حَنَا عَلَيْكَ فَمَا بَارَى مَبَرَّتَهُ … أَخٌ شَقِيقٌ شَفِيقٌ أَوْ أَبٌ حَدِبُ

---

(١) ورواية السكر في أعقاب عصبته ... (ل)
(٢) هذا الذي رضي الحساد أم غضبوا (ل)
(٣) والجود ... والبخل والجور ... (ل)
(٤) الأتِيُّ : السيل . والقُلُب : جمع قليب وهو البئر . وورد عجز البيت في (ل) هكذا : وما له في حديث طيب نشب . وهو من سهو الناسخ .
(٥) وما له . (كما أشير إليه في الحاشية رقم (٤) والبيت ساقط من (ل)
(٦) يأتي هذا البيت في (ل) قبل ثلاثة أبيات .

وَزَادَ مُلْكَكَ مِنْ أَسْنَى مَوَاهِبِهِ أَشَفُّ[1] مَا يَصْطَفِي مِنْهُ وَيَنْتَخِبُ

وَحُزْتَ كُلَّ نَفِيسٍ مِنْ مَلاَبِسِهِ[2] أَشْبَهْتَ لأْلآءهُ وَالشِّبْهُ مُنْجَذِبُ[2]

مُمَنَّعٌ وَهْوَ بِالأَبْصَارِ مُنْتَهَبٌ وَظَاهِرٌ وَهْوَ بِالأَنْوَارِ مُحْتَجِبُ

وَمُقْرَبٌ بَرَّحَ السَّيْرُ الْحَثِيثُ[3] بِهِ حَتَّى تَحَكَّمَ فِيهِ الأَيْنُ وَالدَّأَبُ

نَحَا جَنَابَكَ وَالأَشْوَاقُ تَجْذُبُهُ فَدَأْبُهُ الشَّدُّ وَالتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ

حَتَّى رَآكَ فَمَالَ الإِخْتِيَالُ بِهِ إِلَى الْجِمَاحِ إِلَى أَنْ كَفَّهُ الأَدَبُ

وَقَلَّدَ العَضْبَ عَضْباً طَالَمَا انْكَشَفَتْ بِهِ صُنُوفُ الأَذَى وَانْجَابَتِ الْكُرَبُ

وَكُلُّ مَا أَنْتَ مُمْطَاهُ وَلاَبِسُهُ دُونَ الَّذِي ضُمِّنَتْ مِنْ مَدْحِكَ الْكُتُبُ

كَمْ أُودِعَتْ مِنْ صِفَاتٍ عَنْكَ مُخْبِرَةٍ وَإِنْ تَظَنَّى جَهُولٌ أَنَّهَا لَقَبُ

كُلُّ الْمَلاَبِسِ يَبْلَى عِنْدَ بِذْلَتِهِ وَتِلْكَ بَاقِيَةٌ أَثْوَابُهَا قُشُبُ

إِنَّ النَّبَاهَةَ أَدْنَى مَا سَعَيْتَ لَهُ[4] فَإِنْ خُصِصْتَ بِأَقْصَاهَا فَلاَ عَجَبُ

لَكَ الْهَنَاءُ الَّذِي لِلشَّانِئِيكَ بِهِ لَذْعُ الْهِنَاءِ[5] وَإِنْ لَمْ يَذْهَبِ الْجَرَبُ

مِنْ كُلِّ مُظْهِرِ وُدٍّ لَيْسَ يُضْمِرُهُ وَضَاحِكٍ لَكَ خَوْفاً وَهْوَ مُكْتَئِبُ

---

(١) شَفَّ الشيء شَفّاً : زاد ودام وثبت .

(٢) من مواهبه ... يجتذب (ل)

(٣) الخبيث ؟ (ع) و (م)

(٤) لها (ل)

(٥) الهباء ؟ (ل)

وَمَنْ أَحَقُّ بِذَا ٱلتَّنْوِيهِ مِنْ مَلِكٍ ... مَاضِي ٱلْغِرَارِ إِذَا مَا كَلَّتِ ٱلْقُضُبُ
تَرْضَى ٱلْمُلُوكُ بِأَنْ يُدْعَى لَهَا [(١)] شَرَفاً ... وَتَعْتَلِي بِٱسْمِهِ ٱلْأَشْعَارُ وَٱلْخُطَبُ
أَنَالَهُ ٱلْجُودُ وَٱلْإِقْدَامُ مَنْزِلَةً ... مَا نَالَهَا سَالِفاً آبَاؤُهُ ٱلنُّجُبُ
وَتَاجُ مِلَّةِ خَيْرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَهُ ... جَدٌّ وَتَاجُ مُلُوكِ ٱلْخَافِقَيْنِ أَبُ
وَإِنْ مَعَالِيهِمُ طَالَتْ فَقَدْ بَلَغَتْ ... بِهِ ٱلْمَآثِرُ مَا لَا يَبْلُغُ ٱلْحَسَبُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ مِنَ ٱلْمَجْدِ ٱلصَّرِيحِ بِمَا ... نَصِيبُ طُلَّابِهِ ٱلْإِكْدَاءُ وَٱلنَّصَبُ [(٢)]
مُنَافِياً [(٣)] كُلَّ مَنْ تُخْفِيهِ هِمَّتُهُ ... فَلَيْسَ يُعْرَفُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِبُ
بِكَ ٱقْتَضَى ٱلدِّينُ دَيْناً حَانَ مَاطِلُهُ ... فَيَسَّرَ ٱللّٰهُ مَا تَرْجُو وَتَرْتَقِبُ
فَلَيْسَ يَعْصِيكَ إِلَّا مَنْ حُشَاشَتُهُ ... يَسْتَاقُهَا ٱلْحَتْفُ أَوْ يَشْتَاقُهَا ٱلْعَطَبُ
وَصَلْتَنِي [(٤)] بِصِلَاتٍ لَا يَجُودُ بِهَا ... إِلَّا ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي مَالِهِ أَرَبُ
فَمِنْ بَيَانِكَ مَاءُ ٱلْفَضْلِ مُنْهَمِرٌ ... وَمِنْ بَنَانِكَ مَاءُ ٱلْجُودِ مُنْسَكِبُ [(٥)]
وَٱلْمَجْدُ إِنْ كَانَ فِي ٱلْأَقْوَامِ مُكْتَسَباً ... فَإِنَّهُ فِيكَ مَوْلُودٌ وَمُكْتَسَبُ
سَطَوْتَ فَٱسْتَصْغَرَ ٱلْأَنْجَادُ [(٦)] مَنْ غَلَبُوا ... وَجُدْتَ فَٱسْتَنْزَرَ ٱلْأَجْوَادُ مَا وَهَبُوا

---

(١) لهم (ل)
(٢) هذا البيت والذي بعده يختلف ترتيبهما في النسخ وقد اخترنا ترتيب (ل)
(٣) مناقضاً (ل)
(٤) واصلتني (ل)
(٥) هذا البيت وبيتان بعده ساقطة من (ل)
(٦) الأمجاد (م)

كَمْ مِنْ لُهًى جَمَّةٍ أَتْبَعْتَها بِلُهًى ... كَذَّبْتَ مَنْ قالَ إِنِّي جارُكَ الْجُنُبُ

وَزادَ بِرُّكَ حَتَّى صارَ ناسِبُكُمْ ... يَعُدُّني مِنْ ذَوِي الْقُرْبَى إِذا نَسَبُوا

فَقَدْ تَرَكْتُ غَنِيّاً (١) غَيْرَ مَقْلِيَةٍ ... لَمَّا تَجَدَّدَ لي في عامِرٍ (١) نَسَبُ

وَسَوْفَ أُبْقِي عَلَى ذا الْمُلْكِ مِنْ كَلِمي ... ما لا تُحَيِّفُهُ (٢) الْأَحْوالُ وَالْحِقَبُ

مِنْ كُلِّ مُطْرِبَةٍ لِلْفَضْلِ مُطْرِبَةٍ ... مَنْ لَيْسَ يَطْرَبُ وَالْأَوْتارُ تَصْطَخِبُ

قَوْلٌ يُضاعِفُ بُعْدُ الدَّارِ قِيمَتَهُ ... كَالْمِسْكِ يَزْدادُ قَدْراً حِينَ يَغْتَرِبُ

وَكَيْفَ أَمْدَحُهُ مِنْ بَعْدِ مَعْرِفَتِي ... أَلَّا أَقُومَ (٣) بِعِشارِ الَّذي يَجِبُ

لَنْ يَبْلُغَ الْمَدْحُ أَدْنَى ما تَجُودُ بِهِ (٤) ... فَلَسْتَ تُحْرِزُ إِلَّا دُونَ ما تَهَبُ

١٦

وقال (٥) يمدح ناصر الدولة وسيفها أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان (٦)

هَلْ فَوْقَ مَجْدِكَ غايَةٌ لِطِلابِ ... أَمْ عَنْ ذَراكَ مُعَرَّجٌ لِرِكابِ

---

(١) غَنِيّ : قبيلة الشاعر المنسوبة إلى غني بن أعْصُر بن سعد من قيس عيلان من العرب العدنانية والنسبة إليها غَنَوي . وعامر بن صعصعة : جدّ بني كلاب قبيلة الممدوح .

(٢) ما لا تغيره (ل)

(٣) أن لا تقوم (ل)

(٤) لن يبلغ الحمد أدنى ما يجود به . فلست تخزن إلا دون ما تهب (ل)

(٥) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح ناصر الدولة بن حمدان »

(٦) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

ما ٱلْمُنْزِلُ ٱلْآمالَ عِنْدَكَ مُخْفِقٌ ... كَلَّا وَلاَ ٱلْمُرْتادُ بِٱلْمُرْتابِ [١]

فَطُلِ ٱلْوَرَى وَتَمَلَّ رُتْبَتَكَ ٱلَّتي ... خَطَبَتْكَ وَهْيَ كَثيرَةُ ٱلْخُطَّابِ

وَتَمَلَّكِ ٱلْعَلْياءَ بِٱلسَّعْيِ ٱلَّذي ... أَغْناكَ عَنْ مُتَعالَمِ ٱلْأَنْسابِ

بِسَوادِ نَقْعٍ وَٱحْمِرارِ صَوارِمٍ [٢] ... وَبَياضِ عِرْضٍ وَٱخْضِرارِ جَنابِ

وَٱفْخَرْ [٣] بِعَمٍّ عَمَّ جُودُ يَمِينِهِ ... وَأَبٍ لِأَفْعــالِ ٱلدَّنِيَّةِ آبِ

بِوِراثَةِ ٱلْأَفْعالِ أَدْرَكْتَ ٱلْمَدَى [٤] ... لاَ شَكَّ قَبْلَ وِراثَةِ ٱلْأَلْقابِ

حَسَناتُ فِعْلِكَ [٥] جَمَّةٌ فَبِأَيِّها ... أَصْبَحْتَ مُنْفَرِداً مِنَ ٱلْأَضْرابِ

بِعَضائِكَ ٱلْمُحْتاجِ أَمْ بِقَضائِكَ ٱلْـ ... ـمُنْتاشِ أَمْ بِعَطائِكَ ٱلْمُنْتابِ

أَمْ بَذْلِ عَفْوِكَ وَٱلذُّنُوبُ كَثيرَةٌ [٦] ... أَمْ قَطْعِ [٧] عَزْمِكَ وَٱلسُّيُوفُ نَوابِ

فِي ٱلْأَرْضِ أَهْلُ مَمالِكٍ ساحاتُهُمْ ... وَصُدُورُهُمْ فِي ٱلْمَحْلِ غَيْرُ رِحابِ

لَمْ يَعْجِزُوا فِي ٱلْمَكْرُماتِ [٨] وَأُعْجِبُوا ... وَلَدَيْكَ إِعْجـازٌ بِلاَ إِعْجابِ

---

(١) كالمرتاب (ل)

(٢) واحمرار أسنةٍ (ل)

(٣) وأنخم (م)

(٤) المُنَى (ل)

(٥) جدك (م)

(٦) عظيمة (ل)

(٧) أم وقع عزمك ... (ل)

(٨) في المأثرات (ل)

وَلِحِلْمِكَ ٱلْإِغْضاءُ فِي ٱلْإِغْضابِ ... وَلِنَيْلِكَ ٱلْإِجْدَاءُ فِي ٱلْإِجْدَابِ

وَلأَنْتَ غُرَّةُ أُسْرَةٍ أَيْمانُهـــا ... مَلأَىٰ مِنَ ٱلْإِعْطاءِ وَٱلْإِعْطابِ

مِنْ رَازِقٍ فِي لَزْبَةٍ أَوْ سابِقٍ ... فِي حَلْبَةٍ أَوْ ناطِقٍ بِصَوَابِ

قَوْمٌ إِذَا طَلَعَ ٱلْعجاجُ عَلَيْهِمُ ... قَتَلُوا ٱلْعِدىٰ فَٱنْجابَ عَنْ أَنْجابِ

وَإِذَا تَعَذَّرَتِ ٱلْغُيُوثُ بِأَرْضِهِمْ ... نابُوا عَنِ ٱلْأَنْوَاءِ خَيْرَ مَنابِ

حَرَبُوا ٱلزَّمانَ فَنالَ مِنْهُمْ ثَأْرَهُ ... بِشَبا خُطُوبٍ لاَ بِحَدِّ حِرَابِ

وَأَتَيْتَ فِي أَعْقابِ قَوْمِكَ عالِماً ... فِي ٱلرَّوْعِ فَضْلَ فَوَارِسِ ٱلْأَعْقابِ

فَأَخَفْتَهُ حَتَّى أُنْبِرَتْ أَحْدَاثُهُ ... مَفْلُولَةَ ٱلْأَظْفارِ وَٱلْأَنْيـــابِ

ما بَيْنَ خَطْبٍ رُعْتَهُ بِعَزِيمَةٍ ... تُرْدِي وَخَطْبٍ ذُدْتَهُ بِخِطابِ

يا أَحْضَرَ ٱلْأُمَرَاءِ فِي حَسْمِ ٱلْأَذىٰ ... قَوْلاً وَأَحْصَرَهُمْ غَدَاةَ سِبابِ

شَرُفَ ٱلنَّدِيُّ وَأَنْتَ فِيهِ ٱلْمُحْتَبِي (١) ... شَرَفَ ٱلنَّدىٰ ٱلْمُعْطىٰ وَأَنْتَ ٱلْحابِي

لَوْ رَاءَ ما يَأْتِي أَوَائِلُ وَائِلٍ (٢) ... بِمَحْضِ ٱلْفَخْرِ مِنْكَ لُبابِ (٣)

لِلنَّاصِرِ بْنِ ٱلنَّاصِرِ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي ... ما شَمْسُهُ مَحْجُوبَةٌ بِضَبـــابِ

---

(١) المجتبي (ع) و (م)

(٢) وائل بن قاسط من ربيعة من عدنان . كان له من الولد بكر وتغلب وهما بطنان عظيمان .

(٣) كذا والبيت كله ساقط من (ل)

مَلِكٌ إِذَا اُجْتَابَ ٱلْمُفَاضَةَ (١) فِي وَغًى   عَايَنْتَ لَيْثًا فِي قَمِيصِ حُبَابِ
يُلْفِي (٢) طَنِينَ ذُبَابِ كُلِّ مُهَنَّدٍ   فِي سَمْعِهِ عِزًّا طَنِينَ ذُبَابِ
شَفَعَ ٱلشَّجَاعَةَ بِٱلْخُشُوعِ (٣) لِرَبِّهِ   ما أَحْسَنَ ٱلْمِحْرَابَ (٤) فِي ٱلْمِحْرَابِ
وَغَدَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ لِمَعَادِهِ   وَهِبَاتُهُ تَتْرَى بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ ٱلْقَوَافِيَ مُذْ أَتَتْكَ مَوَادِحًا   أَمِنَتْ مِنَ ٱلْإِكْدَاءِ وَٱلْإِكْذَابِ (٥)
فَلْتَفْخَرِ ٱلْأَيَّامُ مِنْكَ بِبَاسِلٍ   غَمْرِ ٱلثَّوَابِ مُطَهَّرِ ٱلْأَثْوَابِ
يَقْظَانَ (٦) أَوْجَدَهُ ٱلتَّنَاهِي فِي ٱلنُّهَى   عَدَمَ ٱللِّعَابِ بِرَبْعِهِ وَٱلْعَابِ
قَدْ كُنْتُ عَنْ حَوْكِ (٧) ٱلْقَرِيضِ مُنَكِّبًا   فَأُتِيحَ لِي عِرْفَانُ وَجْهِ صَوَابِي
فَلَأَكْسُوَنَّ عُلَاكَ مِنْ حَبَرَاتِهِ   حُلَلَ ٱلْمُلُوكِ وَحِلْيَةَ ٱلْآدَابِ
وَلَأُهْدِيَنَّ ٱلْمَدْحَ عَزَّ نَظِيرُهُ   لِأَعَزِّ فَرْعٍ فِي أَجَلِّ نِصَابِ

---

(١) المفاصة ؟ (ع) و (م)
(٢) يلقى (ل)
(٣) بالخضوع (مسالك الأبصار . ج (١٠) مخطوط) .
(٤) المحراب : الشديد الحرب الشجاع . والمحراب الثانية : مقام الإمام في المسجد .
(٥) هذا البيت ساقط من (ل)
(٦) وأغر . . . بهامش (ع) و (م)
(٧) عن قول القريض (ل)

وَلأُبْقِيَنَّ عَلَى عَدِيٍّ مِثْلَ مَا أَبْقَى حَبِيبٌ فِي بَنِي عَتَّابِ[١]

١٧

وقال [٢] يمدح أمير الجيوش الدِّزبري [٣] وقد ضربت له خيام وخرج إليها معوِّلاً على الغزو .

إِنَّ الْعُلَى الْمُعْيِي الْمُلُوكَ طِلاَبُهَا لَكَ دُونَ هٰذَا الْخَلْقِ يُفْتَحُ بَابُهَا

خَطَبَتْكَ رَاغِبَةً إِلَيْكَ وَطَالَمَا[٤] رُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا خُطَّابُهَا

وَلَقَدْ فَرَعْتَ بِمَا صَنَعْتَ مَحَلَّةً لَوْلاَ النُّجُومُ تَعَذَّرَتْ أَتْرَابُهَا

وَبِكَ انْجَلَى عَنْ مُقْلَةِ الْحَقِّ الْقَذَى وَانْجَابَ عَنْ لَيْلِ الْخُطُوبِ حِجَابُهَا[٥]

---

(١) عدي : احد أجداد بني حمدان المذكورين في عمود نسبهم . وحبيب : هو أبو تمّام الطائي ، وما ابقاه في بني عتّاب : إشارة إلى قول أبي تمّام من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي :

لا جود في الأقوام يُعلم ما خلا جوداً حليفاً في بني عتّاب

ولأبي تمام عدة قصائد في مالك وأخيه القاسم ابني طوق ، وعتّاب من اجدادهما.

(٢) يختلف مكان هذه القصيدة في (ل) عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري وأنشده إياها يوم ضربه الخيام وخروجه معوِّلاً على الغزو في سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة » .

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص(٣)

(٤) وربما (ل)

(٥) هذا البيت ساقط من (ل)

وَأَعَدْتَ أَيَّامَ الْخِلاَفَةِ غَضَّةً ... فَمَضَى شَبَاهَا مُنْذُ عَادَ شَبَابُهَا

مُسْتَرْجِعاً بِالْمُرْهَفَاتِ مَمَالِكاً ... لَوْلاَكَ ما غَصَّتْ بِها غُصَّابُها [١]

فَافْخَرْ فَإِنَّكَ غُرَّةٌ في أُسْرَةٍ ... دَلَّتْ عَلَى أَنْسابِها أَحْسَابُهَا

وَتَمَلَّها خِيَماً حَبَاكَ النَّصْرَ مَنْ ... مُدَّتْ لِنُصْرَةِ دِينِهِ أَطْنَابُها

طَلَعَتْ بِأَعْلاَهَا نُجُومُ دُجًى ضُحًى ... زَهَرَتْ فَمِنْ أَنْوَارِها جِلْبابُهَا

وَبِها الْحَيا وَالشَّمْسُ طالِعَةٌ فَهَلْ ... عُقِدَتْ عَلَى الْفَلَكِ الْمُدَارِ قِبابُها

قَصْرٌ إِذَا الشُّعَرَاءُ رَامَتْ [٢] وَصْفَهُ ... عَجَزَتْ وَقَصَّرَ دُونَهُ إِطْنابُهَا

فِي كُلِّ فِتْرٍ مِنْهُ حَرْبٌ لَمْ تَرُعْ ... مَنْ قَاتَلَتْهُ [٣] سُيُوفُها وَحِرَابُها

كَثُرَتْ مُهاوَاةُ الرِّجالِ مُشِيرَةً ... بِظُبَى صَوَارِمِها وَقَلَّ [٤] ضِرَابُها

تَحْمِي الرُّماةُ بِها حَقائِقَهَا وَلَمْ ... يَسْطِعْ فِرَاقَ قِسِيِّها نُشَّابُها [٥]

فَتَرَى [٦] الْأُسُودَ بِهِ فَوَارِسَ حَيْثُ لاَ ... تَعْدُو وَلاَ تَفْرِي الطُّلَى أَنْيابُها

---

(١) عصابها (ل)

(٢) راموا (ع) و (م)

(٣) مَن قابلته (ل)

(٤) وفل (ل)

(٥) الحقائق : جمع حقيقة وهي ما يجب على الرجل أن يحميه ، يقال هو حامي الحقيقة وهو من حماة الحقائق . ولم يسطع : أي لم يستطع ، يقال اسطاع يسطيع أي استطاع يستطيع فيحذفون التاء استثقالاً لها مع الطاء .

(٦) وترى (ل)

وَتَرى الْفَوَارِسَ لاَ تَملُّ جِيادُها تُزْجي الظَّعائِنَ لاَ تَكِلُّ (١) رِكابُها
أَبَداً تَسِيرُ وَلاَ تَزُولُ فَهَلْ تُرى عَرَفَتْ غُيُوثَ الْجُودِ أَيْنَ مَصابُها
عَزْمٌ مَتى تَصِلِ الْعِدى أَخْبارُهُ قَبْلَ الْعِيانِ تَقَطَّعَتْ أَسْبابُها
يامُتْعِبَ النَّفْسِ النَّفِيسَةِ حَسْبُ مَنْ (٢) قارَعْتَ عَنْهُ رَاحَةً إِتْعابُها
مَنْ هَمَّ بِالْعَلْياءِ هامَ فُؤَادُهُ وَجْداً بِها وَحَلاَ بِفِيهِ صابُها
أَيَنالُ مَنْ صَعُبَتْ عَلَيْهِ سُهُولُها (٣) ما نالَ مَنْ سَهُلَتْ عَلَيْهِ صِعابُها
تَفْدِيكَ مِنْ غِيَرِ الزَّمانِ خَلاَئِقٌ في رَاحَتَيْكَ ثَوَابُها وَعِقابُها
إِنَّ السَّماءَ رَأَتْ فَعالَكَ في الْوَرى فَإِذَا دَعَوْا لَكَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُها
وَالأَرْضُ إِنْ خافَتْ فَمِنْكَ ذَهابُ ما تَخْشى وَإِنْ ظَمِئَتْ فَمِنْكَ ذِهابُها (٤)
لاَ تَشْتَكِي ظُلْماً وَعَدْلُكَ جارُها كَلاَّ وَلاَ ظُلَماً وَأَنْتَ شِهابُها
خَبُثَتْ فَمُذْ طَهَّرْتَها بِدِماءِ مَنْ خَبُثَتْ بِهِمْ (٥) طَهُرَتْ وَطابَ تُرَابُها
لَوْلاَ فِعالُكَ بِالطَّوَاغِي لَمْ تَلُذْ حَذَرَ الْبَوَارِ بِرُومِها أَعْرَابُها (٦)

(١) لا يكل (ل)
(٢) حَسْبُ ما (ل)
(٣) سهوله ؟ (ل)
(٤) الذهاب : الأمطار الغزار .
(٥) به (ل)
(٦) الطواغي : جمع طاغوت وهو كل رأس ضلال . ويشير بذلك إلى هزيمة حسّان بن المفرّج الطائي والتجائه الى الروم .
« انظر خطط الشام ج ١ ص ٢٥١ »

هَيْهاتَ لاَ عِزٌّ يُتاحُ لهَا وَقَدْ ... دانَتْ لِمُلْكِكَ كَلْبُها وَكِلاَبُها [١]

وَبِلاَدُ أَرْمانُوسَ سَوْفَ تَشيمُها ... إِنْ حانَ مالِكُها وَحانَ خَرابُها [٢]

وَالْمُلْكُ لاَيبْقَى لَهُ إِلاَّ كَمَا ... يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْمُدام حَبابُها

وَالرُّومُ ثَابِتَةٌ كَمَا زَعَمتْ إِذَا ... ثَبَتَتْ عَلَى وَقْعِ السُّيُوفِ رِقابُها

وَلَها مِنَ الْبِيضِ الرِّقَاقِ رِهَافُها ... إِنْ لَمْ تُنِبْ [٣] وَمِنَ الْعِتَاقِ صِلاَبُها

خَيْلٌ إِذَا رَكَضَتْ تَساوَى عِنْدَها ... مِنْ كُلِّ أَرْضٍ وَهْدُهَا وَهِضَابُها

تَرْدِي بِآسَادٍ خَوادِرَ فِي الْقَنا ... مِنْها أَظَافِرُهَا وَمِنْهَا غَابُها [٤]

وَأَمامَها ظَفِرٌ يَذِلُّ لَهُ الْعِدَى ... وَيفُلُّ ظُفْرُ النَّائِبَاتِ وَنَابُها [٥]

اِذْعَرْ جُيُوشَهُمُ بِجَيْشِكَ إِنَّها ... نَعَمٌ وأَطْرَافُ [٦] الْوَشِيجِ ذِئَابُها

وَالْقَوْمُ إِنْ شَطَّتْ بِعِزِّهِمُ النَّوَى ... فَابْنُ الْمُفَرِّجِ لاَ تَشُكَّ غُرابُها [٧]

---

(١) يشير بذلك إلى دخول رافع بن أبي الليل الكلبي في طاعة الفاطميين ، والى مقتل صالح بن مرداس الكلابي لما قاتله أنوشتكين .
« انظر خطط الشام ج ١ ص ٢٤٩ »

(٢) أرمانوس : ملك الروم . « الكامل لابن الاثير ج ٩ ص١٧٢ »

(٣) إن لم تَـثُبْ . . . (ل)

(٤) رَدَت الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .

(٥) رجل ظفِر : لا يطلب أمراً إلا أصابه . والبيت كله ساقط من (ل)

(٦) . . باطراف الوشيج ذبابها (ل)

(٧) ابن المفرِّج : هو حسَّان بن المفرِّج الطائي الذي مالأ ملك الروم على غزو حلب ، فقصد ملك الروم حلب سنة ٤٢١ وانهزم عنها أشنع هزيمة . « انظر خطط الشام ٢٥٠/١ » والبيت كله ساقط من (ل)

إنْ زُرْتَ مَمْلَكَةَ ٱلنَّصَارَى زَوْرَةً أَعْيَا عَلَى أَصْحَابِهَا إِصْحَابُهَا
ثَبَتَتْ بِأَفْئِدَةِ ٱلْعِدَى لَكَ هَيْبَةٌ سَتَزُولُ مِنْ [١] إِلْبَابِهَا أَلْبَابُهَا
هِمَمٌ يُهِيبُ بِهَا ٱلْوَلِيُّ لِدَفْعِ مَا يَخْشَى وَلَكِنَّ ٱلْعَدُوَّ يَهَابُهَا
عَزَّتْ وَجَادَتْ فَٱلْمَرُوعُ طَرِيدُهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ وَٱلْمَرِيعُ جَنَابُهَا
يَا مُصْطَفَى ٱلْمُلْكِ ٱلْمُظَفَّرَ دَعْوَةً عَدْوَاكَ إِنْ عَدَتِ ٱلْخُطُوبُ جَوَابُهَا[٢]
حَسُنَتْ بِكَ ٱلدُّنْيَا فَإِنْ هِيَ أُعْجِبَتْ تِيهاً فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ إِعْجَابُهَا
إِنَّ ٱلْقَوَافِيَ وَهْيَ غَيْرُ مَلُومَةٍ مُذْ [٣]أَصْبَحَتْ دَأْبِي فَمَدْحُكَ دَابُهَا
فَٱلْبَسْ مِنَ ٱلْحَمْدِ ٱلْمُؤَثَّلِ مُوقِناً أَنَّ ٱلْمَحَامِدَ لَنْ تَرِثَّ ثِيَابُهَا
حُلَلاً عَلَيَّ وَمَا أُكَافِئُ نَسْجُهَا وَعَلَى مَنَاقِبِكَ ٱلْعُلَى إِذْهَابُهَا
وَإِذَا ٱلْخُيُولُ تَسَابَقَتْ فِي حَلْبَةٍ بَانَتْ هُنَاكَ هِجَانُهَا وَعِرَابُهَا
قَدْ صَحَّ لِي كَدَرُ ٱلْمُلُوكِ وَغَدْرُهَا لَمَّا وَفَى لِي صَفْوُهَا وَلُبَابُهَا
غَرِيَتْ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ بِي إِنْ غَرَّنِي مِنْ بَعْدِ أَنْ هَطَلَتْ يَدَاكَ سَرَابُهَا
أَحْلَيْتَ لِي ٱلْعَيْشَ ٱلْأَمَرَّ بِأَنْعُمٍ صَدَقَتْ بَوَارِقُهَا وَسَحَّ سَحَابُهَا
وَنَظَرْتَنِي كَرَماً بِمُقْلَةِ عَالِمٍ أَنَّ ٱلرِّجَالَ حُلِيُّهَا آدَابُهَا

---

(١) عن (ل)
(٢) هذا البيت والذي بعده ساقطان من (ل)
(٣) قد أصبحت . . . (ل)

فَأَسْلَمْ وَإِنْ رُغِمَتْ[١] عِدَاكَ لِأُمَّةٍ لَوْلاكَ طالَ عَلَى الزَّمانِ عِتابُها

١٨

وقال[٢] يمدح ناصر الدولة[٣] ويهنيه بعيد النحر ويذكر الإرجاف[٤]

بَقِيتَ لِذَا الْعِزِّ الَّذِي عَزَّ مَطْلَبا وَلاَ زَالَ ظَنُّ الْحاسِدِيكَ مُخَيَّبا

لَقَدْجَلَّتِ[٥]الْبُشْرٰى بِتَكْذِيبِ ماحَكَوْا فَأَهْلاً بِما قالَ الْبَشِيرُ وَمَرْحَبا

وَلِلّٰهِ قَوْلٌ كانَ لِلشَّمْلِ جامِعاً وَلِلْبَغْيِ مُجْتاحاً وَلِلْهَمِّ مُذْهِبا

وَيا حَبَّذَا الْقَوْلُ الَّذِي بانَ مِنْهُ إِذَا كانَ عَمّاً[٦] فِي الضَّمائِرِ مُعْرِبا

عَرَفْتَ بِهِ ما فِي الْقُلُوبِ فَلَمْ تَجِدْ بِها عَنْكَ[٧] مُعْتاضاً وَلاَ عَنْكَ مَرْغَبا

جَنَيْتَ مِنَ الْإِحْسانِ وَالْعَدْلِ وَالتُّقٰى هَوىً عَدِمَتْ فِيهِ الْقُلُوبُ التَّقَلُّبا

---

(١) وإن زعمت ... ؟ (م)

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال يمدح ناصر الدولة ويهنيه بعيد النحر »

(٣) انظر ترجمته في الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٤) لعله يريد بالإرجاف الأخبار التي سبقت القبض عليه وتسييره من دمشق الى مصر سنة ٤٤٠ .

(٥) لقد حلت ... (ع) و (م)

(٦) إذا كان عزماً ... (ع) و (م)

(٧) منك ... (بهامش م)

يفوق هوى من يعشق الطرف أحوراً   وصبوة من يصبو إلى الثغر أشنبا
فلا طوت الأقدار أيامك التي   تذكر أيام الصبا كل أشيبا[(١)]
ولا أقلع النوء الذي أنت غيثه   فلسنا نرى عاماً بظلك مجدبا
ونبت الوهاد كان قبلك ذاوياً   فلما أتيت اخضر ما تنبت الربا
طلعت على ذي الأرض أيمن طالع   فأمنت مرتاعاً وأرهبت مرهبا
فإن لم تكن أفعالك المجد نفسه   فلا شك أن المجد منها تركبا
فلا يلتمس[(٢)] إدراك رتبتك الورى   فما عرضت للخاطبين فتخطبا[(٣)]
لقيدتها بالمأثرات محوطاً[(٤)]   عليها فلم تترك لها عنك مذهبا
فما هي إلا حوز من طاب مولداً   ونشراً[(٥)] وأخباراً وعرقاً ومنصبا
وذي شيم سيفية ناصرية   قضين له أن ورث العم والأبا
فأصبح مدعواً بما دعيا به   فلا فرق[(٦)] فيها أن يسمى وينسبا
إذا نزل العافون مغناه جادهم   حيا مزنة عاداتها أن تصوبا

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) فلا تلتمس إدراك رتبتك العدى (ع) و (م)
(٣) لتخطبا (ل)
(٤) محيطا (ع) و (م)
(٥) وبشراً وأخباراً وفرعاً ومنصبا (ل)
(٦) فلا فرق بين أن يسمى وينسبا (ل)

وَلَمْ يَجِدُوا غَيْمَ ٱلْمواعِيدِ زِبْرِجاً لَدَيْهِ وَلا بَرْقَ ٱلطَّلاَقَةِ خُلّبا
فَوازِنْ بِهِ أَهْمى ٱلْغُيُوثِ إِذا حَبا(١) وَوازِنْ بِهِ أَرْسى ٱلْجِبالِ إِذا ٱحْتَبَا
وَلَوْ لَمْ يُصَدِّقْ ناصِرُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُنىٰ بِأَنْعُمِهِ(٢) لَمْ تَلْقَ إِلاّ مُكَذِّبا
مِنَ ٱلْقَوْمِ لَمْ يُغْضُوا لِباغٍ عَلَى قَذىً فَواقاً(٣) وَلَمْ يَرْضَوْا سِوىٰ ٱلْحَمْدِ مَكْسبا
أُناسٌ(٤) سُقُوا دَرَّ ٱلإِباءِ لِيَنْتَخُوا كَما سُقِيَ ٱلْماءَ ٱلْحَديدُ لِيَصْلُبا
أَطَاعَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ في نَيْلِ مَا بَغَوْا وَلَوْ غَالَبَتْهُمْ أَحْرَزُوهُ تَغَلُّبا
لَئِنْ كانَ هٰذا ٱلدَّهْرُ مالِكَ أَهْلِهِ فَإِنَّكُمُ مُلاَّكُهُ شاءَ أَوْ أَبا
وَأَنْتُمْ(٥) مَقَرُّ ٱلْمُلْكِ قِدْماً وَإِنَّمَا يُرَى نَازِلاً في غَيْرِكُمْ إِنْ تَغَرَّبا
أَتَى مُلْكُكُمْ مِنْ مَطْلِعِ الشَّمْسِ مُشْبِهاً سَنَاهَا فَلَمَّا طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ غَرَّبا
وَكَانَ يَوَدُّ ٱلْغَرْبُ لَوْ كَانَ مَشْرِقاً فَصَارَ يَوَدُّ ٱلشَّرْقُ لَوْ كَانَ مَغْرِبا
إِذَا مَا شَهِدْتُمْ مَأْزِقاً شَهِدَ ٱلْوَرَىٰ بِأَنَّكُمُ أَجْرَىٰ وَأَمْضَىٰ مِنَ ٱلظُّبَا
مَلَأْتُمْ قُلُوبَ ٱلْعَالَمِينَ مَهَابَةً وَحُقَّ لِأُسْدِ ٱلْغَابِ أَنْ تُتَهَيَّبا

---

(١) إذا حمى ؟ (ل)
(٢) بإنعامه (ل)
(٣) الفَوَاق : ما بين الحلبتين من الزمان جعلوه ظرفاً على السعة .
(٤) أناساً سقوا در الإباء لينتجوا (ل)
(٥) فأنتم (ل)

فَكَمْ غُضَّتِ ٱلْأَبْصَارُ عِنْدَ لِقَائِكُمْ خُضُوعاً وَفُضَّتْ عِنْدَ ذِكْرِكُمُ ٱلْحُبَا
وَكَمْ قَالَ رَائِي جُودِكُمْ وَوَفَائِكُمْ وَبَأْسِكُمُ مَا ٱلْفَخْـرُ إِلاَّ لِتَغْلِبَا
فَيَا مَلِكاً مَازَالَ لِلّهِ مُرْضِيـاً وَلِلْإِفْكِ فِي نُصْحِ ٱلْخِلَافَةِ [1] مُغْضِبَا
وَيَامَنْ طَوَى عِزَّ ٱلْأَعَادِي وَمَا ٱنْتَضَى حُسَاماً وَلَا أَنْضَى مِنَ ٱلرَّكْضِ مُقْرَبَا
بَلَى أَسْكَنَ ٱلْبِيضَ ٱلْجُفُونَ مُجَرِّداً صَوَارِمَ عَزْمٍ لَا يُفَلُّ لَهَـا شَبَا
وَثَاقِبَ آرَاءٍ يُضِيءُ لَهَا ٱلدُّجَى وَصَادِقَ أَفْـكَارٍ تُرِيهِ ٱلْمُغَيَّبَا
لَقَدْ طَالَ مَا ٱسْتَنْقَذْتَ بِٱلْأَمْنِ خَائِفاً وُقُوعَ ٱلرَّدَى وَٱنْتَشْتَ بِٱلْعَفْوِ مُذْنِبَا
إِذَا عُدَّ أَمْجَادُ [2] ٱلدُّنَا كُنْتَ وَاحِداً وَإِنْ سُعِّرَتْ نَارُ ٱلْوَغَى كُنْتَ مِقْنَبَا [2]
جَمَعْتَ فَحُزْتَ ٱلْفَخْرَ نَفْساً نَفِيسَةً وَقَلْباً عَلَى صَرْفِ ٱلنَّوَائِبِ قُلَّبَـا
وَطَرْفاً إِلَى غَيْرِ ٱلْفَضَـائِلِ مَا رَنَا وَسَمْعاً إِلَى غَيْرِ ٱلْمَحَـامِدِ مَا صَبَا
مَنَاقِبُ قَدْ خَصَّتْ نِزَارَ يَزِينُهـا مَوَاهِبُ قَدْ عَمَّتْ نِزَارَ وَيَعْرُبَا [3]
فَهُنِّيتَ أَعْيَـادَ ٱلزَّمَانِ مُمَلَّكاً ذُرَى شَرَفٍ مَنْ رَامَهُ زَلَّ أَوْ كَبَا
وَبُلِّغْتَ أَقْصَى غَايَةِ ٱلسُّؤْلِ فِي أَبِي عَلِيٍّ [4] فَمَا أَسْخَى وَأَنْخَى وَأَنْجَبَا

(١) الخلائف (ل)
(٢) كذا ولعله أنجاد . والمِقْنَبُ : جماعة من الخيل تجتمع للغارة .
(٣) أي عمت بني نزار وهم العدنانيون ، وبني يعرب وهم القحطانيون.
(٤) يريد بأبي علي ابن الممدوح وهو الحسين بن الحسن بن الحسين ولقبه أيضاً ناصر الدولة كلقب أبيه . انظر الحاشية رقم (١) ص (١٧)

جَرى في مَدىً جَلَّيْتَ فيهِ مُصَلِّياً … وَما كُلُّ فَرْعٍ طَيِّبِ الأَصْلِ طَيِّبا
لَقَدْ أَظْهَرَ الدَّهْرُ الَّذي هُوَ عَيْنُهُ … بِهِ اليَوْمَ إِعْجاباً وَمِنْهُ تَعَجُّبا
إِذا زُرْتُهُ لَمْ أَدْرِ هَلْ جِئْتُ مَجْلِساً … حَوى جُمَلَ العَلْياءِ أَمْ جِئْتُ[1] مَكْتَبا
بِحَيْثُ أُلاقي حُلَّةَ الفَضْلِ بِالحِجى … مُطَرَّزَةً وَالحِلْمَ يَسْتَغْرِقُ الصِّبا
رَأَيْتُ أَخاهُ[2] مِثْلَهُ وَرَأَيْتُهُ … يُسايِرُ مِنْ أَبْنائِهِ[3] الغُرِّ مَوْكِبا
هُما كَوْكَبا سَعْدٍ أَنافا وَأَشْرَقا … فَلا أَفَلا ما أَطْلَعَ اللَّيْلُ كَوْكَبا
سَماعَكَ قَوْلي مِنْ أَجَلِّ جَوائِزي … فَقُلْ لِلُّهى مَهْلاً فَما حُلَلُ الرُّبا
سَأُثْني بِقَدْرِ الجَهْدِ[4] لِلْعِيِّ غالِباً … وَلا أَبْتَغي ما تَسْتَحِقُّ فَأُغْلَبا
وَلَوْ كُنْتُ أَرْجو أَنْ تَقومَ مَدائِحي … بِأَيْسَرِ ما تَأْتي لَأَشْبَهْتُ أَشْعَبا[5]
أَصارَ لِماءِ المَدْحِ جودُكَ مَسْرَبا[6] … وَأَصْفَيْتَهُ مِنْ جودِكَ الغَمْرِ مَشْرَبا
فَلا عُذْرَ لِلشِّعْرِ الَّذي فاضَ بَحْرُهُ[7] … إِذا لَمْ يَكُنْ في وَصْفِ فَضْلِكَ مُطْنِبا

---

(١) أوجئت مكتباً (ع) و (م)
(٢) كان لأبي علي أخوان هما فخر العرب وتاج المعالي قتلا معه في مصر سنة ٤٦٥ «ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٠»
(٣) من آرائه (ع) و (م)
(٤) في (ع) و (م) بقدر الحمد. وفي (ل) بقدر الجهل. وكلاهما تصحيف ولعل ما تراءى لنا هو الصواب.
(٥) أشعب بن جبير: ظريف من أهل المدينة يضرب المثل بطمعه.
(٦) مشرباً (ل)
(٧) الذي شاع فضله (ل)

وَهٰذِي ٱلْمَساعِي عَنْ صِفاتِي[١] غَنِيَّةٌ وَلٰكِنَّها لَمْ تُمْلِ إِلاّ لِأَكْتُبا[٢]

وَلاَ بَرِحَ ٱلْمُولِي بِكَ ٱلْعَدْلَ مانِعاً مَكانَكَ مَنْ أَعْلَى مِنَ ٱلنّاسِ أَوْ حَبا[٣]

وَلاَ زِلتَ تَجْلُو ٱلْحادِثاتِ وَتَجْتَلِي عَذارَى ٱلْقَوافِي ما جَلَى ٱلصُّبْحُ غَيْهَبا

١٩

وقال[٤] يمدح محمود بن نصر بن صالح[٥]

بِسَعْدِكَ دارَتْ فِي ٱلسَّماءِ ٱلْكَواكِبُ وَسارَتْ لِتَشْيِيدِ ٱلْعَلاءِ ٱلْمَواكِبُ

وَلَوْلاكَ لَمْ يَقْحَمْ جَوادٌ بِمَأْزِقٍ وَلافْتَكَتْ فِي ٱلْأُسْدِ تِلْكَ ٱلثَّعالِبُ[٦]

بِحَيْثُ ٱلْتَقَتْ سُمْرُ ٱلْقَنا وَصُدُورُهُمْ وَبِيضُ ٱلْمَواضِي وَٱلطُّلَى وَٱلتَّرائِبُ

عِناقٌ يُزِيلُ ٱلشَّوْقَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ يُرَى واصِلاً وَهْوَ ٱلْقَطُوعُ ٱلْمُجانِبُ

بِيَوْمٍ أَحَمِّ ٱلْجَوِّ حامٍ وَطِيسُهُ كَأَنَّ حَصاهُ مِنْ تَلَظِّيهِ ذائِبُ

صَبَغْتَ بِهِ ما ٱبْيَضَّ مِنْ فَلَقِ ٱلضُّحَى بِكُلِّ بَياضٍ تَجْتَوِيهِ[٧] ٱلْكَواعِبُ

---

(١) صفاتك ؟ (ل)

(٢) لنكتبا (ل)

(٣) فلا برح الملك المعدّل مانعاً مكانك من أعلى من الناس واجتبا (ل)

(٤) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ل)

(٥) انظر الحاشية رقم(١) ص (٢٦)

(٦) الثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

(٧) تحتويه ؟ (م) و (ع)

وَرَاجَعْتَ شَيْبَ ٱلْهِنْدُوَانِيِّ حُلْكَةً ... وَأَبْهَجُهُ مَا سُمْتَهُ وَهْوَ شَائِبُ
عَلَى أَنَّهُ صِبْغٌ يُحَدِّثُ سَائِلاً ... بِمَا كَانَ مِنْ تَأْثِيرِهِ وَهْوَ غَائِبُ
وَنَابَ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ عَزْمُكَ قَاطِعاً ... وَمِنْ أَيْنَ كُفْؤٌ عَنْهُ يُوجَدُ نَائِبُ
فَرَيْتَ بِهِ غَرْبَ ٱلزَّمَانِ وَغَايَةُ الـ ... صَّوَارِمِ أَنْ تُفْرَى بِهِنَّ ٱلْغَوَارِبُ
وَمَلْمُومَةٍ دَبَّتْ وَأَلْسِنَةُ ٱلْقَنَا ... لَهَا حُمَةٌ وَٱلْمُقْرَبَاتُ ٱلْعَقَارِبُ
يُعَاطِي بِهَا ٱلنَّدْمَانُ كَأْساً مِنَ ٱلرَّدَى ... بِهَا نَالَ رِيّاً فِي ٱلْمَنِيَّةِ شَارِبُ
وَعَانَقَ فِيهَا مُبْغِضٌ لِبَغِيضِهِ ... كَمَا ٱعْتَنَقَتْ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ ٱلْحَبَائِبُ
سَمَاعُهُمُ فِيهَا ٱلصَّلِيلُ وَخَمْرُهُمْ ... دَمُ ٱلْقَوْمِ لَامَا ٱسْتَحْلَبَ ٱلْكَرْمَ حَالِبُ
سَرَتْ بِكَ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلنَّقْعِ أَلْيَلٍ ... تُعَمَّى عَلَى مَنْ سَارَ فِيهِ ٱلْمَذَاهِبُ
فَأَطْلَعْتَ فِيهِ بِٱلْأَسِنَّةِ أَنْجُماً ... لَهَا مِنْ نَوَاصِي ٱلدَّارِعِينَ ذَوَائِبُ
عَزَائِمُ خَرَّاجٍ إِذَا مَا تَضَايَقَتْ ... مَخَارِجُهُ لَا لَاعِباً وَهْوَ لَاعِبُ
وَطَعْنٌ لِسُمْرِ ٱلسَّمْهَرِيِّ مُحَطِّمٌ ... عَلَى أَنَّهُ لِلْمَجْدِ بَانٍ وَنَاصِبُ
وَضَرْبٌ لِبِيضِ ٱلْمَشْرَفِيِّ مُهَدِّمٌ ... بِهِ وَلِأَعْدَادِ ٱلْمُعَادِينَ حَاصِبُ
وَأَرْعَنَ مَوَّارِ ٱلْحَوَاشِي لِأَرْضِهِ ... بِعِثْيَرِهِ مِنْ نَاظِرِ ٱلْجَوِّ[1] حَاجِبُ
لَهُ مِنْ سُطَا فَخْرِ ٱلْمُلُوكِ مُؤَيِّدٌ ... يُطَاعِنُ عَنْ أَقْرَانِهِ وَيُضَارِبُ

(١) في (ع) و (م) الحو . وهو من سهو الناسخ .

فَتىً هَـذَّبَتْ فِيهِ ٱلتَّجارِبُ نَفْسَهُ ... فَكَيْفَ بِها إِذْ هَذَّبَتْها ٱلتَّجارِبُ
يَسُدُّ مَسَدَّ ٱلأَلْفِ بَأساً وَنَجْدَةً ... إِذا رَدَّ ضَرْبَ ٱلأَلْفِ فِي ٱلأَلْفِ حاسِبُ
وَدَبَّرَ أَمْرَ ٱلمُلْكِ قَبْلَ بُلُوغِهِ ... وَما نَزَعَتْ عَنْهُ ٱلسِّخابَ ٱلرَّبائِبُ
وَتِلْكَ لِأَبْناءِ ٱلمُسَيَّبِ شِيمَةٌ ... يَسُودُ وَلِيدٌ مِثْلَما سادَ شائِبُ
أُناسٌ أَساءَتْ حُكْمَها فِي لُهاهُمُ ... أَكُفُّهُمُ إِذْ أَحْسَنُوا وَٱلمَواهِبُ
وَسَدُّوا بِتَسْدِيدِ ٱلطِّعانِ مِنَ ٱلعُلى ... ثُغُوراً تَوَلَّتْ كَشْفَهُنَّ ٱلنَّوائِبُ
فَمِنْ رَأْيِهِ ٱلوارِي عَوالِيهِ أُشْرِعَتْ ... وَمِنْ عَزْمِهِ ٱلماضِي تُسَلُّ ٱلقَواضِبُ
هُوَ ٱلمَلِكُ ٱلفَيّاضُ بَأساً وَنائِلاً ... فَحَيْثُ تَراهُ ناقِماً فَهْوَ واهِبُ
يَصُولُ وَلَوْ أَنَّ ٱلنُّجُومَ كَتائِبُ ... وَيُعْطِي وَكَفُّ ٱلجَدْبِ لِلسِّتْرِ جاذِبُ
وَكُنْتَ إِذا ما ٱلشَّرُّ صَرَّحَ بِٱسْمِهِ ... وَلاذَتْ بِأَعْناقِ ٱلصَّياصِي ٱلذَّوائِبُ
جَعَلْتَ غِرارَ ٱلمَشْرَفِيِّ مُصاحِباً ... أَلا إِنَّهُ نِعْمَ ٱلرَّفِيقُ ٱلمُصاحِبُ
وَفِيٌّ إِذا خانَ ٱلشَّقِيقُ وَدافِعٌ ... إِذا حاصَ عَنْ دَفْعِ ٱلمُلِمِّ ٱلمُحارِبُ
وَلَمّا أَبى[1] قَوْمٌ سِوى ٱلبَغْيِ مَرْكَباً ... وَلِلذُّلِّ فِيهِ وَٱلمَذَلَّةِ راكِبُ
سَدَدْتَ عَلَيْهِمْ كُلَّ بابٍ وَثُغْرَةٍ ... يَخالُونَ مِنْهُ ٱلنُّجْحَ وَٱلنُّجْحُ عازِبُ
وَأَمْهَلْتَهُمْ حَتّى لَظَنُّوكَ عاجِزاً ... وَما يَسْتَوِي ٱلمَغْلُوبُ وَٱلمُتَغالِبُ

---

(١) في (ع) و (م) أتى . وهو تصحيف .

وَقَدْ تَنفُذُ الأَقْدارُ حَتَّى يَرَى امْرُؤٌ ... مِنَ الصِّدْقِ ظَنًّا وَعْدَها وَهْوَ كَاذِبُ
وَعَزْمُكَ ماضٍ حِينَ تَنْبُو صَوارِمٌ ... وَرَأْيُكَ لَمَّا أَظْلَمَ الجَوُّ ثاقِبُ
وَلٰكِنَّهُمْ مِنْ عَامِرٍ (١) فِي أَرُومَةٍ ... لَهَا مِنْكَ عِزٌّ لاَ يُرَامُ وَجانِبُ
فَإِنْ يَهْفُ فَرْعٌ مِنْهُمُ فَاغْتِفارُ ما ... جَناهُ عَلَى مَعْرُوفِ فَضْلِكَ وَاجِبُ
بَنُو العَمِّ وَالأَرْحامُ فِي النَّاسِ شُجْنَةٌ (٢) ... رِعايَتُها فِي الدِّينِ وَالعَقْلِ وَاجِبُ
فَكُنْ بِهِمُ لاَ فِيهِمُ الخَطْبَ ضارِباً ... فَفِيهِمْ قُوًى تَعْيا بِهِنَّ الضَّرائِبُ
وَلَمَّا هَجَرْتَ الشَّامَ حاشاكَ أَنْ تُرَى ... لَهُ هاجِراً أَوْ عَنْهُ رَأْيُكَ رَاغِبُ (٣)
فَلاَ حَلَّهُ مِنْ وَحْشَةٍ مَا اسْتَفَزَّهُ ... عَنِ الأَمْنِ وَارْتَابَ النَّزِيلُ المُصَاقِبُ
وَمَا كَانَ لَمَّا اعْتَلَّ مِنْ قَبْلُ شَافِيَاً ... سِوَاكَ لَهُ يَا مَنْ لَهُ الفَضْلُ صَاحِبُ
مَدَدْتَ عَلَيْهِ ظِلَّ عِزِّكَ فَاحْتَمَى ... وَلَوْلاَكَ يَوْمَاً مَا احْتَمَى فِيهِ جَانِبُ
وَصَيَّرْتَهُ لِلأَمْنِ رَبْعَاً وَقَبْلَهَا ... غَدَا لِذُيُولِ الخَوْفِ وَهْوَ مَسَاحِبُ
وَأَنْقَذْتَ قَوْمَاً فِيهِ مِنْ كِفَّةِ (٤) الرَّدَى ... وَقَدْ نَشِبَتْ أَظْفَارُهَا (٥) وَالمَخَالِبُ

(١) عامر بن صعصعة : جد بني كلاب قبيلة الممدوح .

(٢) الشجنة مثلثة الشين : الشعبة من كل شيء يقال « بينهما شجنة رحم » أي شعبة رحم كأنها حبل من حبال صلته .

(٣) يشير بذلك إلى تخلي محمود عن حلب لعمه ثمال بن صالح سنة ٤٥٣ ثم عودته إليها سنة ٤٥٤ . « انظر الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٨٠ » .

(٤) كفة الصائد : حبالته

(٥) كذا ولعلها (أظفاره)

بِعِزِّكَ لاَ ذُوا وَهْوَ أَمْنَعُ مَوْئِلٍ وَغَيْثِكَ أَمُّوا وَهْوَ لِلْبِرِّ سَاكِبُ

تَرَكْتَ لَهُمْ رَأْياً كَسَاهُمْ مَذَلَّةً وَلُذْتَ بِرَأْيٍ جَانَبَتْهُ الْمَعَائِبُ

أَسَاؤُوا وَجَاؤُا لاَئِذِينَ بِشِيمَةٍ لِمَذْهَبِهَا فِي الْعَفْوِ تَعْفُو الْمَذَاهِبُ

فَمَالَ إِلَىٰ جَنْبِ التَّجَاوُزِ عَنْهُمُ كَرِيمٌ قَدِيرٌ لِلرِّضَىٰ مِنْهُ جَانِبُ

يَمُنُّ وَطَوْلُ الْإِقْتِدَارِ مُسَاعِدٌ وَيَحْلُمُ فِي وَقْتٍ بِهِ الْحِلْمُ عَازِبُ

تَجَاوَزَ صَفْحاً عَنْ عُقُوبَةِ جَاهِلٍ يُسِيءُ وَيَنْسَىٰ مَا تَجُرُّ الْعَوَاقِبُ

وَأَدَّبَهُمْ بِالْعَفْوِ وَالْعَفْوُ سَوْطُهُ لِكُلِّ كَرِيمٍ فِيهِ تُلْقَىٰ الْمَآدِبُ

٢٠

وقال (١) يرثي محموداً (٢) ويعزي والدته علوية (٣) ابنة وثّاب

يَطْمَعُ(٤) النَّاسُ فِي الْبَقَاءِ وَتَابَىٰ نُوَبٌ تَسْلُبُ النُّفُوسَ اغْتِصَابَا

وَمَتَىٰ تَرْعَوِي حَوَادِثُ دَهْرٍ دَأْبُهَا أَنْ تُفَرِّقَ الْأَحْبَابَا

يَذْهَبُ اللَّوْمُ وَالْعِتَابُ هَبَاءً فِي خُطُوبٍ لاَ تَعْرِفُ الْإِعْتَابَا

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا .

(٢) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٣) هي علوية بنت وثّاب النميري صاحب حرّان وتعرف بالسيدة كانت من أعقل النساء وأفصحهن . « انظر زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم ١/٢٥٥ »

(٤) تطمع الناس ... (ل)

غِيَرٌ لَوْ نحتتْ غُراباً إذاً شَابَ وَلَوْ صَافَحَتْ حَدِيداً لَذَابَا

وَإِذَا مَا سَطَتْ فَمَنْ ذَا يُدَاجَى مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ أَمْ مَنْ يُحَابَا

لَوْ يَهَابُ ٱلرَّدَى لَتَنَكَّبَ(١) مَحْمُو داً وَلَكِنَّ صَرْفَهُ لَنْ يَهَابَا

عَمَّ نَصْراً وَصَالِحاً وَمَنِيعاً وَشَبِيباً وَلَمْ يَهَبْ وَثَّابَا(٢)

أَيْنَ(٣) تِلْكَ ٱلْأَمْلَاكُ زَادُوا عَلَى ٱلْخَلْـ قِ وَزَانُوا ٱلْأَحْسَابَ وَٱلْأَنْسَابَا

إِنْ دَعَاهُمْ إِلَى ٱلْكَرِيهَةِ دَاعٍ جَعَلُوا ٱلطَّعْنَ وَٱلضِّرَابَ جَوَابَا

وَلَقُوا ٱلْحَرْبَ دَارِعِينَ مِنَ ٱلصَّبْـ رِ دُرُوعاً لَيْسَتْ تَحُلُّ ٱلْعِيَابَا

نَزَلُوا مُكْرَهِينَ عَنْ ذِرْوَةِ ٱلْعِـ زِّ وَكَانُوا قِدْماً لَهُ أَرْبَابَا

فَكَأَنْ لَمْ يُصَاقِبُوا أَرْضَ حَرَّا نَ وَلَا حَلَّ حَيُّهُمْ جُلَّابَا(٤)

قَصَدَتْهُمْ بَوَائِقُ ٱلدَّهْرِ(٥) حَتَّى أَسْكَنَتْهُمْ بَعْدَ ٱلْقُصُورِ ٱلتُّرَابَا

---

(١) في مختارات البارودي : تنكّب محموداً .

(٢) نصر بن صالح والد محمود ، وصالح بن مرداس جده ، ومنيع بن شبيب بن وثّاب النميرى صاحب حرّان خاله . « الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٨٠ »

(٣) إن تلك ... (ع) و (م)

(٤) حرّان : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة وهي قصبة ديار مضر واقعة على طريق الموصل والشام والروم . وجُلاّب : نهر في حرّان سمي باسم قرية يقال لها جُلاّب . « معجم البلدان لياقوت »

(٥) بوائق الأرض ... (ع) و (م)

وَاُسْتَزَادَتْ أَبَا سَلاَمَةَ[1] لَمَّا تَمَّ مُلْكاً وَقُدْرَةً وَشَبَابَا

حَادِثٌ عَمَّ عَامِراً بِالرَّزَايَا فَاُسْتَكَانَتْ لَهُ وَخَصَّ كِلاَبَا[2]

إِنَّ رَيْبَ اُلْمَنُونِ أَلْوَى بِمَلْكٍ لَوْ رَمَاهُ غَيْرُ الرَّدَى مَا أَصَابَا

لَمْ يُغَالِبْ قَضَاءَ ذِي اُلْعَرْشِ إِذْ وَا فَى وَمَا زَالَ لِلْعِدَى غَلاَّبَا

لاَ تَخَافُ اُلْأَمْلاَكُ مُذْ[3] فَارَقَ اُلْمَهْ دَ وَهَلْ تَرْهَبُ اُلْأُسُودُ اُلذِّئَابَا

مِنْ أُنَاسٍ[4] تَوَارَثُوا اُلْبَأْسَ[5] وَاُلنَّخْوَ ةَ وَاُسْتَحْقَبُوا اُلْعُلَى أَحْقَابَا

تَرَكُوا لِلْوَرَى اُلْوِهَادَ مِنَ اُلْعِزِّ وَحَلُّوا مِنْهُ اُلرُّبَى وَاُلْهِضَابَا

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى اُلْمُسَافِرِ لاَ يَرْ جُو لَهُ طَالِبُ اُلنَّوَالِ إِيَابَا

أَكْرَمُ اُلْعَالَمِينَ نَفْساً وَأَخْلاَ قاً وَأُمّاً وَوَالِداً وَنِصَابَا

كَانَ فِي ذَا اُلْوَرَى غَرِيباً وَوَافَى قَدَرٌ[6] لَمْ يَزِدْهُ إِلاَّ اُغْتِرَابَا

يَكْرَهُ اُلْوَعْدَ وَاُلْمِطَالَ فَتَنْثَا لُ يَدَاهُ بِاُلْمَكْرُمَاتِ اُقْتِضَابَا

جَازَ حَدَّ اُلنَّدَى وَآمَنَ سِرْبِي فَكَفَى أَنْ أَرْتَادَ أَوْ أَرْتَابَا

(١) أبو سلامة : كنية المرثي محمود بن نصر بن صالح «تاريخ ابن الوردي ١/٣٦٧»

(٢) كلاب : قبيلة المرثي وهي بطن من عامر بن صعصعة .

(٣) إذ فارق ... (ل)

(٤) من أسود ... (م)

(٥) توارثوا المجد ... (ل)

(٦) قدراً (ل)

عَقَلَتْنِي فِي ظِلِّهِ فَمَلاتْ ... تَمْنَعُ ٱلْإِنْتِجَاعَ وَٱلْإِضْطِرَابَا
بَيْنَ جُودٍ يَسِيرُهُ يَطْرُدُ ٱلْفَقْـ ... ـرَ وَقُرْبَى تُعَلِّمُ ٱلْآدَابَا
وَعَطَايَا لَمَّا تَعَالَمَهَا ٱلْعَا ... لَمُ لَمْ يُنْكِرُوا لِبَحْرٍ عُبَابَا
وَكَسَانِي مَلَابِساً أَلْبَسَتْنِي ... مُذْ تَوَارَى مِنَ ٱلْأَسَى جِلْبَابَا
يَا ٱبْنَةَ ٱلْأَكْرَمِينَ قَدْرُكِ فِي ٱلنَّا ... سِ عَظِيمٌ وَإِنْ عَظُمْتِ مُصَابَا
فَٱسْتَرَدَّ ٱلْوَهَّابُ مَا كَانَ أَعْطَا ... كِ وَمَنْ ذَا يُنَازِعُ ٱلْوَهَّابَا
لَمْ تَسُودِي ذَا ٱلْخَلْقَ إِلَّا بِفَضْلٍ ... فُقْتِ فِيهِ ٱلْأَشْكَالَ وَٱلْأَضْرَابَا
فَدَعِي رَأْيَ أُمَّةٍ لَسْتِ مِنْهُمْ ... وَٱفْعَلِي فِعْلَ مَنْ يَخَافُ ٱلْحِسَابَا
وَتَأَسَّيْ بِرَأْيِ دَاوُدَ فِي ٱلْفِتْـ ... ـنَةِ إِذْ خَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَا [1]
لَا تُعَاصِي مَوْلَاكِ فِيمَا قَضَاهُ ... وَذَرِي ٱلْحُزْنَ إِنْ أَرَدْتِ ٱلثَّوَابَا
قَدَرُ ٱللهِ لَا يُدَافَعُ إِنْ حُمَّ ... فَصَبْراً لِحُكْمِهِ وَٱحْتِسَابَا
أَيُّ عُذْرٍ وَقَدْ أَحَطْتِ بِصَرْفِ ٱلدَّ ... هْرِ عِلْماً وَقَدْ دَرَسْتِ ٱلْكِتَابَا
وَحَقِيقٌ بِٱلصَّبْرِ مَنْ لَازَمَ ٱلْمُصْـ ... ـحَفَ دِيناً وَوَاصَلَ ٱلْمِحْرَابَا
وَلِعُذْرٍ تَأَخَّرَتْ هٰذِهِ ٱلْخِدْ ... مَةُ لَا أَنَّنِي عَدِمْتُ ٱلصَّوَابَا
نَابَتِ ٱلْعَيْنُ بِٱلْبُكَاءِ وَأُفْحِمْـ ... ـتُ فَمَا أَحْسَنَ ٱللِّسَانُ ٱلْمَنَابَا

(١) إشارة إلى الآية الكريمة في سورة ص (... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ).

زَالَ لُبِّي فِي عِلَّةٍ جَمَعَتْ لِي فَقْدَ تاجِ الْمُلُوكِ (١) وَالْأَوْصابَا

لَيْتَنِي (٢) لَمْ أُفِقْ فَقَدْ جاءَ مِنْ فَقْـ ـدِيهِ ما سَهَّلَ الْحِمامَ فَطابَا

لاَ يُوَازِي (٣) مِعْشارَ ما كانَ يُولِي قَطْعِيَ الْعُمْرَ حَسْرَةً وَاكْتِئابَا

سَرَّنِي حاضِراً وَأَدْنى وَأَغْنى فَعَدِمْتُ السُّرُورَ لَمَّا غابَـا

وَبِرَغْمِي أَنْ أَجْعَلَ الْمَدْحَ تَأْبِيْـ ـناً وَأَدْعُو مَنْ لَوْ وَعى لَأَجابَا

بِمَقـالٍ لاَ أَسْتَزِيْدُ بِهِ زُلْـ ـفى وَلاَ أَبْتَغِي عَلَيْهِ ثَوَابَـا

سائِرٍ (٤) لاَ يَزَالُ يَشْكُرُ نُعْما هُ كَمَا تَشْكُرُ الرِّياضُ السَّحابَا

* * *

(١) تاج الملوك : لقب المرثي .
(٢) في هذا البيت نقص في (ل)
(٣) لا يساوي ... (ل)
(٤) سائراً لن يزال ... (ل)

٢١

وقال (١) يمدح نصر بن صالح (٢) ويهجو بدراً الجمالي (٣)

أَبا زَنَّةٍ (٤) لاَ زَالَ جَدُّكَ هابِطاً وَحَدُّكَ مَفْلُولاً وَسَعْيُكَ خَيَّابا (٥)

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي :
(وقال يهجو بدراً ويمدح محمود بن صالح)

(٢) كذا والصواب محمود بن نصر بن صالح كما في (ل) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٣) هو أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي الأرمني ، كان مملوكاً لجمال الدولة ابن عمّار فعرف بالجمالي ، استعمله المستنصر على الشام سنة ٤٥٥ فجرى بينه وبين أهل دمشق والجند ما جعله يخاف على نفسه فخرج عنها هارباً سنة ٤٥٦ . ثم وليها ثانية سنة ٤٥٨ فثار عليه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ٤٦٠ فخرب العامة والجند قصر الإمارة وأحرقوه ، وتقلد نيابة عكا . فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن استدعاه المستنصر وقلده الوزارة سنة ٤٦٥ وفوض إليه جميع أموره فاستبد بأمور الدولة وضبطها أحسن ضبط . وكان شديد الهيبة مسرفاً في القتل وبقي متحكماً في مصر إلى أن توفي سنة ٤٨٧ .

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩١ و ٩٣ والكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٨١ »
وخطط مصر للمقريزي ج ٢ ص ٢١١ »

(٤) أبو زَنَّة : كنية القرد.

(٥) وسعيك قد خابا (ع) و (م)

وَأَلْحَقَكَ اللهُ الْكَرِيمُ بِعُصْبَةٍ … فَتَحْتَ إِلَىٰ ضَرْبِ الرِّقَابِ لَهُمْ بَابَا [(١)]

فَكَمْ لَكَ فِي بَسْطِ الرَّدَىٰ مِنْ حَبَائِلٍ … تَكُونُ إِلَىٰ مَا يَكْرَهُ اللهُ أَسْبَابَا

أَلَسْتَ الَّذِي أَغْرَىٰ بِمَوْلاهُ جُنْدَهُ … وَعَادَ وَمَا يَحْوِي مِنَ الْمُلْكِ [(٢)] أَسْلَابَا

وَعَاوَدْتَ فِيمَنْ حَلَّ بِالشَّامِ نَاظِراً … فَأَرْمَلْتَ نِسْوَانًا وَفَرَّقْتَ [(٣)] أَحْبَابَا

وَلَمَّا عَمَمْتَ الْخَلْقَ بِالْفَقْرِ وَالرَّدَىٰ … فَبَادُوا وَأَوْسَعْتَ [(٤)] الْمَنَازِلَ إِخْرَابَا

عَمَدْتَ إِلَىٰ مَنْ لَا يُعَدَّدُ فَضْلُهُ … وَلَوْ كَانَ أَهْلُ الْبَدْوِ وَالْحَضْرِ حُسَّابَا

جَهَدْتَ [(٥)] لِكَيْ مَا تَسْلُبُ الدِّينَ عِزَّهُ … وَكُنْتَ لِمَا لَمْ يُرْضِ [(٦)] ذَا الْعَرْشِ طَلَّابَا

---

(١) يشير بذلك إلى المكيدة التي دبرها لقتل أمراء الدولة ، وذلك أنه لما دخل مصر سنة ٤٦٥ « استدعى أمراء الدولة إلى منزله في دعوة صنعها لهم ، وبيَّتَ مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل فإنهم لا بد يحتاجون إلى الخلاء ، فمن قام منهم إلى الخلاء يقتل هناك ، ووكل بكل واحد واحداً من أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار ومال وأقطاع وغيره ، فصار الأمراء إليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين ، فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء وصارت رؤوسهم بين يديه » « خطط مصر المقريزي ج ٢ ص ٢١١ »

(٢) من المال (ع) و (م)

(٣) وأرحلت (ع) و (م)

(٤) واتبعت (ع) و (م)

(٥) في هامش (ع) و (م) : وَكِدْتَ ... وفي (ل) لكي تسلب الدين الحنيفي عزه ...

(٦) لما لم يَرض ذو العرش طلاَّبا (ل)

وَذٰلِكَ كَيْدٌ عَادَ مِنْ قَبْلِ ضَرِّهِ هَبَاءً فَمَا أَخْلَى مِنَ ٱلضَّيْغَمِ ٱلْغَابَا
وَمَكْرٌ بِحَمْدِ ٱللهِ حَاقَ بِأَهْلِهِ وَعَارِضُ بَغْيٍ قَبْلَ أَنْ يُمْطِرَ ٱنْجَابَا
وَلَمْ تَرْجُ هٰذَا ٱلْمُلْكَ يَوْماً وَإِنَّمَا خَبُثْتَ فَأَغْرَيْتَ ٱلطُّغَاةَ(١) بِمَنْ طَابَا
وَمَنَّيْتَ أُمَّانَاً(٢) كَدِينِكَ دِينُهُ وَلَوْ أَمْهَلَتْهُ ٱلْبِيضُ أَلْفَاكَ كَذَّابَا
حَوَيْتَ صِفَاتِ ٱلْكَلْبِ إِلَّا حِفَاظَهُ فَفِي(٣) ٱلْأَمْنِ هَرَّاراً وَفِي ٱلْخَوْفِ هَرَّابَا(٤)
كَأَفْعَالِ مَنْ حَاوَلْتَ بِٱلْخَتْلِ نَفْسَهُ فَلَا زِلْتَ مَغْلُوباً وَلَا زَالَ غَلَّابَا؟
مُبِيحُ حِمَى ٱلْأَمْوَالِ إِنْ زَمَنٌ نَبَا وَمَانِعُ(٥) سَرْحِ ٱلْمُلْكِ إِنْ حَادِثٌ نَابَا
إِذَا ٱجْتَابَ ثَوْباً مِنْ عُلىً وَمَهَابَةٍ لَبِسْتَ مِنَ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْخِزْيِ(٦) أَثْوَابَا
وَإِنْ عَدَّ مِرْدَاساً وَنَصْراً وَصَالِحاً لَدَى ٱلْفَخْرِ وَٱسْتَثْنَى شَبِيباً وَوَثَّابَا(٧)
بَجَحْتَ بِهِنَّاسٍ وَطُلْتَ بِتَرْوَسٍ وَزَالَا وَأَرْبَابٍ(٨) تُضَامُ فَلَا تَابَا؟

(١) الغواة (ع) و (م)
(٢) الأمّان : من لا يكتب كأنه أمي . ورواية (ل) هكذا :
ومنيت أمّاناً لديك دينه ولو أمكنته البيض ألفاك كذّابا
(٣) مع الأمن ... (ل)
(٤) ورد في هامش (ع) بجانب كلمة (هرّابا) ما نصه : وأقبلت والجدران .
(٥) وبالغ شرخ الملك ... (ع) و (م)
(٦) والغدر أثوابا (ع) و (م)
(٧) نصر بن صالح بن مرداس : والد الممدوح . وشبيب بن وثّاب النميري صاحب حرّان جده لأمه .
(٨) وأرذال تضام ... (ع) و (م) والأسماء الواردة في البيت أسماء أرمنية .

وَ بِٱلسَّيْفِ يَسْطُو حِينَ تَسْطُو بِحِيلَةٍ ... وَيُنْفِقُ أَمْوالاً وَتُنْفِقُ أَلْقَابا
تَنَزَّهَ عَنْ عُجْبٍ مَعَ ٱلْعِزِّ وَٱلْغِنَىٰ ... وَزِدْتَ مَعَ ٱلْإِذْلَالِ وَٱلْفَقْرِ إِعْجَابا
وَمَا دُونَهُ لِلطَّالِبِي[1] ٱلْعُرْفِ حَاجِبٌ ... إِذَا مَا أَتَوْا مِنْ دُونِ بَابِكَ حُجَّابا
وَمَا تَحْتَ ذَاكَ ٱلْبَابِ إِلَّا دَهَاثِمٌ[2] ... بِهَا عِشْتَ لَا طَالَتْ حَيَاتُكَ أَحْقَابا
لَئِنْ كُنْتَ مِنْ قَوْمٍ لِئَامٍ فَلَمْ تَزَلْ ... أَقَلَّهُمُ خَيْراً وَأَكْثَرَهُمْ عَابا
زَعَمْتَ لَحَاكَ ٱللهُ أَنَّكَ تائِبٌ ... وَما هٰذِهِ ٱلْأَفْعالُ أَفْعالُ مَنْ تابا
نَظارِ تَرَ ٱلْمَمْلُوءَ بَأْساً وَنَخْوَةً ... وَقَدْ مَلَأَ ٱلْغَبْرَاءَ تُرْكاً وَأَعْرَابا
فَما مَلِكُ ٱلْأَمْلَاكِ وَٱلْعَصْرِ رَاضِياً ... وَإِنْ غابَ عَمَّا قَدْ جَنَيْتَ فَما غابا
وَما هِيَ إِلَّا عَزْمَةٌ عامِرِيَّةٌ ... تُقَطِّعُ آرَاباً وَتَبْلُغُ آرَابا[3]

٢٢

وقال[4] يمدح أمير الجيوش[5]

لَوْ لَمْ يَقُدْ نَحْوَكَ ٱلْعِدَى ٱلرَّغَبُ ... أَنْزَلَهُمْ تَحْتَ حُكْمِكَ ٱلرَّهَبُ

---

(١) للطالب الغزو (ع) و (م)
(٢) الدَهْثَمُ : الشديد من الإبل والرجل المعطاء السهل الخلق والبحر. والدَهْثَمَةُ: الأرض السهلة والمرأة السهلة الخلق . وكل هذه المعاني لا تكاد تصلح في هذا الموضع .
(٣) تقطّع آراباً : جمع أربة وهي العقدة . وتبلغ آراباً جمع أرب : أي الحاجة وفي (ل) وتوصل آراباً :
(٤) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك هكذا :
« وقال أيضاً يمدحه »
(٥) هو أنوشتكين الدزبري والي دمشق انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

فَكَيْفَ(١) يُنْجِي ٱلْفِرَارُ مِنْ مَلِكٍ ... تَطْلُبُ أَعْدَاءَ مُلْكِهِ ٱلنُّوَبُ
وَمَنْ تَوَلَّى ٱلْإِلٰهُ نُصْرَتَهُ ... فَلَيْسَ يَحْمِي طَرِيدَهُ ٱلْهَرَبُ
بَنِي شَبِيبٍ (٢) هُبُّوا فَقَدْ رُفِعَتْ ... عَنْ عَفْوِ مُلْغِي ٱلْجَرَائِمِ ٱلْحُجُبُ
وَعَادَ سَيْفُ ٱلْهُدَى (٣) لِعَادَتِهِ ... فَكُلُّ مَا تَأْمُلُونَهُ كَثَبُ
عَلَامَ تَظْمَوْنَ فِي مُجَاوَرَةِ ٱلشَّـ ... ـرْكِ وَغَيْثُ ٱلْإِسْلَامِ مُنْسَكِبُ(٤)
حَلَّأْتَهُمْ عَنْوَةً وَلَوْلَاكَ مَا ... مُدَّ لِقَيْسٍ فِي أَرْضِهِمْ طُنُبُ
فَحِينَ فَاقَ ٱلْعِقَابَ مَا ٱقْتَرَفُوا (٥) ... قِدْمًا وَجَازَ ٱلْجَزَاءَ(٦) مَا ٱكْتَسَبُوا
عُدْتَ إِلَى ٱلْعَادَةِ ٱلَّتِي أَلِفُوا ... فَمَاتَ فِي طَيِّ صَفْحِكَ ٱلْغَضَبُ
لَحَاوَلُوا (٧) نُصْرَةً عَلَيْكَ وَكَمْ ... طَالِبِ أَمْرٍ قَدْ غَالَهُ ٱلطَّلَبُ
حَتَّى إِذَا أَخْفَقَتْ ظُنُونُهُمُ ... تَهَافَتَتْ نَحْوَ قَصْرِكَ ٱلْعُصَبُ
تَنْحُو هُمَامًا فِي ظِلِّ خِدْمَتِهِ ... تُجْنَى ٱلْمَعَالِي وَتُكْسَبُ ٱلرُّتَبُ (٨)

---

(١) وكيف (ل)
(٢) شبيب بن وثّاب النميري صاحب حرّان .
(٣) سيف العدى (ل)
(٤) ينسكب (ل)
(٥) ما افترقوا (ع) و (م)
(٦) الجوار (ل)
(٧) تحاولوا ... طالب أمرٍ عنا لهُ الطلبُ (ل)
(٨) هذا البيت ساقط من (ل)

فَعايَنُوا هَدْيَ حَضْرَةٍ يَنْفُقُ ٱلْجِدُّ لَدَيْها وَيَكْسُدُ ٱللَّعِبُ
وَمَنْ رَأَى بَعْثَهُ ٱلْكَتائِبَ لاَ (١) يَنْفَعُ حامَتْ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْكُتُبُ
ما ظَفِرُوا فِيكَ بِٱلَّذي طَلَبُوا فَلْيَظْفَرُوا مِنْكَ بِٱلَّذي طَلَبُوا
قَدْ بَذَلُوا ٱلطَّاعَةَ ٱلَّتي مَنَعُوا فَٱسْتَرْجَعُوا ٱلنِّعْمَةَ ٱلَّتي سُلِبُوا
وَأَنْتَ مَنْ تَرْدَعُ ٱلْوَسائِلُ مِنْ سُطاهُ ما لَيْسَ تَرْدَعُ ٱلْقُضُبُ (٢)
عَواطِفٌ طالَما كَسَوْتَ بِها مَنْ سَلَبَتْهُ رِماحُكَ ٱلسُّلُبُ
قَدْ (٣) هَذَّبَتْهُمْ لَكَ ٱلْخُطُوبُ وَلَوْ لاَ ٱلنَّارُ ما كانَ يَخْلُصُ ٱلذَّهَبُ
فَٱكْشِفْ مُحَيَّا ٱلرِّضَى فَصَفْحَتُهُ تَبْدُو لَهُمْ تارَةً وَتَحْتَجِبُ
لِتَرْجِعَ ٱلْعِزَّةُ ٱلَّتي ذَهَبَتْ فَهُمْ (٤) عِبِدَّاكَ حَيْثُ ما ذَهَبُوا
مُشَرَّدُو ذي ٱلسُّيُوفِ إِنْ بَعُدُوا وَوارِدُو ذي ٱلْحِياضِ إِنْ قَرُبُوا
عِزٌّ مُقِيمٌ بِٱلشَّامِ تَكْلَؤُهُ وَذِكْرُهُ فِي ٱلْبِلادِ مُغْتَرِبُ
عِنْدَ مُلُوكِ ٱلزَّمانِ يَعْرِفُهُ مُتَوَّجٌ مِنْهُمُ وَمُعْتَصِبُ
فَلْيَهْنِ مَوْلاكَ أَنَّ دَوْلَتَهُ تَنْتَجِبُ ٱلصَّفْوَ ثُمَّ تَنْتَخِبُ (٥)

---

(١) لا يغنيه (ل)
(٢) القصب (م)
(٣) مذ هذبتهم . . . (ع) و (م)
(٤) عِبِدَّاك : أي عبيدك . وفي (ع) و (م) عِبِدَّانُ . وهو تصحيف .
(٥) تنتخب الصفو ثم تنتجب (ل)

أَوْلَى ٱلْوَرَى أَنْ تَكُونَ طاعَتُهُ ... فَرْضاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَجِبُ

مَنْ [١] ذَلَّلَ ٱلدَّهْرَ بَعْدَ عِزَّتِهِ ... حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْ أَهْلِهِ ٱلْكُرَبُ

فَٱلْعَدْلُ فاشٍ وَٱلْجَوْرُ مُكْتَتِمٌ ... وَٱلْخَوْفُ ناءٍ وَٱلْأَمْنُ مُقْتَرِبُ

إِنَّ أَجَلَّ ٱلْمُلُوكِ كُلِّهِمِ ... رَضُوا بِهٰذَا ٱلْقَضاءِ أَوْ غَضِبُوا

مَلْكٌ إِلَيْهِ تُعْزَى ٱلْعُلَى أَبَداً ... وَيَنْتَمِي ٱلْفَخْرُ حِينَ يَنْتَسِبُ

مِنَ ٱلْأُلَى غَيْرَ ضُمَّرِ ٱلْخَيْلِ ما ... قادُوا وَغَيْرَ ٱلْكُماةِ ما ضَرَبُوا

ٱلْمَطَرُ ٱلْجَوْدُ إِنْ هُمُ سُئِلُوا ... وَٱلْعَدَدُ ٱلدَّثْرُ إِنْ هُمُ رَكِبُوا

أَبْلَجُ تَسْمُو بِمَدْحِهِ قالَةُ ٱلشِّـ ... ـعْرِ وَتُزْهَى بِذِكْرِهِ ٱلْخُطَبُ

ذُو رَاحَةٍ فِي ٱلنَّدَى يُقِرُّ لَها ... بِأَنَّهَا لاَ تُساجَلُ ٱلسُّحُبُ

عِدٌّ مِنَ ٱلْجُودِ لاَ يَغِيضُ وَإِنْ ... دامَ إِلَيْهِ ٱلذَّمِيلُ وَٱلْخَبَبُ

لِتَتْرُكِ ٱلتُّرْكُ ذِكْرَ سالِفِها ... فَحَسْبُ مَنْ ذِي ٱلْعُلَى لَهُ حَسَبُ

كَمْ حُزْتَ سِرْباً تَحْمِي جَآذِرَهُ ٱلْـ ... ـبِيضُ هُناكَ [٢] ٱلْجُيُوشُ لاَ ٱلسُّرَبُ

فَكُنْتَ [٣] سِتْراً وَٱلرَّوْعُ قَدْ كَشَفَتْ ... عَمَّا تُجِنُّ ٱلْبُرُودُ وَٱلنُّقُبُ

---

(١) من ذلك الدهر (ل)

(٢) ثقال الجيوش لا السُّرُبُ (ل) . والسُّرَب جمع سُرْبَة (قياساً) وهي جماعة الخيل ما بين العشرين الى الثلاثين .

(٣) وكنتَ . . . (ل)

لِلّهِ أَفْعَالُكَ الَّتي نَشَرَتْ مَا لَيْسَ تَطْوِي بِعِزِّهَا [١] الْحِقَبُ
مَلأْتَ أُفْقَ الْعَلاءِ مِنْ هِمَمٍ تَحْسُدُهَا فِي بُرُوجِها الشُّهُبُ
فَمَا يُجَارِيكَ فِي الدُّنا أَحَدٌ أَنّى تَسَاوَى الْبِحَارُ وَالْقُلُبُ
وَالرُّومُ قَتْلَى خَوْفٍ وَوَقْعِ ظُبىً إِنْ زَهِدُوا فِي اللِّقَاءِ أَوْ رَغِبُوا
وَقَدْ دَرَوْا أَنَّهُمْ وَمَا وَهِمُوا إِنْ نَكَبُوا عَنْ بِلادِهِمْ نُكِبُوا
مُظَفَّرٌ مَنْ تُظِلُّهُ هٰذِهِ الـ ـرَّايَاتُ لاَ مَنْ تُظِلُّهُ الصُّلُبُ [٢]
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزُورُ أَرْضَهُمُ مِنْ ذِكْرِ ذَا الْعَزْمِ جَحْفَلٌ لَجِبُ
فَارْمِ بِهِ عُدْوَةَ الْخَلِيجِ [٣] فَقَدْ طَارَتْ هَبَاءً فِي رِيحِهِ حَلَبُ
أَوْ فَتَرَبَّثْ [٤] فَقَدْ ظَفِرْتَ مَعَ الـ ـخَفْضِ بِأَقْصَى مَا يَبْلُغُ [٥] النَّصَبُ
وَشِمْ [٦] ظُبَاكَ الَّتي إِذَا نَصَلَتْ فَمِنْ دِمَاءِ الْمُلُوكِ تَخْتَضِبُ
فَطَالَمَا أَضْرَمَتْ بَوَارِقُهَا نَاراً أُسُودُ الْوَغَى لَهَا حَصَبُ [٧]

---

(١) بنشرها (ل)
(٢) السحب ؟ (ل)
(٣) يريد بالخليج : خليج القسطنطينية .
(٤) تربث : تمكّث .
(٥) في الأصل : ما تبلغ .
(٦) شامَ سيفه : أغمده وأصلته ضد .
(٧) الحَصَبُ كل ما يُرمى به في النار من حطب وغيره . وفي (ل) نار أسود الوغى لها حطب .

وَكَيْفَ تَسْتَعْصِمُ الْبِلادُ وَأَعْمَا رُ حُمَاةِ الْبِلادِ تُنْتَهَبُ
وَصَالِحٌ[١] مَنْ قَتَلْتَهُ وَهُوَ مَنْ قَدْ كَانَ يُجْنَى مِنْ بَأْسِهِ الْحَرَبُ
أَثْبَتُهُمْ وَطْأَةً إِذَا زَلَّتِ الْأَقْـ دَامُ خَوْفًا وَاصْطَكَّتِ الرُّكَبُ
فَلْيَسْلُ نَصْرٌ[٢] عَنِ الْعَوَاصِمِ فَالْـ قَاتِلُ فِي حُكْمِهِمْ لَهُ السَّلَبُ
مَا بَالُهُ يَمْنَعُ الْحُقُوقَ وَمَا مِثْلُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ يُغْتَصَبُ
يَا مُصْطَفَى الْمُلْكِ كُلُّ عَارِفَةٍ إِلَيْكَ تُعْزَى وَمِنْكَ تُكْتَسَبُ
عُمَّ بِجَدْوَاكَ مَنْ أَتَاكَ لَهَا وَمَا لَهُ فِي الْبِلادِ مُضْطَرَبُ
وَاخْصُصْ بِهَا مَنْ وَفَى فَلَيْسَ لَهُ[٣] إِلاَّ إِلَى ذَا الْجَنَابِ مُنْقَلَبُ
فَكَيْفَ يَعْدُو أَبَا سَمَاوَةَ مَا يَرْجُو وَأَنْتَ السَّبِيلُ وَالسَّبَبُ
وَقَدْ أُضِيفَتْ لَهُ إِلَى الْخِدْمَةِ الْـ قُرْبَى فَصَحَّ الْوَلاءُ وَالنَّسَبُ
بَلِّغْهُ[٤] يَا عُدَّةَ الْإِمَامِ مَدًى مَا بَلَغَتْهُ آبَاؤُهُ النُّجُبُ
وَارْدُدْ إِلَيْهِ تُرَاثَ وَالِدِهِ تَثْنِ إِلَيْهِ الْأَعِنَّةَ الْعَرَبُ

---

(١) هو صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٢) هو نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)
والعواصم حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية .
« معجم البلدان »

(٣) لها (ع) و (م)

(٤) بلغت ؟ (ع) و (م)

فَمِنْ عَجِيبِ ٱلْأَشْياءِ أَنْ يُصْبِحَ ٱلْ مُلْكُ شَعاعاً وَيُحْرَزَ ٱللَّقَبُ

وَأَسْمَعْ لَهَا جَمَّةَ ٱلْمَحاسِنِ مِنْ أَحْسَنِ (١) ما يُصْطَفَى وَيُنْتَخَبُ

غَرَّاءَ لَوْ نُوجِيَتْ بِمَا ضَمِنَتْ صُمُّ ٱلْجِبالِ ٱسْتَخَفَّها ٱلطَّرَبُ

٢٣

وقال أيضاً (٢)

حاشاكَ أَنْ تَسْلُبَ ٱلْأَيَّامُ ما تَهَبُ وَأَنْ تُخَوِّفَ مَنْ أَمَّنَتْهُ ٱلنُّوَبُ

قَدْ (٣) رامَ نَفْيَ كِلابٍ عَنْ مَواطِنِها بِٱلْخَتْلِ (٤) مَنْ مالَهُ في أَرْضِها نَشَبُ

وَٱلرُّومُ تَسْعَى ٱغْتِيالاً لا مُصالَتَةً أَلاَ تَنُوءُها وَكاساتُ ٱلرَّدَى نُخَبُ (٥)

في مَوْقِفٍ خَرِسَتْ أَيْدِي ٱلْكُماةِ بِهِ وَلِلصَّوارِمِ فيهِ أَلْسُنٌ ذُرُبُ (٦)

غَزَوْا مِئِينَ أُلُوفٍ (٧) في مِئِينَ فَما فاتَ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْ لَمْ يُنْجِهِ ٱلْهَرَبُ

---

(١) أنفس . . . (ل)

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وله ايضاً من قصيدة أولها »

(٣) ومنها : قد رام نفي كلاب . . . (ل)

(٤) بالخيل (ل)

(٥) نحب ؟ (م)

(٦) دُرُبُ (ل)

(٧) ألوفا (ع)

فَصَدْرُ مَلْكِهِمُ مِمَّا جَرَى حَرِجٌ ۔ وَقَلْبُ مَلْكِهِمُ مِمَّا يَرَى يَجِبُ
تَوَهَّمَ الْحَزْمَ مَوْلُوداً فَصَحَّ لَهُ ۔ مُذْ قارَعَ التُّرْكَ أَنَّ الْحَزْمَ مُكْتَسَبُ
وَلَيْسَ تَرْضَى الْعَوالِي وَهْيَ مااُحْطِمَتْ ۔ أَنْ يَطْرُدَ الْأُسْدَ عَنْ عِرِّيسِها الشَّبَبُ(١)
وَهْيَ الْمَمالِكُ لا تُحْمَى مَسارِحُها ۔ إِذَا (٢) أَضَرَّ بِذُؤْبانِ الْفَلا السَّغَبُ
إِنَّ الْعَواصِمَ (٣) نادَتْ مِنْكَ عاصِمَها ۔ وَقَدْ تَوالَى عَلَيْها الْخَوْفُ وَالرَّهَبُ
إِذْ كُلُّ ماطِرَةٍ ذَا الْكَفُّ مَنْشَأُها ۔ وَكُلُّ عِزٍّ بِهٰذَا السَّيْفِ مُكْتَسَبُ
لا تُهْمِلِ الشِّرْكَ فِي اسْتِئْصالِ شَأْفَتِها (٤) ۔ فَإِنَّما الشَّامُ جِسْمٌ رَأْسُهُ حَلَبُ
وَانْهَضْ لِنُصْرَتِها فِي أُسْدِ مَلْحَمَةٍ ۔ كَأَنَّ جِدَّ الْمَنايا بَيْنَهُمْ لَعِبُ
بِمُقْرَباتٍ كَساها نَقْعُ أَرْجُلِها ۔ أَضْعافَ ما بَزَّها التَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ
مَقْوَرَّةٌ طَالَمَا أَنْضَيْتَها (٥) تَعَباً ۔ عِلْماً بِأَنَّ (٦) سَيَجْنِي الرَّاحَةَ التَّعَبُ

---

(١) الشَّبَبُ : المُسِنّ من الثيران والغنم . وفي (ع) و (م) (البسب) وهو تصحيف .

(٢) اذ لا يليق بذؤبان . . . (ع) و (م)

(٣) العواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية . « معجم البلدان »

(٤) كذا في نسخ الديوان الثلاث . وفي مختارات البارودي : شأفته .

(٥) أنصَبْتَها (ع) و (م)

(٦) هذا مثل قول أبي السمراء الغساني : ←

فِي الْقَيْظِ وَالْقُرِّ[١] لاَ ظِلٌّ وَلاَ كَنَفٌ لَهَا فَلَيْسَتْ بِغَيْرِ النَّقْعِ تَحْتَجِبُ

فَعِزُّ مَنْ دَانَ دَانٍ مَا اسْتَقَامَ بِهَا وَقَلْبُ مَنْ لَمْ يُجِبْ مِنْ خَوْفِهَا يَجِبُ

أَوْقِعْ بِهَا نَارَ عَزْمٍ مِنْكَ لَيْسَ لَهَا[٢] إِلاَّ الْكُمَاةُ إِذَا مَا أُسْعِرَتْ حَطَبُ

نَارٌ[٣] مَتَى وَقَعَتْ مِنْ دُونِ خَرْشَنَةٍ فَكُلُّ مَنْ خَلْفَ أَنْطَاكِيَّةٍ حَصَبُ[٤]

إِذَا اكْتَسَتْ بَارِضَ[٥] الرِّبْعِيِّ أَرْضُهُمُ فَلْيَرْقُبُوهَا[٦] فَإِنَّ الْمُلْتَقَى[٧] كَثَبُ

– لا يأمنَنَّ على النساء أخٌ أخاً ما في الرجال على النساء أمينُ

كل الرجال وإن تعفَّف جهده لا بدَّ أنَّ بنظرةٍ سيخونُ

« ربيع الأبرار للزمخشري ج ٤ ورقة ١٠٨/٢ مخطوط في الظاهرية ».

وورد البيتان في (محاضرات الأدباء للراغب ج ٢ ص ٦٥) منسوبين لذي الرمة باختلاف يسير. كما وردا في المستطرف ج ٢ ص ٢٨٨ منسوبين للسمعاني خطأً.

(١) في القيظ والظل . . . (ل) .

(٢) ليس بها (ل)

(٣) ناراً (ل)

(٤) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . وأنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية (معجم البلدان) . والحَصَب : كل ما يرمى به في النار من حطب وغيره .

(٥) البارِض : أول ما تخرج الأرض من نبت . والرِّبْعي : ما نتج في أيام الربيع . والكَثَبُ القرب .

(٦) فليرفعوها (ل)

(٧) المرتقى (ع) و (م)

وَلَوْ دَرَوْا أَنَّهَا وَالْعُشْبَ طَالِعَـةٌ ... مَا سَرَّ مُجْدِبَهُمْ أَنْ يَطْلُعَ الْعُشُبُ

قَدْ صَدَّ عَنْهُمْ غِرَارَ النَّوْمِ سَيْفُ هُدىً ... غِرارُهُ بِدَمِ الْأَعْدَاءِ مُخْتَضِبُ (١)

شَعْبُ الْخِلافَـةِ مُذْ سَدَّتْهُ مُلْتَئِمٌ ... لَـكِنْ(٢) عَصَامَنْ عَصَى مِنْ حَدِّهِ شُعَبُ

فَالْمُسْتَجِيرُ بِذِي الرَّايَاتِ مُعْتَصِمٌ ... لاَ الْمُسْتَجِيرُ بِمَنْ رَايَاتُـهُ الصُّلُبُ(٣)



(١) غِرار النوم : القليل منه ، وغِرار السيف : حدُّه .
(٢) لئن عصى مَن عصى من حده شعب (ع) و (م)

(تابع قافية الباء)

(٣) قال ابن حَيُّوس في أحمد بن علي النصيبي قاضي دمشق المتوفي سنة ٤٦٨ .

حاشَا سَمِيَّكَ أَنْ تُدْعَى لَـهُ وَلَداً ... لَوْ كُنْتَ مِنْ نَسْلِهِ مَا كُنْتَ كَذَّابا

« لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٢٢٤ »

قافيـة التّـاء

٢٤

وقال يرثي القاضي أمين الدولة أبا طالب عبد الله بن محمد بن عمّار بن الحسين بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي(١) بثغر طرابلس سنة اربع وستين واربع مائة ويعزي القاضي الأجل جلال (٢) الملك وعماده ذا المعالي صفي أمير المؤمنين .

لاَ تُسْخِطَنَّ اُللهَ فِي مَرْضَاتِهِ ... ذُدْ بِالْعَزَاءِ اُلْهَمَّ عَنْ طَلِبَاتِهِ

أَنَّ اُلزَّمَانَ جَرَى عَلَى عَادَاتِهِ ... لَكَ مِنْ سَدَادِكَ مُخْبِرٌ بَلْ مُذْكِرٌ

فَاُصْبِرْ لَهُ إِنْ نَالَ بَعْضَ تِرَاتِهِ ... أَثْكَلْتَهُ أَحْدَاثَهُ وَخُطُوبَهُ

(١) كان قاضي طرابلس واستقل بها سنة ٤٦٢ وتوفي في شهر رجب سنة ٤٦٤

(٢) هو جلال الملك أبو الحسن علي بن عمّار ، ابن أخي أبي طالب ، خلف عمه على طرابلس ، فضبطها أحسن ضبط ، وظل بنو عمّار مستقلين بها الى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٢

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ و ٩٧ و ٦٣ : »
و « المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج ٢ ص ١٨٨ »

وعنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : (وقال ايضاً على قافية التاء يرثي القاضي الأجل أمين الدولة أبا طالب عبد الله بن محمد بن عمّار بن الحسين بن قيدس بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي قدس الله روحه وكانت وفاته بطرابلس الشام يسر الله فتحها ليلة السبت النصف من رجب سنة أربع وستين وأربعماية ويعزي القاضي الأعز الأجل سيد الحكام جلال الدولة وعمادها ذا المعالي صفي أمير المؤمنين) .

صَدَعَ ٱلْقُلُوبَ بِمَا أَتَى مُسْتَيْقِنًا ... أَنْ لَا يُذَمَّ وَأَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ
إِنَّ ٱلَّذِي عَمَّ ٱلْأَنَامَ مُصَابُهُ ... وَتَشَعَّبَتْ شُعَبُ ٱلْمُنَى بِوَفَاتِهِ
أَمَلُوا شَتَاتَ ٱلشَّمْلِ خُيِّبَ ظَنُّهُمْ ... أَنَّى وَقَدْ مُلِّكْتَ جَمْعَ شَتَاتِهِ
لَمَّا رَأَى أَنَّ ٱلشَّبِيبَةَ لِلْعُلَى ... وَزَرٌ[1] وَبَانَ ٱلضَّعْفُ فِي حَرَكَاتِهِ
وَلَّاكَ مِنْهَا مَا تَوَلَّى بُرْهَةً ... وَفَدَى حَيَاتَكَ رَاضِيًا بِحَيَاتِهِ
فَلِذَاكَ لَاقَى يَوْمَهُ مُسْتَبْشِرًا ... حَتَّى ظَنَنَّا ٱلْمَوْتَ بَعْضَ عُفَاتِهِ
وَقَضَى عَلِيمًا أَنْ تَقُومَ مَقَامَهُ ... بَعْدَ ٱلْفِرَاقِ فَلَمْ يَفُهْ بِوَصَاتِهِ
مُلِّيتَ مَا وُرِّثْتَهُ مِنْ عِزِّهِ ... وَوُقِيتَ بِٱلْمَسْمُوعِ مِنْ دَعَوَاتِهِ
فَلَقَدْ مَضَى تَرْجُو ٱلْمَمَالِكُ رَدَّهُ ... فَتَسُومُهُ وَتَخَافُ مِنْ سَطَوَاتِهِ
فَبَكَاهُ ثَغْرٌ كَانَ عِصْمَةَ أَهْلِهِ ... وَمَعَاذَ قَاصِدِهِ وَعِزَّ وُلَاتِهِ
أَجْنَاهُ رَبُّ ٱلْعَرْشِ غَرْسَ فَعَالِهِ ... وَقَضَى لَهُ بِٱلْخُلْدِ فِي جَنَّاتِهِ
بِٱلرِّفْقِ أَدْرَكَ وَادِعًا مَا لَمْ يَنَلْ ... أَنْحَى ٱلْمُلُوكِ بِكَمْتِهِ وَكُمَاتِهِ
حَتَّى لَخِلْنَاهُ نَبِيًّا مُرْسَلًا ... وَمَحَاسِنُ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْ آيَاتِهِ
فَٱمْلِكْ بِمَا مَلَكَ ٱلْقُلُوبَ مُكَذِّبًا ... مَنْ ظَنَّ أَنَّ مَمَاتَهَا بِمَمَاتِهِ
مَالِي ظَلِلْتُ مُنَبِّهًا ذَا يَقْظَةٍ ... يَأْتِي مِنَ ٱلْإِحْسَانِ مَا لَمْ آتِهِ[2]

---

(١) الوَزَرُ : الملجأ والمعتصم .

(٢) ما لم يأته (ل) وفوقها علامة توقف .

أَمْوَالُهُ مَرْفُوضَةٌ كَعُدَاتِهِ ... وَصِلاَتُهُ مَفْرُوضَةٌ كَصَلاَتِهِ

وَإِذَا أَزَارَ الطِّرْسَ نِقْسَ دَوَاتِهِ ... أَيْقَنْتَ أَنَّ الْفَضْلَ مِنْ أَدَوَاتِهِ

مازَالَ يَثْنِي الدَّهْرَ عَنْ عَزَمَاتِهِ ... فَيَفُلُّهَا وَيَجُودُ فِي أَزَمَاتِهِ

تُمْسِي كِرَامُ الْعَصْرِ بَعْضَ ضُيُوفِهِ ... وَيَبِيتُ فِعْلُ الْخَيْرِ مِنْ صَبَوَاتِهِ

وَأَسَدُّ [1] مَنْ أَسْدَى يَداً مَأْثُورَةً ... مَنْ أَوْدَعَ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ ثِقَاتِهِ

صَبْراً جَلاَلَ الْمُلْكِ تَحْمَدْ غِبَّ ما ... خَوَّلْتَهُ فَالصَّبْرُ مِنْ آلاَتِهِ

لاَ تُشْعِرَنَّ الدَّهْرَ أَنَّكَ جازِعٌ ... مِنْ فِعْلِهِ فَيَلَجَّ فِي غَدَرَاتِهِ

فَلأَنْتَ مَجْدُ مُلُوكِ دَهْرِكَ فَلْيَعُدْ ... عَنْ قَوْلِهِ مَنْ قَالَ مَجْدُ قُضَاتِهِ

وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ بَيْنَكُمُ الَّذِي ... لاَ تَرْحَلُ الْعَلْيَاءُ عَنْ حُجُرَاتِهِ

وَافَاكَ مِنِّي [2] ذَا الْكَلاَمُ مُعَزِّياً ... بَلْ رَاغِباً فِي الصَّفْحِ عَنْ زَلاَّتِهِ

قَوْلٌ أَتَى عَنْ عِلَّةٍ وَفَجِيعَةٍ ... فَاقْبَلْهُ مَسْتُوراً عَلَى عِلاَّتِهِ



(١) وأَسَرُّ . . . (ل)

(٢) عني (ل)

٢٥

وقال يهجو أبا الطاهر [١] ابن عم ناصر الدولة بن حمدان .

أَبَا طَاهِرٍ أَنْتَ عَيْبُ الزَّمَانِ ... وَعَيْبٌ لِحَمْدَانَ فِي حُفْرَتِهْ [٢]

لَئِنْ مَثَلٌ لِطُوَيْسٍ [٣] جَرَى ... فَإِنَّكَ أَشْأَمُ مِنْ غُرَّتِهْ

كَفَى اللهُ شُؤْمَكَ سَيْفَ الْإِمَامِ ... وَبَاعَدَ شَخْصَكَ عَنْ حَضْرَتِهْ [٤]



(١) لم نجد له ترجمة وإنما ورد في تاريخ ابن خلدون ٦/٢٥٢ « أبو طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة »

(٢) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة من (ل)

(٣) طُوَيْس : يضرب به المثل في الشؤم يقال « اشأم من طُوَيْس »

(تابع قافية التاء)

(٤) قال ابن حَيُّوس :

خُذْ مَا تَعَجَّلَ وَاتْرُكْ مَا وُعِدْتَ بِهِ ... فِعْلَ الْأَرِيبِ فَلِلتَّأْخِيرِ آفَاتُ

فَلِلسَّعَادَةِ أَوْقَاتٌ مُيَسَّرَةٌ ... تُعْطِي السُّرُورَ وَلِلْأَحْزَانِ أَوْقَاتُ

تاريخ الإسلام الكبير للذهبي نسخة السلطان أحمد الثالث في استانبول رقم ١٢٨ الجزء الحادي عشر ورقة ٢٨٠ (مخطوط) .

قافيــة الحــاء

٢٦

وقال بديهاً (١)

فِتْيَةٌ قَدْ قَطَعُوا الدَّهْـ ـرَ اُغْتِبَاقاً وَاُصْطِبَاحا

يَحْمِلُونَ الرَّاحَ بِالرَّا حِ غُدُوّاً وَرَوَاحا

وَإِذَا مَا سُئِلُوا الْجُو دَ غَدَا الْمَالُ مُبَاحا [٢]

وَإِذَا (٣) قِيلَ اُرْكَبُوا قَدْ غَلَبَ الْجِدُّ الْمُزَاحا

جَعَلُوا الْكَاسَاتِ بِيضاً وَالرَّيَاحِينَ رِمَاحا



(١) وقال على قافية الحاء بديهاً (ع) وقال أيضاً على قافية الحاء (ل)
(٢) محل هذا البيت في (ع) و (م) آخر الأبيات.
(٣) فاذا ... (ع) و (م)

قافيـــة الدال

٢٧

وقال (١) يمدح عز الملوك أبا الفضائل سابق (٢) بن محمود في سنة تسع وستين (٣) واربع مائة

عَوِّضُونا (٤) مِنَ ٱلسُّهادِ الرُّقَادا ... فَلَعَلَّ ٱلْخَيالَ أَنْ يَعْتَـادا

صِحَّةُ ٱلشَّوْقِ أَحْدَثَتْ عِلَّةَ ٱلصَّبْـ (٥) ... ـرِ وَبُعْدُ ٱلْمَزَارِ أَدْنَى ٱلسُّهَادا

كَمْ عَذُولٍ عَلَيْكُمُ رَامَ إِصْلَا ... حِي فَكَانَ ٱلْمَلَامُ لِي إِفْسادا

كُلَّما زَادَ عَذْلُهُ زَادَ وَجْدي ... وَكِلانَا (٦) في شَأْنِهِ قَدْ تَمَادا

ثُمَّ رَافَقْتُمُوهُ إِذْ جَاءَ يَلْحَـا ... ني فَأَلَّا رَافَقْتُمُ ٱلْعُوَّادا

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح الأمير عز الملوك أبا الفضائل سابق بن محمود ويذكر منزلته (منازلته) أنطاكية بعسكره وحصاره لها وأنشدها في عيد النحر سنة تسع وستين واربعماية » .

(٢) هو سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي آخر الأمراء المرداسيين في حلب تولاها سنة (٤٦٨) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٥٠)

(٣) في الأصل : (سنة تسع وسبعين وأربع ماية) وهو من سهو الناسخ والصواب ماأثبتناه كما في (ل) وذلك لأن الشاعر توفي سنة ٤٧٣ .

(٤) عوضونا عن السهاد رقادا (ل)

(٥) علة الوجد (ل)

(٦) فكلانا . . . (مسالك الأبصار ج ١٠ مخطوط)

كَيْفَ يُصْغِي إِلىٰ ٱلْمَلاَمَةِ فِيكُمْ ... مَنْ يَرٰى ٱلْغَيَّ فِي هَوَا كُمْ رَشَادا

مَنْ لِقَلْبٍ أَصْلَيْتُمُوهُ لَظَى ٱلْجَمْـ ... ـرِ وَجَنْبٍ أَفْرَشْتُمُوهُ ٱلْقَتَادا

بَعْدَ عَيْشٍ حَكَىٰ ٱلشَّبَابَ بَلَوْنَا ... هُ حَمِيداً وَقَدْ مَضَىٰ مَا عَادا

وَنَأَيْتُمْ مَعَ ٱلدُّنُوِّ فَمَا أَنْـ ... ـكَرْتُ لَمَّا نَأَىٰ ٱلْمَحَلُّ ٱلْبِعَادا

وَوَرَاءَ ٱلْحِمىٰ بِوَادٍ بِوَادٍ ... تَمْنَعُ ٱلسُّمْرُ سِرْبَهُ أَنْ يُصَادا

وَمَهىً مَا لَهَا ٱعْتِنَاءٌ بِمَنْ هَا ... مَ وَلاَ لَفْتَةٌ إِلىٰ مَنْ فَادا

مَا عَرَفْنَ ٱلْبُكَاءَ يَوْماً وَكَمْ أَبْـ ... ـكَيْنَ عَيْناً وَكَمْ تَبَلْنَ فُؤَادا

كُلُّ حَسْنَاءَ لاَ تَجُودُ بِإِحْسَا ... نٍ وَرُودٍ لاَ تُحْسِنُ ٱلْإِرْوَادا (١)

وَأَرٰى ٱلْعِشْقَ وَٱلثَّمَانُونَ تَنْهىٰ ... عَنْهُ رَأْياً فَارَقْتُ فِيهِ ٱلسَّدَادا

وَعَرَتْنِي نَوَائِبٌ تُبْطِلُ ٱلْحَـ ... ـقَّ وَتُعْطِي غَيْرَ ٱلْمُحِقِّ ٱلْمُرَادا

وَأَخِلاَّءَ يُضْمِرُونَ لِيَ ٱلشَّحْـ ... ـنَاءَ وَدْءاً (٢) وَيُظْهِرُونَ وِدَادا

قَدَحُوا فِي فَضَائِلٍ حَرَمُوهَا ... بِزِنَادٍ لاَ تَعْدَمُ ٱلْإِصْلادا

وَقَدِيماً كَمِ ٱبْتَغىٰ نَقْضَ حَبْلِي ... جَاهِلٌ بِي (٣) فَزَادَهُ إِحْصَادا

لا مَلاَمٌ لَهُمْ وَهَلْ لِيَمَتِ ٱلرِّيـ ... ـحُ إِذَا لَمْ تُزَعْزِعِ ٱلْأَطْوَادا

---

(١) الإرواد : الرفق .

(٢) الوَدْء : الغشيان بالاساءة .

(٣) جاهل لي فؤاده إحصادا ؟ (ع) و (م)

مَنْ يُذَدْ بِالتَّمْوِيهِ عَنْ مَوْرِدِ الْعِزِّ فَإِنِّي عَنْ وِرْدِهِ لَنْ أُذَادا
صُنْتُ نَفْسِي عَنِ اللَّحَاقِ بِقَوْمٍ بَلَغَ الْحِرْصُ فِيهِمُ مَا أَرَادا
وَزَوَتْنِي عَنْهُ مَوَاهِبُ مَلْكٍ جَلَّ عَنْ أَنْ يُهَزَّ أَوْ يُسْتَزَادا
يَفْعَلُ الدَّهْرُ جَاهِداً كُلَّ مَا شَاءَ وَلَمْ[1] يُلْفَ هَادِماً مَا شَادا[2]
وَاعِدٌ بِالْغِنَى فَلاَ يُخْلِفُ الْوَعْدَ وَيَعْفُو فَيُخْلِفُ الْإِيعَادا
وَبَعِيدُ[3] الْمَرَامِ ، مَا قَالَتِ الْأَعْدَاءُ حَازَ الْكَمَالَ إِلاَّ وَزَادا
فَاتَ أَمْلاَكَ عَصْرِهِ فَبِحَقٍّ حَلَّ أَعْلَى الرُّبَى وَحَلُّوا[4] الْوِهَادا
خَنَعُوا وَانْتَخَى وَعَزَّ وَذَلُّوا وَهَوَوْا وَاعْتَلَى وَضَنُّوا وَجَادا
فَعَلاَتٌ عَمَّتْ رَبِيعَةَ بِالْفَخْرِ وَكَعْباً وَخَصَّتِ الشَّدَّادا[5]
وَمَعَالٍ مَا قَصَّرَتْ دُونَهَا الْآمَالُ إِلاَّ لِتَعْذِرَ[6] الْحُسَّادا
سَدَّ أَقْطَارَهَا عَلَى النَّاسِ مَنْ سَادَ وَلَمْ تَكْسُ عَارِضَاهُ سَوَادا

---

(١) ولا يلف (ع) و (م)
(٢) ما أشادا (ل)
(٣) وبعيد الغرام . . . (ل)
(٤) وَحَلَّ ؟ (م)
(٥) شدّاد وكعب وربيعة من أجداد بني مرداس . انظر عمود نسبهم من صالح بن مرداس الى معد بن عدنان في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٨٦ .
(٦) لتعدم (ل)

يَا بْنَ مَنْ ذَلَّلُوا[١] ٱلنَّوائِبَ بِٱلْقَهْـ ـرِ وَأَعْطَاهُمُ ٱلزَّمَانُ ٱلْقِيَادا

مِنْ مُلُوكٍ لَهَا ٱلْعَوَاصِمُ دَارٌ[٢] وَمُلُوكٍ تَقَيَّلُوا بَغْدَادا

عُصَبٌ إِنْ جَرَوْا إِلَىٰ ٱلْجُودِ وَٱلإِقْـ ـدَامِ بَذُّوا ٱلأَجْوَادَ وَٱلأَنْجادا

وَأَبَوْا أَنْ يَفُوزَ سَاعٍ بِمَجْدٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ خِلالِهِمْ مُسْتَفَادا

فُقْتَ هٰذا ٱلْوَرَىٰ جُدُوداً وَآبَا ءً وَفُقْتَ ٱلآبَاءَ وَٱلأَجْدَادا

طُلْتَ طَوْلاً وَهِمَّةً وَمَحَلاًّ وَمِحَالاً[٣] وَنَجْدَةً وَنِجَادا

وَأَبَتْ مَا أَبَيْتَ بِيضٌ حِدَادٌ أَبَداً تُلْبِسُ ٱلنِّسَاءَ حِدَادا

مُرْهَفَاتٌ إِنْ بَزَّهَا سُخْطُكَ ٱلأَغْـ ـمَادَ عِيضَتْ مِنَ ٱلطُّلَىٰ أَغْمَادا

لَوْ أَبَانَتْ عَنْ ذِكْرِ مَنْ[٤] عَاصَرَتْهُ ذَكَرَتْ تُبَّعاً وَلَمْ تَنْسَ عَادا[٥]

وَعِتَاقٌ مُقْوَرَّةٌ[٦] تَسْبِقُ ٱلأَوْ هَامَ إِذْ غَيْرُهَا يُبَارِي ٱلْجِيَادا

تَرِدُ ٱلرَّوْعَ وَهْيَ دُهْمٌ مِنَ ٱلنَّقْـ ـعِ وَيَصْدُرْنَ بِٱلنَّجِيعِ وِرَادا[٧]

---

(١) ذَلَّلَ . . . (ل)

(٢) داراً ؟ (ل)

(٣) المِحال : التدبير والكيد والقدرة والشدة .

(٤) ما عاصرته (ع) و (م)

(٥) تُبَّع : الملك الأكبر من ملوك الدولة الحميرية الثانية باليمن في الجاهلية . وعاد : جد جاهلي قديم وبه سميت قبيلة عاد قوم هود وهم من العرب البائدة .

(٦) مُقْوَرَّة : ضامرة .

(٧) الوِرادُ : جمع وَرْد وهو الأحمر الضارب إلى الصفرة .

إِنْ أَرَدْنَ ٱلْبَعِيدَ كَانَ قَرِيبًا أَوْ وَرَدْنَ ٱلْبِحَارَ صَارَتْ ثِمَادَا[١]
لَمْ تَزَلْ تُوسِعُ ٱلْخِلاَفَةَ بِالنُّصْـ ـحِ ٱجْتِهَاداً وَٱلْمُشْرِكِينَ جِهَادَا
نَهَضَاتٌ أَوْهَتْ قُوَى مَلِكِ ٱلرُّو مِ فَحَلَّ ٱلثَّرَى بِهَا أَوْ كَادَا[٢]
وَلَقَدْ نَازَلَتْ مَدِينَتَهُ ٱلْعُظْـ ـمَى حُمَاةٌ لاَ يَأْلَمُونَ ٱلْجِلاَدَا
يَبْذُلُونَ ٱلنُّفُوسَ فِي طَاعَةِ ٱللّٰـ ـهِ ٱحْتِسَاباً وَيَذْكُرُونَ ٱلْمَعَادَا
مَنْ يُرِدْ مَطْلَباً بِجَدِّكَ لاَ يُكْـ ـدِي وَمَنْ كُنْتَ رِدْءَهُ لَنْ يُكَادَا
أَغْمَدَ ٱلرُّومُ عَنْ حِمَايَتِهَا ٱلْبِيـ ـضَ وَلَمْ يَشْرَعُوا ٱلْقَنَا ٱلْمُنْآدَا
وَإِذَا ٱلنَّارُ نَامَ مُوقِدُهَا عَنْـ ـهَا فَأَجْدِرْ بِأَنْ تَحُولَ رَمَادَا
رُبَّ أَمْرٍ مُرِيدُهُ لاَ يُنَاوَى جَرَّ أَمْراً وَلِيدُهُ لاَ يُنَادَى[٣]
قَصَدَتْهُمْ مِنْ سَابِقٍ عَزَمَاتٌ لاَ تَعَدَّى سِهَامُهَا ٱلإِقْصَادَا
صَادِقَاتٌ كَأَنَّ بَيْنَ ٱلْمَنَايَا يَوْمَ تُنْضَى[٤] وَبَيْنَهَا مِيعَادَا
وَدَوَاءُ ٱلدَّاءِ ٱلَّذِي فَتَّ فِي ٱلْأَعْـ ـضَادِ خَوْفاً وَفَتَّتَ ٱلْأَكْبَادَا

---

(١) الثماد : الماء القليل لا مادة له .

(٢) أو هادا (ل)

(٣) من أمثالهم : (هذا أمر لا ينادى وليده) يضرب في الخير والشر ، أي اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده الى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجراً .

(٤) ينضى . . . (ل)

جِزْيَـةٌ إِنْ رَضِيتَها تُـؤْمِنُ ٱلْأَنْـفُـ سُ مِنْ أَنْ تُـفَارِقَ ٱلْأَجْسَادا

أَوْ خُرُوجٌ عَنْها فَقَدْ آنَ لِلْمَسْـ رُوقِ بَـعْدَ ٱلمِطَالِ أَنْ يُسْتَعادا

كَمْ بَغَى حَصْرَهَا عَزِيزٌ فَأَلْفَا هُ عَزِيزاً صَعْبَ ٱلْمَرامِ فَحَادا

وَأَبَى ٱللهُ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ فَٱخْتِصَاصاً بِفَخْرِهِ وَٱنْفِرَادا

وَقَدَتْ[1] عِزَّهَا مُلُوكٌ تَنَاءَوْا عَنْ طَرِيفِ[2] ٱلْعُلَى فَعَدُّوا ٱلتِّلادا

يَا بَنِي صَالِحٍ[3] بِكُمْ صَلَحَ ٱلدَّهْـ رُ وَقَدْ كَانَ[4] لا يَرِيمُ ٱلْفَسَادا

وَزَمَاناً مَا زِلْتُ أَسْأَلُ عَنْكُمْ فَـكَفَتْنِي رُؤْيَاكُمُ ٱلْإِسْنَادا

وَشَهِدْتُ ٱلْبُحُورَ قَـدْ كَفَتِ ٱلْوُرَّ ادَ أَنْ يَبْعَثُوا لَهَـا[5] رُوَّادا

وَرَغِبْتُمْ فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ فَجُدْتُمْ وَأَرَى ٱلنَّاسَ غَيْرَكُمْ زُهَّادا

وَلَقَدْ فَازَ بِٱلْخُلُودِ كِرَامٌ تَخِذُوا ٱلْحَمْدَ عُـدَّةً وَعَتَادا

بِعَطَايَا تَتْرَى مِئِينَ[6] وَآلا فَاً وَتُلْفَى فِيمَنْ تَرَى أَفْرَادا

(١) كذا في النسخ الثلاث ولعله : فقدت .

(٢) طريق . . . (م)

(٣) صالح بن مرداس الكلابي أول من ملك حلب من بني مرداس . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٤) وقد كاد . . . (ل)

(٥) لهم . . . (ل)

(٦) مِئِيناً . . . (م)

وَسِواكُمْ إِذَا تَكَلَّفَ مَعْرُو فًا وَإِنْ قَلَّ أَكْثَرَ الْإِعْتِدَادا[١]
سَكَنَ الْخَلْقُ مِنْ[٢] جِوَارِكَ ظِلًّا زَادَهُ اللهُ بَسْطَةً وَامْتِدَادا
وَتَوَالَتْ أَيَّامُ مُلْكِكَ أَعْيَا دًا فَكِدْنَا[٣] لاَ نَعْرِفُ الْأَعْيَادا
وَجَمَعْتَ الْأَهْوَاءَ مِنْ بَعْدِ تَشْتِيـ تٍ بِرَأْيٍ يُؤَلِّفُ الْأَضْدَادا
وَبِمَحْضِ الْآرَاءِ خُوِّلَ عَمْرٌو مِصْرَ وَاسْتَلْحَقَ ابْنُ هِنْدٍ زِيَادا[٤]
قَدْ كَثَرْتَ الْمُلُوكَ[٥] فَضْلاً وَإِفْضا لاً وَعَدْلاً فَاكْثُرْهُمُ أَوْلَادا
وَاتْلُ نَصْراً[٦] بِكُلِّ قَرْمٍ هُمَامٍ آمِنٍ أَنْ يُطَالَ أَوْ أَنْ يُسَادا
لِتَرَى مِنْهُمُ حِيَالَكَ آسَا دًا وَمِنْ وُلْدِ وُلْدِهِمْ آسَادا
عِشْ لِعَافٍ أَنْسَيْتَهُ[٧] الْفَقْرَ إِصْفَا دًا وَعَانٍ فَكَكْتَ عَنْهُ الصِّفَادا[٨]
وَلْيَزِدْ أَمْرُكَ الْمُطَاعُ نَفَاذاً وَلْيَزِدْ كَيْدُ شَانِئِيكَ نَفَادا

---

(١) الاعتقادا (ل)
(٢) في جوارك . . . (ل)
(٣) فكدنا أن ننكر الأعيادا (ل)
(٤) عمرو : هو ابن العاص . وابن هند : معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم . وزياد : هو ابن أبيه .
(٥) قد كثرت الأنام . . . (ل)
(٦) هو أخو الممدوح . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)
(٧) آيسته الفقر ... (ع) و (م)
(٨) الإصفاد : الإعطاء . والصِّفاد : ما يوثق به الأسير .

صُنْتَنِي عَنْ إِرَاقَتِي مَاءَ وَجْهِي وَأَفَدْتَ الْعِزَّ الَّذي لَنْ يُفَادا

فَسأُبْقِي عَلَيْكَ مَا أَمْكَنَ الْقَوْ لُ ثَنَاءً حَتَّى الْمَعَادِ مُعَادا

بِقَوَافٍ[1] لَيْسَتْ تُفَارِقُ مَغْنا كَ عَلَى أَنَّهَا تَجُوبُ الْبِلَادا

قَدْ حَمَاهَا مَنْ أَجْزَلَ النَّقْدَ إِذْ زُفَّ تْ إِلَيْهِ وَأَحْسَنَ الْإِنْتِقادا[2]

عَنْ جَهُولٍ يَعُدُّها مِنْ عُداهُ وَعَدُوٍّ مِنْ سَمْعِهَا يَتَفَادا

وَقَبِيحٌ[3] أَنْ أَدَّعِي الْفَضْلَ فِيها بَعْدَ أَنْ أَنْطَقَتْ عُلاكَ الْجَمَادا

٢٨

وقال يمدحه[4]

عَلَيَّ[5] لَهَا أَنْ أَحْفَظَ الْعَهْدَ وَالْوُدّا وَإِنْ لَمْ[6] يُفِدْ إِلاّ الْقَطِيعَةَ وَالْبُعْدا

---

(١) في قوافٍ ... (ل)

(٢) وأحسن الإنقادا (م)

(٣) وقبيح مَن ادعى ... (ل)

(٤) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح سابق بن محمود بن نصر بن صالح »

(٥) ورد في زبدة الحلب لابن العديم ــ مخطوط ــ ما خلاصته : في يوم عيد الفطر من سنة ٤٦٨ قُتل نصر بن محمود صاحب حلب ، فاستُدعي أخوه سابق إلى القلعة ونودي بشعاره ، ودخل عليه ابن حَيُّوس فأنشده قصيدة أولها :

عليَّ لهـا ان أحفظ العهد والودا . . . فأطلق له سابق ألف دينار . وجعل له في كل شهر ثلاثين ديناراً .

(٦) وإن لم تفد ... (ل)

وَكَمْ عَاذِلٍ فِيهَا أَشَارَ بِهَجْرِهَا ... فَأَدَّى إِلَى أَسْمَاعِنَا خَبَراً إِدَّا

إِذَا مَا أَطَالَ اللَّوْمَ قُلْتُ لَهُ اتَّئِدْ ... فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَرَى غَيَّهُ رُشْدَا

وَخِدْنُ الْهَوَى مَنْ عَدَّ إِسْخَاطَهُ رِضَىً ... وَإِكْدَارَهُ صَفْواً وَحَنْظَلَهُ شَهْدَا

وَلَوْ لَمْ يُرِضْنِي الشَّوْقُ وَالْهَجْرُ بُرْهَةً ... لَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْوَعْدَ وَالنَّائِلَ الثَّمْدَا

تَصَدَّتْ إِلَى أَنْ قُلْتُ مَا الْهَجْرُ[1] دِينُهَا ... وَصَدَّتْ إِلَى أَنْ صِرْتُ لَا أُنْكِرُ الصَّدَّا

وَبَانَتْ فَبَاتَ[2] الطَّيْفُ يَعْصِي بِحُكْمِهَا[3] ... يُوَاصِلُنِي سَهْواً وَيَهْجُرُنِي عَمْدَا

عَشِيَّةَ قَالَتْ لَا يَمُتْ بِأَنَّهُ ... مُقِيمٌ عَلَى دَعْوَاهُ مَنْ لَمْ يَمُتْ وَجْدَا

وَقَفْنَا مَعاً أَسْتَنْصِرُ الدَّمْعَ وَالضَّنَى ... إِذَا مَا انْبَرَتْ تَسْتَنْصِرُ الطَّرْفَ وَالْقَدَّا

وَسَهْمَ لِحَاظٍ يُؤْلِمُ الْقَلْبَ جُرْحُهُ ... أَهَانَ جِرَاحاً تُؤْلِمُ الْعَظْمَ وَالْجِلْدَا

وَتَخْجَلُ مِنْ ظُلْمِي صُرَاحاً فَكُلَّمَا[4] ... حَكَى الْوَرْدَ خَدَّاهَا حَكَى دَمْعِيَ الْوَرْدَا

وَمَا زِلْتُ[5] مِنْ أُولَى زَمَانِي رَاغِباً ... بِنَفْسِيَ أَنْ تَبْغِي مَآرِبَهَا كَدَّا

---

(١) ما البخل دينها (ل) و(مسالك الأبصار ج ١٠ مخطوط).

(٢) في النسخ الثلاث وباتت والتصحيح من مسالك الأبصار.

(٣) يقضي بحكمها يواصلنا سهواً ويهجرنا عمدا (ل)

(٤) وكلما (ل)

(٥) في أولي ... (ع) و (م)

وَأَنْ أَقْدَحَ النَّارَ الَّتي يُهْتَدَى بِها ... إِلى الحَظِّ[1] ما كانَ الخُضُوعُ لَهَا زَنْدَا

فَيا رَغْبَتِي فِي الحُبِّ عُودِي زَهادَةً ... فَما أَنْتِ أُولَى رَغْبَةٍ رَجَعَتْ زُهْدَا

ذَرِي الأَمَلَ المُعْتَلَّ تَلْقَيْ[2] صَحِيحَهُ ... لَدَى مَلِكٍ أَفْعالُهُ تَخْلُقُ المَجْدَا

إِذَا جادَ لَمْ يُخْلِفْ مَوَاهِبَهُ الحَيَا ... وَإِنْ قالَ لَمْ يُخْلِفْ وَعِيداً وَلا وَعْدَا

وَإِنْ جادَتِ الأَنْوَاءُ فِي الخِصْبِ فاتَها ... وَإِنْ بَخِلَتْ فِي المَحْلِ كَانَ لَهَا ضِدَّا

وَإِنْ عاقَبَ الجانِينَ صالَ وَما اعْتَدَى ... وَإِنْ سُئِلَ الإِنْعامَ أَغْنَى وَما اعْتَدَّا[3]

سَدِيدٌ إِذَا ما القَوْلُ نابَ عَنِ الظُّبَى ... شَدِيدٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ إِذَا اشْتَدَّا

فَدَتْ سابِقًا شُوسُ المُلُوكِ فَإِنَّهُ ... حَقِيقٌ بِأَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَأَنْ يُفْدَى

وَعِزُّهُمُ فِي المَجْدِ أَبْعَدُهُمْ مَدًى ... عَلَى أَنَّهُ بِالمَهْدِ أَقْرَبُهُمْ عَهْدَا

وَأَصْفاهُمُ ذِهْنًا وَأَنْداهُمُ يَداً[4] ... وَأَضْفاهُمُ ظِلاًّ وَأَوْفاهُمُ رِفْدَا[5]

يَدُلُّ وَلَمْ يُدْلَلْ عَلَى نَهْجِ سُؤْدُدٍ ... كَذَاكَ النُّجُومُ الزُّهْرُ تَهْدِي وَلا تُهْدَى

سَلِيلُ الأُلَى حَلُّوا ذُرَى المَجْدِ بِالقَنا ... وَخَلَّوْا لِمَنْ يَرْجُو لَحَاقَهُمُ الوَهْدَا

---

(١) إلى لحظ ما كان . . . (ع) إلى لحظ من كان . . . (م)

(٢) يلقى (م) ذر الأمل المعتل تلق صحيحه (ل)

(٣) هذا البيت ساقط من (ل)

(٤) نَدًى (ل)

(٥) عهدا (ع) و (م) .

وكَم (١) لهُمُ مِنْ حاسِدٍ بسَطَ ٱلْمُنى ... وَلٰكِنَّهُ أَوْدى وَما نالَ (٢) ما وَدَّا

وَتنطِقُ أَهْلَ ٱلْعيِّ أَوْصافُ مَجْدِهِمْ ... عَلَى (٣) أَنَّهُمْ إِنْ فاخَرُوا أَخْرَسُوا ٱللُّدَّا

بَني صالِحٍ (٤) أَقْصَدْتُمُ مَنْ رَمَيْتُمُ ... وَأَحْيَيْتُمُ مَنْ أَمَّ مَعْرُوفَكُمْ قَصْدَا

سَقى ٱللّٰهُ دَوْحاً يُثْمِرُ ٱلْحَتْفَ وَٱلْغِنى ... وَلا مَلَكَتْ (٥) أَيْدي ٱلْخُطُوبِ لَهُ عَضْدَا

فَما وَخَدَتْ كُومُ ٱلْمَطِيِّ بِرَاغِبٍ ... وَلاَ رَاهِبٍ إِلاَّ بِمَدْحِكُمُ تُحْدَا

أَفَضْتُمْ عَلَى هٰذَا ٱلْوَرٰى أَنْعُماً أَبَى ... تَوَاتُرُها (٦) أَنْ يَسْتَطِيعُوا لَهَا جَحْدَا

وَأَنَّى يَهُمُّ ٱلْأَوْلِياءُ بِطَيِّهـا ... وَلَمْ (٧) يَجِدِ ٱلْأَعْدَاءُ مِنْ نَشْرِها بُدَّا

جَنَوْا فَعَفَوْتُمْ وَٱعْتَفَوْكُمْ فَجُدْتُمُ ... فَأَحْسَنْتُمُ ٱلْبُقْيا وَأَجْزَلْتُمُ ٱلرِّفْدَا

وَذَلَّلْتُمُ صَعْبَ ٱلزَّمانِ لِأَهْلِهِ ... فَذَلَّ وَقَدْ كَانَ ٱلْجِماحُ لَهُ وَكْدَا

وَمالَ إِلى ٱلْإِنْصافِ مِنْ بَعْدِ جَوْرِهِ ... فَأَبْدى ٱلَّذي أَخْفى وَأَخْفى ٱلَّذي أَبْدَا

---

(١) فكم ... (ل)

(٢) وما كان ما ودا (ل) و (ع)

(٣) ولكنهم إن فاخروا ... (ل)

(٤) هو صالح بن مرداس الكلابي أول من ملك حلب من بني مرداس انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٥) فلا ملكت ... (ع) و (م)

(٦) توارثها ... (م)

(٧) ولن يجد ... (ل)

وَصَيَّرْتُمُ ٱلْبَذْلَ ٱلَّذي شاعَ ذِكْرُهُ ... مُضافًا إِلى ٱلْعَدْلِ ٱلَّذي يُوجِبُ ٱلْخُلْدا
دُرُوعاً (١) عَلَى ٱلْأَعْراضِ لا قَوْمُ تُبَّعٍ ... قَضَوْها وَلا داوُدُ أَحْكَمَها سَرْدا
مَناقِبُ لَوْ أَنَّ ٱللَّيالي تَوَشَّحَتْ ... بِأَذْيالِها (٢) لَٱبْيَضَّ مِنْهُنَّ ما ٱسْوَدّا
وَمُلْكٌ حَواهُ بَعْدَما شابَ صالِحٌ (٣) ... وَخَوَّلْتُمُوهُ بَعْدَهُ غِلْمَةً مُرْدا
فَأَشْرَعْتُمُ قُدّامَهُ وَوَراءَهُ ... صَوارِمَ تَجْتاحُ ٱلْعِدى وَقَناً مُلْدا
وَخَيْلاً إِذا نادى ٱلصَّريخُ تَهافَتَتْ (٤) ... إِلَيْهِ سِراعاً تَحْمِلُ ٱلْغابَ وَٱلْأُسْدا
عِراباً كَساها ٱلنَّقْعُ مِمّا يَحُوكُهُ (٥) ... جِلالاً وَقَدْ سَدَّتْهُ عارِيَةً جُرْدا
وَنارَيْنِ لِلْمَعْرُوفِ وَٱلْبَأْسِ شُبَّتا ... لِذي فاقَةٍ يُحْبا (٦) وَذي إِحْنَةٍ يُرْدا
فَنارُ قِرىً دَلَّتْ عَلَيْهِ وَطالَما ... هَدَتْ عائِلاً قَدْ ضَلَّ وَٱسْتَوْفَدَتْ وَفْدا
وَنارُ وَغىً يَصْلى بِها كُلُّ حائِنٍ (٧) ... إِذا ما بَغى (٨) إِطْفاءَها زادَها وَقْدا

(١) دروع ... (ع) و (م)
(٢) بأذيالها لابيضَّ منها الذي اسودّا (ل)
(٣) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)
(٤) ... الصريخ بها فتت إليه سراع ... ؟ (م)
(٥) تحوكه (ع) و (م)
(٦) يُحْـيَـي (ع) و (م)
(٧) خائن (ع) و (م)
(٨) إذا ما ابتغى ... (ل)

وَمِنْ دُونِ هٰذَا[1] الْعِزِّ سَيْفُ خِلافَةٍ ... يَفُوقُ الظُّبَى صَفْحاً وَيَفْضُلُها حَدَّا
وَيَفْرُقُ ما بَيْنَ الْمَفارِقِ وَاللَّهَى[2] ... إِذا ما عَرا خَطْبٌ وَما فارَقَ الْغِمْدَا
أَيا مَنْ حَمَى شُكْرِي بِفائِضِ نائِلٍ ... إِذَا رُمْتُ إِحْصاءً لَهُ كَثَّرَ الْعَدَّا
وَأَحْسَنَ بِي يَتْلُو أَباهُ فَما اعْتَدَى ... وَأَسْرَفَ فِي فِعْلِ الْجَمِيلِ وَما[3] اعْتَدَّا
أَلَسْتَ ابْنَ مَنْ أَنْسَتْ عَطاياهُ كُلَّ مَنْ ... هَمَتْ يَدُهُ طَوْعاً وَكَرْهاً وَمَنْ أَجْدَا
وَكانَ ثَوابُ الْمَدْحِ فِيهِمْ نَسِيئَةً ... تَناسَى إِلَى حِينٍ فَعَجَّلَهُ نَقْدَا
وَأَعْطَوْا قَلِيلاً ثُمَّ أَكْدَوا فَيَمَّمَتْ ... رِكابِي مَنْ أَعْطَى كَثِيراً وَما[4] أَكْدَا
فَعُوِّضْتُ مِنْ ذُلِّ الْمَطامِعِ عِزَّةً ... وَمِنْ خِيفَةٍ أَمْناً وَمِنْ عَدَمٍ وَجْدَا
بِظِلِّ كَرِيمِ النَّجْرِ وَالْيَدِ لَمْ تَلِدْ ... لَهُ مامَةٌ مِثْلاً وَلا نَجَلَتْ سُعْدَا[5]
وَفِي ضِمْنِ تِلْكَ الْمَكْرُماتِ كَرامَةٌ ... ظَفِرْتُ بِها حُرّاً فَصِرْتُ لَها عَبْدَا

---

(١) هذا الثغر ... (ل)

(٢) والطُّلَى (ل)

(٣) فما اعتدا (ل)

(٤) ومن أكدى؟ (م)

(٥) مامة : أم كعب بن مامة الإيادي المشهور بالكرم والإيثار . صحبه في سفر رجل من النمر بن قاسط وكان في الماء قلة فما زال يؤثره على نفسه بالماء حتى مات عطشاً. وذهب قوله (اسق أخاك النمري) مثلاً . انظر مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٢٢٤ . وسعدى : هي سعدى بنت عوف بن خارجة الطائي إحدى نساء العرب المنجبات، من أبنائها : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أحد أجواد قريش .

« الأغاني ج ١٥ ص ٤٦ »

فَهَا(١) أَنا ثاوٍ فِي جَنابِكَ لَمْ أَمِلْ ... إِلَى أَمَلٍ يُنْحَى وَلاَ مِنَّةٍ تُسْدَا

يَعافُ وُرُودَ الطَّرْقِ(٢) مَنْ وَجَدَ الْحَيا ... وَيَأْبَى الرِّضَى بِالرَّشْحِ(٣) مَنْ جاوَرَ الْعِدَّا

هَنِيئاً لَكَ الْعِيدانِ ثانٍ وَأَوَّلٌ ... تَوَدُّ الثُّرَيَّا أَنْ تَكُونَ لَهُ(٤) مَهْدَا

وَواهِبُهُ الْمَسْؤُولُ فِي أَنْ يُرِيكَهُ ... هُماماً سَعِيدَ الْجَدِّ وَابْنَ ابْنِهِ جَدَّا

وَلاَ زالَ مَنْعُوتاً بِنَعْتِ سَمِيِّهِ ... وَأَخْبارُهُ تُرْوَى وَرَاحَتُهُ تَنْدَا

وَمالِيَ لاَ أُهْدِي إِلَيْكَ غَرائِباً ... بِكَ اعْتَصَمَتْ عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَنْ تُهْدَا

مُضَمَّنَةً مَدْحاً إِذَا ضاعَ نَشْرُهُ ... فَمَا النَّدُّ أَهْلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ(٤) نِدَّا

وَطائِيَّةَ التَّحْبِيرِ لَمْ تَعْدُ أَعْصُراً(٥) ... وَنَجْدِيَّةً لَمْ يَأْتِ قائِلُها نَجْدَا

وَكَمْ رَاقَ شِعْرٌ ما حَبِيبٌ(٦) أَتَى بِهِ ... وَقَدْ أَطْلَى سَيْفٌ وَما عَرَفَ الْهِنْدَا

وَلَنْ تَبْلُغَ الأَقْوالُ ما أَنْتَ فاعِلٌ ... وَلَوْ بَلَغَتْ فِي وَصْفِ آلائِكَ الْجُهْدَا

فَأَنْزَرُ(٧) ما تُعْطِيهِ يُوفِي عَلَى الْمُنَى ... وَأَيْسَرُ ما تُولِيهِ(٨) يَسْتَغْرِقُ الْحَمْدَا

---

(١) وها أنا ... (ل)

(٢) الطَّرْقُ : الماء الذي خوضته الإبل . والحَيا : المطر . والرشح : تحلّب الماء . والعِدّ : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

(٣) بالنّشْح مَنْ جاوز العدا (ل) والنّشْح شرب دون الري .

(٤) لها (ل)

(٥) التحبير : التحسين والتزيين . أي أن قصائده كقصائد أبي تمام الطائي تحبيراً على أنه غير طائي بل غنوي ينتسب إلى غني ابن أعصُر .

(٦) حبيب : هو أبو تمّام الطائي الشاعر المشهور . وفي (ل) ما حييت . وهو تصحيف .

(٧) وأنزر ... (ل)

(٨) ما تأتيه (ع) و (م)

٢٩

وقال [١] يمدح الشريف فخر الدولة [٢] نقيب الطالبيين

هَوَاكُمْ وَإِنْ لَمْ تُسْعِفُونا وَلَمْ تَجْدُوا ... عَلَى ما عَهِدْتُمْ وَالنَّوى لَمْ تَحِنْ [٣] بَعْدُ

وَفَيْنا وَلَمْ نَسْمَعْ مَقالَةَ قائِلٍ : ... إِذَا ظَلَمَ الْمَفْقودُ لَمْ يُؤْلِمِ الْفَقْدُ

وَحَكَّمَكُمْ فِينا الْغَرَامُ فَجُرْتُمُ ... وَكَمْ حَكَمَ الْمَوْلَى بِما كَرِهَ الْعَبْدُ

غَرَامٌ كَمَا شاءَ التَّغَرُّبُ وَالنَّوى ... وَسُقْمٌ كَمَا تَهْوَى الْقَطِيعَةُ وَالصَّدُّ

بَلَغْتُمْ مِنَ الْإِعْراضِ وَالْهَجْرِ وَالْقِلَى ... مَدًى لَمْ يَزِدْ فِيهِ التَّفَرُّقُ [٤] وَالْبُعْدُ

فَإِنْ نَشَدَ الْعُذْرِيُّ فِي الْحَيِّ عَنْسَهُ [٥] ... نَشَدْتُ كَرًى ما لِلْجُفُونِ بِهِ عَهْدُ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح الشريف فخر الدولة ومجدها نقيب نقباء الطالبيين أبا الحسن أحمد رحمه الله » .

(٢) هو الشريف فخر الدولة أبو يعلي حمزة بن الحسن بن العباس بن أبي الجن ولد سنة ٣٦٩ . ولي النقابة بمصر ؛ وولي قضاء دمشق من قبل الظاهر بن الحاكم الفاطمي ، وجدّد بدمشق مساجد ومنابر وقنوات وأجرى الفوّارة التي في جيرون (عند باب الجامع الأموي الشرقي ويسميها الدماشقة اليوم النوفرة كما يسمون باب الجامع الشرقي باب النوفرة ويطلقون على المحلة كلها محلة النوفرة) وكان كريماً كثير الصدقات وتوفي بدمشق سنة ٤٣٤ . وله ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣) لم تخن (ع) و (م)

(٤) ... التقرب والبعد (ل)

(٥) عيشه (ل)

وَيا حَبَّذَا رِيحٌ عَلَى ما تَحَمَّلَتْ (١) تَرُوحُ بِرَيَّاكُمْ مِنَ الشَّامِ أَوْ تَغْدُو

تُهَيِّجُ أَشْوَاقاً وَتَنْقَعُ غُلَّةً فَفِيهَا الضَّنَى وَالْبُرْءُ وَالصَّابُ وَالشَّهْدُ

وَرَبْعٌ بِمَقْرَى (٢) لا الْعَقِيقُ وَلا اللِّوَى وَوَرْدٌ (٣) بِسَطْرَى لا الْعَرَارُ وَلا الْمَرْدُ

(١) على ما تضمنت (ل)

(٢) مقرى : ورد في معجم البلدان لياقوت أنها قرية في نواحي دمشق . وعيّن ابن طولون الصالحي مكانها بقوله في رسالته ضرب الحوطة على الغوطة : (مقرى كانت قرية فخربت شرقي الصالحية ، أدركت فيها السبع قاعات ، والآن باق بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثورا) وابن طولون من أهل القرن العاشر . وورد في (غوطة دمشق للأستاذ محمد كرد علي ص ٢٢٢) حقق دهمان موقع مقرى فقال : «هي شرقي طاحون الأشنان ، بيت أبيات على ضفة نهر ثورا الشمالية ، وهناك طاحون مافتئت تعرف بطاحون مقرى » . والعقيق : كل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه ، وفي بلاد العرب أعقة كثيرة كعقيق اليمامة وعقيق المدينة وغيرهما ، وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق . انظر معجم البلدان . واللوى : منقطع الرمل وموضع بعينه وهو واد من أودية بني سليم وقد أكثر الشعراء من ذكر اللوى . انظر معجم البلدان . وسطرا : ذكر ياقوت في المعجم أنها من قرى دمشق ؛ ومن منتزهات الغوطة أخذاً من قول ابن منير الطرابلسي :

فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الـ أعلى فسطرا فجرمانـا فقلبين

وكثيراً ما ذكر الشعراء سطرا ومقرى معاً كقول ابن حيوس الذي نحن بصدده ، وكقول حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي :

سقى الله من سطرا ومقرا منازلاً بها للندامى نضرة وسرورُ

ويؤخذ من ذلك أنها قرب مقرى وقد درست منذ زمن بعيد ولم يذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة على الغوطة . وورد في (غوطة دمشق ص ٢١٣) قال دهمان : « إنها كانت في الطريق المقابل لباب جامع القصب ، ويعرف هذا الطريق بجادة عاصم ويخترقه شارع بغداد ، ثم يقابله بالجهة الشمالية جادة الخطيب وكل ذلك من سطرا » . والعرار : النرجس البري . والمرد : ثمر الأراك.

(٣) وروض بسطرى لا العرار ولا الرند (ل)

وَحـــــالِيَةٍ بِالْحُسْنِ خالِيَةٍ بِهِ تَعَرُّضُها هَزْلٌ وَإِعْرَاضُها جِدُّ

هِلالِيَّةٍ [١] في أَصْلِها وَمَرامِهـا حَمَتْها ظُبَى هِنْدِيَّةٌ وقَنًا مُلْدُ

عَشِيَّةَ لَمْ نُعْطَ الْعَزَاءَ بِمَوْقِفٍ لَكُمْ مَقْصَدٌ مِنْ بَعْدِهِ وَلَنا قَصْدُ [٢]

بَكَيْنا فَأَضْحَكْنا الْحَسُودَ وَزادَنا بُكاءً هَدِيرُ الْبُزْلِ وَالرَّكْبُ قَدْ جَدُّوا

نُرِيكُمْ بُكاءَ السُّحْبِ وَالْبَرْقُ ضاحِكٌ وَإِضْعافَها [٣] التَّهْطالَ إِنْ قَهْقَهَ الرَّعْدُ

فَلا تُظْهِرُوا [٤] سُخْطاً إِذا لَمْ يَكُنْ رِضًى وَلا تُكْثِرُوا ذَمًّا إِذا لَمْ يَكُنْ حَمْدُ

وَلا تُنْكِرُوا فَالدَّهْرُ مُدْنٍ وَمُبْعِدٌ حَوادِثَ [٥] فِيها ضاقَ بِالصّارِمِ الْغِمْدُ

قَطَعْتُ مِنَ النَّيْلِ الزَّهِيدِ عَلائِقِي فَلِي أَبَداً فِيهِ وَفِي أَهْلِهِ زُهْدُ

وَيَمَّمْتُ فَخْرَ الدَّوْلَةِ الْواهِبَ الْغِنى وَشِيكاً وَفِي أَثْنائِهِ الْعِزُّ وَالْمَجْدُ

فَأَسْرَفَ فِي إِنْعـامِهِ مُتَبَرِّعاً كَرِيمَ النِّجارِ ما لَهُ فِي الْوَرى نِدُّ

بِهِ يَحْسُنُ الْإِسْرافُ لا بِي وَبِالْمُنى وَيَقْبُحُ بِي مَعْ فِعْلِهِ لا بِهِ الْجَحْدُ

وَكَيْفَ وَقَدْ شاعَتْ وَسارَتْ غَرائِبٌ يُكَرَّمُ [٦] مَنْ يَشْدُو بِهِنَّ وَمَنْ يَحْدُو

---

(١) هلال : حي من هوازن .

(٢) القصد : هنا القسر .

(٣) بإضعافها ... (ع) و (م)

(٤) فلا تضمروا ... (ل)

(٥) نوايب (ل)

(٦) يقرّب ... (ل)

وَيَبْقَى عَلَى الْأَحْسابِ[1] مِنْها مَياسِمٌ وَتَنْفَعُ إِذْ لَا يَنْفَعُ الْمَالُ وَالْوُلْدُ
وَتَحْمِلُهَا هُوجُ الرِّيَاحِ مُغِذَّةً إِلَى كُلِّ أَرْضٍ قَصَّرَتْ دُونَهَا الْبُرْدُ
عَلَى أَنَّهَا دُونَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ وَإِنْ طَالَتِ الْأَقْوَالُ وَاسْتُفْرِغَ الْجُهْدُ
أَحَاطَ بِهَا عِلْماً وَأَثْنَى ثَوَابَهَا عَلِيمٌ كَرِيمٌ عِنْدَهُ النَّقْدُ وَالنَّقْدُ[2]
سَرِيعٌ إِلَى الْإِقْدَامِ وَالْجُودِ مَا لَهُ إِذَا عَرَضَا إِلَّا اهْتِبَالَهُمَا وَكْدُ[3]
فَمَا يَسْبِقُ الْعَدْوَى عَلَى ذِي جِنَايَةٍ وَعِيدٌ وَلَا الْجَدْوَى وَإِنْ لَمْ يُسَلْ وَعْدُ
وَأَرْوَعَ تُصْبِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْعُلَى إِذَا غَيْرَهُ أَصْبَتْهُ زَيْنَبُ أَوْ هِنْدُ
هَوًى لَمْ يَحُلْ دُونَ الْمُرُوءَةِ فِي الصِّبَى وَلَا حُلَّ فِي عَصْرِ الْمَشِيبِ لَهُ عَقْدُ
لَهَا عَاذِلُوهُ فِي اللُّهَى عَنْ مَلَامِهِ فَعَذْلُهُمُ جَزْرٌ وَأَنْعُمُهُ[4] مَدُّ
فَهَلْ قَالَتِ الْآمَالُ زَاجِرَةً لَهُمْ وَسَاخِرَةً وَالْحَقُّ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
«أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمُ مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا»[5]
إِذَا رَامَ ذُو حَدٍّ[6] وَجَدٍّ مَرَامَهُ نَبَا صَارِمٌ فِي كَفِّهِ وَكَبَا زَنْدُ

(١) ويبقى على الأعراض منها مواسم (ل)
(٢) النقد : التمييز . والنقد : الدرهم .
(٣) الوكد : المراد والهم والقصد .
(٤) وإنعامه (ل)
(٥) البيت للحطيئة أخذه ابن حَيُّوس على سبيل التضمين .
(٦) .. ذو وجد وجد مرامه (ل)

نَدَى بَعْضُهُ أَغْنَى الْعُفَاةَ وَبَعْضُهُ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَفِدْ أَهْلُهَا وَفْدُ

وَفِكْرٌ يُرِيهِ الْأَمْرَ أَبْلَجَ وَاضِحاً وَمِنْ دُونِهِ لَيْلٌ مِنَ الْغَيْبِ[1] مُسْوَدُّ

وَعَزْمٌ لَهُ حَدٌّ لَدَى الرَّوْعِ ما نَبا يُجاوِرُهُ الْجُودُ الَّذِي ما لَهُ حَدُّ

فَلَوْ سَبَقا لَمْ تَفْتَخِرْ بِابْنِ مامَةٍ إِيادٌ وَلَمْ تَذْكُرْ مُهَلَّبَها الْأَزْدُ[2]

فَلا يُضِعِ الْباغِي مَداهُ عَناءَهُ فَأُخْراهُ إِكْداءٌ وَأَوَّلُهُ كَدُّ

أَلَسْتَ[3] ابْنَ مَنْ رَدَّ الْخُطُوبَ كَلِيلَةً وَلَوْلاهُ[4] لَمْ تُقْلِعْ نَوائِبُها الرُّبْدُ

حَوادِثُ مادَ[5] الشَّامُ فِيها بِكُلِّ مَنْ بِهِ وَدِمَشْقٌ دُونَ بُلْدانِهِ[6] مَهْدُ

وَإِنْ شِدْتَ لِلْبَيْتِ الَّذِي أَنْتَ فَخْرُهُ مَناقِبَ يَسْتَعْلِي بِها الْأَبُ وَالْجَدُّ

أَمامَكَ جاؤُا فِي الزَّمانِ وَإِنَّهُمْ وَرَاءَكَ فِي الْإِفْضالِ وَالْفَضْلِ إِنْ عُدُّوا

تَفَرَّقَ فِيهِمْ سُؤْدُدٌ فَجَمَعْتَهُ وَزِدْتَ كَما أَرْبَى عَلَى الْحَبَبِ الشَّدُّ

كَذٰلِكَ أَنْوارُ النُّجُومِ خَفِيَّةٌ إِذا ما جَلا أَنْوارَهُ الْقَمَرُ الْفَرْدُ

---

(١) من العيب (ع)

(٢) ابن مامة : هو كعب ابن مامة الإيادي انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)
والمهلّب : هو ابن أبي صفرة الأزدي انظر الحاشية رقم (٥) ص (٣٩)

(٣) أليس ابن من ... (ع)

(٤) ولولاك ... (ع) و (م)

(٥) ماذا الشام ؟ (ع) و (م)

(٦) بلدانها (ع) و (م)

وَإِنَّ أَدِيمَ ٱلْأَرْضِ لاَ شَكَّ وَاحِدٌ ... وَما يَسْتَوِي فِيها ٱلشَّوَاهِقُ وَٱلْوَهْدُ

عَلَى أَنَّهُمْ طالُوا ٱلْكِرَامَ ٱلْأُلىٰ حَوَوْا[١] ... مَنَاقِبَ لاَ يُحْصَىٰ لها وَلَهُمْ عَدٌّ

وَقَدْ فَخَرَتْ قِدْماً[٢] تَمِيمٌ بِدَارِمٍ ... عَلَى أَنَّها قَلَّتْ وَإِنْ كَثُرَتْ سَعْدُ[٣]

غُيُوثُ نَدًى تُعْدِي عَلَى ٱلْمَحْلِ كُلَّما ... عَدَا[٤] وَلُيُوثٌ وَٱلْجِيادُ بِهِمْ تَعْدُو

وَكَمْ أَطْرَقُوا بَعْدَ ٱلْمَوَاهِبِ حِشْمَةً ... وَكَمْ طَرَقُوا بَابَ ٱلثَّناءِ فَما رُدُّوا

فَهُمْ[٥] فَضَلُوا مَنْ عارَضُوا بِفَضائِلٍ ... عُيُونُ ٱلْوَرَىٰ عَنْ طُرْقِها أَبَداً رُمْدُ

إِذَا أُفْحِمُوا قالُوا وَإِنْ خَنَعُوا[٦] نَخَوْا ... وَإِنْ بَخِلُوا[٧] جادُوا وَإِنْ هَزَلُوا جَدُّوا

وَتَلْقاهُمُ خُرْساً لَدَى ٱلْهُجْرِ وَٱلْخَنا ... وَإِنْ[٨] فاضَلُوا أَوْ ناضَلُوا فَهُمُ لُدُّ

وَإِنَّكَ أَغْنَى ٱلنَّاسِ عَنْ ذِكْرِ سالِفٍ ... إِذَا فاحَ عَرْفُ ٱلْمِسْكِ لَمْ يُذْكَرِ ٱلرَّنْدُ

---

(١) على أنهم طالوا الكرام بما حووا (ع) و (م)

(٢) يوماً (ع) و (م)

(٣) تميم: قبيلة عظيمة من العرب العدنانية. وبنو دارم بن مالك بطن من تميم وأشرافهم كثيرون. وبنو سعد بن زيد مناة من تميم أيضاً.

(٤) غدا ... تغدو (ل)

(٥) هُمُ ناقضوا مَن عاشروا بفضائل (ل)

(٦) وإن نخعوا نخوا (م)

(٧) وإن هزلوا جادوا ... (ل)

(٨) وإن فاخروا أو ناصلوا ... (ل)

غَنِيتَ بِنَفْسٍ لاَ تُنَافَسُ فِي عُلًى أُعِينَتْ بِجَدٍّ لاَ يُفَارِقُهُ (١) جِدُّ

لَئِنْ ذُدْتَ عَنْهَا كُلَّ ذِي شَغَفٍ (٢) بِهَا فَلاَ غَرْوَ أَنْ تَحْمِي عَرَائِنَهَا الْأُسْدُ

وَإِنْ جَاوَزَ الْجَوْزَاءَ دَسْتُ عَلَائِهِ فَقَدْ طَالَهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْطَمَ الْمَهْدُ

فَلاَ (٣) زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَأْتِي وَتَنْقَضِي وَجُودُكَ مُمْتَارٌ وَظِلُّكَ مُمْتَدُّ

سَقَانِي غَمَامٌ هَاطِلٌ مَا انْتَجَعْتُهُ فَأَغْنَى كَمَا أَغْنَى عَنِ الثَّمَدِ الْعِدُّ

وَأَحْسَنْتَ بِي عَنْ عَادَةٍ أَنْتَ وَالنَّدَى وَقَصَّرْتُ لاَ عَنْ عَادَةٍ أَنَا وَالْحَمْدُ (٤)

وَكَانَتْ قَوَافِي الشِّعْرِ قِدْماً تَدِينُ لِي وَمَا خِلْتُهَا إِذْ أَمْكَنَ الْقَوْلُ تَرْتَدُّ

لَقَدْ خَذَلَتْنِي حِينَ حَاوَلْتُ نَصْرَهَا وَمَا زِلْتُ غَلاَّباً (٥) بِهَا وَهْيَ لِي جُنْدُ

وَلاَ عُذْرَ فِي التَّقْصِيرِ مِنْ بَعْدِ أَنْعُمٍ بِأَيْسَرِهَا يُسْتَنْطَقُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ

* * *

(١) لا يقارنه جدٌّ (ل)

(٢) ... شغفٍ بها (ل)

(٣) ولا زالت (ل)

(٤) أنا والجهد (ل)

(٥) غلاّباً لها (ل)

٣٠

وقال [١] يمدح تاج الملوك [٢] بن صالح

أَمَّا ٱلْحِسانُ فَما لَهُنَّ عُهُودُ وَلَهُنَّ عَنْكَ وَما ظَلَمْنَ مَحِيدُ

فَٱرْبَعْ فَما لِلبِيضِ فيكَ لُبانَةٌ لِسِوَاكَ خُوطُ ٱلْبانَةِ ٱلْأُمْلُودُ

وَٱبْغِ ٱلنَّباهَةَ وَٱلثَّرَاءَ بِعَزْمَةٍ لَمْ يَثْنِها لَوْمٌ وَلا تَفْنِيدُ

قَدْ أَعْوَزَ ٱلْماءُ ٱلطَّهُورُ وَما بَقِي [٣] غَيْرُ ٱلتَّيَمُّمِ لَوْ يَطِيبُ صَعِيدُ

وَنَبا بِيَ ٱلْوَطَنُ ٱلْقَدِيمُ وَإِنَّنِي فِي [٤] ٱلْبُعْدِ عَمَّنْ حَلَّهُ لَسَعِيدُ

وَتَنُوفَةٍ عَقِمَتْ فَما تَلِدُ ٱلْكَرَى لٰكِنَّها لِلنَّائِباتِ وَلُودُ

فِيها يَطِيشُ ٱلسَّهْمُ وَهْوَ مُسَدَّدٌ وَيَضِلُّ رَأْيُ ٱلْمَرْءِ وَهْوَ سَدِيدُ

أَفْنَيْتُها بِقَلائِصٍ عاداتُها أَنْ تَنْقُصَ ٱلْفَلَواتِ وَهْيَ تَزِيدُ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يأتي :
(وقال أيضاً يمدح محمود بن نصر بن صالح ويهنيه بالسنة الجديدة)

(٢) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب . انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٣) وما بَقَا (ع)

(٤) في البعد عن وطني إذاً لسعيد (ع) و (م)

وَحَمى بِهَا حَيْدَانُ مَهْرَةَ سالِفاً ... وَنَمى ٱلْجَدِيلُ أُصُولَهَا وَٱلْعِيدُ (١)

فَمَرَرْنَ يَخْبِطنَ ٱلدَّيَاجِيَ وَٱلفَلاَ ... وَأَظُنُّهُنَّ عَلِمْنَ أَيْنَ أُرِيدُ

تَأْتَمُّ مَلْكاً بِٱلْعَوَاصِمِ (٢) بَحْرُهُ ... عَذْبُ ٱلْمِيَاهِ (٣) وَظِلُّهُ مَمْدُودُ

أَنِفَتْ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِي بَذْلَ ٱللُّهَى ... فَلَهَا صُدُوفٌ عَنْهُمُ وَصُدُودُ

وَوَرَاءَهَا مَنْ لاَ أَذُمُّ مَهَانَةً (٤) ... وَأَمَامَهَا مَحْمُودٌ ٱلْمَحْمُودُ

مَلِكٌ لِمَا تَبْنِي يَدَاهُ شَائِدٌ ... وَلِمَا بَنَاهُ أَوَّلُوهُ مُشِيدُ

ما زالَ يَبْتَدِعُ ٱلْعَلاَءَ مُنَاقِضاً ... مَنْ رَأْيُهُ فِي حَورِهِ (٥) ٱلتَّقْلِيدُ

وَيَفُوتُ أَهْلَ ٱلْأَرْضِ بِٱلشِّيَمِ ٱلَّتِي ... يَمْتَازُ مِنْهَا سَيِّدٌ وَمَسُودُ

وَغَرَائِبٍ مِنْ نُطْقِهِ ما مِثْلُهَا ... فِي (٦) ٱلْفَضْلِ مُكْتَسَبٌ وَلاَ مَوْلُودُ

يُعْطِي وَلَوْ سِيمَ ٱلْحَيَاةَ أَوِ ٱلصِّبَى ... وَيَفِي وَلَوْ بِٱلْغَدْرِ نِيلَ خُلُودُ

وَإِذَا ٱنْتَمَى يَوْمَ ٱلْوَغَى ثُمَّ ٱكْتَنَى ... فَٱلنَّصْرُ فِيهِ مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ

(١) مهرة بن حيدان: حي من قضاعة وإليه تنسب الإبل المهرية التي تسبق الخيل، وجديل: فحل من الإبل كان للنعمان بن المنذر يضرب به المثل. والعيد: فحل منجب تنسب إليه كرام النجائب.

(٢) العواصم: انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٢٩)

(٣) عذب المذاق ... (ل)

(٤) مهابةً (م) إهانة (ل)

(٥) في جوره (ل) وكلاهما محل نظر. ولعل الصواب: في حَوْزِهِ.

(٦) في الأرض ... (ل)

وَمَتَى تُخَوَّفُ ذِي ٱلْبِلاَدُ وَدُونَهَا مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ ٱلْمُلُوكُ ٱلصِّيدُ

وَلِيَتْ نُمَيْرٌ نَصْرَهُ وَرَبِيعَةٌ [1] وَلَهُ مِنَ ٱلْعَزْمِ ٱلْوَحِيِّ جُنُودُ

وَلَقَدْ حَبَاهُ أُخُوَّةً وَمَحَبَّةً مَلِكٌ لَهُ أَهْلُ ٱلزَّمَانِ عَبِيدُ

وَدَعَاهُ ذَا [2] ٱلْحَسَبَيْنِ عِلْماً أَنَّهُ يُزْهَى بِهِ ٱلتَّعْظِيمُ وَٱلتَّمْجِيدُ

يَابْنَ ٱلَّذِينَ إِذَا تَضَوَّعَ نَشْرُهُمْ كَسَدَ ٱلْعَبِيرُ بِهِ وَهَانَ ٱلْعُودُ

أُسَرٌ لَهَا فَوْقَ ٱلسَّمَاءِ أَسِرَّةٌ وَلِطِفْلِهَا ٱلْحَابِي [3] هُنَاكَ مُهُودُ

قَوْمٌ أَقَامُوا سُوقَ كُلِّ فَضِيلَةٍ كَسَدَتْ وَقَامُوا وَٱلْأَنَامُ [4] قُعُودُ

وَغَنُوا [5] وَلاَ فِي ٱلْبَأْسِ يَدْخُلُ ذِكْرُهُمْ وَٱلْبَأْسُ أَوْفَى كَسْبِهِمْ وَٱلْجُودُ

كُلٌّ إِذَا مَا ٱلْحَرْبُ شُبَّتْ عَامِرٌ وَإِذَا أَتَى ٱلْأَضْيَافُ فَهْوَ لَبِيدُ [6]

تَتَوَقَّعُ ٱلْأَذْوَادُ مِنْهُ عَاقِراً مَا زَالَ يَحْمِي سَرْحَهَا وَيَذُودُ

---

(١) نُمَيْر : انظر الحاشية رقم (٦) ص (٧٤) وربيعة : قبيلة من عامر ابن صعصعة .

(٢) ذو الحسبين (ل)

(٣) الجاني (م)

(٤) والكرام قعود (ل)

(٥) وعنوا ... (ل)

(٦) عامر بن صعصعة : ينتسب إليه بنو مرداس ، كما ينتسب إليه لبيد بن ربيعة العامري الشاعر الفارس الجواد المشهور أحد أصحاب المعلقات ، أدرك الإسلام فأسلم وسكن الكوفة وعمّر طويلا ، وكان كريماً نذر ان لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم .

مِنْ كُلِّ مُحْدَثَةِ ٱلْفَصِيلِ وَمُقْرَمٍ قَدْ صَدَّ عَنْهُ ٱلْجَيْشَ وَهْوَ عَتُودُ[١]

تُصْبِيهِ مُرْهَفَةُ ٱلظُّبَى مَخْضُوبَةً بِدَمِ ٱلْأَعَادِي لَا ٱلظِّبَاءِ ٱلْغِيدُ

وَلَهُ نُهُودٌ فِي ٱلْمُغَارِ عَلَيْهِمُ تُنْسِي غُصُونًا حَمْلُهُنَّ نُهُودُ[٢]

وَيَرُوقُهُ نَأْيٌ وَعَوْدٌ يَقْطَعُ ٱلْـ فَلَوَاتِ لَا نَايٌ يَرُوقُ وَعُودُ

طَالُوا ٱلْأَنَامَ وَطُلْتَهُمْ بِخَلَائِقٍ خُلِقَتْ عَلَى مَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ

وَلَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ ٱلْمَعَالِي طَارِفًا تَغْنَى بِهِ عَنْ أَنْ يُعَدَّ تَلِيدُ

كَرَمٌ تُمَدُّ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ ٱلْمُنَى وَسُطًى لِهَيْبَتِهَا ٱلْجِبَالُ تَمِيدُ

وَنَأَيْتَ عَنْ أَهْلِ ٱلزَّمَانِ بِهِمَّةٍ قَدْ جَازَتِ ٱلنَّسْرَيْنِ[٣] وَهْيَ صَعُودُ

لَا كَٱلرِّجَالِ تَبَايَنُوا[٤] لٰكِنْ كَمَا يَتَبَايَنُ ٱلْمَوْجُودُ وَٱلْمَفْقُودُ

فَلِذَا ٱلثَّنَاءُ عَلَيْكَ ضِدُّ ثَنَائِهِمْ ذَا مُنْشَدٌ أَبَدًا وَذَا مَنْشُودُ

مَا زَالَ يَسْقَمُ وَعْدُهُمْ وَوَعِيدُهُمْ وَيَصِحُّ عِنْدَكَ مَوْعِدٌ وَوَعِيدُ

عَاشُوا وَمَا يَخْضَلُّ فِي حُجُرَاتِهِمْ تُرْبٌ وَلَا يَخْضَرُّ فِيهِمْ[٥] عُودُ

فَأَرَحْتَهُمْ[٦] بِٱلْيَأْسِ مِنْ ذَا ٱلْمُرْتَقَى فَلَهُمْ نُكُوصٌ دُونَهُ وَنُدُودُ[٧]

---

(١) عَنُود (ع) و (م)
(٢) هذا البيت ساقط من (ل)
(٣) النسران : كوكبان يقال لأحدهما النسر الواقع وللآخر النسر الطائر .
(٤) تباينت ... (ع) و (م)
(٥) فيها (ع) و (م)
(٦) وأرحتهم (ع) و (م)
(٧) ندَّ البعير ندوداً : نفر وذهب على وجهه شارداً .

وَإِذَا سَمَتْ آمَالُ حَاسِدِ نِعْمَةٍ بَسَطَ الرَّجَاءَ فَعَبْدُكَ (١) الْمَحْسُودُ
وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَاسَلِمْتَ لِأُمَّةٍ إِصْلاحُهَا إِلاَّ عَلَيْكَ بَعِيدُ
أَوْطَنْتَ فِيهَا الأَمْنَ بَعْدَ نُزُوحِهِ وَنَفَيْتَ عَنْهَا الْخَوْفَ فَهْوَ طَرِيدُ
فَلَوِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكَلَّمَ أَرْضُهُمْ أَثْنَتْ عَلَيْكَ تَهَائِمٌ وَنُجُودُ
ظَلَّتْ (٢) عَشِيرَتُكَ الَّتِي عَاشَرْتَهَا فَلَهَا مُرُوقٌ دَائِمٌ وَمُرُودُ
فَجَعَلْتَ مَحْضَ الْخَوْفِ مِلْءَ صُدُورِهِمْ فَعَنَا عَنِيدٌ وَاسْتَقَامَ عَنُودُ (٣)
مَا إِنْ يَحُلُّ الرُّعْبُ صَدْراً وَاغِراً فَتُقِيمَ فِيهِ سَخَائِمٌ وَحُقُودُ
لَوْ كُنْتَ يا تاجَ الْمُلُوكِ مُؤَازِراً لِسَمِيِّ جَدِّكَ ما عَصَتْهُ ثَمُودُ (٤)
أَوْ كُنْتَ ناصِرَ هاشِمٍ فِيما مَضَى ما ضَلَّ مُرْتادٌ وَخابَ مُرِيدُ
تَزْدادُ مَجْداً لَيْسَ يُعْرَفُ كُلَّما قالَتْ عُداتُكَ ما عَساهُ يَزِيدُ
فَشِمِ السُّيُوفَ فَطالَما جَرَّدْتَها حَتَّى لَقُلْنَا ما لَهُنَّ غُمُودُ
هِنْدِيَّةٌ كَمْ مَزَّقَتْ فِي (٥) مَأْزِقٍ ما كانَ أَحْكَمَ سَرْدَهُ داوُدُ (٦)

(١) فغيرك المحسود (ل)
(٢) كذا في النسخ الثلاث والصواب : ضلَّتْ .
(٣) العنود : الجائر عن القصد .
(٤) جد الممدوح : صالح بن مرداس . وسميه : صالح النبي عليه السلام . وثمود : قبيلة من العرب الأولى وهم قوم صالح .
(٥) من ؟ (ل)
(٦) أي الدروع .

أَثْنى عَلَيْكَ مُؤالِفٌ وَمُخالِفٌ طَوْعًا بِأَنَّكَ في ٱلزَّمانِ فَرِيدُ
فَعجِبْتُ كَيْفَ أَقَرَّ أَنَّكَ واحِدٌ في ٱلنَّاسِ مَنْ ما دِينُهُ ٱلتَّوْحِيدُ
وَقصَرْتَ وَعْدَكَ فَلْيَدُمْ مقصُورُهُ لِمُؤَمِّلِيكَ وَعُمْرُكَ ٱلْمَمْدُودُ
تُغْنِي ٱلْعُفاةَ وَتَصْطَفِي مُهَجَ ٱلْعِدَى قامَتْ بِذاكَ أَدِلَّةٌ وَشُهُودُ
وَبِمَنْهَجِ ٱلْأَطْماعِ تَخْتَلِفُ ٱلْوَرَى هٰذا يُفِيدُ غِنًى وَذاكَ يُبِيدُ (١)
يا كَعْبَةَ ٱلْجُودِ ٱلَّتي طُفْنا بِها فَلَنا رُكُوعٌ حَوْلَها (٢) وَسُجُودُ
بِجَنابِكَ (٣) ٱبْيَضَّتْ لَيالِيَّ ٱلَّتي أَيَّامُها مِنْ قَبْلِ قُرْبِكَ سُودُ
وَخَرَجْتُ مِنْ حَجْرِ ٱلزَّمانِ لِعِلْمِهِ أَنِّي بِإِفْضائِي إِلَيْكَ رَشِيدُ
مِنَنٌ غَلَبْتَ بِها ٱلْقَرِيضَ فَما لَهُ بِذَراكَ تَصْوِيبٌ وَلا تَصْعِيدُ
وَأَعَدْنَ لي شَرْخَ ٱلشَّبابِ وَلَمْ أَخَلْ مِنْ قَبْلِها أَنَّ ٱلشَّبابَ يَعُودُ
وَلَهُنَّ في سُوقِ ٱلثَّناءِ بَضائِعٌ تُزْجَى وَفي سُوقِ ٱلْعُفاةِ قُيُودُ
أَذْهَلْتَني عَنْ أَنْ أَقُومَ بِحَقِّها يا وَاسِمِي بِٱلْعَجْزِ حِينَ يَجُودُ
وَإِذا (٤) ٱعْتَرَفْتُ بِهِ وَقَصَّرَ خاطِرِي عِيًّا فَذاكَ ٱلْإِعْتِرافُ جُحُودُ

---

(١) وذاك يفيد ؟ (ل)
(٢) حوله (ل)
(٣) بحياتك . . . (ل)
(٤) وإنْ اعترفت ... (ل)

لَا تُلْزِمَنِّي فَوْقَ جَهْدِي مُعْنِتاً (١) بِصِفَاتِ مَجْدٍ مَالَهَا تَحْدِيدُ
وَمَعَ اعْتِذَارِي فَاسْتَمِعْ لِغَرِيبَةٍ عَوْنَايَ فِيهَا الْفِكْرُ وَالتَّسْهِيدُ
لَوْ أَنَّ فَحْلَيْ طَيِّءٍ حَضَرَا لَهَا أَمْضَى حَبِيبٌ حُكْمَهَا وَوَلِيدُ (٢)
مَبْذُولَةٌ فِي الْقَوْمِ وَهْيَ مَصُونَةٌ مَعْقُولَةٌ فِي الْحَيِّ وَهْيَ شَرُودُ
خَفَّتْ عَلَى الْأَفْوَاهِ حَتَّى لَأَنْبَرَتْ تَحْدُو بِهَا مَعَنَا الْمَطَايَا الْقُودُ
وَتَكَرَّرَتْ فِينَا فَمَّا كُرِّرَتْ قَدْ صَارَ يَحْفَظُهَا الدُّجَى وَالْبِيدُ
فَاضِلْ (٣) بِهَا الْأَشْعَارَ تَعْرِفْ فَضْلَهَا (٤) مَا كُلُّ مَنْ مَدَحَ الْمَجِيدَ مُجِيدُ
أُوصِيكَ بِي خَيْراً فَإِنِّي فِي الْأُلَى أَصْبَحْتَ مَالِكَ رِقِّهِمْ مَعْدُودُ
وَوَصِيَّتِيكَ نَجُدْ بِعَفْوِكَ زَلَّةً مَا فَوْقَ مَا أَوْلَيْتَنِيهِ مَزِيدُ
أَيَنَالُنِي شَيْءٌ أُحَاذِرُهُ وَلِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
لَا زِلْتَ تُبْلِي كُلَّ عَامٍ قَادِمٍ فِي الْعِزِّ مَا خَلَفَ اللَّبِيسَ جَدِيدُ
وَأَرَى النُّجُومَ تَخَالَفَتْ أَحْكَامُهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُنَّ سُعُودُ

* * *

(١) معتباً (ع) و (م)
(٢) حبيب : أبو تمام الطائي . والوليد : البحتري وهو أيضاً طائي .
(٣) في جميع النسخ ناضل وهو تصحيف لما أثبتناه .
(٤) قدرها (ع) و (م)

٣١

وقال(١) يمدح أمير الجيوش(٢)

طاوِلْ بِهِمَّتِكَ ٱلزَّمانَ وَحِيدًا فَأَرَى مَدَاكَ عَلَى ٱلْأَنامِ بَعِيدَا
وَلَقَدْ بَلَغْتَ بِبَعْضِ سَعْيِكَ رُتْبَةً أَعْيَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَدَعْ مَجْهُودَا
فَلْيَيْأَسِ ٱلشَّرَفَ ٱلَّذِي أُوتِيتَهُ مَنْ لَا يَقُومُ مَقامَكَ ٱلْمَحْمُودَا
فَٱلْعِزُّ يَأْبَى أَنْ يُنِيلَ يَسِيرَهُ (٣) مَنْ لَا يَكُونُ عَلَى ٱلْجِلادِ جَلِيدَا
وَمُحَمِّلُ ٱلْأَيَّامِ (٤) ما لَمْ تَحْتَمِلْ يُفْنِي (٥) ٱلْحَياةَ مُخَيَّبًا مَكْدُودَا
أَنَّى يَنالُ (٦) مَحَلَّةَ ٱلْجَوْزاءِ مَنْ لا يَسْتَطِيعُ مِنَ ٱلصَّعِيدِ صُعُودَا
قَدْ شاعَ مَجْدُكَ فَهْوَ أَشْهَرُ فِي ٱلْوَرَى (٧) مِنْ أَنْ تَرُومَ لَهُ عِداكَ جُحُودَا
فَلَوِ ٱبْتَغَيْتُ بِما أَقُولُ شَهادَةً لَوَجَدْتُ أَهْلَ ٱلْخافِقَيْنِ شُهُودَا

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدحه — أمير الجيوش — ويذكر ولده محموداً وتشريف الحضرة الطاهرة للولد بالتسمية والتكنية واللقب ويهنيه بعيد الفطر من سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة »

(٢) هو أنوشتكين الدزبري والي دمشق انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) بسيره (ع) و (م)

(٤) الآمال (مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ج ١٠ مخطوط) .

(٥) يفني الزمان ... (ل)

(٦) يحلّ (مسالك الأبصار)

(٧) في الدنى من أن يروم ... (ل)

غاضَتْ[١] يَنابِيعُ الْكِرامِ[٢] بِعارِضٍ أَوْفَى عَلَى جُودِ الْغَمائِمِ جُودَا
تُزْجِي عَواصِفُهُ[٣] سَحائِبَ لِلْمُنَى بِيضاً وَسُحْباً لِلْمَنايا سُودَا
مُثْعَنْجِرٌ كَفُّ الْمُظَفَّرِ أُفْقُهُ لَمْ يُبْقِ ذَا عُدْمٍ وَلاَ مَزْؤُودَا[٤]
فَاعْتاضَ أَهْلُ الشَّامِ مِنْ خَوْفِ الرَّدَى أَمْناً وَمِنْ عَدَمِ الْيَسارِ وُجُودَا
بِأَغَرَّ مَا أَمَّ الْمَناقِبَ تابِعاً فِيها وَلاَ أَخَذَ الْعُلَى تَقْلِيدَا
لٰكِنْ يُؤَسِّسُ مَا بَنَى عَنْ[٥] هِمَّةٍ أَبَداً تَعافُ الْمَنْهَلَ الْمَوْرُودَا
مَا زَالَ يَسْبِقُ جُودُهُ مِيعادَهُ كَرَماً وَيَسْبِقُ سَيْفُهُ التَّهْدِيدَا
حَتَّى أَبانَ عَنِ اعْتِزامٍ لَمْ يَزَلْ لِلْمالِ وَالْباغِي[٦] الْعَنِيدِ مُبِيدَا
وَعَتَا الزَّمانُ فَكَفَّ مِنْ غُلَوائِهِ فَعَنَا وَصارَ لِمَا يُرِيدُ مُرِيدَا
يَا سَيْفَ مَنْ عِصْيانُهُ وَوَلاَؤُهُ جَعَلا[٧] شَقِيّاً فِي الْوَرَى وَسَعِيدَا
خَلِّ الْعَدُوَّ[٨] فَقَدْ غَدَا أَنْجادُهُمْ لَمْ يُضْمِرُوا لِمُهَنَّدٍ تَجْرِيدَا

---

(١) في جميع النسخ عاضت وهو تحريف لما أثبتناه .
(٢) ينابيع الكلام لعارض (ع) و (م)
(٣) عوارفه (ل)
(٤) المثعنجر : السائل . والمزؤود : المذعور .
(٥) من همة (ل)
(٦) والطاغي ... (ل)
(٧) تركا شقياً في الهوى وسعيدا (ل)
(٨) خل العداة فقد عدا أنجادهم أن يضمروا ... (ل)
انجاد : جمع نجد وهو الشجاع الماضي في ما يعجز غيره ، السريع الإجابة فيما دعي إليه .

مَلأَتْ وَقَائِعُكَ الْقُلُوبَ مَخَافَةً ضَاقَتْ بِهَا عَنْ أَنْ تُجِنَّ حُقُودَا (١)

وَرَفَعْتَ نَاراً كُلَّمَا أَوْقَدْتَهَا زَادَتْ بِهَا نَارُ الْعَدُوِّ خُمُودَا

هِيَ نَارُ إِبْرَاهِيمَ لِلْبَاغِي النَّدَى لَكِنْ عَلَى الْبَاغِي (٢) تُشَبُّ وُقُودَا

وَلَّوْا وَلَوْ أَوْغَلْتَ تَطْلُبُ إِثْرَهُمْ (٣) لَمْ يَحْمِ مَلْكُ الرُّومِ مِنْكَ طَرِيدَا

وَلَوِ اتَّبَعْتَ مُوَلِّيَاً فِيمَا مَضَى لَتَبِعْتَهُمْ سَيْراً يُبِيدُ الْبِيدَا

بِالْمُقْرَبَاتِ مُقَرَّبَاتٍ نَحْوَهُمْ لَا تَعْرِفُ الْإِيضَاعَ وَالتَّخْوِيدَا (٤)

مُقْوَرَّةً (٥) تَرْدِي (٦) بِكُلِّ مَفَازَةٍ تُرْدِي السَّوَابِقَ وَالْمَطَايَا الْقُودَا

نَزَعَتْ كُسًى مِنْ نَيِّهَا وَتَسَرْبَلَتْ مِنْ نَقْمِهَا فَوْقَ الْجُلُودِ جُلُودَا

فِي فَيْلَقٍ لَوْ لَمْ تَقُدْهُ إِلَى الْعِدَى لَكَفَاكَ بَأْسُكَ عُدَّةً وَعَدِيدَا (٧)

حَمَلَتْ ضَرَاغِمُهُ الْحَدِيدَ مُذَلَّقًا وَتَدَرَّعَتْ حَزْماً (٨) بِهِ مَسْرُودَا

---

(١) هذا العجز وصدر البيت الذي يليه ساقطان من (ل)

(٢) الطاغي (ل)

(٣) وَلَّتْ ولو وغلت تَتَطَلَّبُ إثرهم لم تحم ... (ل)

(٤) المُقْرَبَاتُ : الخيل الكريمة . وقَرَّبَ الفرس فهو مقرِّب : عدا تقريباً والتقريب ضرب من العدو . والإيضاع : سير الإبل سهلاً سريعاً . والتخويد السير السريع .

(٥) مقورّة : ضامرة . تَردي : ترجم الأرض بحوافرها . والمطايا القود : المنقادة .

(٦) ترمي (ع)

(٧) مكان هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

(٨) حلقاته (مختارات البارودي)

فَلْيَلْبَثُوا [١] حَيْثُ ٱسْتَقَرَّتْ دَارُهُمْ ... وَأَرَدْتَ مَا دَامَ الْحَدِيدُ حَدِيدَا [٢]

وَلْيَحْذَرُوا الْهِمَمَ الَّتِي مَنَعَتْهُمُ ... مِنْ أَنْ يُقِيمُوا بِالشَّآمِ عَمُودَا

نَقَضَتْ [٣] حِبَالَهُمُ حَبَائِلُ لَمْ تَزَلْ ... قِدْماً تَصِيدُ بِهَا الْمُلُوكَ الصِّيدَا

وَلَطَالَمَا صَبَّحْتَهُمْ فِي غَارَةٍ ... أَلْفَوْا بِهَا أُمَّ اللُّهَيْمِ [٤] وَلُودَا

لَمْ تُبْقِ فِي بَكْرٍ لِرَبِّ هُنَيْدَةٍ ... بَكْراً وَلَا لِبَنِي عَتُودَ عَتُودَا [٥]

ظَنُّوا بِهَا نَقْعَ الْجِيَادِ وَوَقْعَهَا ... عِنْدَ الْمُغَارِ سَحَائِباً وَرُعُودَا

وَمَتَى مَدَدْتَ قَناً فَمَا أَوْرَدْتَهَا ... مِنْ كُلِّ بَاغٍ ثُغْرَةً وَوَرِيدَا

وَمَتَى سَلَلْتَ ظُبىً فَمَا كَانَتْ لَهَا ... هَامَاتُهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ غُمُودَا

أَمْ أَيَّ يَوْمِ وَغىً شَهِدْتَ فَلَمْ يَكُنْ ... يَوْماً أَغَرَّ مُحَجَّلاً مَشْهُودَا

عَمْرِي لَقَدْ وَجَدُوا جَنَاكَ بِنُصْحِهِمْ ... أَرْياً فَحِينَ جَنَوْا جَنَوْهُ هَبِيدَا

فَرَأَوْكَ أَصْدَقَ مِنْهُمُ عِنْدَ النَّدَى ... وَعْداً وَأَنْكَى فِي الْعَدُوِّ [٦] وَعِيدَا

---

(١) فليتثنوا (ل)

(٢) مادام الجديد جديداً (ع) و (م)

(٣) نقضت حبائلهم ... (ع) و (م)

(٤) أُم اللهيم : المنيّة والداهية .

(٥) بنو بكر بن وائل : قبيلة من ربيعة من العرب العدنانية . وهُنَيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها . وبكر : الفتي من الإبل . وبنو عتود : من طيء . والعتود : الجدي .

(٦) في الهياج وعيداً (ل)

وَأَرَى جَنَابَ[1] مُبِينَةً عَنْ رُشْدِهَا ... إِذْ لَمْ تَرُمْ عَنْ ذَا ٱلْجَنَابِ مَحِيدَا[2]

نَالَتْ[3] بِقُرْبِكَ عِزَّةً وَنَبَاهَةً ... وَحَمَتْ[3] بِسَيْفِكَ طَارِفًا وَتَلِيدَا

قَلَّدْتَهَا مِنَنًا شَفَعْنَ صَنَائِعًا ... يَجْعَلْنَ أَحْرَارَ ٱلرِّجَالِ عَبِيدَا

وَمَدَدْتَ بَاعَ أَبِي سَمَاوَةَ مُنْجِزًا ... لِأَبِيهِ فِي ٱسْتِصْلَاحِهِ ٱلْمَوْعُودَا

وَنَأَى بِمَنْ كَفَرَ ٱلصَّنِيعَةَ فِعْلُهُ ... فَغَدَا لِخَوْفِكَ فِي ٱلْبِلَادِ شَرِيدَا

وَلَطَالَمَا خَصَّتْ نُحُوسُ كَوَاكِبٍ ... قَوْمًا وَكُنَّ لِآخَرِينَ سُعُودَا

أَضْحَى يَرُودُ ٱلْمَحْلَ مَغْرُورٌ مَضَى ... عَنْ ذَا ٱلْمَحَلِّ مُحَلَّأً مَطْرُودَا

وَوَرَى زِنَادُ مَنِ ٱعْتَلَتْ آرَاؤُهُ ... حَتَّى تَقَيَّلَ ظِلَّكَ ٱلْمَمْدُودَا

كَمْ آمَنَتْ سَطَوَاتُ عَزْمِكَ خَائِفًا ... وَجِلًا وَرَاعَتْ أَرْوَعًا صِنْدِيدَا

وَتَخَرَّمَتْ مَلِكًا وَرَدَّتْ ذَاهِبًا ... لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ مِثْلُهُ مَرْدُودَا

فَٱسْلَمْ عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ لِأُمَّةٍ ... تَلْقَى بِقُرْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ عِيدَا

وَلِدَوْلَةٍ قَدْ صِرْتَ مُنْتَجَبًا[4] لَهَا ... زَادَتْ وَعَزَّتْ مَنْعَةً وَجُنُودَا

---

(١) بنو جناب بن هُبَل : من كنانة عذرة .

(٢) هذا البيت وأحد عشر بيتاً بعده ساقطة من (ل)

(٣) نالوا ... وحموا ... « مسالك الأبصار ج ١٠ مخطوط »

(٤) في الأصل : « منتخباً » وهو تصحيف لما أثبتناه لأن منتجب الدولة من ألقاب الممدوح .

وَأُسْعِدْ بِمَوْلُودٍ سَمَا لِمَحَلَّةٍ[١] أَمْسَى لَهَا بَدْرُ ٱلسَّمَاءِ حَسُودَا
إِذْ خَصَّهُ خَيْرُ ٱلْأَنَامِ[٢] بِنِعْمَةٍ لَمْ يَحْبُهَا كَهْلاً وَلاَ مَوْلُودَا
وَأَنَالَهُ ٱسْماً مِنْ صِفَاتِكَ مُؤْذِناً مِنْهُ بِأَمْرٍ لاَ يَزَالُ حَمِيدَا
سَعِدَ ٱلَّذِي يَرْجُو إِمَامُ ٱلْعَصْرِ أَنْ سَيَكُونُ فِي حَالاَتِهِ مَسْعُودَا
نِعَمٌ يُهَنِّيكَ ٱلْإِلَـٰهُ[٣] جَدِيدَهَا فَلَقَدْ لَبِسْتَ بِهَا[٤] ٱلْفَخَارَ جَدِيدَا
وَيُرِيكَ مَحْمُوداً مُبَلَّغَ غَايَةٍ فِي ٱلْمُلْكِ أَعْجَزَ نَيْلُهَا مَحْمُودَا[٥]
تُرْوَىٰ مَنَاقِبُهُ وَيَرْوِي حَوْضُهُ عِنْدَ ٱلْمَعَاطِشِ[٦] مَنْ أَرَادَ وُرُودَا
وَتَرَىٰ بِحَضْرَتِهِ لِيَ ٱبْناً شَاعِراً مِثْلِي مُجِيداً فِي ٱلثَّنَاءِ مَجِيدَا
يَا مُصْطَفَى ٱلْمُلْكِ ٱلَّذِي كَانَ ٱلنَّدَىٰ هَمّاً فَعَاوَدَ فِي ذَرَاهُ وَلِيدَا
أَنْهَجْتَنِي مِنْ[٧] نَهْجِ فَضْلِكَ مَسْلَكاً تَثْنِي مَسَافَتُهُ ٱلْبَلِيغَ بَلِيدَا
فَلَئِنْ حَصِرْتُ[٨] فَإِنَّ عُذْرِي وَاضِحٌ أَنْ لَسْتُ أَبْلُغُ لِلسَّمَا تَحْدِيدَا

(١) بمحلة (ل)
(٢) إذ خصّه المولى الإمام بنعمة لم يعطها ... (ل)
(٣) الإمامُ جديدها (ل)
(٤) به (ل)
(٥) محمود (الأول) ابن أنوشتكين الدزبري ومحمود (الثاني) ابن نصر بن صالح ابن مرداس أمير حلب وخصم أنوشتكين .
(٦) المعاطش : جمع مَعْطَش وهو ميقات الظمء .
(٧) من بشر فضلك ... (ل)
(٨) حصرت ؟ (ل)

وَلَئِنْ(١) نَطَقْتُ فَإِنَّ أَيْسَرَ مَا أَرَى ... مِنْ مَأْثُرَاتِكَ يُنْطِقُ الْجُلْمُودَا

أَلْفَيْتُهُنَّ جَوَاهِراً مَنْثُورَةً ... وَعَلَى الْقَوَافِي أَنْ يَصِرْنَ(٢) عُقُودَا

فَلَكَ الْفَرِيدُ وَقَدْ وَجَدْتَ نِظَامَهُ ... وَلِيَ الثَّنَاءُ وَقَدْ وَجَدْتُ فَرِيدَا

حَمِدَ الْوَرَى لِيَ ذَا الثَّنَاءَ وَمَذْهَبِي ... فِيهِ فَكُنْتُ الْحَامِدَ الْمَحْمُودَا

جُوزِيتُ عَنْ شُكْرِي بِشُكْرٍ مِثْلِهِ ... فَمَدَدْتُ مَا تُسْدِي إِلَيَّ مَزِيدَا

٣٢

وقال أيضاً يمدحه (٣)

لَكَ السَّعْيُ مَا يَنْفَكُّ يَخْدُمُهُ السَّعْدُ ... وَذَا الْعِزُّ مَا أَعْطَاكَهُ(٤) الْجَدُّ وَالْجِدُّ

بِهِمَّتِكَ الطُّولَى بَلَغْتَ إِلَى الْمُنَى ... وَذُو الْهِمَّةِ الْقُصْرَى(٥) يَرُوحُ كَمَا يَغْدُو

لَقَدْ أَظْهَرَتْ مُذْ غِبْتَ عَنْهَا كَآبَةً ... دِمَشْقُ كَأَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْ صَارِمٍ غِمْدُ

مَضَيْتَ كَمَا تَمْضِي الصَّوَارِمُ فِي الطُّلَى ... وَعُدْتَ كَمَا عَادَتْ إِلَى الْأَجَمِ الْأُسْدُ

---

(١) ولئن شعرتُ ... (ل)

(٢) .. إن بصرن عقوداً (ع) و (م)

(٣) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدحه وأنشده إياها في محرم سنة ثلاثين وأربع مئة عند عودته من حلب وقد فتحها »

(٤) ما أنطاكه (ع) و (م)

(٥) القصوى .. (ع) و (م)

وَشَحْطُ ٱلنَّوىٰ أَبْدىٰ سَرَائِرَ أَهْلِهَا وَقَدْ يُعْرَفُ ٱلشَّيْءُ ٱلْخَفِيُّ بِمَا يَبْدُو
لَئِنْ مُنِعُوا بِٱلْهَمِّ فِي بُعْدِكَ[(١)] ٱلْكَرىٰ لَقَدْ مَنَعَ ٱلْأَيَّامَ قُرْبُكَ أَنْ تَعْدُو
وَمَا إِنْ رَأَوْا شَمْساً لَهَا ٱلشَّامُ مَطْلَعٌ سِوَاكَ وَلَا غَيْثاً تَخُبُّ بِهِ ٱلْجُرْدُ
سَحَابٌ حَيَاهُ[(٢)] ٱلْجُودُ وَٱلْبِشْرُ بَرْقُهُ وَوَقْعُ ٱلْعِتَاقِ ٱلْمُقْرَبَاتِ لَهُ رَعْدُ
أَحَاطُوا بِهَا رَجْلَىٰ لِأَنَّ غُبَارَهَا تَدَاوىٰ بِهِ[(٣)] مِنْ دَائِهَا[(٤)] ٱلْأَعْيُنُ ٱلرُّمْدُ
وَلَسْتَ مُوَفًّى بَعْضَ مَا تَسْتَحِقُّهُ إِذَا لَمْ يَنُبْ عَنْ كُلِّ رِجْلٍ[(٥)] مُشْتَخَدُّ
حَضَرْتَ فَوَجْهُ ٱلدَّهْرِ أَبْلَجُ نَاضِرٌ وَإِنْ غِبْتَ حِيناً فَهْوَ أَكْلَفُ مُرْبَدُّ
فَلَا تَتَحَدَّوْهُ[(٦)] بِذَمٍّ فَإِنْ تَكُنْ إِسَاءَتُهُ سَهْواً فَإِحْسَانُهُ عَمْدُ
وَإِنَّ أَلَذَّ ٱلْقُرْبِ مَا قَبْلَهُ نَوىً وَأَحْلَىٰ ٱلْوِصَالِ مَا تَقَدَّمَهُ صَدُّ
ظَعَنْتَ فَلَمْ تَظْعَنْ رِعَايَتُكَ ٱلَّتِي حَمَتْهُمْ فَمَا رِيعُوا وَأَجْدَتْ فَلَمْ يُكْدُوا[(٧)]
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَاكَ شَيْئاً مُحَبَّباً إِلَىٰ كُلِّ عَيْنٍ لَاسْتَوىٰ ٱلْقُرْبُ وَٱلْبُعْدُ

---

(١) ... من بعدك .. (ل)
(٢) حباه ؟ (ل)
(٣) بها (ع) و (م)
(٤) من دائه (ل)
(٥) عن كل رحل ... (ع) و (م)
(٦) فلا تنحدوا منه بذم ... ؟ (ع) و (م)
(٧) هذا البيت والذي بعده وردا متأخرين قليلاً في (ع) و (م) ورواية الأول فيها كما يلي : « ظعنت ولم تظعن حمايتك التي حمتهم فما ريعوا وأجدت فما يكدو »

وَهَلْ حَلَبٌ إِلاّ السُّهى مُنْذُ أَصْبَحَتْ لأَرْوَعَ أَيّامُ الزَّمانِ لَهُ جُنْدُ
لِذي البِيضِ(١) لَمْ تَجْفُ الطُّلى شَفَراتُها وَجُرْدِ(٢) المَذاكي ما يَجِفُّ لَها لِبْدُ
إِذا قَصَدَتْ أَرْضَ العَدُوِّ فَسَيْرُها لَعَمْرُكَ تَقْرِيبٌ وَتَقْرِيبُها(٣) شَدُّ
وَلَمّا دَعَتْ مِنْكَ العَواصِمُ غَوْثَها أَجَبْتَ بِلاداً قَدْ تَمادى بِها الجَهْدُ
فَأَسْهَرْتَ أَجْفاناً تَطاوَلَ نَوْمُها لِتَرْقُدَ أُخْرى ما لَها بِالكَرى عَهْدُ
نَهَضْتَ(٤) وَقَدْ مادَتْ حِذاراً بِأَهْلِها وَعاوَدْتَ عَنْها وَهْيَ مِنْ أَمْنِها(٥) مَهْدُ
فَلا طَرْفُ ذي فَتْكٍ إِلى الفَتْكِ يَعْتَلي وَلا يَدُ ذي جَوْرٍ إِلى الجَوْرِ تَمْتَدُّ
وَلَمّا طَغى نَصْرٌ(٦) أَتَحْتَ لَهُ الرَّدى فَلَمْ(٧) يَحْمِهِ الجَمْعُ الصَّريحُ وَلا الحَشْدُ
أَبَتْ أَنْ يَحِيدَ(٨) الحَقُّ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ خُصُومٌ مِنَ الْمُلْدِ الَّتي أَشْرَعَتْ لُدُّ

---

(١) لدى البيض لم تخف الطلا شفراتها (ل)
(٢) وُجرْدِ مَذاكٍ ... (ل) و (ع)
(٣) وتقريبها بُعْدُ (ل)
(٤) مضيت ... (ع) و (م)
(٥) وهي من أهلها مهد (ل)
(٦) هو نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب حاربه أنوشتكين الدزبري فثبت له وانجلت المعركة عن مقتل نصر سنة ٤٢٩ . وورد في زبدة الحلب لابن العديم ١ / ٢٥٨ ما ملخصه : بعد أن فتح أنوشتكين الدزبري حلب سنة ٤٢٩ سار إلى دمشق ومدحه ابن حيوس بقصيدة يذكر فيها قتل نصر يقول فيها :
ولما طغى نصر أتحت له الردى ولم ينجه الجمع الكثير ولا الحشد
(٧) فلم ينفع الجمع ... (ل)
(٨) أبت أن يحاد ... (ل)

فَخَلَّوْا لِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا عَنْ مَمَالِكٍ ... بِهَا أَخَذُوهَا عَنْوَةً وَبِهَا رَدُّوا

أَبَاحَكَ مُلْكُ[1] ٱلْعُرْبِ مَاضِي سِلَاحِهَا ... سَيُصْفِيكَ[2] مُلْكُ ٱلْهِنْدِ مَاطَبَعَ ٱلْهِنْدُ

فَكَمْ[3] خُضْتَ أَهْوَالاً نَتِيجَتُهَا عُلًى ... وَلَاقَيْتَ أَوْصَاباً جَنَى صَابِهَا شَهْدُ

تَفَرَّدْ بِمُلْكِ[4] ٱلْأَرْضِ وَأَسْلَمْ لِأَهْلِهَا ... فَإِنَّكَ فِيهِمْ[4] وَٱلْأُلَى قَبْلَهُمْ فَرْدُ

وَلَا تُخْلِ قَلْباً فِي ٱلْوَرَى مِنْ مَخَافَةٍ ... فَلَوْلَا حَيَاةُ ٱلْخَوْفِ لَمْ يَمُتِ ٱلْحِقْدُ

فَلَوْ[5] لَمْ يَكُنْ بَأْسُ ٱلْمُهَلَّبِ[6] كَاسِباً ... لَهُ ٱلْعِزَّ مَا أَعْطَتْهُ طَاعَتَهَا ٱلْأَزْدُ

تَكَفَّلَ هٰذَا ٱلْعَزْمُ أَنَّكَ ظَافِرٌ ... بِمَا لَمْ تُحَدِّثْكَ ٱلظُّنُونُ بِهِ بَعْدُ

أَمَانِيُّ قَدْ أَخْلَتْ لَهَا طُرُقَ[7] ٱلظُّبَى ... وَلَا صَدَرٌ يُحْمَى عَلَيْهِ وَلَا وِرْدُ

لِسَائِرِ مَا يَأْتِي بِهِ ٱلدَّهْرُ غَايَةٌ ... وَمَا لِمَعَالِيكَ ٱنْتِهَاءٌ وَلَا حَدُّ

إِذَا سَلَبَ ٱلْأَعْدَاءُ شَيْئاً رَدَدْتَهُ ... وَإِنْ سَلَبَتْهُمْ ذِي ٱلسُّيُوفُ فَلَا رَدُّ

قَوَاطِعُ مُذْ أَذْكَتْ بِمُذْكِينَ نَارَهَا ... فَبَيْنَ ضُلُوعِ ٱلرُّومِ نَارٌ لَهَا وَقْدُ

---

(١) ماضي العرب (م)

(٢) وأصفاك ... (ع) و (م)

(٣) وكم (ل)

(٤) لملك ... منهم ... (ل)

(٥) ولو لم ... (ع) و (م)

(٦) المهلّب : انظر الحاشية رقم (٥) ص (٣٩) والأزد : قبيلته .

(٧) ... طرف الظبي فلا صدر ... (ل)

وَمُنْذُ دَنَتْ دَارُ ٱلْمُبِيرِ مُبِيرِهِمْ   فَأَمْنُهُمُ جَزْرٌ وَخَوْفُهُمُ مَـدُّ

يَقُولُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَلِيكُهُمْ   كَذَا فَاحْمَدُوا[1] رَأْيِي لِمَا أَكَّدَ ٱلْعَقْدُ

لَعَمْرِي لَقَدْ غُرُّوا[2] بِإِبْعَادِ عُصْبَةٍ   نَحَتْ غَيَّهَا مِنْ بَعْدِمَا وَضَحَ ٱلرُّشْدُ

وَلَيْسَتْ لِهٰذَا ٱلْمُلْكِ أُولَى طَرِيدَةٍ   غَدَا حَظَّهَا[3] مِمَّنْ بَغَتْ نَصْرَهَا ٱلطَّرْدُ

فَلَا تَحْسَبُوا مَاءَ ٱلْفُرَاتِ كَعَهْدِهِمْ   فَقَدْ حَالَ دُونَ ٱلْوِرْدِ ذَا ٱلْأَسَدُ ٱلْوَرْدُ

لَقَدْ ضَاقَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ ذَرْعًا بِسَدِّهِ   فَقَالَ أَعِينُونِي فَقَدْ نَفِدَ ٱلْجُهْدُ

وَأَنْتَ ٱلَّذِي لَمْ يَسْتَعِنْ غَيْرَ عَزْمِهِ   وَكَمْ دُونَ[4] مَا قَدْ بِتَّ تَكْلَؤُهُ سَدُّ

بِإِقْدَامِكَ ٱلْإِسْلَامُ بِٱلْعِزِّ مُرْتَدٍ   وَجَاحِدُ مَا أَوْلَيْتَهُ عَنْهُ مُرْتَدُّ

وُقِيتَ[5] بِرَغْمِ ٱلْحَاسِدِينَ فَمَا زَكَا   لِقَائِلِهِمْ قَوْلٌ وَلَا كَانَ مَا وَدُّوا

فَلَا كَهُمُ[6] ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي ٱلْحَقُّ ضَارِبٌ   بِهِ مَنْ طَغَى بَغْيًا وَلَا خَوَرَ[6] ٱلْعَضْدُ

فَهُمْ بَيْنَ مَيْتٍ ظَلَّ يَلْفِظُهُ ٱلثَّرَى   وَحَيٍّ لَهُ مِنْ بَيْتِهِ أَبَدًا لَحْدُ[7]

وَإِنَّ رِجَالًا فِيكَ شَكَّتْ قُلُوبُهُمْ   أُولٰئِكَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِ[8] ٱلْهُدَى صَدُّوا

---

(١) كذا فاشكروا رأيي لكم أكد العقد (ل)

(٢) عَزُّوا (ل)

(٣) حفظها (ل)

(٤) وكم دون ما أصبحت تملكه شد (ع) و (م)

(٥) وفيت ... (ل)

(٦) ولا كهم ... فلا خور ... (ل)

(٧) لحي كميت ظل يلفظه الثرى   وحي له من بيته ما بقي لحد (ل)

(٨) عن طريق الهدى (ل)

وَلَسْتُ عَنِ ٱلنُّصْحِ ٱلصَّرِيحِ مُدَافِعاً إِذَا وَضَحَ[(١)] ٱلْإِحْسَانُ لَمْ يُمْكِنِ ٱلْجَحْدُ

كَفَيْتَ بِذَا ٱلسَّيْفِ[(٢)] ٱلْأَئِمَّةَ مَاعَرَا فَمِنْ[(٣)] كُلِّ شَيْءٍ مَا عَدَاكَ لَهُمْ بُدُّ

فَلَا غَرْوَ أَنْ شَدُّوا عَلَيْكَ أَكُفَّهُمْ بِذٰلِكَ وَصَّى[(٤)] ٱبْنَا أَبٌ وَأَبًا جَدُّ

وَمُذْ[(٥)] شَاعَ فِي مِصْرٍ وُصُولُكَ سَالِماً فَفِيهَا لِمَنْ يَحْتَلُّهَا عِيشَةٌ[(٦)] رَغْدُ

وَقَدْ لَبِسَتْ أَبْهَى ٱلْكُسَى وَتَعَطَّرَتْ[(٧)] بِمَا حَمَلَتْ مِنْ طِيبِ أَخْبَارِكَ ٱلْبُرْدُ

بِكَ ٱنْذَعَرَتْ رُبْدُ ٱلْحَوَادِثِ رَهْبَةً كَمَا ٱنْذَعَرَتْ[(٨)] مِنْ خِيفَةِ ٱلْقَانِصِ ٱلرُّبْدُ

وَحَيْثُ ثَوَى هٰذَا ٱلْهُمَامُ فَقَصْرُهُ بِأَرْجَائِهِ مِنْ كُلِّ مَمْلَكَةٍ وَفْدُ

تَرُومُ[(٩)] لَدَيْهِ ٱلْجُودَ إِنْ أَخْلَفَ ٱلْحَيَا وَتَجْدِيدَ عَهْدِ ٱلسِّلْمِ إِنْ أَخْلَقَ ٱلْعَهْدُ

وَعَدْتَ ٱلْهُدَى عِزًّا بِإِيعَادِكَ ٱلْعِدَى فَلَمَّا زَكَا فِيهَا ٱلْوَعِيدُ زَكَا ٱلْوَعْدُ[(١٠)]

---

(١) إذا اتصل الإحسان لم يكن الجحد (ل)

(٢) كفيت بذا العزم ... (ل)

(٣) ومن ... (م)

(٤) وصى ابن أباً ... ؟ (ل)

(٥) وقد شاع ... (ل)

(٦) عيشه (ل) و (م)

(٧) وقد لبست أبهى الكسى وتزينت بما لبست ... (ل)

(٨) عن خيفة ... (ع) و (م)

(٩) يروم ... (ل)

(١٠) فلما نكا فيها الوعيد زكا الوعد (ل)

وَجَمَّعْتَ بِالْإِحْسانِ شَتَّى قَبائِلٍ ... فَنابَ عَنِ الْقُرْبَى التَّوَازُرُ[١] وَالْوُدُّ

وَلَوْ لَمْ تُزِلْ[٢] بِالْمَنْعِ غِلَّ صُدُورِهِمْ ... وَبِالْبَذْلِ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى ضِدِّهِ الضِّدُّ

صَنائِعُ[٣] قَدْ عَمَّتْ نِزاراً وَيَعْرُبا ... فَكُلُّهُمُ أَسْرَاكَ وَالنِّعَمُ الْقِدُّ

سَأُثْنِي بِنُعْماكَ الَّتِي مَلَأَتْ يَدِي ... وَإِنْ فاتَ[٤] حَدَّ الْعَدِّ نائِلُكَ الْعِدُّ[٥]

رُمِيتُ بِسَهْمِ الْعِيِّ إِنْ ظَلْتُ[٦] كاتِماً ... مَواهِبَ لِي مِنْها الطَّوارِفُ وَالتُّلْدُ

سَقَتْنِي بِكاساتِ الْمُنَى[٧] كُلَّ نُخْبَةٍ[٨] ... فَها أَنا بِالْأَشْعارِ مِنْ طَرَبٍ أَشْدُو

عَزِيزُ الْقَوافِي لِي ذَلِيلٌ وَصَعْبُها[٩] ... ذَلُولٌ وَحُرُّ الْقَوْلِ ما رُمْتُهُ عَبْدُ

أَمِيرَ الْجُيُوشِ اسْمَعْ لَهَا فَبِمِثْلِها ... تَزِيدُ[١٠] الْعُلَى طَوْلاً وَيَفْتَخِرُ الْمَجْدُ

وَما أُنْشِدَتْ إِلَّا انْبَرَى كُلُّ عالِمٍ ... يَقُولُ لِهٰذا الْجِيدِ يَصْلُحُ ذَا الْعِقْدُ

(١) النوازر ؟ (ع) النوارز ؟ (م)

(٢) ولو لم يزل ... (ع) و (م)

(٣) مكارم ... (ل)

(٤) وإن جاز ... (ل)

(٥) العِدُّ : الكثرة في الشيء ومنه المثل (هذا بَرْضٌ من عِد)

(٦) إن كنت كاتماً (ل)

(٧) بكاسات الغنى (ل)

(٨) النُّخْبَةُ : الشربة العظيمة .

(٩) وصعبها ؟ (ع) و (م)

(١٠) يزيد العلى ... (ع) و (م)

تَجِلُّ إذَا ما جِلّةُ القَوْمِ أَنْصتُوا … وَتَلْغَى إذَا أَنْضَى لِيَ النَّقْدُ وَالنَّقْدُ[١]

أَذَا العُرْفِ ما شَرْوَاهُ مُنْهمِرُ الحَيا … وَذَا العَرْفِ ما النَّدُّ الذَّكِيُّ لَهُ نِدُّ

شُهِرْتَ بِإرْغامِ الخُطُوبِ وَكَبْتِها … فَما لَكَ إلاَّ حِفْظُ ما ضَيَّعتْ[٢] وَكَدُّ

وَمِنْهُ[٣] النَّدَى يَعْتَادُ في كُلِّ لَحْظَةٍ … وَغَيْرُكَ بالأَدْنَى مِنَ الجُودِ يَعْتَدُّ

فَضَائِلُ يُطْوَى الدَّهْرُ مِنْ قَبْلِ طَيِّهَا … وَتَنْعَدُّ[٤] أَنْفَاسُ الوَرَى قَبْلَ تَنْعَدُّ

كَمَا كُلُّ مَنْ يَبْغِي[٥] مَدَاكَ فَلا كَبا[٦] … لِذَا المُلْكِ في أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ[٧] زَنْدُ

لِتَحْتَازَ[٨] آفَاقَ الدُّنَى دُونَ أَهْلِهَا … كَمَا لَكَ فِيهَا دُونَهُمْ وَحْدَكَ الحَمْدُ

*
* *

(١) ... إذا أفضى إلى النقد النقد (ل)

(٢) ما صنعت ؟ (ل)

(٣) وستر الندى يعتاد في كل ساعة ... (ل)

(٤) فتنعد ... (ل)

(٥) نداك ؟ (م)

(٦) ولا كبا (ل)

(٧) يحاوله (م)

(٨) لتختار آفاق الندى ... (ل)

٣٣

وقال (١) يمدح الوزير الناصر للدين أبا محمد اليازوري (٢)

لِيَهْنِكَ مَا أَنَالَتْكَ ٱلْجُدُودُ ... وَأَنَّ ٱلدَّهْرَ يَفْعَلُ مَا تُرِيدُ (٣)

مَرَامٌ شَطَّ مَرْمَىٰ ٱلْعَزْمِ فِيهِ ... فَدُونَ مَدَاهُ بِيدٌ لَا تَبِيدُ

وَأَمْرٌ قُمْتَ فِيهِ بِلَا ظَهِيرٍ ... وَأَهْلُ ٱلْأَرْضِ مِنْ فَشَلٍ قُعُودُ

وَمِثْلُكَ لَا يَضِلُّ ٱلْحَزْمُ عَنْهُ ... فَهَلْ أَنْبَاكَ بِٱلصَّدَرِ ٱلْوُرُودُ

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدح الوزير الأجل الناصر للدين الأوحد المكين غياث المسلمين أبا محمد اليازوري ويذكر ظفره بطغرلبك وأصحابه ووقعة سنجار)

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوي، ولد في يازور (من قرى الرملة بفلسطين) وإليها نسبته ، وسكن الرملة وولي الحكم فيها،واتصل بالمستنصر الفاطمي صاحب مصر فاستوزره سنة ٤٤٢ وجعله قاضي القضاة ولقب بسيد الوزراء .وهو الذي دبّر فتنة البساسيري وأثاره على العباسيين.واستمر في الوزارة إلى أن قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله سنة ٤٥٠ « الأعلام »

(٣) بنى ابن حيّوس مديح هذه القصيدة على تدبير اليازوري لفتنة البساسيري وإمدادها ، وتناول وصف حوادثها منذ شبوبها سنة ٤٤٧ إلى أن استولى البساسيري على الموصل سنة ٤٤٨ وكانت لم تنته بعد . وهاك حديث تلك الفتنة مجملاً : البساسيري هو أبو الحرث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدّم الأتراك ببغداد ، خرج على الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة ٤٤٧ فاستنجد الخليفة بطغرل بك السلجوقي ، فدخل بغداد ومعه جيش عظيم سنة ٤٤٧ وكان البساسيري قد فارقها متمرداً ، وانضم إليه دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلة ،وكانت بينهما وبين قريش بن بدران العُقَيلي صاحب الموصل ←

أبيْتَ فَلَمْ تَنَمْ نَوْمَ ابْنِ هِنْدٍ(١) عَلَى حَنَقٍ فَنَبَّهَهُ وَلِيدُ
وَأعْفَيْتَ الْمَسَامِعَ مِنْ حَدِيثٍ(٢) يَعِنُّ فَتَقْشَعِرُّ لَهُ الْجُلُودُ
نَبَأً(٣) ضَاقَتْ بِنِسْوَانٍ خُدُورٌ لَهُ وَنَبَتْ بِأطْفَالٍ مُهُودُ
فَكَذَّبَ ظَنَّ مَنْ عَادَاكَ صِدْقٌ تَسَاوَى فِيهِ وَعْدُكَ وَالْوَعِيدُ
وَعِيدٌ غَادَرَ الْمُرَّاقَ صَرْعَى وَعِيدٌ مَا أتَى مَأْتَاهُ عِيدُ
فَلَوْلاَ كَوْنُهُ مَعَ يَوْمِ بَدْرٍ(٤) لَقُلْنَا إنَّهُ الْيَوْمُ الْوَحِيدُ

← ونصيبين ومعه قطلمش ابن عم طغرل بك وقعة عند سنجار سنة ٤٤٨ انتصر فيها البساسيري ، فانحاز إليه قريش بن بدران وساروا جميعاً إلى الموصل وخطبوا لخليفة مصر المستنصر الفاطمي . فسار طغرل بك من بغداد في أواخر سنة ٤٤٨ بعد أن مكث بها ثلاثة عشر شهراً ، واستولى على عدة مدن واسترد الموصل وأعمالها وسلمها إلى أخيه إبراهيم ينال وعاد إلى بغداد سنة ٤٤٩ . وحدث في سنة ٤٥٠ أن فارق إبراهيم ينال الموصل إلى همذان بتحريض البساسيري وإغرائه ، فاعتبر طغرل بك ذلك عصياناً وسار خلفه ، فاغتنم البساسيري هذه الفرصة وعاد إلى الموصل ودخل بغداد سنة ٤٥٠ واضطر الخليفة إلى الخروج من بغداد إلى حديثة عانة ، حيث بقي هناك مدة سنة كاملة. وخطب في بغداد ومدن العراق لصاحب مصر المستنصر الفاطمي . وانتهى أمر الفتنة بعودة طغرل بك إلى بغداد ومقتل البساسيري سنة ٤٥١ .

(١) فلم تنم نحو ابن هند (ل) .
(٢) وأغنيت المسامع عن حديث (ل)
(٣) ذاك الحديث الذي تقشعر له الجلود وذلك النبأ الذي ريعت له النساء والأطفال هو ما أعلنه طغرل بك السلجوقي من أنه عازم على المسير إلى الشام ومصر لإزالة الفاطميين منهما وإعادتهما إلى بني العباس . انظر ابن الأثير ج ٩ ص ٢١١ .
(٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة وعنده كانت الوقعة المشهورة التي سميت به وأظهر الله بها الإسلام في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة « معجم البلدان »

مَقَامُ آزَرَتْ أَسَداً نُمَيْرٌ ... لَدَيْهِ وَظَافَرَتْ كَلْباً عَتُودُ(١)

وَأَيٌّ(٢) حِمىً أَبَاحُوا يَوْمَ بَاحُوا ... بِمَا كَتَمَتْهُ فِي السِّلْمِ الْعُهُودُ

لَقَدْ طَاحَ الرَّجَاءُ بِطُغْلُبُكٍ(٣) ... وَكَمْ أَمَلٍ إِلَىٰ أَجَلٍ يَقُودُ

كَأَشْدَقِ عَبْدِ شَمْسٍ إِذْ تَبَغَّىٰ ... تُرَاثاً لَمْ يُخَلِّفْهُ سَعِيدُ(٤)

وَجَاوَرَ(٥) أَهْلَ تِلْكَ الأَرْضِ مِنْهُ ... مَرِيدٌ لاِجْتِيَاحِهِمُ مُرِيدُ

عَجِبْتُ لِمُدَّعِي الآفَاقِ مُلْكاً ... وَغَايَتُهُ بِبَغْدَادَ الرُّكُودُ(٦)

يَصُولُ عَلَى رَعَايَاهَا اعْتِدَاءً ... وَيُحْجِمُ كُلَّمَا صَلَّ الْحَدِيدُ(٧)

---

(١) أسد ونمير وكلب وعتود قبائل عربية ظاهرت البساسيري في فتنته .

(٢) فأي حمى ... (ل)

(٣) بطلغبك (ع) و (م) والمراد بطغلبك : طغرل بك السلجوقي وهو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق أول ملوك السلجوقية . استدعاه الخليفة العباسي القائم بأمر الله للقضاء على فتنة البساسيري انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٧٩)

(٤) الأشدق : هو عمرو بن سعيد بن العاص الأموي ، دعا إلى نفسه في دمشق لما خرج عبد الملك بن مروان إلى الرحبة لقتال زفر بن الحرث الكلابي ، فبايعه أهلها بالخلافة ؛ فعاد عبد الملك إلى دمشق وتلطف في القبض عليه حتى تمكن منه فقتله سنة ٧٠ ولقب بالأشدق لفصاحته .

(٥) وجاوز ؟ (ع) و (م)

(٦) عجبت لمدعي ... يشير إلى طول مكوث طغرل بك في بغداد فقد دخلها سنة ٤٤٧ على سبيل المرور لقتال الخارجين والمسير إلى الشام ومصر فظل بها ثلاثة عشر شهراً ولم يبرحها حتى استولى البساسيري على الموصل .

(٧) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٧ أن أهل بغداد ضجوا بالشكوى من سوء سيرة العسكر الذين أتوا مع طغرل بك وكانت تقع بين الفريقين وقائع دامية .

وَمِنْ مُسْتَخْلَفٍ بِٱلْهُونِ رَاضٍ يُـذَادُ عَنِ ٱلْحِيَاضِ وَلاَ يَذُودُ(١)

لَـهُ حَرَمٌ هُنَالِكَ لَمْ يُحَرَّمْ بِـهِ إِلاَّ ٱلسَّلاَمَةَ وَٱلْهُجُودُ(٢)

تَـلاَهُ(٣) خَوْفُـهُ بِـأَشَدَّ مِنْـهُ وَلَوْلاَ ٱلْجَدْبُ مَا أُكِلَ ٱلْهَبِيدُ(٣)

وَدَبَّرَهُ ٱبْنُ مُسْلِمَةٍ(٤) سَفَاهاً بِرَأْيٍ(٥) مَا أَشَارَ بِـهِ رَشِيدُ

---

(١) يندد بالخليفة العباسي القائم بأمر الله ويعيب عليه ضعفه وأن ليس في يديه من السلطان شيء مع طغرل بك .

(٢) ذكر ابن الأثير أن دار الخلافة وترب الخلفاء انتهكت حرمتها بسبب الوقائع التي جرت بين أهل بغداد وعسكر طغرل بك ، حتى أن رسول تكين ابن عم طغرل بك وكان منابذاً له احتمى بدار الخلافة ، فأمر طغرل بك بتقييده ، فخرج توقيع الخليفة « لم تجر العادة بتقييد أحد في الدار العزيزة » قال ابن الأثير : « كانت دار الخلافة أيام بني بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك ففي الأيام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شيء فعلوه هذا » .

الكامل ٩/٢٢١

(٣) مُلاءةُ خوفِهِ ... (ل) والهبيد الحنظل .

(٤) ابن مسلمة : هو رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن المسلمة وزير القائم بأمر الله ، ولد سنة ٣٩٧ وكان عالماً بفنون كثيرة مع سداد رأي ووفور عقل . قتله البساسيري ومثّل به أقبح تمثيل لما استولى على بغداد سنة ٤٥٠ .

« تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١ ص ٣٩١ »

(٥) بأمر ... (ل)

وَضَاعَفَ ضَعْفَهُ فَرْطُ ٱلتَّوَقِّي   وَأَيَّدَ أَيْدَكَ ٱلْبَطْشُ ٱلشَّدِيدُ
وَمَا ٱلْبَطْشُ ٱلشَّدِيدُ مُفِيدُ عِزٍّ   إِذَا لَمْ يُعْضِهِ ٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُمَا سَيْفٌ بِمِصْرٍ   تُقَامُ(١) بِهِ بِسِنْجَارَ ٱلْحُدُودُ
عَلَى مَنْ وَارَتِ ٱلدِّيرَانُ(٢) مِنْهُمْ   جُسُومٌ لَيْسَ يَقْبَلُهَا ٱلصَّعِيدُ
أُزِيلُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ بِضَرْبٍ   تَزُولُ بِهِ ٱلضَّغَائِنُ وَٱلْحُقُودُ
فَكَمْ غُلَلٍ شَفَاهَا(٣) حَرُّ ضَرْبٍ   وَقَدْ أَعْيَا بِهَا ٱلْمَاءُ ٱلْبَرُودُ
لَقَدْ لَاقَوْا بِنُصْرَتِهِمْ قُرَيْشاً(٤)   كَمَا لَاقَتْ بِأَشْقَاهَا ثَمُودُ

---

(١) تقام له . . . (ل) وسنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة . ويشير في البيت الى الوقعة التي انتصر بها البساسيري عند سنجار سنة ٤٤٨ . ورد في كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٤ (بعث طغرل بك الفين وخمسمائة فارس إلى سنجار فكانت الوقعة المشهورة التي ظفر بها البساسيري ولم يفلت من هذه العدة الا مائتا فارس أو دونها وعمل الشعراء في ذلك فمن مليح ما قيل قول ابن حيّوس :

عجبت لمدّعي الآفاق ملكاً   وغايته ببغداد الركودُ
ومن مستخلَفٍ بالهون يرضى   يُذاد عن الحياض ولا يذوُد
وأعجب منهما سيفٌ بمصرٍ   تقام له بسنجار الحدود

(٢) الديران : جمع دار . وفي (ل) :

على من وارت الذوبان منهم   جسوماً ليس يقتلها الصعيد

(٣) سقاها (ع) و (م) .

(٤) قريش بن بدران العُقَيْلي صاحب الموصل ونصيبين تردد في فتنة البساسيري حاربه في أول الأمر ثم انحاز إليه توفي سنة ٤٥٣ . وثمود قبيلة من العرب الأُول ويقال إنهم من بقية عاد وهم قوم صالح عليه السلام .

وَقَدْ سَمِعَ ٱلظُّبَىٰ فِيهِمْ تُغَنِّي   وَلَمْ (١) تُغْنِ ٱلْمَوَاثِقُ وَٱلْعُهُودُ
وَلَا ٱلْعِزُّ ٱلطَّرِيفُ حَمَاهُ مِمَّا   أَرَدْتَ بِهِ وَلَا ٱلْعِزُّ ٱلتَّلِيدُ
فَوَلَّىٰ يَحْمَدُ ٱلْجُرْدَ ٱلْمَذَاكِي   وَلَيْسَ لِسَيْفِهِ أَثَرٌ حَمِيدُ
وَغَرَّ ٱلْغِرَّ أَنَّ ٱلدِّينَ وَاهٍ   هُنَاكَ وَأَنَّ نَاصِرَهُ بَعِيدُ
فَفَاتَهُمُ بِعَزْمِكَ مَا أَرَادُوا   وَآلَ بِهِمْ إِلَىٰ مَا لَمْ يُرِيدُوا
وَلَمْ تَزَلِ ٱلْأَمَانِي وَهْيَ بِيضٌ   تُكَذِّبُهَا ٱلْمَنَايَا وَهْيَ سُودُ
فَمِنْ جَيْشٍ يَعُدُّ ٱلْعَوْدَ فَتْحاً   وَمِنْ جَيْشٍ يَمُرُّ فَلَا يَعُودُ
وَمَا إِقْدَامُ قُطْرُمُشٍ (٢) مُعَادٌ   وَلَا عُمُرٌ (٣) لَهُ عُمْرٌ جَدِيدُ
جَنَاحَا جَارِحٍ غَرْثَانَ هِيضَا   فَأَصْبَحَ لَا يَطِيرُ وَلَا يَصِيدُ
وَطَوْدُ (٤) أَذىً وَهَتْ بِسُطَاكَ مِنْهُ   قَوَاعِدُ جَمَّةٌ وَوَهَتْ رُيُودُ (٥)
سُطًى سَمِعَ ٱلْمُلُوكُ بِهَا فَظَلَّتْ   أَسِرَّتُهُمْ بِهَا خَوْفاً تَمِيدُ
وَشَاعَ حَدِيثُهَا فَٱرْتَاعَ مِنْهَا   عَمِيدٌ وَٱسْتَقَامَ بِهَا عَنِيدُ

---

(١) فلم .. (ل) .

(٢) قرطمش (ع) و (م) والمراد بقطرمش : قطلمش وهو ابن عم طغرل بك حارب البساسيري ومعه قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين عند سنجار سنة ٤٤٨ فهزمهما البساسيري فانحاز إليه قريش وعاد قطلمش يحرض ابن عمه طغرل بك على الأخذ بالثأر.

(٣) ولا عَمْروٌ ... (ع) و (م) .

(٤) فطود ... (ل)

(٥) الرُّيُودُ : جمع رَيْد وهو الحرف الناتيء في عرض الجبل . وفي (ع) و (م) ربود . وفي (ل) زنود . وكلاهما تصحيف .

رَمَيْتَهُمُ بِكُلِّ سَلِيلِ غَابٍ يَعِيشُ بِفَرْسِهِ ضَبُعٌ وَسِيدُ
يَرُوقُ فُؤَادَهُ نَأْيٌ وَعَوْدٌ يَغُذُّ ٱلسَّيْرَ لاَ نَايٌ وَعُودُ
وَيُعْجِبُهُ ٱلنُّهُودُ إِلى ٱلْأَعَادِي مُشِيحاً لاَ ٱلْقُدُودُ وَلاَ ٱلنُّهُودُ
وَيُطْرِبُهُ صَلِيلُ ٱلْبِيضِ فَوْقَ ٱلْـ ـقَوَانِسِ لاَ ٱلْبَسِيطُ وَلاَ ٱلنَّشِيدُ
وَلَوْ أَنَّ ٱلنَّعَامَ بِكَ ٱسْتَجَارَتْ لَخَافَتْ [1] مِنْ عَوَادِيهَا ٱلْأُسُودُ
فَكَيْفَ وَمُسْتَجِيرُكَ أَحْوَذِيٌّ تَحَدَّاهُ ٱلْحُتُوفُ فَلاَ [2] يَحِيدُ
تَفَرَّدَ وَهُوَ مُجْتَنَبٌ مَخُوفٌ كَمَا [3] يُتَجَنَّبُ ٱلْحَيُّ ٱلْحَرِيدُ
وَفَاضَ عَلَيْهِ بِٱلْإِحْسَانِ حَتَّى تَخَلَّصَهُ مِنَ ٱلْعَدَمِ ٱلْوُجُودُ
كَرِيمٌ مِنْ عَطَايَاهُ ٱلْمَعَالِي عَظِيمٌ مِنْ تَحَايَاهُ ٱلسُّجُودُ
مُؤَمِّلُهُ يُفِيدُ غِنًى وَعِزّاً وَشَانِيهِ بِغُصَّتِهِ يَفِيدُ [4]
غَمَامٌ فِيهِ مِنْ بِشْرٍ بُرُوقٌ وَلَمْ يَصْحَبْهُ مِنْ مَنٍّ رُعُودُ
مُلِثٌّ مَا يُبَالِي حَيْثُ يَهْمِي أُتِيحَ لَهُ شَكُورٌ أَمْ كَنُودُ [5]

(١) لخافت في غواديها الأسود (ل)
(٢) ولا محيد (ع) ولا تحيد (م)
(٣) به يتجنب ... (ل) . والحي الحريد : المنفرد .
(٤) يُفِيد : يأخذ ويستفيد . ويَفِيد : يموت .
(٥) أَوْ كَنُودُ (ع) و (م)

وَأَعْطى ما وَهبْتَ بِلا اُكْتِراثٍ عَلَيْهِ أَنَّ مُبْدِئَهُ مُعيدُ (١)

وَكُلُّ نَدًى إِلى جَدْوَاكَ يُعْزَى كَما تُعْزى (٢) إِلى الْغَيْثِ الْمُدُودُ

عَمَمْتَ الْقَوْمَ مِنْ عَجَمٍ وَعُرْبٍ (٣) مَواهِبَ ما خَلا مِنْهُنَّ جيدُ

لُهًى كادَتْ عَدُوَّهُمُ وَكادَتْ تَضيقُ بِها التَّهائِمُ وَالنُّجُودُ

تَخالَفَتِ الرِّفاقُ بِها إِلَيْهِمْ كَما اخْتَلَفَتْ عَلَى التَّجْرِ النُّقُودُ

وَرُبَّ مَغانِمٍ أَدَّتْ إِلَيْها مَغارِمُ حَمْلُ أَدْناها يَؤُدُ

وَأَرْسَلْتَ الْعِتاقَ الْجُرْدَ قُبًّا يُعارِضُ مُمْتَطًى مِنْها مَقُودُ

وَمِنْ أُدَدٍ وَعَدْنانٍ (٤) عَلَيْها جُنُودٌ لا تُلاقيها جُنُودُ

مِنَ الأُسْرِ (٥) الَّتي أَلْوَتْ بِكِسْرى (٦) وَذاكَ وَمَنْ سِلاحُهُمُ الْجَريدُ

مَرَتْ خِلْفَ التِّلافِ (٧) بِكُلِّ مَرْتٍ تَنُوبُ عَنِ السُّرُوجِ بِهِ الْقُتُودُ (٨)

(١) يعيد (ل)

(٢) كما عُزِيَتْ (ل)

(٣) من عَرَبٍ وعُجْمٍ (ل)

(٤) أُدَدُ : أبو قبيلة من اليمن وهو أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن حِمْيَرَ . وعدنان أبو العرب العدنانية .

(٥) من الأسرى ... (ل)

(٦) ألوى به : أهلكه ، وكسرى اسم لكل ملك من الفرس .

(٧) التِّلاف : جمع تَلْعَة وهي الهضبة المنيعة . وفي (ل) مرت خلف البلاد ...

(٨) السروج للخيل ، والقُتُود وهي الرِّحال للابل . وفي (ع) و (م) بها القيود .

وَنَكَّبَتِ ٱلْجِبَالَ بِهِمْ جِبَالٌ ضَوَامِرُ لاَ تَجِفُّ لَهَا لُبُودُ
إِذَا قَدَحَتْ فَمَا يَدْجُو ظَلَامٌ وَإِنْ ضَبَحَتْ فَمَا يَنْجُو طَرِيدُ
أَبَتْ وَطْءَ ٱلثَّرَى تِيهاً فَصَارَتْ مَوَاطِئَهَا ٱلنَّوَاظِرُ وَٱلْخُدُودُ
وَحَلَّ ٱلْمَوْصِلَ ٱلْمَنْصُورُ (١) يُثْنِي بِسَطْوَتِهِ وَنَخْوَتِهِ ٱلْوُفُودُ
وَقَدْ شَهِدَتْ مَنَابِرُهَا بِحَقٍّ مَلاَئِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِهِ شُهُودُ
وَسَوْفَ تُضَافُ بَغْدَادٌ إِلَيْهَا كَمَا ٱنْضَافَتْ إِلَى عَدَنٍ زَبِيدُ (٢)
فَقَدْ ضَعُفَتْ زُنُودٌ عَنْ قِسِيٍّ (٣) رَمَتْ عَنْهَا ٱلْعِدَى وَكَبَتْ زُنُودُ
وَلِلنَّارِ ٱلَّتِي شَبَّتْ خَفِيفَتْ خُمُودٌ سَوْفَ يَتْبَعُهُ هُمُودُ
لَكَ ٱلْفَتْحُ ٱلْمُبِينُ بِكُلِّ وَجْهٍ قَصَدْتَ وَلِلْعِدَى ٱلْحَتْفُ (٤) ٱلْمُبِيدُ
لَقَدْ سُدْتَ ٱلْمُلُوكَ بِمَأْثُرَاتٍ بِهَا ٱلْوُزَرَاءُ أَيْسَرُ مَنْ تَسُودُ (٥)

---

(١) هو منصور بن دبيس الأسدي كان هو وأبوه صاحب الحلة وأخواه بدران وحماد مناصرين للبساسيري في فتنته . « ابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٨ »

(٢) عَـدَن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من اليمن ، وزبيد مدينة مشهورة باليمن أحـدثت في أيام المأمون . ورد في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٦٧ أنه في سنة ٤٤٧ « استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن وخطب للفاطميين وقطع خطبة العباسيين » والى ذلك يشير ابن حيُّوس في هذا البيت .

(٣) من قِسي (ع) و (م)

(٤) وللعدى الفتح المبيد (ل)

(٥) أيسر من يسود (ل)

سَدَدْتَ (١) مِنَ الْهُدى ما لَمْ يَسُدُّوا وَشِدْتَ مِنَ الْعُلى ما لَمْ يَشِيدُوا

بِناؤُكَ كُلُّهُ أَجْرٌ وَشُكْرٌ وَما يَبْنُونَ آجُرٌّ وَشِيدُ

جَمِيلٌ تُسْتَرَقُّ بِهِ الأَمانِي وَعَدْلٌ يُسْتَحَقُّ بِهِ الْخُلُودُ

حَلَلْتَ (٢) مِنَ الْخِلافَةِ فِي مَكانٍ بِهِ عُدِمَ الْمُباشِرُ وَالْحَسُودُ

وَلَمْ يَحْلُمْ (٣) بِشَرْواكَ التَّمَنِّي وَلا جادَ (٤) الزَّمانُ وَلا يَجُودُ

بَقِيتَ وَمُشْبِهاكَ تُقًى وَحِلْمٌ وَظِلُّكُمُ عَلَى الدُّنْيا مَدِيدُ

وَلا زالَتْ بِأُفْقِ الْمُلْكِ مِنْكُمْ نُجُومٌ لا تَعَدَّاها (٥) السُّعُودُ

وَلا بَرِحَتْ كَذا الأَعْيادُ تَأْتِي وَجَدُّكَ قاهِرٌ فِيها سَعِيدُ

وَما أَبْقى فَعالُكَ لِي مَقالاً وَلٰكِنَّ ارْتِياحَكَ يَسْتَعِيدُ

مَدائِحُ طالَما أَبْدَعْتُ فِيها وَأَيْنَ وُقُوعُها مِمَّا أُرِيدُ

إِذا تُلِيَتْ عَلَى الْحُسَّادِ قالُوا كَذا فَلْيُنْظَمِ الدُّرُّ الْفَرِيدُ

وَلا إِحْسانَ إِلاَّ فِي مَجِيدٍ عَلا هِمَماً وَمادِحُهُ مُجِيدُ

---

(١) شددت من الهدى ما لم يشدوا ... (ل)

(٢) حللن ... (ع) و (م)

(٣) ولم يحكم ... (ع) و (م)

(٤) ولا حاد الزمان ولا يحود (م)

(٥) لا تُتعدِّيها (ع) لا تُتعدَّ بها (م)

وَلَنْ نَخْشَى عَلَى فَخْرٍ شُرُوداً إِذَا عَقَلَتْهُ (١) قَافِيَةٌ شَرُودُ
فَسَيِّرْ بِي حَدِيثَ الْمَجْدِ إِنِّي لِمَا أَثَّلْتَ مِنْ شَرَفٍ مُشِيدُ
فَدُمْ عَاماً لَهُ مَا اخْضَلَّ تُرْبٌ تَوَالَى سَقْيُهُ وَاخْضَرَّ عُودُ

٣٤

وقال أيضاً يمدحه (٢)

مَسَاعِيكَ لَا تُحْصَى فَتُدْرَكَ بِالْعَدِّ وَمَجْدُكَ لَا يَرْضَى الْوُقُوفَ عَلَى حَدِّ
وَمَا قَصَّرَتْ فِيكَ الصِّفَاتُ تَعَمُّداً وَلَكِنَّهَا جَازَتْ (٣) فَجَازَتْ عَنِ الْقَصْدِ
وَإِنَّكَ إِنْ دَانَ الْمَقَالُ وَإِنْ عَصَى بِغَيْرِ شَرِيكٍ فِي الثَّنَاءِ الَّذِي نُهْدِي (٤)
بِأَجْنِحَةِ الْفُتْخِ ارْتَقَيْتَ مُحَلِّقاً وَأَحْسَبُهُمْ طَارُوا بِأَجْنِحَةِ الرُّبْدِ (٥)
أَضَفْتَ إِلَى الْجَدِّ اجْتِهَاداً وَلَمْ تَكُنْ كَمَنْ تَرَكَ الْجِدَّ اتِّكَالاً عَلَى الْجَدِّ

---

(١) إذا علقته ... (ع) و (م)
(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح الناصر للدين غياث المسلمين أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ويهنيه بعيد » .
(٣) جارت (ع) و (م)
(٤) تُهدي (ع) و (م)
(٥) الفُتْخُ : جمع فَتْخَاء وهي العقاب اللَّيِّنة الجناح . والرُّبْدُ هنا النعام كما في هامش (ع)

وَكُلٌّ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ ظَامٍ وَإِنَّمَا تَعِزُّ بِأَسْبَابٍ حَمَتْ سُبُلَ ٱلْوِرْدِ

وَأَنْتَ أَخَفْتَ ٱلدَّهْرَ حَتَّى بَزَزْتَهُ عَزَاءَهُ(١) أَيَّامَ يَعْدُو وَلَا مُعْدِ

فَصَارَ يَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ رَشَادَهُ وَكَمْ مَرَّ عَامٌ وَهْوَ عَامٍ عَنِ ٱلرُّشْدِ

فَلَا فَلَّتْ أَحْدَاثُهُ غَرْبَ صَارِمٍ وَفَى ٱللهُ لِلْإِسْلَامِ مُذْ سُلَّ بِٱلْوَعْدِ

وَأَلْفَى(٢) إِمَامُ ٱلْعَصْرِ نُصْرَةَ جَدِّهِ إِلَى ٱلْأَزْدِ تُعْزَى فَٱصْطَفَى أَشْرَفَ ٱلْأَزْدِ(٣)

وَمَا ٱجْتَابَ عِقْداً مِنْ جَوَاهِرِ فِعْلِهِ وَإِنْ جَلَّ إِلَّا كُنْتَ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ

أَمَا مِنْكُمُ أَنْصَارُ ذَا ٱلدِّينِ سَالِفاً بِبِيضِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلرُّدَيْنِيَّةِ ٱلْمُلْدِ

وَمِنْهُمْ رِجَالٌ قَارَعُوا عَنْ نَبِيِّهِمْ بِبَدْرٍ وَمِنْهُمْ ذُو ٱلْعِصَابَةِ فِي أُحْدِ(٤)

مَضَى آخِذاً سَيْفَ ٱلرَّسُولِ بِحَقِّهِ فَبَاءَ(٥) بِهِ مَحْدُوداً دَامِيَ ٱلْحَدِّ

---

(١) عَرَامَتَهُ (ل)

(٢) وألقى ؟ (ل)

(٣) الأزْد قبيلة عظيمة من قبائل اليمن وهذا البيت يدل على أن الوزير اليازوري أزدي .

(٤) بدر : غزوة مشهورة تقدم شرحها في الحاشية رقم (٤) ص (١٨٠) وأحد : جبل في شمالي المدينة كانت عنده غزوة أحد سنة ثلاث للهجرة . وذو العصابة : هو ابو دُجانة سِماك بن خَرَشَة الأنصاري .

(٥) فناء به (ل) . وقد ورد في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١١ في حديث غزوة أحد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « مَن يأخذ هذا السيف بحقه ، فتقدم إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة أخو بني ساعدة ، فقال وما حقه يا رسول الله ، قال أن تضرب به العدو حتى ينحني ، قال أنا آخذه يا رسول ←

وَحَسْبُ ٱلْعَتِيكِ بِٱلْمُهَلَّبِ وَٱبْنِهِ ... يَزِيدَ مُعِزَّيْ دَوْلَةٍ بَاذِلَيْ رِفْدِ (١)

وَيَوْمَ ٱلْقُرَيْظِيِّينَ أَيَّامَ شَعَّبَتْ ... شَعُوبُ عَصَاهُمْ لَمْ يُحَكِّمْ سِوَى سَعْدِ (٢)

وَأَشْيَاخُكَ ٱلْمَاضُونَ فِي سَنَنِ ٱلْعُلَى ... أَقَامُوا كِرَاماً وَٱسْتَقَامُوا عَلَى حَرْدِ (٣)

أُسُودُ وَغىً تُرْدِي عِدَاهَا مَخَافَةً ... إِذَا أَصْبَحَتْ قُبُّ ٱلْعِتَاقِ بِهِمْ تَرْدِي (٤)

وَإِنْ عَرَّدَ ٱلْحَامُونَ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَى ... أَطَارُوا إِلَيْهَا كُلَّ ذَاتِ نَساً عَرْدِ (٥)

وَإِنْ شَحَّتِ ٱلْأَنْوَاءُ سَحَّتْ أَكُفُّهُمْ ... مَوَاهِبَ تُلْوِي بِٱلطَّوَارِفِ وَٱلتُّلْدِ

← الله بحقه فأعطاه إياه ، وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل . فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين ، فقال النبي عليه السلام حين رآه يتبختر إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

(١) العتيك بن الأزد ينتهي اليه نسب المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وابنه يزيد القائدين العظيمين في العصر الأموي ، توفي الأول سنة ٨٣ وقتل الثاني سنة ١٠٢ وأخبارهما كثيرة . وهذا البيت غير موجود في (ل)

(٢) القُريظيّون : بنو قُرَيظة قبيلة من يهود خيبر . وفي البيت إشارة الى غزوة بني قريظة سنة خمس للهجرة وحكم سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري فيهم بعد أن حكّمه النبي عليه السلام.

« انظر سيرة ابن هشام ٣ / ٢٥٧ »

(٣) الحرد : المنع والقصد .

(٤) قُبّ العِتاق : ضوامر الخيل . رَدَت الفرس تَردي : رجمت الأرض بحوافرها.

(٥) عَرّد : ولّى هرباً . والنَّسا : عرق من الورك الى الحافر. والعرد : الصلب الشديد . وهذا البيت وثلاثة أبيات بعده غير موجودة في (ل)

وَإِنَّكَ أَعْفَاهُمْ عَنِ ٱلْجُرْمِ(١) قَادِراً ... وَأَوْفَاهُمُ فِي نُصْرَةِ ٱلْحَقِّ بِٱلْعَهْدِ

وَأَعْصَاهُمُ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ لِلْهَوَىٰ ... وَأَطْوَعُهُمْ لِلّٰهِ فِي ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ

فِدَاؤُكَ أَرْوَاحُ حَبِيبٍ(٢) بَقَاؤُهَا ... أَجَلُّ وَنُفُوسٌ غَيْرُ مَكْرُوهَةِ ٱلْفَقْدِ

وَكُلُّ ثَقِيلِ ٱلسَّمْعِ عَنْ مُسْتَغِيثِهِ ... فَدَاعِيهِ مِنْ قُرْبٍ كَدَاعِيهِ مِنْ بُعْدِ

بِهِ صَمَمٌ عِنْدَ ٱلسُّؤَالِ فَإِنْ لَحَىٰ ... عَلَى ٱلْجُودِ لَاحٍ كَانَ أَسْمَعَ مِنْ خُلْدِ(٣)

مَلَأْتَ قُلُوبَ ٱلْخَلْقِ خَوْفاً وَرَهْبَةً ... فَأَنْتَ مَصُونُ ٱلْجَارِ مُبْتَذَلُ ٱلضِّدِّ

فَذُو طَيْلَسَانٍ أَنْتَ أَمْ رَبُّ صَارِمٍ ... وَذَا لِبَدٍ أُمْطِيتَ أَمْ ظَهْرَ ذِي لِبْدِ(٤)

وَقُرَّةُ(٥) لَمَّا أَنْ عَصَتْكَ سَلَبْتَهَا ... مَوَارِيثَ إِقْدَامٍ عَنِ ٱلْأَبِ وَٱلْجَدِّ(٦)

---

(١) في الأصل : « من الحزم » وهو تصحيف .

(٢) خبيث (ل)

(٣) هذا البيت ساقط من (ل)

(٤) الطيلسان : كساء مدوّر لا أسفل له ، ويراد بصاحب الطيلسان الوزير ومن في معناه من كبار رجال الدولة من غير القوّاد . والصارم : السيف ويراد بصاحب السيف القائد . ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٠ ج ٩ ص ٢٢٤ أن رئيس الرؤساء علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة وزير القائم بامر الله قال وقد ظفر به خصمه البساسيري مقدّم الأتراك : العفو عند المقدرة ، فقال البساسيري: قد قدرتَ فما عفوتَ وأنت صاحب طيلسان ، فكيف أعفو وأنا صاحب سيف . واللِبَد : جمع لِبْدة قياساً وهي شعر زبرة الأسد . وأمطى وامتطى . ركب . واللِبْد : ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٥) بنو قُرَّة : قبيلة من عرب البحيرة في مصر شقت عصا الطاعة سنة ٤٤٣ فجهز إليهم اليازوري جيشاً بقيادة ناصر الدولة الحسن بن حمدان فكسروا وفروا الى برقة . انظر أخبار مصر لابن ميسر ص ٦ . والإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي ص ٤٢ .

(٦) وقرة لما أن عصتك أحلتها ... نعائم دوٍّ لا تمنّع من طرد (ل)

ضَرَاغِمُ(١) جَازَتْ طَوْرَهَا فَأَحَلْتَهَا نَعَائِمَ دَوٍّ لَا تَمَنَّعُ مِنْ طَرْدِ
مُصَعْصَعَةَ الْأَعْوَانِ نَابِيَةَ الشَّبَا مُضَعْضَعَةَ الْأَرْكَانِ كَابِيَةَ الزَّنْدِ(٢)
عَضَدْتَ(٣) السُّيُوفَ فَانْبَرَتْ شَفَرَاتُهَا مُحَكَّمَةً فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ
وَلَوْ لَمْ يُؤَيِّدْهَا اعْتِزَامُكَ فُضِّلَتْ صِنَاعَةُ دَاوُدٍ عَلَى صَنْعَةِ الْهِنْدِ(٤)
وَمُنْذُ نَصَرْتَ الدِّينَ ظَلَّتْ جُيُوشُهُ مُظَفَّرَةَ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةَ الْجُنْدِ
وَلَوْ لَمْ(٥) تَدَعْ جُنْداً عَزَائِمُ لَوْ رَمَى بِهَا سُدَّ يَأْجُوجٍ مَرَقْنَ مِنَ السَّدِّ ؟
بِعِزٍّ مَطُولٍ فِي عُلاً وَجَلَالَةٍ وَغَيْرِ مَطُولٍ فِي وَعِيدٍ وَلَا وَعْدِ
لَهُ سُورَةٌ أَعْيَا الْمُلُوكَ ادِّعَاؤُهَا وَسَوْرَةُ عِزٍّ دُونَهَا سَوْرَةُ الْأُسْدِ(٦)
وَعَزْمُكَ لَا يَنْبُو فَدُمْ قَاطِعاً بِهِ يَداً حَمَلَتْ كَفَّ الْعُقُوقِ مِنَ الزَّنْدِ
تُبَالِغُ(٧) فِي بَسْطِ الرَّدَى غَيْرَ مُعْتَدٍ وَتُسْرِفُ فِي بَذْلِ النَّدَى غَيْرَ مُعْتَدِّ

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)

(٢) مصعصعة : مفرّقة .

(٣) عصدت (ل)

(٤) يريد بصناعة داود : الدروع . وبصنعة الهند : السيوف .

(٥) وإن لم تدع حقداً عزائم لو رُمي
بها سُدُّ يأجوج مرقن من السَّدِّ (ل)

(٦) السُورة : بالضم المنزلة . وسَوْرة العز : أثره وعلامته وارتفاعه . وسَوْرة الأسد : حِدَّتها .

(٧) يبالغ ... (ل) ومحله فيها قبل سابقه .

فَلاَ (١) تُمْهِلَنَّ مُظْهِراً لَكَ طاعَةً ... فَإِنِّي أَراهُ مُضْمِراً ضِدَّ ما يُبْدِي

يُقِرُّ بِها (٢) بِالْقَوْلِ إِقْرارَ مُسْلِمٍ ... وَيُنْكِرُها بِالْفِعْلِ إِنْكارَ مُرْتَدِّ

فَشَرِّقْ بِرَأْيٍ مَهَّدَ الْغَرْبَ مُوقِناً ... بِتَمْهِيدِ ما بَيْنَ الْعِراقَيْنِ وَالسِّنْدِ (٣)

لَعَمْرِي لَقَدْ حازَتْ يَداكَ فَضائِلاً ... تَسُدُّ عَلَى حُسَّادِها طُرُقَ الْجَحْدِ (٤)

فَلاَ يَتَظَنَّوْا أَنَّها مُسْتَجَدَّةٌ ... فَإِنَّكَ مَهْدِيٌّ إِلَيْها مِنَ الْمَهْدِ

فَلِلَّهِ هٰذَا السَّعْيُ كَمْ فاتَ طالِباً ... وَكَمْ فَلَّ مِنْ خَطْبٍ وَكَمْ فَتَّ فِي عَضْدِ (٥)

وَهَلْ لِلْمُعَنَّى (٦) ظَلَّ يَحْسُدُكَ الْعُلٰى ... سِوَى الْأَمَلِ الْمَكْدُودِ وَالطَّلَبِ الْمُكْدِي

تَقاصَرُ أَعْلامُ الْبِلادِ لِأَيْنُقِي ... فَهَلْ عَلِمَتْ قَصْدِيكَ يا عَلَمَ الْمَجْدِ

وَهَلْ شَفَّ كُومَ الْعِيسِ شَوْقٌ مُبَرِّحٌ ... كَشَوْقِي فَلَجَّتْ فِي الذَّمِيلِ وَفِي الْوَخْدِ

إِلٰى مَلِكٍ يَلْقاهُ عافِي نَوالِهِ ... بِعِزَّةِ مُجْدٍ لاَ بِذِلَّةِ مُسْتَجْدِي

وَأَرْوَعَ لاَ يَقْضِي عَلَى الْجُودِ لِلْغِنٰى ... وَلٰكِنَّهُ (٧) يَقْضِي عَلَى الْوَفْرِ لِلْوَفْدِ

أَيا مَنْ نُفُوسُ الْخَلْقِ بَعْضُ هِباتِهِ ... تَعَذَّرَ (٨) مَنْ يُسْدِي النَّوالَ كَما تُسْدِي

---

(١) ولا تهملن ... (ل)

(٢) يُقِرُّ لها ... (ع) و (م)

(٣) والسد (ل)

(٤) طرق الحمد ؟ (ل)

(٥) من عضد (ع) و (م)

(٦) وهل لِمُعَنًّى (ل)

(٧) ولكنما ... (ل)

(٨) تعذَّر مَنْ يُسدي النوال الذي يُسدي (ل)

وَيا مَنْ يَرى بِالْقاصِدِيهِ كَما يَرى أَخُو صَبْوَةٍ بِالْوَصْلِ في عَقِبِ الصَّدِّ
لَقَدْ مُدِحَ الأَجْوادُ في كُلِّ مَوْطِنٍ وَما وَجَدُوا بِالْمَكْرُماتِ كَذا الْوَجْدِ
وَشَبَّهَ عَنْ جَهْلٍ حَبِيبٌ (١) وَلَوْ رَأَى زَمانَكَ لَمْ يَعْدِلْ (٢) بِهِ زَمَنَ الْوَرْدِ
لَئِنْ صَحَّ أَنَّ الْعَدْلَ في الْعُمْرِ زائِدٌ فَأَيْسَرُ ما تَأْتِيهِ يُفْضِي (٣) إِلَى الْخُلْدِ
وَإِنْ سُدْتَ في الأَيّامِ كُلَّ مُسَوَّدٍ لَقَدْ ذُدْتَ مِنْ أَحْداثِها (٤) كُلَّ مُسْوِدِّ
لِيَهْنِكَ ما أَصْفَتْكَ أَلْسِنَةُ الْوَرى مِنَ الشُّكْرِ عَفْواً وَالْقُلُوبُ مِنَ الْوُدِّ
قُلُوبٌ ذَعَرْتَ الْخَوْفَ عَنْها بِضِدِّهِ فَأَنْتَ بِها أَحْلى مِنَ الْمالِ وَالْوُلْدِ
بَقِيتَ لِمَوْلانا فَأَهْلُ بِلادِهِ بِذَبِّكَ وَالإِحْسانِ في زَمَنٍ رَغْدِ
وَإِنَّ خَطِيرَ مُلْكِهِ (٥) وَصَفِيَّهُ بِرَبْعِكَ نَوْءا رَحْمَةٍ كَوْكَبا سَعْدِ

---

(١) حبيب : هو أبو تمّام الطائي . ويريد بقوله (وشبّه عن جهلٍ حبيبٌ ...) قول أبي تمام في موسى بن إبراهيم الرافقي :

ومن زمنٍ ألبستَنيه كأنه اذا ذُكرتْ أيامُه زمن الوردِ

« ديوان أبي تمام ص ١٢٩ »

(٢) لم يعدل إلى زمن الورد (ل)

(٣) مُفْضٍ . . . (ل)

(٤) من أخدانها (ع) و (م)

(٥) خطير الملك : ابن الوزير اليازوري واسمه محمد بن الحسن ناب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك وسار إلى الشام سنة ٤٤٨ بعساكر جمة فأصلح أموره . (أخبار مصر لابن ميسر ص ٩) ولعل صفي الملك أخو خطير الملك .

هُمامانِ قَدْ سَنّا مِنَ ٱلْعَدْلِ سُنَّةً ... يُقَصِّرُ عَنْ تَعْديدِها[(١)] لَدَدُ ٱلأُلَدِّ

أَلا إنّني أَضْرَبْتُ عَنْ كُلِّ مَطْلَبٍ ... سِواكَ فَعَدَّيْتُ ٱلثِّمادَ إلىٰ ٱلْعِدِّ

تَرَكْتُ ظِلالاً يُسْتَظَلُّ بِغَيْرِها ... وَمِلْتُ إلىٰ ظِلٍّ عَلى[(٢)] ٱلْخَلْقِ مُمْتَدِّ

وَقُلْتُ لِأَيّامِي بَلَغْتُ مَدى ٱلعُلىٰ ... خُذي خِناقَ ٱلْحَظِّ إنْ شِئْتِ أَوْ شُدّي

وَقَدْتِهْتُ في طُرْقِ ٱلنَّباهَةِ[(٣)] فَٱهْدِني ... إلَيْها فَما يَخْشىٰ ٱلضَّلالَةَ مَنْ تَهْدي

فَعِنْدي مِنَ ٱلْإِقْدامِ ما عِنْدَ أُسْرَتي ... وَماعِنْدَهُمْ مِنْ وَصْفِ مَجْدِكَ ماعِنْدي

وَأَيْسَرُ ما أَسْعىٰ لَهُ ٱلْفِقَرُ ٱلَّتي ... تُعَجِّزُ مَنْ قَبْلي وَتُعْجِزُ مَنْ بَعْدي

أَشَفُّ مِنَ ٱلْبُرْدِ ٱلْمُحَبَّرِ مَلْبَساً ... وَأَسْرَعُ في قَطْعِ ٱلْبِلادِ مِنَ ٱلْبُرْدِ[(٤)]

قَوافٍ إذا أُنْشِدْنَ لَمْ يَدْرِ سامِعٌ ... رَقَتْ مِنْ دِمَشْقٍ أَوْ تَحَدَّرْنَ مِنْ نَجْدِ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَضْلُ ٱلْمَحامِدِ باهِراً ... لَما ٱفْتُتِحَ ٱلذِّكْرُ ٱلْمُنَزَّلُ بِٱلْحَمْدِ

فَلا[(٥)] زِلْتَ مِنْهُ لابِساً كُلَّ حُلَّةٍ ... يُفَضِّلُ رَيّاها عَلى أَرَجِ ٱلنَّدِّ

وَلا زالَتِ ٱلْأَعْيادُ تَأْتي وَتَنْكَفي ... وَأَنْتَ عَلِيُّ ٱلذِّكْرِ وَٱلْقَدْرِ وَٱلْمَجْدِ

---

(١) يقصِّر عن تعديدها ألسن العد (ل)

(٢) على الأرض ممتد (ل)

(٣) في طرق الضلالة ؟ (ل)

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

(٥) ولا زلتَ ... (ع) و (م)

٣٥

وقال (١) يمدح محمود بن صالح (٢) وقد ركب معه يرى المد (٣)

أَرى ٱلْأَرْضَ تُثْني بِٱلنَّباتِ عَلَى ٱلْحَيَا ... وَلَوْ تَسْتَطِيعُ ٱلنُّطْقَ خَصَّتْكَ بِٱلْحَمْدِ

فَلَوْ لَمْ تُعَلِّمْ كَفُّكَ ٱلسُّحُبَ ٱلنَّدى ... لَمَا أَنْجَدَتْ مِنْ قَحْطِ أَعْوامِها ٱلْجُرْدِ (٤)

بِكَ ٱفْتَرَّتِ ٱلْأَيَّامُ عَنْ ناجِذِ ٱلْغِنى ... وَغَرَّدَ طَيْرُ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلرَّغْدِ

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُظْهِرُ آيَةٍ ... تَجِيءُ بِإِعْجازٍ يَفُوتُ مَدى ٱلْحَدِّ (٥)

عَهِدْنا مُدُودَ ٱلْأَرْضِ تَأْتِي بِحارَها (٦) ... وَلَمْ نَرَ بَحْراً قَطُّ سارَ (٧) إِلى مَدِّ

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك « وقال أيضاً » وقد وردت هناك بعد قصيدة أولها : « عليَّ لها أن أحفظ العهد والودا » يمدح بها سابق بن محمود بن نصر بن صالح .

(٢) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦) وفي زبدة الحلب لابن العديم - مخطوط - أن ابن حيوس قال هذه الأبيات بديهاً في نصر بن محمود بن نصر وقد خرج ينظر المد في قويق فأعطاه صلة جزيلة .

(٣) المدُّ : السيل وارتفاع الماء وامتداده .

(٤) فلو لم تعلم كفك الأفق الندى ... لما انجردت من قحط أعوامها الجرد (ل)

(٥) هذا البيت ساقط من (ل)

(٦) بحورها (زبدة الحلب)

(٧) صار (ل)

٣٦

وقال (١) يمدح الوزير البابلي (٢) بعد وزارته بعد الوزير ابن المغربي

أَمَّا ٱلزَّمَانُ فَقَدْ أَلْزَمْتَهُ ٱلْجَدَدَا ... وَٱلْمَكْرُمَاتُ فَقَدْ أَنْشَأْتَهَا جُدُدَا

فَعَاوَدَ ٱلْخَوْفُ أَمْنًا وَٱلْمُبَاحُ حِمًى ... وَٱلْجَدْبُ فِي ٱلْأَرْضِ خِصْبًا وَٱلضَّلَالُ هُدَى

وِزَارَةٌ لَوَتِ ٱلْأَعْنَاقَ خَاضِعَةً ... لِعِزِّهَا وَعَهِدْنَا لَيَّهَا صَيَدَا

فَارَقْتَهَا لَا كَغَيْثٍ صَدَّ عَنْ بَلَدٍ ... يَشْكُو ٱلظَّمَا (٣) بَلْ كَرُوحٍ فَارَقَتْ جَسَدَا

وَعُدْتَ وَٱلنَّوْمُ قَدْ أَلْوَتْ بِهِ فِتَنٌ ... لِأَجْلِهَا ذُمَّ عَيْشٌ طَالَمَا حُمِدَا

فَقُمْتَ فِي كَفِّ كَفِّ ٱلْخَطْبِ حِينَ سَطَا ... وَنُبْتَ فِي صَرْفِ صَرْفِ ٱلدَّهْرِ حِينَ عَدَا

وَهَلْ نَذُمُّ زَمَانًا مَا أَسَاءَ بِنَا ... إِلَّا لِيُحْسِنَ فِي إِنْجَازِ مَا وَعَدَا (٤)

---

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يلي : « وقال أيضاً يمدح الوزير أبا الفرج البابلي »

(٢) هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ، ولي وزارة المستنصر الفاطمي ثلاث دفعات الأولى في المحرم سنة ٤٥٠ بعد الوزير اليازوري وصرف بعد شهرين وأربعة عشر يوما . والثانية في شهر رمضان سنة ٤٥٢ بعد الوزير أبي الفرج ابن المغربي وأقام أربعة أشهر ، وفي هذه المدة نظمت هذه القصيدة . والثالثة في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٤ فأقام خمسة أشهر واستقال .

« الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٦ وأخبار مصر لابن ميسر ص ٣٢ »

(٣) تشكو (ع) و (م)

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

يُثْنِي(١) عَلَيْهِ وَإِنْ أَضْحَى يُعَنِّفُهُ ... مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَعْنَاهُ ٱلَّذِي قَصَدَا

فَكَمْ(٢) لَهُ عِنْدَنَا مِنْ مِنَّةٍ عَظُمَتْ ... وَنِعْمَةٍ لَا يُؤَدَّى شُكْرُهَا أَبَدَا

خُطُوبُهُ(٣) لَكَ بِٱلْإِعْجَابِ خَاطِبَةٌ ... وَجَوْرُهُ لَكَ بِٱلْإِعْجَازِ قَدْ شَهِدَا

إِنَّ ٱلْإِمَامَ حَمَى ٱلْمُلْكَ ٱلْأَعَزَّ بِمَنْ ... لَا تَسْتَطِيعُ ٱللَّيَالِي حَلَّ مَا عَقَدَا

تَصَفَّحَ ٱلنَّاسَ ثُمَّ ٱخْتَارَ أَحْسَنَهُمْ ... فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ رَأْيًا وَمُعْتَقَدَا

أَعَدَّ لِلْبَعْثِ ذُخْرًا مِنْ وَلَائِهِمُ ... يَبْقَى إِذَا كُلُّ ذُخْرٍ صَالِحٍ نَفِدَا

وَلَمْ تَزَلْ(٤) فِي ٱجْتِيَاحِ ٱلْإِفْكِ مُنْصَلِتًا ... وَفِي جِهَادِ عُدَاةِ ٱلدِّينِ مُجْتَهِدَا

مُعَظَّمًا قَبْلَ تَعْظِيمِ ٱلْإِمَامِ لَهُ ... وَٱلسَّيْفُ يُخْشَى وَيُرْجَى سُلَّ أَوْ غُمِدَا

مَتَى تَزُرْهُ لِعِلْمٍ وَٱكْتِسَابِ غِنًى ... فَاضَ ٱلنَّدِيُّ بَيَانًا وَٱلْبَنَانُ نَدَى

يُبَخِّلُ ٱلدِّيمَةَ ٱلْوَطْفَاءَ مُخْتَصِرًا ... وَيَسْبِقُ ٱلْحَرْجَفَ(٥) ٱلنَّكْبَاءَ مُتَّئِدَا

وَمَاجِدٌ لِسِوَى ٱلْعَلْيَاءِ مَا خُلِقَتْ ... أَخْلَاقُهُ وَلِغَيْرِ ٱلْفَضْلِ مَا وُلِدَا

رَمَى ٱلْحَوَادِثَ عَنْ بُعْدٍ فَأَقْصَدَهَا ... بِعَزْمِهِ وَسَأَلْنَاهُ فَمَا ٱقْتَصَدَا

وَهَلْ يُقَارِعُ يَوْمًا رَبُّ مَمْلَكَةٍ ... عَلَى ٱلْمَكِينِ ٱلْحَفِيظِ ٱلْأَوْحَدِ ٱعْتَمَدَا

وَكَيْفَ يَعْدُوكَ وَٱلْأَيَّامُ عَادِيَةٌ ... مَنْ رَامَ مِثْلَكَ فِي ٱلدُّنْيَا فَمَا وَجَدَا

---

(١) تثني (ل)

(٢) وكم ... (ل)

(٣) خطوبه لك بالإجلال قاطبه ... (ل) (٤) كذا ولعله (وَلَمْ يَزَلْ)

(٥) الحرجف : الريح الشديدة الهبوب .

إِنَّ ٱلسَّعَادَةَ عَمَّتْ مُذْ خُصِصْتَ بِهَا ... فَٱسْلَمْ عَلَى رَغْمِ حُسَّادٍ وَكَبْتِ عِدَا

أَخْفَوْا[1] ضِبَاباً كُدَاهَا[2] فِي صُدُورِهِمُ ... وَهُمْ ضِبَابٌ لَهَا فَرْطُ ٱلْخُضُوعِ كُدَا

فَلاَ تَرُعْهُمْ وَكُنْ مِنْهُمْ عَلَى ثِقَةٍ ... أَنَّ ٱلْحِمَامَ إِلَيْهِمْ يَسْبِقُ ٱلْكَمَدَا

وَجِلَّةُ ٱلْقَوْمِ قَاتِلْهُمْ بِسَعْيِهِمُ ... فِيمَا تُحِبُّ وَلاَ تَسْتَصْغِرِ ٱلنَّقَدَا[3]

فَلَنْ[4] يَعُزَّ[5] عَمُودُ ٱلْبَيْتِ صَاحِبَهُ ... وَرُبَّمَا عَزَّهُ أَنْ يَقْلَعَ ٱلْوَتِدَا

وَذَا مَقَـــالُ غَنِيٍّ عَنْ هِدَايَتِهِ ... مَنْ مُذْ تَنَبَّهَ لِلْعَلْيَاءِ مَا رَقَدَا

إِنِّي بِذَا ٱلنُّصْحِ لَمَّا عَنَّ فِي خَلَدِي ... كَالْخُلْدِ دَلَّ عَلَى حِيسِ[6] ٱلْفَلاَ ٱلْأَسَدَا

رُقْتَ ٱلْإِمَامَةَ فِي قَوْلٍ[7] وَفِي عَمَلٍ ... فَبُلِّغَتْ بِكَ هٰذَا ٱلْمُرْتَقَى ٱلصُّعُدَا

فَٱشْكُرْ خَلِيلَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِمَنْ ... أَعْطَاكَ[8] مَنْزِلَةً لَمْ يُعْطِهَا أَحَدَا

---

(١) الضباب : جمع ضَب والضب : حيوان بري يشبه الورل ، ومن معاني الضب الغيظ والحقد الخفي . والكُدَى جمع كُدْيَة وهي الأرض الغليظة الصلبة يقال ضَبُّ الكدية وضباب الكدى لولعها بحفرها . والكدى أيضاً المقابر .

(٢) كُدَاهُمْ (ع) و (م)

(٣) النَّقَد جنس من الغنم قبيح الشكل قصير الأرجل ، والسفل من الناس .

(٤) ولن ... (ل)

(٥) عزَّ : غلب .

(٦) حسن الفلا (ل) جيش الفلا (ع) ولعل الصواب خُنْس الفلا أي ظباء الفلا .

(٧) كان الوزير البابلي مذكوراً بالبلاغة (الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٦)

(٨) أصفاك منزلة (ل)

وَأُحْكُمْ عَلَى كُلِّ مَنْ رَامَ ٱلْعِنادَ لَهُ ... بِحُكْمِ [١] جَدِّكَ فِي ٱلنُّعْمانِ [٢] إِذْ عَنَدَا

كَذَّبْتَ بِٱلْعَدْلِ إِذْ أَصْبَحْتَ باسِطَهُ ... مَنْ قالَ كِسْرَى [٣] أَنُوشَرْوَانُ قَدْ فُقِدَا

وَأَوْرَدَتْكَ سَجاياكَ ٱلَّتِي شَرُفَتْ ... مِنَ ٱلنَّباهَةِ بَحْراً قَطُّ ما وُرِدَا

وَهْيَ ٱلْفَضائِلُ مَنْ أَعْلَيْنَ رُتْبَتَهُ ... طالَ ٱلْأَنامَ وَمَنْ أَفْرَدْنَهُ ٱنْفَرَدَا

آزَرْتَ [٤] أَرْبابَ هٰذَا ٱلْأَمْرِ آوِنَةً ... عِزًّا لِمَنْ ذَلَّ نَهَّاضاً لِمَنْ [٤] قَعَدَا

هَلْ كُنْتَ [٥] فِي ٱلْقَوْمِ إِلَّا بانِياً شَرَفاً ... وَمُصْلِحاً فاسِداً أَوْ مُوضِحاً رَشَدَا

تُبَّاعُ رَأْيِكَ ما أَهْمَلْتَهُ ٱطَّرَحُوا ... فِيهِ [٦] ٱلْكَلامَ وَما مَثَّلْتَهُ ٱعْتَمَدَا

ضافَرْتَ [٧] أَرْبَعَةً مِنْهُمْ [٨] سَلَكْتَ بِهِمْ ... طَرائِقاً ضَلَّ عَنْها مَنْ تَرَكْتَ سُدَا

---

(١) كحكم جدك ... (ل)

(٢) النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ، غضب عليه كسرى أبرويز فعزله ونفاه الى خانقين فسجن فيها إلى أن مات . والبيت يدل على أن الوزير البابلي من أصل فارسي .

(٣) كسرى أنوشروان بن قباد من أشهر ملوك الفرس . وفي (ل) : شَرْوَى أنوشروان .

(٤) لَزُرْتَ (ل) كذا ولعله (يِعَنْ)

(٥) هل كنت إلاّ لقوم الأنبيا شرفاً أو مصلحاً ... (ل)

(٦) من الكلام ... (ل)

(٧) ظافرت ... (ع) و (م)

(٨) يريد أنه كتب لأربعة من الوزراء قبل أن يلي الوزارة عرفنا منهم ثلاثة . فقد ورد في كتاب الإشارة إلى من الوزارة ص ٤٦ أنه كان يكتب عن الوزير عميد الدولة الحسن بن صالح ، وكتب عن الوزير علي بن أحمد الجرجرائي ، وعن الوزير الحسن بن علي اليازوري .

وما أَتىٰ مِنْكَ فِعْلٌ أَوْ أَمَرْتَ بِهِ ... يَسْتَصْحِبُ اللَّوْمَ أَوْ يَسْتَلْحِقُ الْفَنَدا

أَبُوكَ تاجٌ بِهِ تَزْهُو الْكِتابَةُ إِنْ ... باهَتْ وَجَدُّكَ ذُو التّاجِ الَّذِي عُقِدا

اَلْباعِثُ الْخَيْلَ لا تُثْنىٰ أَعِنَّتُها ... إِذا النَّجِيعُ عَلَيْها خالَطَ النَّجَدا(١)

تَرْدِي(٢) بِأُسْدٍ إِذا ما حُورِبَتْ غَنِيَتْ ... بِصِدْقِ إِقْدامِها أَنْ تَطْلُبَ الْمَدَدا

إِنْ قاتَلُوا أَلْزَمُوا الْأَعْداءَ طاعَتَهُمْ ... قَهْراً وَإِنْ قَتَلُوا لَمْ يُلْزَمُوا قَوَدا(٣)

مآثِرٌ عُدِمَتْ أَشْباهُها وَعُلًى ... حَوَيْتَ مُطَّرَفاً مِنْها وَمُتَّلَدا

فِداءُ هٰذِي الْمَساعِي(٤) كُلُّ مُنْتَحِلٍ ... عَنْ حَوْضِها ذِيدَ أَوْ عَنْ رَوْضِها طُرِدا

يَظُنُّ(٥) ظَنَّ أُناسٍ أَنَّهُمْ نَظَرُوا ... إِلىٰ السُّهىٰ بِعُيُونٍ تَشْتَكِي الرَّمَدا

وَكَيْفَ يَرْجُو مُرَجٍّ نَيْلَ غايَتِها ... وَما(٦) جَعَلْتَ لَها حَدًّا وَلا أَمَدا

عَمَمْتَ بِالْجُودِ حَتَّىٰ لَمْ تَدَعْ أَمَلاً ... وَبِالتَّجاوُزِ حَتَّىٰ ما بَسَطْتَ يَدا(٧)

ما حِدْتَ عَنْ آيَةٍ فِي الْعَفْوِ مُنْزَلَةٍ ... وَلا نَبَذْتَ حَدِيثاً فِيهِ قَدْ وَرَدا

---

(١) النجيع : الدم ، والنجد : العَرَق .

(٢) رَدَتِ الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .

(٣) القَوَد : القصاص . وفي (ع) و (م) : قهراً وإن قوتلوا لم يلزموا القودا .

(٤) فداء هذي الموالي ... (ل)

(٥) تظن ...؟ (ل)

(٦) ولا جعلت . . (ل)

(٧) ما بسطت رِدا ؟ (ل)

إِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ مُثْرٍ مُؤَمِّلُهُ ... مُكْدٍ وَأَعْجَبُ مِنْهُ قادِرٌ حَقَدا

ضَلاًّ وَلَوْ هُدِيا سَدَّ الْمَفاقِرَ ذَا ... وَأَجْمَلَ الصَّفْحَ ذا أَوْ قَوَّمَ (١) الْأَوَدا

فَكَمْ غَمَرْتَ أَكُفَّ الطّالِبِينَ لُهًى ... مَلَأْتَ (٢) أَلْفاً فَأَلْفاً لا يَداً فَيَدا

كَفاكَ عَزْمُكَ إِرْسالَ الْوَعِيدِ لَهُ ... طَلِيعَةً وَوَحِيٌّ (٣) الْجُودِ أَنْ تَعِدا

فَلَيْسَ (٤) يَلْقاكَ مَأْمُورٌ بِمَعْصِيَةٍ ... إِلاَّ نَدًى (٥) طالَما أَخْفَيْتَهُ فَبَدا

بَدَّدْتَ وَفْرَكَ فِي فَرْضٍ وَنافِلَةٍ ... وَسُنَّةٍ فَجَمَعْتَ السُّؤْدُدَ الْبَدَدا

وَالْمالُ كَالرُّمْحِ لا يُرْجَى لِصائِنِهِ ... ثَناءُ جاعِلِهِ فِي أُسْرَةٍ قِصَدا (٦)

لِلّٰهِ (٧) جَدُّكَ ما أَعْلَى وَحَدُّكَ ما ... أَمْضَى وَجِدُّكَ ما وَطَّى وَما مَهَدا

مَناقِبٌ عَجْزُ مَنْ رامَ اللَّحاقَ بِها ... كَعَجْزِ مَنْ رامَ أَنْ يُحْصِيَ لَها عَدَدا

---

(١) أو قوّما الأودا (ل)

(٢) مَلأنَ ... (ل)

(٣) ورجاء الجود ... (ل)

(٤) فليس يلقاك مأثور بمعرفة (ل)

(٥) إلاّ بذي ...؟ (ع) و (م)

(٦) الأسرة : الدرع الحصينة . والقِصَدُ : جمع قِصْدة وهي القطعة مما يكسر من الرمح وفي (ل) ورد هكذا :

والمال كالرمح لا يرجى لصايبه ... ثناء عاجلة في اثره قصدا

(٧) لله حدك ما أمضى وجدك ما ... أعلى وجدك ما أوطى وما مهدا (ل)

يَسُومُها مُعْوِزٌ[1] مِمَّا يُنَالُ بِهِ ... وَشَأْنُ مِثْلِ ٱلْفَتَىٰ تَقْرِيبُ ما بَعُدا

كَقَائِلٍ بِلِسانٍ لَمْ يَحُطْهُ فَمٌ ... وَصائِلٍ[2] بِذِرَاعٍ زَايَلَتْ عَضُدا

أَوْ عَاشِقٍ وَصَلَ[3] ٱلْمَعْشُوقُ هِجْرَتَهُ ... مُسْتَيْقِظاً وَهْوَ وَصَّالٌ إِذَا هَجَدا

فَلْيَخْلُ ذُو ٱلْأَمَلِ ٱلطَّمَّاحِ مِنْ تَعَبٍ[4] ... يُضِيعُهُ وَلْيُخَلِّ ٱلْحَاسِدُ ٱلْحَسَدا

إِنِّي وَجَدْتُ لِطَرْفِ ٱلْعَيْنِ مِنْكَ عُلىً ... سَما لَها[5] وَلِطِرْفِ ٱلْمَدْحِ مُطَّرَدا

فَحَازَ نَيْلاً لِرَاوِيهِ وَقَائِلِهِ ... وَحَافِظِيهِ وَمَنْ غَنَّىٰ بِهِ[6] وَشَدا

إِلَىٰ ٱلْمَوَاطِنِ[7] سَيَّارٌ وَإِنْ بَعُدَتْ ... وَفِي ٱلْحَيَازِمِ مَعْقُولٌ وَإِنْ شَرَدا

بَقِيتَ مَا دَامَتِ ٱلْأَعْيَادُ عَائِدَةً ... وَطَالَ عُمْرُكَ كَيْ تَسْتَنْفِدَ ٱلْأَبَدا

* * *

(١) يسومها معجزاً مما تنال به (ل)

(٢) وزايل بذراع فاته عضدا ؟ (ل)

(٣) لازم المعشوق هجرته (ل)

(٤) ... الطمّاح في أمل (ل)

(٥) سما بها (ع) و (م)

(٦) بها (م)

(٧) الى المواطن مشتاق ... (ع) و (م)

٣٧

وقال [١] يمدح نصر بن محمود [٢] ويهنيه بفتح حصن منبج [٣]

شَرَفُ ٱلْمُلُوكِ عَدَتْ مَعَالِيكَ ٱلْمَدَى فَبَقِيتَ مَحْرُوساً عَلَى [٤] رُغْمِ ٱلْعِدَا

عَجَباً لِكَفِّكَ كَيْفَ [٥] تُمْطِرُهُمْ رَدًى يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ وَهْيَ مِنْ سُحُبِ ٱلنَّدَا

رُمْ [٦] مَا تَشَاءُ يَهُنْ عَلَيْكَ عَسِيرُهُ وَٱبْغِ ٱلْبَعِيدَ فَإِنَّهُ لَنْ يَبْعُدَا

وَلْيَهْنِكَ ٱلظَّفَرُ ٱلَّذِي بِحُلُولِهِ رَدَّ ٱلضَّلَالَ ٱلْحَقُّ وَٱنْتَصَرَ ٱلْهُدَا

وَطَرِيدَةٍ [٧] لِلدَّهْرِ أَنْتَ رَدَدْتَهَا قَسْراً فَكُنْتَ ٱلسَّيْفَ يَقْطَعُ مُغْمَدَا

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح نصر بن محمود بن صالح ويهنيه بفتح حصن منبج »

(٢) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٣) كان ذلك سنة ٤٦٨ كما ورد في الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٣٥

(٤) ... وإن رَغِمَ العدى (ل)

(٥) ... حين تمطرهم (ل)

(٦) من تشاء (ل)

(٧) قال ابن العديم في زبدة الحلب (مخطوط) : وجهّز نصر (بن محمود) عساكره إلى منبج صحبة أحمد شاه وكانت في أيدي الروم فحاصرها مدة وأيس والبها من نجدة ثانية فسلّمها في صفر سنة ثمان وستين وأربعمائة فقال في ذلك ابن حيّوس من قصيدة :

« وطريدةٍ للدهر أنت رددتها قسراً فكنت السيف يقطع مغمدا »

عَجِزَ ٱلْأَنَامُ وَذُدْتَ عَنْهَا قَاهِراً زَمَناً سَطَا فِي[1] عَصْرِ غَيْرِكَ وَٱعْتَدا

فَتْحٌ تَقَدَّمَ كُلَّ فَتْحٍ قَبْلَهُ لِيَكُونَ فِي ٱلْآفَاقِ مِثْلُكَ مُفْرَدا

وَأَقَامَ لِلدِّينِ ٱلْحَنِيفِ عِمَادَهُ فَأَقَامَ عُبَّادَ ٱلْمَسِيحِ وَأَقْعَدا

وَلَوِ ٱنْتَحَاهُ سِوَاكَ لَاقَىٰ دُونَهُ بَاباً بِحَدِّ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ مُوصَدا

وَعَصَائِباً كَانُوا أُسُودَ خَفِيَّةٍ فَأَحَلْتَهُمْ مِثْلَ النَّعَامِ مُشَرَّدا

عَلِمُوا بِأَنَّ نُفُوسَهُمْ مَأْسُورَةٌ فِي حِصْنِهِمْ وَبِغَيْرِهِ لَا تُفْتَدا[2]

زَهَّدْتَهُمْ فِيهِ وَحُقَّ لِرَاغِبٍ وَجَدَ ٱلْحِمَامَ مُزَهِّداً أَنْ يَزْهَدا

خَافُوا ٱلْمُقَامَ بِمَنْبِجٍ فَتَيَمَّمُوا غَيْثاً يُرَوِّي فِي ٱلْمُحُولِ وَيُجْتَدا

وَغَمَامَةً سَحَّتْ هُنَاكَ صَوَاعِقاً حَتَّىٰ إِذَا وَصَلُوكَ سَحَّتْ عَسْجَدا

وَجَرَيْتَ فِي سَنَنِ ٱلْوَفَاءِ فَلَوْ جَرَىٰ يَبْغِي مَحَجَّتَكَ ٱلسَّمَوْءَلُ[3] مَا ٱهْتَدا

وَعَضَدْتَ بِٱسْمِكَ أَهْلَ دِينِكَ قَاهِراً أَنْصَارَ عِيسَىٰ مُذْ نَصَرْتَ مُحَمَّدا

وَلَقَدْ تَرَكْتَ ٱلرُّومَ مِمَّا نَالَهُمْ مُتَعَوِّضِينَ مِنَ ٱلْمَعَاقِلِ بِٱلْكُدا

خَنَعُوا فَمَا ٱمْتَنَعُوا فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا زُرْتَ ٱلْخَلِيجَ بِكُلِّ أَسْمَرَ أَمْلَدا

فَٱقْرَعْ بِهَا أَبْرَاجَ قُسْطَنْطِينَةٍ فَٱلْمُنْتَهَىٰ تَبَعٌ لِهَٰذَا ٱلْمُبْتَدا

---

(١) في غير عصرك واعتدا (ل)

(٢) لا يفتدى (ل) لا يقتدى (ع) و (م) . وما أثبتناه هو الصواب .

(٣) السموأل بن عادياء الأزدي الغساني شاعر جاهلي يضرب به المثل في الوفاء .

وَاُعْلَمْ بِأَنَّكَ ما تَمُرُّ [1] بِبِيعَةٍ في أَرْضِهِمْ إِلاَّ وَصارَتْ مَسْجِدَا

في كُلِّ أَرْوَعَ لاَ يُرَاعُ إِذَا ٱلْوَغَى شُبَّتْ وَلاَ يُعْدَى عَلَيْهِ إِذَا عَدَا

وَحَلِيفِ عِزٍّ لاَ يَلَذُّ لَهُ ٱلْكَرَى إِنْ لَمْ [2] يَبِتْ لِذِرَاعِهِ مُتَوَسِّدَا

يَنْفِي ٱلظُّلاَمَةَ بِٱلْحَدِيدِ مُذَلَّقاً أَبَداً وَيَجْتَابُ ٱلْحَدِيدَ مُسَرَّدَا [3]

وَإِذَا عَزَمْتَ [4] عَلَى قِرَاعِ مُخَالِفٍ فَٱسْلُلْ عَلَيْهِ مِنْ سُيُوفِكَ أَحْمَدَا [5]

سَيْفٌ تَخَيَّرَهُ أَبُوكَ فَرَاقَهُ في حَالَتَيْهِ مُغْمَداً وَمُجَرَّدَا

عَضُدٌ إِذَا عُدِمَ ٱلْمُعَاضِدُ نَاصِحٌ إِذْ يُسْتَشَارُ مُظَفَّرٌ إِنْ أَنْجَدَا

بِعَضَاءِ عَزْمِكَ أَدْرَكَ ٱلْعِزَّ ٱلَّذِي لاَ يُدَّعَى وَبِيُمْنِ جَدِّكَ أُيِّدَا

وَكَفَاهُ عِلْمُكَ أَنَّهُ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي فَاتَ ٱلْكُفَاةَ تَشَدُّداً وَتَسَدُّدَا

إِنَّ ٱلْخِلاَفَةَ مُذْ دَعَتْكَ حُسَامَهَا وَرَدَتْ بِجَدِّكَ مَنْهَلاً لَنْ يُورَدَا

فَلْيَشْكُرَنَّكَ مَنْ تَعِبْتَ مُشَمِّراً كَيْ يَسْتَرِيحَ وَمَنْ سَهِرْتَ لِيَرْقُدَا

يُبْدِي دُجَى تُحْيِيهِ مِنْكَ تَعَجُّباً وَتَبِيتُ أَنْجُمُهُ لِسَعْيِكَ حُسَّدَا

---

(١) ... لا تمر ببيعةٍ (ل)

(٢) إن لم يكن ... (ل)

(٣) مسوّدا (ل)

(٤) وإذا قرعت ....؟ (ل)

(٥) هو أحمد شاه . انظر الحاشية رقم (٧) ص. (٢٠٥)

وَلَوَ أَنَّ أَيَّامَ الزَّمانِ نَوَاطِقٌ شَهِدَتْ[١] بِفَضْلِكَ قَبْلَ أَنْ تُسْتَشْهَدا

دَانَتْ لَكَ الدُّنْيا وَأَذْعَنَ أَهْلُها فَعَنا الْقَرِيبُ لِما أَخافَ الْأَبْعَدا

لِمَ لا يُطِيعُكَ مَنْ رَآكَ لِنَفْعِهِ مُتَعَمِّداً وَلِجُرْمِهِ مُتَغَمِّدا

فَإِذا شَكا فَقْراً بَذَلْتَ لَهُ الْغِنَى وَإِذا جَنَى[٢] خَطَأً صَفَحْتَ تَعَمُّدا

إِنَّ الْمُلُوكَ تَأَخَّرُوا عَنْ غايَةٍ أَدْلَجْتَ تَطْلُبُها وَباتُوا هُجَّدا

تَرَكُوا لَكَ الْعَلْياءَ عَجْزاً لا رِضىً وَنَسُوا السِّيادَةَ مُذْ مَنَعْتَ[٣] السُّؤْدُدا

ما زِلْتَ تَرْعاهُ بِعَيْنَيْ أَجْدَلٍ وَسِواكَ يَرْمُقُهُ بِعَيْنَيْ أَرْمَدا

لَمْ يَثْنِ عَزْمَكَ أَنْ وَجَدْتَ طَرِيقَهُ مُسْتَبْعَداً وَمُحِبَّهُ مُسْتَعْبَدا

وَمَتَى يُشاطِرُكَ السُّمُوَّ مُشاطِرٌ وَالْجُودُ[٤] وَالْإِقْدامُ مِنْكَ تَوَلَّدا

فَأَفَدْتَ حَتَّى لا مُنىً وَأَبَدْتَ حَتَّى لا عِدىً وَجَرَيْتَ حَتَّى لا مَدا

بَلَغَتْ رَعاياكَ الرِّضى وَكُفُوا بِكَ الْـعَدْوى وَأَصْلَحَ دَهْرُهُمْ ما أَفْسَدا

وَحَمَيْتَ[٥] ما مَلَكُوا فَما بالِي أَرى ما حُزْتَهُ فِي الْمَكْرُماتِ مُبَدَّدا

مالٌ نَداكَ عَدُوُّهُ لا يَحْتَمِي مِلْكٌ سُطاكَ عِقالُهُ لَنْ يَشْرُدا[٦]

(١) بمجدك (ل)

(٢) وإذا شكا خطأً ...؟ (ع) و (م)

(٣) مذ صنعت السؤددا (ل)

(٤) (فالجود) (ع (و (م) (٥) وحويت ؟ (ع) و (م)

(٦) مال بذاك عدوه لا يحتمي مال سطاك عقالهم لن يشردا ؟ (ل)

وَلَطَالَمَا وَجَدَتْ يَدَيْكَ عِطَاشُهُمْ ... أَنْدَى مِنَ الدِّيَمِ الْغِزَارِ وَأَجْوَدَا

لَوْ[١] أَنَّهُمْ جَحَدُوكَ مَا أَوْلَيْتَهُمْ ... لَأَبَى لِعُرْفِكَ عَرْفُهُ أَنْ يُجْحَدَا

أَنْتَ ابْتَدَعْتَ بِهٰذِهِ الشِّيَمِ الْعُلَى ... فَمَنِ اهْتَدَى فِي سُبْلِهَا فَبِكَ اقْتَدَى[٢]

مَلِكٌ إِذَا بَتَلَ[٣] الْمُلُوكُ هِبَاتِهِمْ ... كَانَتْ مَوَاهِبُهُ بَوَادِيَ عُوَّدَا

وَهِيَ الْمَآثِرُ لَنْ يَنَالَ بَعِيدَهَا ... مَنْ لَمْ يَطِبْ كَأَبِي الْمُظَفَّرِ مَوْلِدَا

وَإِذَا الْمُنَى أَمَّتْ نَدَاهُ[٤] عَوَانِساً[٥] ... عُوناً أَعَادَتْهَا عَذَارَى نُهَّدَا

أَغْنَاهُ أَنْ يَعِدَ ابْتِدَارُ نَوَالِهِ ... وَكَفَاهُ صَادِقُ عَزْمِهِ أَنْ يُوعِدَا

مَا أَدْرَكَتْ أَشْيَاخُهُ وَهُمُ الْأُلَى ... شَرُفُوا وَعَزُّوا مَا حَوَاهُ أَمْرَدَا

يَزْدَادُ قَدْرُكَ فِي النُّفُوسِ جَلَالَةً ... أَبَداً إِذَا مَا الْفِكْرُ[٦] فِيكَ تَرَدَّدَا

رَوَّيْتَ بِالْجَدْوَى رُسُوماً أَثْمَرَتْ ... هٰذَا الثَّنَاءَ وَكَمْ سَدًى[٧] يَمْضِي سُدَى

وَأَرَيْتَنِي طُرُقَاتِهِ فَوَجَدْتَنِي ... أُرْضِيكَ نَاظِمَ قِطْعَةٍ وَمُقَصِّدَا

---

(١) فلوانهم ... (ل)

(٢) فبك اهتدى (ل)

(٣) بَتَك (ل)

(٤) ... أمَّتْ لقاه (ع) و (م)

(٥) عوابساً ؟ (ل)

(٦) فيه (ل)

(٧) السَّدَى : ندى الليل .

لِمَ لاَ أُبالِغُ فِي مَدِيحِك مُطْنِبـاً وَإِذَا غلَوْتُ(١) أَمِنْتُ أَنْ أَتزَيَّـدا

وَرِياضُ شُكْرِيَ فِي ذَرَاكَ أَنيقَةٌ غَنِيَ الْغَمامُ(٢) بِها فَلَنْ تَشْكُو الصَّدا

لاَ رَاعَتِ الْأَيَّامُ دِينـاً أَمْنُهُ مِمَّا تَخَوَّفَ أَنْ تَعِيشَ (٣) مُخَلَّدا

وَعَدَتْكَ أَحْدَاثُ الزَّمانِ إِذَا عَدَتْ وَفَدَتْكَ أَرْوَاحُ الْأَنامِ مِنَ الرَّدا

٣٨

وقال (٤) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبِري (٥)

إِنْ لَمْ أَقُلْ فِيكَ ما يُرْدِي الْعِدى كَمَدَا فَلاَ بَلَغْتُ مَدًى أَسْعَى لَهُ أَبَدا

وَكَيْفَ أُصْبِحُ فِي الْإِحْسانِ مُقْتَصِداً وَما وَجَدْتُكَ فِيهِ قَطُّ مُقْتَصِدا

لَأَورِدَنَّكَ بِالنُّعْمَى الَّتِي غَمَرَتْ مِنَ الْمَحامِدِ بَحْراً قَطُّ ما وُرِدا

عَذْبَ الْمَشارِبِ مَمْنُوعَ الْمَشارِعِ لَوْ نَحاهُ (٦) غَيْرُكَ لَمْ يَظْفَرْ بِبِلِّ صَدا

---

(١) علوت (ل)

(٢) غَنَّى الحمام بها ... (ل)

(٣) أن يعيش (ع) و (م)

(٤) محل هذه القصيدة في (ل) أول قصائد قافية الدال وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً على قافية الدال يمدح الأمير الأجل أمير الجيوش المظفَّر مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدِّزْبِري وأنشده إياها في عيد النحر سنه سبع وعشرين وأربع مئة »

(٥) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٦) يحباه (ع) و (م)

وَمُتْرَعاً (١) مِنْ مَعانٍ غَيْرِ ناضِبَةٍ أَنّى وَمَجْدُكَ قَدْ أَضْحى لها مَدَدا
أَبَحْتُكَ الصَّفْوَ مِنْ أَمْوَاهِهِ فَسَقى رِياضَ فَخْرِكَ لاَ نَزْراً وَلاَ ثَمَدا
وَلَوْ سِوَاكَ وَكَلاَّ (٢) كانَ وَارِدَهُ لَمَا عَدَوْتُ بِهِ الإِكْدَارَ وَالزَّبَدا
سَيْفُ الخِلافَةِ مَنْ يَرْجُو السُّمُوَّ وَقَدْ أَحْرَزْتَ مُطَّرِفاً مِنْهُ (٣) وَمُتَّلَدا
أَحْرَزْتَهُ بِالنَّدى لَمْ تُبْقِ ذَا عَدَمٍ وَبِالحُرُوبِ الَّتي أَلْوَتْ بِمَنْ عَنَدا (٤)
لَقَدْ تَرَكْتَ طَرِيقَ المَجْدِ شاطِنَةً فَلَوْ سَرى النَّجْمُ فِيها اسْتَبْعَدَ الأَمَدا
فَقُلْ لِمَنْ رَامَ جَرْياً في مَدَاكَ شَأى مُسْتَبْعِداً القُرْبَ مَنْ يَسْتَقْرِبُ البُعُدا
دَعِ المَعالِي لِمَنْ أَضْحى لها شَرَفاً فَمَا وَجَدْتَ بِها مِعْشارَ ما وَجَدا
وَلَيْسَ يَبْلُغُها فَارْبَعْ عَلى ظَلَعٍ (٥) مَنْ لاَ يَرى صابَها مِنْ حُبِّها شُهُدا
بَلِ (٦) المَكارِمُ لَمْ تَكْثُرْ مَغارِمُها إِلاَّ لِتُلْحِقَ بِالدَّانِينَ مَنْ بَعُدا
كَمْ في الدُّنا قَفْرَةٍ عَذْرَاءَ ما سُلِكَتْ صارَتْ طَرائِقَ مِنْ قُصَّادِها قِدَدا

---

(١) ومشرع ... (ل)
(٢) وكل (م)
(٣) منها (ع) و (م)
(٤) عقدا (ل)
(٥) ضلع (ل)
(٦) لك المكارم ... (ل)

تَرَكْتَ مِنْ ذِكْرِها الْآفاقَ طَيِّبَةً ... وَلَنْ [١] يَطِيبَ ثَنا مَنْ لاَ يَعُمُّ جَدا
وَمُذْ حَلَلتَ بِهٰذَا الشَّامِ تَكْلَؤُهُ ... فَقَدْ عَدَا الدَّهْرُ فِيهِ أَنْ يُقالَ عَدَا
مَلأْتَ آفاقَهُ مِنْ ذِي الظُّبَى شُهُباً ... جَعَلْتَها لِشَياطِينِ الْوَرَى رَصَدا
وَلَمْ تَزَلْ آخِذاً مالاَ نَفادَ [٢] لَهُ ... وَمُعْطِياً مالَوِ اسْتَبْقَيْتَهُ نَفِدا
فَما نَقَلْتَ إِلىٰ غَيْرِ الْعُلَى قَدَماً ... وَلاَ شَدَدْتَ على [٣] غَيْرِ الثَّناءِ يَدا
كَفَى الإِمامَةَ عِزّاً أَنَّ عُدَّتَها ... لاَ تَسْتَطِيعُ اللَّيالِي حَلَّ ما عَقَدا
مازِلْتَ [٤] فِي نُصْحِها مُذْ كُنْتَ مُشْتَبِهاً [٥] ... قَوْلاً وَفِعْلاً وَإِظْهاراً وَمُعْتَقَدا
عَنْ رَأْفَةٍ مِنْكَ بِالْإِسْلامِ قَدشُهِرَتْ ... لَمْ يُعْطِها وَالِدٌ مِنْ نَفْسِهِ وَلَدا
ذُدْتَ الْمَطامِعَ عَنْهُ بَعْدَما شَرَعَتْ ... فِيهِ وَجاهَدْتَ مَنْ عاداهُ مُجْتَهِدا
وَكانَ يَحْمَدُ أَنْصاراً لَهُ ذَهَبُوا ... فَمُذْ رَآكَ نَصِيراً ذَمَّ مَنْ حَمِدا
كَمْ فَتَّتِ الدَّوْلَةُ الزَّهْراءُ فِي [٦] عَضُدٍ ... لَمَّا دَعَتْكَ لَهَا دُونَ الْوَرَى عَضُدا

---

(١) وأن يطيب ... (ع) و (م) ورواية البيت في (ل) هكذا :
تركت من ذكرها الآفاق قاطبةً ... من يطيب ثنا من لا يعم جدا ؟
والثَّنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٢) ما لا يُفاد له (ع) و (م)
(٣) إلى غير الثناء (ل)
(٤) لا زلت ... (ل)
(٥) كذا .
(٦) من عضد (ع) و (م)

أَنْتَ ٱلْحُسامُ ٱلَّذِي لا يُنْتَضَى أَبَداً إِلاَّ لِذُلِّ ضَلالٍ أَوْ لِعِزِّ هُدا
لَمَّا ٱنْتَضاكَ لِمَنْعِ ٱلْحَقِّ صاحِبُهُ أَهْلَكْتَ بِالْجِدِّ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْجَدَدا
وَعَوْدَةُ ٱلْجَوْرِ قَصْداً غَيْرُ مُمْكِنَةٍ حَتَّى يَعُودَ ٱلْقَنا عَنْ أَهْلِهِ قِصَدا
أَقْعَدْتَ مَنْ قامَ مِنْ أَعْداءِ دَوْلَتِهِ وَلَوْ بِغَيْرِكَ رِيعُوا قامَ مَنْ قَعَدا
أَهْبَطْتَ أَقْدارَهُمْ قَسْراً وَآنُفَهُمْ[١] فَما تَرَكْتَ سِوَى أَنْفاسِهِمْ صُعُدا
كانَتْ عَوادِيهِمُ[٢] تُخْلِي صُدُورَهُمُ مِنَ ٱلْحُقُودِ فَصارَتْ لِلضِّبابِ[٣] كُدا
وَأَنْتَ مَنْ لَمْ تَزَلْ تُثْوِي إِخافَتُهُ عِداهُ حَتَّى أَماتَتْ حِقْدَ مَنْ حَقَدا
حاكَمْتَهُمْ وَهُمُ لُدٌّ فَأَحْصَرَهُمْ عَنْ نُصْرَةِ ٱلْغَيِّ طَعْنٌ يَنْصُرُ ٱلرَّشَدا
وَفِي ٱلرُّدَيْنِيَّةِ ٱللاَّئِي حَشَوْتَ[٤] بِها تِلْكَ ٱلصُّدُورَ لَدُودٌ يُذْهِبُ ٱللَّدَدا
لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ رِماحٌ قَلَّ مانِعُها إِذَا رَأَتْ ثُغَرَ ٱلْأَبْطالِ أَنْ تَرِدا
وَلا حَمَتْهُمْ دُرُوعٌ طالَما عَصَمَتْ وَٱلْقَعْضَبِيَّةُ فِيها تَكْثُرُ ٱلزَّرَدا
قَتَلْتَهُمْ بِصُنُوفِ ٱلْخَوْفِ تَبْعَثُهُ[٥] كَمْ مِنْ قَتِيلٍ وَلَمَّا يَدْنُ مِنْهُ رَدا

---

(١) وأنفسهم (ل)
(٢) غواديهم (ع) و (م)
(٣) للضلال (م)
(٤) حشون (م)
(٥) تتبعه (ع) و (م)

وَعُدْتَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ قَوْدَ أَنْفُسِهِمْ … وَمَا سَمِعْنَا بِقَتْلَى أُلْزِمُوا قَوَدا

فَيَمَّمُوكَ رَجَاءَ أَنْ سَيَغْمُرُهُمْ … عَفْوٌ يُحِيلُ الرَّدَى فِي رَاحَتَيْكَ نَدا

فَأَحْمَدُوا الْعَيْشَ فِي أَفْنَاءِ مَمْلَكَةٍ … مَنْ لَمْ يَعِشْ فِي ذَرَاهَا لَمْ يَعِشْ رَغَدا

فَضْلٌ تَمَيَّزْتَ عَنْ كُلِّ[1] الْأَنَامِ بِهِ … فَاشْكُرْ لِمُعْطِيكَ مَالَمْ يُعْطِهِ أَحَدا

أَيَّدْتَ بِالْجِدِّ وَالْجِدِّ الْمُلُوكَ فَعِشْ … عُمْرَ الزَّمَانِ بِمُلْكِ الْأَرْضِ مُنْفَرِدا

أَمَتَّ مِنْ حَسَدٍ مَنْ لَمْ يَمُتْ رَهَبًا … مِنْهُمْ وَمِنْ رَهَبٍ مَنْ لَمْ يَمُتْ حَسَدا

إِلَامَ يُمْطِلُ حَسَّانُ بِبُغْيَتِهِ[2] … لَا يَنْفَدَنْ مَا بَقِي مِنْ عُمْرِهِ فَنَدا

قَدْ كَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ ذَا جَلَدٍ … عَلَى الْخُطُوبِ فَلَمْ تَتْرُكْ لَهُ جَلَدا

جَرَّعْتَهُ مَا يُذِيبُ الصَّخْرَ أَيْسَرُهُ … وَمَا خَطَاهُ الرَّدَى لَوْلَمْ يَكُنْ لُبَدا[3]

فَاعْطِفْ عَلَى مَلِكٍ لَجَّ الشَّقَاءُ بِهِ … إِنْ فَازَ مِنْكَ بِأَدْنَى نَظْرَةٍ سَعِدا[4]

---

(١) عن شكر الأنام به (ع) و (م)

(٢) إلام تَمْطُلُ حسَّاناً ببيعته

لا تُنْفِدَنْ ما بقي من عمره فَندا (ع) و (م)

وحسَّان : هو حسَّان بن المفرِّج بن دَغْفَل بن الجرَّاح الطائي أمير بني طيء خرج على الفاطميين متحالفاً مع صالح بن مرداس الكلابي ، فجهز له الفاطميون جيشاً بقيادة أنوشتكين الدِّزْبري ، فكانت وقعة الأقحوانة قرب طبرية وانجلت عن مقتل ابن مرداس وهزيمة حسَّان سنة ٤٢٠ انظر الحاشية رقم (٥) ص (٥٧)

(٣) لُبَد : آخر نسور لقمان ويكنى به عمن يعمَّر طويلاً .

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

فَلَيْسَ يَعْصِيكَ فِي قَوْلٍ وَلا عَمَلٍ مَنْ مُذْ حَظَرْتَ عَلَيْهِ النَّوْمَ مَارَقَدا
ذَلَّتْ لَكَ الأُسْدُ فِي غَابَاتِهَا وَعَنَتْ خَوْفًا فَلَوْ شِئْتَ لاسْتَرْعَيْتَهَا النَّقَدا
وَالأَعْيُنُ الشُّوسُ قَدْ غُضَّتْ[1] فَلا شَوَسٌ وَالصِّيدُ قَدْ تَرَكُوا فِي عَصْرِكَ الصَّيَدا
عَزَائِمٌ تَسْبِقُ الأَقْدَارَ مَا خُلِقَتْ إِلاَّ لِكَفِّ عِدَاءٍ أَوْ لِقَتْلِ عِدا
فَكَمْ جَلَوْتَ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ غَسَقَتْ[2] عَنَّا وَأَجْلَيْتَ عَنْ عِرِّيسِهِ أَسَدا
وَكَمْ أَبَحْتَ[3] عَدِيًّا[4] كُلَّهَا نِعَمًا يَفْنَى الزَّمَانُ وَمَا أُحْصِي لَهَا عَدَدا
حَتَّى كَأَنَّ جَنَابًا قَبْلَ مَصْرَعِهِ وَصَّاكَ إِذْ بَايَنَ[5] الدُّنْيَا بِمَنْ وَلَدا
فَلَوْ[6] أَصَابَتْ قَدِيمًا جَاهِلِيَّتُهُمْ مَلْكًا يُدَانِيكَ جُوداً عَفَّ مَنْ وَأَدا
فَلْيَلْتَمِسْ رَافِعٌ[7] مَا عَزَّ مَطْلَبُهُ فَلَنْ يُدَافِعَ مَنْ تُضْحِي لَهُ سَنَدا

---

(١) مذ غضت (ل)

(٢) الكلمة ساقطة من (ل) . وفي (ع) و (م) غسقاً . وما أثبتناه هو الصواب .

(٣) وقد أبحتَ ... (ل)

(٤) بنو عدي بطن من كنانة عذرة من القحطانية وهم بنو عدي بن جناب بن هبل . « نهاية الأرب ص ٢٩١ »

(٥) إذ يئس الدنيا ... (ل)

(٦) ولو ... (ل)

(٧) هو رافع بن أبي الليل أمير الكلبيين دخل في طاعة الفاطميين وكان مع أنوشتكين الدزبري في وقعة الأقحوانة وفي فتح حلب .

« ابن القلانسي ص ٧٣ و ٧٥ »

وَلْيفرعِ النَّجْمَ بِالْقُرْبى[١] الَّتي جَمعتْ شَمْلَ الْفخارِ لَهُ وَالسُّؤْدُدَ الْبدَدا

تَقَطَّعَتْ أَنفُسُ الأَعْدَاءِ مِنْ صِلَةٍ يَظَلُّ يَحْسُدُ عَدْنانَ بِها أُدَدا[٢]

إِلاَّ اعْتِرافاً فَمَا الْمَغْبُونُ مَنْ جُحِدَتْ آلاؤُهُ إِنَّما الْمَغْبُونُ مَنْ جَحَدا

ضَاقَ الزَّمَانُ بِمَا خَوَّلتَ مِنْ نِعَمٍ خيلتْ طَوارِفُهَا مِمَّا ضَفَتْ تُلُدا

قَضَتْ بِأَنْ أَجِدَ الإِيسَارَ في وَطَني فَمَا رَحَلْتُ إِلَيْهِ عِرْمِساً أُجُدا[٣]

وَكَيْفَ يُدْرِكُ بِالتَّقْصِيرِ غَايتَها مَنْ لاَ يَنَالُ قُصَارَاهَا إِذَا جَهَدا

فَاسْحَبْ ذُيُولَ بُرُودٍ لا فَنَاءَ لَهَا مَنْسُوجَةٍ مِنْ مَدِيحٍ تَسْبِقُ[٤] الْبُرُدا

مُرَوَّضٍ جَادَ هٰذا الْغَيْثُ تُرْبتَهُ فَراحَ فِي خِلَعٍ مِنْ نَوْرِهِ وَغَدا

كَساهُ ذِكْرُكَ لِلآلاءِ فَغَادَرَهُ[٥] أَشَفَّمَا يُقْتَضَاهُ[٦] مَنْ شَدَا وَحَدا

لا زِلْتَ زِينَةَ دُنْيَانَا وَلا بَرِحَتْ أَيَّامُ مُلْكِكَ أَعْيَاداً لَنَا[٧] جُدُدا

---

(١) إشارة إلى زواج أنوشتكين بأخت رافع .

« ابن القلانسي ص ٧٩ »

(٢) عدنان : جد العرب العدنانية وأُدَد : جد العرب القحطانية . وفي (ل) تظل تحسد عدنانُ بها أددًا . أي بنو عدنان .

(٣) هذا البيت ساقط من (ل) . والعِرْمِسُ الأُجد : الناقة الصلبة القوية .

(٤) يسبق . ابن عساكر ج ١٥ ورقة ١٩٢ (مخطوط)

(٥) تغادره (ع) و (م)

(٦) يقتضاه (ع) و (م) ينتضيه ، يقتضيه . « ابن عساكر »

(٧) لها (ع) و (م)

وَلاَ خَلَتْ مِنْكَ أَوْطَانٌ بِكَ اعْتَصَمَتْ لَوْلاَكَ مَا اسْتَوْطَنَتْ رُوحٌ بِهَا جَسَدا
يُسْتَكْثَرُ الْيَوْمَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ حَسَنٍ وَيُسْتَقَلُّ بِمَا تُفْضِي إِلَيْهِ غَدا
وَلاَ بَلَغْتَ مَدىً تَعْلُو[1] الْمُلُوكُ بِهِ إِلاَّ أَجَدَّ لَكَ الْجَدُّ السَّعِيدُ مَدا

٣٩

وقال أيضاً يمدحه[2]

فُتَّ الْوَرَى فَعَلاَمَ ذَا الْإِجْهَادُ وَبِبَعْضِ سَعْيِكَ تُحْرَزُ الْآمَادُ
قَدْ فُتَّ فِي الْأَعْضَادِ هٰذَا الْمُرْتَقَى وَتَفَتَّتَتْ مِنْ دُونِهِ الْأَكْبَادُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ بَالِغُ سُودَدٍ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ طَرِيقَهُ الْأَنْجَادُ[3]
تَزْدَادُ مَجْداً لَيْسَ يُعْرَفُ كُلَّمَا قَالَ الْوَرَى لَمْ يَبْقَ مَا تَزْدَادُ
وَمَنَاقِباً مِنْ دُونِهَا وَبِمِثْلِهَا تَكْبُو الْمُلُوكُ وَتُكْبَتُ الْحُسَّادُ

---

(١) يعلو . « ابن عساكر »

(٢) محل هـذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وتنقص من أولها هناك مقدار ثلاثين بيتاً ؛ وجاء عنوانها هكذا : « وقال أيضاً يمدحه في المحرم من سنة خمس وعشرين وأربع مئة بقصيدة منها :

سكنتْ لصولتك الرياح مهابـةً وتزعزعت من خوفك الأطوادُ ...»

(٣) الأنجاد : جمع نَجْد ونَجِد ونَجُد وهو الشجاع الماضي في ما يعجز غيره ، السريع الإجابة في ما دعي اليه . وفي الأصل الأمجاد. ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

جُمِعَتْ لِغَلَّابِ ٱلْيَدَيْنِ عَلَى ٱلْعُلَىٰ تَعْنُو لِسَوْرَةِ عِزِّهِ ٱلْأَمْجَادُ
نَدْبٌ إِذَا مَا هَمَّ أَنْ يَلْقَىٰ عِدىً لَمْ يَثْنِهِ عَدَدٌ وَلَا ٱسْتِعْدَادُ
مِنْ أُسْرَةٍ شُوسٍ إِذَا سُئِلُوا ٱلنَّدى جَادُوا وَإِنْ صَنَعُوا ٱلصَّنِيعَ أَجَادُوا
مِنْ كُلِّ صَعَّادٍ إِلَىٰ رُتَبِ ٱلْعُلَىٰ دَرَجَاتُهُ أَبَداً ظُبىً وَصِعَادُ
وَرَّادِ أَحْوَاضِ ٱلْمَنُونِ إِذَا طَغَتْ وَٱلدُّهْمُ مِنْ عَلَقِ ٱلنَّجِيعِ وِرَادُ
نَخَرُوا بِمَا شَادُوا فَمُنْذُ بَدَا لَهُمْ مَجْدُ ٱلْمُظَفَّرِ أَهْمَلُوا مَا شَادُوا
وَإِذَا ٱلْفَتَىٰ هَبَطَتْ بِهِ أَفْعَالُهُ لَمْ تُعْلِهِ ٱلْآبَاءُ وَٱلْأَجْدَادُ
كَفَّ ٱلْعِدَىٰ وَكَفَى ٱلْعِدَاءَ مُؤَيَّدٌ يَثْنِي ٱلْأُلُوفَ بِذِكْرِهِ ٱلْآحَادُ
لِجُيُوشِهِ مِنْ رَأْيِهِ وَمَضَائِهِ وَإِبَائِهِ يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ أَمْدَادُ
فَلْيَيْأَسِ ٱلْأَعْدَاءُ أَرْضاً ذَادَهُمْ عَنْهَا طِعَانٌ صَادِقٌ وَجِلَادُ
فَعَلَىٰ ٱلشَّآمِ سُرَادِقٌ أَوْتَادُهُ بِيضُ ٱلظُّبَىٰ وَلَهُ ٱلْقَنِيُّ عِمَادُ
كَادُوا ٱلْهُدَىٰ فَأَدَالَ خَوْفُكَ مِنْهُمُ حَتَّى لَقَدْ سَكَنُوا ٱلْكُدَا أَوْ كَادُوا[1]
كَانُوا جِبَالاً مُثَّلاً وَكَأَنَّهُمْ فِي ذِي ٱلزَّعَازِعِ إِذْ عَصَفْنَ رَمَادُ
قَصُرَتْ رِمَاحُ ٱلْخَطِّ فِي أَيْدِيهِمُ وَنَبَتْ سُيُوفُ ٱلْهِنْدِ وَهْيَ حِدَادُ

---

(١) سكنوا الكداء وكادوا (م)

مُذْ جاشَ بَحْرُكَ وَاُعْتَلَى آذِيُّهُ ... نَضَبَتْ بِحارُ ٱلْإِفْكِ فَهْيَ ثِمادُ

لَوْلاكَ ما أُنْقِمعَ ٱلنِّفاقُ وَلا وَرَتْ ... لِلدِّينِ مِنْ بَعْدِ ٱلْكُبُوِّ زِنادُ

بِكَ عادَ سَيْفُ ٱلشِّرْكِ مَفْلُولَ ٱلشَّبا ... وَغَدَتْ قُوَى ٱلْإِسْلامِ وَهْيَ شِدادُ

وَمَتَى دَهِمْتَ ٱلرُّومَ فِي أَوْطانِهِمْ ... صَبَحَتْهُمُ ٱلدَّهْماءُ وَهْيَ نَآدُ

بِحَوامِلِ ٱلْآسادِ آسادِ ٱلْوَغَى ... لَمْ يُوهِها ٱلتَّأْوِيبُ وَٱلْإِسْآدُ

وَلَهُمْ مَتَى لا قَوْكَ يَوْمٌ بَعْدَهُ ... لا تَلْتَقِي ٱلْأَرْواحُ وَٱلْأَجْسادُ

فَلْيَحْذَرُوا مَلِكاً تَخَلَّتْ عَنْوَةً ... لِسُطاهُ عَنْ أَجامِها ٱلْآسادُ

هَلْ لِلْأَراوِي مَصْحَرٌ مِنْ بَعْدِما ... سَمِعَتْ بِأُسْدِ ٱلْغابِ كَيْفَ تُصادُ

سَيْفَ ٱلْإِمامِ عَلَوْتَ ما لَمْ يَرْقَهُ ... أَمَلٌ وَشِئْتَ فَلَمْ يَفُتْكَ مُرادُ

وَلَكَ ٱلْعَزائِمُ لا يُبَلُّ جَرِيحُها ... وَلِغَيْرِكَ ٱلْإِبْراقُ وَٱلْإِرْعادُ

ذُلُقاً إِذا نَحَتِ ٱلْعَدُوَّ فَإِنَّما ... بَيْنَ ٱلْحُتُوفِ وَبَيْنَها مِيعادُ

سَكَنَتْ لِصَوْلَتِكَ ٱلرِّياحُ مَهابَةً ... وَتَزَعْزَعَتْ مِنْ خَوْفِكَ ٱلْأَطْوادُ

فَشِمِ ٱلسُّيُوفَ فَطالَما جَرَّدْتَها ... حَتَّى لَقُلْنَا ما لَها أَغْمادُ

وَأَقِمْ فَقَدْ قامَتْ لِبَأْسِكَ هَيْبَةٌ ... لَمْ يَخْلُ مِنْها فِي ٱلْأَنامِ فُؤادُ

وَسَرَتْ هُمُومُكَ فَٱلْإِقامَةُ رِحْلَةٌ ... وَٱلسِّلْمُ حَرْبٌ وَٱلرُّقادُ سُهادُ

فَثَواءُ رَحْلِكَ عِصْمَةٌ أَنَّى ثَوَى ... أَبَداً وَكَفُّكَ لِلْعَدُوِّ جِهادُ

ما أَحْرَقَتْ نِيرانُهُمْ وَشَرارُها عالٍ فَكَيْفَ تَرُوعُ وَهْيَ رَمادُ

رَكِبُوا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ حِينَ بَدَتْ لَهُمْ وَلَقَدْ رَأَوْا سُبُلَ ٱلرَّشادِ فَحادُوا

وَعَلَى ٱلظُّبَى إِرْشادُ مَنْ لَمْ يَثْنِهِ فِيما مَضَى عَنْ غَيِّهِ إِرْشادُ

حَقَدُوا فَمُذْ أَسْكَنْتَ[1] بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ خَوْفَ ٱنْتِقامِكَ ماتَتِ ٱلْأَحْقادُ

وَأَراكَ تَغْمُرُهُمْ بِصَفْحِكَ بَعْدَما كَثُرَتْ بِبابِكَ مِنْهُمُ ٱلْقُصّادُ

خافُوا ٱلرَّدَى فَنَحَوْا[2] هُماماً عِنْدَهُ يُجْدِي وَيُرْدِي ٱلْوَعْدُ وَٱلْإِيعادُ

وَهَدَتْهُمُ ٱلنَّكَباتُ مِنْ بَعْدِ ٱلْعَمَى يا طالَما جَرَّ ٱلصَّلاحَ فَسادُ

قَطَعُوا ٱلْقِفارَ وَنُورُ وَجْهِكَ فِي ٱلدُّجَى هادٍ لَهُمْ وَرَجاءُ قُرْبِكَ[3] زادُ

أَرْهَبْتَهُمْ حَتَّى تَحَقَّقَ مَنْ نَأَى أَنْ لَيْسَ يُنْجِي مِنْ سُطاكَ بِعادُ

وَعَفَوْتَ حَتَّى لَوْ رَجا غُيّابُهُمْ ذا ٱلْعَفْوَ وَدُّوا أَنَّهُمْ شُهّادُ

هٰذا ٱبْنُ جَرّاحٍ[4] أَتاكَ وَهَلْ لِمَنْ أَقْصَيْتَهُ إِلّا إِلَيْكَ مَعادُ

فَأَجِبْ بِفَضْلِكَ مَنْ دَعاكَ فَلَمْ يَزَلْ[5] لِلْعَفْوِ[6] عِنْدَكَ مَبْدَأٌ وَمَعادُ

(١) سَكَّنْتَ (م)

(٢) ونحوا (ل)

(٣) ورحاب قربك زادُ (م)

(٤) هو حسّان بن المفرّج بن دَغْفَل بن الجرّاح الطائي . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)

(٥) فلم تزل (ل)

(٦) للعرف (ع) و (م)

قابِلْ [١] بِرَأْفَتِكَ اعْتِذَارَ مُساوِرٍ   إِنَّ الْمَعاذِرَ لِلذُّنُوبِ حَصادُ
قَدْ يَكْهَمُ الْعَضْبُ الْجُرَازُ وَحَدُّهُ   ماضٍ وَيَكْبُو الطِّرْفُ وَهْوَ جَوادُ
يا عُدَّةَ الْإِسْلَامِ مَنْ ذَا يَشْتَكِي   ظَمَأً [٢] وَعِدُكَ لِلْعُفاةِ عَتادُ
كَمْ قُدْتَ فِي رِبْقِ [٣] الْجَمِيلِ مَصاعِباً   لِسِوَاكَ لَا تَعْنُو وَلَا تَنْقادُ
عَاذَتْ بِحَضْرَتِكَ الْمُلُوكُ وَلَاذَتِ الْـ   فُقَراءُ فَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأَضْدادُ
أَضْحى مَحَلُّكَ جَامِعاً وَمُفَرِّقاً   فَالْحَمْدُ يُحْرَزُ وَالثَّرَاءُ [٤] يُبادُ
تَحْوِي الْعَلاءَ بِهِ فَتَمْنَعُ نَيْلَهُ   وَالْمالُ سَاعَةَ يُسْتَفَادُ يُفادُ
يَفْدِيكَ أَهْلُ مَمالِكٍ هَضَبَاتُهَا   فِي جَنْبِ ذَا الْمُلْكِ الْأَشَمِّ وِهَادُ
نُعْمَانُ هٰذا الْعَصْرِ أَنْتَ وَإِنَّنِي   فِي حَيْثُ يَنْتَسِبُ الْقَرِيضُ زِيَادُ [٥]
لَا يَلْفِتَنَّكَ عَنْ ثَنَائِي لَافِتٌ   فَلِكُلِّ قَوْلٍ مَا عَدَاهُ نَفَادُ

(١) واقبل برأفتك ... (ل)
(٢) ظلماً وعدلك ... (ع) و (م)
(٣) الرِّبْقُ : حبل فيه عدة عرى .
(٤) والثناء ؟ (ل)
(٥) النعمان : هو أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امريء القيس اللخمي من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية . وزياد : هو أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني المعروف بالنابغة الذبياني الشاعر المشهور . مدح النعمان بن المنذر وكان مقدّماً عنده .

وَٱسْمَعْ لِمُحْكَمَةِ ٱلنِّظَامِ حُلِيُّهَا دُرَرُ[(١)] ٱلثَّنَا وَجِلاؤُهَا ٱلإِنْشَادُ
وَٱشْفَعْ[(٢)] بِهَا تِلْكَ ٱلْقَلائِدَ إِنَّهَا مِنْ خَيْرِ مَا تُزْهَىٰ بِهِ ٱلأَجْيَادُ
واُقْتَدْ بِمَا أَسْدَتْ يَدَاكَ مَدَائِحاً لَوْلاكَ لَمْ يُمْلَكْ لَهُنَّ قِيَادُ
أَنَّىٰ أَمُدُّ يَداً إِلَىٰ طَلَبٍ وَلِي مِنْ جُودِ كَفِّكَ طَارِفٌ وَتِلادُ
وَٱسْعَدْ[(٣)] بِهِ عَاماً سَحَائِبُ يُمْنِهِ هُطُلٌ وَكَوْكَبُ سَعْدِهِ وَقَّادُ
لاَ زَالَ عَنَّا ظِلُّ مَنْ أَيَّامُنَا مِنْ حُسْنِهَا فِي ظِلِّهِ أَعْيَادُ
وَأَقَامَ هٰذَا ٱلْمُلْكُ أَخْضَرَ لاَئِذاً بِفِنَائِهِ ٱلْوُرَّادُ[(٤)] وَٱلرُّوَّادُ
وَحَيِيتَ لِلأَدَبِ ٱلَّذِي أَحْيَيْتَهُ فَنَفَاقُهُ إِلاَّ لَدَيْكَ[(٥)] كَسَادُ

* * *

(١) در الثنا (ع) و (م)
(٢) فاشفع ... (ع) و (م)
(٣) فاسعد ... (ع) و (م)
(٤) الرُّوَّادُ والوُرَّادُ (ل)
(٥) إلاّ اليك (ع) و (م)

٤٠

وقال يمدح ناصر الدولة بن حمدان (١)

أَمَا(٢) وَمَسَاعٍ لاَ نُحِيطُ لَهَا(٣) عَدَّا ... وَتَأْثِيرِ مَجْدٍ لاَ نَقِيسُ بِهِ مَجْدَا
لَقَدْ قَصَّرَ ٱلْمُثْنِي وطَالِبُ ذَا ٱلْمَدٰى ... وَمَا مُنْعِمٌ إِلاَّ مَنِ ٱسْتَفْرَغَ ٱلْجُهْدَا
فَإِنْ شِئْتَ وَصْفاً بَالِغاً مَا بَلَغْتَهُ ... فَقِفْ حَيْثُ فُتَّ ٱلْوَصْلَ(٤) نَجْعَلْ لَهُ حَدَّا
وَإِلاَّ فَلاَ لَوْمٌ عَلَى كُلِّ قَائِلٍ ... نَحَاهُ فَأَخْفَى جَهْدُهُ فَوْقَ مَا أَبْدَا
وَمَا كُنْتَ فَرْداً فِي ٱبْتِغَائِكَ غَايَةَ ٱلْـ ... كَمَالِ وَلٰكِنْ كُنْتَ فِي حَوْزِهَا فَرْدَا
وَنَاقَضَكَ ٱلْأَمْلاَكُ فِيهَا فَكُلَّمَا ... عَلاَ بَاكَ فَمْلٌ هَضْبَةً هَبَطُوا وَهْدَا
لَئِنْ كُنْتَ فِي ٱلْعَلْيَاءِ أَبْعَدَهُمْ مَدًى ... فَإِنَّكَ بِٱلْإِنْعَامِ أَقْرَبُهُمْ عَهْدَا
وَإِنْ كُنْتَ أَسْلاَهُمْ عَنِ ٱلْبِيضِ كَٱلدُّمٰى ... فَإِنَّكَ بِٱلتَّقْوٰى أَشَدُّهُمُ وَجْدَا
وَإِنْ كُنْتَ فِي ٱلْفَحْشَاءِ أَنْبَاهُمُ شَباً ... فَإِنَّكَ فِي ٱلْهَيْجَاءِ أَمْضَاهُمُ حَدَّا
وَأَنّٰى يَرُومُونَ ٱلْمَحَامِدَ ضِلَّةً ... وَمَا صَدَقُوا فِيهَا وَعِيداً وَلاَ وَعْدَا

---

(١) هو ناصر الدولة وسيفها أبو محمد الحسن بن الحسين . انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٢) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ل)

(٣) كذا في الأصل ولعل الأصوب : لا نحيط بها .

(٤) كذا في الأصل . وفي مختارات البارودي : « فتَّ الوصف »

وَأَيْنَ هُمُ مِمَّنْ إِذَا غَدَرُوا وَفَىٰ ... وَإِنْ مَنَعُوا أَعْطَىٰ وَإِنْ هَزَلُوا جَدَّا

بَقِيتُمْ بَنِي حَمْدَانَ مَابَقِيَ ٱلْوَرَىٰ ... لِبَاغِي نَدًى يُحْيَا وَبَاغِي رَدًى يُرْدَا

فَمَا كَانَتِ ٱلْأَقْمَارُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكُمْ ... تُخَافُ وَلَا زُهْرُ ٱلْكَوَاكِبِ تُسْتَجْدَا

سُيُوفُكُمُ تَدْمَىٰ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ ... وَأَيْدِيكُمُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ تَنْدَا

إِذَا أَضْمَرَ ٱلْأَمْلَاكُ حِقْداً لِمَنْ جَنَىٰ ... كَفَاكُمْ وَحِيُّ ٱلْبَطْشِ أَنْ تُضْمِرُوا حِقْدَا

لَطَبَّقَتِ ٱلدُّنْيَا أَحَادِيثُ مَجْدِكُمْ ... فَمَا تَرَكَتْ فِي ٱلْأَرْضِ غَوْراً وَلَا نَجْدَا

وَقَبْلَكُمُ مَا أَبْصَرَ ٱلدَّهْرُ مِثْلَكُمْ ... فَبَادَ فَلَا يُبْصِرْ لِأَيَّامِكُمْ بَعْدَا ؟

وَلَمْ تَقْتَدُوا فِي ٱلْمَأْثُرَاتِ بِغَيْرِكُمْ ... وَمَنْ عَلَّمَ ٱلسَّبْقَ ٱلْمُطَهَّمَةَ ٱلْجُرْدَا

بِكُمْ حَصَرٌ عِنْدَ ٱلسِّبَابِ فَإِنْ جَرَتْ ... مُفَاخَرَةُ ٱلْأَمْجَادِ أُلْفِيتُمُ لُدَّا

تُهِينُونَ مَنْ أَلْغَىٰ فَضَائِلَ نَفْسِهِ ... وَعَدَّ تَلِيدَ ٱلْفَخْرِ وَٱلْحَسَبَ ٱلْعِدَّا

وَتُقْصُونَ[1] مَنْ إِنْعَامُهُ يَغْمُرُ ٱلْمُنَىٰ ... إِذَا لَمْ يَكُنْ إِقْدَامُهُ يَقْهَرُ ٱلْأُسْدَا

وَإِنَّكَ إِنْ عُدَّتْ فَضَائِلُ تَغْلِبٍ ... لَأَعْدَلُهَا حُكْماً وَأَجْزَلُهَا رِفْدَا

عَلَا بِكَ بَيْتٌ أَنْتَ أَعْلَىٰ عِمَادِهِ ... وَكَمْ وَدَّ نَجْمٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَدَّا[2]

وَلِلدَّوْلَةِ ٱلْمُسْتَنْصِرِيَّةِ نَاصِرٌ ... بِهِ ٱشْتَدَّ زَنْداً عِزُّهَا وَوَرَتْ زَنْدَا

---

(١) وتقضون ؟ (م)

(٢) الوَدُّ : الوتد

وَسَيْفُ حِمىً ٱلْآفاقِ وَهْوَ بِغِمْدِهِ فَكَيْفَ إِذَا صَارَ ٱلنَّجِيعُ لَهُ غِمْدا

وَأَرْسَلَهَا سَوْمَ ٱلْجَرَادِ مُغِيرَةً تَخِرُّ جِبَالُ ٱلْأَرْضِ مِنْ وَقْعِهَا هَدّا

حُسَامٌ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ مِنْ بَعْضِ مَا كَفَتْ مَضَارِبُهُ وَٱلْأَمْنُ مِنْ بَعْضِ مَا أَجْدا

قَضَى بِكِتابِ ٱللهِ فِينا وَما ٱعْتَدَى وَوَالَتْ يَدَاهُ ٱلْمَكْرُماتِ وَما ٱعْتَدّا

فَلاَ عَدِمَتْ هٰذِي ٱلنِّيابَةَ دَوْلَةٌ جَعَلْتَ لَهَا أَعْدَاءَها كُلَّهُمْ جُنْدا

وَما خِفْتَ إِلاَّ ٱللهَ فِيما وَلِيتَهُ وَلاَ حِفْتَ[1] فِي ٱلْأَفْعالِ سَهْوًا وَلاَ عَمْدا

فَعَلْتَ فَعالَ ٱلْحُرِّ نَفْساً وَشِيمَةً وَإِنْ كُنْتَ فِي مَحْضِ ٱلْوَلاءِ لَهَا ٱلعَبْدا

وَهَلْ تَرِدُ ٱلْأَطْماعُ ما عَنْهُ حُلِّئَتْ وَهٰذَا ٱلْهِزَبْرُ ٱلْوَرْدُ يَمْنَعُها ٱلْوِرْدا

لَقَدْ مُنِعُوا بِٱلْبِيضِ ما أَخَذُوا بِها وَلَوْ أَمِنُوا عَدْوَاكَ ما بَذَلُوا ٱلْوُدّا

بَلَغْتَ بِحَدِّ ٱلرَّأْيِ ما أَعْجَزَ ٱلظُّبَى تَناوُلُهُ فِيما مَضَى وَٱلْقَنا ٱلْمُلْدا

فَلَوْ سارَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ فِي ظُلُماتِهِ بِرَأْيٍ كَذا لَأَبْيَضَّ مِنْها ٱلَّذِي ٱسْوَدّا

وَلَوْ أَنَّ يَأْجُوجَ ٱسْتَعانُوكَ مُرْشِداً وَحُوشِيتَ مِنْ إِرْشادِهِمْ حَرَقُوا[2] ٱلسَّدّا

وَلَوْ فُرِّقَتْ هٰذِي ٱلعَزائِمُ فِي ٱلْوَرَى إِذاً عَطَّلُوا ما يَطْبَعُ ٱلْهِنْدُ وَٱلْهِنْدا

وَكَمْ جاهِلٍ أَغْرَى بِمَجْدِكَ كَيْدُهُ وَلٰكِنَّهُ أَوْدَى وَما كانَ ما وَدّا

---

(١) حافَ : جار وظلم . وفي الأصل : ولا خفت ، وهو تصحيف .

(٢) لعله : خرقوا .

تُقِرُّ لكَ الأَعْداءُ بِالْفَضْلِ عَنْوَةً ... وما الْفَضْلُ إلاَّ ما أَقَرَّتْ بهِ الأَعْدا

وَكانَتْ دِمَشْقُ تُنْبِتُ الذَّمَّ بُرْهَةً ... وَأَنْتَ الَّذي صَيَّرْتَها تُنْبِتُ الْحَمْدا

قَطَعْتَ الأَذى عَنْها وَفِضْتَ مَواهِباً ... وَما عَرَفَتْ ذا الْجَزْرَ قِدْماً وَلا الْمَدّا

فَعِشْتَ بِها خَمْسينَ عاماً وَمِثْلَها ... لِعافٍ وَعانٍ ذا يُفادُ وَذا يُفْدى

وَما إِنْ عَدَتْ هٰذي الأَمانيُّ طَوْرَها ... لأَنَّكَ بِالإِنْصافِ تَسْتَوْجِبُ الْخُلْدا

وَهُنِّيتَ أَعْيادَ الزَّمانِ وَلا انْطَوى ... زَمانٌ جَنَيْنا الْعَيْشَ في ظِلِّهِ رَغْدا

أَمامَكَ في ذا النَّهْجِ ما أَحَدٌ جَرى ... وَلَوْلا بَنُوكَ قُلْتُ خَلْفَكَ(١) قَدْ سُدّا

وَعُنْوانُ فَضْلِ الأَصْغَرينَ فَضائِلٌ ... مُؤَثَّلَةٌ نالَ الْكَبيرُ بِها الْمَجْدا

لَئِنْ حازَ أَقْطارَ الشَّجاعَةِ أَمْرَداً ... فَمِنْ مَعْشَرٍ يُرْدُونَ أُسْدَ الْوَغى مُرْدا

وَإِنْ حازَ مِقْدارَ الْبَلاغَةِ ناشِئاً ... فَما جارَ عَنْ مَسْعى أَبيهِ وَلا صَدّا

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ أَمَّ قَصْدَكَ قافِياً ... خِلالَكَ(٢) وَالأَعْلامُ تَهْدي وَلا تُهْدا

تُفَضُّ(٣) الْحُبا لِلطِّفْلِ مِنْكُمْ وَما حَبا ... وَيَشْتَدُّ في كَسْبِ الثَّناءِ وَما اشْتَدّا

وَهَلْ فيكُمُ مَنْ باشَرَ الذَّمَّ مُذْ نَشا ... وَمَنْ فارَقَ الإِحْسانَ مُذْ فارَقَ الْمَهْدا

---

(١) خلقك (م)

(٢) خلافك ؟ (م)

(٣) في الأصل : يُفَضُّ .

وَهَلْ وَخَدَتْ تِلْكَ الرِّكابُ بِمَهْمَهٍ ... لِتَقْطَعَهُ [١] إِلاَّ بِمَدْحِكُمُ تُحْدا

أَزَرْتُكَ حاجاتِي فَلَمْ أُنْزِلِ الْمُنَى ... بِمَنْ كَذَّبَتْ فِيهِ وَلَمْ أَعْدَمِ الرُّشْدا

وَأَعْطَى قَلِيلاً ثُمَّ أَكْدَى زَمانُنا ... فَيَمَّمْتُ مَنْ أَعْطَى كَثِيراً وَما أَكْدا

مَواهِبُ يَطْوِيها جَلالاً وَنَخْوَةً ... وَلَسْتُ أَرَى فِي النَّاسِ مِنْ نَشْرِها بُدّا

بِمَدْحٍ إِذَا ما ضاعَ فِي الْقَوْمِ نَشْرُهُ ... فَما النَّدُّ أَهْلٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدّا

وَكَمْ [٢] فِيكَ لِي عِقْدٌ يَحُوزُ جَواهِراً ... تُزَيِّنُ مِنْها كُلُّ جَوْهَرَةٍ عِقْدا

مِنَ اللهِ أَسْتَهْدِي بَقاءَكَ إِنَّهُ ... قَصِيَّةُ ما أَعْطَى وَنُخْبَةُ ما أَهْدا

فَلاَ خَلَتِ الْأَيَّامُ مِنْها مَحاسِناً ... أَشَدَّ عَلَى الْأَحْداقِ مِنْ نَوْمِها فَقْدا

٤١

وقال [٣] يمدح أمير الجيوش الدِّزْبِري [٤]

قَصَّرَ عَنْ سَعْيِكَ الْأُلَى جَهَدُوا ... فَافْخَرْ بِحَمْدٍ ما نالَهُ [٥] أَحَدُ

طالَتْ بِكَ الْعالَمِينَ أَرْبَعَةٌ ... عَزْمٌ وَحَزْمٌ وَنائِلٌ وَيَدُ

وَأَنْزَلَتْكَ السُّيُوفُ مَنْزِلَةً ... طالَ عَلَى مَنْ يَرُومُها الْأَمَدُ

(١) في الأصل : ليقطعه .

(٢) وكم لي فيك من عقد يحوز جواهراً ؟ (م) وهو من سهو الناسخ .

(٣) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي :

« وقال ايضاً يمدحه (أمير الجيوش) رحمه الله »

(٤) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٥) ما له أحد ؟ (م)

كُنْتَ أَبا عُذْرِها وَذاكَ بِما أَقْدَمْتَ وَالْمَوْتُ دُونَها رَصَدُ
فَما سَعى نَحْوَها أَمامَكَ إِنْـ سانٌ وَقَدْ سُدَّ خَلْفَكَ الْجَدَدُ
يَقْرُبُ مِنْ عَزْمِكَ(١) الْبَعِيدُ مِنَ الْـ عِزِّ وَيَنْأَى عَنْ رَأْيِكَ الْفَنَدُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ لَقِيتَ فِيهِ عِدىً دَمٌ مُرَاقٌ وَمُرْتَقىً صَعَدُ
وَمُنْذُ بَوَّأْتَهُمْ رِضاكَ نَسُوا مَنْ أَقْصَدَتْهُ(٢) الظُّبى بِمَنْ قَصَدُوا
حَكَمْتَ حُكْمَ الْأَعَزِّ مُقْتَدِراً فَالْقَتْلُ فِيهِمْ وَمِنْهُمُ الْقَوَدُ
هَوَّنَ وِجْدانُهُمْ نَداكَ لَهُمْ عَوْناً عَلَى الدَّهْرِ فَقْدَ مَنْ فَقَدُوا
عَقَلْتَهُمْ بِالْجَمِيلِ فَانْعَقَلُوا رُبَّ عُناةٍ أَصْفادُها الصَّفَدُ
تَقارَبَ الْخَلْقُ فِي خَلائِقِهِمْ وَأَنْتَ بِالْمُعْجِزاتِ مُنْفَرِدُ
وَأَيْنَ مِنْكَ الْوَرى وَما وَلَدَتْ لَكَ اللَّيالِي مِثْلاً وَلا تَلِدُ
إِنْ كانَ ذا الْمُلْكُ نِيلَ مُطَّرِفاً فَإِنَّ هٰذا الْعَلاءَ مُتَّلَدُ
قَعَدْتَ وَالْقَوْمُ قائِمُونَ كَما قُمْتَ بِصَرْفِ الْخُطُوبِ إِذْ قَعَدُوا
فَلْتَعْلُ بِيضُ السُّيُوفِ صاعِدَةً أَنَّكَ مِنْها وَتَفْخَرِ الْعُدَدُ
نَهَضْتَ يا عُدَّةَ الْخَلائِفِ(٣) بِالْأَعْـ باءِ إِذْ خانَ غَيْرَكَ الْجَلَدُ

---

(١) من غيرك ؟ (ع) و (م)
(٢) قصدته (ل)
(٣) الخلافة (ع) و (مَ)

مُبِيِّنـــاً أَنَّ رَأْيَ حاكِمِهِمْ (١) مِمَّا أَرَاهُ (٢) ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلصَّمَدُ
أَيْقَنَ يَوْمَ ٱصْطَفَـــاكَ مُنْتَجَباً أَنَّكَ لِٱبْنِ ٱبْنِهِ غَـــداً عَضُدُ
بَايَعَ جَـــدّاً عَلَى هَوَاكَ أَبٌ وَقَدْ تَلاَ ٱلآنَ وَالِداً وَلَدُ
لاَ تَخْشَ مِنْ حاسِدِيكَ بائِقَةً (٣) ذَلَّتْ أَعادٍ (٤) سِلاَحُهَا ٱلْحَسَدُ
فَلَنْ (٥) يَحُلَّ ٱلأَنامُ مَا عَقَدَتْ يَدَاكَ مَا دَامَ فِي ٱلْقَنَا عُقَـــدُ
أَضْحَتْ مَطَايَا ٱلْمُنَى بِأَجْمَعِهَا إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ تَخِدُ
حَيْثُ يَحُطُّ ٱلرَّجَاءُ أَرْحُلَهُ (٦) مَكَارِمٌ لَمْ يُحِطْ بِهَا عَـــدَدُ
وَلَوْ دَعَوْتَ (٧) ٱلْمُلُوكَ قاطِبَةً لأَصْبَحَتْ دُونَ رُسْلِهَا تَفِدُ
أَمَالَ أَعْنَاقَهَا ٱلْخُضُوعُ لِمَا تَعْرِفُهُ مِنْ سُطَاكَ لاَ ٱلصَّيَدُ
لاَ يَدَّعُوا ٱلنُّصْحَ بِٱعْتِرَافِهِمُ لَوْ وَجَدُوا ٱلْجَحْدَ مُمْكِناً جَحَدُوا
وَكَيْفَ يَعْصُونَ حِينَ يَأْمُرُهُمْ مَلْكٌ إِذَا عَنَّ ذِكْرُهُ سَجَدُوا

(١) إشارة إلى أن أنوشتكين الدِّزْبري نشأ في قصر الحاكم بأمر الله وأن الحاكم كان يتفرس فيه النجابة .
(٢) رآه (ل)
(٣) نائبة (ل)
(٤) أُناس (ل)
(٥) فلن تحل الأيامُ ما عقدت (ل)
(٦) أرجله (ع) و (م)
(٧) ذعرت (ل)

يُرْبِي عَلَى ٱلْغَيْثِ حِينَ يَقْتَصِدُ وَيَسْبِقُ ٱلرِّيحَ وَهْوَ مُتَّئِدُ
مَنِ ٱسْتَوَى فِي وَغىً وَفِي قَنَصٍ بِنَاظِرَيْهِ (١) ٱلطِّرَادُ وَٱلطَّرَدُ
وَجَادَ حَتَّى أُنْبِرَتْ (٢) مَوَاهِبُهُ تَطْلُبُ ذَا فَاقَةٍ فَمَا تَجِدُ
وَلَنْ (٣) يُسَاوُوهُ فِي ٱلْعُلَى أَبَداً هَلْ يَتَسَاوَى ٱلصَّرِيحُ وَٱلزَّبَدُ
تِسْعَةُ أَعْشَارِهَا ٱسْتَبَدَّ بِهَا وَعُشْرُهَا فِي بَنِي ٱلدُّنَى بَدَدُ
مُبَادِرُ ٱلْبَطْشِ وَٱلنَّوَالِ فَمَا يُوعِدُ ذَا زَلَّةٍ وَلَا يَعِدُ
قَدْ قَطَبَ ٱلْبِشْرَ بِٱلْقُطُوبِ كَذَا ٱلصَّارِمُ فِيهِ ٱلْفِرِنْدُ وَٱلرُّبَدُ (٤)
أَعْجِبْ بِنَفْسٍ ضَاقَ ٱلزَّمَانُ بِهَا مِنْ عِظَمٍ كَيْفَ حَازَهَا (٥) ٱلْجَسَدُ
مَلَكْتَ رِقَّ ٱلْفَخَارِ مَا مَلَكَتْ عَدْنَانُ مِعْشَارَهُ (٦) وَلَا أُدَدُ
خَلَفْتَ أَجْوَادَهُمْ كَمَا خَلَفَ ٱلنَّاعِقَ بِٱلْبَيْنِ مُطْرِبٌ غَرِدُ
وَنُبْتَ عَمَّنْ فَشَتْ شَجَاعَتُهُ نِيَابَةَ ٱلْبِيضِ وَٱلْقَنَا قِصَدُ
فَلَوْ رَآكَ ٱلْمُقَرِّظُونَ لَهُمْ عَادُوا يَذُمُّونَ كُلَّ مَنْ حَمِدُوا

---

(١) لناظريه (ع) و (م)
(٢) سرت (م)
(٣) ولن تساويه في عُلىً أبداً (ع) و (م)
(٤) يقال : « سيف ذو رُبَدٍ » إذا كنت ترى فيه شبه غبار أو مَدَبِّ نَمْل .
(٥) كيف ضمَّها جسد (ل)
(٦) معشارها (ل) ويريد بعدنان العرب العدنانية ، وبأدد العرب القحطانية.

قَدْ نُصِرَتْ دَوْلَةٌ بِكَ اُعْتَضَدَتْ وَعَزَّ دِينٌ عَلَيْكَ يَعْتَمِـــدُ

عَزْمُكَ سَيْفٌ لَدَيْهِ مُنْصَلِتٌ وَأَنْتَ تَاجٌ عَلَيْهِ (١) مُنْعَقِدُ

وَقَــدْ أَبَحْتَ ٱلْمُلُوكَ أَمْنَهُمُ مِنَ ٱلرَّدَى مَا عَتَوْا (٢) وَمَا (٣) عَنَدُوا

فَفِي عِدَادِ ٱلْجَرَادِ تَبْعَثُهَـــا جُرْداً بِأُسْــدِ ٱللِّقَاءِ تَنْجَرِدُ

كَمْ وَارَدُوكَ ٱلرَّدَى فَمَا صَدَرُوا عَنْهُ وَلَٰــكِنْ رُدُّوا كَمَا وَرَدُوا

ظُبًى تَقُدُّ ٱلطُّلَى تُؤَيِّدُهَـــا عَزَائِمٌ فِي دُجَى ٱلْوَغَى تَقِـــدُ

وَهِمَّةٌ فِي ٱلسَّمَاءِ مَسْكَنُهَـــا لِذَاكَ سُكَّانُهَا لَهَـــا مَدَدُ

شَمِّرْ لِأَرْضِ ٱلْعِرَاقِ إِنَّ بِهَـــا جَمَائِمًا فِي ٱلْحَيَاةِ قَدْ زَهِدُوا

تَلْقَ قُلُوباً إِلَيْكَ طَـــائِرَةً شَوْقاً وَأُخْرَى أَطَارَهَا ٱلزَّأَدُ (٤)

وَأَنْدُبْ (٥) لَهَـــا فِتْيَةً عَمَائِمُهَا بِيضٌ تَلَالَا وَقُمْصُهـــا زَرَدُ

حَشْوَ (٦) جُيُوشٍ إِذَا ٱنْتَحَتْ بَلَداً فَقَائِدَاهَا ٱلنَّجَـــاحُ وَٱلرَّشَدُ

---

(١) علاك ؟ (ع) و (م)

(٢) ما عنوا (ع) و (م)

(٣) وإن عندوا (ل)

(٤) في الأصل : الزؤد .

(٥) واندب لهم فتية عمائمهم (ع) و (م)

(٦) كذا في (ع) و (ل) . و « حشوا جيوش » في (م) . ولعل الصواب « حشر جيوشٍ » أو « حشد جيوشٍ » .

تَشْتَبِهُ الدُّهْمُ وَالْوِرَادُ بِهَا ... لَمَّا كَسَاهَا الْعَجَاجُ وَالنَّجَدُ (١)

فَمَا بِبَغْدَادَ مَنْ يُرَوِّعُهَا ... حَتَّى يَرُوعَ (٢) الضَّرَاغِمَ النَّقَدُ

فَثَمَّ مُلْكٌ مَالَتْ دَعَائِمُهُ ... وَعَنْ قَلِيلٍ إِلَيْكَ يَسْتَنِدُ

لَنَا بِذَا الظِّلِّ لَا انْطَوَى أَبَداً ... دَرٌّ (٣) غَزِيرٌ وَعِيشَةٌ رَغَدُ

بَهْجَةُ أَعْيَادِنَا بَقَاؤُكَ مَحْرُوساً فَبُقِّيتَ مَا بَقِي الْأَبَدُ

بِذَا دَعَا الْمُحْرِمُونَ مُذْ نَزَلُوا ... مَكَّةَ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ شَهِدُوا

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ ... دُعَاءَهُمْ وَالْمَقَامُ مُحْتَشِدُ

ما بَلَغَ الْحَمْدُ كُنْهَ مَا أَنْتَ مُولِيهِ مِنَ الْعُرْفِ وَهْوَ مُجْتَهِدُ

أَعْيَيْتَنِي (٤) بِالنَّوَالِ عَنْهُ وَمَا ... تُغِبُّنِي مِنْكَ أَنْعُمٌ جُدُدُ

جَادَتْ بِفَوْقِ الْغِنَى وَهَا هِيَ لَا ... تُقْلِعُ فَهْيَ الطَّوَارِفُ التُّلُدُ

لَا يَحْسَبِ الْحَاسِدِيَّ أَنَّهُمُ ... بِأَنَّنِي عَنْكَ نَازِحٌ سَعِدُوا

بُعْدِي دُنُوٌّ بِمَا أُحَبِّرُهُ ... فِيكَ وَغَيْرِي دُنُوُّهُ بَعَدُ

وَإِنَّمَا أَنْظِمُ الْفَرِيدَ كَذَا ... عِقْداً لِذَا الْجِيدِ حِينَ أَنْفَرِدُ

(١) النَّجَدُ : العَرَق .

(٢) تروع : (ع)

(٣) دهر عزيز (ل) وعلى هامش (ع) و (م)

(٤) أغنيتني ... (ع) أغنيتني عنه ... (م)

يَجْرِي مِنَ الشِّعْرِ زَاخِرٌ وَبِهِ جَوَاهِرٌ بِالْعُقُولِ تَنْتَقِدُ
فَاسْمَعْ لِغُرٍّ مِنَ الْمَحَامِدِ لاَ يَفُوتُهَا فِي مَسِيرِهَا بَلَدُ
مُقِيمَةٍ فِي الْبِلاَدِ ظَاعِنَةٍ مَعْقُولَةٍ وَهْيَ فِي الدُّنَا شُرُدُ
تَفْنَى الْأَحَادِيثُ وَهْيَ بَاقِيَةٌ وَتَنْطَوِي قَبْلَ طَيِّهَا الْمُدَدُ (١)
لاَ بَلَغَتْ سُؤْلَهَا عِدَاكَ وَلاَ زَالَ (٢) بِهَا أَوْ يُعَيِّتَهَا الْحَسَدُ (٣)
وَعِشْتَ مَا أَعْقَبَ النَّهَارُ دُجًى وَدَامَ لِلْيَوْمِ فِي الزَّمَانِ غَدُ (٤)



(١) وينطوي قبل طيها الأبدُ (ل)
(٢) زالت ... (م)
(٣) الكَمَدُ (ل)
(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

قافيــة الــرّاء

٤٢

وقال (١) يمدح الوزير أبا محمد اليازوري (٢)

سَبَقْتَ فَفُزْ بِعَظِيمِ ٱلْخَطَرْ ... وَدَعْ لِعِدَاكَ ٱلْمُنىٰ وَٱلْخَطَرْ

فَدَتْكَ مُلُوكٌ عَلَتْ بِٱلْجُدُودِ ... وَأَعْلَاكَ مَجْدُكَ لَمَّا ظَهَرْ

وَأَيْنَ ٱلْمُنِيفُ بِحَظٍّ أَعَا ... نَ مِمَّنْ أَنَافَ بِفَضْلٍ بَهَرْ

بِطَاءٌ إِذَا سُئِلُوا نَجْدَةً ... أَقَامُوا (٣) مَقَامَ ٱلنُّهُوضِ ٱلْعُذَرْ

غَدَا ٱلْمَالُ مُحْتَقِباً (٤) عِنْدَهُمْ ... وَعِنْدَكَ لَمَّا يَزَلْ مُحْتَقَرْ

فَرَاهِبُ عَدْوَاهُمُ (٥) لَا يُسَاءُ ... وَطَالِبُ جَدْوَاهُمُ لَا يُسَرّْ

لَقَدْ حَظَرَ ٱللهُ هٰذَا ٱلْجَلَالَ ... عَلَى (٦) مَنْ مَضىٰ وَعَلَى مَنْ غَبَرْ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك هكذا :
« وقال أيضاً يمدح الوزير الناصر للدين اليازوري وأنفذها من دمشق الى القاهرة »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) أقام ...؟ (ع) و (م) وموضع هذا البيت والأبيات الخمسة التي بعده يختلف في (ع) و (م)

(٤) محتقناً ...؟ (ع) و (م)

(٥) فراهب إقدامهم ... وطالب إنعامهم ... (ل)

(٦) عمَّنْ مضى منهمُ أو غبر (ع) و (م)

أَتَقْعُدُ عَنْ مُرْتَقَاهُ ٱلنُّجُو مُ عَجْزاً وَيَطْمَعُ (١) فِيهِ ٱلْبَشَرْ

وَيَبْغِي (٢) تَنَاوُلَهُ ٱلْحَاسِدُونَ عَلَى مَا بِأَبْوَاعِهِمْ مِنْ قِصَرْ

وَإِنَّكَ مِنْ كَيْدِهِمْ آمِنٌ كَمَا أَمِنَ ٱلْبَازُ كَيْدَ ٱلنُّغَرْ (٣)

مَعَالٍ بَغَوْا حَطَّهَا فَٱعْتَلَتْ وَمَجْدٌ رَجَوْا طَيَّهُ فَٱنْتَشَرْ

وَإِنْ جَحَدُوهُ وَأَنْ يَقْدِرُوا فَإِنَّ ٱلْإِمَامَ (٤) بِهِ قَدْ أَقَرّْ

فَفَاهَ بِوَصْفِكَ مَنْ لَا يَمِينُ وَخَبَّرَ (٥) عَنْ سُؤْدُدٍ مَنْ خَبَرْ

وَرَقَّاكَ فِي قَوْلِهِ (٦) وَٱلْفَعَالِ ذُرَى شَرَفٍ لَمْ يَنَلْهَا بَشَرْ

رَأَى ٱللَّهَ مُتَّخِذاً فِي ٱلْوَرَى خَلِيلاً فَكُنْتَ (٧) ٱلْخَلِيلَ ٱلْأَبَرّْ

عَلَى أَلْسُنِ ٱلنَّاسِ طُرّاً تُقِرُّ بِهَا وَعُيُونُ ٱلْمَعَالِي (٨) تَقَرّْ

وَوَصْفٌ أَحَلَّكَ فَوْقَ ٱلسَّمَاءِ فَخَاطِبْ وَكَاتِبْ (٩) مِنَ ٱلْمُسْتَقَرّْ

---

(١) وتطمع (ع) و (م)

(٢) وتبغي ... (ل)

(٣) النُّغَر : فراخ العصافير . وفي (ع) و (م) النُّغَرْ .

(٤) الأنام (ع) و (م)

(٥) وَحَبَّر عن سؤدد مِنْ حِبَر (ع) و (م)

(٦) في سؤدد والفعال (ع) و (م)

(٧) وكنت (ع) و (م)

(٨) المساعي (ل)

(٩) وكانت ؟ (ع) و (م)

وَكَمْ لِعُدَاتِكَ مِنْ عَثْرَةٍ تُقَالُ وَمِنْ زَلَّةٍ تُغْتَفَرْ[1]
لَدَيْكَ وَلَمْ يُعْمِلُوا حِيلَةً نَجَا الْهُرْمُزَانُ[2] بِهَا مِنْ عُمَرْ
لِغَيْرِكَ عِنْدَ احْتِيَالِ الرِّجَالِ[3] يُدَبُّ الضَّرَاءُ وَيُمْشَى الْخَمَرْ
أَزِلْ مَا بِأَعْنَاقِهِمْ مِنْ صَغًى وَمَا بِخُدُودِهِمُ مِنْ صَعَرْ
فَمَا أُمْهِلَ السُّمُّ إِلاَّ وَدَبَّ وَلَا أُهْمِلَ الْكَلْبُ إِلاَّ عَقَرْ[4]
وَعَاتِبْهُمُ بِصَلِيلِ الَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ الطُّلَى وَالْقَصَرْ
فَأَوْعَظُ[5] مِنْ زُبُرِ الْأَوَّلِينَ لَدَى الْكُفْرِ مَطْبُوعَةٌ مِنْ زُبَرْ
وَإِنَّ الَّذِي شَايَعَ الْمُرْجِفِينَ أَعْمَى الْبَصِيرَةِ أَعْمَى الْبَصَرْ
حِمَى الْحَقِّ مِنْكَ مَنِيعُ الْجِوَارِ عَزِيزُ النَّفِيرِ كَرِيمُ النَّفَرْ
شُجَاعٌ إِذَا مَا قَضَى أَوْ سَطَا[6] مُطَاعٌ إِذَا مَا نَهَى أَوْ أَمَرْ

(١) هذا البيت ساقط من (ل)

(٢) الهرمزان من عظماء الفرس أُتي به أسيراً الى عمر رضي الله عنه بعد أن غدر بالمسلمين ، فاستسقى ماء ، فأُتي به ، فقال : إني أخاف أن أقتل وأنا أشرب ، فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفأه وقال : لا حاجة لي بالماء إنما أردت أن أستأمن به . « ابن الأثير ٢/٢١٢ »

(٣) احتيال الأمور (ل)

(٤) موضع هذا البيت والأبيات الخمسة التي بعده يختلف في (ع) و (م)

(٥) وأوعظ ... (ع) و (م)

(٦) شجاع إذا ما سطا أو قضى (ع) و (م)

غَمَامٌ وَمَا هَدَرَ ٱلرَّعْدُ فِيهِ أَرَانَا دَمَ ٱلْمَحْلِ يَمْضِي هَدَرْ
كُنُوزُ ٱلْمَعَالِي لَدَيْهِ تُزَارُ(١) وَثَوْبُ ٱلثَّنَاءِ(٢) عَلَيْهِ يُزَرّْ
وَلِلْمَجْدِ رَاحَاتُهُ وَٱللُّغُوبُ وَلِلْحَمْدِ رَوْحَاتُهُ(٣) وَٱلْبُكَرْ
مَضَاءٌ لِكُلِّ عَنِيدٍ أَبَارَ وَسَعْيٌ عَلَى كُلِّ سَعْيٍ أَبَرّْ
وَعَدْلٌ بِهِ يُسْتَدَامُ ٱلْبَقَاءُ وَعَفْوٌ بِهِ يُسْتَتَمُّ ٱلظَّفَرْ
وَتَفْعَلُ آلاَؤُهُ(٤) فِي ٱلْمُحُولِ فِعْلَ عَزَائِمِهِ فِي ٱلْغِيَرْ
عَزَائِمُ مَنْ أَمَّنَتْ لَمْ يُجَرْ عَلَيْهِ وَمَنْ خَوَّفَتْ لَمْ يُجَرْ
فَيَا عَلَمَ ٱلْمَجْدِ لَمَّا ٱسْتَطَالَ وَيَا نَاصِرَ ٱلدِّينِ لَمَّا ٱنْتَصَرْ
وَيَا دَاعِيَ ٱلْجَفَلَى لِلْغِنَى إِذَا مَنْ(٥) دَعَا لِلطَّعَامِ(٦) ٱنْتَقَرْ
وَيَا صَاحِبَ ٱلسِّيَرِ ٱلسَّائِرَاتِ تُتْلَى(٧) وَتَبْقَى بَقَاءَ ٱلسُّوَرْ

---

(١) تزار ؟ (ل)
(٢) وثوب العلاء ... (ل)
(٣) راحاته ؟ (ع) و (م)
(٤) راحته (ل)
(٥) إذا مـا دعا ... (ع) و (م) . والجَفَلَى : الدعوة العامة . والانتقار : دعاء بعض دون بعض .
(٦) للعظام انتصر ؟ (ل)
(٧) تبقى وتتلى بقاء السور (ع) و (م)

رَأَىٰ ٱللّٰهُ عَدْلَكَ فِي خَلْقِهِ فَأَجْرَىٰ عَلَى مَا تَشَاءُ ٱلْقَدَرْ

وَإِنَّ ٱلْمُغِيثَ بِكَ ٱلْمُسْلِمِيـ ـنَ أَحْسَنَ لِلْمُسْلِمِينَ ٱلنَّظَرْ

وإِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ جَاوَزَتْ مَدىٰ ٱلْحُسْنِ أَفْعَالُهُمْ وَٱلصُّوَرْ (١)

وُجُوهٌ تَلُوحُ فَتَخْفَىٰ ٱلْبُدُورُ وَأَيْدٍ تَسُحُّ فَتَتْرَىٰ (٢) ٱلْبِدَرْ

قُرُومٌ مَضَوْا فِي سَبِيلِ ٱلرَّدَىٰ (٣) وَذِكْرُهُمْ مَاثِلٌ مَا دَثَرْ

ذَوُو عِتَرٍ نَشْرُ أَعْرَاقِهَا هُوَ ٱلْمِسْكُ لَا مَا حَوَتْهُ ٱلْعِتَرْ

أُصُولُكُمُ شَامِخَاتُ ٱلْفُرُوعِ وَأَيَّامُكُمْ شَادِخَاتُ ٱلْغُرَرْ

وَمَحْضُ ٱلْإِبَاءِ وَحُسْنُ ٱلْوَفَاءِ غَرَائِزُ فِي بَدْوِكُمْ وَٱلْحَضَرْ

وَمِنْكُمْ رِجَالٌ أَقَامُوا ٱلْحُدُودَ بِحَدِّ ٱلسُّيُوفِ عَلَى مَنْ كَفَرْ

وَكَانُوا لِذَا ٱلدِّينِ لَمَّا نَبَتْ بِهِ أَرْضُ مَكَّةَ نِعْمَ ٱلْوَزَرْ

مَسَاعٍ لِقَوْمِكَ (٤) مَا غَادَرَتْ لِمُفْتَخِرٍ فِي ٱلْوَرَىٰ مُفْتَخَرْ

تَغُضُّ رَبِيعَةُ مِنْهَا ٱلْعُيُونَ وَلَوْلَا ٱلرَّسُولُ لَغَضَّتْ مُضَرْ (٥)

---

(١) الأبيات الخمسة التي بعد هذا البيت يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

(٢) فتتوى (ع) فتثوى (م)

(٣) في سبيل الورى (ل)

(٤) بقومك (ل)

(٥) ربيعة ومضر قبيلتان عظيمتان يتفرع منهما جميع العرب العدنانية ، وفي ذلك إشارة إلى أن الممدوح من العرب القحطانيه لا من العرب العدنانية .

وَإِنَّكَ إِذْ جِئْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ سَنَا ٱلشَّمْسِ غَطَّى ضِيَاءَ ٱلْقَمَرْ

يَفِيضُ بِوَجْهِكَ مَاءُ ٱلْحَيَاءِ إِنْ شِئْتَ نَفْعاً وَإِنْ شِئْتَ ضَرّْ

وَتُغْضِي[1] عَلَى ٱلذَّنْبِ لاَ رَهْبَةً كَمَا ٱحْمَرَّتِ ٱلْبِيضُ لاَ مِنْ خَفَرْ

وَتَهْتَزُّ عِنْدَ ٱسْتِمَاعِ ٱلْمَدِيحِ[2] كَمَا ٱهْتَزَّ فِي ٱلرَّوْعِ عَضْبٌ ذَكَرْ

وَقَدْ أَيْقَنَ ٱبْنَاكَ[3] فَلْيَسْلَمَا بِأَنَّ ٱلْعُلَى فُرَصٌ تُبْتَدَرْ

فَكُلٌّ بِهَا مُسْتَهَامُ ٱلْفُؤَادِ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ ٱلسَّهَرْ

يَعِفُّ إِذَ مَا خَلاَ مِثْلَمَا تَعِفُّ وَيَعْفُو إِذَا مَا قَدَرْ

يَفُوتَانِ فِيمَا أَفَادَ ٱلثَّنَاءَ لَمْعَ ٱلْبُرُوقِ وَلَمْحَ ٱلْبَصَرْ

فَهَلْ[4] مِنْ مُجِيدٍ يُدَانِيهِمَا إِذَ ٱلْمَجْدُ[5] عَنْ سَاعِدَيْهِ حَسَرْ

وَمَا ٱلْعِيدُ إِلاَّ كَعَافٍ أَتَاكَ أَحْمَدْتَهُ وِرْدَهُ وَٱلصَّدَرْ

فَلاَ زِلْتَ تَخْلُفُهُ مَا ٱسْتَقَلَّ فَغَابَ وَتُذْهِلُهُ مَا حَضَرْ

لَقَدْ ضَلَّ فِكْرِي وَضَاقَ ٱلْقَرِيضُ بِوَصْفِ نَدًى فَاضَ حَتَّى غَمَرْ

---

(١) عن الذنب. (مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ج ١٠) مخطوط

(٢) وتهتز للمدح عند السماع ... (مسالك الأبصار)

(٣) هما خطير الملك وصفي الملك . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)

(٤) وهل ... (ع) و (م) . والأبيات الأربعة التي بعد هذا البيت يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

(٥) إذا الفخر ... (ع) و (م)

وَما خِلْتُ قَبْلَ بُلُوغِي إِلَيْكَ أَنَّ ٱلْغِنىٰ مِنْ دَوَاعِي ٱلْحَصَرْ
وَمَا أَعْرِفُ ٱلْفَقْرَ حَتّىٰ أَقُولَ عَلَى أَنَّنِي رَبُّ بَيْتِ ٱلْفِقَرْ
زَوَتْهَا (١) عَطاياكَ عَنْ مَعْشَرٍ بِأَجْيَادِهِمْ لاَ تَلِيقُ ٱلدُّرَرْ
وَحَلَّيْتَ (٢) حَالِي بَعْدَ ٱلْعُطُولِ وَأَحْلَيْتَ مِنْ عِيشَتِي مَا أَمَرّْ
إِذَا مَا مَضَتْ زُمَرٌ مِنْ لُهَاكَ تَلَتْهَا وَأَرْبَتْ عَلَيْهَا زُمَرْ
تَجُودُ أَنَالَ جَمِيعَ ٱلْمُنَى (٣) وَجُودٌ بِبَالِ (٤) ٱلْمُنَى (٣) مَا خَطَرْ
أَخُو ٱلْعُدْمِ (٥) مَنْ ظَلَّ يَرْجُو سِوَاكَ وَرَبُّ ٱلْغِنَى مَنْ إِلَيْكَ ٱفْتَقَرْ (٦)
وَمَا طَالِبُ ٱلدُّرِّ مِنْ بَحْرِهِ كَمَنْ ظَلَّ يَطْلُبُهُ مِنْ نَهَرْ
وَمُعْتَاصَةِ (٧) ٱلْمِثْلِ فِي ذَا ٱلزَّمَا نِ مُعْتَاضَةٍ صُحُفًا مِنْ فِكَرْ (٨)
لَهَا أَرَجٌ كَنَسِيمِ ٱلرِّيَاضِ وَافَى رَسِيلَ نَسِيمِ ٱلسَّحَرْ
تَحَلَّتْ (٩) مَنَاقِبَ لَمْ تَسْتَعِنْ عَلَيْهَا سِوَاهَا وَلَمْ تَسْتَعِرْ

(١) زوتها ؟ (ع) و (م)
(٢) وحليت حالي من حيلتي (ع) و (م)
(٣) الورى (ل)
(٤) ينال ؟ (ع) و (م)
(٥) أخو العدم من يترجّى سواك (ل)
(٦) الأبيات التي تلي هذا البيت الى آخر القصيدة يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٧) ومعتاضة (ع) و (م)
(٨) من زُبُر (ع) و (م)
(٩) نحلت (ع) و (م)

تُطَاوِلُ أَعْمَارَ زُهْرِ النُّجومِ ... وَيَبْقَى سِوَاهَا بَقَاءَ ٱلزَّهَرْ
وَإِنَّ ٱلَّذي يَبْتَغي عَدَّهَا ... لَكَا لْمُبْتَغي عَدَّ قَطْرِ ٱلْمَطَرْ
لِذَاكَ (١) ٱلْمُبَالِغُ فِي مَدْحِهَا ... إِذَا هُوَ أَكْثَرَ قِيلَ (٢) ٱخْتَصَرْ
وَإِنْ أَقْعَدَتْنِي عَنْكَ ٱلْخُطُوبُ ... فَعِنْدِي ثَنَاءٌ يُدِيمُ ٱلسَّفَرْ
وَحَضُّ ٱلسَّقَامِ عَلَىٰ ذَا ٱلْمَقَامِ ... مُشِيرٌ (٣) لَعَمْرُكَ لَمْ يُسْتَشَرْ
رَأَىٰ هِجْرَتِي فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْبَهِيمِ ... وَوَاصَلَنِي (٤) فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْأَغَرّْ
وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ ٱلنُّهُوضَ ... حَفِظْتُ ٱلْوَفَا (٥) وَأَضَعْتُ ٱلْحَذَرْ
لَقَدْ أَظْهَرَ ٱلْغَدْرَ إِذْ غِبْتُ عَنْكَ ... زَمَانِي وَلَوْ لَمْ أَغِبْ مَا غَدَرْ
وَإِنْ أَمْهَلَتْنِي حَتَّىٰ أَرَاكَ ... حَوَادِثُهُ فَعَلَيْهَا ٱلْمَكَرّْ

*
* *

(١) كذاك (ع) و (م)
(٢) فيها (ل)
(٣) مشيراً (ع) و (م)
(٤) فواصلني (ع) و (م)
(٥) العلى (ع) و (م)

٤٣

وقال (١) يمدح نصر بن محمود (٢) ويرثي والده في سنة سبع وستين واربعمائة في عيد الفطر

كَفَى ٱلدِّينَ عِزّاً مَاقَضَاهُ لَكَ ٱلدَّهْرُ ... فَمَنْ كَانَ ذَا نَذْرٍ فَقَدْ وَجَبَ ٱلنَّذْرُ

لَقَدْ ظَلَّلَتْ هٰذِي ٱلْبِلادَ سَحابَةٌ ... بَوَارِقُها بِشْرٌ وَإِيماضُها (٣) تِبْرُ

إِذَا ما غَمامٌ خَصَّ أَرْضاً بِغَيْثِهِ ... هَمَى هاطِلاً فِي كُلِّ قُطْرٍ لَها (٤) قَطْرُ

ثَمانِيَةٌ لَمْ تَفْتَرِقْ مُذْ جَمَعْتَها ... فَلاَ ٱفْتَرَقَتْ ما ذَبَّ (٥) عَنْ ناظِرٍ شُفْرُ

يَقِينُكَ (٦) وَٱلتَّقْوى وَجُودُكَ وَٱلْغِنى ... وَلَفْظُكَ وَٱلْمَعْنى وَعَزْمُكَ وَٱلنَّصْرُ

بِكَ (٧) ٱنْجابَتِ ٱللَّأْوَاءُ وَٱمْتَدَّتِ ٱلْمُنى ... وَضُوعِفَتِ ٱلْآلاءُ وَٱفْتَخَرَ ٱلْعَصْرُ

---

(١) موضع هذه القصيدة في (ل) آخر قصيدة في قافية الراء وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح نصر بن محمود بن صالح » . ولهذه القصيدة قصة تراجع بترجمة ابن حَيُّوس في (ابن خلكان ٢ / ١٣) وابن العديم وغيرها .

(٢) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٣) وأمطارها (ع) و (م)

(٤) له قطرُ (ل)

(٥) ما افترّ عن ناظرٍ (تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٩)

(٦) ضميرك (تاريخ ابن الوردي ١ / ٣٧٩)

(٧) بل ... (ل)

وَرَدَّ إِلَيْكَ ٱلأَمْرَ لُطْفًا وَرَحْمَةً [(١)] بِذَا ٱلْخَلْقِ طُرًّا مَنْ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْرُ [(٢)]

فَلَمَّا مَنَتْهُمْ غَضَّ ٱلْجُفُونِ [(٣)] عَلَى قَذًى فَأَقْصَى مُنَاهُمْ أَنْ يَطُولَ لَكَ ٱلْعُمْرُ

فَلِلَّهِ مُلْكٌ زَيَّنَ ٱلدَّسْتَ مُلْكُهُ وَجَادَ ٱلْحَيَا مُلْكًا تَضَمَّنَهُ ٱلْقَبْرُ

وَكُنَّا نَظُنُّ ٱلأَرْضَ تُظْلِمُ بَعْدَهُ فَقُمْتَ مَقَامَ ٱلشَّمْسِ إِذْ غُيِّبَ ٱلْبَدْرُ

لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللهِ أَعْظَمُ أُسْوَةٍ فَلَا تَظْهَرِ ٱلشَّكْوَى وَلَا يَتْعَبِ ٱلْفِكْرُ

فَقِيدُكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ ٱلْهَمُّ رَدَّهُ وَخَصْمُكَ مَنْ لَا يَقْتَضِي عِنْدَهُ وِتْرُ

مَضَى حَيْثُ لَا تُغْنِي [(٤)] ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا وَلَا ٱلنَّسَبُ ٱلزَّاكِي [(٥)] وَلَا ٱلنَّائِلُ ٱلْغَمْرُ

وَلَوْ كَانَتِ ٱلأَقْدَارُ تُثْنَى بِقُوَّةٍ حَمَاهُ [(٦)] ٱلإِبَاءُ ٱلْمَحْضُ وَٱلْجَحْفَلُ ٱلْمَجْرُ

وَسَارَتْ عَلَى مِثْلِ ٱلنَّعَامِ ضَرَاغِمٌ عَلَيْهَا مِنَ ٱلْمَاذِيِّ أَوْشِحَةٌ خُضْرُ

إِذَا أَظْهَرُوا سِرَّ ٱلْجُفُونِ فَلَا دُجًى وَإِنْ لَفَّهُمْ نَقْعُ ٱلْمَذَاكِي فَلَا فَجْرُ

وَلٰكِنَّهَا تَمْضِي عَلَى غُلَوَائِهَا سَوَاءٌ عَلَيْهَا مُسْتَعِدٌّ وَمُغْتَرُّ

صَبَرْنَا عَلَى حُكْمِ ٱلزَّمَانِ ٱلَّذِي سَطَا عَلَى أَنَّهُ لَوْلَاكَ لَمْ يُمْكِنِ [(٧)] ٱلصَّبْرُ

(١) ورأفةً (ل)

(٢) من له النهي والأمرُ (ل) .

(٣) العيون (ع) و (م)

(٤) لم تغن (ع) و (م)

(٥) ولا الحسب الزاكي ولا النَّشَبُ الدثْرُ (ع) و (م)

(٦) ثناه (ع) و (م)

(٧) لم يكن الصبر . (ابن خلكان ٢/١٣) و (مختارات البارودي) .

غَزَانا (١) بِبُؤْسَى لاَ يُعادِلُها الأَسَى ... تُقارِنُ نُعْمَى لاَ يَقُومُ بِها شُكْرُ

وَأَوْجَبتِ (٢) الأُولَى المَلاَمَ فَلَمْ نَلُمْ ... وَأَنَّى لَهُ لَوْمٌ وَأَنْتَ لَهُ عُذْرُ

وَكادَ شِمارُ الخَوْفِ يَنْبَثُّ فِي الوَرَى ... فَنادَى شِعارُ الأَمْنِ يا نَصْرُ يا نَصْرُ

فَمَرَّتْ بِكَ الشَّقْراءُ تَسْمُو تَحَلُّقاً ... كَما حَلَّقَتْ فَتْخاءُ (٣) يَجْذِبُها وَكْرُ

عَلَيْها هُمامٌ يَمْلأُ الأَرْضَ (٤) هَيْبَةً ... عَلَى الجَيْشِ كَرَّارٌ إِذَا حِزْبُهُ فَرُّوا

بِحَيْثُ حَمَى تِلْكَ الوُجُوهَ بِسَيْفِهِ ... وَقَدْ كُشِفَتْ عَنْها البَرَاقِعُ وَالخُمْرُ

حَبِيبٌ إِلَيْهِ (٥) العَدْلُ وَاللِّينُ وَالنَّدَى ... بَغِيضٌ إِلَيْهِ الجَوْرُ وَالبُخْلُ وَالكِبْرُ

أَرَى المَجْدَ عِقْداً أَنْتَ وَاسِطَةٌ لَهُ ... وَعَنْ (٦) جانِبَيْهِ صالِحٌ وَفَنا خُسْرُو (٧)

---

(١) عرانا ..... تقابل ..... الشكر (ع) و (م) و (مسالك الأبصار ج١٠) مخطوط.

(٢) فأوجبت ... وَلَمْ يُلَمْ (ع) و (م)

(٣) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح .

(٤) يملأ الدرع هيبةً (ع) و (م)

(٥) حبيب اليه اللين ... (ل)

(٦) ومن جانبيه ... (ل)

(٧) صالح بن مرداس أول ملوك بني مرداس في حلب ملكها سنة ٤١٧ وقتل سنة ٤٢٠ وهو جد الممدوح الثالث لأبيه . انظر ابن خلكان ٢٨٦/١ وفناخسرو هو عضد الدولة بن بويه وهو جد الممدوح الرابع لأمه ، فأم نصر هي بنت الملك العزيز بن الملك جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة .

« انظر بن الأثير ٨٠/٩ »

فَجَدٌّ لَهُ دَانَتْ نِزَارٌ وَيَعْرُبٌ ... وَجَدٌّ رَعَايَا مُلْكِهِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ

وَأَنْتَ ٱلَّذِي يُرْوَى بِسَحِّ بَنَانِهِ ... فَكَيْفَ إِذَا فَاضَتْ أَنَامِلُهُ ٱلْعَشْرُ

وَمَا ٱلْمَرْءُ إِلَّا مَنْ يُخَافُ وَيُرْتَجَى ... لَدَيْهِ ٱلْعَطَاءُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْأَنَفُ ٱلْمُرُّ

سَعِدْنَا بِمَوْلًى يُوجَدُ ٱلْخَيْرُ عِنْدَهُ ... وَيُعْدَمُ إِلَّا فِي مَوَاضِعِهِ ٱلشَّرُّ

عَوَادِيهِ مَدٌّ يُحْدِثُ ٱلْعَفْوُ جَزْرَهُ ... وَجَدْوَاهُ مَدٌّ لَا يُعَقِّبُهُ جَزْرُ (١)

وَلَمَّا أَرَادَ ٱللّٰهُ إِظْهَـــارَ حَقِّهِ ... وَجَاهَرَ فِيهِ ٱلنَّاسُ إِذْ أَمْكَنَ ٱلْجَهْرُ

بَدَا لَا كَمَا يَبْدُو ٱلنَّبَاتُ مِنَ ٱلثَّرَى ... وَلٰكِنْ كَمَا يَبْدُو مِنَ ٱلصَّدَفِ ٱلدُّرُّ

فِدَاؤُكَ مَنْ هٰذِي ٱلصِّفَاتُ وَذِكْرُهَا ... عَلَى ظَهْرِهِ وِقْرٌ وَفِي سَمْعِهِ (٢) وَقْرُ

أَعَانَتْ عَلَى إِدْرَاكِ مَا تَسْتَحِقُّهُ ... طَرِيقَتُكَ ٱلْمُثْلَى وَهِمَّتُكَ ٱلْبِكْرُ

وَلَمْ تَكُ فِيهِ كَٱبْنِ (٣) هِنْدٍ فَإِنَّهُ ... بَغَى فَبَغَى مَا لَمْ يُخَلِّفْ لَهُ صَخْرُ (٣)

وَمَا ضَرَّ مَنْ فَاقَ ٱلْمُلُوكَ بِرَأْيِهِ ... وَإِقْدَامِهِ أَلَّا يَكُونَ لَهُ عَمْرُو (٤)

وَخَالُكَ مَنْ شَادَتْ دَعَائِمَ بَيْتِهِ ... سَجِيَّتُهُ ٱلْحُسْنَى وَنَائِلُهُ (٥) ٱلْغَمْرُ

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)

(٢) وفي أذنه وقرُ (ع) و (م)

(٣) ابن هند : معاوية بن أبي سفيان صخر رضي الله عنهما .

(٤) عمرو بن العاص المشهور بدهائه رضي الله عنه .

(٥) وسؤدده الغمر (ل)

فَيا طِيبَ ما حَيَّتْ بِهِ مِصْرَ بابِلٌ ... وَيا حُسْنَ ما أَهْدَتْ إِلى حَلَبٍ مِصْرُ(١)

فَجاءَ كَما يُهْدى إِلى الرَّوْضِ(٢) صَيِّبٌ ... حَيا لا كَما يُهْدى إِلى هَجَرَ التَّمْرُ(٣)

فَأَهْلاً بِمَنْ تَقْضي فَضائِلُهُ لَهُ ... بِأَضْعافِ ما تَقْضي الْقَرابَةُ وَالصِّهْرُ

وَلَمْ يَتْرُكْ تِلْكَ الْبِلادَ لِأَنَّها ... بَغَتْ بَدَلاً مِنْهُ وَلا أَنْ نَبا دَهْرُ

وَلٰكِنَّهُ كَالسَّيْفِ فارَقَ غِمْدَهُ ... لِيَشْهَدَ حَدّاهُ بِما خَبَّرَ الأَثْرُ

وَإِخْوَتُكَ الرّاقُونَ(٤) يَبْغُونَ ذِرْوَةً ... تَقَيَّلَها مِنْ قَبْلُ آباؤُكَ الْغُرُّ

مَلَكْتَ فَما كانُوا كَإِخْوَةِ يُوسُفٍ ... تَوَدُّدُهُمْ مَكْرٌ وَمَحْصُولُهُ(٥) خَتْرُ

وَلٰكِنْ أَباحُوكَ الْمَوَدّاتِ أُخْلِصَتْ ... فَما فَوْقَها وُدٌّ وَلا تَحْتَها غِمْرُ

وَقَبْلَكَ ما راءَ الأَنامُ وَلَنْ يَرَوْا(٦) ... مَدى الدَّهْرِ شَمْساً حَوْلَها أَنْجُمٌ زُهْرُ

فَجاوِزْ(٧) بِهِمْ حَدَّ الأُخُوَّةِ بالِغاً ... إِلى غايَةٍ فيها لَكَ الْحَمْدُ وَالأَجْرُ

---

(١) فيا طيب ما أهدتْ إلى مصر بابلٌ ويا طيب ما حيَّتْ به حلباً مصرُ (ع) و (م)
وفي البيت إشارة الى خبر زواج محمود بن نصر ببنت الملك العزيز . قال ابن الأثير :
« ... وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق »
« الكامل ج ٩ ص ٨١ »

(٢) الى الأرض ... (ل)

(٣) هَجَر : اسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل « كمستبضع تمرٍ الى هَجَر »

(٤) الباقون (ع) و (م)

(٥) ومحصولهم (ع) و (م)

(٦) ولا ترى (ع) و (م)

(٧) تجاوز ... (ع) و (م)

وَأَمَّا ٱلْعِدَى خابُوا فَإِنَّ غَناءَهُمْ غَناءُ دُخانِ ٱلنَّارِ غادَرَهُ ٱلْجَمْرُ
وَحُوشِيتَ مِنْ قُرْبِ ٱللِّئامِ فَإِنَّهُمْ إِذا ٱسْتُنْصِحُوا غَرُّوا وَإِنْ ٱسْتُصْحِبُوا عَرُّوا (١)
فَمَزِّقْهُمُ قَتْلاً وَنَفْياً فَإِنَّهُ نَهَى ٱلدِّينُ أَنْ يَسْتَصْحِبَ ٱلْفاجِرَ ٱلْبَرُّ
يُرِيدُ دُنُوَّ ٱلنَّارِ مَنْ يَصْطَلِي بِها وَيُبْعِدُها مَنْ لَيْسَ يَغْلِبُهُ ٱلْقُرُّ
وَإِنَّ (٢) سَقِيمَ ٱلْإِبْلِ يُعْدِي صَحِيحَها فَيُبْعَدُ عَنْ أَعْطانِها (٢) مَنْ بِهِ عُرُّ
عُرِفْتَ بِإِقْدامٍ بِهِ يُحْسَمُ ٱلْأَذَى وَفائِضِ إِنْعامٍ بِهِ يُطْرَدُ ٱلْفَقْرُ
وَأَنْشَرْتَ أَمْواتَ (٣) ٱلْأَمانِي مُكَذِّباً مَقالَ أُناسٍ لَيْسَ بَعْدَ ٱلتَّوَى نَشْرُ
فَدامَتْ وَعَزَّتْ دَوْلَةٌ نَبَوِيَّةٌ دَعَتْكَ بِما فِيهِ لَها ٱلْعِزُّ وَٱلْفَخْرُ
فَإِنْ فاخَرَتْ يَوْماً فَأَنْتَ جَلالُها وَصَمْصامُها (٤) في كُلِّ نائِبَةٍ تَعْرُو
وَإِنْ عَدِمَتْ مَنْ كانَ أَظْهَرَ حَقَّها بِمَحْضِ وَلاءٍ (٥) لا يُمازِجُهُ غَدْرُ
وَأَلْوَتْ بِمَحْمُودِ بْنِ نَصْرٍ مُلِمَّةٌ عَوائِدُها ٱلْإِقْدامُ وَٱلْقَسْرُ وَٱلْقَهْرُ
فَنَصْرُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرِ بْنِ صالِحٍ لَها عِوَضٌ نِعْمَ ٱلْبَقِيَّةُ وَٱلذُّخْرُ

---

(١) إذا نصحوا غرُّوا وإن عوشروا عرُّوا (ل)

(٢) فإنّ ... أوطانها ... (ع) و (م)

(٣) آمال الأماني (ل)

(٤) جلال الدولة وصمصامها: من ألقاب الممدوح نصر بن محمود.
« ابن خلكان ج ٢ ص ١٣ »

(٥) وفاء (ل)

وَأَنتُمْ بحارُ الْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالْحِجى إِذَا غاضَ بَحْرٌ فاضَ يَخْلُفُهُ بَحْرُ

فَكَمْ(١) مِنْ بِلادٍ أَنْكَحَتْكُمْ رِماحُكُمْ وَلَيْسَ سِوى طَعْنِ النُّحُورِ لها مَهْرُ

ثُغُورُ الْعِدى إِنْ رُمْتُمُوهُنَّ كالْفَلا وَكُلُّ فَلاةٍ رُمْتُمُ مَنْعَها ثَغْرُ

أَحادِيثُ مَجْدٍ يُعْجِزُ الدَّهْرَ طَيُّها وَأَخْلَدُها(٢) ما كانَ يَحْفَظُهُ الشِّعْرُ

تَباعَدْتُ عَنْكُمْ حُرْفَةً لا زَهادَةً وَسِرْتُ إِلَيْكُمْ حِينَ مَسَّنِيَ الضُّرُّ

فَلاقَيْتُ بابَ(٣) الأَمْنِ ما عَنْهُ حاجِزٌ يَصُدُّ وَبابَ الْعُرْفِ(٤) ما دُونَهُ سِتْرُ

وَطالَ مُقامِي فِي إِسارِ جَمِيلِكُمْ فَدامَتْ مَعالِيكُمْ وَدامَ لِيَ الأَسْرُ

وَأَنْجَزَ لِي رَبُّ السَّمواتِ وَعْدَهُ الْـ كَرِيمَ بِأَنَّ الْعُسْرَ مِنْ بَعْدِهِ(٥) يُسْرُ

وَجادَ(٦) ابْنُ نَصْرٍ لِي بِأَلْفٍ تَصَرَّمَتْ وَإِنِّي عَلِيمٌ أَنْ سَيَخْلِفُها(٧) نَصْرُ

لَقَدْ كُنْتَ مَأْمُوراً تُرَجّى لِمِثْلِها فَكَيْفَ(٨) وَطَوْعاً أَمْرُكَ النَّفْعُ وَالضُّرُّ

(١) وكم ... (ل)
(٢) وأسيرها ... (ع) و (م)
(٣) ظل الأمن ... (ل) و(ابن خلكان) و (مختارات البارودي) .
(٤) وباب العز (ابن خلكان)
(٥) يتبعه اليسر (ابن خلكان) و (ابن الوردي ١/٣٧٩)
(٦) فجاد (ل) و « » » «
(٧) قال ابن خلكان : (... لما فرغ ابن حَيُّوس من إنشادها قال الأمير نصر : والله لو قال عوض قوله « سيخلفها نصر » ، « سيضعفها نصر » لأضعفتها له ؛ وأعطاه ألف دينار في طبق فضة) « وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣ »
(٨) فكيف وطوعا أمرك النهي والأمرُ (ابن خلكان)

وَما بِي إِلى ٱلإِشْطاطِ فِي ٱلسَّوْمِ (١) حاجَةٌ ... وَقَدْ عُرِفَ ٱلْمُبْتاعُ وَٱنْفَصَلَ (٢) ٱلسِّعْرُ
وَإِنِّي بِآمالِي لَدَيْكَ (٣) مُخَيِّمٌ ... وَكَمْ فِي ٱلْوَرى ثاوٍ وَآمالُهُ سَفْرُ
وَعِنْدَكَ (٤) لا أَبْغِي بِقَوْلِي تَصَنُّعاً ... بِأَيْسَرِ ما تُولِيهِ يُسْتَعْبَدُ ٱلْحُرُّ
تَقَبَّلْ مِنَ ٱلْمُثْنِي عَلَيْكَ ٱعْتِذارَهُ ... فَقَدْ ضاقَ عَنْ أَوْصافِكَ ٱلنَّظْمُ وَٱلنَّثْرُ
وَهُنِّيتَ جَدّاً لا يُفَتَّرُ صاعِداً ... وَمُلِّيتَ أَيّاماً (٥) عَنِ ٱسْمِكَ تَفْتَرُّ

٤٤

وقال (٦) يمدح محمود (٧) بن نصر بن صالح

أَمَا وَظِلِّكَ مِمّا خِفْتُهُ وَزَرُ ... يُجِنُّنِي فَلْتَدُمْ غاراتِها ٱلْغِيَرُ
إِذا ظَفِرْتُ بِأَنْ يَرْتاحَ جُودُكَ لِي ... فَما لِنائِبَةٍ نابٌ وَلا ظُفُرُ
إِنِّي وَإِنْ لَمْ تَدَعْ لِي فِي غِنىً أَرَبا ... إِلى عَواطِفَ تُدْنِي مِنْكَ مُفْتَقِرُ
نامَتْ عُيُونُ ٱلْوَرى عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... تَرْنُو إِلَيْها بِعَيْنٍ دَأْبُها ٱلسَّهَرُ

(١) وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجةٌ (ل) و (ابن خلكان) و (ابن الوردي)
(٢) وانقطع السعرُ (ل)
(٣) إليك (ل)
(٤) وحقك (مخطوطة ابن خلكان رقم ٣٣) (ما أبغي) (ابن خلكان)
(٥) أيام ؟ (ع) والبيت كله ساقط من (ل)
(٦) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال يمدح تاج الملوك أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح »
(٧) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

سَلَوْا عَنِ ٱلْعِزِّ حُبًّا لِلْحَياةِ فَلَمْ يَجْنُوهُ أَقْعَسَ فِي حَيْثُ ٱلْقَنا شَجِرُ[1]

وَهوَّنَ ٱلْحَمْدَ عِزُّ ٱلْمالِ عِنْدَهُمُ فَعَزَّ عِنْدَكَ حَتّى هانَتِ ٱلْبِدَرُ

فَما أَخَذْتَ مِنَ ٱلْإِحْمادِ ما تَرَكُوا حَتّى وَصَلْتَ مِنَ ٱلْإِنْعامِ ما هَجَرُوا

خافُوا وَمِنْ دُونِ إِدْراكِ ٱلْعُلى[2] خَطَرٌ يَذُودُ عَنْ نَيْلِهِ مَنْ ما لَهُ خَطَرُ

إِنَّ ٱلْعَواصِمَ مُذْ جادَتْ يَداكَ بِها فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْها لِلْمُنى سَفَرُ

مَحَلَّةُ ٱلْأَمْنِ لا خَوْفٌ يُمازِجُها وَمَوْطِنٌ[3] ٱلْعَيْشِ ما فِي صَفْوِهِ كَدَرُ

أَمَّنْتَها بَعْدَ أَنْ[4] مَرَّتْ لَها حِقَبٌ وَمَرْكَبا أَهْلِها التَّغْرِيرُ وَٱلْخَطَرُ

وَجُدْتَ مُجْدِبَها حَتّى لَقَدْ[5] طَلَعَتْ بَعْدَ ٱلْأُفُولِ ٱلثُّرَيّا وَٱلثَّرى خَضِرُ[6]

وَفاحَ عَرْفُكَ فِيها فَٱكْتَسَتْ أَرَجاً نَسِيمُها أَبَداً[7] مِنْ نَشْرِهِ عَطِرُ

فَلَيْسَ يُدْرى أَشابَ ٱلْمِسْكُ تُرْبَتَها أَمْ باتَ يُوقَدُ فِي أَرْجائِها ٱلْقُطُرُ

لِلْمَجْدِ كُلُّ سَبِيلٍ أَنْتَ سالِكُهُ وَلِلْمَحامِدِ ما تَأْتِي وَما تَذَرُ

---

(١) الشَّجِر : المشتبك . وفي (ل) في جنب القنا شجر .

(٢) المنى (ل)

(٣) ومَعْطِن « مختارات البارودي »

(٤) بعد ما ... (ع) و (م)

(٥) حتى إذا طلعتْ (ل)

(٦) والثرى خَصِرُ (ل)

(٧) في نشره (ع) و (م)

وَفِي زَمَانِكَ خَلَّى الدَّهْرُ عَادَتَهُ ... وَعَادَ مِنْ فِعْلِهِ الْمَذْمُومِ يَعْتَذِرُ
وَمَا تَقَدَّمْتَ أَهْلَ الْأَرْضِ (١) قَاطِبَةً ... حَتَّى نَهَضْتَ بِمَا أَعْيَا بِهِ الْبَشَرُ
وَالْبِيضُ لَوْ لَمْ تُمَيِّزْهَا مَضَارِبُهَا ... بِالْقَطْعِ مَا قَصَّرَتْ عَنْ قَدْرِهَا الزُّبَرُ
أَبُوكَ أَنْسَى بَنِي قَحْطَانَ حَاتِمَهُمْ ... جُوداً وَجَدُّكَ مَنْ عَزَّتْ بِهِ مُضَرُ
مَا لُمْتُ قَوْمَيْهِمَا إِلَّا لِأَنَّهُمُ ... إِذْ حَانَ يَوْمُهُمَا قَلُّوا وَإِنْ (٢) كَثُرُوا
لَمْ يَحْفَظُوا الْحَقَّ مِنْ مَاضٍ وَمُقْتَبَلٍ ... حَتَّى كَأَنَّهُمُ غَابُوا وَإِنْ (٣) حَضَرُوا
قَوْمٌ رَقَوْا هَضَبَاتِ الْبَغْيِ مِنْ حَسَدٍ ... وَمَصْعَدُ الْبَغْيِ لَوْ (٤) يَدْرُونَ مُنْحَدَرُ
لَوْ أَنْصَفُوا تَبِعُوا (٥) غَيْثاً بِصَيِّبِهِ ... غَنُوا (٦) وَلَمْ يَخْذُلُوا مَلْكاً بِهِ نُصِرُوا
وَكَانَ لَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ بَيْنَهُمَا (٧) ... ضَرْبٌ بِهِ حَلَقُ الْمَاذِيِّ يَنْتَثِرُ
كَيَوْمِهِمْ بِعَزَازٍ (٨) إِذْ مَضَوْا قُدُماً ... حَتَّى ثَنَى كُلَّ أَلْفٍ مِنْهُمُ نَفَرُ
ذَاكَ الْمَقَامُ لِنَصْرٍ آيَةٌ ظَهَرَتْ ... لَمْ يُؤْتَهَا قَبْلَهُ بَدْوٌ وَلَا حَضَرُ

(١) أهل العصر (ل)
(٢) وما كثروا (ع) و (م)
(٣) وما حضروا (ع) و (م)
(٤) لا يدرون (ل)
(٥) منعوا (ل)
(٦) عنوا (ل)
(٧) دونها (ل)
(٨) عزاز : بليدة شمالي حلب .

وَقَدْ تَضاعَفَ عِزٌّ أَنْتَ وَارِثُهُ كَما تَضاعَفَ نَبْتٌ جادَهُ الْمَطَرُ

وَقارَعَتْ عَنْ ثُغُورِ الْمُسْلِمِينَ قَناً سُمْرٌ مَوارِدُها اللَّبَّاتُ وَالثُّغَرُ

أَطَمْتَ شارِعَ دِينٍ أَنْتَ ناصِرُهُ فَصارَ يَجْرِي بِما أَحْبَبْتَهُ الْقَدَرُ

وَصانَعَتْكَ مُلُوكُ الرُّومِ حاذِرَةً خَطْباً إِذَا ماعَرَا لَمْ يَنْفَعِ الْحَذَرُ

وَعَزْمَةً لَكَ(١) لاتَنْبُو مَضارِبُها عَنِ الْعِدا حِينَ يَنْبُو الصَّارِمُ الذَّكَرُ

أَلْوَتْ بِنَخْوَةِ مَنْ فِي طَرْفِهِ خَزَرٌ وَقَوَّمَتْ زَيْغَ مَنْ فِي خَدِّهِ صَعَرُ

مِنْ أَجْلِها سَلَّمُوا ما أُودِعُوا فَرَقاً وَلَوْ تَشاءُ أَباحُوكَ الَّذِي اُدَّخَرُوا

وَهَلْ يَحِيدُونَ عَنْ شَيْءٍ أَمَرْتَ بِهِ وَبَعْضُ أَنْصارِكَ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ

فَلْيَلْزَمُوا اللَّقَمَ(٢) الْوَضَّاحَ إِنْ طَلَبُوا أَمْناً فَحَزْمُكَ لا يُمْشَى لَهُ الْخَمَرُ

تَنْأَى الْمَخاوِفُ عَنْ أَكْنافِ مَمْلَكَةٍ بِناصِرِ الدِّينِ تَسْتَعْدِي(٣) وَتَنْتَصِرُ

وَيَسْكُنُ الْخِصْبُ فِي أَرْضٍ يَحُلُّ بِها تاجُ الْمُلُوكِ وَإِنْ لَمْ يَسْقِها الْمَطَرُ

رَبُّ السَّماحَةِ لا يَعْتادُها(٤) مَلَلٌ وَذُو الْفَصاحَةِ لا يَعْتاقُها(٤) حَصَرُ

ثَبْتُ الْجَنانِ بِحَيْثُ الصَّبْرُ يُلْجِئُهُ إِلَى مَوارِدَ يَحْلُو عِنْدَها الصَّبِرُ

---

(١) منك (ع) و (م)

(٢) القمر (ع) و (م)

(٣) تستعلي وتنتصر (ع) يُستعلى ويُنتصر (ل)

(٤) ما يعتادها ... ما يعتاقها ... (ل)

إِنْ هَمَّ بِالْحَرْبِ صَدَّتْهُ عَزَائِمُهُ ... عَمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ الظُّلْمُ وَالْأَشَرُ
وَإِنْ دَعَاهُ النَّدَى لَبَّتْ مَوَاهِبُهُ ... وَلَمْ يَحُلْ دُونَهَا مَطْلٌ وَلَا عُذُرُ
مِنْ مَعْشَرٍ طَالَمَا شَبُّوا بِكُلِّ وَغًى ... نَاراً رُؤُوسُ أَعَادِيهِمْ لَهَا شَرَرُ
وَصَابَرُوا الْحَرْبَ[1] تَكْذِيباً لِقَائِلِهِمْ ... «وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ عَادَاتِهَا الضَّجَرُ»[2]
مِنْ كُلِّ مَنْ[3] تَنْتَضِي مِنْهُ حَفِيظَتُهُ ... سَيْفاً لَهُ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ وَالْأُثُرُ[4]
مُعَظَّمُونَ يُطِيعُ النَّاسُ أَمْرَهُمُ ... وَلَا يُطِيعُونَ لِلْأَمْلَاكِ إِنْ أَمَرُوا
وَلَا يُخَوَّفُ مَنْ رَاعَوْا وَمَنْ مَنَعُوا ... وَلَا يُعَنَّفُ[5] مَنْ رَاعُوا وَمَنْ قَهَرُوا
هُمْ قَارَنُوا الْحُسْنَ بِالْإِحْسَانِ عَنْ كَرَمٍ[6] ... حَتَّى تَشَابَهَتِ الْأَفْعَالُ وَالصُّوَرُ
وَأَنْتَ أَمْنَعُهُمْ جَاراً وَأَبْعَدُهُمْ ... مَدًى وَأَطْيَبُهُمْ ذِكْراً إِذَا ذُكِرُوا
قَدْ شَاعَ ذِكْرُكَ فِي الدُّنْيَا بِرَغْمِ عِدًى ... يَطْوُونَهُ مَا اسْتَطَاعُوا وَهْوَ يَنْتَشِرُ
فَهَلْ رِيَاحُ سُلَيْمَانٍ تَجُوبُ بِهِ الْـ ... ـبِلَادَ أَمْ بَاتَ يَسْرِي بِاسْمِكَ الْخَضِرُ

---

(١) وصابروا الروع ... (ع) و (م)

(٢) عجز بيت للأخطل صدره « ضجُّوا من الحرب إذ عضَّتْ غواربَهم »
انظر ديوان الأخطل ص ١٠٧ .

(٣) ما ينتضي (ل)

(٤) الأَثَرُ : الحديث . والأُثُر : أَثَرُ الجرح يبقى بعد البرء .

(٥) ولا يعفّف (ع) و (م)

(٦) من كرم (ع) و (م)

أَيَّامُكَ[١] ٱلْغُرُّ زَادَتْ بَهْجَةً فَبِهَا هٰذَا ٱلزَّمَانُ عَلَى ٱلْأَزْمَانِ يَفْتَخِرُ

أَمْنٌ وَعَدْلٌ وَعَفْوٌ[٢] فَٱلْعِدَى حَرَضٌ وَٱلظُّلْمُ مُرْتَدِعٌ وَٱلذَّنْبُ مُغْتَفَرُ

وَقَدْ أَضَاءَتْ سَمَاءُ ٱلْمَجْدِ إِذْ طَلَعَتْ[٣] مِنْ مُكْرُمَاتِكَ فِيهَا أَنْجُمٌ زُهُرُ

لَا يَبْلُغُ ٱلْغَيْثُ غِبَّ ٱلْمَحْلِ غَايَتَهَا وَلَا يَنَالُ مَدَاهَا وَهْوَ مُنْهَمِرُ

تُزْجِي سَحَائِبَ جُودٍ جَوْدُهَا[٤] مِنَنٌ تَسْقِي رِيَاضَ ثَنَاءٍ تُرْبُهَا ٱلْفِكَرُ

مَحَوْتَ ذِكْرَ ٱلْكِرَامِ ٱلْأَوَّلِينَ بِهَا وَٱلسَّيْلُ مَا غَرِقَتْ فِي فَيْضِهِ ٱلْغُدُرُ

تَفْدِيكَ أَرْوَاحُ أَقْوَامٍ مَتَى بَخِلُوا أَنْ يَفْتَدُوكَ بِهَا لُؤْمًا فَقَدْ كَفَرُوا[٥]

جَلَتْ سُيُوفُكَ عَنْهُمْ كُلَّ دَاجِيَةٍ لَمْ يَجْلُهَا عَنْهُمُ شَمْسٌ وَلَا قَمَرُ[٦]

بُرْئِكَ أَنْجَابَتِ ٱللَّأْوَاءُ عَنْ أُمَمٍ لَوْلَا حَيَاتُكَ لَمْ يَحْسُنْ لَهَا ٱلنَّظَرُ

وَهَلْ شِفَاؤُكَ إِلَّا رَحْمَةٌ لَهُمُ فَلْيَشْكُرُوا ٱللهَ وَلْيُوفُوا بِمَا نَذَرُوا

إِذَا عَدَتْكَ ٱللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا فَكُلُّ حَادِثَةٍ جَاءَتْ بِهَا هَدَرُ

وَٱلْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا سَلِمْتَ لَهُمْ يُرْجَى وَيُخْشَى لَدَيْكَ ٱلنَّفْعُ وَٱلضَّرَرُ

---

(١) أيامك البيض ... (ل)

(٢) أمن وعفو وعدل ... (ع) و (م)

(٣) مذ طلعتْ (ع) و (م)

(٤) جوده (ل)

(٥) وقد كفروا (ل)

(٦) لم تجلها عنه شمسٌ لا ولا قمرُ (ل)

لاَ يَعْدَمُوا سَطَواتٍ طالمَا رَدَعَتْ مَنْ لَيْسَ يَرْدَعُهُ الْآياتُ وَالنُّذُرُ
أَهْلُ السَّلاَمَةِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ ما حُطْتَهُمْ ولِأَهْلِ الظُّلْمِ (١) مُزْدَجَرُ
ذَلَّلْتَ لِي الْخَطْبَ حَتَّى صِرْتُ أَذْعَرُهُ وَحْدِي إِذَا عَجَزَتْ عَنْ حَرْبِهِ الْأُسَرُ
وَأَثْمَرَتْ فِيكَ آمالِي وَلَوْ قَصَدَتْ سِوَاكَ كانَتْ غُصُونًا مالهَا ثَمَرُ
فَلْيَيْأَسِ الطَّالِبُو مَدْحِي فَمَطْلَبُهُ إِلاَّ عَلَى مَنْ كَفانِي بَذْلَهُ عَسِرُ
ظَنُّوا نَوالَهُمُ قَصْدِي وَمُمْتَنِعٌ أَنْ يَأْكُلَ الْبازُ مِمَّا يَأْكُلُ النُّغَرُ (٢)
لَنْ أَجْعَلَ الْحَمْدَ ذُخْراً عِنْدَ غَيْرِكَ لِي مَنْ فازَ بِالْغَمْرِ لَمْ يَصْلُحْ لَهُ الْغُمَرُ (٣)
وَلَنْ أَخِفَّ إِلَى جَدْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ أَنَّى وَظَهْرِي بِمَا حَمَّلْتَنِي وَقِرُ
حَسْبِي إِذَا أَنَا فاخَرْتُ الْوَرَى حَسَباً أَنِّي بِخِدْمَةِ هٰذَا الْمُلْكِ أَفْتَخِرُ (٤)
بِكُلِّ عَذْرَاءَ يُطْغِيها (٥) تَبَرُّجُها وَمِنْ صِفاتِ الْحِسانِ الْخُرَّدِ الْخَفَرُ
مِنَ السَّوَائِرِ فِي الْآفاقِ قَدْ جَمَعَتْ مِنْ مَأْثُرَاتِكَ مَالاَ تَجْمَعُ السِّيَرُ (٦)
تَحْوِي الصَّحائِفُ مِنْهَا كُلَّمَا كُتِبَتْ عَرْفاً هُوَ الْمِسْكُ لاَ مَا تَضْمَنُ الْعِتَرُ

(١) ولأهل البغي ... (ل)
(٢) النُّغَر : البلبل وفراخ العصافير .
(٣) الغَمْرُ : الماء الكثير . والغُمَر : قدح صغير وقيل أصغر الأقداح .
(٤) مفتخرُ (ل)
(٥) يطربها (ل)
(٦) السورُ ؟ (ل)

إنْ قَصَّرَتْ دُونَ مَا تُولِي فَلَيْسَ بِهَا ... وَأَنْتَ تَعْلَمُ عَنْ نَيْلِ السُّهَى قِصَرُ

فَاقَتْ هِبَاتُكَ أَوْفَى مَا أَقُولُ فَمَا ... أَسْرَفْتُ فِي الشُّكْرِ إلاَّ قِيلَ مُخْتَصِرُ

مَتَى أُكَافِئُ ما خَوَّلْتَ مِنْ نِعَمٍ ... وَالْمَدْحُ فِي جَنْبِ ما خَوَّلْتَ مُحْتَقَرُ

بَقِيتَ ما دَامَتِ الأَعْيادُ عائِدَةً ... مُخَلَّدَ الْمُلْكِ مَمْدُوداً لَكَ (١) الْعُمُرُ

وَلاَ عَدَاكَ ثَنَاءُ الْمادِحِينَ فَكَمْ ... قَدَّتْ فِقَارَ حَسُودٍ هٰذِهِ الْفِقَرُ

٤٥

وقال (٢) يمدح ناصر الدولة بن حمدان (٣)

سَلْ عَنْ فَضائِلِكَ الزَّمانَ لِتُخْبَرا (٤) ... فَنَظِيرُ مَجْدِكَ (٥) ما رَآهُ وَلاَ يَرا (٦)

أَوْ لاَ فَدَعْهُ وَادَّعِ الشَّرَفَ الَّذي ... أَعْيا الأَنامَ فَلَسْتَ تَلْقَى مُنْكِرا

ما احْتاجَ يَوْماً أَنْ يُقامَ بِشاهِدٍ ... حَقٌّ أَزالَ الشَّكَّ وَاجْتاحَ الْمِرا

وَلَقَدْ جَمَعْتَ مَناقِباً ما اسْتَجْمَعَتْ ... مَشْهُورَةً ما اسْتَعْجَمَتْ فَتُفَسَّرا

---

(١) له (م)

(٢) موضع هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح الأمير ناصر الدولة بن حمدان وأنشده إياها في عيد الفطر سنة ست وثمانين وأربعماية » هكذا وهو من سهو الناسخ وصوابه « سنة ست وثلاثين وأربعماية »

(٣) هو ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة . انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٤) ليخبرا (م)

(٥) ملكك (ع) و (م)

(٦) ما أراه ولا يُرى (ل)

وَمَلَكْتَ أَهْوَاءَ النُّفُوسِ بِأَنْعُمٍ عَمَّتْ فَأَيْسَرُ[١] حَقِّهَا أَنْ تُشْكَرَا
مَنٍّ[٢] يَلُوحُ عَلَى الْجِبَاهِ مُسَطَّرًا[٣] وَهَوًى يَظَلُّ عَلَى الْقُلُوبِ مُسَيْطِرَا
لَوْ لَمْ تُمَلِّكْكَ الْأُمُورُ قِيَادَهَا ضَعُفَتْ قُوًى مِمَّا عَرَا وَوَهَتْ عُرَى
فَطُلِ الْكِرَامَ فَأَنْتَ أَثْبَتُهُمْ قَرًا فِي حَمْلِ نَائِبَةٍ وَأَعْجَلُهُمْ قِرَى[٤]
لَسَهِرْتَ فِي حِفْظِ الذِّمَارِ[٥] وَإِنَّهُ مَجْدٌ لَدُنَّكَ[٦] أَنْ يَنَامَ وَتَسْهَرَا
فَالسِّلْمُ[٧] مِثْلُ الْحَرْبِ مُنْذُ تُخُوِّفَتْ وَثَبَاتُ بَأْسِكَ وَالْإِقَامَةُ كَالسُّرَى
مَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مَظْنُونًا وَلَا مُتَوَهَّمًا فَجَعَلْتَهُ مُسْتَشْعَرَا
قَدْ فَاقَ جَدُّكَ جَدَّ عَمِّكَ[٨] وَهْوَ مَنْ ذَلَّتْ لِسَطْوَةِ عِزِّهِ أُسْدُ الشَّرَى
إِنْ كَانَ هَذَا الْجَدُّ أَرْدَى تُبَّعًا خَوْفًا وَذَاكَ الْجَدُّ رَوَّعَ قَيْصَرَا
فَافْخَرْ فَأَنْتَ السَّيْفُ يَفْرِي[٩] مُغْمَدًا قِمَمَ الْعِدَى وَاللَّيْثُ يَفْرِسُ[٩] مُخْدِرَا

---

(١) بأيسر (ل)
(٢) مَنًّا (ل)
(٣) مُسَطَّرٌ (م)
(٤) القَرا : الظهر . والقِرى : ما قُري به الضيف .
(٥) الزمان (ل)
(٦) كذا ولعله (لِدِينِكَ) وفي(ل) مجدٌ لربك أن تنام وتسهرا (ل)
(٧) فالسيل مثل الحرب منذ تحرقتْ
وثبات جأشك والإقامة كالسُّرى (ع) و (م)
(٨) عمه هو سيف الدولة بن حمدان .
(٩) تفري ... تفرس (ل)

جَرَّدْتَ رَأْيَكَ وَالسُّيُوفُ مُقَرَّةٌ بِغُمُودِها فَكَفَيْتَهَا أَنْ تُشْهَرَا
وَلَوِ الْوَغَى شُبَّتْ كَفَيْتَ مُصالِتاً كَيْدَ الطُّغَاةِ كَمَا كَفَيْتَ مُدَبِّرَا
لَمْ (١) لَا تَعِزُّ وَأَنْتَ غُرَّةُ أُسْرَةٍ ضَمِنَتْ لَهَا النَّخَوَاتُ أَلَّا تُقْهَرَا
قَدْ أَصْبَحَ اسْمُكَ عَنْ قِرَاعِكَ نَائِباً وَكَفَى الْعَدُوَّ مُرَوَّعاً أَنْ تُذْكَرَا (٢)
لِلدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ (٣) مِنْكَ ذَخِيرَةٌ جَلَّتْ فَحُقَّ لِمِثْلِهَا أَنْ يُذْخَرَا (٤)
يَا سَيْفَهَا الْمَاضِي وَنَاصِرَهَا افْتَخِرْ بِمَكَانِكَ الْأَعْلَى عَلَى كُلِّ الْوَرَى
إِنَّ الْخَلَائِفَ مُذْ بَلَوْكَ نَصَاحَةً جَعَلُوا لَكَ الشَّرَفَ الرَّفِيعَ مُقَرَّرَا (٥)
وَصَّى بِذَاكَ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ ابْنَهُ قِدَماً وَأَوْصَى الظَّاهِرُ الْمُسْتَنْصِرَا (٦)
ضَنّاً بِمَنْ يَغْشَى الْوَغَى مُتَبَرِّجاً غِرّاً وَإِنْ (٧) وَهَبَ الْجَزِيلَ تَسَتَّرَا
مَحْضُ الْإِبَاءِ مِنَ النَّزَاهَةِ كُوِّنَتْ أَفْعَالُهُ وَمِنَ النَّبَاهَةِ (٨) صُوِّرَا
قَلْبٌ لَهَا بِالنُّسْكِ عَنْ ذِكْرِ الْخَنَا وَلُهًى أَبَتْ (٩) لِلْوَفْرِ أَنْ تَتَوَفَّرَا

(١) لو لم تعز ... (ع) و (م)
(٢) أن يذكرا (ل)
(٣) الزهراء (ل)
(٤) أن تذخرا (ل)
(٥) هذا البيت ساقط من (ل)
(٦) المستظهرا ؟ (ل) وانظر الحاشية رقم (١ و ٣ و ٤) ص (٧٣)
(٧) فان وهب الجميل (ل)
(٨) التزاهة (ع) و (م)
(٩) ... بالوفر أن يتوفرا (ع) و (م)

لَوْ لَمْ يَفِضْ (١) ذَهَبَ الثَّنَاءِ إضاعَةً — أَوْ لا فَكانَ بِضاعَةً لا تُشْتَرى
يا بْنَ الأُلى قالَتْ لهم أفعالهم — لا يَسْتَحِقُّ سِواكُمُ أَنْ يَفْخَرا
العارِضِينَ (٢) إذا الكَرِيهَةُ عارَضَتْ — فَوْقَ المَعارِفِ (٣) كُلَّ لَدْنٍ أَسْمَرا
بَيْنَ الأَسِنَّةِ وَالأَعِنَّةِ ذُبَّلٌ — لا تَكْسِرُ (٤) الأَعْداءَ حَتّى تُكْسَرا
وَرَدُوا بِهِنَّ مِنَ الدُّرُوعِ غَدائِراً — يَأْبى تَحَطُّمُها بِها أَنْ تَصْدُرا (٥)
ما ضَرَّ مَنْ أَصْبَحْتَ تَكْلأُ شامَهُ — عَضاءُ عَزْمِكَ أَنْ يَغيبَ وَتَحْضُرا (٦)
ما خَصَّ خالِقُنا بِقُرْبِكَ بَلْدَةً — إلّا أَتاحَ لَها الصَّلاحَ الأَكْبَرا
قَدْ (٧) كُنْتَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَرَّةً — فَأَرَيْتَها مِنْ عَدْلِكَ الإِسْكَنْدَرا
يَبْغي العِدى إطْفاءَ نارِكَ ضَلَّةً (٨) — فَيَزِيدُها هٰذا الفَعالُ تَسَعُّرا
فَتَقَدَّمِ الأُمَراءَ غَيْرَ مُنازَعٍ — فَوَراءَ زَنْدِكَ كُلُّ زَنْدٍ قَدْ وَرى

---

(١) لو لم تفض (ل) لو لم تهب (ع) بين السطرين .
(٢) القاتلين ؟ (ل)
(٣) المعارف : جمع مَعْرَفَة وهي موضع العُرف من الفرس .
(٤) لا يكسر الاعداء (ع) و (م)
(٥) أن يصدرا (ل)
(٦) هذا البيت ساقط من (ل)
(٧) هذا البيت وخمسة وعشرون بيتاً بعده ساقطة من هذه القصيدة في (ل) وواردة فيها خطأ بعد البيت السابع من القصيدة التي تلي هذه القصيدة وأولها « ما ذى المساعي الغر في قدر الورى فلذاك نحن نظن يقظتنا كرى » انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٦٤)
(٨) غلةً (م)

إِنْ حَاوَلُوا إِدْرَاكَ سَعْيِكَ خُيِّبُوا فَلْيُشْبِهُوكَ تَصَوُّنًا وَتَصَوُّرا

مَا بَيْنَ مَجْدِكَ وَالْمُحَاوِلِ نَيْلَهُ إِلاَّ كَمَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثَّرَى

أَصْبَحْتَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ فَلَوْ جَرَى وَهْمُ الْمُنَافِسِ فِي مَدَاكَ تَقَطَّرا[1]

أَمَّا الصِّيَامُ فَقَدْ قَضَيْتَ فُرُوضَهُ بِقَضِيَّةٍ[2] مَا حُلْتَ عَنْهَا مُفْطِرا

لَمَّا أَقَامَ لَدَيْكَ حَلَّ مُوَقَّرا وَقَدِ اسْتَقَلَّ بِشُكْرِ صُنْعِكَ مُوقَرا

شَهْرٌ نَمَتْ بَرَكَاتُهُ فَتَهَنَّهُ حَتَّى لَقَلَّدَ[3] مِنَّةً لَنْ تُكْفَرا

شَهْرٌ بِهِ نَزَلَ الْكِتَابُ وَجَاءَنَا فِيهِ الْكِتَابُ بِمَا يَسُرُّكَ مُخْبِرا

خَبَرٌ تَقَدَّمَهُ إِلَيْنَا عَرْفُهُ حَتَّى أَتَى قَبْلَ الْبَشِيرِ مُبَشِّرا

حَيَّاكَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِنَسِيمِهِ فَكَأَنَّهُ إِذْ جَاءَ جَاءَ مُكَرَّرا

لَوْ لَمْ يُفَضَّ عَنِ الْكِتَابِ خِتَامُهُ أَغْنَاهُ طِيبُ نَشْرِهِ أَنْ يُنْشَرا

قَدِمَتْ بِمَقْدَمِهِ سَعَادَاتُ الْمُنَى وَبِهِ تَسَالَمَتِ النَّوَاظِرُ وَالْكَرَى

أَبَداً[4] مَعَدٌّ[5] عِنْدَ عَدِّ ثِقَاتِهِ الْ مُسْتَخْلَصِينَ لَهُ[6] أَعَدَّ الْخِنْصَرا

---

(١) في الأصل : (تفطّرا) .

(٢) بتقيّةٍ ما خُلْتَ ...؟ (ل)

(٣) تقلّد (ل)

(٤) أبدى (ل)

(٥) معد : هو المستنصر بالله الخليفة الفاطمي .

(٦) لمن أعدّ الخنصرا (ل)

وَٱخْتَارَ مِنْ تَاجِ ٱلرِّيَاسَةِ مَنْ بِهِ فَاقَ ٱلْأَئِمَّةَ فِكْرَةً وَتَخَيُّرا
مَنْ نابَ[(١)] فَخْرُ ٱلْمُلْكِ عَنْهُ فَلَمْ يَزَلْ لِلْمُلْكِ بِٱلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ مُظَفَّرا
إِنَّ ٱلْوِزَارَةَ مُذْ تَحَلَّتْ بِٱسْمِهِ عَزَّتْ ذُرَى فِي ظِلِّهِ[(٢)] وَعَلَتْ ذُرَى
أَفْضَى إِلَى ٱلْمُتَهَلِّلِ ٱلْعَذْبِ ٱلْجَنَى مَا فَارَقَ[(٣)] ٱلْمُتَجَبِّرَ ٱلْمُتَكَبِّرا
شُكْراً لِمَا فَعَلَ ٱلزَّمَانُ وَمَنْ لَنَا لَوْ كَانَ قَدَّمَ مُجْمِلاً مَا أَخَّرا
فَٱسْعَدْ بِعِيدٍ يَتْبَعُ ٱلنَّبَأَ ٱلَّذِي أَطْرَا لَنَا فِعْلَ ٱللَّيَالِي إِذْ طَرَا
وَتَمَلَّ عُمْرَ أَبِي عَلِيٍّ[(٤)] إِنَّهُ فَرْعٌ أَنَافَ فَجَاءَ يَحْكِي ٱلْعُنْصُرا
قَدْ هَمَّ أَنْ يَرْقَى مَحَلَّكَ بَلْ رَقَا وَسَعَى لِيُحْرِزَ[(٥)] مَأْثُرَاتِكَ بَلْ جَرَى
هَوِيَ ٱلْجَمِيلَ فَفَاقَ مِثْلَكَ مَخْبَراً وَحَوَى ٱلْجَمَالَ فَرَاقَ مِثْلَكَ مَنْظَرا
وَمَضَتْ عَزَائِمُهُ وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ لِٱبْنِ ٱلْغَضَنْفَرِ أَنْ يَكُونَ غَضَنْفَرا
فَلْيَلْحَقِ ٱلنُّعْمَانَ فِي سُلْطَانِهِ بَلْ فَلْيَطُلْهُ فَقَدْ عَلَوْتَ ٱلْمُنْذِرا[(٦)]
سَهَّلْتَ لِي نَهْجَ ٱلْغِنَى مَعَ أَنَّنِي لَمْ أَلْقَهُ فِيمَا مَضَى مُتَوَعِّرا[(٧)]

---

(١) لأناب ... (ع) و (م)
(٢) في فضله (ع) و (م) (٣) كذا ولعله (مُذْ فارق)
(٤) أبو علي : هو ابن الممدوح واسمه الحسين بن الحسن ولقبه ناصر الدولة كلقب ابيه . انظر الحاشية رقم (١) ص (١٧)
(٥) ليدرك ... (ل)
(٦) النعمان والمنذر من ملوك الحيرة في الجاهلية .
(٧) متعذّرا (ل)

لٰكِنْ أَنلتَ (١) وَدوحُ حالي مُزْهِرٌ فَسقَيْتَهُ بِنَداكَ حتّى أَثْمَرا

جُودٌ (٢) كَفى ٱلآمالَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ما كانَ مُسْتَقْصًى وَلاَ مُسْتَقْصَرا (٢)

إِنْ رَاقَكَ ٱلشُّكْرُ (٣) ٱلحَلالُ فَإِنَّني سَأُدِيرُ كاساتِ ٱلثَّناءِ لِتَسْكَرا

سُكْراً لَوَ ٱنَّ أَبا نُواسٍ ذَاقَهُ يَوْماً لأَنْساهُ سُلافَةَ عُكْبَرا (٤)

مِنْ بَحْرِ فِكْرِي تقتَنى (٥) ٱلدُّرَرُ ٱلَّتي أَعْيَتْ نَظائِرُها عَلَى مَنْ فَكَّرا

فَلأَنظِمَنَّ لِذَا ٱلْعَلاَءِ (٦) قَلاَئِداً مُتَضَمِّناتٍ ذَا ٱلْكَلاَمَ ٱلأَسْيَرا (٧)

تَبْدُو لِرَائِيها فَتُحْسَبُ جَوْهَرا وَتَفُوحُ (٨) رَيَّاها فَتُحْسَبُ عَنْبَرا

شَرُفَتْ لَدَيْكَ مَطالِبِي وَمَكاسِبِي فَغَدَوْتُ (٩) مِنْ وَفْرٍ وَفَخْرٍ مُكْثِرا

وَهَجَرْتُ أَمْلاكَ ٱلزَّمانِ مُواصِلاً هٰذَا ٱلْجَنابَ وَحُقَّ لِي أَنْ أَهْجُرا

لَوْ رُمْتُ نَيْلَكَ عِنْدَهُمْ لَعَدِمْتُهُ أَوْ رُمْتُ مِثْلَكَ فِيهِمُ لَتَعَذَّرا

(١) لكن أتيت ... (ل)
(٢) جوداً ... متقصّراً (ع) و (م)
(٣) الشكر الحلال (ل)
(٤) عُكْبَرا : بليدة من نواحي دُجَيْل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .
(٥) يقتنى (ل)
(٦) له العلاء (ع) و (م)
(٧) الأيسرا (ل)
(٨) في الأصل : ويفوح ... فيحسب .
(٩) فغدوت ذا وفر ... (ل)

ساجِلْ بِرَاحَتِكَ ٱلْبِحارَ فَإِنَّهـا بَحْرٌ تَضَمَّنَ مِنْ بَنانِكَ أَبْحُرا

وَٱسْلَمْ لِمَعْرُوفٍ رَفَعْتَ مَنارَهُ فَفَشا بِأَرْضِكَ مُذْ قَمَعْتَ ٱلْمُنْكَرا

وَٱبْجَحْ بِأَنَّكَ ذُو ٱلْأَحادِيثِ ٱلَّتِي ظَلَّ ٱلزَّمانُ بِنَشْرِها مُتَعَطِّرا

٤٦

وقال (١) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبري (٢)

ماذي(٣) ٱلْمَساعِي ٱلْغُرُّ فِي قَدْرِ ٱلْوَرَى فَلِذَاكَ نَحْنُ نَظُنُّ(٤) يَقْظَتَنا كَرَى

تُبْدِي لِأَعْيُنِنا فَضائِلَ ما رَأَتْ أَمْثالَهـا فِي ٱلْعالَمِينَ وَلاَ تَرَى

وَضَحَتْ لَنا فَعلاَؤُها لاَ يُمْتَرَى فِي صِدْقِهِ وَثَناؤُها(٥) لاَ يُفْتَرَى

قَدْ كُنْتُ عَنْ مَكْنُونِها مُسْتَخْبِرا فَغَدَوْتُ مُذْ قَرَّبْتَنِي مُسْتَخْبَرا

فَوَدِدْتُ أَيَّامِي تَكُونُ لَدَيْكَ أَعْ واماً وَساعاتِي ٱلْقَصِيرَةَ أَشْهُرا

لِأَرَى وَأَسْمَعَ كُلَّ لَحْظَةِ ناظِرٍ ما رَاقَ مُسْتَمَعاً وَأَذْهَلَ مَنْظَرا

---

(١) عنوان هـذه القصيدة في (ل) كما يلي : « وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدّة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدِّزْبري ويذكر الـقَوْد الذي أنفذه الى الحضرة — والقَـوْد : الخيل التي تُقاد بمقاودها ولا تُركب — وأنشدها يوم عيد النحر سنة ست وعشرين وأربع مئة »

(٢) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) ما هذه الأفعال في قدر الورى (ل) وعلى هامش (ع) و (م)

(٤) نحن نعدُّ ... (ل)

(٥) ونباؤها ؟ (ع) و (م)

يا مَنْ إِذَا نَشَرَ ٱلْأَنامُ حَدِيثَهُ مَلأَ [١] ٱلدُّنا عَرْفًا يفُوقُ ٱلْعَنْبرا [٢]

إِنْ فاحَ في أَقْصَى ٱلْبِلادِ فَبَعْدَ أَنْ أَضْحى ٱلشَّآمُ بِعَرْفِهِ مُتَعَطِّرا

حَتَّى خِلْنـــا دَوْحَهُ وَتُرابَهُ عُوداً قَمارِيًّا [٣] وَمِسْكاً أَذْفَرا

مَنْ أَصْدَرَ ٱلرَّاياتِ حُمْراً مِثْلَما أَصْدَرْتَها غِبَّ ٱلْحُرُوبِ تَصَدُّرا

وَمَلابِسُ ٱلتَّعْظِيمِ لائِقَةٌ بِمَنْ نعى [٤] إِذَا لَبِسَ ٱلْعَجاجَ ٱلْأَكْدَرا

لَوْلا ٱنْصِلاتُكَ وَٱلْحَوادِثُ [٥] جَمَّةٌ لَغَدَا ٱلْهُدَى مِمَّا عَرا وَاهِي ٱلْعُرى

بِكَ أَيَّدَ ٱلرَّحْمٰنُ ظـــاهِرَ دِينِهِ وَبِحَدِّ سَيْفِكَ يَنْصُرُ [٦] ٱلْمُسْتَنْصِرا

وَمَتَى تُخِيفُ [٧] عَصائِبٌ قَسَّمْتَها بَيْنَ ٱلْمَنايا وَٱلرَّزايا أَشْطُرا

ذَلَّلْتَهُمْ فَلِذاكَ أَرْخَى ذَيْلَهُ مَنْ كانَ قِدْماً لِلْحُرُوبِ مُشَمِّرا

---

(١) مَلَؤا ..(ع و (م)

(٢) ورد بعد هـذا البيت في (ل) خمسة وعشرون بيتاً أولهـا :

« قدكنت بالإسكندرية مرةً فأريتها من عدلك الإسكندرا»

وهي مقتطعة خطأ من القصيدة التي قبل هذه القصيدة انظر الحاشية رقم (٧) ص (٢٥٩)

(٣) العود القَماري : منسوب الى قَمار وهو موضع بالهند ينسب اليه العود .

« معجم البلدان »

(٤) كذا في (ع) و (م) بلا نقط . وفي (ل) يعني . ولعلها يُـعْي أو يُـغْـنِي.

(٥) والنوائب (ل)

(٦) تنصر (ل)

(٧) في (ل) تحيف . وفي (ع) و (م) محيف بلا نقط . ولعـل ما أثبتناه هو الصواب .

وَمَنَيْتَهُمْ بِالْفَقْرِ حَتَّى أَشْبَهَتْ ... فِي قِلَّةِ الْإِثْرَاءِ مَعْنٌ بُحْتُرا (١)
وَلَوَ انَّ غَيْرَكَ رَامَ ذُعْرَ سَوَامِهِمْ ... لَأَبَى (٢) لَهَا صُمُّ الْقَنَا أَنْ تُذْعَرا
حَتَّى إِذَا ما أَقْلَعَتْ ظُلَمُ الْوَغَى ... عَنْهُمْ وَأَبْصَرَ رُشْدَهُ مَنْ أَبْصَرا
عاذُوا بِمُلْكِكَ خاضِعِينَ لِيَأْمَنُوا ... صَرْفَ الرَّدَى وَاسْتَغْفَرُوكَ لِتَغْفِرا
فَمَنَعْتَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ مُسْتَبْدِلاً ... وَغَفَرْتَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ (٣) مُسْتَغْفِرا
وَلَّوْا وَقَدْ أَلْقَوْا أَعِنَّةَ خَيْلِهِمْ ... وَأَتَوْا وَقَدْ سُلِبَتْ (٤) قِلاصُهُمُ الْبُرَى (٥)
وَمَتَى جَنَوْا ثَمَرَاتِ وَعْدِكَ وَاعْتَدَوْا ... أَلْفَوْا وَعِيدَكَ مِثْلَ وَعْدِكَ مُثْمِرا
فَلْتَحْذَرِ (٦) الذُّؤْبانُ فِي فَلَوَاتِهـا ... أَسَداً تَحَامَتْ سُخْطَهُ أُسْدُ الشَّرَى
وَمُظَفَّراً كَفَلَتْ لَهُ عَزَمَاتُهُ ... أَنْ لاَ يُقَدِّمَ هَمَّهُ مَنْ أَخَّرا
إِنَّ ابْنَ (٧) جَرَّاحٍ دَعَاكَ وَمَالَهُ ... مِمَّا يُحَاذِرُ غَيْرَ عَفْوِكَ (٨) مُدَّرا

---

(١) مَعْن : بطن من ربيعة . وبُحْتر : بطن من طيء .
(٢) لأبت له صم القنا أن يذعرا (ع) و (م)
(٣) لم تجد (ل)
(٤) سلبوا (ل)
(٥) البُرى : جمع بُرَة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه
(٦) فليحذر (ل)
(٧) هو حسّان بن مفرّج بن دَغْفَل بن الجرّاح أمير طيء . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)
(٨) عزمك (ل)

فَأَجِبْ نِدَاءَ أَبِي ٱلنَّدَى فَلطَالَمَا ... نَادَاهُ غَيْرُكَ خَاضِعاً فَٱسْتَكْبَرَا

وَٱمْنُنْ عَلَيْهِ مُحَقِّقاً آمَالَهُ ... كَرَماً فَكُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلفَرَا

مَا كَانَ أَثْقَبَ زَنْدَهُ لَوْ أَنَّهُ ... مُسْتَقْبِلٌ مِنْ أَمْرِهِ مَا ٱسْتَدْبَرَا

خَلَّى بِلاداً بَعْدَ ذَمِّ وُرُودِهَا ... وَلَسَوْفَ يَحْمَدُ إِنْ عَفَوْتَ ٱلْمَصْدَرَا[1]

مُذْ رَاءَ أَفْنِيَةَ ٱلْمَمَالِكِ كُلِّهَا ... غُبْراً تَذَكَّرَ ذَا ٱلْجَنَابَ ٱلْأَخْضَرَا

فَبَكَى وَأَضْحَكَهُ ٱلرَّجَاءُ فَمَا رَأَتْ ... عَيْنٌ سِوَاهُ ضَاحِكاً مُسْتَعْبِرَا[2]

قَرَّتْ[3] جِيَادُ ٱلْخَيْلِ مُنْذُ كَفَيْتَهَا ... طَلَبَ ٱلْعَدُوِّ مُغَلِّساً وَمُهَجِّرَا

فَأَرَاحَهَا مَنْ لَا يُرِيحُ جِيَادَهُ ... حَتَّى تُثِيرَ بِكُلِّ أَرْضٍ عِثْيَرَا

حَتَّى لَقِيدَتْ بُدَّناً وَلَوَ ٱنَّهَا ... قِيدَتْ لِيَوْمِ وَغىً لَقِيدَتْ ضُمَّرَا

مِنْ كُلِّ أَشْقَرَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ ... تَغْشَى بِهِ وَخْزَ ٱلْأَسِنَّةِ أَشْقَرَا

يَتْلُوهُ أَدْهَمُ كَانَ وَرْداً بُرْهَةً ... مِمَّا تُسَرْبِلُهُ ٱلنَّجِيعَ ٱلْأَحْمَرَا

دَاجٍ وَيُشْرِقُ مِنْ ضِيَاءِ حُجُولِهِ ... فَيَخَالُهُ رَائِيهِ لَيْلاً مُقْمِرَا

وَوَرَاءَهُ خَيْلٌ كَأَنَّ جُلُودَهَا ... مِنْ نَسْجِ قُسْطَنْطِينَةٍ أَوْ عَبْقَرَا[4]

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)

(٢) في الأصل (مستبشرا) ولعل ما أثبتناه هو الصواب . وهذا البيت ساقط من (ع) و (م)

(٣) قَرَّتْ عِتَاقُ الخيل حين غَنِيتَ عن ... طلب الأعادي معتما ومهجِّرا (ل)

(٤) عبقر : موضع تزعم العرب أنه كثير الجن نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته .

لَقَد اُنْتَحَيْتَ[١] لِمُصْطَفِيكَ مَنَائِحًا ... تُعْيِي ٱلْمُلُوكَ مُقَدَّمًا وَمُؤَخَّرا

مِنْ بَعْضِ[٢] مَا سَلَبَتْ قَنَاكَ[٣] مِنَ ٱلْعِدىٰ ... مَا هٰذِهِ مِمَّا يُبَاعُ[٤] وَيُشْتَرىٰ

وَٱلْجَاهِلِيَّةُ كُلُّهَا كَانَتْ تَرىٰ ... عَقْرَ ٱلْقَلُوصِ نَدىً إِذَا ٱلْمَحْلُ ٱعْتَرىٰ

إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ[٥] وَلَوَ انَّهُمْ ... شَهِدُوا زَمَانَكَ مَا ٱسْتَحَلُّوا ٱلْمَيْسِرا

وَكَفَاهُمُ عَقْرَ ٱلْقَلُوصِ مُمَلَّكٌ ... بِعَطِيَّةِ ٱلدُّرَرِ ٱلثَّمِينَةِ مُوفِرا[٦]

وَنَشَرْتَ مِنْ كَشْفِ ٱلْمَظَالِمِ مَيْتَةً ... مَا كَانَ يَأْمُلُ آمِلٌ أَنْ تُنْشَرا[٧]

فَوَرىٰ[٨] بِحُكْمِكَ زَنْدُ عَدْلٍ قَدْ كَبَا ... وَكَبَا لِخَوْفِكَ[٩] زَنْدُ جَوْرٍ قَدْ وَرىٰ

وَحَسَمْتَ[١٠] ظُلْمَ ٱلظَّالِمِينَ فَعَادَ مَنْ ... يَمْشِي ٱلْعِرَضْنَةَ[١١] وَهْوَ يَمْشِي ٱلْقَهْقَرىٰ

---

(١) كذا ولعله (لقد انتخبتَ) وفي (ل) لقد انتحتك ...

(٢) من بعد (ع) و (م)

(٣) ظباك (ل)

(٤) مما تباع فتشترى (ل)

(٥) عصرنا (ل)

(٦) بعطية الدر الثمين موفّرا (هامش ع) يعطيه بالدرر الثمينة مقترا (ل)

(٧) ولقد نشرت ببعض عدلك سنةً ... ما كان يرجو آمل أن تنشرا (ل)

(٨) بعدلك (ع) و (م)

(٩) بخوفك (ع) و (م)

(١٠) وجشمت (ل)

(١١) ٱلعِرَضْنَةُ : البغي في المشي من النشاط .

فَٱلْجَوْرُ قَدْ أَلْغاهُ مَنْ لَمْ يُلْغِهِ وَٱلْحَقُّ مُعْتَرَفٌ بِهِ مَنْ أَنْكَرا[١]

خُلِقَ ٱلْمُظَفَّرُ بِٱلْفَضائِلِ وَٱلنُّهَى وَٱلْمَجْدِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْجَمِيلِ مُظَفَّرا

جَدٌّ يُشايِعُهُ عَلَى حَوْزِ ٱلْعُلَى جِدٌّ إِذا طَلَبَ ٱلْعَسِيرَ تَيَسَّرا

وَهِيَ ٱلْعُلَى وَأَبِيكَ لَيْسَ يَحُوزُها مَنْ لَمْ يَطِبْ أَصْلاً وَيَكْرُمْ عُنْصُرا

وَٱلتُّرْكُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ أَنَّهُمْ أَقْوَى وَأَصْلَبُ فِي ٱلْكَرِيهَةِ مَكْسِرا[٢]

وَٱلنَّبْعُ كَٱلشَّرْيانِ[٣] إِلاَّ أَنَّ ذا نَبْتُ ٱلْوِهادِ وَذاكَ نَبْتٌ فِي ٱلذُّرَى

باغِي نَظِيرِكَ فائِزٌ بِمُرادِهِ لٰكِنْ إِذا ٱلْتَقَتِ ٱلثُّرَيَّا وَٱلثَّرَى

فَلَأَنْتَ[٤] عِيدُ ٱلْمُسْلِمِينَ فَلا رَأَوْا رَبْعَ ٱلْمَعالِي مِنْكَ يَوْماً مُقْفِرا

وَنَداكَ رَوَّى رَوْضَ شِعْرِي بارِضاً[٥] حَتَّى لَصارَ كَما تَراهُ مُنَوِّرا

فَلْيَرْعَ مَجْدُكَ مِنْهُ كُلَّ خَمِيلَةٍ كَفَلَتْ لَها نُعْماكَ أَلاَّ تُمْعِرا[٦]

وَٱلرَّوْضُ[٧] لَسْتَ تَراهُ أَبْلَجَ ناضِراً إِلاَّ بِحَيْثُ تَرَى ٱلْحَيا مُثْعَنْجِرا[٨]

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)

(٢) المكسر : المخبر

(٣) النَّبع : شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام ينبت في قلة الجبل ، والنابت منه في السفح الشَّرْيان .

(٤) ولأنت ... (ل)

(٥) البارض : أول ما تخرج الأرض من نبت .

(٦) أمعرت الأرض : لم يكن فيها نبات أو قلَّ نباتها .

(٧) والروض ليس تراه اخضر يانعاً (ع) و (م)

(٨) المثعنجر : السائل .

إنّي وَجَدْتُكَ تاجَ كُلِّ مُمَلَّكٍ فَكَسَوْتُ هٰذا التّاجَ هٰذا الْجَوْهَرا

وَلَوَ انَّني أُجْرِي وَلَسْتُ بِفاعِلٍ قَلَماً بِمَدْحٍ في سِواكَ لَما جَرى

أَوْ كُنْتُ[1] غائِصَ غَيْرِ بَحْرِكَ لَمْ أَكُنْ مُسْتَخْرِجاً ذا اللُّؤْلُؤَ الْمُتَخَيَّرا

٤٧

وقال[2] يمدح نصر بن محمود[3]

هَلِ الْعَدْلُ إلاَّ دونَ ما أَنْتَ مُظْهِرُ أَوِ الْخَيْرُ إلاَّ ما تُذيعُ وَتُضْمِرُ

قَضى لَكَ بِالْعَلْياءِ عَزْمٌ وَهِمَّةٌ وَجودٌ وَإقْدامٌ وَفَرْعٌ وَعُنْصُرُ

وَرَأْيٌ كَفى كَيْدَ الْخُطوبِ وَقَبْلَهُ عَدَتْ غِيَرُ الْأَيّامِ إذْ لا مُغَيِّرُ[4]

بَلَغْتَ بِأَدْناهُ إلى الْغايَةِ الَّتي كَبا دونَها كِسْرى وَقَصَّرَ قَيْصَرُ

وَأَنّى يُجاريكَ الْعَلاءَ مُعَظَّمٌ يُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِ الْعُلى ما تُصَغِّرُ

يَخافُ مِنَ الْإقْدامِ ما لا تَخافُهُ وَيَرْقُدُ عَنْ مَنْعِ الذِّمارِ وَتَسْهَرُ

فَضَلْتَ الْحَيا السَّحّاحَ وَالْعامُ مُمْرِعٌ وَأَسْرَفْتَ في التَّهْطالِ وَالْعامُ مُمْعِرُ

---

(١) لو كنت (ل)

(٢) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ل)

(٣) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. انظر الحاشية رقم (٢) ص(٩١)

(٤) إذ لا معيِّرُ (ع)

وَدَانَتْ لَكَ الأَيَّامُ فَانْجابَ ظُلْمُها كَما انْجابَتِ الظَّلْماءُ والصُّبْحُ مُسْفِرُ[(١)]

وَكَانَ وَقارُ الشَّيْبِ فِي النَّاسِ فاشِياً فَأَعْلَمْتَهُمْ أَنَّ الشَّبِيبَةَ أَوْقَرُ

صَفَتْ[(٢)] نِعْمَتانِ خَصَّتاكَ وَعَمَّتا حَدِيثُهُما حَتَّى القِيامَةِ يُؤْثَرُ

وُجُودُكَ وَالدُّنْيا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ وَجُودُكَ وَالْمَعْرُوفُ فِي الخَلْقِ مُنْكَرُ

---

(١) والليل مسفر ؟ (م)

(٢) قال ابن العديم في زبدة الحلب من تاريخ حلب – مخطوط – : « وفي يوم عيد الفطر من سنة ثمان وستين وأربعمائة عيَّد نصر بن محمود في أحسن زي ، وكان الزمان ربيعاً والأرض نضرة ، واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ، ودخل عليه ابن حيُّوس فأنشده قصيدة منها :

صفت نعمتان خصَّتاك وعمَّتا حديثهما حتى القيامة يؤثرُ

فشرب إلى العصر وحمله السكر على الخروج إلى الأتراك وسكناهم في الحاضرة ، وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم ، فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله ، وذلك يوم الأحد مستهل شوال من سنة ثمان وستين وأربعمائة »

وذكر ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بترجمة الوزير عون الدين أبي المظفر يحي بن محمد بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ أن المستنجد بالله أمير المؤمنين أنشد وزيره أبا المظفر ، وقد مثل بين يدي سدته في أثناء مفاوضة جرت بينها ، فأعجب الخليفة به فأنشده يمدحه أربعة أبيات الأخيرين منهما للخليفة والأولين لابن حيُّوس وهي :

صفت نعمتان خصَّتاك وعمَّتا فذكرهما حتى القيامة يذكرُ

وجودك والدنيا إليك فقيرةٌ وجودك والمعروف في الناس منكر

فلو رام يا يحي مكانك جعفرٌ ويحي لكفَّا عنه يحي وجعفر

ولم أر من ينوي لك السوء يا أبا الـ مظفر إلاّ كنت أنت المظفر

« ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ورقة ٢٠٩/٢ مخطوط في دار الكتب الظاهرية

وانظر المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ ص ٢١٤ »

بِعارِفَةٍ لَوْ عارَضَتْ آلَ بَرْمَكٍ لَأَكْبَرَها يَحْيَى وَفَضْلٌ وَجَعْفَرُ (١)
وَلَوْ عايَنَتْكَ الْجاهِلِيَّةُ لَمْ يَئِدْ فَقِيرٌ وَلا ضَمَّ الْجَماعَةَ مَيْسِرُ
وَأَبْطَلَ عَقْرَ الْعَوْدِ فِيهِمْ مُبِيحُهُ لِمَنْ يَعْتَفِيهِ وَهْوَ بِالدَّبْرِ مُوقَرُ
إِذا عَزَمَتْ كَعْبٌ (٢) عَلَى حَوْزِ سُؤْدُدٍ قَضَى بِالَّذِي تَهْوَى الْقَضاءُ الْمُقَدَّرُ
وَهَلْ عَدِمَتْ أَعْداؤُها مِنْ سُيُوفِها رُسُوماً تُعَفَّى أَوْ قُرُوماً تُعَفَّرُ
إِذا لاقَتِ الْأَبْطالَ يَوْمَ كَرِيهَةٍ فَكَمْ أَبْطَلَتْ ما يَدَّعِيهِ السَّنَوَّرُ (٣)
لَها مِنْكَ يَوْمَ السِّلْمِ تاجٌ وَحُلَّةٌ تَزِينُ وَيَوْمَ الرَّوْعِ دِرْعٌ وَمِغْفَرُ
وَإِنَّكَ أَوْفاهـا بِعَهْدٍ وَذِمَّةٍ وَأَثْبَتُهـا وَالْخَيْلُ بِالْهامِ تَعْثُرُ
وَفارِسُها وَالْبِيضُ تَقْطُرُ مِنْ دَمِ الْ كُماةِ وَفُرْسانُ الْوَغَى تَتَقَطَّرُ
كَفِعْلِكَ بِالرُّومِيِّ إِذْ رامَ خُطَّةً تَكادُ سَماءُ الْعِزِّ فِيهـا تَفَطَّرُ
نَهَضْتَ إِلَيْهِ نَهْضَـةً شَرَفِيَّةً بِها الدِّينُ يُحْمَى وَالْخِلافَةُ تُنْصَرُ
رَفِيقُكَ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ أَبْيَضٌ وَهادِيكَ مِمَّا تُنْبِتُ الْخَطُّ أَسْمَرُ
وَقَدْ كانَتِ الرِّيحُ الرُّخاءُ تَغُرُّهُ إِلَى أَنْ أَتَتْهُ وَهْيَ نَكْباءُ صَرْصَرُ

(١) يحيى بن خالد البرمكي وابناه جعفر والفضل مشهورون بالكرم يضرب بجودهم المثل .
(٢) بنو كعب : بطن من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
(٣) السَّنَوَّر : جملة السلاح ولبوس من قِدٍّ كالدرع .

فَوَلّى وَلَوْلا حُسْنُ عَفْوِكَ لَمْ يَئِلْ وَلا عادَ عَنْهُ بِالنَّجاةِ مُبَشِّرُ

وَقَدْ عايَنُوا شَزْراً مِنَ الطَّعْنِ كافِلاً لِدِينِكَ أَلاَّ تَمْنَعَ الرُّومَ شَيْزَرُ (١)

بِعِزِّكَ سَرْحُ المُسْلِمِينَ مُمَنَّعٌ وَكانَ بِأَطْرافِ الأَسِنَّةِ يُذْعَرُ

وَلَمَّا تَعَدَّى التُّرْكُمانِيُّ (٢) طَوْرَهُ وَأَضْمَرَ بَغْياً ضِدَّ ما كانَ يُظْهِرُ (٣)

بَعَثْتَ إِلَيْهِ المُقْرَباتِ حَوامِلاً أُسُودَ وَغًى عَنْ ناجِذِ النَّصْرِ تَفْغَرُ

فَوَلَّتْ بِأَمْرِ اللهِ لا عَنْ مَخافَةٍ وَقَدْ يَحْضُرُ الرَّوْعَ الذَّلِيلُ فَيُنْصَرُ

فَفازَ بِكَسْرٍ (٤) عَجَّلَ اللهُ جَبْرَهُ وَأَعْقَبَهُ الكَسْرُ الَّذِي لَيْسَ يُجْبَرُ

وَرَجَّى سَفاهاً أُخْتَها وَهْوَ صائِمٌ فَأَدْرَكَهُ ما ساءَهُ وَهْوَ مُفْطِرُ

وَلَوْ لَمْ يُجِرْهُ اللَّيْلُ خامِسَ خَمْسَةٍ لَما عادَ مِنْ تِلْكَ الجُمُوعِ مُخَبِّرُ

وَأَخَّرَتِ الطُّلاَّبَ عَنْهُ عَصائِبٌ تُحَكِّمُ فِيها المُرْهَفاتُ وَتَأْسِرُ (٥)

فَإِنْ تَكُ أَسْرى عَفَّتِ البِيضُ عَنْهُمُ فَمِنْ بَعْدِ أَنْ عافَتْ ضِباعٌ وَأَنْسُرُ

---

(١) شَيْزَر : قلعة تشتمل على كورة قرب المعرّة بينها وبين حماة يوم . « معجم البلدان »

(٢) يريد بالتركماني : تركمان الغُزِّي . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٥٠)

(٣) في الأصل : « ضد ما كان يضمر » وهو من سهو النساخ .

(٤) بجبرٍ (م) ولعله : (ففاز بجبرٍ عجّل اللهُ كسرَهُ)

(٥) في الأصل : (وتوسرُ)

تَوَغَّلَ مُجْتاباً مِنَ ٱللَّيْلِ جُنَّةً ... وَعادَ وَأُخْرى لِلْكَرامَةِ تُذْخَرُ[1]

وَخُبْرُ أَخيهِ رَدَّهُ عَنْكَ سالِماً ... وَباءَ بِمَحْضِ ٱلذُّلِ مَنْ لَيْسَ يَخْبُرُ

مَلَكْتَ مِنَ ٱلدَّهْرِ ٱلْعَصِيِّ قِيادَهُ ... فَما قَدَّمَتْ أَحْداثُهُ مَنْ تُؤَخِّرُ

وَلَيْسَتْ تَرُدُّ ما أَمَرْتَ خُطوبُهُ ... وَلا تَرِدُ ٱلْأَمْلاكُ مِنْ حَيْثُ تَصْدُرُ

هُديتَ إِلى طُرْقِ ٱلْمَعالي وَما ٱهْتَدَوْا ... وَأَنْجَدْتَ في كَسْبِ ٱلثَّناءِ وَغَوَّرُوا

تَوَقَّلْتَ في تِلْكَ ٱلْهِضابِ فَحُزْتَها ... عَلَى أَنَّها لَوْلاكَ لَمْ تَكُ تُعْبَرُ

فَإِنْ طاوَلُوا أَوْ صاوَلُوا بِقَديمِهِمْ ... فَأَنْتَ بِما تَأْتي عَلَى ٱلطَّوْلِ أَقْدَرُ

وَإِنْ كُنْتَ ذا ٱلْجَدَّيْنِ جَلاًّ[2] وَأَعْظَما ... فَكُلٌّ بِهِ يَسْمُو ٱلزَّمانُ وَيَفْخَرُ

فَجَدٌّ بِهِ يَسْمُو جَوادٌ وَصارِمٌ ... وَجَدٌّ بِهِ يَعْلُو سَريرٌ وَمِنْبَرُ

بِنَصْرِ بْنِ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرٍ تَسَهَّلَتْ ... مَطالِبُ كانَتْ قَبْلَهُ تَتَوَعَّرُ

بِأَرْوَعَ أَعْمارُ ٱلْمَكارِمِ عِنْدَهُ ... تَطُولُ وَأَعْمارُ ٱلْمَواعيدِ تَقْصُرُ

لَجُوجٌ إِذا قادَ ٱللَّجاجُ إِلى ٱلْوَغى ... وَلُوجٌ وَنيرانُ ٱلْوَغى تَتَسَعَّرُ

إِذا عُدَّ صِدْقُ ٱلنَّاسِ أَوْ ذُكِرَ ٱلنَّدى ... فَما يَتَعَدَّاهُ لِسانٌ وَخِنْصَرُ

رُوَيْداً ٱلْمَساعي تَعْرِفِ ٱلْقَوْلَ مُقْصِداً ... فَما ٱلْقَوْلُ عَنْ هٰذا ٱلْفَعالِ مُعَبِّرُ

وَهَلْ بِٱلَّذي تَأْتي إِلى ٱلْوَصْفِ حاجَةٌ ... وَأَخْبارُهُ بِٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ تُشْهَرُ

---

(١) تدخر (م)

(٢) في الأصل (حلاً).

وَلٰـكِنَّهُ بِالشِّعْرِ يَزْدَادُ بَهْجَةً ... كَمَا ازْدَادَ حُسْنُ الرَّوْضِ وَهْوَ مُنَوِّرُ

لَقَدْ مَاتَتِ الْآمَالُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَلَوْلَا نَدَاكَ الْغَمْرُ لَمْ تَكُ تُنْشَرُ

فَيَالَيْتَ أَيَّامِي بِظِلِّكَ لَا انْطَوَى ... سِنُونَ وَسَاعَاتِي الْقَصِيرَةَ أَشْهُرُ

بِحَيْثُ اللُّهَى تَنْهَلُّ وَالْحَمْدُ يُقْتَنَى ... وَصِدْقُ الْمُنَى قَدْ شَاعَ وَالذَّنْبُ يُغْفَرُ

فَقُرْبُكَ أَنْسَانِي عَطَايَا بَلَوْتُهَا ... مِنَ الْمَطْلِ تُجْنَى بَلْ مِنَ اللُّؤْمِ تُعْصَرُ

مَنَاظِرُ رَاقَتْ لَمْ تُعِنْهَا مَخَابِرٌ ... وَمَا كُلُّ دَوْحٍ رَاقَ رَائِيهِ مُثْمِرُ

إِذَا عَذَرَ الْمَأْمُولُ فِي الْبُخْلِ نَفْسَهُ ... فَآمِلُهُ فِي مَنْعِهِ الشُّكْرَ أَعْذَرُ

وَعِنْدِي لِمَا خَوَّلْتَنِيهِ مَحَامِدٌ ... تَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بَلْ هِيَ أَسْيَرُ

غَرَائِبُ إِنْ لَاحَتْ فَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ ... ثَمِينٌ وَإِنْ فَاحَتْ فَمِسْكٌ وَعَنْبَرُ

وَمَا أَضْعَفَتْ عَشْرُ الثَّمَانِينَ مُنَّتِي ... كَمَا تُضْعِفُ الضِّرْغَامَ وَهْوَ غَضَنْفَرُ

أَرَى خَبَرَ الْبُخَّالِ يَهْلِكُ عَبْطَةً ... فَيُنْسَى وَأَخْبَارُ الْكِرَامِ تُعَمَّرُ

وَلَوْ[1] لَمْ يَكُنْ هٰذَا كَذَا مَاتَ حَاتِمٌ ... مَمَاتَ رِجَالٍ عَنْ مَدَى الْجُودِ قَصَّرُوا

فَلِلّٰهِ مَوْلًى أَصْبَحَ الْحَمْدُ دَأْبَهُ ... فَلَمْ يَعْدُهُ هٰذَا الثَّنَاءُ الْمُحَبَّرُ

مِنَ الذَّمِّ[2] مَعْصُومٌ كَأَنَّ مَغِيبَهُ ... وَلَوْ جُمِعَتْ فِيهِ أَعَادِيهِ مَحْضَرُ

وَمُعْتَرِفٌ لِلطَّالِبِينَ بِمَا ادَّعَوْا ... وَلٰـكِنَّهُ بَعْدَ الْمَوَاهِبِ مُنْكِرُ

---

(١) وإن لم يكن ... (م) . وحاتم الطائي يضرب بجوده المثل .

(٢) في الأصل : (من الدم) وهو تصحيف .

تَحُوزُ ٱلْغِنَى جَدْوَاهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... وَيَحْسَبُهَا لَمْ تُغْنِ فَهْوَ يُكَرِّرُ

كَصَوْبِ حَيًا عَمَّ ٱلْبِلَادَ بِغَيْثِهِ ... فَفَازَتْ بِأَقْصَى رِيِّهَا وَهْوَ مُمْطِرُ

بَقِيتَ بَقَاءَ ٱلْفَرْقَدَيْنِ مُلَازِماً ... جِوَارَهُمَا مَا جَاوَرَ ٱلْعَيْنَ مَحْجِرُ

وَلَا زَالَتِ ٱلْأَعْيَادُ تَقْدَمُ هٰكَذَا ... وَمُلْكُكَ مَحْرُوسٌ وَمَغْنَاكَ أَخْضَرُ

٤٨

وقال [١] يمدح الوزير اليازوري [٢]

تَمَنِّي ٱلْعُلَى سَهْلٌ وَمَنْهَجُهَا [٣] وَعْرُ ... وَشِيمَتُهَا إِلَّا إِذَا سُمْتَهَا [٤] ٱلْغَدْرُ

أَبَتْ كُلَّ مَنْ أَنْضَى [٥] إِلَيْهَا رِكَابَهُ ... فَلَا حَازِمٌ أَفْضَى إِلَيْهَا وَلَا غُمْرُ

وَأَغْلَيْتَ بِٱلْإِقْدَامِ وَٱلْجُودِ مَهْرَهَا ... فَأَحْجَمَتِ ٱلْخُطَّابُ لَمَّا غَلَا ٱلْمَهْرُ

فَمُذْ سُدْتَ لَمْ تَطْمَحْ بِذِي هِمَّةٍ مُنًى ... وَمُذْ جُدْتَ لَمْ يَسْنَحْ لِذِي مِنَّةٍ ذِكْرُ

فَضَحْتَ ٱلْأُلَى حَنَّتْ إِلَيْهَا قُلُوبُهُمْ ... فَمَا لَهُمُ فِيهَا قَلُوصٌ وَلَا بَكْرُ [٦]

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدح الناصر للدين أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ويهنيه بعيد وأنفذها إليه من دمشق »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) ومسلكها (ل)

(٤) إلاّ إذا شئتها (ل)

(٥) أنضتْ (ل)

(٦) أي ما لهم فيها ناقة ولا جمل .

هُمُ اعْتَذَرُوا قِدْماً بِإِشْكالِ طُرْقِها — عَلَيْهِمْ[١] فَمُذْ أَوْضَحْتَها لَمْ يَضِحْ عُذْرُ

عَلَوْتَ بِحُكْمٍ لاَ يُقارِنُهُ هَوىً — وَمَحْضِ وَفاءٍ لاَ يُقارِبُهُ خَتْرُ[٢]

وَعَدْلٍ سَواءٌ فِيهِ سُخْطُكَ والرِّضى — وَدِينٍ سَواءٌ فِيهِ سِرُّكَ وَالْجَهْرُ

وَطَبَّقَتِ الْآفاقَ أَخْبارُكَ الَّتي — إِذا نُشِرَتْ[٣] فِي بَلْدَةٍ كَسَدَ الْعِطْرُ

فَهَلْ وُلِّيَتْ رِيحُ ابْنِ داوُدَ حَمْلَها — فَغُدْوَتُها شَهْرٌ وَرَوْحَتُها شَهْرُ

أَحَلَّكَ فَوْقَ الْخَلْقِ قَدْراً وَرُتْبَةً — وَدِيناً وَدُنْيا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ

وَمُنْذُ أَخَفْتَ الدَّهْرَ لَمْ يَعْدُ حادِثٌ — وَلَمْ يَدْمَ لِلْأَيَّامِ نابٌ وَلاَ ظُفْرُ

وَمِنْكَ اسْتَفادَتْ كُلَّ أَمْرٍ يَزِينُها — فَلاَ عَجَبٌ أَنْ طاوَعَتْكَ وَلاَ نُكْرُ

وَما زالَ لِلرّاجِي[٤] لَهى كَفِّكَ الْغِنى — وَما زالَ لِلْجانِي التَّجاوُزُ وَالْغَفْرُ

وَيا رُبَّ جَبّارٍ أَرَدْتَ اجْتِياحَهُ — فَلَمْ يُنْجِهِ بَرٌّ وَلَمْ يُنْجِهِ[٥] بَحْرُ

وَأَيُّ خِلالِ الْمَجْدِ ما مَلَّكْتَكَهُ — وَإِنْ رَغِمَ الْحُسّادُ هِمَّتُكَ الْبِكْرُ

تَباعَدَ عَنْ إِنْعامِكَ الْمَنُّ وَالْأَذى — وَلَمْ تَنْفَصِلْ عَنْهُ الطَّلاقَةُ وَالْبِشْرُ[٦]

---

(١) عليها (ع) و (م)

(٢) غدرُ (ع) و (م)

(٣) نشدت (م)

(٤) ومازال للجاني لهى كفّك الغنى لديك وللجاني ... (ل)

(٥) ولم يحمه بحرُ (ل)

(٦) وقارنه منك الطلاقة والبشرُ (ل)

فِداؤكَ أَمْلاكٌ ثَوابُ عُفاتِها ... لَدَيْها الْعُبُوسُ الْجَمُّ وَالنَّظَرُ الشَّزْرُ
إِذا ما رُقُوا بِالْحَمْدِ لَمْ تَنْفَعِ الرُّقَى ... وَإِنْ سُحِرُوا بِالْمَدْحِ لَمْ يَنْفُذِ السِّحْرُ
ذَوُو عَزَماتٍ لا يُفَلُّ بِها عِدًى ... وَأَرْبابُ وَفْرٍ لا يُفَكُّ لَهُ أَسْرُ
وَعَزْمُكَ يَأْبَى أَنْ تَقُومَ مَقامَهُ ... مُهَنَّدَةٌ بِيضٌ وَخَطِّيَّةٌ سُمْرُ (١)
وَلَوْ أَنَّ أُسْدَ الْغابِ رِيعَتْ بِحَدِّهِ ... عَلَى عِزِّها لَمْ يَخْشَها الْغِفْرُ وَالْغُفْرُ (٢)
أَما قَوْمُكَ الْقَوْمُ الَّذِينَ إِذا جَنَوْا ... أَبَى عِزُّهُمْ أَنْ يُقْتَضَى عِنْدَهُمْ وِتْرُ
حَمِيَّةُ بَأْسٍ قَدْ تَلَتْهُ (٣) تَقِيَّةٌ ... فَطالُوا وَهُمْ بَدْوٌ وَطابُوا وَهُمْ حَضْرُ
أُسُودٌ (٤) عَلَى أُسْدِ الْكَرائِهِ (٥) قَدْ ضَرُوا ... إِذا حُوسِنُوا سَرُّوا وَإِنْ خُوشِنُوا ضَرُّوا
وَلَوْ أَنَّهُمْ أَصْلُ الْخُمُولِ وَفَرْعُهُ ... وَحُوشُوا وَأَنَّى تَهْبِطُ (٦) الْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
لَبَلَّغَتْهُمْ ما لَمْ تَنَلْهُ بِكَعْبِها ... إِيادٌ وَلَمْ تَبْلُغْ بِخالِدِها قَسْرُ (٧)

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) الغِفْر : ولد البقرة ، والغُفْر : ولد الأرويّة . وفي (ع) و (م) « لم يحيها العفو والغفرُ » وهو تصحيف .
(٣) تلتها (ل)
(٤) ليوث ... (ل)
(٥) الكرائة : جمع كريهة وهي الحرب .
(٦) وأنّى تدرك ... (ع) و (م)
(٧) كعب بن مامة الإيادي مشهور بالكرم والإيثار . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩) وخالد بن عبد الله القسري من أهل دمشق ، كان من خطباء العرب وأجوادهم ، ولاّه هشام بن عبد الملك العراقين .

فَضَلْتُمْ كِرَامَ ٱلنَّاسِ فِي كُلِّ سُؤْدُدٍ ... وَلاَ عَجَبٌ أَنْ يَفْضُلَ ٱلْيَرْمَعَ(١) ٱلدُّرُّ

إِذَا فاخَرَتْ(٢) بِٱلْجُودِ عُرْبٌ سِوَاكُمُ ... فَفَخْرُهُمُ ما تَمْنَحُ ٱلْجَفْنَةَ ٱلْقِدْرُ

وَعِنْدَكُمُ خَيْرُ ٱلْقِرَى وَوَرَاءَهُ ... وَلَوْ قَصُرَ ٱلْإِمْكانُ جُودُكُمُ ٱلْغَمْرُ

فَإِنْ(٣) نَعَمٌ بِٱلشَّلِّ بادَتْ فَلَمْ يَبِدْ ... عُرُوجُكُمُ إِلاَّ ٱلْمَوَاهِبُ وَٱلْعَقْرُ(٤)

وَقَدْ أُيِّدَ ٱلْإِسْلاَمُ مِنْكَ بِأُسْرَةٍ ... فَكانَ لَهَا ٱلْإِيوَاءُ مِنْ قَبْلُ وَٱلنَّصْرُ(٥)

بِكُلِّ مَنِيعِ ٱلْجَارِ ما سَلَّ سَيْفَهُ ... وَلَمْ يَكُ مِنْ أَضْيافِهِ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ

إِذَا طَلَبَ ٱلْغَايَاتِ لَمْ يَهْنِهِ ٱلْكَرَى ... وَإِنْ قَارَعَ ٱلْأَعْدَاءَ لَمْ يَنْهَهُ ٱلزَّجْرُ

تَفَرَّدَ تاجُ ٱلْأَصْفِيَاءِ بِحَوْزِها(٦) ... مَكَارِمُ جَمُّ ٱلْوَصْفِ فِي جَنْبِهَا نَزْرُ

تَلاَ رَهْطَهُ فِي كُلِّ فَخْرٍ(٧) سَمَوْأَلُهُ ... فَأَرْبَى كَمَا أَرْبَى عَلَى ٱلْأَنْجُمِ ٱلْبَدْرُ

وَلَمْ يَكُ مِثْلَ ٱلصُّبْحِ يَقْدُمُهُ ٱلدُّجَى ... وَلٰكِنَّهَا شَمْسٌ تَقَدَّمَهَا فَجْرُ

هُمَامٌ يَغُصُّ ٱلْحَاسِدِيهِ بِبَابِهِ(٨) ... بِمَا لَمْ يَغُصْ يَوْماً عَلَى مِثْلِهِ ٱلْفِكْرُ

---

(١) اليَرْمَعُ : حصى بيض رخوة تلمع .

(٢) إذا فخرت ... (ل)

(٣) وإن ... (ل)

(٤) الشَّلُّ الطرد . والعُروج : جمع عَرْج وهو القطيع من الإبل .

(٥) إشارة إلى أن الممدوح ينتسب الى الأنصار .

(٦) بحوزة ؟ (ل)

(٧) مَجد (ل)

(٨) ... الحاسدون بيانه ... فكرُ (ل)

وَيَحْكُمُ فِي أَهْلِ ٱلنِّفاقِ وَعِيدُهُ … بِأَضْعافِ ما يَقْضِي بِهِ ٱلْعَسْكَرُ ٱلْمَجْرُ (١)

وَمَلْكٌ تَوَالَى (٢) ذَبُّهُ (٣) وَعَطاؤُهُ … فَمَا (٤) خافَ (٥) مُغْتَرٌّ وَلاَ خابَ مُعْتَرُّ (٦)

إِذَا ظَلَّ يَحْمِي قِيلَ عَوْدٌ مُجَرَّبٌ … وَإِنْ ظَلَّ يَهْمِي قِيلَ بِٱلدَّهْرِ مُغْتَرٌّ

وما هِيَ إِلاَّ غِرَّةٌ سَنَّهَا ٱلنَّدَى … عَلَى (٧) غارَةٍ فِي مالِهِ شَنَّها ٱلشِّعْرُ

وَنَشْوَانُ مِنْ خَمْرِ ٱلْمَكارِمِ لَمْ يُفِقْ … فُوَاقاً (٨) وَلَوْلاَهُنَّ لَمْ يَدْرِ ما ٱلسُّكْرُ

فَلاَ يَطْمَعِ ٱلْعُذَّالُ مِنْهُ بِسَلْوَةٍ … لِغَيْرِ ٱلنَّدَى مِنْهُ ٱلْقَطِيعَةُ وَٱلْهَجْرُ

وَكَمْ (٩) قَدْ نَهاهُ ٱلنَّاصِحُونَ بِزَعْمِهِمْ … فَمَرَّ كَأَنَّ ٱلنَّهْيَ فِي سَمْعِهِ أَمْرُ

فَكُلُّ حَياً يَحْيا ٱلتُّرابُ بِمائِهِ … فِداءُ غَمامٍ مِنْ مَوَاطِرِهِ ٱلتِّبْرُ

يُحَجَّبُ إِعْظاماً وَما دُونَ عَدْلِهِ … وَفائِضِ جَدْوَاهُ حِجابٌ وَلاَ سِتْرُ

---

(١) الجحفل المجرُ (ل)

(٢) تولى ؟ (ل)

(٣) في جميع الأصول « دبه » وهو تصحيف .

(٤) فلا ... (ل)

(٥) كذا في جميع الأصول ولعله مصحّف عن (خان)

(٦) المُعْتَرُّ : المعترض للمعروف من غير أن يسأل .

(٧) على سمعه في غارةٍ شنّها الشعرُ (مسالك الأبصار ج ١٠) مخطوط

(٨) الفُواق : ما بين الحلبتين من الوقت .

(٩) فكم ... (ل)

وَيَطْفُو عَلَى ماءِ الْجَمالِ بِوَجْهِهِ حَياءٌ تَظَنّى جاهِلٌ أَنَّهُ كِبْرُ [(١)]

وَما [(٢)] ثَبَتَتْ إِلاَّ لَهُ حُجَجُ الْعُلَى وَلاَ أَقْلَعَتْ إِلاَّ بِهِ الْحِجَجُ الْغُبْرُ

وَلاَ هُوَ عِنْدَ الْفَخْرِ [(٣)] ذُو السُّؤْدُدِ الَّذِي يُقِرُّ بِهِ زَيْدٌ وَيَجْحَدُهُ عَمْرُو

خَلِيلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ انْجَلَتْ حَنادِسُ لاَ شَمْسٌ جَلَتْها وَلاَ بَدْرُ

وَأَمَّنْتَنا كَيْدَ الْخُطُوبِ الَّتِي عَرَتْ فَهانَتْ عَلَيْنا كُلُّ حادِثَةٍ [(٤)] تَعْرُو

مِنَ اللّهِ نَسْتَهْدِي لَكَ الْعُمْرَ الَّذِي يَطُولُ إِلَى أَنْ لاَ يُماثِلَهُ عُمْرُ

وَنَسْأَلُهُ إِيزاعَنا شُكْرَهُ الَّذِي تَوَخِّيهِ إِيمانٌ وَإِلْغاؤُهُ كُفْرُ

فَجاحِدُ ما تُولِي عَلَى اللّهِ مُفْتَرٍ وَكاتِمُهُ عَنْ ناجِذِ الْكُفْرِ مُفْتَرُّ

لَقَدْ أَشْكَلَتْ أَعْيادُنا مُنْذُ أَصْبَحَتْ تُشاكِلُها فِي الْحُسْنِ أَيّامُكَ الْغُرُّ

فَلَوْلاَ مَواقِيتٌ تَعالَمَها الْوَرَى لَما عُرِفَ الأَضْحَى لَدَيْنا وَلاَ الْفِطْرُ [(٥)]

كَفاكَ الرَّدَى مَنْ أَنْتَ ناصِرُ دِينِهِ فَلَمْ يَفْتَخِرْ إِلاَّ بِأَفْعالِكَ [(٦)] الدَّهْرُ

---

(١) كان الوزير اليازوري معروفاً بالحياء . ورد في ص ٤٥ من كتاب الإشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي ما نصه « . . وكان كثير الحياء ، وقيل إن تغميض عينيه إذا ركب لفرط حيائه ».

(٢) فما .. (ل)

(٣) ذي السؤدد ... (م)

(٤) نائبة (ل)

(٥) لما عرف الأضحى هناك ولا الفطرُ (ل)

(٦) إلا بأيامك الدهرُ (ل)

وَلاَ غاضَ مِنْ بَحْرِ الأَجَلَّيْنِ[1] زاخِرٌ ... عَلاَ طامِياً آذِيُّهُ وَنَأَى الْقَعْرُ

فَقَدْ حازَ هٰذَا الْعَصْرُ مِنكَ وَمِنْهُمَا ... فَضائِلَ لَمْ يَظْفَرْ بِأَيْسَرِها عَصْرُ

وَكَمْ مِنَّةٍ أَسْدَيْتَها وَشَكَرْتُها[2] ... فَأَسْدَيْتَ أُخْرَى لاَ يَقُومُ بِها[3] شُكْرُ

وَإِنْ طالَمَا أَرْسَلْتُ[4] غَيْرَ مُدَافِعٍ ... عُقُودَ ثَنَاءٍ دُرُّها الْكَلِمُ الْحُرُّ

وَأَهْدَتْ إِلَى مِصْرٍ دِمَشْقُ عَلَى النَّوَى ... نَظَائِرَ مَا تُهْدِيهِ دَارِينُ[5] وَالشِّحْرُ

قَرِيضاً[6] كَأَحْوَى الرَّوْضِ صَافَحَهُ النَّدَى ... نَدَى اللَّيْلِ لَمْ يُقْلِعْ وَصَابَحَهُ[7] الْقَطْرُ

يَخِفُّ عَلَى الأَفْوَاهِ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا ... فَيَشْدُو بِهِ شَرْبٌ وَيَحْدُو بِهِ سَفْرُ

وَيَعْرُبُ عَنْهُ حِينَ يُنْشَدُ[8] نَشْرُهُ ... وَمَا طِيبُ[9] مِسْكٍ لاَ يَضُوعُ لَهُ نَشْرُ

وَيَقْبُحُ إِدْلاَلِي بِنَظْمِ مَدَائِحٍ ... لِمَجْدِكَ أَدْنَى قُلِّهَا وَلِيَ الْكُثْرُ

---

(١) لعله يريد بالأَجلّيْن ولدي الممدوح خطير الملك وصفي الملك . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)

(٢) فشكرتها (ل)

(٣) لها (ل)

(٤) أسديت (ع) و (م)

(٥) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك . والشّحر ما بين عدن وعُمان وإليه ينسب العنبر الشّحري.

(٦) قريضٌ (ع) و (م)

(٧) وصافحه القطرُ (ل)

(٨) ينشر (ل)

(٩) ويا طيب ... (ع) و (م)

فَحَظُّكَ مِنْهَا مَا يُغَاظُ(١) بِهِ الْعِدَى وَحَظِّي الْغِنَى(٢) وَالْعِزُّ وَالْجَاهُ وَالْفَخْرُ

تَنَاءَتْ عَلَى الْوُصَّافِ(٣) أَوْصَافُكَ الَّتِي يُقَصِّرُ عَنْ إِدْرَاكِهَا النَّظْمُ وَالنَّثْرُ

وَلَيْسَ لِقَوْلِي عِنْدَمَا أَنْتَ فَاعِلٌ وَإِنْ جَلَّ عَنْ قَوْلٍ يُمَاثِلُهُ قَدْرُ

وَلٰكِنَّ شِعْرِي لِارْتِيَاحِكَ عَاشِقٌ وَمَا بَعُدَتْ يَوْماً عَلَى عَاشِقٍ مِصْرُ

* * *

(١) ما يغاض (ل)

(٢) وحظي الغنى والجاه والعز والفخرُ (ل)

(٣) على الأوصاف (ل)

٤٩

وقال (١) يمدح أمير الجيوش (٢) ويعزّيه بوفاة الظاهر لدين الله (٣) ويهنيه بجلوس المستنصر بالله (٤) ولده أنشده إياها في شعبان سنة ٤٢٧ .

لَوْ أَنَّ شَامِخَ قَدْرٍ دَافِعٌ قَدَرَا لَمْ يُخْتَرَمْ مَنْ لِإِعْزَازِ الْهُدٰى ظَهَرَا

(١) وردت هذه القصيدة في (ل) أولى قصائد قافية الراء ، وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح الأمير الأجل المظفّر أمير الجيوش ويعزّيه بوفاة مولانا الظاهر لإعزاز دين الله قدس الله روحه ويهنيه بجلوس الإمام المستظهر بالله ولده وأنشده إياها في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعماية » — كذا المستظهر وهو من سهو الناسخ والصواب المستنصر —

(٢) انظر ترجمته في الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) هو الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم الفاطمي العُبيدي . ولد بالقاهرة سنة (٣٩٥) وتولى بعد أبيه الحاكم سنة (٤١١) وكانت مملكته الديار المصرية وإفريقية وبلاد الشام . وفي أيامه استولى صالح بن مرداس الكلابي على حلب وحسّان بن مفرّج الطائي صاحب الرملة على أكثر بلاد الشام . وتوفي الظاهر بالقاهرة سنة (٤٢٧) « وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٤٦٣ »

(٤) هو المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي العُبيدي . ولد سنة (٤٢٠) وتولّى بعد موت والده سنة (٤٢٧) وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أهل بيته . خطب باسمه في بغداد مدة سنة ودعي له على منابر اليمن . وأقام في الأمر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس . وفي أيامه انقطعت دعوة الفاطميين من المغرب ومن الحرمين الشريفين ، وتوفي سنة (٤٨٧) . « وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٣٥ » ، أقول وفي أيامه خرجت بلاد الشام من حكم الفاطميين .

وَلَيْسَ يعْلُو قَرا[1] ٱلْغَبْرَاءِ مِنْ أَحَدٍ حَتّىٰ يَكُونَ لأَضْيَافِ ٱلْمَنُونِ قِرىٰ[2]

حَوادِثٌ لَمْ تُمَيِّزْ فِي تَصَرُّفِهَا مَنْ ضَيَّعَ ٱلْحَزْمَ مِمَّنْ أَكْثَرَ ٱلْحَذَرَا

وَلَوْ مَشَتْ غيرُ ٱلدَّهْرِ ٱلْبَرَاحَ لَهُ لَحَاوَلَتْ مِنْ رَدَاهُ مَطْلَبًا عَسِرا

وَرَدَّهَا سَيْفُهُ ٱلْمَاضِي مُفَلَّلَةً عَنْهُ وَلٰكِنَّهَا دَبَّتْ لَهُ ٱلْخَمَرَا

حَتّىٰ قَضَى مَا قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَراً وَكَمْ قَضَتْ مِنْهُ آمَالُ ٱلْوَرَىٰ وَطَرا

وَرَاغِبٍ عَنْ سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ فَارَقَهُ فَعَاضَهُ ٱللّٰهُ فِي[3] جَنَّاتِهِ سُرُرا

أَعْظِمْ بِهِ حَدَثًا أَفْضَىٰ إِلىٰ جَدَثٍ[4] عَرّىٰ ٱلْقُلُوبَ مِنَ ٱلْأَوْجَالِ حِينَ عَرا

دَمْعٌ تَرَقْرَقَ فِي ٱلْأَجْفانِ ثُمَّ رَقَا وَلَوْ تَأَخَّرَتِ ٱلْبُشْرىٰ إِذاً لَجَرىٰ

لَوْ لَمْ تَكُنْ لِدُمُوعِ ٱلْعَيْنِ عَاقِلَةً لَأَطْلَقَ ٱلْحُزْنُ دَمْعًا طَالَمَا أُسِرا

فَلْيَرْغَمِ ٱلدَّهْرُ أَنْفًا أَنَّ حَادِثَهُ أَرَادَنَا بِسُهَادٍ فَٱسْتَحَالَ كَرىٰ

رَزِيَّةٌ جَلَبَتْ نُعمىٰ وَزَنْدُ هُدًى لَمْ يَكْبُ إِلّا كَرَجْعِ ٱلطَّرْفِ ثُمَّ وَرىٰ

وَصَارِمٌ حَمَتِ ٱلدُّنْيَا مَضَارِبُهُ مَا قِيلَ أُغْمِدَ حَتّىٰ قِيلَ قَدْ شُهِرا

إِنَّ ٱلزَّمَانَ جَنىٰ لَمَّا جَنىٰ نَدَماً فَقَامَ مِنْ فِعْلِهِ فِي ٱلْحَالِ مُعْتَذِرا

---

(١) القَرا : الظهر . والقِرى : ما قُري به الضيف .

(٢) فلا يكون ... (ل)

(٣) من جناته (ع) و (م)

(٤) إلى حدثٍ (ل)

وَهَلْ يُبَاحُ حِمىٰ الدِّينِ الْحَنِيفِ وَقَدْ ... أَلْفى[1] مَعَدّاً مُعَدّاً لِلْهُدىٰ وَزَرا

فَقَامَ مِنْ دُونِ دِينِ اللهِ يَكْلَؤُهُ ... بِاللهِ مُسْتَنْصِراً لِلْحَقِّ مُنْتَصِرا[2]

وَقَدْ جَرىٰ الْقَلَمُ الْأَعْلىٰ بِنُصْرَتِهِ ... فَقَبْلَ يُدْعىٰ بِهِ مُسْتَنْصِراً نُصِرا

أَمَّتْ خِلَافَتَهُ رِيحُ النَّدىٰ يَسَراً ... وَظَلَّ نَشْرُ الدُّنا مِنْ نَشْرِهَا عَطِرا[3]

عُرْفاً وَعَرْفاً فَمَا يَنْفَكُّ آمِلُهُ ... يَسْتَنْزِلُ الْقَطْرَ أَوْ يَسْتَنْشِقُ الْقُطُرا[4]

وَخُصَّ بِالشَّرَفِ الْمَحْضِ الَّذِي ارْتَفَعَتْ ... لَهُ النَّوَاظِرُ وَالنُّورِ الَّذِي بَهَرا

نُورِ النَّبِيِّ الَّذِي مَا زَالَ مُنْتَقِلاً ... فِيمَنْ دَعَا ظَاهِراً مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرا

أَهْلُ الصَّفَا كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُمْ وَزَكَتْ ... فَكُلُّ صَفْوٍ سِوَاهُمْ عَائِدٌ كَدَرا

وَمَا بَقِي خَلَفٌ مِنْهُمْ فَمَا نَقَضَتْ ... مِنَ الْهُدىٰ وَالنَّدىٰ أَيْدِي الرَّدىٰ مِرَرا[5]

هُمُ الْأُلىٰ أَخَذَ اللهُ الْعُهُودَ لَهُمْ ... وَالنَّاسُ ذَرٌّ عَلَى مَنْ بَرَّ أَوْ فَجَرا

لِأَجْلِهِمْ خَلَقَ الدُّنْيَا وَأَسْكَنَهَا ... وَذَنْبُ آدَمَ لَوْلَاهُمْ لَمَا غُفِرا

أَئِمَّةٌ لَمْ يَغِبْ عَنَّا[6] لَهُمْ قَمَرٌ ... إِلَّا وَأَعْقَبَنَا مِنْ سِنْخِهِ[7] قَمَرا

---

(١) لقى (ل)

(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٣) أمّت خلافته ريحُ الندى نشرا ... فظل نشر الربى من نشرها عطرا (ل)

(٤) القَطر : المطر . والقُطر : العود الذي يتبخر به .

(٥) من الهدى والردى أيدي الورى المِرَرا ؟ (ل)

(٦) فينا (ع) و (م)

(٧) سنخهم (ل)

وَخَيْرُهُمْ وَأَنَا ٱلْمَسْؤُولُ ثَامِنُهُمْ كَمَا صَفِيُّ أَبِيهِ خَيْرُ مَنْ وَزَرا
مَنْ مَا يَزَالُ يُرِينَا مِنْ عَزَائِمِهِ فِي كُلِّ ظَلْمَاءَ تَدْجُو أَنْجُماً زُهُرا
عَوْدٌ إِذَا دَوْلَةٌ أَلْقَتْ مَقَالِدَهَا لِرَأْيِهِ لَمْ يَدَعْ فِي عُودِها خَوَرا
مَا زَالَ بِٱلْجِدِّ يَنْفِي كُلَّ نَائِبَةٍ حَتَّىٰ ٱسْتَقَامَ بِهِ ٱلْجَدُّ ٱلَّذِي عَثَرا
رَدَّ ٱلْوَزِيرُ ٱلْأَجَلُّ ٱلْعِزَّ مُقْتَبَلاً وَٱلْأَمْنَ مُنْبَسِطاً وَٱلْعَدْلَ مُنْتَشِرا
مُبَرِّحٌ بِٱلْعِدَىٰ يَأْبَىٰ ٱلْإِبَاءُ لَهُ أَنْ يُبْتَغَىٰ [1] عِنْدَهُ وِتْرٌ إِذَا وَتَرَا
ظُبَاكَ لَا شَكَّ مِنْ آرَائِهِ طُبِعَتْ فَمَا أَرَاقَتْ دَماً إِلَّا مَضَىٰ هَدَرا
يَا أَوْضَحَ [2] ٱلْبِيضِ عِنْدَ ٱلْمُجْتَلَىٰ أُثُرا [3] أَجَلْ وَأَشْهَرَهَا يَوْمَ ٱلْوَغَىٰ أَثَرا
ٱقْهَرْ [4] أَسَاكَ بِمَا قَدْ جَرَّ مِنْ فَرَحٍ فَكَمْ قَهَرْتَ عَزِيزاً قَطُّ مَا قُهِرا
فَهُوَ ٱلْأَسَىٰ كُلَّمَا سَكَّنْتَهُ سَكَنَتْ نِيرَانُهُ وَإِذَا [5] سَعَّرْتَهُ ٱسْتَعَرا
كَأَنَّ [6] حَظَّكَ مِمَّنْ غَابَ مُحْتَضَرا يَزِيدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ مَنْ حَضَرا
سَارَعْتَ مُنْصَلِتاً فِي أَخْذِ بَيْعَتِهِ حَتَّىٰ جَمَعْتَ عَلَيْهَا ٱلْبَدْوَ وَٱلْحَضَرا

---

(١) أن يبتغي غيره وتراً إذا وترا (ل)
(٢) بأوضح ... (ع) و (م)
(٣) الأثُر : الماء والرونق .
(٤) اسأل تَسَلَّ بما قد جاء من فرحٍ (ع) ... بما قد جرّ ... (م)
وعلى هامش (ع)
(٥) أسعرته (ع) و (م)
(٦) لأن ... (ع) و (م)

مُبادِرِينَ (١) لهَا مُسْتَعْصِمِينَ بها ... مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْحُسْنَى لِمَنْ بَدَرا
لَمَّا دَعَوْتَهُمُ عِزّاً لهَا الْجَفَلَى ... وَلَوْ سِوَاكَ دَعا ذُلاًّ لها النَّقَرَى (٢)
وَما تَمَيَّزَ فِيها مُذْ أَمَرْتَ بِها ... مَنْ يَنْزِلُ الْقاعَ مِمَّنْ يَسْكُنُ الْمَدَرا
جاؤُوكَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ قاطِعِينَ فَلاً ... تَلْقَى الْعَرَامِسُ نَصًّا دُونَها وَسُرَى (٣)
يُصافِحُونَ يَداً تَنْفِي بِسَوْرَتِها ... كَيْدَ الْخُطُوبِ وَنَسْتَسْقِي بِها الْمَطَرا
تَحْمِي وَتَهْمِي فَلاَ زالَتْ مُؤَمَّلَةً ... تُرْجَى لِمَنْعِ ثَرَاءٍ أَوْ لِرَيِّ ثَرَى
لَوْ لَمْ تَمُدَّ لَكَ الْأَيْدِي مَدَدْتَ قَناً (٤) ... عَوَّدْتَها تَرِدُ اللَّبَّاتِ وَالثُّغَرا
مَرَى سَدَادُكَ خَلْفَ الرَّأْيِ مُجْتَهِداً ... حَتَّى لَقَدْ قَلَّ خُلْفٌ وَاسْتَقَلَّ مِرا
وَأَيُّ سَعْيِكَ لِلإِسْلاَمِ ما حَمِدَتْ ... لَكَ الْخَلاَئِفُ فِيهِ الْوِرْدَ وَالصَّدَرا
تَقَدَّسَتْ (٥) رُوحُ مَنْ سَمَّاكَ عُدَّتَهُ ... فَنِعْمَ ما وَرَّثَ الْباقِي وَما ذَخَرا
وَمُنْتَضِيكَ وَقَدْ لَجَّ الْجِمَاحُ بِمَنْ ... بَغَى عَلَيْهِ (٦) فَكُنْتَ الصَّارِمَ الذَّكَرا

(١) مبادرين بها ... (ل)
(٢) الجَفَلَى : الدعوة العامة . والنَّقَرَى : الدعوة الخاصة .
(٣) يلقى العرامس نبضاً دونها وترا (ع) و (م) . والعَرامِس : جمع عِرْمِس وهي الناقة الصلبة . والسير النَّص : الجدُّ الرفيع.
(٤) تمد قناً (م)
(٥) فقدّست ... (ل)
(٦) بغى عليك وكنت ... (ع) و (م)

عَضْباً إِذَا شَهِدَ ٱلْهَيْجاءَ مُضْرَمَةً أَفْرَى[١] وَإِنْ شاءَ إِصْلاَحَ ٱلْأُمُورِ فَرَى
وَكَيْفَ يُصْبِحُ هٰذَا ٱلْحَقُّ مُهْتَضَماً وَقَدْ غَدَا دُونَهُ ذَا ٱللَّيْثُ مُهْتَصِرا
مُظَفَّراً لَمْ يَزَلْ فِي مَنْعِ حَوْزَتِهِ يَسْتَخْدِمُ ٱلْعِزَّ وَٱلتَّأْيِيدَ وَٱلظَّفَرا
مُذِ ٱصْطَفَاكَ لَهُ ٱلْمُلْكُ ٱلرَّفِيعُ ذُرىً وَذُدْتَ عَنْهُ ٱلْعِدىٰ أَضْحىٰ ٱلْمَنِيعَ ذُرَى
فَإِنْ يُفَوِّضْ إِلَيْكَ ٱلْأَمْرَ أَجْمَعَهُ فَبَعْدَما [٢] رُقْتَهُ مَرْأًى وَمُخْتَبَرا
لاَ يَطْلُبَنَّ[٣] ٱلْوَرىٰ ما أَنْتَ مُحْرِزُهُ أَجَلُّهُمْ خَطَراً مَنْ باشَرَ ٱلْخَطَرا
فَعاوَدَ ٱلْخَوْفُ أَمْناً وَٱلْمُباحُ حِمىً لِبَأْسِهِ وَوَفىٰ ٱلدَّهْرُ ٱلَّذِي غَدَرا
ما عادَ صَرْفُ ٱللَّيالِي فِي إِساءَتِهِ مُذْ أَحْسَنَ ٱللّٰهُ لِلدُّنْيا بِكَ ٱلنَّظَرا
فَأَنْتَ يا عُدَّةَ ٱلْإِيمانِ[٤] أَوَّلُ مَنْ يَعُدُّ ذَا ٱلدَّهْرُ مِنْ فَخْرٍ إِذَا فَخَرا
إِذَا جَحَدْناكَ ما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ كَفَرْناكَ وَٱلْمَغْبُونُ مَنْ كَفَرا
نُثْنِي بِآلاءِ مَنْ وَلاَّكَ نُصْرَتَنا فَشادَ إِقْدامُكَ ٱلْعِزَّ ٱلَّذِي دَثَرا
وَإِنَّ آلاءَهُ[٥] ما لاَ يُحِيطُ بِها وَصْفٌ عَلَى أَنَّها تَسْتَنْطِقُ ٱلْحَجَرا
مَدْحُ ٱلْأَئِمَّةِ شَيْءٌ لَيْسَ يَبْلُغُهُ جُهْدُ ٱلْبَلِيغِ وَإِنْ أَنْضىٰ لَهُ ٱلْفِكَرا

---

(١) أفرى : قطع على جهة الإفساد ، وفرى : قطع على جهة الإصلاح .
(٢) فعندما ... (ع) و (م)
(٣) لا تطلبن الورى ما أنت تحرزه (ع) و (م)
(٤) يا عدة الأيام (ل)
(٥) وإنّ آلاه مما لا يحبط بها (ل) وإنّ آلاءهم ما لا يحيط بها (ع) و (م)

مناقِبٌ عدد الأنفاسِ ما تركَتْ ... لفاخرٍ مِنْ جميعِ النّاسِ مُفتخرا
وكيفَ نُدْرِكُ بالأشعارِ وصفَ عُلَى ... نَعُدُّ إغراقَنا في وَصْفِها حَصَرا [1]
لا تَسْأَلَنَّ القَوافي عَنْ فَضائِلِهِمْ ... إنْ شِئْتَ تَعرِفُها فَاسْأَلْ بِها السُّوَرا

٥٠

وقال [2] يمدحه وأنشدها في السِّدلَّى [3]

سَمَا بِكَ دَهْرُكَ فَلْيَفْتَخِرْ ... عَلَى كُلِّ دَهْرٍ مَضَى أَوْ غَبَرْ
فَلَوْ أَنَّ أَيَّامَهُ أَوْجُهٌ ... لَكَانَتْ مَساعِيكَ فِيها غُرَرْ
وَكَمْ جَدَّ مُجْتَهِدٌ في طِلابِ ... عُلاكَ فَلَمْ يَكْتَحِلْ بالأَثَرْ

(١) قصرا (ع) و (م)

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدحه وأنشده إياها عند جلوسه في السِّدلِيّ يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة »

(٣) السِّدلِيّ : على فِعِلِيّ معرّب وأصله بالفارسية سِهْدِلَّهْ كأنه ثلاثة بيوت في بيت كالحاري بكُمَّين (لسان العرب) والحاري المنسوب الى الحِيرة كالحِيري. هذا تعريف السِّدلِيّ في كتب اللغة ولم تفسر المراد من الحاري والكُمَّين في هذا المقام . وشرحه المسعودي في كتابه مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦١ بقوله : « وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحِيري والكُمَّين والأروقة ، وذلك أن بعض سمّاره حدّثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحِيرة من النعمانية من بني نصر ، أحدث بنياناً في دار قراره وهي الحِيرة ، على صورة الحرب وهيئتها ، للهجه بها وميله اليها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله . فكان الرواق ←

وَأَيْنَ اَلثِّمادُ مِنَ اَلرَّافِدَيْنِ وَأَيْنَ مِنَ اَلْفَرْقَدَيْنِ اَلسَّمَرْ [١]

كَأَنَّكَ أَحْكَمْتَ رَيْبَ اَلزَّمانِ وَسُقْتَ إِلَى ما تَشــاءُ اَلْقَدَرْ

بِصَرْفِ اَعْتِزَامِكَ صَرْفُ اَلْخُطُوبِ وَكَفِّ اَنْتِقامِكَ كَفُّ اَلْغِيَرْ

وَطاوَعَكَ [٢] اَلدَّهْرُ فِيمَنْ تُرِيدُ فَمَنْ شِئْتَ ساءَ وَمَنْ شِئْتَ سَرّْ

هُنَاكَ اَنْفِرَادُكَ بِالْمُعْجِزَاتِ وَيَوْمُكَ ذَا فَهْوَ يَوْمٌ أَغَرّْ

وَهٰذَا اَلسِّدِلِّيُّ اَلذي مَا سَمَا لَهُ مَلِكٌ فِي قَدِيمِ اَلْعُصُرْ

رَفَعْتَ لَهُ قُبَّةً أَصْبَحَتْ تَطُولُ عَلى مَا عَلا وَاشْمَخَرّْ

إِذَا مَا بَدَتْ فِي اَلدُّجى خِلْتَهَا مُرَصَّعَةً بِالنُّجُومِ اَلزُّهُرْ [٣]

←— فيه مجلس الملك وهو الصدر ، والكُمَّان ميمنة وميسرة ،ويكون في البيتين اللذين هما الكُمَّان من يقرّب إليه من خواصه ، وفي اليمين منها خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب . والرواق قد عمّ فضاؤه الصدر والكُمَّيْن،والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمّي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحِيري والكُمَّيْن إضافةالى الحِيرة ، واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية » . وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ١ ص ٧١ بترجمة نصر الدولة أحمد بن مروان « ... وقيل دفن في القصر بالسِّدِلِّي ... والسِّدِلِّي بكسر السين المهملة والدال المهملة وبعدها لام مشددة مكسورة أيضاً قبة في القصر مبنية على ثلاث دعائم وهو لفظ عجمي معناه ثلاث قوائم » وتعريف المسعودي أوضح .

(١) السَّمر : ظل القمر .

(٢) فطاوعك ... (ل)

(٣) هذا البيت والأبيات الأربعة بعده يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

وَفِي ٱلدَّجْنِ تَحْسِبُهَا كَاعِباً (١) ... عَلَيْهَا ٱلسَّحَائِبُ (٢) مِثْلُ ٱلْأُزُرْ
تُرَاعُ لَهَا ٱلشَّمْسُ عِنْدَ ٱلطُّلُوعِ ... فَلَوْ مَلَكَتْ نَفْسَهَا لَمْ تُنِرْ
وَلَوْ رَاءَهَا (٣) ٱلْبَدْرُ فِي تِمِّهِ ... وَكَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ لَٱسْتَتَرْ
فَصَارَ لَهَا (٤) عَلَماً فِي ٱلْبِنَاءِ ... كَسِيرَةِ صَاحِبِهَا فِي ٱلسِّيَرْ
فَإِيوَانُ كِسْرَىٰ وَإِنْ أَعْجَزَ ٱلْـ ... ـبَرِيَّةَ فِي جَنْبِهِ مُحْتَقَرْ
وَكُلُّ بِنَاءٍ بَنَتْهُ ٱلْمُلُوكُ ... حَدِيثٌ عَلاَ وَقَدِيمٌ دَثَرْ
وَقَلَّ مَقَرّاً عَلَى ذِي ٱلصِّفَاتِ ... لِمَنْ نَصَرَ ٱلدِّينَ لَمَّا ٱنْتَصَرْ
فَأَضْحَتْ عُرَىٰ ٱلْحَقِّ فِي ظِلِّهِ ... بِرَغْمِ ٱلْعِدَىٰ مُحْكَمَاتِ ٱلْمِرَرْ
لِمُنْتَجَبِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُصْطَفَىٰ ٱلْـ ... ـمُظَفَّرِ سَيْفِ إِمَامِ ٱلْبَشَرْ
مَآثِرُ تُخْبِرُ عَنْ أَصْلِهِ ... وَمَا نَسَبَ ٱلسَّيْفَ مِثْلُ ٱلْأَثَرْ
وَكَمْ قَدْ بَنَاهَا ٱلْمُلُوكُ ٱلْأُلَىٰ ... فَأَعْيَتْ عَلَى بَدْوِهِمْ (٥) وَٱلْحَضَرْ
وَلَوْ يَظْفَرُونَ لَعَمْرِي بِهَا ... لَكَانَتْ لِتِيجَانِهِمْ (٦) كَٱلدُّرَرْ

(١) داعياً ؟ (ع) و (م)
(٢) عليها السحائب مثل الدرر (ل)
(٣) ولو زارها ... (ع) و (م)
(٤) بها (ع) و (م)
(٥) بدوها (ل)
(٦) بتيجانهم (ع) و (م)

شَآهُمْ إِلَى ٱلْمَجْدِ ذُو هِمَّةٍ ... بِبَاعٍ ٱلْمَجَرَّةِ عَنْهَا قِصَرْ

تَضِلُّ(١) مَنَاقِبُهُمْ فِي عُلَاهُ ... كَمَا ضَلَّ فِي ٱلرِّيحِ سَافِي ٱلْعَفَرْ

وَيَغْرَقُ جُودُهُمُ فِي نَدَاهُ ... كَمَا غَرِقَتْ فِي ٱلْأَتِيِّ ٱلْغُدُرْ

وَأَنَّى(٢) يُسَامِي سَحَابَ ٱلسَّمَاءِ ... فِي ٱلْأَرْضِ مِنْهُ ٱلْحَيَا ٱلْمُنْهَمِرْ

وَيُزْجِي(٣) ٱلظَّعَائِنَ صَوْبُ ٱلْبُرُوقِ ... وَبِشْرُكَ ذَا بَارِقٌ لَا يَغُرّْ

أَمَرَّ ٱرْتِيَاحُكَ حَبْلَ ٱلرَّجَا ... إِلَى أَنْ حَلَا لِلْمُنَى مَا أَمَرّْ(٤)

وَغَادَرْتَ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَرَرْتَ ... بِهَا أَثَرًا يَا لَهُ مِنْ أَثَرْ

أَبَانِيَ(٥) بِٱلسَّيْفِ أَعْلَيْتَهَا ... وَلَوْلَاكَ مَا قَامَ مِنْهَا حَجَرْ

مَحَوْتَ بِهَا أَثَرَ ٱلْمُفْسِدِينَ ... وَمَا لَيْسَ تَجْبُرُ لَا يَنْجَبِرْ

كَذَا يَبْلُغُ ٱلْعِزَّ مَنْ رَامَهُ ... وَيَعْمُرُ أَوْطَانَهُ مَنْ عَمَرْ

لَئِنْ حَمَلَ ٱلْوِزْرَ فِيهَا ٱلْعِدَى ... فَإِنَّكَ مِمَّا جَنَوْهُ ٱلْوَزَرْ(٦)

---

(١) تظل (ل)

(٢) فأنَّى يُشَامُ سحابُ السماءِ ... وفي الأرْض مثل الحيا المنهمِرْ (ل)

(٣) ويرجى الظعائن صوب البروق ... ونشرك ذا بارق لا يغرْ (ع) و (م)

(٤) أمَرَّ الحبلَ : فتله فتلاً شديداً . وأمَرَّ الشيءُ : صار مُرّاً . وهذا البيت وبعده أربعة أبيات يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

(٥) كذا في جميع النسخ ولعله (مباني)

(٦) الوِزْر : الإثم والثقل . والوَزَر : الملجأ والمعتصم .

أَحلُّوا مَحارِمَ مِنْ دُونِهـا ... تَكادُ ٱلسَّمٰوَاتُ أَنْ تَنفَطِرْ
وَقدْ وَارَدُوكَ (١) بِحارَ ٱلرَّدىٰ ... وَكَمْ وَارِدٍ مِنْهُمُ ما صَـدَرْ
رَضُوا بِٱلْفِرَارِ حِذَارَ ٱلْبَوَارِ ... وَلَوْ شِئْتَ لَمْ يُنْجِ مِنْها (٢) ٱلْمَفَرّْ
فَأَذْهَلْتَهُمْ عَنْ طِلَابِ ٱلتِّرَاتِ ... فَكَمْ مِنْ دَمٍ مَرَّ مِنْهُمْ هَدَرْ
وَما (٣) يَقْتَضُونَكَ تِلْكَ ٱلدُّيُونَ ... وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي عِدَادِ ٱلشَّجَرْ
مَنِيَّتُهُمْ (٤) بِجِوَارِ ٱلصَّلِيبِ ... وَمَنْ لَمْ تُجِرْ مِنْهُمُ لَمْ يُجَرْ
وَقَدْ ذَلَّ مَنْ حاوَلُوا نَصْرَهُ ... فَكَيْفَ (٥) يَعِزُّ بِهِ ٱلْمُنْتَصِرْ
وَعَزَّ عَلَى ٱلرُّومِ ما كُلِّفُوا ... حِمىٰ ثُغَرَ ٱلدِّينِ طَعْنُ ٱلثُّغَرْ
وَفِيما جَرىٰ مِنْ طَرِيدَيْ ظُبَـاكَ ... عَلَى مَلْكِهِمْ لَهُمُ مُعْتَبَرْ
وَبَعْضُ كِلَابٍ وَهُمْ بَعْضُ مَنْ ... قَهَرْتَ رَماهُمْ بِإِحْدىٰ ٱلْكُبَرْ (٦)
وَقَدْ يَمَّمُوا ٱلشَّامَ فِي قُوَّةٍ (٧) ... يَخِرُّ لَهـا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُشْمَخِرّْ

---

(١) وقد أوردوك ... (ع) و (م)
(٢) منك (ل)
(٣) وما يقبضونك (ع) و (م)
(٤) مبيتهم (ع) و (م)
(٥) وكيف (ع) و (م)
(٦) بيعض كلابٍ وهم بعض من ... قهرت وما هم بإحدى الكبرْ (ع) و (م)
(٧) في عزةٍ (ل)

مِئِينَ أُلُوفٍ (١) غَزَوْا فِي مِئِينَ فَلَمْ يَلْبَثُوا غَيْرَ لَمْحِ الْبَصَرْ
وَوَلَّوْا هَزِيمًا حِذَارَ الرَّدى وَهَلْ حَذَرٌ عاصِمٌ (٢) مِنْ قَدَرْ
بِيَوْمٍ تَكَنَّتْ (٣) كِلابٌ بِهِ عَلى كُلِّ ذِي نَخْوَةٍ مِنْ (٤) مُضَرْ
فَأَلَّا ثَنَوْها حِيالَ الْقُصَيْرْ (٥) وَعَزْمُكَ يَقْدُمُ تِلْكَ الزُّمَرْ
وَقَدْ كَلَّ بَأْسُهُمُ وَالْحَدِيـ ـدُ خَوْفًا مِنَ الْأَسَدِ الْمُهْتَصِرْ
وَوَقْعُ (٦) الظُّبِي دُونَ قَرْعِ الْعَصا وَوَخْزُ الْقَنا دُونَ نَخْسِ الْإِبَرْ
وَما يَدْفَعُ الْكَرُّ عَنْ أَهْلِهِ إِذَا ضاقَ بِالدَّارِعِينَ الْمَكَرّْ
ذَعَرْتَ حُماةَ الْوَغى مِنْهُمُ كَما انْذَعَرَتْ (٧) لِلْهِزَبْرِ الْحُمُرْ
وَفِي أَيِّ يَوْمٍ شَهِدْتَ الْوَغى وَما (٨) عُدْتَ تَسْحَبُ ذَيْلَ الظَّفَرْ
تَجَنَّبَ ذُو الْخُبْرِ (٩) هٰذَا النِّزَالَ وَرَوَّعَ غَيْرَ الْخَبِيرِ الْخَبَرْ
وَلَوْ شاجَرُوكَ الْقَنا ضَلَّةً لَطَمَّ عَلَى الْخَبَرِ الْمُخْتَبَرْ

---

(١) مئين ألوفاً ... (ل)
(٢) نافع (ل) هذا البيت وخمسة أبيات بعده يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٣) تنكت (م)
(٤) في مضر (ع) و (م)
(٥) وألا ثنوها جبال القَصير ؟ (ل)
(٦) فوقع الظبا ... (ل)
(٧) كما اندفعت (ل)
(٨) فما (ل)
(٩) ذو الخير (ل)

يَقِرُّ (١) بِبَأْسِكَ أُسْدُ الشَّرَى إذَا ٱلْمَوْتُ عَنْ ناجذَيْهِ فَغَرْ
فَقَدْ (٢) أَحْجَمَ ٱلنَّاسُ عَنْكَ ٱلْغَدَاةَ أَهْلُ ٱلْفيَافِي وَأَهْلُ ٱلْمَدَرْ
وَقَائِعُ جَلَّى دَيَاجِيرَهَا إباؤُكَ ثُمَّ ٱلْحُسَامُ ٱلذَّكَرْ
بِهَا بَانَ فَضْلُكَ لِلْعَالَمِينَ وَبِٱللَّيْلِ يُعْرَفُ فَضْلُ ٱلْقَمَرْ
صَفَتْ فِي جَنابِكَ أَيَّامُنَا فَحَاشَى لها أَبَداً مِنْ كَدَرْ
وَحَسَّنْتَ بِٱلْعَدْلِ أَوْطَانَنَا وَلَوْلَاكَ مَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّْ
فَشَيَّدَ رَبُّ ٱلْعُلَى مَا بَنَيْتَ وَلَا أَعْدَمَ ٱلشَّامَ هٰذَا ٱلنَّظَرْ (٣)
وَكَمْ (٤) حَرَمٍ لَوْ نَأَيْتَ ٱسْتُبِيحَ وَكَمْ ثَغَرٍ لَوْ بَعُدْتَ ٱنْثَغَرْ
وَلَوْلَا قِرَاعُكَ وَٱلْمَكْرُمَاتُ لَمَاتَ بِهِ ٱلنَّاسُ (٥) خَوْفاً وَضُرّْ
جَزَيْتَ ٱلْمُنِيبِينَ وَٱلْمَارِقِينَ بِٱلْخَيْرِ خَيْراً وَبِٱلشَّرِّ شَرّْ
فَلَسْنَا نُفَكِّرُ (٦) بِٱلْحَادِثَاتِ طَوَى جَوْرَهَا عَدْلُكَ ٱلْمُنْتَشِرْ
وَإِنَّكَ أَكْرَمُ ذِي قُدْرَةٍ عَفَا وَتَجَاوَزَ لَمَّا قَدَرْ

(١) يعز بيأسك (ل)
(٢) وقد ... (ل)
(٣) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٤) فكم ... (ل)
(٥) به الخلق (ل) وهذا البيت والأبيات الأربعة بعده يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٦) فلسنا نذكر ... (ع) و (م)

وَلِلْعُذْرِ (١) عِنْدَكَ إِيساعُهُ قَبُولاً وَلِلذَّنْبِ أَنْ يُغْتَفَرْ
فَفَخْراً بِنَيْلِكَ هٰذِي الْخِلاَلَ فَفِي عُشْرِ مِعْشارِهَا مُفْتَخَرْ
فَضَائِلُ لَمْ تَجْتَمِعْ (٢) فِي الْوَرىٰ فَسُبْحَانَ جَامِعِهَا فِي بَشَرْ
وَلَوْ (٣) خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ الْـ كِتَابُ أَتَىٰ ذِكْرُهَا فِي السُّوَرْ
فَلاَ يَرْجُ ذُو شَرَفٍ نَيْلَهَا فَإِنَّ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا خَطِرْ
وَمَا يَرْكَبُ الْخَطَرَ الْمُسْتَهَالَ مِنَ الْقَوْمِ إِلاَّ الْعَظِيمُ الْخَطَرْ
وَمَا يَكْمُلُ الْمَرْءُ حَتَّىٰ يَكُونَ لَدَى السِّلْمِ حُلْواً وَفِي الْحَرْبِ مُرّْ
وَعَذْرَاءَ لَمَّا تَلِدْهَا النِّسَاءُ وَلٰكِنَّهَا مِنْ بَنَاتِ الْفِكَرْ
إِذَا رَفَعَ الْخَفَرُ الْغَانِيَاتِ سَمَتْ بِالتَّبَرُّجِ لاَ بِالْخَفَرْ
تَحَلَّتْ بَدَائِعَ حُرِّ الْكَلاَمِ كَمَا يَتَحَلَّىٰ الْقَضِيبُ الزَّهَرْ
وَجَاءَتْكَ تُثْنِي بِمَا قَدْ أَنَلْتَ وَلِلْغَارِسِينَ (٤) اجْتِنَاءُ الثَّمَرْ
وَلَمْ آلُ جُهْداً كَمَا قَدْ تَرىٰ وَإِنِّي بِتَقْصِيرِ جَرْيِي (٥) مُقِرّْ

(١) فللعذر (ع) و (م)
(٢) لم تفتخر ؟ (ل)
(٣) فلو ... (ل)
(٤) وللغاسلين ؟ (ل)
(٥) جهدي (ل)

وَمَا أَنَا مُثْنٍ عَلَى مَنْ عَدَاكَ رَجَاءً لَهُ مَا تَمَادَى (١) الْعُمُرْ
نَهَانِي عَنِ الضَّيْحِ (٢) قُرْبُ الصَّرِيحِ وَأَنْسَانِيَ الْغَمْرُ شُرْبَ الْغُمَرْ
وَجَادَتْ أَمَانِيَّ مِنْ رَاحَتَيْكَ فَلَمْ يَبْقَ لِي عِنْدَ خَلْقٍ وَطَرْ (٣)
أَيَادِيَ (٤) يَغْمُرُنِي جُودُهَا كَمَا غَمَرَ الْأَرْضَ جَوْدُ الْمَطَرْ (٥)
بِهَا أَقْلَعَ الدَّهْرُ عَنْ جُرْمِهِ وَلَوْ لَمْ أَصِرْ فِي حِمَاهَا أَصَرّْ
فَلِي بِالْجَمِيلِ الَّذِي خَوَّلَتْ لِسَانٌ يُقِرُّ وَعَيْنٌ تَقَرّْ
لَقَدْ سَارَ فِعْلُكَ بِي فِي الْأَنَامِ وَلَا عُذْرَ لِلْحَمْدِ إِنْ لَمْ يَسِرْ

٥١

وقال (٦) أيضاً (٧)

لَقَدْ دُفِعْنَا إِلَى حَالَيْنِ لَسْتُ أَرَى مَا بَيْنَ ذَاكَ وَهٰذَا حَظَّ مُخْتَارِ

---

(١) في تمادي العمر (ع) و (م)
(٢) الصبح ؟ (ل) وهو تحريف .
والضَّيْحُ : اللبن الرقيق الممزوج . واللبن الصريح : الخالص الذي ذهبت رغوته . والغَمْرُ : الماء الكثير . والغُمَر : أصغر الأقداح .
(٣) من هنا إلى آخر القصيدة يختلف ترتيب الأبيات في (غ) و (م)
(٤) أنادي ندٍ عمَّني نفعها (ل)
(٥) الجَوْد : المطر الغزير .
(٦) لم ترد هذه الأبيات في (ل)
(٧) لعل الشاعر قال هذه الأبيات قبيل هجرته من دمشق الى طرابلس الشام فحلب سنة ٤٦٤ بعد أن تعذر المقام في دمشق لتوالي الفتن وخراب البلد .

إِمَّا ٱلْمُقَامِ عَلَى خَوْفٍ وَمَسْغَبَةٍ أَوِ ٱلرَّحِيلِ عَنِ ٱلْأَوْطَانِ وَٱلدَّارِ

وَٱلْمَوْتُ أَيْسَرُ مِنْ هٰذَا وَذَاكَ وَمَا كَرْبُ ٱلْمَمَاتِ وَلَا فِي ٱلْمَوْتِ مِنْ عَارِ

مَنْ جَاوَرَ ٱلْأُسْدَ لَمْ يَأْمَنْ بَوَائِقَهَا وَلَيْسَ لِلْأُسْدِ إِبْقَاءٌ عَلَى ٱلْجَارِ

٥٢

وقال [١] يمدح ناصر الدولة بن حمدان [٢]

طَاوِلْ بِقَدْرِكَ مَنْ عَلَا مِقْدَارُهُ فَأَرَى ٱلْعُلَا فَلَكاً عَلَيْكَ مَدَارُهُ

مَنْ يَدْفَعُ ٱلشَّرَفَ ٱلَّذِي أُوتِيتَهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْيَا ٱلْوَرَى إِنْكَارُهُ

نَطَقَ ٱلْوَلِيُّ بِهِ وَأَسْكَتَ حَاسِدٌ عَنْ وَصْفِهِ وَسُكُوتُهُ إِقْرَارُهُ

فَلْيَعْلَمِ [٣] ٱلسَّاعِي لِيُدْرِكَ ذَا ٱلْمَدَى أَنَّ ٱلطَّرِيقَ كَثِيرَةٌ أَخْطَارُهُ

وَهِيَ ٱلرِّيَاسَةُ لَنْ تَبُوحَ [٤] بِسِرِّهَا إِلَّا لِأَرْوَعَ لَا يُبَاحُ ذِمَارُهُ

يَحْمِي حِمَاهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَتَذُودُ [٥] عَنْهُ يَمِينُهُ وَيَسَارُهُ

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يأتي :
« وقال أيضاً يمدح الأمير ناصر الدولة وسيفها أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان »

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٣) فليبلغ الساعي ليبلغ ذا المدى « شرح نهج البلاغة ١/ ٣١٧ »

(٤) لا تبوح « شرح النهج ».

(٥) ويذود (ل)

لَا ٱلْعَذْلُ[1] ناهِيهِ وَلَا ٱلْحِرْصُ ٱلَّذِي   أَمَرَ ٱلنُّفُوسَ بِشُحِّهــا أَمَّارُهُ
لَكَ فِي ٱلشَّجاعَةِ وَٱلسَّماحَةِ رُتْبَةٌ   تَرَكَتْ عَدُوَّكَ لَا يَقِرُّ قَرَارُهُ
لَمْ يُعْطِها عَمْرُو[2] ٱلْقَنا إِقْدامُهُ   قِدْماً وَلَا كَعْبَ ٱلنَّدَى[3] إِيثارُهُ
تُفْنِي[4] ٱلْعِدَى قَتْلاً بِكُلِّ كَرِيهَةٍ   لَكَ فَخْرُهُ وَعَلَيْهِمُ أَوْزارُهُ
فَلَطالَمَا أَضْرَمْتَ[5] فِي إِحْرازِها   لَهَباً رُؤُوسُ ٱلدَّارِعِينَ شَرارُهُ
بِوَغًى يَضِلُّ عَنِ ٱلْمُثَقَّفِ قَصْدُهُ[6]   فِي ضَنْكِها وَعَنِ ٱلْكَمِيِّ شِعارُهُ
لِيَدُمْ لَكَ ٱلْعِزُّ ٱلْمُؤَثَّلُ وَلْيَدُمْ   لِمُرِيدِ كَيْدِكَ ذُلُّهُ وَصَغارُهُ
ما فازَ عِنْدَكَ مَنْ وَتَرْتَ بِبُغْيَةٍ   بَلْ ضاعَ فِي تَيَّارِ عِزِّكَ ثارُهُ
فَفَداكَ[7] ذُو مُلْكٍ يُصِيخُ لِبَرْبَطٍ   شَغَلَتْهُ عَنْ أَوْتارِهِ أَوْتارُهُ

(١) لا العدل ؟ (ع) و (م)
(٢) عمرو القنا : من بني سعد بن زيد مناة كان من فرسان الخوارج الصفرية وإياه عنى الشاعر :
« حتى تلاقي في الكتيبة معلمـا   عمرو القنا وعبيدة بن هلال »
(الاشتقاق ص ٢٠٧ ، والكامل المبرد ج ٢ ص ٦٨٢)
ورواية (ل) « زيد القنا »
(٣) كعب الندى : هو كعب بن مامة الإيادي الذي يضرب المثل بجوده وإيثاره . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)
(٤) يفني (ع) و (م)
(٥) أحرزت ؟ (ع) و (م)
(٦) بوغى يكل عن المثقف قصدها (ع) و (م)
(٧) وفداك ... (ع) و (م) . والـبَرْبَط : العود معرَّب من الفارسية ومعناه صدر الإوز . وأوتار الأولى : جمع وِتْر وهو الذَّحل أو الظلم فيه . والثانية جمع وَتَر .

وَقضَى ٱلْمُسِرُّ لَكَ ٱلْعَدَاوَةَ نَحْبَهُ غَيْظاً عَلَيْكَ[1] وَلاَ ٱنْقَضَتْ أَوْطَارُهُ
يَا بْنَ ٱلأُلَى لاَ يُعْظِمُونَ عَظِيمَهُمْ حَتَّى يُجَارَ[2] مِنَ ٱلنَّوَائِبِ جَارُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَمَلُوا ٱلْوَشِيجَ تَطَاوَلَتْ أَطْرَافُهُ وَتَقَاصَرَتْ أَعْمَارُهُ
وَنَحَتْ أَسِنَّتَهُ ٱلصَّرِيخَ كَأَنَّهَا طَيْرٌ وَأَفْئِدَةُ ٱلْعِدَى أَوْكَارُهُ
كَثُرَتْ مُنَى قُصَّادِكُمْ آلاَؤُكُمْ كَرَماً كَمَا كَثُرَ ٱلْحَجِيجَ جِمَارُهُ
وَأَبَيْتُمُ أَنْ تَنْتَمُوا إِلاَّ كَمَا نَسَبَتْ لَدَى ٱلرَّوْعِ ٱلصَّفِيحَ شِفَارُهُ
وَأَعَدْتُمُ عُودَ ٱلْمَكَارِمِ أَخْضَراً لِلّٰهِ عُودٌ أَنْتُمُ أَثْمَارُهُ
شِيَمٌ حَوَتْ مِنْ كُلِّ فَخْرٍ صَفْوَهُ وَتَعَقَّبَتْ مِنْ بَعْدِهَا أَكْدَارُهُ
فَلِذَا تَعُمُّ[3] ذَوِي ٱلنَّبَاهَةِ عُونُهُ إِنْ سَامَحَتْ وَتَخُصُّكُمْ أَبْكَارُهُ
إِنَّ ٱلْإِمَامَ سَطَا بِسَيْفِ وَقَائِعٍ مُذْ سُلَّ مَا عَرَفَ ٱلنُّبُوَّ غِرَارُهُ
شَيَّدْتَ حِينَ نَصَرْتَ دَوْلَتَهُ لَهُ عِزّاً بَنَتْهُ لِجَدِّهِ أَنْصَارُهُ
وَنَصَحْتَ مُلْكَ بَنِي عَلِيٍّ نُصْحَ مَنْ أَرْبَى عَلَى إِعْلاَنِهِ إِسْرَارُهُ
أَثْنَى بِهِ مَنْصُورُهُ وَعَلِيُّهُ وَمَعَدُّهُ وَأَبَانَ عَنْهُ نِزَارُهُ[4]

(١) فلا انقضت (ل)

(٢) حتى يجير (ل)

(٣) يعم (ع) و (م)

(٤) منصور : هو الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ولد سنة (٣٧٥) وبويع سنة (٣٨٦) واغتيل سنة (٤١١) . وعلي : هو الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم ←

شَهِدَ الْمُشاهِدُ ذَا الْفَعالَ بِما رَأى فِيهِ (١) وَصَحَّ لِمُخْبِرٍ إِخْبارُهُ

مَهَّدْتَ هٰذا الشّامَ حَتّى لَاسْتَوَتْ في أَمْنِها بُلْدانُهُ وَقِفارُهُ

لا أَنْتَ مُتْبِعُ ما صَنَعْتَ بِأَهْلِهِ مَنَّ الْمُنِيلِ وَلا هُمُ كُفّارُهُ

نُوَبٌ تَطِيشُ سِهامُها وَمُنًى يَعِيشُ يَقِينُها وَنَدًى تَجِيشُ بِحارُهُ

ما كانَتِ الْغَبْراءُ تَحْمِلُ باخِلاً لَوْ فُضَّ في سُكّانِها مِعْشارُهُ

في ظِلِّ أَرْوَعَ أَعْجَزَتْ أَفْعالُهُ هٰذَا الْأَنامَ وَأَعْوَزَتْ أَنْظارُهُ

وَمُؤَيَّدِ الْعَزَماتِ لا إِيرادُهُ يُدْنِيهِ مِنْ ذَامٍ (٢) وَلا إِصْدارُهُ

يُغْنِي غَناءَ سُيُوفِهِ إِيعادُهُ وَتَنُوبُ عَنْ نَظَراتِهِ أَفْكارُهُ

مَلِكٌ مُقِيمٌ في دِمَشْقَ وَذِكْرُهُ في الْخافِقَيْنِ بَعِيدَةٌ أَسْفارُهُ

لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ رَبِّ مَسْأَلَةٍ وَلا سُدِلَتْ عَلَى غَيْرِ التُّقَى أَسْتارُهُ

جَعْدٌ عَنِ (٣) الْآثامِ إِلّا أَنَّهُ مُتَتابِعٌ مَعَ فَقْدِها اسْتِغْفارُهُ

← بأمر الله ولد سنة (٣٩٥) وبويع سنة (٤١١) وتوفي سنة (٤٢٧) ومعد : هو المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله ولد سنة (٤٢٠) وبويع سنة (٤٢٧) وتوفي سنة (٤٨٧) ونزار : هو العزيز بالله بن المعز لدين الله ووالد الحاكم بأمر الله ولد سنة (٣٤٤) وبويع سنة (٣٦٥) وتوفي سنة (٣٨٦) .

(١) منها (ع) . منها فصح ... (م)

(٢) رامٍ (ل)

(٣) على الآثام (ع) و (م)

أَخْبارُ مَجْدٍ كَادَ يَحْفَظُها الدُّجى ... مِمَّا يُكَرِّرُ ذِكْرَها سُمَّارُهُ
لَوْ عاصَرَتْ كِسْرى لَكانَ بِوِدِّهِ ... لَوْ صِيغَ مِنْها تاجُهُ وَسِوارُهُ
فَلْيَيْأَسِ الْمُتَمَحِّلُونَ (١) مَحَلَّ مَنْ ... هٰذِي مَناقِبُهُ وَذاكَ نِجارُهُ
خَيْرُ الْبُيُوتِ إِذَا عَدَوْنا (٢) هاشِماً ... بَيْتٌ حَلَلْتَ بِهِ وَأَنْتَ خِيارُهُ
بَيْتٌ يَحِنُّ إِلى الْفَضائِلِ طِفْلُهُ (٣) الْـ ... حابِي فَتَحْسَبُ أَنَّها أَظْآرُهُ
مازالَ (٤) بِالْحَسَناتِ مُرْتَقِياً فَهَلْ ... فَوْقَ الْمَجَرَّةِ مَنْزِلٌ يَخْتارُهُ (٤)
وَأَبُو عَلِيٍّ (٥) مُعْرِبٌ عَنْ مِثْلِها ... فِي كُلِّ فَضْلٍ تُقْتَفى آثارُهُ
ماحادَ (٦) عَنْ شَرَفٍ عَلَوْتَ بِهِ الْوَرى ... فَيَقُولَ مادِحُهُ إِلَيْكَ مَحارُهُ (٦)
أَعْطى فَبَخَّلَ كُلَّ جَوْدٍ (٧) أَنْجَمَتْ ... أَنْواؤُهُ وَتَتابَعَتْ أَمْطارُهُ
وَسَطا فَما جَرَّ اغْتِرارُ وَلِيِّهِ ... ضَرَراً وَلاَ نَفَعَ الْعَدُوَّ حِذارُهُ
عَلَمٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ ساطِعُ نُورِهِ ... مِنْ (٨) قَبْلِ أَنْ تَلِيَ الْهِدايَةَ نارُهُ

---

(١) المتحملون (ل)
(٢) عددنا (ل) وهو تصحيف .
(٣) قطره ؟ (ع) و (م)
(٤) مازلتَ ... تختاره (ل)
(٥) أبو علي : هو ابن الممدوح انظر الحاشية رقم (١) ص (١٧)
(٦) ما جار ... مجاره (ع) و (م)
(٧) كُلَّ جوٍّ (ع) و (م)
(٨) فتلوح من قبل الهداية ناره (ل)

مُتَـأَلِّقُ ٱلْبِشْـرِ ٱلْمُبَشِّـرِ بِٱلْغِنَى ... وَٱلدَّوحُ قَبْلَ ثِمارِهِ نُوَّارُهُ

يُرْضِيكَ إِنْ رَكِبَ ٱلْجِيادَ(١) عُرامُهُ ... عِزّاً وَإِنْ حَضَرَ ٱلنَّدِيَّ وَقارُهُ

تَأْبَى لَهُ ٱلنَّشَوَاتِ نَفْسٌ مُرَّةٌ ... حَتَّى يَكُونَ مِنَ ٱلثَّناءِ عُقارُهُ

فَرَأَيْتَ(٢) إِخْوَتَهُ بِمَرْآهُ ٱلَّذِي ... أَقْذَتْ عُيُونَ عَدُوِّكُمْ(٣) أَنْوَارُهُ

أُفُقُ ٱلْمَعالِي مُشْرِقٌ بِهِمُ(٤) فَلاَ ... أَفَلَتْ أَهِلَّتُهُ وَلاَ أَقْمارُهُ

وَأَسِيرُ أَنْعُمِكَ ٱلثَّناءُ فَلاَ قَضَى ... رَبُّ ٱلْخَلاَئِقِ أَنْ يُفَكَّ إِسارُهُ

لَمْ تُلْفَ فِيهِ(٥) وَهْوَ مُلْكُكَ شامِخاً ... وَسِوَاكَ يَسْتَعْلِي أَوَانَ يُعارُهُ

وَإِذَا أَرَدْتُكَ بِٱلْمَدِيحِ تَفَتَّحَتْ ... أَغْلاَقُهُ وَتَسَهَّلَتْ أَوْعارُهُ

وَإِذَا زَفَفْتُ(٦) إِلَى نَدِيِّكَ كاعِباً ... أَثْنَى عَلَيَّ بِحُسْنِها(٧) حُضَّارُهُ

وَٱلْمِسْكُ أَوَّلُ مَنْ يَفُوزُ بِعَرْفِهِ ... فِي وَقْتِ فَضِّ خِتامِهِ عَطَّارُهُ

لَوْلاكَ كَانَ ٱلشِّعْرُ شَيْئاً ذَاهِباً ... أَوْ مَذْهَباً مُتَجَنَّباً إِظْهارُهُ

---

(١) الجواد (م)

(٢) ورأيت من أخويه مرآهُ الذي (ل)

(٣) عداتكم (ل)

(٤) بكم (ل)

(٥) فيها (ل)

(٦) رفعت (م)

(٧) عليه (ل)

أَكْرَمْتَ مَثْوَاهُ عَلِماً أَنَّهُ ضَيْفٌ يَشُقُّ عَلَى اللِّئَامِ مَزَارُهُ
فَسَلِمْتَ لِلزَّمَنِ الْفَقِيرِ إِلَيْكَ مَا كَرَّتْ[1] عَلَى آصَالِهِ أَسْحَارُهُ
وَبَقِيتَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ لِمُنْكِرٍ تَمْتَازُ عَنْهُ وَسُؤْدُدٍ تَمْتَارُهُ

٥٣

وقال [2] يمدح صدقة بن يوسف الفلاحي [3]

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ وَالْكَرَى لَوْ زَارَا فَعَسَى اللَّيَالِي أَنْ يَعُدْنَ قِصَارَا
يَاعَادِلاً فِي حُكْمِهِ وَمَزَارُهُ[4] نَاءٍ فَلَمَّا صَارَ جَاراً جَارَا
لَا أَبْتَغِي فَوْقَ الْخَيَالِ زِيَارَةً[5] حَسْبِي خَيَالُكَ لَوْ أَنَالَ مَزَارَا

---

(١) بكرت (ل)

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح صدقة بن يوسف الفلاحي وهو ناظر دمشق »

(٣) هو أبو منصور صدقة بن يوسف بن علي الفلاحي ، كان يهودياً فأسلم ، وكان موصوفاً بالبراعة في ضروب الكتابة . ولما ولي أنوشتكين الدِّزْبِري دمشق سنة (٤١٩) أتى معه ناظراً في الأموال . ثم حدث ما أوجب خوفه من الدِّزْبِري فهرب الى القاهرة . وتولى الوزارة سنة (٤٣٦) وقبض عليه واعتقل وقتل سنة (٤٣٩ . « الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٧ وأخبار مصر لابن ميسر ص ٢ وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٣ وص ٨٤ »

(٤) وقضائه ؟ (ل) (٥) في جميع النسخ (زيادةً) والأظهر ما أثبتناه .

أَأَكُونُ مَنْ يُهْدِي[1] إِلَيْكَ حَيَاتَهُ وَأَرُومُ مَا يُهْدِي إِلَيْكَ الْعَارَا

وَأَمَا وَشُعْثٍ فَوْقَ شُمْثٍ رُزَّحٍ جَعَلُوا بُلُوغَ الْمَشْعَرَيْنِ شِعَارَا

تَرَكُوا الدِّيَارَ مُعَوِّلِينَ بِمَنْ لَهُمْ فِيهَا عَلَى مَنْ يَعْلَمُ الْأَسْرَارَا

مَا أَحْدَثَ الْعُذَّالُ عِنْدِي[2] سَلْوَةً بَلْ زَادَنِي مَنْ لَامَنِي اسْتِهْتَارَا

فَعَلَى التَّسَلِّي أَنْ يَغِيضَ جَمِيعُهُ وَعَلَى الْمَدَامِعِ أَنْ تَفِيضَ[3] غِزَارَا

مَا كُلُّ مَا أَلْقَى[4] وَإِنْ هَدَّ الْقُوَى كُفُؤاً لِخَوْفِي أَنْ أُرَى غَدَّارَا

يَا حَبَّذَا ذَاتُ الْأَجَارِعِ مَنْزِلاً وَجِوَارُنَا قِبَلَ الْعَقِيقِ جِوَارَا

وَأَغَنَّ تَحْكِيهِ الْغَزَالَةُ مُقْلَةً وَمُقَلَّداً وَتَعَرُّضاً وَنِفَارَا

يَفْتَرُّ عَنْ بَرَدٍ يُعَلُّ بِبَارِدٍ[5] مِنْ رِيقِهِ تَرَكَ الْقُلُوبَ حِرَارَا

لَمْ أَدْرِ حِينَ رَنَا إِلَيَّ بِطَرْفِهِ أَأَدَارَ لَحْظاً أَمْ أَدَارَ عُقَارَا

نَظَرٌ نَظِيرُ الْخَمْرِ فِي إِسْكَارِهَا لٰكِنَّهُ مِنْهَا أَشَدُّ خُمَارَا

قَالَ اسْلُ عَنْ قَصْدِ الْمُلُوكِ وَمَدْحِهِمْ وَاسْأَلْ حَوَائِجَكَ الْقَنَا الْخَطَّارَا

وَأَلَحَّ يَلْحَى فِي الْفِرَاقِ أَخَا هَوًى لَمْ يَقْضِ مِنْ أَحْبَابِهِ أَوْطَارَا

---

(١) أأكون من تُهدي إليه حياتهُ (ع) و (م)

(٢) عني (ع) و (م)

(٣) أن تغيض (ل)

(٤) من ألقى (ل)

(٥) يعل رضابها (ع) و (م)

فَأَجَبْتُهُ لاَ تَلْحَ رَبَّ عَزَائِمٍ هَجَرَ ٱلثَّوَاءَ وَوَاصَلَ ٱلْأَسْفارا

فَبِهٰذِهِ ٱلْأَسْفارِ أَسْفَرَ لِي غِنًى لَوْلا ٱبْنُ يُوسُفَ جانَبَ ٱلْإِسْفارا[1]

أَسْدٰى وَما أَكْدٰى أَيادِيَ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفُهـا يَسْتَعْبِدُ ٱلْأَحْرَارا

وَصَنائِعـاً غُرّاً أَفَدْنَ مَنائِحاً عُونًا[2] وَلَدْنَ مَدائِحًا أَبْكارا

وَلَكَمْ دَعا مِدَحِي نَوَالُ مُمَلَّكٍ فَأَبَتْ عُتُوّاً عَنْهُ وَٱسْتِكْبارا

حَتّٰى وَجَدْتُ لَها هُماماً لَمْ تَزَلْ أَوْصافُهُ[3] تَسْتَغْرِقُ ٱلْأَشْعارا

فَوَسَمْتُ أَوْجُهَهـا بِمُسْتَوْلٍ عَلَى رُتَبِ ٱلْعَـلاءِ مَناقِباً وَنِجارا

وَأَغَرَّ فِي إِجْمالِهِ وَجَمـالِهِ ما يَمْلَأُ ٱلْأَسْمـاعَ وَٱلْأَبْصارا

مَلِكٌ غَدَتْ يُمْناهُ يُمْنًا لِٱمْرِئٍ يَبْغِي نَوالاً وَٱلْيَسارُ يَسارا[4]

حَلَّى ٱلزَّمانَ وَكانَ قِدْماً عاطِلاً وَأَعادَ لَيْلَ ٱلْآمِلِينَ نَهـارا

بِعُلًى أَقامَتْ لاَ تَرِيمُ فِنـاءَهُ وَحَدِيثُها بَيْنَ ٱلْوَرٰى قَدْ سارا

بَلَغَتْ بِهِ رُتَبـاً[5] فَرَعْنَ مَحَلَّةً أَمْسَتْ نُجُومُ سَمائِهـا أَقْمارا

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٢) عُرْفاً (ع) و (م) أي متتابعة .

(٣) معروفها (ل)

(٤) هذا البيت والأبيات الأربعة التي تليه يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

(٥) رتبٌ (م)

زَانَتْ فَضائِلُهُ بَدَائِعَ نَظْمِها كَمْ مِعْصَمٍ أَضْحَى يَزِينُ سِوارا

وَلَقَدْ جَزَيْتُ الْحادِثاتِ بِما جَنَتْ فَسَلَبْتُها الْأَنْيابَ وَالْأَظْفارا

مُذْ شِمْتُ أَوْضَحَ مِنْ حُسامٍ صارِمٍ أَثَراً وَأَحْمَدَ فِي الْوَرَى آثارا

وَأَعَمَّ مِنْ كَعْبِ بْنِ مامَةَ[1] نائِلاً وَأَعَزَّ مِنْ زَيْدِ الْفَوَارِسِ[1] جارا

وَمُظَفَّرَ الْأَقْلامِ كَمْ أَرْدَى بِها مَلِكاً وَرَوَّعَ جَحْفَلاً جَرَّارا

عَجَباً لَها تَجْرِي بِأَسْوَدَ فاحِمٍ يَكْسُو الطُّرُوسَ ظَلامُهُ أَنْوَارا

تَمْضِي بِحَيْثُ تُرَى السُّيُوفُ كَلِيلَةً وَتَطُولُ حَيْثُ[2] تُرَى الرِّماحُ قِصارا

وَتَخالُها بِالظَّنِّ أَغْماراً[3] وَقَدْ مَلَأَتْ صُدُورَ عُدَاتِهِ أَغْمارا[3]

تَجْرِي بِوَاحِدِها ثَلاثُ[4] سَحائِبٍ تَهْمِي الصَّوَاعِقَ وَالْحَيا[5] الْمِدْرارا

وَيَمُدُّهُ بِالْوَصْلِ حِينَ يَمُدُّهُ[6] بِبَدِيهَةٍ لَا تُتْعِبُ الْأَفْكارا

إِنْ رَامَ نائِلَهُ الْعُفاةُ أَمَدَّهُ كَرَماً وَإِنْ رَامَ الْخَمِيسُ مُغارا

---

(١) كعب بن مامة : انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩) وزيد الفوارس : هو زيد بن حُصين بن ضِرار الضبي من الفرسان المشهورين انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٤)

(٢) حين (ع) و (م)

(٣) أغمار : جمع غُمْر وهو الجاهل ، وأغمار الثانية جمع غِمْر : وهو الحقد والغل والعطش .

(٤) ورد على هامش (ل) ما نصه : « المراد بها ثلاث أنامل الممدوح الكاتب »

(٥) ورد على هامش (ل) ما نصه : « يراد به العطاء »

(٦) وتمده بالفضل حين تمده (ل)

مَلَأَ ٱلْكِتابَ تَهَدُّداً فَكَأَنَّما ... مَلَأَ ٱلْكِتابَ أَسِنَّةً وَشِفارا

تَجْنِي ٱلنَّوَاظِرُ مِنْ مَحاسِنِ خَطِّهِ ... رَوْضاً وَمِنْ أَلْفاظِهِ أَزْهارا

خَطٌّ رِماحُ ٱلْخَطِّ مِنْ خُدّامِهِ ... إِنْ رَامَ ذَمْراً أَوْ أَعَزَّ ذِمارا

وَبَلاغَةٌ تُضْحِي بِأَدْنَى فَقْرَةٍ ... تُغْنِي فَقِيراً أَوْ تَقُدُّ فَقَارا

وَيَشِيمُ رُوَّادُ ٱلنَّدَى مِنْ بِشْرِهِ ... بَرْقاً وَمِنْ إِحْسانِهِ أَمْطارا

بِشْرٌ يُبَشِّرُ بِٱلْجَمِيلِ وَعادَةُ ٱلْأَ ... زْهارِ أَنْ تَتَقَدَّمَ ٱلْأَثْمارا

وَنَدًى يَعُمُّ وَلَا يَخُصُّ كَأَنَّهُ ... هامِي قِطارٍ طَبَّقَ ٱلْأَقْطارا

يَسْتَصْغِرُ ٱلْأَمْرَ ٱلْعَظِيمَ إِذَا عَرَا[1] ... بِعَزِيمَةٍ تَسْتَسْهِلُ ٱلْأَوْعارا

وَيَرُدُّ غَرْبَ ٱلْحادِثاتِ مُفَلَّلاً ... بِسَعادَةٍ تَسْتَخْدِمُ ٱلْأَقْدارا

كَمْ ذَلَّلَتْ صَعْباً وَرَدَّتْ ذاهِباً ... وَحَمَتْ أَذَلَّ وَذَلَّلَتْ جَبَّارا

وَيَخِفُّ نَحْوَ ٱلْجُودِ إِلَّا أَنَّهُ ... يُوفِي عَلَى شُمِّ ٱلْجِبالِ وَقارا

وَلَهُ وَجُرْدُ ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ بِٱلْقَنا ... وَٱلْهامِ رَأْيٌ لَا يَخافُ عِثارا

وَلَقَدْ عَرَفْتُ ٱلنَّاسَ مِنْ أَطْوارِهِمْ[2] ... سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ ٱلْوَرَى أَطْوارا

فَوَجَدْتُهُمْ يَتَبايَنُونَ وَإِنْ غَدَوْا ... فِي خَلْقِهِمْ وَفَنائِهِمْ أَنْظارا

---

(١) إذ أتى (ع) و (م)

(٢) أوطارهم (ل)

يا مَنْ عَرَفْتُ بِجُودِهِ وَجْهَ ٱلْغِنى حَقًّا وَكُنْتُ جَهِلْتُه إِنْكارا [١]

أَمَّا وَقَدْ وَسَّعْتَ لي طُرُقَ ٱلْمُنى وَجَعَلْتَ لِلآمالِ أَنْ تَخْتارا

وَغَمَرْتَني بِمَواهِبٍ مَوْصُولَةٍ لَمْ تُبْقِ لِي عِنْدَ ٱلْحَوادِثِ ثارا

فَلَأُبْقِيَنَّ مِنَ ٱلثَّناءِ عَلَيْكَ ما يَتَعَقَّبُ ٱلْآثارَ وَٱلْأَخْبارا [٢]

كَمْ ذاهِبٍ عَمَرَتْ لَهُ أَخْبارُهُ لَمَّا تَقَضّى عُمْرُهُ أَعْمارا

إِنَّ ٱلْوَزِيرَ رَأَى ٱلنَّوائِبَ جَمَّةً فَٱخْتارَ مِنْكَ لِدَفْعِها مُخْتارا

فَصَرَفْتَها قَسْراً بِهِمَّتِكَ ٱلَّتي لَمْ تَرْضَ مادُونَ ٱلْمَجَرَّةِ دارا

وَعَدى ٱلْأَعادِيَ أَنْ تُثِيرَ [٣] جِيادُهُمْ خَوْفَ ٱنْتِقامِكَ بِٱلشَّآمِ غُبارا [٤]

وَسَلَبْتَهُمْ بِٱلْعَزْمِ [٥] تالِدَ عِزِّهِمْ فَكَأَنَّ ذاكَ ٱلْعِزَّ كانَ مُعارا

وَعَمَرْتَ هٰذا ٱلشَّامَ [٦] بَعْدَ دُثُورِهِ حَتّى غَدَتْ أَطْرافُهُ أَمْصارا

لَمْ تَدْفَعِ [٧] ٱلْغَمَراتِ عَنْ سُكَّانِهِ حَتّى لَقِيتَ أَذىً وَخُضْتَ غِمارا

---

(١) سقط من (ل) عجز هذا البيت وصدر البيت الذي يليه فكان مابقي بيتاً ملفقاً .

(٢) والأخيارا (ل)

(٣) أن يثير (ع) و (م)

(٤) عثارا ؟ (ل)

(٥) بالحزم (ل)

(٦) هذا الدهر ؟ (ل)

(٧) لم ترفع (ع) و (م)

وَسَمَحْتَ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ فِي الْعُلى تَسْتَحْمِدُ الْإِيرَادَ وَالْإِصْدَارا

يَا رَاكِبَ الْأَخْطارِ عَنْ عِلْمٍ بِهَا أَدْرَكْتَ أَعْلَى رُتْبَةٍ [١] أَخْطَارا

لاَ تَطْلُبَنَّ مِنَ الْعَزَائِمِ جَهْدَهَا قَدْ سِرْتَ حَتَّى مَا وَجَدْتَ مَسَارا [٢]

عُدْ [٣] آهِلَ الْأَرْجَاءِ مَمْنُوعَ الْحِمَى جَمَّ الْمَسَاعِي نَافِعاً ضَرَّارا

وَاسْلَمْ عَلَى الْأَيَّامِ أَزْكَى صَائِمٍ صَوْماً وَأَسْعَدَ مُفْطِرٍ إِفْطَارا



(١) أعظم رتبة (ل)
(٢) المَسار : مصدر من سار يسير قياساً ، مثل عاش يعيش معاشاً .
(٣) عش (مختارات البارودي)

قافيــة السّـين

٥٤

وقال (١) يهجو رجلاً يلقب بخزرون (٢) لبنان دخل عليه فلم يقم له

أَرَى لَكَ يَا خَزْرُونَ لُبْنَانَ فِي ٱلْوَرَى ... أَحَادِيثَ صِدْقٍ لَا تُشَابُ بِإِلْبَاسِ

مَقَابِحُ شَاعَتْ فِي ٱلْبِلَادِ بِأَسْرِهَا ... أَبَنْتَ بِهَا فَضْلَ ٱلْكِلَابِ عَلَى ٱلنَّاسِ

مَرَرْتُ بِهِ مُسْتَعْجِلاً لَا لِحَاجَةٍ ... كَمَا مَرَّ مَخْمُورٌ بِدُكَّانِ هَرَّاسِ (٣)

فَأَحْسَنَ بِي إِذْ لَمْ يَقُمْ لِي مُؤَخَّراً ... مِنَ ٱلنَّتْنِ مَا ٱسْتَنْشَقْتُهُ عِنْدَ جُلَّاسِي

وَجَعْمَسَنِي (٤) مُسْتَخْبِراً فَصَفَعْتُهُ ... فَقُمْتُ بِلَا أَنْفٍ وَقَامَ بِلَا رَاسِ

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ل) بل جاء في آخر قصيدة من قافية الراء فيها ما نصه : « ولم يوجد له على حرف الزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء شعر »

(٢) خزرون : من أسماء البربر مثل خزرون الزناتي الذي ورد ذكره في الكامل لابن الأثير (ج ٩ ص ١٢ و ١٦ و ٢٣) .

(٣) الهرّاس : صانع الهريسة وبائعها ، والهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .

(٤) جعمس : لفظة عامية استعملها ابن عُنين بمعنى التيه قال :

« تجعمسٌ قلّ من يناظره ... في الناس إلاّ تعنفق الرحبي »

« ديوان ابن عنين ص ١٧٩ »

قافيـــة العـين

٥٥

وقال (١) يمدح الشريف فخر الدولة (٢)

هُوَ ذَاكَ رَبْعُ الْمَالِكِيَّةِ (٣) فَارْبَعِ ... وَاسْأَلْ مَصِيفاً عَافِياً عَنْ مَرْبَعِ (٤)

وَاسْتَسْقِ (٥) لِلدِّمَنِ الْخَوَالِي بِالْحِمَى ... غُرَّ السَّحَائِبِ وَاعْتَذِرْ عَنْ أَدْمُعِي

فَلَقَدْ فَنِينَ أَمَامَ دَانٍ هَاجِرٍ ... فِي قُرْبِهِ وَوَرَاءَ نَاءٍ مُزْمِعِ

لَوْ يُخْبِرُ (٦) الرُّكْبَانُ عَنِّي حَدَّثُوا ... عَنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَقَلْبٍ مُوجَعِ

رُدِّي لَنَا زَمَنَ الْكَثِيبِ فَإِنَّهُ ... زَمَنٌ مَتَى يَرْجِعْ وِفَاؤُكِ (٧) يَرْجِعِ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدح فخر الدولة نقيب نقباء الطالبيين »

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٥١)

(٣) العامرية (ل)

(٤) وصف ابن خلكان هذه القصيدة بقوله « من غرر قصائده السائرة » ونقل منها على سبيل المثال أحد عشر بيتاً . « انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤ »

(٥) واستنشق ؟ (ل)

(٦) لو تخبر ... (ع) و (م)

(٧) وصالكِ (ابن خلكان ٢/١٤)

لَوْ كُنْتِ عالِمَةً بِأَدْنَى لَوْعَتِي لَرَدَدْتِ أَقْصَى نَيْلِكِ الْمُسْتَرْجَعِ
بَلْ لَوْ قَنِعْتِ مِنَ الْغَرَامِ بِمُظْهَرٍ عَنْ مُضْمَرٍ بَيْنَ الْحَشا وَالْأَضْلُعِ
أَعْتَبْتِ إِثْرَ تَعَتُّبٍ وَوَصَلْتِ غِبَّ تَجَنُّبٍ وَبَذَلْتِ بَعْدَ تَمَنُّعِ
وَلَوْ انَّنِي أَنْصَفْتُ نَفْسِيَ صُنْتُها عَنْ أَنْ أَكُونَ كَطالِبٍ لَمْ يَنْجَعِ
وَلَقَدْ بَغَيْتُ الْعِزَّ مِنْ أَوْطانِهِ [(1)] وَتَرَكْتُ أَهْلَ الشَّامِ تَرْكَ مُوَدِّعِ
بِالْمُقْرَباتِ مُقَرِّباتٍ ما نَأَى لَمْ يُعْيِها بَلَدٌ بَعِيدُ الْمَنْزَعِ
مَرَّتْ تُجاذِبُنا الْأَعِنَّةَ بَعْدَ أَنْ [(2)] مَرَتِ الْبِلَادَ بِكُلِّ مَرْتٍ بَلْقَعِ
شَوْقاً إِلَى الْمَجْدِ الَّذِي لا يُرْتَقَى فِي [(3)] مَنْصِبِ الشَّرَفِ الْأَعَزِّ الْأَمْنَعِ
وَمَحَلُّ فَخْرِ الدَّوْلَةِ السَّامِي الذُّرَى أَمْنُ الْمَخُوفِ وَمَفْزَعُ الْمُسْتَفْزِعِ
سَبَقَ السُّؤَالَ نَدًى وَعَفَّ سَرِيرَةً فَظَفِرْتُ بِالْمُتَبَرِّعِ الْمُتَوَرِّعِ
فَرْعٌ نَمَى بَيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ وَالْبَطِينِ الْأَنْزَعِ [(4)]
وَمُهَذَّبُ الْأَتْباعِ مَمْنُوعُ الْحِمَى صافِي أَدِيمِ الْعِرْضِ صافِي التُّبَّعِ [(5)]

(١) ولقد طلبت العز في أوطانه (ل)
(٢) ... بعد ما مَرَتِ التِّلاف ... (ل) والتِّلاف جمع تَلْفة وهي الهضبة المنيعة مثل تلعة وتِلاع .
(٣) في ذروة الشرف ... (ل)
(٤) البطين الأنزع : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٥) التُّبَّعُ : الظل . وفي (ع) و (م) صافي المتبع . وهو تصحيف .

فَالْمَنُّ غَيْرُ مُكَدَّرٍ وَالشِّرْبُ غَيْـ ـرُ مُصَرَّدٍ وَالسِّرْبُ غَيْرُ مروَّعِ (١)
عَلَتِ الدُّسُوتُ بِهِ وَقِدْماً شُرِّفَتْ (٢) مِنْهُ الْمَنابِرُ بِالْخَطِيبِ الْمِصْقَعِ
فَلْيَهْنِ آمالَ الْخَلائِقِ أَنَّها عَلِقَتْ بِأَرْوَعَ بِالْمَكارِمِ مُولَعِ
يُعْطِي وَلَوْ وَهَبَ الشَّبِيبَةَ فِي اللُّهى وَحَبا الْحَياةَ مَعَ الْغِنى لَمْ يَقْنَعِ
يَفْدِيكَ صاحِبُ ثَرْوَةٍ لٰكِنَّهُ بِجَزِيلِ ما يَحْوِيهِ (٣) غَيْرُ مُمَتَّعِ
وَمُؤَمَّلٌ سَبَقَ الْمَدِيحُ نَوالَهُ فَكَأَنَّهُ ما جادَ لَوْ لَمْ يُخْدَعِ (٤)
جاراكَ مَغْرُورٌ (٥) فَخانَتْهُ الْمُنى هَلْ يَلْحَقُ الْمَسْؤُولُ بِالْمُتَبَرِّعِ
وَلَقَدْ سَلَكْتَ وَما اتَّخَذْتَ مُرافِقاً نَهْجاً إِلى الْعَلْياءِ لَيْسَ بِمَهْيَعِ
عادَ الْوَرى مِنْهُ حِذاراً (٦) مِثْلَما عادَ الدَّلِيلُ (٧) عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْبِعِ
ما إِنْ تُزاحَمُ فِي اقْتِناءِ فَضِيلَةٍ ذَهَبَ الصَّناعُ بِبُغْيَةِ الْمُتَصَنِّعِ
وَإِذا مُحِقُّ الْقَوْمِ (٨) أَوْضَحَ حَقَّهُ فَوُضُوحُهُ بُطْلانُ قَوْلِ الْمُدَّعِي

(١) مكان هذا البيت في (ع) و (م) بعد الذي يليه .
(٢) أشرقت (م) و (ع)
(٣) ما تحويه (ل)
(٤) لو لم تخدع (ل)
(٥) مغروراً (ل)
(٦) حذار مثاله (ل)
(٧) الذليل (ع) و (م)
(٨) القول (ل)

وَالْهِمَّةُ الْبِكْرُ الَّتِي لَمْ تُفْتَرَعْ خَصَّتْكَ بِالشَّرَفِ الَّذِي لَمْ يُفْرَعِ

وَالْمَجْدُ كُلٌّ يَدَّعِي مَا لَمْ يَنَلْ مِنْهُ وَأَنْتَ تَحُوزُ مَا لاَ تَدَّعِي[1]

لَكُمُ الصَّوَارِمُ لَمْ تَزَلْ آثَارُهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ دُرَّعًا[2] فِي الأَذْرُعِ

بِوَغًى إِذَا ضَاقَتْ مَسَالِكُكُمْ بِهَا[3] قُلْتُمْ لِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ وَسِّعِي

وَسَوَابِقٌ يَأْبَى لَهَا طَلَبُ الْعُلَى فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْ تَقِرَّ بِمَوْضِعِ

وَسَوَائِمٌ وَلِيتَ ظُبَا كُمْ نَحْرَهَا عِنْدَ الرَّوَاحِ وَمَنْعَهَا فِي الْمَرْتَعِ

وَلَكُمْ غَداً فِي الْحَشْرِ كُلُّ مُؤَمَّلٍ تُرْجَى النَّجَاةُ بِهِ وَكُلُّ مُشَفَّعِ

هٰذِي مَنَاقِبُكُم فَهَلْ مِنْ طَامِعٍ وَصِفَاتُ مَجْدِكُمُ فَهَلْ مِنْ مَطْمَعِ

إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى الْكِرَامِ فَلَمْ يُجِبْ[4] فَلَأَشْكُرَنَّ نَدىً أَجَابَ وَمَا دُعِي

فَحَوَيْتُ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلَدِ الْمُنَى مِنْ سَيْبِهِ وَحَصَدْتُ مَا لَمْ أَزْرَعِ

مِنَنٌ وَصَلْنَ عَلَى[5] التَّدَانِي وَالنَّوَى فَجَمَعْنَ شَمْلَ رَجَائِيَ الْمُتَوَزِّعِ

إِنْ أَقْتَرِبْ فَنَوَالُ كَفِّكَ مَوْطِنِي[6] أَوْ أَغْتَرِبْ فَإِلَى جَمِيلِكَ مَرْجِعِي

مَعَ أَنَّ جُودَكَ لَا يُرَاقِبُ مَقْدَمِي إِنْ سِرْتُ[7] عَنْهُ بَلْ يَسِيرُ مُتَبِّعِي

(١) ما لم تدَّعِ (ل)
(٢) أذرعاً في الأذرع (ل)
(٣) به (ع) و (م)
(٤) ولم يجب « مسالك الأبصار ج ١٠ » مخطوط
(٥) إلى التداني (ع) و (م)
(٦) مطلبي (ع) و (م)
(٧) لو سرت (ل)

بِعَوَاهِبٍ لَوْلاَ اتِّصَالُ دَوَامِها لَظَنَنْتُهَا بَعْضَ الْغُيُوثِ الْهُمَّعِ
تَخْفَى أَحَادِيثُ الْكِرَامِ بِهَا كَمَا تَخْفَى الْوَقَائِعُ فِي السُّيُولِ الدُّفَّعِ
شَغَلَتْ لَعَمْرِي[1] خَاطِرِي وَتَعَاظَمَتْ فِي نَاظِرِي وَتَكَرَّرَتْ فِي مَسْمَعِي
تَعْتَادُنِي طُولَ النَّهَارِ مُغِذَّةً فَإِذَا ادْلَهَمَّ اللَّيْلُ زَارَتْ مَضْجَعِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبُ جَمَّةٌ شُكْرٌ بَطِيءٌ عَنْ نَدًى مُتَسَرِّعِ
إِنِّي وَقَفْتُ وُقُوفَ مَنْ قَصَرَ الْخُطَى عَنْ حَيْرَةٍ لاَ وَقْفَةَ الْمُتَمَنِّعِ
أَذْهَلْتَنِي[2] عَنْ أَنْ أَقُولَ وَإِنَّمَا نَابَتْ هِبَاتُكَ عَنْ لِسَانِي فَاسْمَعِ
عُرْفٌ وَثِقْتَ بِصَمْتِهِ فَكَتَمْتَهُ كَرَماً فَفَاهَ بِعَرْفِهِ الْمُتَضَوِّعِ
سَبَقَتْ مَوَارِنُنَا[3] إِلَى عِرْفَانِهِ أَسْمَاعَنَا فَوَعَاهُ مَنْ لَمْ يَسْمَعِ
قُلْ لِلْهَى كُفِّي فَآثَارُ الْحَيَا لَيْسَتْ بِظَاهِرَةٍ إِذَا لَمْ تُقْلِعِي[4]
يَامَنْ تَفَرَّدَ بِالْعُلَى فَصِفَاتُهُ لاَ تُدَّعَى وَصَفَاتُهُ لَمْ تُقْرَعِ
أَنَا قَائِلٌ بِفِنَاءِ[5] عِزِّكَ قَائِلٌ لِلنَّائِبَاتِ خُذِي بِحُكْمِكِ أَوْدَعِي

---

(١) لعمرك (ل)
(٢) أفحمتني ... (ل)
(٣) تواترنا (ل)
(٤) إذا لم يقلع (ع) و (م)
(٥) ماثل (م) و (ع)

مَنْ كَانَ جَارَكَ لَا يَخَافُ(١) إِذَا عَدَتْ مِنْ وَاقِعٍ مِنْهَا وَلَا مُتَوَقَّعِ(٢)

فَلْيَدْرِ قَوْمِي أَنَّنِي فِي ذَا الْحِمَى أَلْقَى الْخُطُوبَ بِمَارِنٍ لَمْ يُجْدَعِ

لِي عَنْكَ إِنْ شَطَّ الْمَزَارُ غَداً غِنىً إِنْ كَانَ يُغْنِي مُمْعِرٌ عَنْ مُمْرِعِ

فَاسْلَمْ وَلَا بَرِحَ الْحَسُودُ بِغَيْظِهِ حَتَّى يَمُوتَ بِغُلَّةٍ(٣) لَمْ تُنْقَعِ

٥٦

وقال(٤) يمدح تاج الملوك محمود(٥) بن صالح بعد وصول التشريف ويصف داراً عمرها

هَلْ لِلْأَمَانِي عَنْ جَنَابِكَ مَدْفَعُ أَمْ هَلْ لَهَا مِنْ دُونِ بَابِكَ مَشْرَعُ

لَكَ فِي الْعَلَاءِ مَحَجَّةٌ لَا يَهْتَدِي فِيهَا الْمُلُوكُ وَحُجَّةٌ لَا تُدْفَعُ

رَكِبُوا بُنَيَّاتِ(٦) الطَّرِيقِ فَضَلَّ سَا لِكُهَا وَمَنْهَجُكَ الطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ

وَرَعَيْتَ حَقَّ الْقَاصِدِينَ وَمَا رَعَوْا وَوَعَيْتَ قَوْلَ الْمَادِحِينَ وَلَمْ يَعُوا

فَرَجَاؤُهُمْ إِلَّا لِفَضْلِكَ(٧) كَاذِبٌ وَمُنَاخُهُمْ إِلَّا بِظِلِّكَ جَعْجَعُ

(١) لن يخاف (ل)

(٢) ومن متوقَّع (ل)

(٣) بعلة (ل)

(٤) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يلي: «وقال أيضاً يمدح محمود بن نصر بن صالح ويذكر الدار التي عمرها»

(٥) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦).

(٦) بُنَيّاتُ الطريق: الطرق الصغار تتشعب من الجادة وهي التُّرهات.

(٧) بفضلك (ل)

فَاُفْخَرْ فَإِنَّكَ وَاحِدٌ مِنْ مَعْشَرٍ (١) بِهِمُ تُذَادُ اُلنَّائِبَاتُ وَتُدْفَعُ
فَرَعُوا هِضابَ اُلعِزِّ وَهْيَ مَنِيعةٌ فَرَعَوْا رِياضَ اُلْفَخْرِ وَهْوَ مُمَنَّعُ
قَوْمٌ إِذَا رَامُوا مَمالِكَ غَيْرِهِمْ حَصَدُوا بِبِيضِ اُلْهِنْدِ مالَمْ يَزْرَعُوا
وَرَأَى اُلْمُعايِنُ مِنْكَ ما يُرْبِي عَلَى (٢) أَخْبارِ مَجْدٍ عَنْ سِوَاكُمْ تُوضَعُ
مَعَ أَنَّكُمْ ما عَزَّ مِنْكُمْ وَاحِدٌ إِلاَّ وَتَالِيهِ (٣) أَعَزُّ وَأَمْنَعُ
لَوْ أَنَّ يَرْبُوعًا رَأَتْكَ بِمَأْزِقٍ عَلِمَتْ بِأَنَّكَ مِنْ عُتَيْبَةَ أَشْجَعُ (٤)
أَبَتِ اُلظُّلاَمَةَ هِمَّةٌ كَعْبِيَّةٌ (٥) نامَ اُلأَنامُ وَرَبُّها لا يَهْجَعُ
وَعَزائِمٌ مِثْلُ اُلسُّيُوفِ وَطالَما قَطَعَتْ غَداةَ اُلرَّوْعِ مالا يَقْطَعُ (٦)
وَصَوارِمٌ ذُلُقٌ سَوَاءٌ عِنْدَها يَوْمَ اُلْكَرِيهَةِ حاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (٧)
وَقَناً تُرَوِّعُ فِي مَرَاكِزِها (٨) اُلْعِدَى رَهَبًا فَمَاذَا ظَنُّهُمْ إِذْ تُشْرَعُ

(١) في معشر (ل)
(٢) وأرى المعاين منكم يربي على (ل)
(٣) وتاليكم (ل)
(٤) بنو يربوع: من تميم من العرب العدنانية، وعتيبة بن الحارث بن شهاب: فارس بني تميم في الجاهلية غير مدافع. (الاشتقاق ص ١٣٨) ورواية (ل): «علمتْ بأنّ عتيبةَ لا يشجعُ»
(٥) كعبية: منسوبة إلى كعب بن عبد الله الكلابي من أجداد الممدوح المذكورين في عمود نسب جده صالح بن مرداس الكلابي.
(٦) ما لا تقطع (ع) و (م)
(٧) ومُدرَّع (ل)
(٨) مَن مراكزها (ل)

لَزِمُوا الْمَنَازِلَ وَاكْتَفَوْا بِقَعَاقِعٍ مَسْمُوعَةٍ (١) لٰكِنَّهَا لاَ تَنْجَعُ
مَنْ بِالسِّنَانِ يَصُولُ مُنْذُ فِطَامِهِ لَمْ يَخْشَ آخَرَ بِالشِّنَانِ يُقَعْقِعُ
لَمَّا تَرَكْتَ ظِلاَلَ قَصْرِكَ نَاهِضاً أَضْحَى يُظَلِّلُكَ الْقَنَا الْمُتَزَعْزِعُ
وَغَمَامَةٌ لَمْ تَحْوِ غَيْثاً يُرْتَجَى وَتُظِلُّ (٢) غَيْثَ غَمَامَةٍ لاَ تُقْلِعُ
خَضْرَاءُ حَمْرَاءُ الْأَسَافِلِ تَارَةً تَبْدُو وَطَوْراً بِالْعَجَاجِ تَلَفَّعُ
وَتَخَالُهَا تَسْمُو بِقَائِمَةٍ وَإِنْ سَارَتْ بِحَامِلِهَا قَوَائِمُ أَرْبَعُ
أَبَداً تَضِيقُ إِذَا السَّمَاءُ تَغَيَّمَتْ وَتَعُودُ إِنْ ظَهَرَتْ ذُكَاءُ تَوَسَّعُ
فَكَأَنَّهَا إِبَّانَ تُنْشَرُ (٣) هَالَةٌ لٰكِنَّهَا عَنْ بَدْرِهَا تَتَرَفَّعُ (٤)
قُدْتَ الْجَحَافِلَ لَمْ يَقُدْ مِعْشَارَهَا كِسْرَى الْمُلُوكِ وَلاَ رَآهَا تُبَّعُ
لَوْ أَبْصَرَتْ فِهْرٌ فَرِيقاً مِنْهُمُ مَا قِيلَ لِلْفِهْرِيِّ أَنْتَ مُجَمِّعُ (٥)
وَعَصَائِباً مَلَؤُا الْفُرَاتَ سَفَائِناً لَمَّا نَبَا بِهِمُ الْفَضَاءُ الْأَوْسَعُ

---

(١) مسمومة ؟ (ل)
(٢) ويظل (ع) و (م)
(٣) ينشر (ع) و (م)
(٤) تتبرقع (ل)
(٥) يريد بالفهري قُصَي بن كلاب وكان يلقّب مجمّعاً لانه جمع قريشاً بمكة من أقطارها قال الشاعر :

أبونا قُصَيٌّ كان يدعى مجمِّعاً به جمع الله القبائل من فهر

« الاشتقاق لابن دريد ص ٩٧ »

فِي حَيْثُ لاَ تَسَعُ الْفَيَافِي جَمْعَهُمْ إِلاَّ كَمَا يَسَعُ الْإِنَاءُ الْمُتْرَعُ
طُوفَانُ عَزْمٍ لاَ يَشُقُّ عُبَابَهُ فُلْكٌ وَلاَ الْجُودِيُّ(١) مِنْهُ يَمْنَعُ
مَا عَايَنَتْ صِفِّينُ(٢) عِنْدَ تَقَارُعِ الصَّفَّيْنِ جَيْشاً جَامِعاً مَا تَجْمَعُ
خِلْطَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَعُجْمٍ طَالَمَا نُدِبُوا لِصَرْفِ النَّائِبَاتِ فَأَسْرَعُوا
فِرَقٌ تخَالَفُ أَلْسُناً وَعَنَاصِراً لٰكِنْ تَشَابَهَ مَا انْتَضَوْا وَتَدَرَّعُوا
لَيْسُوا إِذَا شُبَّتْ وَغىً كَجَمَائِعٍ بِخِلاَفِهِمْ عُصِيَ الْبَطِينُ الْأَنْزَعُ(٣)
تَبِعُوا رِضَاكَ فَسِرْتَ فِيهِمْ آمِناً مِنْ حِيلَةٍ فِيهَا الْمَصَاحِفُ تُرْفَعُ
حَكَمَاكَ لَدْنٌ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدٌ مَا فِيهِمَا إِنْ حُكِّمَا مَنْ(٤) يُخْدَعُ
مَا إِنْ رَأَى مَنْ حَلَّ رَحْبَةَ مَالِكٍ(٥) شَمْساً سِوَاكَ مِنَ الْمَغَارِبِ تَطْلُعُ
كَلاَّ وَلاَ نَظَرُوا جُيُوشاً قَبْلَهَا فِي ضِمْنِهَا عَضَدَ اللِّئَامَ الْبُرْقُعُ
وَلِذَاكَ مَا ظَنُّوا نُفُوسَهُمُ لَهُمْ إِلاَّ وَأَنْتَ عَلَى(٦) التَّرَحُّلِ مُزْمِعُ

---

(١) الجُوديُّ : جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح عليه السلام . « معجم البلدان »

(٢) صِفِّين : موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧ .

(٣) البطين الأنزع : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) ما يخدع (ل)

(٥) رحبة مالك : مدينة على الفرات بين الرقة وبين عانة .

« تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٨١ »

(٦) عن (ع) و (م)

عَمْرِي لَقَدْ أَوْدَعْتَهَا أَجْسَامَهُمْ وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَحْفَظُوا مَا أُودِعُوا
وَلَقَدْ تَضَمَّنَهَا لَكَ الْعَزْمُ الَّذِي لَوْ كَانَ شَخْصاً لَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
فَرَحَلْتَ عَنْهَا عَنْ يَقِينٍ أَنَّهَا مِنْ بَعْدِ قَتْلِكَ أَهْلَهَا لاَ تَنْفَعُ
وَتَرَكْتَهَا ضَنّاً بِهَا عَنْ أَنْ تُرَى وَمِنَ الْبِلَى فِيهَا خَطِيبٌ مِصْقَعُ
ذُدْتَ الْحَمِيَّةَ بِالتَّقِيَّةِ رَاغِباً فِي الأَجْرِ تُغْرِبُ فِي الْجَمِيلِ وَتُبْدِعُ
طَاعَ الزَّمَانُ لِصَالِحٍ[1] فَابْتَزَّهَا بِيَدِ الْخُطُوبِ وَإِنَّهَا لَكَ أَطْوَعُ
وَبِحُكْمِ جَدِّكَ سِرْتَ فِيهِمْ إِذْ بَغَى إِحْرَازَهَا مِنْ قَبْلُ وَهْيَ تَمَنَّعُ
كَفَّ الصَّوَارِمَ وَاسْتَنَابَ نَوَائِباً فِي الْقَوْمِ وَاحِدَةٌ بِأُخْرَى تَشْفَعُ[2]
فَمَضَتْ ثَلاَثٌ مِنْ سِنِينَ أَبَتْ لَهُمْ أَنْ يَزْرَعُوا وَنَهَتْهُمُ أَنْ يَهْجَعُوا
حَتَّى أَنَابُوا وَالنُّفُوسُ سَلِيمَةٌ وَقِيَادُ مَنْ مَنَعَ الْمَقَادَةَ[3] طَيِّعُ
وَلِذَا قَصَدْتَ فَلاَ بَرِحْتَ مُوَفَّقاً[4] فِيمَا تَجُودُ بِهِ وَفِيمَا تَمْنَعُ
فَرَّقْتَ جَمْعاً لَوْ رَمَيْتَ بِبَعْضِهِ أَرْكَانَ رَضْوَى[5] لاَنْبَرَتْ تَتَضَعْضَعُ

---

(١) هو صالح بن مرداس جد الممدوح . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٢) وأخرى تسفع (ع) و (م)

(٣) القيادة (ل)

(٤) مؤيّداً (ل) وعلى هامش (ع) و (م)

(٥) رضوى : جبل بالمدينة .

وَحَوَيْتَ صِرْفَ ٱلْمَأْثُرَاتِ مُغَادِراً أَكْدَارَهَا بَيْنَ ٱلْوَرَى تَتَوَزَّعُ

فَٱلظِّلُّ ضَافٍ وَٱلْهِبَاتُ جَزِيلَةٌ وَٱلْوِرْدُ صَافٍ وَٱلْعَطَاءُ (١) تَبَرُّعُ

وَخُصِصْتَ فِي زَمَنِ ٱلْحَيَاةِ بِجَنَّةٍ حَسُنَ ٱلْمَصِيفُ بِهَا وَطَابَ ٱلْمَرْبَعُ

دَارٌ بِهَا ٱكْتَسَتِ ٱلْبَسِيطَةُ زِينَةً (٢) وَيَزِينُهَا مِنْكَ ٱلْهُمَامُ (٣) ٱلْأَرْوَعُ

مَا زَالَ مُبْصِرُهَا يَعُودُ بِخَاطِرٍ يَشْكُو ٱلْكَلَالَ وَنَاظِرٍ لَا يَشْبَعُ

وَتَرَى طُيُورَ ٱلْجَوِّ فِي جَنَبَاتِهَا بَعْضٌ مُحَلِّقَةٌ وَبَعْضٌ وُقَّعُ

وَسَوَابِقاً لَيْسَتْ تُفَارِقُ أَرْضَهَا وَكَأَنَّهَا تَحْتَ ٱلْفَوَارِسِ تَمْزَعُ

بِٱلْمُصْلَتِينَ صَوَاعِقاً (٤) لَا تَعْتَدِي (٥) وَٱللَّابِسِينَ يَلَامِقاً لَا تُنْزَعُ

رَهْطٌ نَضَوْا بِيضَ ٱلسُّيُوفِ وَآخَرٌ قَدْ جَرَّ قَوْساً لَيْسَ فِيهَا مَنْزِعُ

وَسِهَامُهُ لَا تَسْتَطِيعُ فِرَاقَهَا وَحِبَالُهُ (٦) أَبَداً لِطَيْرٍ مَصْرَعُ

وَٱلْأَيْمُ يُؤْخَذُ وَٱلْحُرُوبُ لَدُودَةٌ (٧) طُولَ ٱلزَّمَانِ وَمَا أَرَاهُ يَجْزَعُ

---

(١) والعطا يلبسرع ؟ (ل)

(٢) رتبةً (ل)

(٣) الإمام (مختارات البارودي)

(٤) صوارماً (مختارات البارودي)

(٥) لا تغتدي (ع) و (م)

(٦) وحياله (ع) و (م)

(٧) والأيم يوحز والحرور لدوذه ؟ طول النهار وما أراه يجرع (ل)

وَمِنَ الصُّيُودِ مُحَلَّلٌ وَمُحَرَّمٌ ... وَلُحُومُها حُرُمٌ فَما تَتَبَضَّعُ (١)

بِالْجانِبِ الْغَرْبِيِّ (٢) فِيها نَخْلَةٌ ... ناءٍ جَناها وَهْوَ آنٍ مُونِعُ

وَتَرُوقُ عَيْنَكَ دَوْحَةٌ مِنْ غَرْبِها ... فِيها جَنًى يَحْمِيهِ ظِلٌّ مُسْبِعُ

وَزَرافَتانِ أُقِيمَتا كِلْتاهُما ... رانٍ (٣) إِلَيْكَ بِمُقْلَةٍ لا تَهْجَعُ

وَكَأَنَّ مِصْراً أَتْحَفَتْ حَلَباً بِها ... مِنْ قَبْلُ إِذْ هِيَ لِلْمَحاسِنِ مَجْمَعُ (٤)

وَالْفِيلُ يَقْرَعُ جِلْدَهُ سُوَّاسُهُ ... مِنْ كُلِّ قُطْرٍ وَهْوَ لا يَتَزَعْزَعُ

وَظَعائِنٌ تَخْشَى الْعُيُونَ وَتَتَّقِي ... نَظَرَ الْمُرِيبِ (٥) فَدَهْرَها تَتَبَرْقَعُ

أَبَداً يُقادُ بِها وَتَخْدِي (٦) عِيسُها ... وَخْداً حَثِيثاً لِلنَّواظِرِ يَخْدَعُ

هَلْ عاقَها ما عايَنَتْهُ فَلَمْ تَسِرْ ... أَمْ راقَها هٰذا الْجَنابُ الْمُمْرِعُ

وَالْبَحْرُ عائِمَةٌ بِهِ حِيتانُهُ ... وَمِنَ الشِّباكِ لَها سِمامٌ مُنْقَعُ (٧)

طامٍ وَما يُخْشَى عَلَى رُكّابِهِ ... غَرَقٌ وَمَرْكَبُهُ مُقِيمٌ مُقْلِعُ

---

(١) تتبقع (ل)

(٢) القبلي (ل)

(٣) ترنو (مختارات البارودي)

(٤) تجمع (ل)

(٥) المغيب ؟ (ل)

(٦) في النسخ الثلاث (وتبدي) ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٧) هذا البيت وثلاثة بعده لم ترد في (ل)

وَٱبْنُ ٱلْمُلَوَّحِ[١] قَائِمٌ وَسَقامُهُ ٱلْـ بَادِي طَلِيعَةُ مَا تُجِنُّ ٱلْأَضْلُعُ
يَشْكُو إِلَىٰ لَيْلَىٰ ٱلْغَرَامَ إِشَارَةً شَكْوَىٰ لَعَمْرُكَ لَمْ تُمِنْهَا أَدْمُعُ
وَمَوَاضِعٌ فِيهَا كَعَرْضِكَ وُضَّحٌ تَلْجِيَّةُ ٱلْأَلْوَانِ بَلْ هِيَ أَنْصَعُ
وَمِنَ ٱلرُّخَامِ مُقَابَلٌ وَمُؤَلَّفٌ وَمُفَوَّفٌ وَمُضَلَّعٌ وَمُجَزَّعُ
وَمِنَ ٱلنُّضَارِ بِهَا سَحَائِبُ جَمَّةٌ لَزِمَتْ أَمَاكِنَهَا فَمَا تَتَقَشَّعُ
سُحُبٌ جَوَامِدُ قَدْ أَظَلَّتْ[٢] عَارِضاً تُحْيِي بِصَيِّبِهِ ٱلْبِلَادُ وَتُمْرِعُ
كَرَمٌ أَهَانَ ٱلتِّبْرَ حَتَّىٰ أَنَّهُ مِنْ نَاطِقٍ أَوْ صَامِتٍ لَا يُمْنَعُ
أَطْلَعْتَ مِنْ جُدْرَانِهَا وَسُقُوفِهَا شَمْساً لَهَا مِنْ كُلِّ أُفْقٍ مَطْلَعُ[٣]
تَعْلُو ضِيَاءَ ٱلشَّمْسِ عِنْدَ شُرُوقِهَا وَيَعُمُّهَا ٱلْإِظْلَامُ وَهْيَ تَشَعْشَعُ
مَنْ حَلَّهَا وَهْناً تَوَهَّمَ لَيْلَهَا صُبْحاً وَصِبْغُ[٤] ٱللَّيْلِ فِيهَا مُشْبَعُ
وَبَدَتْ بِأَعْلَاهَا رِيَاضٌ حَاكَهَا حُسْنُ ٱقْتِرَاحِكَ لَا ٱلْغُيُوثُ ٱلْهُمَّعُ
رَوْضٌ عَلَى ٱلْأَفْوَاهِ يَعْسُرُ رَعْيُهُ لٰكِنَّ لِلْأَبْصَارِ فِيهِ مَرْتَعُ ؟
يَا مُعْجِزَ ٱلْأَمْلَاكِ فِيمَا يَبْتَنِي[٥] وَمُعَجِّبَ ٱلْأَفْلَاكِ مِمَّا يَصْنَعُ

---

(١) قيس بن الملوّح : هو مجنون ليلى المشهور .
(٢) أطلت (ع) و (م)
(٣) تطلع (ل)
(٤) وطبع ؟ (ل)
(٥) تبتني (ع) و (م)

نَظَرُ ٱلْخَلِيفَةِ لِلْمُلُوكِ كَسَاهُمُ تَاجاً بِهِ تَسْمُو وَطَوْراً تَخْضَعُ
فَوْقَ ٱلْمَفَارِقِ مِنْهُ سَيْفٌ حَدُّهُ مَاضٍ وَتَاجٌ بِالثَّنَاءِ مُرَصَّعُ
نَاقَضْتَهُمْ فَوَهَبْتَ مَا ضَنُّوا بِهِ وَحَفِظْتَ غَيْرَ مُنَازَعٍ مَا ضَيَّعُوا
فَبَذَلْتَ فِي ٱلْأَزَمَاتِ[1] مَا لَمْ يَبْذُلُوا وَمَنَعْتَ بِالْعَزَمَاتِ مَا لَمْ يَمْنَعُوا
فَٱنْجَحْ فَإِنَّكَ أَوْحَدُ الزَّمَنِ الَّذي لَمْ يَفْتَرِقْ فِي أَهْلِهِ مَا تَجْمَعُ
لَا زِلْتَ تَكْسُو كُلَّ عِيدٍ قَادِمٍ حُسْناً وَمُلْكُكَ بِالْبَقَاءِ مُمَتَّعُ
أَمَّنْتَنِي ٱلْحَدَثَانَ حَتَّى أَنَّنِي لَا وَاقِعٌ أَخْشَى وَلَا مُتَوَقَّعُ
وَأَفَدْتَ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلَدِ ٱلْمُنَى يَوْماً وَلَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهِ مَطْمَعُ
وَوَهَبْتَ لِي قُرْبَى أَنَالَتْ رِفْعَةً وَٱلدَّهْرُ لَيْسَ بِخَافِضٍ مَنْ تَرْفَعُ[2]
وَعَطِيَّةً مَا فَازَ مَرْوَانٌ بِهَا عِنْدَ الرَّشِيدِ وَلَمْ يَنَلْهَا أَشْجَعُ[3]
لٰكِنَّ عَبْدَكَ عَاشَ فِيهَا مُوقِناً أَنْ سَوْفَ يُرْزَقُ بَعْدَهَا أَوْ يُقْطَعُ
وَعَلَى ٱرْتِيَاحِكَ مَا يُؤَمِّلُهُ وَإِنْ عَزَّ ٱلْأَخِيرُ فَفِي ٱلْمُقَدَّمِ مَقْنَعُ

---

(١) بالأزمات (ع) و (م)

(٢) يرفع ؟ (ل)

(٣) مروان بن أبي حفصة : من فحول الشعراء كان يعطيه هرون الرشيد بكل بيت يمدحه به ألف درهم . ولد سنة ١٠٥ وتوفي ببغداد سنة ١٨١ . وأشجع ابن عمرو السُّلَمي : شاعر فحل أعجب به الرشيد فأثرى وحسنت حاله . توفي سنة ١٩٥ .

٥٧

وقال (١) يمدح مبارك بن الشبل بن جامع (٢)

مَحَلٌّ لَهُمْ بَيْنَ ٱلنَّقَا وَٱلْأَجَارِعِ عَدَتْـهُ ٱلْغَوَادِي فَٱسْتَنَابَ مَدَامِعِي

وَلَوْ أَنَّنِي نَهْنَهْتُها خَوْفَ كَاشِحٍ فَشَتْ زَفَرَاتٌ لَمْ تَسَعْهَا أَضَالِعِي

وَفِي ٱلْجِيرَةِ ٱلْمُسْتَنْفِدِي ٱلصَّبْرِ عُصْبَةٌ لَوِ ٱكْتَنَفُونِي مَا مُنِيتُ بِرَائِعِ

عَجَزْتُ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ بَعْدَ فِرَاقِهِمْ كَعَجْزِ بَنَانٍ لَمْ يُنَطْ (٣) بِأَشَاجِعِ

وَمَنْ لِي بِأَيَّامٍ مَضَتْ لَا عَزَائِي (٤) مُقَلَّةٌ فِيهَا وَلَا ٱللَّوْمُ رَادِعِي

لَيَالِيَ لَا ٱللَّاحِي عَلَى ٱلْوَجْدِ قَادِعِي (٥) بِما سَرَّ أَعْدَائِي وَلَا ٱلشَّيْبُ وَازِعِي

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك : « وقال أيضاً يمدح مبارك بن شبل بن جامع »

(٢) مبارك بن شبل بن جامع بن زائدة ، من رؤساء بني كلاب ، وهو ابن خال سابق بن محمود المرداسي أمير حلب وزوج أخته . وأبوه شبل صاحب حصن بُزاعا بين منبج وحلب . كان لمبارك يد في الفتنة التي وقعت بين سابق وبين أخويه وثّاب وشبيب وانتهت باستيلاء شرف الدولة مسلم بن قريش العُقيلي على حلب سنة ٤٧٣ وانقراض دولة بني مرداس .

« عدة مواضع من زبدة الحلب » مخطوط

(٣) لم تحط (ل) لم يطر (هامش ع و م)

(٤) ما عزائمي (ل)

(٥) قاذعي (ل) و (م)

فَبُدِّلتُ مِنْ شَرْخِ الشَّبَابِ وَعِشْرَةِ الْأَحِبَّةِ تَسْآلَ الدِّيَارِ (١) الْبَلَاقِعِ
وَقَائِلَةٍ حَتَّامَ يَخْدَعُكَ الْمُنىٰ وَتُوسِعُهَا عَتْباً وَلَيْسَ بِنَافِعِ
فَيَأْساً فَمَا عَهْدُ الْكَثِيبِ بِعَائِدٍ إِلَيْكَ (٢) وَلاَ أَيَّامُهُ بِرَوَاجِعِ
وَلاَ وُدٌّ مَنْ أَبْدىٰ لَكَ الْوُدَّ صَادِقٌ وَمَا هُوَ إِلاَّ خُدْعَةٌ مِنْ مُخَادِعِ
ذَرِ الْخَلْقَ لاَ تَتْبَعْهُمُ (٣) مُتَفَرِّداً بِنَفْسِكَ وَاتْبَعْ رَأْيَ أَهْلِ الصَّوَامِعِ
فَمَا النَّاسُ إِلاَّ ضَاحِكٌ وَهْوَ عَابِسٌ سَرِيرَتُهُ أَوْ وَاصِلٌ وَصْلَ قَاطِعِ
فَبَعْضٌ سَرَابٌ غَرَّ بِاللَّمْعِ ظَامِئاً وَبَعْضٌ شَرَابٌ (٤) لاَ يَسُوغُ لِجَارِعِ
مُخَالِفَةٌ أَقْوَالُهُمْ وَفِعَالُهُمْ كَمَا خَالَفَ الصَّهْبَاءَ لَوْنُ الْفَوَاقِعِ (٥)
عَرَتْنِي صُرُوفُ النَّائِبَاتِ فَقَصَّرَتْ ذِرَاعِي وَرَدَّتْ خَائِبَاتٍ ذَرَائِعِي
يُصِيبُ الْفَتىٰ مَا لَمْ (٦) يَكُنْ فِي حِسَابِهِ وَيَحْذَرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَيْسَ بِوَاقِعِ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ الدَّهْرَ يُلْجِئُنِي إِلىٰ زَمَانٍ يَبِيتُ (٧) الْعَجْزُ فِيهِ مُضَاجِعِي
صَحِبْتُ أُنَاساً بُرْهَةً مَا مَرَامُهُمْ مَرَامِي وَلاَ أَطْمَاعُهُمْ مِنْ مَطَامِعِي

(١) الرسوم (هامش ع و م)
(٢) عليك ولا أيامها برواجع (ع) و (م)
(٣) لا يتبعهم (ل)
(٤) سراب (ل)
(٥) لم يرد هذا البيت في (ل) على أنه بيت القصيد .
(٦) من لم (ع) و (م)
(٧) يكون (ل)

وَلَوْ لَمْ يُدَانِ ٱلضِّدُّ ضِدًّا لَمَا دَنا   مَحَلُّ ٱلْأَفاعِي مِنْ مَحَلِّ ٱلْأَسارِعِ

وَغَيْرُ قَرِيبٍ مِنْ فُؤَادٍ [1] وَمَسْمَعٍ   زَئِيرُ ٱلْأُسُودِ مِنْ نَقِيقِ ٱلضَّفادِعِ [2]

إِلى أَنْ أَبَتْ [3] لِي عَزْمَةٌ أَعْصُرِيَّةٌ [4]   صَرَعْتُ بِها ٱلْخَطْبَ ٱلَّذِي كانَ صارِعِي

فَنابَ ضِياءُ ٱلْفَجْرِ عَنْ ظُلْمَةِ ٱلدُّجَى   وَأَنْسَى ٱلْفُراتُ ناضِباتِ ٱلْوَقائِعِ [5]

وَعُوِّضْتُ مِنْ [6] رَعْيِ ٱلْبُرُوقِ وَشَيْمِها   غَماماً تَجَلَّى عَنْ سُيُولٍ دَوافِعِ

وَوَسْمِيُّهُ جُودُ ٱبْنِ نَصْرِ [7] بْنِ صالِحٍ   وَكانَ [8] ٱلْوَلِيُّ لِٱبْنِ شِبْلِ بْنِ جامِعِ

هُما أَنْعَما قَبْلَ ٱلسُّؤالِ وَأَجْزَلا   فَأَعْظِمْ بِمَتْبُوعٍ وَأَكْرِمْ بِتابِعِ

لِتَكْذِيبِ مَنْ ظَنَّ ٱلْمَعِيشَةَ ضَنْكَةً   وَمَنْ قالَ إِنَّ ٱلرِّزْقَ لَيْسَ بِواسِعِ

لَقَدْ أَغْنَيا عَنْ أُمَّةٍ [9] طالِبُ ٱلنَّدَى   لَدَيْهِمْ كَباغِي ٱلرِّسْلِ [10] مِنْ يَدِ راضِعِ

---

(١) في فؤاد (مسالك الأبصار ج ١٠) مخطوط

(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٣) أتت (ع) و (م)

(٤) نسبة الى أعْصُر بن سعد أبو قبيلة غني التي ينتسب إليها ابن حَيُّوس .

(٥) الوقائع جمع وقيعة : وهي نقرة في جبل أو سهل يستنقع فيها الماء .

(٦) عن (ل)

(٧) هو محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب . انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٨) فكان (ع) و (م)

(٩) أمه (ع) و (م)

(١٠) الرِّسل : اللبن .

يُرَاوِحُ مَنْ نالَ(١) ٱلنَّوالَ أَوِ ٱلْقِرى ... بِأَدْهَى ٱلدَّوَاهِي أَوْ بِأَنْكَى ٱلْفَجائِعِ

وَإِنِّي وَإِنْ أَكْثَرْتُ وَصْفَ مُبارَكٍ ... وَأَطْنَبْتُ ما خَبَّرْتُ إِلاَّ بِشائِعِ

هُمامٌ حَوى فِي أَولَياتِ شَبابِهِ ... مَآثِرَ(٢) أَعْيَتْ كُلَّ كَهْلٍ وَيافِعِ

إِذا بَذَلُوا(٣) خَوْفاً أَتَتْ مَكْرُماتُهُ ... عَطايا كَرِيمٍ لاَ عَطايا مُصانِعِ

نَصِيَّةُ أَنْجادٍ تُخافُ وَتُتَّقى ... وَنُخْبَةُ أَمْجادٍ ضِخامِ ٱلدَّسائِعِ

وَأَسْرَعُ فِي(٤) مَنْعِ ٱلذِّمارِ إِجابَةً ... إِذَا نادَتِ ٱلْأَبْطالُ هَلْ مِنْ مُقارِعِ

يُلاَقِيهِ مَنْ يَرْجُو جَزِيلَ نَوالِهِ ... بِإِدْلاَلِ خَفْضٍ(٥) لاَ بِذِلَّةِ طامِعِ

كَفى كُلَّ راجٍ سَوْمَهُ ٱلْعُرْفَ ضارِعاً ... لَهُ وَخَلَتْ أَفْعالُهُ مِنْ مُضارِعِ

وَدَرَّتْ(٦) لَهُ فِي كُلِّ أُفْقٍ غَمامَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى بُخْلِ ٱلْغُيُوثِ ٱلْهَوامِعِ

أَلاَئِمَهُ فِي ٱلْجُودِ مَهْلاً فَإِنَّها ... نَصائِحُ تُهْدِيها إِلى غَيْرِ سامِعِ

وَهَلْ خَرَجَتْ أَفْعالُهُ عَنْ مَحاسِنٍ ... تُخَبِّرُ أَوْ أَقْوالُهُ عَنْ شَوافِعِ(٧)

---

(١) باغى (ع) و (م)

(٢) مكارم (ع) وهامش (م)

(٣) بدلوا (ع) و (م)

(٤) من (ع) و (م)

(٥) حفظ (ع) و (م)

(٦) وجادت ... (ل)

(٧) شفايع (ل)

مِنَ ٱلْقَوْمِ لاَ يَسْتَنْصِرُونَ سِوَى ٱلظُّبى ... إِذَا ٱلْمانِعُونَ ٱسْتَنْصَرُوا بِٱلْمَقانِعِ
وَمَا ٱسْتَأْثَرُوا(١) عَنْ كُلِّ عافٍ وَزائِرٍ ... بِما كَسَبُوهُ بِٱلرِّماحِ ٱلشَّوارِعِ
يَرُوقُكَ مَرْآهُمْ مَضاءً وَرَوْنَقاً ... وَتِلْكَ سَجِيّاتُ ٱلسُّيُوفِ ٱلْقَواطِعِ
وَتَلْقاهُمُ فِي نائِلٍ وَحَمِيَّةٍ ... غُيُوثَ ٱلْعَطايا أَوْ لُيُوثَ ٱلْوَقائِعِ
عَتادُهُمُ خَطِّيَّةٌ قَدْ تَكَفَّلَتْ ... بِرِزْقِ نُسُورٍ حُوَّمٍ وَخَوامِعِ (٢)
وَهِنْدِيَّةٌ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... تُفَرِّقُ ما بَيْنَ ٱللَّهَى وَٱلْأَخادِعِ (٣)
وَمُقْرَبَةٌ عَزَّتْ شِراءً فَكُلُّها ... قَلائِعُ حِيزَتْ أَوْ بَناتُ قَلائِعِ
وَمَهْرِيَّةٌ يَحْمُونَها ٱلدَّهْرَ نَخْوَةً ... وَيَبْذُلُها عِنْدَ ٱلْقِرَى كُلُّ مانِعِ (٤)
تَبِيتُ حِدادُ ٱلْبِيضِ أَوْفَى(٥) حُتُوفِها ... وَتُضْحِي حِجازاً(٦) دُونَها فِي ٱلْمَراتِعِ
وَكَمْ مَأْزِقٍ سَدَّ ٱلْفَضاءَ جُيُوشُهُ ... ثَنَوْها عَلَى أَعْقابِها بِٱلطَّلائِعِ
وَلِلْعارِ كَشّافُونَ إِنْ غَشِيَتْهُمُ (٧) ... وَغَيٌّ كَشَفْتَ عَمَّا وَراءَ ٱلْبَراقِعِ
وَلَوْ مُنِيَتْ عَوْفُ بْنُ عَبْدٍ بِفَقْدِهِمْ ... لَكانَتْ أَكُفّاً لَمْ تُعَنْ بِأَصابِعِ

(١) وما استكثروا (م)
(٢) الخوامع : الضباع . وفي (ع) و (م) وجوامع . وهو تصحيف .
(٣) فالأخادع (ع) و (م)
(٤) هذا البيت ساقط من (م)
(٥) كذا ولعله (أدنى)
(٦) مجاراً (ع) و (م)
(٧) غشمتهم (ل)

لَقَدْ أَسَّسَتْ أَبْنَاءِ زَائِدَةٍ لَهَا ... قَوَاعِدَ أَرْسَى مِنْ هِضَابِ مُتَالِعِ [١]

وَهُمْ خَلَفُوا النُّعْمَانَ فِي صَوْنِ بَيْتِهِ ... وَمَا ظَفِرَتْ لَوْلَاهُمُ بِمُمَانِعِ

فَنَكَّبَهَا كِسْرَى عَلَى عِزِّ مُلْكِهِ ... وَمَا شَاعَ مِنْهُ [٢] مُنْكَرُهَا غَيْرَ طَائِعِ

وَقَدْ سَارَ شِبْلٌ [٣] فِيهِمُ وَمُبَارَكٌ ... بِمَا لَمْ يَسِرْ عَنْ نَهْشَلٍ وَمُجَاشِعِ [٤]

وَلَوْ أَنَّ هَمَّاماً [٥] رَأَى مَا رَأَيْتُهُ ... لَكَانَ عَلَى هٰذَا الْمَقَالِ مُشَايِعِي

وَمَا خُلِقَا إِلَّا لِإِفْنَاءِ قَاسِطٍ ... يُخَافُ وَيُرْجَى أَوْ لِإِغْنَاءِ قَانِعِ

أَبَا تَرْجَمٍ [٦] جَادَتْ يَدَاكَ تَبَرُّعاً ... فَعَالَ كَرِيمِ الصُّنْعِ جَمِّ الصَّنَائِعِ

مَوَاهِبُ إِنْ أَوْدَعْتَهَا النَّاسَ سَالِفاً ... فَإِنِّي أَوْلَاهُمْ بِحِفْظِ الْوَدَائِعِ

أَبَيْتَ فَلَمْ تَنْكُثْ وَلَا أَنْتَ نَاكِبٌ [٧] ... طَرِيقاً إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ بِشَاسِعِ

وَرَاءَكَ أَهْلُ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ النَّدَى ... إِذَا مَا سَعَيْتَ مِنْ حَسِيرٍ وَظَالِعِ

إِقَامَةُ عَدْلٍ لِلْأُلَى اسْتَبْعَدُوا الْمَدَى [٨] ... فَهُمْ بَيْنَ مَاضٍ فِي الضَّلَالِ وَرَاجِعِ

---

(١) مُتالِع : جبل بنجد .

(٢) عنه (ل)

(٣) وقد سار سيل فيهم ومنازل ؟ (ع) و (م)

(٤) نهشل ومجاشع : ابنا دارم من بني تميم . وكان الفرزدق يفخر بهما لانه من أبناء مجاشع .

(٥) همّام بن غالب : هو الفرزدق الشاعر المشهور .

(٦) أبا رحم ؟ (ع) و (م) . أبا راحم (مختارات البارودي)

(٧) أبيت فلم تركب ولا أنت راكب (ل)

(٨) أقام بعذر للأولى استعبدوا المدى بهم ... (ك)

لَقَدْ جُزْتَ[1] أَقْصَاهُ بِغَيْرِ مُرَافِقٍ وَذُدْتَ الْوَرَى عَنْهُ بِغَيْرِ مُنَازِعِ
سَأَشْكُرُ مَا دَامَ الْكَلَامُ يُطِيعُنِي صُنُوفاً أَتَتْ مِنْ جُودِكَ الْمُتَتَابِعِ
تَوَالَتْ عَلَى مَنْ لَا يُدِلُّ بِخِدْمَةٍ عَلَيْكَ وَلَا يُدْلِي إِلَيْكَ بِشَافِعِ[2]
فَأَجْنَيْتُكَ[3] مِنْ مَحْضِ الْقَرِيضِ وَحُرِّهِ بَضَائِعَ لَيْسَ الْعُرْفُ فِيهَا بِضَائِعِ
سَتَطْرُقُ مِنْهَا كُلَّ أَرْضٍ غَرَائِبٌ حِسَانُ الْمَبَادِي رَائِعَاتُ[4] الْمَقَاطِعِ
إِذَا أُنْشِدَتْ كَادَتْ لِفَرْطِ بَيَانِهَا تَعِيهَا الْقُلُوبُ قَبْلَ وَعْيِ الْمَسَامِعِ

٥٨

وقال[5] يمدحه[6] ويهنيه بولده أبي منصور وأنشدها عقيب ألم عرض له في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

مَنْ عَفَّ عَنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ تَوَرُّعا جَاءَتْهُ أَلْطَافُ الْإِلَـهِ تَبَرُّعا

---

(١) حزت (ع) و (م)
(٢) عليكم ولا يدلي إليكم بشافع (ع) و (م)
(٣) فأحبتك (ع) و (م)
(٤) رايقات (ل)
(٥) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك : « وقال ايضاً يمدحه (أي أمير الجيوش) ويهنيه بولده أبي منصور عقيب ألم عرض له في سنة اثنتين وثلاثين وأربعماية »
(٦) الضمير راجع الى أمير الجيوش أنوشتكين الدِّزْبري .

إِنَّا تَوَقَّعْنَا السَّلامَةَ وَحْدَهَا ... فَاسْتَلْحَقَتْ (١) ما لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعا

مَا قِيلَ أَصْبَحَ مُفْرِقًا مِنْ دَائِهِ ... ذَا اللَّيْثُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ مُتْبِعا

خَبَرٌ تَضَوَّعَتِ الْبِلادُ بِنَشْرِهِ ... طِيبًا فَأَغْنَى سَائِفًا (٢) أَنْ يَسْمَعا

مَا إِنْ أَتَى فَهِمَ الْقَرِيبِ عِبَارَةً ... حَتَّى لَقَدْ فَهِمَ الْبَعِيدُ تَضَوُّعا

قَدِمَتْهُ قَبْلَ قُدُومِهِ النُّعْمَى الَّتِي ... جَلَتِ الْمَخَافَةَ وَالْمُحُولَ فَأَقْشَعا

يَوْمَ امْتَطَيْتَ قَرَى جَوَادٍ وَقْعُهُ ... مِنْ وَقْعِ ذَاكَ الْغَيْثِ أَحْسَنُ مَوْقِعا

اَلْغَيْثُ يَهْمِي ثُمَّ يُقْلِعُ صَوْبُهُ ... حِينًا (٣) وَلَيْسَ نَدَاكَ عَنَّا مُقْلِعا

إِنْ سُمِّيَ الإِثْنَيْنُ مَغْرِبَ هَمِّنَا ... فَالسَّبْتُ يُدْعَى لِلْمَسَرَّةِ مَطْلِعا

يَوْمَانِ إِنْ يَتَفَرَّقَا فَلَقَدْ غَدَا ... سَهْمُ السَّعَادَةِ فِيهِمَا مُسْتَجْمِعا

قَدْ أَدْرَكَ الإِسْلامُ فِيكَ مُرَادَهُ ... فَلْيَهْنِكَ الْفَرْعُ الَّذِي لَنْ يُفْرِعا

سَبَقَتْهُ (٤) عَيْنُ الشَّمْسِ عِلْمًا أَنَّهُ ... يُزْرِي بِبَهْجَتِهَا إِذَا طَلَعَا مَعا

لَوْ فَتَرَتْ (٥) حَتَّى يَجِيَ أَمَامَهَا ... فَتْرًا لَمَا أَمِنَ الْوَرَى أَنْ تَرْجِعا

(١) فاستخلفت (ع) و (م)

(٢) شايفا ؟ (ع) و (م)

(٣) عنا (ع) و (م)

(٤) ستقيه (ع) و (م)

(٥) لو قرَّبتْ حتى تجيء أمامها ؟ (ع) و (م)

ما غَضَّ مِنْهُ طُلُوعُها مِنْ قَبْلِهِ إِذْ كانَ أَبْهى فِي ٱلْعُيُونِ وَأَرْفَعا
وَلَئِنْ سُقِينا ٱلْغَيْثَ مِنْ بَرَكاتِهِ فَلَقَدْ سَقى ٱلْأَعْداءَ سُمًّا مُنْقَعا
وَهُوَ ٱبْنُ أَرْوَعَ مُذْ رَأَيْنا وَجْهَهُ لَمْ نَلْقَ مِنْ صَرْفِ ٱلزَّمانِ مُرَوِّعا
قَدْ ظَلَّ قَصْرُكَ مُشْبِلاً مِنْهُ فَعِشْ حَتّى تَراهُ مِنْ بَنِيهِ مُسْبِعا
فَهُوَ ٱلَّذِي كَفَلَتْ لَهُ آلاؤُهُ أَلاَّ يُصِيبَ ٱلْحَمْدُ عَنْهُ مَدْفَعا
وَدَعا ٱلْقُلُوبَ إِلى هَواهُ فَأَصْحَبَتْ[1] فَأَجابَ فِيهِ ٱللهُ دَعْوَةَ مَنْ دَعا
عَمَّتْ فَواضِلُهُ فَأَنْجَحَ سَعْيُ مَنْ يَبْغِي مَآرِبَهُ بِهِ مُسْتَشْفِعا
سَيَكُونُ فِي كَسْبِ[2] ٱلْمَعالِي شافِعاً لَكَ مِثْلَما أَضْحى إِلَيْكَ مُشَفَّعا
رِيعَتْ لَهُ ٱلْأَمْلاكُ قَبْلَ رَضاعِهِ وَتَزَعْزَعَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَرَعْرَعا[3]
سامٍ وَلَمّا يُسْمَ نَفّاعٌ[4] وَلَمْ يَأْمُرْ وَساعٍ فِي ٱلْعَلاءِ وَما سَعا
وَإِخالُهُ يَأْبى ٱلثُّدِيَّ بِعِزَّةٍ حَتّى تَدُرَّ لَهُ ٱلثَّناءَ[5] فَيَرْضَعا
فَتَمَلَّ داراً بَلَّغَتْكَ سُعُودُها أَقْصى ٱلْمُنى وَإِخالُها لَنْ تَقْنَعا[6]

(١) فأصبحت (م)
(٢) كتب (ع) و (م)
(٣) ريعت به ... أن يترعزعا (ع) و (م)
(٤) نفاعاً (ع) و (م)
(٥) السناء (ع) و (م)
(٦) لم تقفعا ؟ (ع) و (م)

حتّى ترى هذا الهلالَ وقد بدا بدراً وذا الغصنَ الأنيقَ مفرّعا
مُتّعتَ ما متعَ النهارُ بقربِهِ أبداً ودامَ بكَ[1] الزمانُ ممتَّعا
ورأيتَ منهُ ما رأى منكَ الورى لتطيبَ مرأىً في البلادِ ومسمعا
وليهنِ بيتاً[2] نعمةٌ وهبتْ لهُ شرفاً أعزَّ منَ السماكِ وأمنعا
أزري[3] بها إنْ قلتُ خصَّتْ عامراً فأقولُ بلْ عمَّتْ نزاراً أجمعا
خضعتْ لعزّتكَ القبائلُ رهبةً ومنَ الصوابِ لمرهبٍ أنْ يخضعا
ظلَّتْ تخرُّ ملوكُها لكَ سُجّداً ويعزُّ أنْ تُلفى لغيركَ رُكّعا
عرفوا مصالكَ في الحروبِ فأذعنوا فرجعتَ بالفضلِ الذي لنْ يُدفعا
وكسوتَهمْ في السلمِ غيرَ مُدافَعٍ أضعافَ ما سلبتْ سيوفُكَ في الوعى[4]
فأبدتَهمْ عندَ التبارزِ[5] قاطعاً وأفدتَهمْ عندَ التجاوزِ مُقطِعا
وجعلتَ شقوتَهمْ بعفوكَ نعمةً وأحلتَ مشتاهُمْ بفضلكَ مربَعا
تركوا انتجاعَ المعصراتِ ويمّموا ظِلّاً إذا ما العامُ أمعرَ أمرعا
ومتى يُشاطرُكَ العلاءَ مُشاطرٌ تركَ البطيءَ وراءهُ منْ أسرعا

---

(١) لك (ل)
(٢) وهباً (ل)
(٣) أنزرْ بها (ل)
(٤) الوَعى : الجلبه والأصوات .
(٥) التنازر ؟ (ع) و (م)

تَرْقى (١) إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ فَرْسَخاً   وَسِوَاكَ يَرْقَى كُلَّ يَوْمٍ إِصْبَعا
يا عُدَّةَ ٱلْخُلَفَاءِ كَمْ لَكَ مِنْ يَدٍ   قَامَ ٱلزَّمَانُ بِهَا خَطِيباً مِصْقَعا
خَوَّلْتَهُ ٱلنِّعَمَ ٱلْجِسَامَ فَجَاهِلٌ   مَنْ ظَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْكَ تَطَوُّعا
بِنَدَاكَ وَاصَلَ حَمْدَهُ مَنْ ذَمَّهُ   وَسُطَاكَ قَدْ حَفِظَتْ لَهُ مَا ضَيَّعا
تَتَقَاصَرُ ٱلْآمَالُ عَمَّا نِلْتَهُ   وَلَوَ ٱنَّهَا أَمَّتْهُ عَادَتْ ظُلَّعا
لَأَبَيْتَ أَنْ تَجْتَابَ ثَوْبَ مَنَاقِبٍ   حَتَّى تَرَاهُ بِٱلثَّنَاءِ مُرَصَّعا
فَأَتَاكَ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ مِنْ آفَاقِهَا   رَغَباً لَقَدْ نَادَى نَدَاكَ فَأَسْمَعا
يَا بْنَ ٱلَّذِينَ إِذَا تَقَاصَرَتِ ٱلْخُطَى   طَالُوا خُطىً وَظُبىً هُنَاكَ وَأَذْرُعا
أَحْلَلْتَ قَوْمَكَ رُتْبَةً لَا تُرْتَقَى   إِنَّ ٱلْمَجَرَّةَ رَوْضَةٌ لَنْ تُرْتَعا
فَلْيَعْلَمُ قَدْرُ ٱلتُّرْكِ أَنَّكَ مِنْهُمُ   فَلَهُمْ بِكَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لَا يُدَّعا (٢)
قَدْ دَانَتِ ٱلدُّنْيَا لِحُكْمِكَ هَيْبَةً   فَحَكَمْتَ فِي أَقْطَارِهَا مُتَرَبِّعا (٣)
مُذْ (٤) سَارَ فِي ٱلْآفَاقِ ذِكْرُكَ مُوضِعاً   لَمْ يُخْلِ مِنْ خَوْفِ ٱنْتِقَامِكَ مَوْضِعا
يَفْدِيكَ مُنْكَمِشٌ بَعِيدٌ شَأْوُهُ   وَمُضَجِّعٌ جَعَلَ ٱلْهُوَيْنَا مَضْجَعا

---

(١) يرقى ؟ (ع) و (م)
(٢) لن يُدَّعى (ع) و (م)
(٣) مترفعا (ل)
(٤) قد ... (ع) و (م)

ومُؤَمِّلٌ أَلْفاكَ مُنْتَجِعاً لَهُ ... وَمُرَوَّعٌ لَمْ يَلْقَ غَيْرَكَ مَفْزَعا
غَمَرَتْ ثَنائِي[1] مِنْ لَدُنْكَ مَواهِبٌ ... ما غادَرَتْ فِيهِ لِغَيْرِكَ مَطْمَعا
قَدْ كانَ أَشْكَلَ نَهْجُهُ فِيما مَضى ... فَجَعَلْتَهُ بِنَداكَ نَهْجاً مَهْيَعا
وَالْحَمْدُ عَنْكَ مُقَصِّرٌ مَعَ أَنَّنِي ... لَمْ أُبْقِ فِي قَوْسِ الْمَحامِدِ مَنْزِعا

٥٩

وقال يمدحه ويذكر ظفره بشبل الدولة[2] ووصول رأسه الى دمشق في شعبان من سنة تسع وعشرين واربعماية .

هَلْ بَعْدَ فَتْحِكَ ذا لِباغٍ مَطْمَعُ ... لِلّهِ هذا الْعَزْمُ ماذا يَصْنَعُ
ما زالَ يَرْفَعُ لِلْخِلافَةِ سَيْفُها ... مُنْذُ انْتَضَتْهُ رايَةً لا تُوضَعُ
بِالْجِدِّ تَنْثَنِي الْحادِثاتُ فَتَنْثَنِي ... وَالْجِدُّ يَقْتادُ الْحَرُونَ فَيَتْبَعُ
لا يَأْمَنَنَّ سُطاكَ ذُو جَهْلٍ بِها ... ما لِلْقَضاءِ وَلا لِأَمْرِكَ مَدْفَعُ
باغِي النُّجُومِ مُبَيِّنٌ عَنْ عَجْزِهِ ... وَمُصارِعُ اللَّيْثِ الْغَضَنْفَرِ يُصْرَعُ
فِي قَتْلِكَ الْأَسَدَ[3] الَّذِي راعَ الْوَرى ... لَوْلا سَفاهَةُ شِبْلِهِ[4] ما يَرْدَعُ

---

(١) بناني ؟ (ع) و (م) ولعل صوابه بياني .
(٢) هو نصر بن صالح بن مرداس . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)
(٣) يريد بالأسد : أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي والد شبل الدولة حاربه أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري فانجلت المعركة عن مقتله في الأقحوانة قرب طبرية سنة (٤٢٠)
(٤) حلمه (ع) و (م)

وَأَرى ٱبْنَ صالِحٍ (١) ٱسْتَغَرَّ بِجَهْلِهِ إِنَّ ٱلْجَهالَةَ فِي ٱلْمَكارِهِ تُوقِعُ
لَمْ يَلْقَ (٢) عَنْها وازِعاً مِنْ رَأْيِهِ حَتّى ٱنْبَرَتْ أَعْضاؤُهُ تَتَوَزَّعُ
فَلَئِنْ أَبى أَنْ يَسْتَجِيرَكَ نَخْوَةً فَلَقَدْ أَتى (٣) وَلَهُ قِيادٌ طَيِّعُ
رَأْسٌ تُراعُ لَهُ ٱلْعُيُونُ وَلَمْ تَزَلْ قَبْلَ ٱلْعُيُونِ (٤) بِهِ ٱلْقُلُوبُ تُرَوَّعُ
وَرَأى ٱلتَّخَلِّيَ عَنْ حَماةَ (٥) شَناعَةً وَمُقامُ جُثَّتِهِ عَلَيْهـــا أَشْنَعُ
مُتَخَطَّفٌ لَمْ يُغْنِ (٦) عَنْهُ قَوْمُهُ شَيْئاً بَلِ ٱنْدَفَعُوا وقَدْ قِيلَ ٱدْفَعُوا
وَثَنى شَبِيباً عَنْهُ صِهْرٌ خانَهُ (٧) فَإِذَا ٱلصَّهـــارَةُ عِنْدَهُ لاَ تَنْفَعُ
مَنْ رامَ مُعْتَصَماً سِواكَ فَجَمْعُهُ مُتَصَعْصِعٌ وَبِناؤُهُ مُتَضَعْضِعُ (٨)
أَذْكَيْتَها بِٱلسُّمْرِ تَعْسِلُ شُرَّعاً وَٱلْبِيضِ تَلْمَعُ وَٱلْمَذاكِي تَمْزَعُ (٩)

(١) يريد بابن صالح : شبل الدولة .
(٢) لم تلق ... (ع) و (م)
(٣) أبى (ع) و (م)
(٤) المنون (ل)
(٥) حماه (ع) و (م)
(٦) لم تغن (ع) و (م)
(٧) وثنى شبيباً عنه طعنٌ صَيْهَدٌ (ل) والصيهد الحار . وشبيب بن وثّاب النميري صهر شبل الدولة أخو زوجه علوية « الكامل لابن الأثير ٩/٨٠ »
(٨) لم يرد هذا البيت في (ع) ولا في (م)
(٩) لم يرد هذا البيت (ل)

هَيْجاءَ لَمْ تُشْكِلْ عجائزَ عامرٍ إلاَّ وَأُمُّ الْمَوْتِ فِيها مُتْبِعُ
ما إنْ تخاذَلَتِ الْجماجِمُ وَالطُّلى حتّى تناصَرَتِ الظُّبى وَالأَذْرُعُ (١)
كانَتْ صَلاَةً وَالشِّعارُ (٢) إقامَةً وَالْهامُ تَسْجُدُ وَالصَّوارِمُ تَرْكَعُ
إذْ هامُهُمْ كالطَّيْرِ لاقَتْ مَشْرَعاً بَعْضٌ مُحلِّقَةٌ وَبَعْضٌ وُقَّعُ
ظَنُّوا وَمِيضَ الْبَرْقِ بارِقَ نُجْعَةٍ ما تَحْتَ كُلِّ وَمِيضِ بَرْقٍ مَرْتَعُ
قَدْ أَسْمَعَتْ هٰذِي الظُّبى مَنْ لاَ يَرى آثارَها وَأَرَيْنَ مَنْ لاَ يَسْمَعُ
لَوْلاَ تَقادُمُها لَقُلْنا إنَّها لاَ شَكَّ مِنْ عَزْمِ الْمُظَفَّرِ تُطْبَعُ
لَمَّا جَعَلْتَ صَلِيلَها عَذْلاً لَهُمْ إنَّ الْمَلاَمَ بِغَيْرِها (٣) لاَ يَنْجَعُ
وَلَّوْا وَأَكْثَرُ قَوْلِ مَنْ فاتَ الْوَغى ما فِي الْحَياةِ لِعامِرِيٍّ مَطْمَعُ (٤)
مِنْ كُلِّ مَسْلُوبِ الْبَصِيرَةِ خانَهُ حُسْنُ الْعَزاءِ وَلَمْ (٥) تَخُنْهُ الأَدْمُعُ
نَعَمٌ تَقَسَّمَها الْفَيافِي وَالرَّدى نَفْياً وَعَقْراً وَالْعَوالِي شُرَّعُ
فَلِمَنْ مَضى زَجْرٌ بِأَلْسِنَةِ الْقَنا مِنْهُمْ (٦) وَلِلثَّاوِي مُناخٌ جَعْجَعُ

(١) والأذرع (ل)
(٢) والشفار (ع) و (م)
(٣) بغيره (ل)
(٤) على هامش (ل) ما مثاله (لعامرٍ مستمتَعُ)
(٥) فلم (ع) و (م)
(٦) فيهم (ع) و (م)

وَفَشَتْ جِراحٌ كانَ أَخْطَرَ مَوْقِعاً ... مِنْها وَأَنْكى ما تُجِنُّ الْأَضْلُعُ
كَفَلَتْ لِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَرُّوا بِها ... أَلاَّ تَجُوعَ ذِئابُهـا وَالْأَضْبُعُ
سُلِبُوا بِهَبَّاتِ الْجَهالَةِ مُلْكَهُمْ ... إِنَّ الْهِباتِ بِكُفْرِها تُسْتَرْجَعُ
فَلْيَذْهَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ فَلْيَرْجِعُوا ... فَالْأَرْضُ واسِعَةٌ وَعَفْوُكَ أَوْسَعُ
ما أَزْمَعُوا هَرَباً وَلاَ فُلُّوا شَباً ... إِلاَّ وَأَنْتَ عَلَى التَّرَجُّلِ (١) مُزْمِعُ
وَالْعَزْمُ إِلاَّ ما عَزَمْتَ مُفَلَّلٌ ... وَالْمُلْكُ إِلاَّ ما حَفِظْتَ مُضَيَّعُ
أَبَنِي كِلاَبٍ إِنَّ عِزَّكُمُ وَهَى ... فَخُذُوا بِأَحْكامِ الْمَذَلَّةِ أَوْ دَعُوا
أَعَنِ الرَّشادِ تَلَوُّمٌ وَتَأَخُّرٌ (٢) ... وَإِلى الْفَسادِ تَقَدُّمٌ وَتَسَرُّعُ
طالَ الْعُرامُ بِكُمْ أَلَمَّا تَعْلَمُوا ... أَنَّ الْعَرامَةَ بِالصَّرامَةِ تُقْدَعُ (٣)
وَنَحَتْ (٤) نُمَيْرُكُمُ فَأَلاَّ دافَعَتْ ... وَالْمَوْتُ فِيكُمْ طاعِمٌ لاَ يَشْبَعُ
مَنَعَتْهُمُ مِنْ وَصْلِهِمْ أَرْحامَكُمْ ... رُؤْياهُمُ أَوْصالَكُمْ (٥) تَتَقَطَّعُ
حَتَّى إِذا أَسَرَ الْخَمِيسُ رِجالَكُمْ (٦) ... وَمَضَى نَعامٌ فِي الْهَزائِمِ مُسْرِعُ (٧)

(١) الترحُّل (ل) (٢) ... تأخر وتلوُّم (ل)
(٣) تقذع (ع) و (م)
(٤) ونحت نمير لكم (ل) ونجت نميركم (مختارات البارودي)
(٥) أوصالهم (ل)
(٦) حماتهم (ل)
(٧) يسرع (ل)

أَخَذَ ٱلْوَثَاقُ وَهُمْ بِهِ مِيثَاقُهُمْ ... أَلاَّ يُجِيبُوا ٱلْمُسْتَغِيثَ إِذَا دُعُوا

يَتَخَيَّلُ(١) ٱلْبَطَلُ ٱلْكَمِيُّ(٢) إِذَا رَأَى ... إِقْدَامَ جَيْشِكَ أَنَّهُ مَا يَشْجُعُ

عَوَّدْتَهُمْ فَرْسَ ٱلْكُمَاةِ لَدَى ٱلْوَغَى ... فَأَقَلُّ مَنْ فِيهِمْ هُمَامٌ أَرْوَعُ

وَبَنُو عَدِيٍّ حِينَ خَالَطَتِ ٱلظُّبَى ... وَٱلْيَوْمُ مِنْ نَقْعِ(٣) ٱلْحَوَافِرِ أَسْفَعُ

ضَاقَتْ مَسَالِكُهَا فَأَشْرَعَتِ ٱلْقَنَا ... إِنَّ ٱلْوَشِيجَ لِمُشْرِعِيهِ مُوَسِّعُ

وَبِبَعْضِ مَا بَلَغَتْ مَسَاعِي رَافِعٍ(٤) ... تُحْوَى ٱلنَّبَاهَةُ وَٱلْمَحَلُّ ٱلْأَرْفَعُ

مَنَعَ ٱبْنُ جَوْشَنٍ ٱلذِّمَارَ بِحَيْثُ لاَ ... يَحْوِي عِنَانَ ٱلْعِزِّ مَنْ لاَ يَمْنَعُ

وَحَمَاهُ مِنْ كَلَبِ ٱلْعَدُوِّ وَقَدْ عَلاَ ... رَجُلٌ تَكَادُ لَهُ ٱلْجِبَالُ تَصَدَّعُ

وَثَبَاتُهُ وَٱلْخَوْفُ قَدْ قَصَرَ ٱلْخُطَى ... وَثَبَاتُهُ حِينَ(٥) ٱلذُّرَى تَتَزَعْزَعُ

جَرَّدْتَهُ عَضْباً سَوَاءٌ عِنْدَهُ ... يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ حَاسِرٌ وَمُدَرَّعُ

فَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ عِدًى فِي مَأْزِقٍ ... فَبِغَيْرِ رَأْسِ عَظِيمِهِمْ(٦) لاَ يَرْجِعُ

---

(١) يتخبّل (ع) و (م)

(٢) الجريء (ل)

(٣) وقع الحوافر (ل)

(٤) هو رافع بن أبي الليل أمير الكلابيين دخل في طاعة الفاطميين وكان مع أنوشتكين الدِّزْبِري في وقعة الأقحوانة وفي فتح حلب .

« ابن القلانسي ٧٣ و ٧٤ »

(٥) في هامش (ع) و (م) حق .

(٦) ما يرجع (ع) و (م)

أَوَكَيْفَ لاَ يمْضِي[(١)] ٱلْحُسامُ بِكَفِّ مَنْ ... ما زَالَ يَضْرِبُ بِالْكُماةِ فَيَقْطَعُ

نالَتْ جَنابٌ[(٢)] فِي جَنابِكَ سُؤْلَهَا ... فَلَهَا مَصِيفٌ فِي ذَرَاكَ وَمَرْبَعُ

لاَ تَشْتَكِي جَدْباً وَرَوْضُكَ مُمْرِعٌ ... كَلاَّ وَلاَ ظَمأً وَحَوْضُكَ مُتْرَعُ

وَلَقَدْ أَبانَتْ طَيِّئٌ عَنْ رُشْدِها ... وَٱلْيَوْمَ تَخْفِضُ بِالْفَعالِ وَتَرْفَعُ

ما ضَرَّهُمْ لُقْيا ٱلْقَنا بِجُلُودِهِمْ ... وَعَلَيْهِمُ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ أَدْرُعُ

إِذْ ظَلَّ غَلاَّبٌ[(٣)] يَذُودُ حُماتَهُمْ ... إِنَّ ٱلتَّقَرُّبَ مِنْ رِضاكَ يُشَجِّعُ

وَغَداً تَرَى حَسَّانَ[(٤)] يَفْعَلُ فِعْلَهُ ... إِنْ كانَ فِيهِمْ لِلأَسِنَّةِ مَشْرَعُ

فَأَبٌ بِعَفْوِكَ يَقْتَفِي أَثَرَ ٱبْنِهِ ... وَٱبْنٌ لِوَالِدِهِ بِسَيْفِكَ يَتْبَعُ

هٰذَا هُوَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لاَ يُرْتَقَىٰ ... أَبَداً وَذَا ٱلْمَجْدُ ٱلَّذِي لاَ يُفْرَعُ

ظَلِّلْ بِسُحْبِكَ طَيِّئاً[(٥)] لِتَجُودَها ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ دِيمَةٌ لاَ تُقْلِعُ

عَرَبٌ مَضَتْ أَحْكامُ عِزِّكَ فِيهِمُ ... طَوْراً تُفَرِّقُهُمْ وَأُخْرَىٰ تَجْمَعُ

مَرَنَتْ عَلَى خَطْمِ ٱلْمَوارِنِ عِنْدَمَا ... رَأَتِ ٱلْخَنَاجِرَ[(٦)] فِي خِلاَفِكَ تُجْدَعُ

---

(١) أو كيف ما يمضي ... (ع) و (م)

(٢) بنو جناب . انظر الحاشية رقم (١) ص (١٦٩)

(٣) غَلاَّق (ل) ويظهر من سياق الكلام أن غلاّباً هو ابن حسّان الطائي.

(٤) هو حسّان بن المفرّج الطائي . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)

(٥) طيّباً (ع) و (م) وهو تصحيف .

(٦) كذا . وفي (ل) الحناجر . وكلاهما تصحيف والصواب (المناخر)

لَمْ يَخْلُ مِنْ فَرَحٍ بِنَصْرِكَ فَلْيَدُمْ قَلْبٌ وَلَا مِنْ ذِكْرِ فَتْحِكَ مَوْضِعُ
فَتْحٌ جَلِيلٌ فِي النُّفُوسِ وَإِنَّهُ سَيَقِلُّ عِنْدَ وُقُوعِ مَا يُتَوَقَّعُ
فِي بَعْضِ مَا بَلَغَ اعْتِزَامُكَ مَقْنَعٌ لَوْ أَنَّ هِمَّتَكَ الْعَلِيَّةَ تَقْنَعُ
لَكَ عَزْمَةٌ كَالسَّيْفِ بَلْ أَمْضَى شَبَاً مِنْ رُتْبَةٍ كَالشَّمْسِ بَلْ هِيَ أَرْفَعُ
حَاوِلْ بِهَا أَيَّ الْمَمَالِكِ شِئْتَهُ إِنَّ الطَّرِيقَ إِلَى ابْتِغَائِكَ مَهْيَعُ
وَانْظُرْ إِلَى حَلَبٍ بِنَاظِرِ رَحْمَةٍ فَشَفِيعُهَا عِنْدَ الْمُلُوكِ مُشَفَّعُ
أَرْضٌ يُطِلُّ[1] عَلَى الْمَمَالِكِ رَبُّهَا[2] فَيَضُرُّ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَنْفَعُ
فَانْهَضْ إِلَيْهَا نَهْضَةً عَضُدِيَّةً مَا مِثْلُ رَأْيِكَ بِالزَّخَارِفِ يُخْدَعُ
لَا تَتَّخِذْ رُسُلاً سِوَى بِيضِ الظُّبَى فَشِفَارُهَا أَبَداً بِأَمْرِكَ تَصْدَعُ
فَهُنَاكَ أَبْصَارٌ تَظَلُّ شَوَاخِصاً شَوْقاً إِلَيْكَ وَأَنْفُسٌ تَتَطَلَّعُ
تَفْدِيكَ لَا مُمْتَنَّةً بِنُفُوسِهَا مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ تَجِلُّ وَتَفْظَعُ
أُمَمٌ إِذَا رَغِبُوا فَأَنْتَ الْمُجْتَدَى فِيهِمْ وَإِنْ رَهِبُوا فَأَنْتَ الْمَفْزَعُ
أَمَّنْتَهُمْ وَقَتَلْتَ مَنْ رِيعُوا بِهِ فَلِذَاكَ مَا لَهُمُ الْغَدَاةَ مُرَوِّعُ
مَلِكَ الْمُلُوكِ وَمَنْ أَحَقُّ بِدَعْوَتِي مِمَّنْ تَذِلُّ[3] لَهُ الْمُلُوكُ وَتَخْضَعُ

(١) يظل (ل) و (م)
(٢) ربُّها (ع) و (م)
(٣) يذل (ل)

قَدْ ظَلَّ فِي ٱلْآفَاقِ ذِكْرُكَ نَافِذاً   فَمَوَاقِعُ ٱلْأَقْدَارِ حِينَ تُوَقِّعُ
لَوْ كُنْتَ فِي ٱلزَّمَنِ ٱلْقَدِيمِ وَإِنْشَأَىٰ   بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلسَّابِقُ ٱلْمُسْتَتْبَعُ[(١)]
لَأَقَمْتَ مِنْ حُجَّابِ قَصْرِكَ قَيْصَراً   وَلَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِ مُلْكِكَ تُبَّعُ
تَزْدَادُ[(٢)] مَجْداً كُلَّمَا قَالَ ٱلْوَرَىٰ   لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ ٱلسِّيَادَةِ مَنْزِعُ
وَعَلَى ٱلْخِلَافَةِ مِنْ مَآثِرِ سَيْفِهَا   تَاجٌ بِدُرِّ ٱلْمَكْرُمَاتِ مُرَصَّعُ
مَنْ ذَا يُطَمِّعُ نَفْسَهُ بِفَضِيلَةٍ   وَإِلَيْكَ تَنْتَسِبُ ٱلْفَضَائِلُ أَجْمَعُ
وَٱلْهِمَّةُ ٱلْبِكْرُ ٱلَّتِي لَمْ تُفْتَرَعْ[(٣)]   خَصَّتْكَ بِٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي لَا يُفْرَعُ
يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِٱلْعُلَىٰ فَصِفَاتُهُ   لَا تُدَّعَىٰ وَصَفَاتُهُ لَا تُقْرَعُ
إِنْ كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا ثَنَاءٌ خَالِدٌ   يَبْقَىٰ عَلَيْكَ فَمَا أَقُولُ وَتَسْمَعُ
فَبَقِيتَ تُبْدِعُ فِي ٱلْفَعَالِ فَإِنَّنِي   فِي ٱلْقَوْلِ يَا شَرَفَ ٱلْمَعَالِي أُبْدِعُ

*
* *

(١) المتتبع (ع) و (م)
(٢) يزداد (ع) و (م)
(٣) لم تقترع (ل)

٦٠

وقال[١] يمدحه ويهنيه بعيد الفطر من سنة سبع وعشرين وأربع مائة

كَذَا فِي طِلَابِ ٱلْمَجْدِ فَلْيَسْعَ مَنْ سَعَى ... بَلَغْتَ ٱلْمَدَى فَلْيُعْطَ فَخْرُكَ مَا ٱدَّعَى

مَدًى لَوْ تُجَارِيكَ ٱلرِّيَاحُ تَؤُمُّهُ ... لَخَلَّفَهَا ٱلتَّقْصِيرُ حَسْرَى وَظُلَّعا

فَلَسْتَ تَرَى طَرْفًا إِلَى ٱلْمَجْدِ طَامِحًا ... سَلَا ٱلنَّاسُ عَمَّا لَمْ تَدَعْ[٢] فِيهِ مَطْمَعا

إِذَا مَا مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ تِيهًا تَرَفَّعُوا ... كَفَاكَ عُلُوُّ ٱلْقَدْرِ أَنْ تَتَرَفَّعا

وَإِنَّكَ إِنْ عَنَّتْ[٣] غِمَارٌ مِنَ ٱلرَّدَى ... لَأَوْرَدُهُمْ مَا لَمْ تَرَ[٤] ٱلْعَارَ مَشْرَعا

وَأَمْنَعُهُمْ حِزْبًا[٥] إِذَا ٱشْتَجَرَ ٱلْقَنَا ... وَأَنْدَاهُمُ تُرْبًا إِذَا ٱلْغَيْثُ أَقْلَعا

وَحَاشَاكَ أَنْ يَغْشَاكَ عَجْزٌ أَبَاتَهُمْ[٦] ... مَدَى ٱللَّيْلِ عَنْ سَارِي هُمُومِكَ هُجَّعا

تَبِيتُ ٱلْعِتَاقُ ٱلْقُبُّ تَحْتَ سُرُوجِهَا ... لِتُرْسِلَهَا فِي غُرَّةِ ٱلصُّبْحِ مُزَّعا[٧]

---

(١) وردت هذه القصيدة في (ل) أولى قصائد قافية العين ، وعنوانها هناك كما يلي : « قال يمدح الأمير الأجل أمير الجيوش المظفّر ويهنيه بعيد الفطر سنة سبع وعشرين وأربعماية »

(٢) يدع ؟ (ع) و (م)

(٣) عمّت (م)

(٤) ما لم ير (ع) و (م)

(٥) حرباً (ل)

(٦) عجزاً بأنهم ؟ (ل)

(٧) نُزّعا (مسالك الأبصار ج ١٠)

وَتَمْنَعُ مَا تَحْوِي لِتُعْطِيَهُ نَدىً ... وَغَيْرُكَ لَا يَنْفَكُّ[1] يُعْطِي لِيَمْنَعا

وَلَمَّا تَعَدَّى ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَمْسِ طَوْرَهُ ... فَأَحْدَثَ خَطْباً مَا أَجَلَّ وَأَفْظَعا[2]

وَقَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ ٱلْعَزَاءِ لِمَا عَرَا ... سَلُوباً وَأُمُّ ٱلْهَمِّ وَٱلرُّعْبِ مُتْبِعا

أَحَلْتَ شَدِيدَ ٱلْخَوْفِ أَمْناً لِوَقْتِهِ ... فَأَضْحَكَ مَنْ أَبْكَى[3] وَبَشَّرَ مَنْ نَعا

تَدَارَكْتَ يَا سَيْفَ ٱلْإِمَامَيْنِ دِينَنا ... وَقَدْ كَرَبَتْ أَرْكَانُهُ أَنْ تَضَعْضَعا

بِرَأْيٍ مَتَى أَعْمَلْتَهُ فِي مُلِمَّةٍ ... فَكَمْ[4] يَرْجِعُ ٱلْعَاتِي بِهِ مُتَضَرِّعا

إِذَا خُدِعَتْ آرَاءُ قَوْمٍ أَبَى لَهُ ... مُهَذَّبُهُ[5] أَنْ يُسْتَزَلَّ فَيُخْدَعا

أَخَذْتَ عَلَى مَنْ ضَمَّ شَامُكَ بَيْعَةً ... بِها[6] أَمِنُوا ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِي كَانَ أَجْزَعا

جَمَعْتَ بِهَا ٱلْأَهْوَاءَ لَمَّا تَفَرَّقَتْ ... وَفَرَّقْتَ شَمْلَ ٱلْغَيِّ[7] لَمَّا تَجَمَّعا

فَلَلْتَ ظُبَى ٱلْأَيَّامِ لَمَّا جَعَلْتَها ... عَلَى ٱلْهَامِ وَٱلْأَجْسَامِ بِيْضاً وَأَدْرُعا

دَعَاكَ لَهَا مُسْتَنْصِرُ ٱللّٰهِ دَعْوَةً ... فَلَبَّيْتَهُ قَبْلَ ٱلْخَلَائِقِ مُسْرِعا

---

(١) ما ينفك (ل) و (مسالك الأبصار)

(٢) وأقطعا ؟ (م)

(٣) ما أبكى (ل)

(٤) فلم يرجع العاني (ل)

(٥) مهذبة (ع) و (م)

(٦) لها (ع) و (م)

(٧) البغي (ل)

فَلَمْ تَأْلُ أَنْ أَوْقَعْتَ بِالْإِفْكِ كُلَّما يَخافُ (١) وَأَمَّنْتَ الْهُدٰى ماتَوَقَّما

وَلَوْ أُمْهِلَتْ تِلْكَ الْأَباطِيلُ ساعَةً لَأَبْقَىٰ شَباها مارِنَ الْحَقِّ أَجْدَعا

وَقَدْ عَلَتِ الْأَصْواتُ حَتّٰى رَدَدْتَها بِحَزْمِكَ مِنْ تَحْتِ الْحَيازِيمِ خُشَّما

فَمُدَّتْ لَكَ الْأَيْدِي وَلَوْ أَنَّها أَبَتْ لَمُدَّتْ رِقابٌ (٢) لِلصَّوارِمِ خُضَّما

وَلَوْ عَمِيَتْ عَمّا أَرَيْتَ بَصائِرٌ لَبَصَّرْتَها بِالْقَعْضَبِيَّةِ لُمَّعا

مَساعٍ حَلَبْتَ الدَّهْرَ فِيها شُطُورَهُ وَلَمْ تُبْقِ فِي قَوْسِ السِّيادَةِ مَنْزَعا

وَما زِلْتَ عَنْ حَقِّ الْأَئِمَّةِ دافِعاً حَوادِثَ لَمْ يَعْرِفْ (٣) لَهَا النّاسُ مَدْفَعا

فَإِنْ أَضْرَبُوا عَنْ ذِي الْفَقارِ فَبَعْدَما أَصابُوكَ أَجْرَىٰ مِنْهُ حَدّاً وَأَقْطَعا

وَإِنْ نِلْتَ هٰذا الْمُرْتَقىٰ وَهُوَ لَمْ يُنَلْ فَلَمْ تَرْقَ حَتّٰى رُقْتَ مَرْأًى وَمَسْمَعا

وَمُنْذُ اصْطَفاكَ الْمُلْكُ أَلْفاكَ مَوْئِلاً لَهُ وَلَنا فِيما أَلَمَّ وَمَفْزَعا

وَمُذْ ذُدْتَ عَنْ إِرْثِ الْإِمامَةِ (٤) مَنْ طَغَىٰ بِسَيْفِكَ أَضْحىٰ رَوْضَةً لَيْسَ تُرْتَعا (٥)

تَحَدَّيْتَ (٦) أَهْلَ الْبَغْيِ حَتّٰى أَصَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ مِمَّنْ (٧) ما بَغَىٰ قَطُّ أَطْوَعا

---

(١) تخاف (م)

(٢) رقاباً (ع) و (م)

(٣) لم تعرف (ع) و (م)

(٤) الخلافة (ل)

(٥) روضةُ ليس يُرْتَعى (ل)

(٦) تخبت ؟ (ل) ولعلها تحيَّنت

(٧) لأمرك فيمن ما بغى ... (ل)

وَأَدْنَيْتَ بِالْجَدْوَى أَمانِيَّ لَمْ تَزَلْ إِلَيْكَ عَلَى بُعْدِ الْمَسافَةِ نُزَّعا

فَدَانَتْ [(١)] لَكَ الدُّنْيا وَأَعْطاكَ أَهْلُها قِياداً عَلَى رَغْمِ الْمَعاطِسِ طَيِّعا

وَكَمْ مازِقٍ [(٢)] رَدَّ النَّدَى لَكَ وَجْهَهُ وَقَدْ طالَمَا وَلاَّكَ لِلْخَوْفِ أَخْدَعا

وَلَوْ لَمْ تُمَيِّلْهُ إِلَى الْبِرِّ عَنْوَةً لَأَوْجَفَ فِي نَهْجِ الْعُقُوقِ وَأَوْضَعا

لَقَدْ فازَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ عَصِيَّهُ كَمَا خابَ مَنْ لَمْ يُبْقِ لِلْعَفْوِ مَوْضِعا

وَما زِلْتَ دُونَ الدِّينِ قِدْماً مُقارِعاً نَوائِبَ لَوْ قَارَعْنَ رَضْوَى تَصَدَّعا

أَقَمْتَ لَها سُوقَ الطِّعانِ وَلَمْ تُقِمْ دَعائِمَ هٰذا الدِّينِ [(٣)] كَالسُّمْرِ شُرَّعا

وَلَوْ لَمْ تَذُدْ عَنْهُ الْخُطُوبَ بِقُوَّةٍ لَمَا أَمِنَتْ تِلْكَ الْقُوَى أَنْ تَقَطَّعا

فَتَحْتَ مُلُوكِ الْخافِقَيْنِ أَسِرَّةٌ تَزَعْزَعُ خَوْفاً إِنْ قَناكَ تَزَعْزَعا

عَزائِمُ لَمْ تُؤْمِنْ [(٤)] عَوادِيها الْعِدَى وَتُؤْمِنُ [(٤)] ما أَمْضَيْتَ أَنْ يُتَتَبَّعا

لَئِنْ قَبُحَتْ فِي عَيْنِ شانِيكَ مَنْظَراً لَقَدْ حَسُنَتْ عِنْدَ الْخِلافَةِ مَوْقِعا

وَإِنْ أَسِدَتْ ذُؤْبانُ ذُبْيانَ فَاحْتَمَتْ فَكَمْ رَوَّعَتْ [(٥)] مِنْ طَيِّئٍ رُوعَ أَرْوَعا

---

(١) ودانت ... (ل)

(٢) كذا في (ع) و (م) ولعله: « وكم مارقٍ ... » والبيت كله لم يرد في (ل)

(٣) هذا الشرع (ل)

(٤) كذا والأظهر أن تكون (لَمْ تَأْمَنْ) و (وَتَأْمَنُ)

(٥) طوّعت (م)

سَلَبْتَهُمُ فَخْراً تَلِيداً وَنَخْوَةً حَصَاناً مِنَ الْعَدْوى وَعِزّاً مُمَنَّعا
وَمَا مَلَكُوا مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَتُبَّعٍ بِحَدٍّ ظُبىً يَذْكُرْنَ عاداً وَتُبَّعا
قَوَاطِعَ مَا تَنْفَكُّ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ تُمِيتُ لِتُحْيِي أَوْ تَضُرُّ لِتَنْفَعا
وَكَانُوا هُمُ الْحَيَّ اللَّقَاحَ[1] فَغُودِرُوا بِهَا لِلِقَاحِ الذُّلِّ وَالضَّيْمِ مَرْتَعا
وَلاَ رَاحَةٌ لِلْقَوْمِ مِنْ فَتْكِ[2] رَاحَةٍ يَطُولُ الْقَنَا فِيها وَإِنْ كَانَ أَذْرُعا
إِذَا الْعَزْمُ كَفَّ الدَّهْرَ عَنْ غُلَوَائِهِ فَلَمْ يُدْنِ مَنْ أَقْصَى وَلاَ رَاعَ مَنْ رَعا
أَقَلْتَ عِثَارِي لاَ عَرَتْكَ مُلِمَّةٌ فَقَالَ لَعاً مَنْ قَالَ مِنْ قَبْلُ لاَ لَعا
وَجُدْتَ بِإِدْنَائِي ابْتِدَاءً وَلَمْ تَزَلْ تَجُودُ إِذَا الْمَسْؤُولُ ضَنَّ تَبَرُّعا
وَلَمَّا أَبَيْتُ الشَّافِعِينَ لِمَنِّهِمْ وَجَدْتُ شَفِيعاً مِنْ عُلاَكَ مُشَفَّعا
فَعَاوَدَ إِعْدَامِي بِظِلِّكَ لاَ انْطَوى ثَرَاءً وَمُصْطَافِي بِرَبْعِكَ مَرْبَعا
وَأَصْبَحَ حَوْضِي فِي[3] جَنَابِكَ مُتْرَعَا عَلاَءً وَرَوْضِي مِنْ سَحَابِكَ مُمْرِعا
فَجُدْ بِالْمَطَايَا عَنْ حِيَاضٍ مَلَأْتَهَا كَفَانِي نَوَالاً أَنْ أَقُولَ وَتَسْمَعا
فَمَا طَلَبِي الْمَعْرُوفَ إِلاَّ غَنِيمَةٌ لَدَيْكَ وَقَدْ حُزْتُ الْعُلى وَالْغِنى مَعا

---

(١) اللّقاح : بالفتح الحي الذين لا يدينون للملوك أو لم يصبهم في الجاهلية سباء . واللّقاح بالكسر الإبل .

(٢) قبل (ع) و (م)

(٣) من (ل)

أَيادٍ تُبارِي ٱلْغَيْثَ إِبَّانَ هَطْلِهِ ... وَتَخْلُفُهُ فِينا إِذَا هُوَ أَقْلَعا[١]

وَزَعْتُ رَجائِي عَنْ سِواكَ بِبَعْضِها ... وَلَوْلاكَ أَضْحَى فِي ٱلْوَرَى مُتَوَزَّعا

وَكَيْفَ يُؤَدِّي ٱلْحَمْدُ فَرْضَ جَمِيعِها ... وَأَيْسَرُها يَسْتَغْرِقُ ٱلْحَمْدَ أَجْمَعا

وَمالِيَ لا أُثْنِي عَلَيْكَ بِبَعْضِ ما ... أَنَلْتَ وَقَدْ أَثْنَى ٱلْجَمادُ تَطَوُّعا

فَدُمْتَ لِهٰذَا ٱلْعِيدِ ما دامَ وَأُنْكَفَى ... بِرَغْمِ ٱلْعِدَى مُسْتَقْبِلاً وَمُشَيِّعا

وَلا زالَ فِيهِ مُسْتَجاباً دُعاءُ مَنْ ... دَعا لَكَ ما لَبَّى ٱلْحَجِيجُ وَما دَعا

فَكَمْ مُسْتَقِلٍّ عَنْكَ ما تَرَكَتْ لَهُ ... إِلَيْكَ عَطاياكَ ٱلْجَسِيمَةُ[٢] مَرْجِعا

وَما أَحْسَنَ ٱلْعافِي بِعَيْنِكَ قادِماً ... وَأَقْبَحَهُ فِيها إِذَا هُوَ وَدَّعا

فَدُونَكَها ما أَطْلَعَتْها صَحِيفَةٌ ... كَما[٣] ظَنَّها ذُو ٱلْفَضْلِ لِلْفَضْلِ مَطْلَعا

إِذَا قَلَّ عَرْفُ ٱلْمِسْكِ مِنْ طُولِ لُبْثِهِ ... أَجَدَّ لَها مَرُّ[٤] ٱللَّيالِي تَضَوُّعا

سَقَى رَوْضَها غَيْثُ ٱلْمَعالِي[٥] وَضُمِّنَتْ ... حَدِيثاً إِذَا ما سارَ فِي ٱلْأَرْضِ أَسْرَعا

وَصَيَّرَها تِبْرُ ٱلْكَلامِ وَدُرُّهُ ... عَلَى هامَةِ ٱلْعَلْياءِ تاجاً مُرَصَّعا

لَعاشَ ٱلنَّدَى مُذْ ظَلْتَ فِينا فَلا رَأَتْ ... لِجَنْبِ ٱلنَّدَى عَيْنُ مَدَى ٱلدَّهْرِ مَصْرَعا

---

(١) إذا ما تقشّعا (ل)
(٢) الجزيلة (ل)
(٣) فما ظنها (ل)
(٤) طول الليالي (ل)
(٥) المغاني ؟ (ع) سقي غيثها روض المغاني؟ (م)

٦١

وقال(١) يمدح الوزير اليازوري(٢)

قَسَمًا بِسُؤْدُدِكَ ٱلَّذِي لاَ يُدَّعا ... وَحُلُولِكَ ٱلشَّرَفَ ٱلَّذِي لَنْ يُفْرَعا

لَقَدِ ٱكْتَسَتْ أَيَّامُنا بِكَ رَوْنَقًا ... حَسُنَتْ بِهِ مَرْأًى وَطابَتْ مَسْمَعا

طالَ ٱلْأُلى طالُوا ٱلْأَنامَ بِباطِلٍ ... وَعَلَوْتَ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي لَنْ يُدْفَعا

وَسَلَكْتَ فِي حَوْزِ ٱلثَّناءِ مَسالِكًا ... ظَلَّ ٱلْأَنامُ (٣) بِها وَرَاءَكَ ظُلَّعا

بِمَكارِمٍ أَوْلَيْتَهَا مُتَبَرِّعا ... وَجَرائِمٍ أَلْغَيْتَهَا مُتَوَرِّعا

مَجْدٌ (٤) تَضَوَّعَتِ ٱلْبِلادُ بِنَشْرِهِ ... طِيبًا فَأَغْنَى سائِفًا (٥) أَنْ يَسْمَعا

ما إِنْ أَتَى فَهْمَ ٱلْقَرِيبِ عِبارَةً ... حَتَّى أَتَى أَنْفَ (٦) ٱلْبَعِيدِ تَضَوُّعا

لِلَّهِ تاجُ ٱلْأَصْفِياءِ فَإِنَّهُ ... أَضْحَى بِدُرِّ ٱلْمَأْثُراتِ مُرَصَّعا

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح الوزير الأجل الناصر للدين الأوحد المكين غياث المسلمين أبا محمد اليازوري ويذكر بناء دار جدّدها »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) الكرام (ل)

(٤) عد ؟ (ع) و (م)

(٥) شائفاً (ع) و (م) سامعاً (ل) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه .

(٦) فهم البعيد (ل)

مَلِكٌ رِيَاضُ ثَرَائِهِ[١] مَرْعِيَّةٌ كَرَمًا وَرَوْضُ عَلاَئِهِ لاَ يُرْتَمَا[٢]
مَا زَالَ يَكْلَؤُهُ بِعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ سِنَةً وَيَمْنَعُهُ بِقَلْبٍ أَصْمَمَا
حَتَّى ٱسْتَبَدَّ بِأَلْفِ جُزْءٍ مِنْ عُلًى وَأَصَارَ جُزْءًا فِي ٱلْأَنَامِ مُوَزَّعَا
يَا سَيِّدَ ٱلْوُزَرَاءِ فُقْتَ بِهِمَّةٍ عَزَّتْ عَلَى كِسْرَى وَأَعْيَتْ تُبَّعَا
وَلَهِيَ تَظَلُّ قَرِيبَةً مِمَّنْ[٣] نَأَى عَنْ سَيْبِهَا وَمُجِيبَةً مِمَّنْ دَعَا
أَدْنَى ٱلرَّجَاءِ إِلَيْكَ مَنْ لَمْ يُدْنِهِ وَطَنٌ لَقَدْ نَادَى نَدَاكَ فَأَسْمَعَا
وَأَرَى ٱرْتِيَاحَكَ ضَامِنًا إِيمَانَ مَنْ دَهَتِ[٤] ٱلْخُطُوبُ فَأَمَّ دَارَكَ مُهْطِعَا
دَارٌ بِكَ ٱسْتَعْلَتْ وَطَالَ بِنَاؤُهَا شَرَفًا فَلاَ زَالَتْ لِوَجْهِكَ مَطْلَعَا
وَلَقَدْ أَضَفْتَ إِلَى ٱلتَّقِيَّةِ هَيْبَةً جَبَرَتْ عَدُوَّكَ أَنْ يَذِلَّ وَيَخْضَعَا
وَتَكَفَّلَتْ لَكَ بِٱلْمُرَادِ عَزَائِمٌ لَوْ لاَمَسَتْ جَبَلاً أَشَمَّ تَصَدَّعَا
فَٱلْإِفْكُ مُنْذُ حَضَرْتَهُ لَمْ يَنْفَسِحْ وَٱلدِّينُ مُنْذُ نَصَرْتَهُ مَا رُوِّعَا
أَمَّا ٱلزَّمَانُ فَقَدْ غَدَا بِكَ مُصْلِحًا مَا كَانَ أَفْسَدَ ، حَافِظًا مَا ضَيَّعَا
رَوَّعْتَ عَاصِيَهُ فَأَصْبَحَ طَائِعًا وَقَدَعْتَ جَامِحَهُ فَأَصْحَبَ[٥] طَيِّعَا

(١) ترابه (ع) و (م)
(٢) لن ترتمى (ع) و (م)
(٣) مما (م)
(٤) رهب (ل)
(٥) فأصبح (ع) و (م)

فَإِذَا أَشَرْتَ عَلَيْهِ(١) بِالْقَصْدِ ارْعَوَى ... وَإِذَا أَشَرْتَ إِلَيْهِ إِيمَاءً وَعَا

قَلَّدْتَهُ الْمِنَنَ الْجِسَامَ فَجَاهِلٌ ... مَنْ ظَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْكَ تَطَوُّعَا

لَمَّا هَجَرْتُ إِلَى جَنَابِكَ مَضْجَعِي ... مَا كُنْتَ فِي فِعْلِ الْجَمِيلِ مُضَجِّعَا

بَلْ كَانَ جُودُكَ مِنْ سَحَابٍ هَاطِلٍ ... أَنْدَى وَمِنْ إِيمَاضِ بَرْقٍ أَسْرَعَا

مَا إِنْ لَقِيتُكَ مَادِحاً وَمُسَلِّماً ... حَتَّى لَقِيتُكَ حَامِداً وَمُوَدِّعَا

لَا نَالَتِ الْآمَالُ أَيْسَرَ سُؤْلِهَا ... إِنْ نَكَّبَتْ مَا عِشْتُ هٰذَا الْمَشْرَعَا

فَلَقَدْ كَفَانِي غَيْثُ كَفِّكَ أَنْ أُرَى ... طُولَ الْحَيَاةِ لِدِيمَةٍ(٢) مُتَوَقِّعَا

أَيَجُوزُ ذَاكَ وَقَدْ أَضَاقَ مَذَاهِبِي ... عَنْ مُلْكِهِ مَلِكٌ أَنَالَ فَأَوْسَعَا(٣)

مِنَنٌ تَوَالَتْ بِالْمَوَاهِبِ فَانْبَرَى ... رَوْضِي بِهَا أَحْوَى وَحَوْضِي مُتْرَعَا

وَسَرَرْتُ مِنْ قَبْلِ اللِّقَاءِ بِذِكْرِهَا ... مَنْ كَانَ إِذْ(٤) حُمَّ الْفِرَاقُ مُرَوَّعَا

إِنْ ضَرَّهُمْ(٥) بُعْدِي بِظَاهِرِ أَمْرِهِ ... فَلَرُبَّمَا ضَرَّ الزَّمَانُ لِيَنْفَعَا

لَرَدَدْتَنِي بِغَرَائِبِ الْجَدْوَى إِلَى ... مَنْ كَانَ أَقْصَى سُؤْلِهِ أَنْ أَرْجِعَا

(١) إليه (ع) و (م)
(٢) لدمية (ل)
(٣) وأوسعا (ل)
(٤) مذ (ل)
(٥) ما ضرهم (ل)

إِنِّي أَتَيْتُكَ لِلْغِنَى قَبْلَ الْعُلَى فَنَحَوْتَ لِي حَتَّى أَنَلْتَهُمَا (١) معا
لَمْ تَرْضَ لِي حُلَلاً سَأَنْزِعُهَا غَداً فَشَفَعْتَهَا بِمَلَابِسٍ لَنْ تُنْزَعَا
أَمْطَيْتَنِي ظَهْرَ السِّماكِ بِرُتْبَةٍ سُقِيَتْ عِدَايَ بِهَا (٢) سِمَاماً مُنْقَعَا
فَلْيَعْلَمُوا أَنِّي ثَبَتُّ بِمَوْقِفٍ لَوْ قَامَ سَحْبَانٌ (٣) بِهِ لَتَتَعْتَعَا
قَدْ كُنْتُ مَغْلُولَ الْيَدَيْنِ عَنِ الْغِنَى (٤) فَجَعَلْتَ لِي بِنَدَاكَ أَنْ أَتَبَوَّعَا (٥)
أَمَّ الرَّجَاءُ ذَرَاكَ غَيْرَ مُفَرِّعٍ فَسَقَيْتَهُ مَاءَ النَّدَى فَتَفَرَّعَا (٦)
لَمْ تَنْفَتِقْ عَنْهُ كَمَائِمُ نَوْرِهِ فِي ظِلِّكَ الْمَمْدُودِ حَتَّى أَيْنَعَا
جَاوَزْتَ مَا فَعَلَ ابْنُ جَفْنَتِكُمْ بِحَسَّانٍ وَمَا فَعَلَ الرَّشِيدُ بِأَشْجَعَا (٧)
فَفَدَتْكَ مِنْ صَرْفِ النَّوَائِبِ أُمَّةٌ لَوْلَاكَ كَانَتْ لِلنَّوَائِبِ مَرْتَعَا
إِنْ خَافَتِ الْأَزَمَاتِ كُنْتَ غِيَاثَهَا أَوْ خَافَتِ النَّكَبَاتِ كُنْتَ الْمَفْزَعَا

---

(١) أتيتها (ل)
(٢) لها (ع) و (م)
(٣) سَحْبان وائل : خطيب يضرب به المثل في البيان توفي سنة ٥٤ .
(٤) المنى (ع) و (م)
(٥) أن أتبرعا و (ع) (م)
(٦) متفرّعا (ل)
(٧) ابن جَفْنَة : هو جَبَلَة بن الأيهم آخر ملوك غسّان في الشام كان يفد عليه حسّان بن ثابت في الجاهلية . وأشجع السُّلمي من شعراء الرشيد .

وهَنَتْكَ عافِيَةُ الْخطيرِ (١) فإنَّها ... مِنْ أَحْسَنِ الآلاءِ عِنْدَكَ موْقِعا

إنْ رَاعَ إذْ أَلِمَ الْقلُوبَ جَميعَها ... فَهُوَ ابْنُ مَنْ آمنتَ بهِ أنْ تَهْلَعا

أَوْ جانَبَ النَّوْمُ الْعُيُونَ إذِ اشْتَكَى ... فَسُطَى أَبِيهِ قَضَتْ لَهَا أنْ تَهْجَعا

بَهَرَ الْوَرَى (٢) بالْحُكْمِ (٣) فيهِمْ حاكِمًا ... عَدْلاً وَرَاعَهُمُ خَطِيبًا مِصْقَعا

فلَقَدْ أَبانَ عَنِ الْفَصاحَةِ وَالْحِجَى ... وَالْحُكْمِ (٤) يَوْمَ تَلا الْبيانَ فَأَبْدَعا

فَأَمِنْتَ فِيهِ وَفِي أَخيهِ حَوادِثًا ... ما كُنَّ فِي أَيَّامِ غَيْرِكَ خُشَّعا

فَكِلاَهُما خَطَبَ الثَّناءَ بِجَهْدِهِ ... وَسَعَى لِحَوْزِ (٥) الْحَمْدِ أَوَّلَ ما سَعَى

وَبَقيتَ ما مَتَعَ (٦) النَّهارُ مُمَتَّعًا ... بِهِما وَدَامَ بِكَ الزَّمانُ مُمَتَّعا

ضَلَّتْ عَوارِفُ لَمْ تَجِدْ (٧) بِي مِثْلَها ... إنْ لَمْ تَجِدْنِي لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعا

لاَ تَحْكُمَنَّ لِصارِمٍ بِفِرِنْدِهِ ... فَأَجَلُّ جَوْهَرِ صارِمٍ أَنْ يَقْطَعا

وَاحْبِسْ عَطاياكَ الَّتي قَدْ أَذْهَلَتْ ... حَسْبِي نَوَالاً أَنْ أَقُولَ وَتَسْمَعا

---

(١) الخطير : هو خطير الملك ابن الوزير اليازوري كان ينوب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك « أخبار مصر لابن ميسر ص ٩ »

(٢) الردى ؟ (ل)

(٣) بالحلم (ل)

(٤) والفضل (ل)

(٥) يحوز المجد (ل)

(٦) ما بقي النهار (ل)

(٧) لم تجدني بعدها (ل)

سَأَعُودُ عَنْ كَثَبٍ وَإِنْ لَمْ تُبْقِ لِي ... فَعلاتُكَ ٱلْحُسْنَى إِلَيْهَا مَرْجِعا
أَسْتَوْدِعُ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ وَٱلتُّقَى ... وَٱلْعَدْلَ رَبًّا حافِظًا ما ٱسْتُودِعا
وَأَجَلُّ ما أَرْجُوهُ بَعْدَ لِقائِكَ[1] ٱلْـ ... ـمَحْبُوبِ أَنْ أُلْفَى لِشُكْرِكَ مُوزَعا

٦٢

واقترح[2] عليه محمود[3] أن يرثي أباه شبل الدولة[4] بقصيدة على وزن قصيدة مروان بن أبي حفصة[5] التي يرثي بها معن بن زائدة[6] التي يقول فيها:

أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جودَهُ ... وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا[7]

فقال يرثيه ويمدح محموداً ويشكره على جميله.

لِصَرْفِ ٱللَّيالِي أَنْ يَصُولَ وَنَخْضَعا ... وَحَتْمٌ عَلَيْنا أَنْ يَقُولَ وَنَسْمَعا

---

(١) بقائك (ع) و (م)

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا، وعنوانها هناك كما يلي:
« واقترح عليه محمود أن يرثي أباه شبل الدولة نصر بن صالح بقصيدة على وزن قصيدة مروان بن أبي حفصة التي يرثي بها معن بن زائدة وعلى قافيتها ويقول فيها:
أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جُودَهُ ... وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا
فقال يرثيه ويمدح محموداً ويشكره على جميله »

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٤) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)

(٥) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٣٢٥)

(٦) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني المشهور بالكرم والشجاعة والفصاحة قتل غيلة وهو والٍ على سجستان سنة ١٥١ وله ترجمة حافلة في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٤٢ .

(٧) هذا البيت من أبيات أولها:
أَلِمَّا على مَعْنٍ وقولا لقبره ... سقتكَ الغوادي مَرْبَعاً ثُمَّ مَرْبَعا
وهي للحسين بن مطيرٍ الأسدي وليستْ لمروان بن أبي حفصة وهي من أبيات الحماسة .

أَطَعْناهُ كَرْهاً حِينَ لَمْ نَلْقَ ناصِراً ... عَلَيْهِ وَلاَ فِي كَفِّ عَدْوَاهُ مَطْمَعا
فَكَمْ فَلَّ ذَا حَدٍّ وَذَلَّقَ نابِياً ... وَآمَنَ مُرْتاعاً وَرَوَّعَ أَرْوَعا
وَأَبْطَلَ أَمْراً كانَ يُرْجى وُقُوعُهُ ... وَجاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعا
وَبَلَّغَ غاياتِ الْأَمانِيِّ عاجِزاً ... وَخابَ مُشِيحٌ خَبَّ فِيها وَأَوْضَعا
سَواءٌ عَلَيْهِ مَنْ أَقامَ بِبَيْتِهِ ... عَلَى[1] الذُّلِّ صَبّاراً وَمَنْ باشَرَ الْوَعا
وَهَلْ هُوَ إِلاَّ الرِّيحُ عِنْدَ هُبُوبِها ... تَبِيتُ رُخاءً ثُمَّ تُصْبِحُ زَعْزَعا
وَمِنْ جَوْرِهِ أَنْ غادَرَ الذُّلَّ قاهِراً ... عَزِيزاً وَأَبْقى مارِنَ الْعِزِّ أَجْدَعا
أَضاعَ الْعُفاةَ فَقْدُ نَصْرِ بْنِ صالِحٍ ... عَلَى أَنَّ دَهْراً غالَهُ كانَ أَضْيَعا
غَداةَ دَعا أَنْصارَهُ فَتَصامَمُوا ... وَقَدْ طالَما نادى نَداهُ فَأَسْمَعا
وَلَوْ دافَعُوا عَنْ رَبِّهِمْ بَعْدَ رَبِّهِمْ[2] ... بِأَنْفُسِهِمْ ما أَبْطَأُوا[3] إِذْ تَسَرَّعا
وَلاقَى[4] الْأُلُوفَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِها ... هُمامٌ أَجابَ الْمَوْتَ أَوَّلَ ما دَعا
فَهَلْ ظَنَّهُ بَعْضَ الْعُفاةِ فَلَمْ يَجِدْ ... إِلى رَدِّهِ نَهْجاً وَلاَ عَنْهُ مَدْفَعا
وَجادَ بِنَفْسٍ لا يُجادُ بِمِثْلِها ... وَأَعْطى قِياداً لَمْ يَكُنْ قَبْلُ طَيِّعا

(١) من الذل (ل)
(٢) كذا .
(٣) ما أُنْظِرُوا (ع) و (م)
(٤) ولا في الألوفِ (ع) ولا في الُوفِ (ل)

وَما خِلْتُ أَنَّ ٱلشَّمْسَ قَبْلَ مُصابِهِ ... تُضامُ وَلاَ زُهْرَ ٱلْمَجَرَّةِ تُرْتَعا

لِيَبْكِ طَوِيلاً كُلُّ مُكْدٍ وَعائِلٍ ... عَلَى مَلِكٍ أَغْنَى وَأَرْوَى وَأَشْبَعا

وَبَحْرِ نَوَالٍ يَنْزَحُ ٱلنَّاسُ ماءَهُ ... إِذَا ظُنَّ أَنْ قَدْ غِيضَ عاوَدَ مُتْرَعا

أَضاقَ سَبِيلَ ٱلْمَأْثُرَاتِ عَلَى ٱلْوَرَى ... وَعَمَّهُمُ بِٱلْمُنْفِساتِ وَأَوْسَعا

فَقُلْنا غَمامٌ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ سَيْلُهُ ... وَقالَ ٱلْعِدَى لَوْ كانَ غَماًّ تَقَشَّعا

وَما زَالَ رَبَّ ٱلْجُودِ طِفْلاً وَيافِعاً ... إِلَى أَنْ ثَوَى وَٱلْجُودَ فِي حُفْرَةٍ مَعا

وَأَعْجَزَ رَيْبَ ٱلدَّهْرِ أَنْ يَتَفَرَّقا ... وَكانَ بِتَفْرِيقِ ٱلْأَحِبَّةِ مُولَعا

لَقَدْ رَاضَهُ حَتَّى لَأَنْفَذَ حُكْمَهُ ... وَلَوْ لَمْ يُرَضْ لَمْ يَرْضَ بِٱلتُّرْبِ مَضْجَعا

وَلاَ ٱتَّخَذَ ٱلْغَبْرَاءَ دَارَ إِقامَةٍ ... وَقَدْ كانَ مَثْوَاهُ مِنَ ٱلنَّجْمِ أَرْفَعا

وَلَمْ يَدْرِ مَنْ هالَ ٱلتُّرَابَ عَلَيْهِ مَنْ ... يُوَارِي وَلاَ ناعِيهِ أُخْرِسَ مَنْ نَعا

أَرَى ضَحْوَةَ ٱلْإِثْنَيْنِ يَوْمَ تَقَطَّعَتْ ... قُوَى عِزَّةٍ ما خِلْتُها أَنْ تَقَطَّعا

فَفاضَتْ دُمُوعٌ لاَ تَقُومُ بِحَقِّهِ ... وَلَوْ نَزَحَتْ أَمْوَاهَ دِجْلَةَ أَجْمَعا

وَرِيعَتْ قُلُوبٌ عَمَّها ٱلْخَوْفُ بَعْدَهُ ... وَعَهْدِي بِها فِي ظِلِّهِ لَنْ تُرَوَّعا

وَتَحْتَ مُلُوكِ ٱلْخافِقَيْنِ أَسِرَّةٌ ... تُزَعْزِعُ يَوْماً إِنْ قَناهُ تَزَعْزَعا

كَيَوْمِ عَزَازٍ (١) إِذْ حَمَى ٱلدِّينَ سَيْفُهُ ... وَقَدْ قارَبَتْ أَرْكانُهُ أَنْ تَضَعْضَعا

(١) عَزَاز : بلدة شمالي حلب .

أَقامَ بِهِ سُوقَ ٱلطِّعانِ وَلَمْ يُقِمْ دعائِمَ هٰذَا ٱلشَّرْعِ كَٱلسُّمْرِ شُرَّعا

فَوَلَّى عَظِيمُ ٱلرُّومِ وَٱلرَّأْيُ مارَأَىٰ مُصِيخاً إِلىٰ داعِي السَّلامَةِ مُهْطِعا[1]

وَطائِفَةٍ خَرُّوا[2] إِلىٰ غَيْرِ قِبْلَةٍ سُجُوداً بِحُكْمِ ٱلباتِراتِ وَرُكَّعا

فَلِلّٰهِ نَفْسٌ لاَ تُنافِسُ غالَها ٱلْـ حِمامُ وَحَقٌّ لِلْمَكارِمِ ضُيِّعا

لَئِنْ ماتَ مَقْصُورَ ٱلْحَياةِ فَلَمْ يَزَلْ أَمَدَّ ٱلْوَرَىٰ طَوْلاً وَباعاً وَتُبَّعا[3]

شَبابٌ نَهاهُ[4] ٱلْحِلْمُ أَنْ يَتْبَعَ ٱلْهَوَىٰ وَعَزْمٌ كَفاهُ ٱلْحَزْمُ أَنْ يَتَتَبَّعا

وَمَلْكٌ وَأَيْمُ ٱللهِ كَذَّبَ كُلَّ مَنْ يُكَبِّرُ كِسْرَىٰ أَوْ يُعَظِّمُ تُبَّعا

فَقِيدٌ أَماتَ ٱلْمَحْلَ[5] قَبْلَ فِطامِهِ وَرَوَّعَ أَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمَّا تَرَعْرَعا

إِذَا عَنَّتِ ٱلْفَحْشاءُ فِي نَيْلِها ٱلْمُنَىٰ تَوَرَّعَ أَوْ عَزَّ[6] ٱلسُّؤَالُ تَبَرَّعا

حَيِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ ما يُوجِبُ ٱلْحَيا وَصَوْبُ حَياً باقٍ إِذَا ٱلْغَيْثُ أَقْلَعا[7]

وَذُو سُورَةٍ شَطَّتْ مَراماً وَسَوْرَةٍ تُمِيتُ لِتُحْيِي أَوْ تَضُرُّ لِتَنْفَعا

---

(١) تجهز الروم سنة ٤٢٠ من أنطاكية الى حلب بجيش عظيم فلقيهم نصر ابن صالح على عزاز وهزمهم وغنم منهم أشياء كثيرة .

(الكامل لابن الأثير ٩/٧٩) و (ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٥ في الحاشية)

(٢) جروا (ع) و (م)

(٣) التُّبَّع : كَسُكَّر الظل .

(٤) كفاه (ع) و (م)

(٥) البخل (ع) و (م)

(٦) عَنَّ (ع) و (م)

(٧) أمرعا (ل)

خَلائِقُ أَعْيا فِي الْخَلائِقِ نِدُّها تَشُوقُكَ[1] مَرْأًى أَوْ تَرُوقُكَ مَسْمَعا
تَزِيدُ عَلَى ماءِ الْغَوادِي طَهارَةً وَيُنْسِيكَ رَيّاها الرَّحِيقَ الْمُشَعْشَعا
كَساهُ الْحِجى وَالْحِلْمُ وَالْعَدْلُ[2] حُلَّةً تَرَدَّى بِها فِي مَهْدِهِ وَتَلَفَّعا
فَكُلُّ جَمِيلٍ كانَ أَوْ هُوَ كائِنٌ تَأَصَّلَ مِنْ أَفْعالِهِ وَتَفَرَّعا
مَساعٍ إِلى غَيْرِ الْمَحامِدِ لَمْ تَمِلْ وَنَفْسٌ إِلى غَيْرِ الْعُلى لَنْ تَطَلَّعا
أَحَلَّ بِغَنْاهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ بِهِ حِمًى وَخَلا الْغابُ الَّذِي كانَ مُسْبِعا
مَحَلٌّ عَهِدْنا الْعُرْفَ لِلْعُرْفِ شافِعاً بِهِ وَشَفِيعَ السّائِلِينَ مُشَفَّعا
إِذا خِيفَتِ الْأَوْطانُ أُومِنَ سِرْبُهُ وَإِنْ غَمَرَ الْمَحْلُ الْبَسِيطَةَ أَمْرَعا
لَحَى اللّٰهُ دَهْراً بَزَّناهُ بِرَغْمِنا فَعَثْرَتُهُ ما لا يُقالُ لَها لَعا
وَمِنْ عَدْلِهِ أَنَّ اللَّذَيْنِ تَغَلَّبا عَلَى مُلْكِهِ مِنْ بَعْدِهِ ما تَمَتَّعا
فَخَصْمٌ[3] بِسَيْفِ اللّٰهِ عاجَلَهُ الرَّدى[4] وَأَغْرَبَ فِي قَتْلِ الْأَخِيرِ وَأَبْدَعا
خَلِيفَةُ[5] لَمْ يَصْلُحْ[6] لِنَصْرِ خَلِيفَةٍ وَهَلْ أُلْبِسَ الْعَلْياءَ إِلّا لِيَنْزَعا[6]

(١) تروقك ... تشوقك ... (ل) و (مسالك الأبصار ج ١٠)
(٢) والعلم (ل)
(٣) لعل المراد بهذا الخصم أنوشتكين الدِّزْبري .
(٤) عاجله به (ل)
(٥) هو خليفة بن جابر الكعبي ولاّه ثمال بن صالح حلب ولكن كان هواه مع الدِّزْبري .
(زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ج ١ ص ٢٥٥ و ٢٥٦)
(٦) لم تصلح ... لتنزعا (ع) و (م)

أَبا كامِلٍ إنْ غالَبَتْكَ يَدُ ٱلرَّدى ... وَلَمْ يُغْنِكَ ٱلبَأْسُ ٱلَّذي لَيسَ يُدَّعا

فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ تَكُونُ قُبُورُهُمْ ... إِذَا ما خَشُوا ضَيْماً نُسُوراً وَأَضْبُعا

إِذَا فاخَرُوا طابُوا أَخيراً وَأَوَّلاً ... وَإِنْ طاعَنُوا طالُوا رِماحاً وَأَذْرُعا

وَإِنْ طَلَبُوا جابُوا مَهامِهَ لَمْ تُجَبْ ... وَإِنْ حارَبُوا اُجْتابُوا مِنَ ٱلصَّبْرِ أَدْرُعا

مَضَيْتَ وَلَمْ تَتْرُكْ مِنَ ٱلْمَجْدِ غايَةً ... وَلَمْ تُبْقِ في قَوْسِ ٱلْمُرُوءَةِ مَنْزَعا

كَذاكَ ٱلْبُدُورُ ٱلنَّيِّراتُ خُسُوفُها ... يُخافُ إِذَا أَتْمَمْنَ عَشْراً وَأَرْبَعا

وَمِنْ بَخَلِي[(١)] أَنْ جاءَ ذا ٱلقَوْلُ آخِراً ... وَلَمْ أَعْتَمِدْ نَظْمَ ٱلْقَوافي تَطَوُّعا

وَحَسَّنَ لي شَرْخُ ٱلشَّبابِ وَجَهْلُهُ ... إِضاعَةَ فَرْضٍ مِثْلُهُ لَنْ يُضَيَّعا

وَإِنْ قُلْتُ مَأْمُوراً وَأَبْدَعَ خاطِري ... فَيَقْبُحُ بي إِذْ لَمْ أَقُلْ مُتَبَرِّعا

عَدِمْتُ لِساناً حالَفَ[(٢)] ٱلعَجْزَ ضِلَّةً ... وَخالَفَ[(٣)] قَلْباً كَٱلْقُلُوبِ مُفَجَّعا

يُؤَبِّنُ مَنْ يُدْلي بِأَدْنى فَضيلَةٍ ... فَكَيْفَ بِمَنْ حازَ ٱلْفَضائِلَ أَجْمَعا

بِنَفْسي وَحيدٌ أَسْلَمَتْهُ جُيُوشُهُ ... وَمُرْتَحِلٌ لَمْ يَنْتَظِرْ أَنْ يُوَدَّعا

وَحَلَّ ضَريحاً أُودِعَ ٱلبَأْسَ وَٱلنَّدى ... وَلَوْلا ٱبْنُهُ ما رَدَّ ما كانَ أُودِعا

فَنابَ مَنابَ ٱلشَّمْسِ عَنْ قَمَرِ ٱلدُّجى ... وَهَلْ[(٤)] غابَ بَدْرُ ٱلتِّمِّ إِلاّ لِيَطْلُعا

---

(١) بَخَلٍ (ل)

(٢) خَلَّفَ (ل)

(٣) وحالف (ع) و (م)

(٤) وما غاب ... (ل)

إِذَا جارَ (١) فِي كَسْبِ الثَّناءِ طَرِيقُهُ أَجَدَّ طَرِيقاً (٢) لَمْ يَكُنْ قَطُّ مَهْيَعا

بَعِيدُ الْمَرَامِي فِي مَساعِيهِ ما جَرَى يَرُومُ مَداهُ الْفِكْرُ إلاَّ تَتَعْتَعا

حَوَى حَسَباً (٣) مَحْضاً وَرَأْياً مُؤَيَّداً وَمَنًّا بِلاَ مَنٍّ وَعِزّاً مُمَنَّعا

أَصالَةُ وَثَّابٍ وَصَوْلَةُ صالِحٍ وَهِزَّةُ (٤) نَصْرٍ لِلْعَطايا تَبَرُّعا (٥)

حَمِدْنا بِمَحْمُودٍ ذَمِيمَ زَمانِنا (٦) وَعاوَدَ مَشْتانا بِنُعْماهُ مَرْبَعا

بِأَنْطَقِ (٧) مَنْ شَاهَدْتُ بِالْحِكَمِ الَّتِي تَفَنَّنَ فِي إِظْهارِها وَتَنَوَّعا

فَأَوْضَحَ مَعْنَاهَا الَّذي كَانَ غَامِضاً وَآنَسَ مَغْنَاهَا الَّذي كَانَ بَلْقَعا

وَمَا زَالَ مَخْدُوعاً لِرَاجِيهِ عَاصِياً عَلَى غَيْرِهِ أَنْ يُسْتَزَلَّ فَيُخْدَعا

وَثَبْتُ الْجَنَانِ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَضَعْضَعَ مَنْ مَرَّتْ بِهِ وَتَصَعْصَعا (٨)

مُبِيدُ الْأَعَادِي وَالْفَوَارِسُ تَدَّعِي صَحِيحَ الدَّعَاوِي وَالْمَآثِرُ تُدَّعا

(١) حار (ل)

(٢) أجدَّ طريقاً فيه لم يك مهيعا (ل)

(٣) حوى قصباً ... (ل)

(٤) وغرة (ل)

(٥) وثّاب النميري جد محمود بن نصر لأمه، وصالح بن مرداس جده لأبيه، ونصر والده. «الكامل لابن الأثير ٩/ ٨٠»

(٦) فعالنا (ل)

(٧) كذا في جميع النسخ ولعله فأنطق.

(٨) تصَعْصَعَ الرجل: جبن وذلَّ وخضع.

وَمُخْفِي ٱلْهِبَاتِ سُؤْدُداً غَيْرَ أَنَّهَا ... تَنُمُّ نَمِيمَ ٱلْمِسْكِ لَمَّا تَضَوَّعَا
تَوَلَّيْتَ يَاتَاجَ ٱلْمُلُوكِ رِعَايَتِي ... فَلَمْ أَخْشَ مِنْ جَوْرِ ٱلْخُطُوبِ مُرَوِّعَا
أَمِنْتُ أَذَاهَا مُذْ[1] لَقِيتُكَ خَائِفاً ... وَعُدْتُ غَنِيّاً يَوْمَ زُرْتُكَ مُدْقِعَا
وَبَيَّضْتَ لِي وَجْهَ ٱلرَّجَاءِ وَطَالَمَا ... بَدَالِي بِوَجْهٍ أَرْبَدِ ٱللَّوْنِ أَسْفَعَا
بِطَلْعَتِكَ ٱلشَّمَّاءِ شِمْتُ سَحَابَةً ... كَفَتْنِي فَلَا زَالَتْ لِوَجْهِكَ مَطْلَعَا
إِذَامَا ٱنْبَرَى مَدْحِيكَ فِي ٱلنَّاسِ شَائِعاً ... رَأَوْا مَا أَفَادَتْنِي عَطَايَاكَ أَشْيَعَا
وَأَكْثَرُ مَا أَدْعُو إِلَى ٱللهِ أَنْ أَرَى ... لِشُكْرِكَ مَاٱمْتَدَّتْ حَيَاتِي مُوزَعَا

٦٣

وقال[2] يمدح أمير الجيوش[3]

دَلَّ عَلَى ٱلْمَجْدِ مَنْ إِلَيْهِ سَعَى ... كَيْلَا يَدَعْ[4] فِي فَضِيلَةٍ طَمَعَا
قَدْ عَجَزَ ٱلْوَهْمُ فِي طَرِيقِكَ أَنْ ... تَسْعَى[5] وَضَاقَ ٱلزَّمَانُ أَنْ يَسَعَا
فَٱعْتَرَفَ ٱلنَّاسُ طَائِعِينَ وَلَوْ ... دُوفِعَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ مَا ٱنْدَفَعَا
فَٱلْأَمْنُ وَٱلْعَدْلُ يَا مُفِيضَهُمَا ... على جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ قَدْ جُمِعَا

(١) إذ لقيتك (ل)
(٢) هذه القصيدة برمتها لم ترد في (ل)
(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٤) كذا ولعله « فلم يدع »
(٥) كذا ولعله « يسعى »

بَيْنَ دِماءٍ أَرَقْتَها طَلَبَ ٱلأَجْـ ـرِ وَأُخْرٰى حَقَنْتَها وَرَعا
وَبَاطِلٍ ظَلَّ فِي زَمانِكَ مَدْ حُوضاً وَحَقٍّ بِحُكْمِكَ ٱرْتُجِعا
فَضَائِلٌ فِي ٱلْبِلادِ قَدْ شُهِرَتْ حَتّٰى ٱسْتَوٰى مَنْ رَأٰى وَمَنْ سَمِعا
ذُدْتَ خُطُوباً لَوَ أَنَّها نَزَلَتْ يَوْماً بِطَوْدٍ أَشَمَّ لَٱنْصَدَعا
فَآمَنَ ٱلْخائِفِينَ خَوْفُ سُطًى بِها رَدَعْتَ ٱلزَّمانَ فَٱرْتَدَعا
زَمَمْتَهُ [1] زَمَّكَ ٱلعَنُودَ وَلَوْ مَكَّنْتَهُ مِنْ زِمامِهِ [2] رَتَعا
حَتّٰى ٱنْبَرٰى خاضِعاً وَلا عَجَبٌ أَيُّ عَظِيمٍ لَدَيْكَ ما خَضَعا
وَأَيُّ أَرْضٍ حَمَيْتَ فَٱبْتُذِلَتْ وَأَيُّ شَيْءٍ أَرَدْتَ فَٱمْتَنَعا
وَأَيُّ جانٍ لَجَّ ٱلْعِثارُ بِهِ فَلَمْ يَقُلْ صَفْحُكَ ٱلْجَمِيلُ لَعا
يا مَنْ مُلُوكُ ٱلزَّمانِ قاطِبَةً قَدْ أَصْبَحُوا حَوْلَ قَصْرِهِ دُفَعا
لَمْ يَجِدِ ٱلرّاغِبُونَ مُنْفَسَحاً عَنْكَ وَلا ٱلرّاهِبُونَ مُنْدَفَعا
فَشاعَ فِي سائِرِ ٱلْقَبائِلِ إِنْـ ـعامُكَ حَتّٰى ٱرْتَبَطْتَها شِيَعا [3]

(١) زَمَّ البعير : خطمه . والعَنُود من النوق : التي ترعى ناحية . وفي الأصل (رمتته رَمَّكَ) وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : (من زمانه) وهو تصحيف .

(٣) شبعا (م)

وَٱتَّخَذَتْ فِي جِنانِ جُودِكَ مُصْطافًا وَمَشْتًى لَها وَمُرْتَبَعا

إِنَّ أَمِيرَ ٱلْجُيُوشِ مَنْ فَرَعَ ٱلْمَجْدَ فَأَضْحَى عَلَيْهِ مُطَّلِعا

قَضَى بِحُكْمِ ٱلْكِتابِ مُتَّبِعا وَأَظْهَرَ ٱلْمُعْجِزاتِ مُبْتَدِعا

إِنْ شَفَعَ ٱلْحاضِرونَ حَضْرَتَهُ أَوْ أَجْزَلَ ٱلْبَذْلَ بِٱلنَّدَى شَفَعا



تم الجزء الأول من ديوان ابن حَيُّوس
ويليه الجزء الثاني وأوله قافية الفاء
وفي آخره فهارس الجزئين


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ديوان

ابن حيّوس

المجلّد الثاني



دار صادر

ديوان ابن حيوس

ديوان

ابن حيّوس

الأمير مصطفى الدولة أبي الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيّوس الغنوي الدمشقي

٣٩٤ - ٤٧٣

الجزء الثاني

عُني بنشره وتحقيقه

خليل مردم بك

دار صادر
بيروت

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

قافيـــة الفـــاء

٦٤

وقال[١] يمدح أمير الجيوش[٢] ويهنيه بعافية من مرض

شِفاءُ ٱلهُدٰى ياسَيْفَهُ ٱلْعَضْبَ أَنْ تُشْفا[٣] وَكَفُّ ٱلخُطُوبِ ٱلْمُدْلَهِمَّةِ أَنْ تَكْفا

تَجَاوَزْتَ أَقْصٰى عُمْرِ نُوحٍ مُعَوَّضاً عَنِ ٱلعامِ مِنْ أَعْوَامِ مُدَّتِهِ أَلْفا

حَياةُ بَنِي ٱلدُّنْيا حَياتُكَ سالِماً فَلاَ بُدِّلَ ٱلْإِسْلاَمُ مِنْ قُوَّةٍ ضَعْفا

أَنَمْتَ عُيُونَ ٱلخَلْقِ بَعْدَ سُهادِها كَذا كُلُّ جَفْنٍ[٤] مُذْ تَأَلَّمْتَ ماأَغْفا

إِلى أَنْ وَقاكَ ٱللهُ لُطْفاً بِخَلْقِهِ فَلاَ عَدِمُوا مِنْهُ تَبارَكَ ذَا ٱللُّطْفا

وَأَمَّنَهُمْ فِيكَ ٱلمَخاوِفَ كُلَّها كَما أَمِنُوا فِي ظِلِّكَ ٱلجَوْرَ وَٱلْعَسْفا

فَسُرَّتْ قُلُوبٌ شافَهَتْكَ بِسِرِّها عَلَى أَنَّهُ ما كانَ فِيما مَضٰى يَخْفا

أَيُجْحَدُ ما تُولِيهِ آلاءُ مُنْعِمٍ إِذَا جارَ صَرْفُ ٱلدَّهْرِ كانَ لَهُ صَرْفا

وَذُو ٱلأَمَلِ ٱلمَغْضُوضِ قَدْعادَ طامِحاً فَأَوْفى عَلَى ٱلنُّعْمٰى وَذُو ٱلنَّذْرِ قَدْ وَفّا

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يأتي : « وقال يمدح أمير الجيوش عدة الإمامة سيف الخلافة ويهنيه بعافية من مرض ناله »

(٢) هو أنوشتكين الدِّزْبِري والي دمشق . انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) يُشفى (ع) و (م)

(٤) ما تألمت (ع) و (م)

فَلَوْ لَمْ تَـكُنْ فِينا لَمُتْنا مَخافَةً وَلَوْ عدِمَتْكَ ٱلْأَرْضُ لَمْ تَأْمَنِ ٱلْخَسْفا

أَلَسْتَ تَرى ٱلنَّبْتَ[1] ٱلَّذِي أَطْلَعَ ٱلْحَيا إِذَا ما جَفا صَوْبُ ٱلْحَيا تُرْبَهُ جَفّا

فَلاَ فَلَّتِ ٱلْأَيَّامُ عَزْماً مَضاؤُهُ شَفَى ٱلْحَقَّ مِنْ أَدْوَائِهِ بَعْدَ أَنْ أَشْفا

وَلاَ سَـكَنَتْ رِيحُ ٱلْمُظَفَّرِ إِنَّها إِذَا عَصَفَتْ كانَ ٱلْمُلُوكُ بِها عَصْفا[2]

وَلاَ بَرِحَتْ نِيرانُهُ كُلَّما طَغَتْ سُيُولُ ٱلرَّدى تَطْفُو[3] عَلَيْها وَلاَ تُطْفا

لِشَكْوَاكَ[4] أَخْفى ٱلْجَوُّ عَنَّا غَمامَهُ زَماناً فَمُذْ عُوفِيتَ[5] أَظْهَرَ ما أَخْفا

أَرادَ يُرِينــــا ٱللهُ جاهَكَ عِنْدَهُ وَمَنْ مِنْكَ أَوْلى بِالْمَحَبَّةِ وَٱلزُّلْفا

ظَهَرْتَ فَظَلَّتْ نِعْمَتانِ أَظَلَّتا وَإِنْ كُنْتَ لِلْإِمْحالِ عَنْ أَرْضِنا أَنْفا

فَدَتْ أَنْفُسُ ٱلْأَمْلاَكِ نَفْساً شَرِيفَةً إِذَا ٱنْفَرَدَتْ عَنْهُمْ فَسائِرُهُمْ أَكْفا

وَطَوْدَ[6] فَخارٍ فَخْرُ مَنْ عَزَّ مِنْهُمُ وَطالَ مَحَلاًّ أَنْ يَكُونَ لَهُ لُحْفا[7]

أَشَدُّهُمُ كَفّاً لِنــائِبَةٍ عَرَتْ وَأَنْداهُمُ إِنْ سِيلَ مَكْرُمَةً كَفّا

---

(١) البيت ؟ (ع) و (م)

(٢) العصف : ورق الزرع .

(٣) يطفو (ع) و (م)

(٤) بشكواك (ع) و (م)

(٥) عثّفيت ؟ (م)

(٦) وطرد ؟ (ع) و (م)

(٧) اللِّحْفُ : أصل الجبل .

وَأَرْوَعَ عَنِّي فِي ٱلتَّجاوُزِ وَٱلتُّقَى عَلَى مَنْ عَفا بَعْدَ ٱقْتِدَارٍ وَمَنْ[1] عَفَا

لَقَدْ مَلأَتْ أَخْبارُهُ وَهِبَاتُهُ أُنوفَ ٱلْوَرَى عَرْفاً وَأَيْدِيَهُمْ عُرْفا

فَيا مَنْ سَقَتْنا ٱلْأَمْنَ وَٱلْعَدْلَ وَٱلْغِنَى عَلَى ظَمَإٍ أَيَّامُ دَوْلَتِهِ صِرْفا

وَيا ذَا ٱلْمَعالِي لاَ يُعَدِّدُ فَضْلَها مَقالٌ أَيُفْنِي ٱلْبَحْرَ وارِدُهُ غَرْفا

وَعَجْزُ ٱلْمَساعِي أَنْ تَنالَ أَقَلَّها كَعَجْزِ ٱلْقَوَافِي أَنْ تُحِيطَ بِها وَصْفا

لَئِنْ جِئْتَ فِي أُخْرَى ٱلزَّمانِ مُعَقِّباً فَمَجْدُكَ لاَ يَقْفُو وَلٰكِنَّهُ يُقْفَا

وَلاَ خُلْفَ أَنَّ ٱلدَّهْرَ عادَ بِوَجْهِهِ إِلَيْكَ إِلَى أَنْ صارَ قُدَّامُهُ خَلْفا

رَأَى مُعْجِزَاتٍ مِنْكَ يا عُدَّةَ ٱلْهُدَى تَطَلَّبَها فِي ٱلْعالَمِينَ فَما أَلْفا

وَكَمْ طالِبٍ ذَا ٱلْمَجْدَ حاوَلَ عَطْفَهُ فَلَمَّا أَبَى عِزّاً ثَنَى دُونَهُ عِطْفا

أَباحَتْكَ أَقْطارَ ٱلْبِلادِ عَزائِمٌ كَفَيْنَ ٱلسُّيُوفَ ٱلسَّلَّ وَٱلْجَحْفَلَ ٱلزَّحْفا

وَأَمْطَتْكَ أَطْرافُ ٱلْأَسِنَّةِ رُتْبَةً تَوَدُّ ٱلثُّرَيَّا أَنْ تَدُومَ لَها إِلْفا

مُحَرَّمَةً لَمْ تَرْضَ قَبْلَكَ راكِباً وَأَحْرِ بِها مِنْ بَعْدِ أَنْ تَمْنَعَ ٱلرِّدْفا

وَلَوْ شِئْتَ تَدْوِيخَ ٱلْمَمالِكِ سُرْعَةً لَكُنْتَ بِها أَغْرَى مِنَ ٱلنَّارِ[2] بِٱلْحَلْفا

لَقَدْ عَجَزَتْ أَرْبابُها أَنْ تَعُزَّها مَتَى شِئْتَها وَٱلضَّيْمُ بِٱلْعَجْزِ لاَ يُنْفا

---

(١) وما عفَّا ؟ (م)

(٢) الباز ؟ (م)

وَلَوْ حَزَمُوا أَعْطَوْكَ شَطْرَ ٱلَّذِي حَوَوْا ... فَذٰلِكَ فَوْقَ ٱلنِّصْفِ أَنْ تَأْخُذَ ٱلنِّصْفَا[1]

تَمَهَّلْتَ عِلْماً أَنَّهَا لَكَ دُونَهُمْ ... وَمُلْتَمِسُ ٱلْمَمْنُوعِ يَأْخُذُهُ خَطْفَا

أَبَحْتَنِيَ ٱلْإِيسَارَ عِلْماً بِأَنَّنِي[2] ... سَيَبْقَى عَلَى ٱلْأَيَّامِ مَا أُودِعُ ٱلصُّحْفَا

مَوَاهِبُ لَا أَدْرِي إِذَا أَنَا شِمْتُهَا ... أَصَوْبَ بَنَانٍ شِمْتُ أَوْ دِيَماً وُطْفَا

فَلَا يُلْزِمَنِّي شُكْرُهَا حَمْلَ ثِقْلِهِ ... فَمَنْ لِي بِشِعْرٍ حَامِلٍ مِنْهُ مَا خَفَّا

وَقَدْ حَافَ[3] دَهْرٌ أَلْحَقَ ٱلْأَبْعَدِينَ بِي ... وَعَدْلُكَ لَا يَرْضَى وَفَضْلُكَ بِي أَحْفَا

لَعَمْرِي لَقَدْ خُوِّلْتُ مَا دُونَهُ ٱلْغِنَى ... وَفِي عُشْرِ مِعْشَارِ ٱلَّذِي نِلْتُ مَا كَفَّا

وَمَا حَامِلِي أَنْ أَسْتَزِيدَ مُصَرِّحاً ... سِوَى أَنَّنِي أَنْ يَجْدَعَ ٱلدَّهْرُ لِي أَنْفَا

تُقَارِبُ بَعْضُ ٱلْخَيْلِ فِي ٱلسَّبْقِ بَعْضَهَا ... وَلَنْ يُلْحَقَ ٱلطِّرْفُ ٱلَّذِي يَسْبِقُ ٱلطَّرْفَا

أَنَا ٱلسَّابِقُ ٱلْمُهْدِي إِلَيْكَ غَرَائِباً ... تَدُلُّ مَعَانِيهَا عَلَى جَوْهَرٍ شَفَّا[4]

فَمَيِّزْ[5] مَدِيحاً لَنْ يَزَالَ صَرِيحُهُ ... عَلَى ذِي ٱلْعُلَا مَا عَاشَ شَاعِرُهُ وَقْفَا

أَأَتْرُكُ ذَا ٱلْغَيْمِ ٱلرُّكَامِ مُعَرِّضاً ... لِمَنْ رَامَ جَدْوَاهُ وَأَنْتَجِعُ ٱلْهُفَّا[6]

---

(١) كذا ولعله (وفق)

(٢) كذا ولعله (بأنه)

(٣) خاف ؟ (ل)

(٤) أشفا ؟ (ل)

(٥) نمير ؟ (ع) و (م)

(٦) سَحابٌ هِفٌّ : أي رقيق لا ماء فيه .

بِبُرْئِكَ [١] عَافَى ٱللّٰهُ مِنْ عِلَلِ ٱلْمُنَى ... وَمِنْ مِنَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْأُلَى بَخِلُوا أَعْفَا
فَلاَ زِلْتَ لِلرَّاجِينَ فِي كُلِّ أَزْمَةٍ ... حَيَاةً وَلِلْأَعْدَاءِ حَيْثُ أُنْتِحُوا [٢] حَتْفَا

٦٥

وقال [٣] يمدحه ويهنيه بالعافية من مرض ناله

قَدْ كَفَى ٱللّٰهُ وَهُوَ نِعْمَ ٱلْكَافِي ... وَشَفَى ٱلْمَجْدَ وَهُوَ أَلْطَفُ شَافِ
جَرَّ [٤] ذَاكَ ٱلْخَوْفُ ٱلَّذِي نَكَسَ ٱلْأَبْـ ... ـصَارَ تِيهاً قَدْ بَانَ فِي ٱلْأَعْطَافِ
نِعْمَةٌ أَخْلَفَتْ ظُنُونَ ٱلْأَعَادِيـ ... ـيِ فِيكَ دَامَتْ [٥] مَظِنَّةَ ٱلْإِخْلَافِ
طَالَمَا أَرْجَفُوا [٦] وَكَانَتْ هَوَادِي ... ذِي ٱلْمَذَاكِي نَتِيجَةَ ٱلْإِرْجَافِ
يَا أَمِيرَ ٱلْجُيُوشِ يَا عُدَّةَ ٱلظَّا ... هِرِ [٧] أَكْرِمْ بِذَا ٱلنِّدَاءِ ٱلْمُضَافِ
لَكَ مِنْ قَلْبِ [٨] كُلِّ مَنْ وَحَّدَ ٱللّٰهَ ... مَكَانٌ مُشَارِكٌ لِلشَّغَافِ

---

(١) تبارك ؟ (ع) و (م)
(٢) انتهوا (ل)
(٣) محل هذه القصيدة وعنوانها واحد في جميع النسخ .
(٤) في الأصل (جرداك) وهو تصحيف . ورواية (ل) : « جَرَّ هذا ... »
(٥) رامت (ل)
(٦) أوجفوا (ل)
(٧) هو الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله علي بن منصور الحاكم بأمر الله ، ولد سنة (٤٠٤) وولي سنة (٤١١) وتوفي سنة (٤٢٧)
(٨) من قبل ؟ (ل)

فَفِداءٌ لِعَدْلِكَ ٱلْمَالِئِ[1] ٱلأَرْ ... ضَ وَكانَتْ غُفْلاً مِنَ ٱلْإِنْصافِ

أُمَمٌ مُذْ وَلِيتَ أَمْرَ ٱللَّيالي ... آذَنَتْهُمْ صُرُوفُها بِٱنْصِرافِ

أَنْتَ سَيْفُ ٱللهِ ٱلَّذي لَيْسَ يَحْتا ... جُ غَداةَ ٱلْوَغى إِلى إِرْهافِ

وَسِراجُ ٱلدُّنْيا فَدامَتْ إِلى أَنْ ... تَتَقَضّى مُنِيرَةَ ٱلْأَكْنافِ

إِنَّ رَأْيَ ٱلْوَزِيرِ أَسَّسَ عِزّاً ... أَنْتَ أَعْلَيْتَهُ بِذي ٱلْأَسْيافِ

مَنْ يُضِعْ أَمْرَهُ فَإِنَّ إِمامَ ٱلْعَصْ ... رِ يَدْري مَنْ يَصْطَفي وَيُصافي

كُلُّ مَنْ خالَفَ ٱلْخِلافَةَ قَدْ رَآ ... ءَ بِعَيْنِ ٱلْيَقِينِ عُقْبى ٱلْخِلافِ

أَسْرَفُوا ضِلَّةً فَأَسْرَفْتَ عَدْلاً ... قَدْ يُماطُ ٱلْإِسْرافُ بِٱلْإِسْرافِ

وَاسْتَعانُوا بِنُصْرَةِ ٱلرُّومِ وَٱلرُّو ... مُ هَباءٌ تَسْفِيهِ هٰذي ٱلسَّوافي

جَهِلُوا أَمْرَهُمْ فَقَدْ عَلِمُوهُ ... ذَكَرُوا ٱلْبَحْرَ عِنْدَ وِرْدِ ٱلنِّطافِ

فَأَتَوْا[2] أَرْوَعاً يَفُوقُ ٱلْبَرايا ... بِفَعالٍ مُوفٍ وَقَوْلٍ وافِ

وَتَلافَوْا وَما سِواكَ رَجاءٌ ... كَمْ تَلافٍ ثَنى عِنانَ تَلافِ

فَٱصْطَنِعْ مَنْ أَتاكَ فَٱلرُّمْحُ لا يَنْـ ... ـفَعُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ عَضِّ ٱلثِّقافِ

لَيْسَ يُنْجِي ٱلطَّرِيدَ مِنْ هذِهِ ٱلْهِمَّةِ ... غَيْرُ ٱلْإِرْقالِ وَٱلْإِيجافِ

---

(١) المالك (م)

(٢) باينوا (ع) و (م)

فَلْيُنِيبُوا (١) فَمَا لِمَنْ أَنْتَ قافٍ بِشَبا الْعَزْمِ مَنْزِلٌ دُونَ قافِ (٢)
وَلْيَشِيمُوا نَدَاكَ فَالْوِرْدُ صافٍ وَلْيَفِيئُوا إِلَيْكَ فَالظِّلُّ ضافِ
فِي رِياضٍ جِيدَتْ بِصَوْبِ الْعَطَايا فَسَوامُ الْآمالِ غَيْرُ عِجَافِ
خُلُقٌ لا يَضِيقُ إِنْ ضاقَتِ الْأَخْلاقُ عَمَّنْ تَضِيقُ عَنْهُ الْفَيافي
وَاعْتِزَامٌ (٣) يَلِينُ فِي الزَّمَنِ اللَّيْنِ وَيَجْفُو عَلَى الزَّمانِ الْجافي
كَرَمٌ فَائِضٌ وَعِزٌّ بِأَطْرَافِ الْعَوالي مُمَنَّعُ الْأَطْرَافِ
مَا لِعِرْقِ الْأَتْرَاكِ لاَ اجْتَثَّهُ الدَّهْرُ وَلاَ مَالَ دَوْحُهُ لِانْقِصَافِ
فَأَرَاهُمْ قَوادِماً فِي جَناحِ الْعِزِّ وَالنَّاسُ دُونَهُمْ كَالْخَوَافي
مَعْشَرٌ يُنْسَبُ الْفَخارُ إِلَيْهِمْ فَتَكَاتٌ لِكُلِّ ضَيْمٍ نَوَافِ
شَيَّدُوا فَخْرَهُمْ بِفَخْرِكَ لَمَّا عايَنُوا الْمَجْدَ ظاهِراً غَيْرَ خافِ
وَقُرَيْشٌ لَوْلاَ الرِّسالَةُ وَالتَّنْزِيلُ ما أَذْعَنَتْ لِعَبْدِ مَنافِ
كُلَّما رُمْتُ مِنْ صِفاتِكَ صِنْفاً أَخَذَتْ بِي عُلاكَ فِي أَصْنافِ
أَنْتَ نَبَّهْتَ ذَا الْكَلامَ فَلاَ نامَتْ جُفُونِي إِنْ نامَ لَيْلُ الْقَوَافي
عَنْ مَعانٍ تَكْسُو الْمَناقِبَ أَفْوَافَ ثَناءٍ أَبْقَى مِنَ الْأَفْوافِ

---

(١) فليبينوا (ع)
(٢) قاف : جبل زعموا أن ما وراءه معدود من الآخرة ومن حكمها ...
« معجم البلدان »
(٣) واغترامٌ (م)

بالغاتٍ أَقْصٰي ٱلدُّنا تُنْزِلُ ٱلْمَشْـ رُوفَ أَعْلٰى مَنازِلِ ٱلْأَشْرَافِ

قَدْ سَقَتْ هٰذِهِ ٱللُّهٰى شَجَرَاتٍ كُلَّ حِينٍ لَهُنَّ حِينُ قِطافِ

خابَ سَعْيُ ٱلْقَرِيضِ إِنْ مَلَّ مِنْ إِتْـ حافِ[1] مَنْ لاَ يَمَلُّ مِنْ إِتْحافِي[1]

مُنْكِراً عُرْفَهُ وَأَيُّ ثَنَاءٍ[2] بَيْنَ إِنْكارِهِ وَبَيْنَ ٱعْتِرَافِي

كُلَّما جِئْتُ أَشْتَكِي ضَعْفَ شُكْرِي عَنْ عَطاياهُ لَجَّ فِي ٱلْإِضْعافِ[3]

وَثَنَـائِي وَإِنْ عَلاَ لاَ يُوَفِّي حَقَّ جَدْوىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُوَافِي[4]

كَيْفَ يُثْنِي مِنْ مَكْرُماتِكَ بِالْحا ضِرِ مَنْ لاَ يَقُومُ بِالْأَسْلاَفِ[5]

صِرْتُ أَبْغِي فَوَاضِلَ ٱلْعَيْشِ تَبْذِيـ راً وَما كُنْتُ طامِعاً بِالْكَفافِ

لَمْ أَخَلْ وَٱلْآحادُ تَنفِرُ مِنِّي أَنْ تَصِيرَ[6] ٱلْآلاَفُ مِنْ آلاَفِي

كُلُّ عافٍ يَنْتَابُ فَضْلَكَ قَدْ أَصْـ بَحَ يَنْتابُ فَضْلَهُ كُلُّ[7] عَافِ

صَدَّقَتْ هٰذِهِ ٱلْمَخَـايِلُ بِالْإِحْـ سَانِ قَوْلَ ٱلْمُدَّاحِ وَٱلْوُصَّافِ

---

(١) إيحاف (ع) و (م)

(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب (تناءٍ)

(٣) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٤) يوافي (م)

(٥) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٦) أن تكون ... (ل)

(٧) ألف عاف (ل)

فَبَقَاءُ الْمَدِيحِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيـ ... ـكَ بَقَاءُ الْحَبَابِ فَوْقَ السُّلَافِ
فَحَبَاكَ الَّذِي بَرَاكَ بِأَلْطَا ... فٍ تَوَالَى مِنْ أَنْفَسِ الْأَلْطَافِ
وَعَوَافٍ تَتْرَى وَلَا رُؤِيَتْ مِنْكَ ... رُبُوعُ الْعَلْيَا وَهُنَّ عَوَافِ

٦٦

وقال يمدحه وأنشده إياها في يوم عيد الفطر سنة خمس وعشرين وأربعمائة

لِلّٰهِ قَدْرُكَ مَا أَجَلَّ وَأَشْرَفَا ... وَمَضَاءُ عَزْمِكَ أَيَّ حَادِثَةٍ كَفَا
إِنَّ الْمُلُوكَ جَمِيعَهُمْ مَا أَمَّلُوا ... سَاعِينَ مَا أَحْرَزْتَهُ مُتَوَقِّفَا
وَكَفَاكَ أَنَّكَ مُذْ حَوَيْتَ مَدَى الْعُلَى(١) ... خَلَّفْتَ كُلًّا دُونَهُ مُتَخَلِّفَا
قَدْ كَانَ يُذْكَرُ مَنْ مَضَى زَمَنًا فَمُذْ(٢) ... عَفَّى الْعِيَانُ عَلَى حَدِيثِهِمُ عَفَا
كَانَتْ جَهَامًا سُحْبُهُمْ فَتَقَطَّعَتْ ... فِي الْجَوِّ مُذْ هَبَّتْ رِيَاحُكَ حَرْجَفَا(٣)
كَمْ خُضْتَ مَلْحَمَةً تَرُوعُ عُيَيْنَةً ... وَغَفَرْتَ ذَنْبًا يَسْتَفِزُّ الْأَحْنَفَا(٤)
وَأَنَلْتَ وَفْرًا لَوْ حَوَاهُ حَاتِمٌ(٥) ... لَلَوَى غَرِيمَ الْمَكْرُمَاتِ وَسَوَّفَا

(١) يد العلى (م)
(٢) هذه الكلمة ساقطة من (ل)
(٣) الحَرْجَف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
(٤) عُيَيْنَةُ بن حِصْن الفَزاري من فرسان العرب . والأحنف : هو الضحّاك بن قيس سيد تميم يضرب بحلمه المثل .
(٥) هو حاتم الطائي يضرب بجوده المثل .

قُسِمَ ٱلْفَخَارُ فَلِلْوَرَى أَكْدَارُهُ وَلِمُصْطَفَى ٱلْمُلْكِ ٱلْمُظَفَّرِ مَا صَفَا

مَلِكٌ إِذَا مَا نَابَ خَطْبٌ كَفَّهُ وَإِذَا أَنَابَ إِلَيْهِ ذُو جُرْمٍ عَفَا

يَقْظَانُ إِنْ أَسْدَى إِلَى بَاغٍ يَداً[1] أَخْفَى وَإِنْ أَعْدَى عَلَى باغٍ حَفَا[2]

أَبَداً يُؤَسِّسُ مَا بَنَى فَفَعَالُهُ لَا تَقْتَفِي أَثَراً وَلَكِنْ تُقْتَفَا

يَزْدَادُ جُوداً كُلَّما بَخِلَ ٱلْحَيَا وَيَلِينُ إِنْ صَرْفُ الزَّمانِ تَعَجْرَفا

تَلْقَى جَمِيلَ الصُّنْعِ مِنْهُ خَلِيقَةً كَرَماً وَمِنْ كُلِّ ٱلْأَنَامِ تَكَلُّفا

عَزْمٌ إِذَا صَدَعَ ٱلنَّوَائِبَ صَدَّها وَنَدًى إِذَا أَعْطَى ٱلرَّغَائِبَ أَسْرَفا

فَطَرِيدُ هٰذَا ٱلْبَأْسِ[3] مَبْذُولُ ٱلْحِمَى أَبَداً وَعافِي ذِي ٱلْمَوَاهِبِ يُعْتَفا

إِنَّ ٱلْخِلَافَةَ لَمْ يُرَوَّعْ سِرْبُهَا مُنْذُ ٱنْتَضَتْكَ فَكُنْتَ عَضْباً مُرْهَفا[4]

فَٱلْحَقُّ مُرْتَجَعٌ بِسَيْفِ إِمَامِهِ وَٱلْمُلْكُ مُمْتَنِعٌ بِعِزِّ مَنِ ٱصْطَفَا

لِتَزِدْ بِكَ ٱلْعَلْيَاءُ طَوْلاً إِنَّهَا عَهِدَتْ إِلَيْكَ وَكُنْتَ أَوْفَى مَنْ وَفَا

أَعْطَيْتَ لَا مُتَكَلِّفاً وَمَنَعْتَ لَا مُتَخَوِّفاً وَحَكَمْتَ لَا مُتَحَيِّفا

فَرَأَتْكَ[5] أَنْدَى مَنْ سَخَا وَأَعَزَّ مَنْ أَعْدَى وَأَعْدَلَ مُسْتَعَانٍ أَنْصَفا

---

(١) ندىً (ل)

(٢) حفا : بالغ في الأخذ . وفي (ل) خفا : أي ظهر .

(٣) الناس ؟ (ع) و (م)

(٤) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٥) فرأيت ... (ل)

هِمَمٌ إِذَا هِمَمٌ أَذَالَتْ (١) أَهْلَهَـا ... بَلَغَتْ بِصاحِبِها الْمَحَلَّ الْأَشْرَفا
حَـكَمَتْ لِعِزِّكَ أَنْ تَذِلَّ لَهُ الْعِدٰى ... وَأَبَتْ لِجارِكَ أَنْ يُرٰى مُسْتَضْعَفا
إِنْ نَوَّمَتْ أَهْلَ الشَّـآمِ فَبَعْدَما ... مَنَعَتْ عُيُونَ عَدُوِّهِمْ أَنْ تَطْرِفا
جارَ الزَّمانُ فَمَـا رَأَوْهُ مُنْصِفاً ... حَتّٰى رَأَوْا هامَ الطُّغاةِ مُنَصَّفا
ذُدْتَ الْخُطُوبَ حَدِيثَها وَقَدِيمَها ... حَتّٰى لَصارَ حَدِيثُهـا مُسْتَطْرَفا
وَحَمَيْتَ مِنْ بُلْدَانِهِمْ ما لَمْ يَزَلْ ... غَرَضاً لِعادِيَةِ الرَّدٰى مُسْتَهْدَفا
حَصَّنْتَ طارِفَها وَكَمْ مُتَوَسِّطٍ ... لَوْلاكَ أَصْبَحَ بِالْقَنَـا مُتَطَرِّفا
فَلَهُمْ لَدَيْكَ حِياضُ جُودٍ قَدْ صَفا ... لِلْوارِدِينَ وَظِلُّ أَمْنٍ قَدْ ضَفا
وَشَأَوْتَ مُنْهَلَّ السَّحابِ بِنائِلٍ ... لَمَّا طَفا أَعْيا السَّحابَ الْأَوْطَفا
فاضَلْتَهُ فَفَضَلْتَهُ (٢) لَمَّا هَمٰى ... وَخَلَفْتَهُ بِنَداكَ حِينَ تَخَلَّفا
يا مَنْ نُفُوسُ الْخَلْقِ بَعْضُ هِباتِهِ ... وَسَحائِبُ النَّـكَباتِ مِمَّا كَشَّفا
أَمَّا وَقَدْ أَوْطَنْتَ آسادَ الشَّرٰى ... مِمَّنْ طَغٰى أَوْطانَ حَيَّاتِ السَّفا (٣)

(١) أذالت (ع) و (م)

(٢) ناضلته فنضلته . . (ل)

(٣) الشَّرى : مأسدة جانب الفرات يضرب بهـا المثل . والسَّفا : التراب وكل شجر له شوك . ولعل الأصوب (الصفا) قال النابغة الذبياني :

صِلٌّ صفا لا تنطوي من القِصَرْ ... طويلة الإطراقِ من غير خَفَرْ

فَلَيَعْسُرَنَّ (١) عَلَى ٱللَّيَالِي بعْدَما كَلَّفْتَها ٱلْإِسْهالَ أَنْ تَتَعَسَّفا
قَدْ دَانَتِ ٱلدُّنْيا لِعِزَّتِكَ ٱلَّتي مَنَعَتْ نُفُوساً أَنْ تَعِزَّ فَتَعْزُفا
وَتَحَقَّقَ ٱلْإِسْلَامُ أَنْ لَا عُدَّةً تَحْميهِ إِلَّا عُدَّةُ ٱبْنِ ٱلْمُصْطَفٰى
مَنْ كانَ رَأْيُكَ رُمْحَهُ وَمِجَنَّهُ لَمْ يَلْقَ رَيْبَ ٱلدَّهْرِ أَعْزَلَ أَكْشَفا
خَالَفْتَ رَأْيَ ٱلدَّهْرِ فِيَّ وَلَمْ تَزَلْ تُعْدِي عَلَى ٱلْأَقْوٰى ٱلْأَذَلَّ ٱلْأَضْعَفا
فَأَجَرْتَنِي لَمَّا عَدَا وَلَطَفْتَ بِي لَمَّا قَسَا وَوَصَلْتَنِي لَمَّا جَفا
أَوْسَعْتَنِي حِلْماً وَزِدْتَ تَطَوُّلاً (٢) وَعَطَفْتَ عَفْواً قَبْلَ أَنْ تُسْتَعْطَفا
وَهَدَيْتَنِي كَرَماً إِلىٰ سُبُلِ ٱلْغِنىٰ فَلَأُهْدِيَنَّ لَكَ ٱلثَّنَاءَ مُفَوَّفا
يَسْتَوْقِفُ (٣) ٱلرُّكْبانَ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ (٤) فَإِذَا يَمُرُّ (٥) عَلَى ٱلْقَطِينِ ٱسْتَوْقَفا
بَاقٍ عَلَى ٱلْأَيَّامِ يُخْلِفُ مَا تَوىٰ (٦) فِيهِ إِذَا وَعْدُ ٱلْأَمَانِي أَخْلَفا
وَهِيَ ٱلْمَنَاقِبُ لَنْ يَسِيرَ حَدِيثُها حَتّٰى يَسِيرَ بِهِ ٱلْقَرِيضُ فَيُوجِفا
لَا تَطْلُبَنَّ لَهُنَّ غَيْرِي نَاظِماً مَا كُلُّ مَنْ أَلْفَى (٧) ٱلْجَوَاهِرَ أَلَّفا

(١) فليعثرن (ع) و (م)
(٢) تطوعاً (ع) و (م)
(٣) موضع هذا البيت في (ع) و (م) قبل الذي يليه
(٤) كذا في جميع النسخ ويجوز أن تكون (أغراضهم)
(٥) يمنّ (ع) و (م)
(٦) من توى (ل) ما ثوى (م)
(٧) ألقى (ع) و (م)

مَعَ أَنَّ مَجْدَكَ لَا يُحَاطُ[1] بِوَصْفِهِ قَدْ جَلَّ حَتَّى دَقَّ عَنْ أَنْ يُوصَفَا
مِنْ حُسْنِ ذِي ٱلْأَيَّامِ دَامَ بَهَاؤُهَا قَدْ كَادَتِ ٱلْأَعْيَادُ أَنْ لَا تُعْرَفَا
فَٱسْلَمْ عَلَى غِيَرِ ٱلزَّمَانِ لِأُمَّـةٍ لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ شَمْلُهَـا مُتَأَلِّفَا
إِنِّي إِذَا عَدَّ ٱلرِّجَالُ قَدِيمَهُمْ وَرَأَيْتُ كُلًّا ذَاكِراً مَا أَسْلَفَا
أَلْغَيْتُ آبَائِي وَشَامِخَ[2] مَا بَنَوْا لِي مِنْ عُلًى وَعَدَدْتُ هٰذَا ٱلْمَوْقِفَا
لَا تُكْذَبَنَّ فَلَيْسَتِ ٱلْأَشْعَارُ لِي حَتَّى تُنَكِّبَ عَنْ سِوَاكَ وَتَصْدِفَا
وَقْفٌ عَلَى ذَا ٱلْمُلْكِ مَدَّاحٌ مَتَى لَمْ يَسْعَ فِي ٱلطَّلَبِ[3] ٱلشَّرِيفِ تَوَقَّفَا

٦٧

وقال يمدح فخر الدولة[4] نقيب نقباء الطالبيين رحمه الله تعالى

مَا عَلَيْهَا أَوَانَ تَطْوِي ٱلْفَيَافِي غَيْرُ حَثِّ ٱلذَّمِيلِ وَٱلْإِيجَافِ
غَيْرَ أَنَّ ٱلْمَرْءَ ٱللَّجُوجَ دَعَاهَا فَٱعْتَسَفْنَ ٱلْفَلَاةَ أَيَّ ٱعْتِسَافِ
أَنْكَرَتْ شَدْقَماً وَأَلْغَتْ جَدِيلاً مُعْرِبَاتٍ عَنِ ٱلرِّيَاحِ ٱلسَّوَافِي[5]

(١) رسم هذه الكلمة لا يقرأ في (ل)
(٢) وسامح ما ؟ (ع) وسامحت الذي (م)
(٣) طلب الشريف (ع) و (م)
(٤) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٥١)
(٥) شَدْقَم وجَديل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

فَأُنْبِرَتْ كَالْقِسِيِّ بَلْ كَسِهَامٍ (١) وَصَلَتْهَا الْقِسِيُّ بِالْأَهْدَافِ

حَيْثُ لاَ تُدْرِكُ (٢) السَّنَابِكُ رَكْضاً بَعْضَ ما أَدْرَكَتْهُ بِالْأَخْفافِ (٣)

فاعِلاتٌ بِهِنَّ سَبْعُ لَيالٍ فِعْلَ سَبْعٍ مِنَ السِّنِينَ عِجافِ

وَرَدَتْ بَعْدَ ظِمْئِها نِيلَ مِصْرٍ قَبْلَ وِرْدِ الفُرَّاطِ وَالسُّلَّافِ (٤)

حِينَ ذَمَّتْ في مَرْتَعِ الْعِزِّ وَالثَّرْ وَةِ مَرْعَى التَّنُّومِ وَالْخِذْرافِ (٥)

وَأَناخَتْ (٦) بِدَوْلَةٍ عَزَّ فِيهَا فَكَفاها الْمُلِمَّ نِعْمَ الْكافِي

فَخْرُها وَابْنُ فَخْرِها مَعْدِنُ السُّؤْ دُدِ رَبُّ الْعَلاءِ تِرْبُ الْعَفافِ

الشَّرِيفُ الْأَعْرَاقِ وَالنَّفْسِ وَالْهِمَّ ةِ وَالْمَكْرُماتِ وَالْأَوْصافِ

ذُو صِفاحٍ تَأْبَى (٧) الْجُفُونَ مَقَرّاً وَقِرًى فِي الْجِفانِ لاَ فِي الصِّحافِ

(١) أو كسهامٍ (ل)

(٢) لا يدرك (ع) و (م)

(٣) بالأحقاف ؟ (ع) و (م)

(٤) الظِّمْءُ : ما بين السقيتين . والفُرَّاط : جمع فارط وهو الذي يتقدم القوم الى الورد لإصلاح الحوض والدلاء . والسُّلاَّف : جمع سالف (قياساً) وهو المتقدم .

(٥) التَّنُّوم : شجر واحدته تَنُّومة . والخِذْراف : نبات ربيعي إذا أحس الصيف يبس الواحدة خِذْرافة . وفي الاصل (الحذراف) وهو تصحيف .

(٦) وأباحت ؟ (ع) و (م)

(٧) نابي ؟ (ع) و (م)

فَأُعِيذَتْ مِنْ كُلِّ مَيْنٍ (١) ظُنُونِي ... مُنْذُ عاذَتْ بِأَشْرَفِ الْأَشْرَافِ

وَحَمِدْتُ الزَّمـانَ عِنْدَ هُمامٍ ... غَيْرُ عافٍ ذَراهُ مِنْ أَلْفِ عافِ

لَمْ يَذُمُّوا بِظِلِّهِ الْعَيْشَ فِي مَشْـ ... ـتًى وَلاَ مَرْبَعٍ وَلاَ مُصْطافِ

فَتَنَاسَيْتُ كُلَّ مُولِي جَمِيلٍ ... عِنْدَ مَوْلًى مُوَطَّإِ الْأَكْنافِ

مُجْتَدِيهِ مُجْدٍ وَرَاجِيهِ مَرْجُوٌّ ... وَأَضْيافُهُ ذَوُو أَضْيـافِ

مُجْحِفٌ بِالتِّلاَدِ فِي سَنَنِ الإِحْـ ... ـمادِ إِجْحافَ وَقْعَةِ الْجَحّافِ (٢)

لَيْسَ يَخْلُو مِنَ النَّدَى وَهْوَ يَقْظا ... نُ وَيَغْشاهُ (٣) طارِقاً وَهْوَ غافِ

مُنْعِمٌ تَبْعُدُ (٤) الْمَذَمّاتُ عَنْهُ ... بُعْدَ مِيعادِهِ مِنَ الإِخْلاَفِ

يا قَلِيلَ الْأُلاَّفِ فِي رُتَبِ الْمَجْـ ... ـدِ انْفِراداً وَوَاهِبَ الآلاَفِ

كَمْ أَخٍ فِي الزَّمانِ فاقَ أَخاهُ ... بِفَعالٍ بِهِ يَبِينُ التَّنـافِي

مِثْلَما فاتَ عَبْدَ شَمْسٍ ثَنـاءٌ ... حازَهُ هاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنـافِ

---

(١) ميل ؟ (ع) و (م)

(٢) إشارة إلى وقعة الجحّاف بن حكيم السلمي ببني تغلب وفي تلك الوقعة يقول الأخطل مستجيراً بعبد الملك بن مروان من قصيدة طويلة :

لقد أوقع الجحّافُ بالبِشْرِ وقعةً ... إلى الله منها المشتكى والمُعوَّلُ

« ديوان الأخطل ص ١٠ »

(٣) وتغشاه (ع) و (م)

(٤) يبعد (ع) و (م)

بِفَعَــــالٍ بِهِ تَسَمَّى فَأَنْسَى ذِكْرَ عَمْرٍو [١] وَلَيْسَ عَمْرٌو بِخَافِ

طَافَ كُلٌّ بِبَابِ دَارِكَ يَرْجُو مَا يُرَجِّي الْحَجِيجُ عِنْدَ الطَّوَافِ

حَيْثُ لاَ مَرْتَعُ الْمَوَاعِيدِ مُجْدَا بٌ وَلاَ مَرْبَعُ الْأَمَانِيِّ عَافِ

أَنْتُمُ عِصْمَةُ الْأَنَامِ وَلَوْ بِنْـ تُمْ وَكَلاَّ رُدُّوا بِغَيْرِ خِلاَفِ

هَلْ خَلاَ قَطُّ مِنْ قَوَادِمِهِ الطَّا ئِرُ إِلاَّ وَبَانَ عَجْزُ الْخَوَافِي [٢]

وَارَبِّ الْعِبَــادِ مِنْكُمْ سُيُوفٌ غَيْرُ مُحْتَــاجَةٍ إِلَى إِرْهَافِ

حَمَتِ الدِّينَ بِالتَّلاَفِي وَبِالْقَهْـ رِ وَقَدْ كَانَ عُرْضَةً لِلتَّلاَفِ

وَثَبَــاتٌ إِلَى قِرَاعِ الْأَعَادِي وَثَبَاتٌ تَحْتَ الْقَنَــا الرَّعَّافِ

وَغَداً يَعرِفُ [٣] الْأَنَامَ بِسِيمَا هُمْ رِجَالٌ مِنْكُمْ عَلَى الْأَعْرَافِ [٤]

قَدْ حَلَلْتُمْ صُدُورَ أَنْدِيَةِ الْفَخْـ رِ وَحَسْبُ الْكِرَامِ بِالْأَطْرَافِ

وَإِذَا الْحَمْدُ ذَاعَ فِي النَّاسِ يَوْماً فُزْتَ مِنْ دُونِهِمْ [٥] بِحَظٍّ وَافِ

بِالنَّسايا بلعى وتنسى لسرو أفضل [٦] يَشْتَرِيهِ بِالْإِسْلاَفِ

---

(١) عمرو : هو هاشم بن عبد مناف لقب بهاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٣) تعرف (ل)

(٤) الأعراف : سور بين الجنة والنار .

(٥) من بينهم (ل) وعلى هامش (ع) و (م)

(٦) كذا في (ع) و (م) على أن هذا البيت وثلاثة أبيات بعده لم ترد في (ل)

لَكَ مِنْهُ أَضْعافُ ما تَسْلُبُ ٱلْغا ... رَةُ بَعْدَ ٱلْإِلْحاحِ وَٱلْإِلْحافِ
وَلَهُمْ مِنْهُ مِثْلُ ما يَتْرُكُ ٱلسَّا ... رِقُ بَعْدَ ٱلْإِعْرافِ (١) لِلْعَرَّافِ
أَوْ كَما غادَرَتْ عَطايَاكَ مِنْ وَفْ ... رِكَ لَمَّا نُعِتَّ بِٱلْمِتْلافِ
فَٱنْفَرِدْ بِٱلْعَلاءِ يا ٱبْنَ أَبِي يَعْـ ... لَى ٱنْفِرادَ ٱلسَّماءِ بِٱلْإِشْرافِ
لا كَقَوْمٍ كَمْ طُولِبُوا بِٱلْمَساعِي ... فَأَحالُوا بِها عَلَى ٱلْأَسْلافِ
سَطَّرُوا مُبْطِلِينَ فِي صُحُفِ ٱلْفَخْـ ... رِ حِساباً يَنْحَطُّ بِٱلْأَخْلافِ (٢)
كُلُّ مَنْ كانَ بَيْتُهُ فِي ٱلثُّرَيَّا ... وَبِهِ صارَ سابِحاً غَيْرَ طافِ
فَهْوَ بَيْتُ ٱلْأَعْرابِ لَمْ يَبْقَ فِيهِ ... مَعْلَمٌ غَيْرَ نُؤْيِهِ وَٱلْأَثافِي
لا يُحِسُّونَ بِٱلْمَذَمَّةِ يَوْماً ... هَلْ يُحِسُّ ٱلْوَشِيجُ عَضَّ ٱلثِّقافِ
ضَلَّ ذا ٱلْخَلْقُ فَٱهْتَدَيْتَ فَآثا ... رُكَ فِي ٱلْمَكْرُماتِ غَيْرُ قَوافِ
لَمْ تَرُضْ آمِلِيكَ فِي حَلْبَةِ ٱلْمَطْـ ... لِ وَلَمْ تَرْضَ لِلْمُنَى بِٱلْكَفافِ
مَكْرُماتٌ نُسِبْتَ فِيها إِلَى ٱلْجَوْ ... رِ وَإِنْ كُنْتَ مَعْدِنَ ٱلْإِنْصافِ
كُنْتُ أَرْجُو مِنْ قَبْلُ مَنْ لَيْسَ يُرْجَى ... وَكَذا ٱلدَّهْرُ يَبْتَلِي وَيُعافِي
وَكَذا قُلْتُ لِلْمَطامِعِ عِفِّي ... وَإِذا أَعْوَزَ ٱلزَّمانُ فَعافِي
وَٱعْتِرافِي بِٱلْجَهْلِ عُذْرٌ وَقِدْماً ... مُحِيَ ٱلْإِقْتِرافُ بِٱلْإِعْتِرافِ

---

(١) أعرف فلان فلاناً : وقّفه على ذنبه ثم عفا عنه .

(٢) بالأجلاف (ع) و (م)

ظَفِرَتْ بِالْمُرَادِ عِنْدَكَ آمـا لِي وَأَعْيا عَلَى الزَّمانِ خِلاَفِي [١]

مِثْلما يَظْفَرُ الْمُمـاتُ بِمُحيٍ لاَ كَما يَظْفَرُ الْعَلِيلُ بِشافِ

وَتَلَطَّفْتَ فِي اقْتِنـاءِ ثَنائِي بِهِباتٍ كَثِيرَةِ الأَلْطـافِ

بَيْنَ عُرْفٍ يَدُ الْمُسِيفِ بِهِ مَلْأَى وَعَرْفٍ لِمارِنِ الْمُسْتـافِ

بَدَأْتَنِي قَبْلَ السُّؤَالِ وَوَالَتْ بِجَمِيلٍ إِلَى جَمِيلٍ مُضافِ [٢]

٦٨

وقال[٣] يمدح سابق[٤] بن محمود بن نصر بن صالح[٥]

تَخَلَّفَ عَنْهُ الصَّبْرُ فِيمَنْ تَخَلَّفا وَقَدْ [٦] وَعَدَ الْقَلْبُ السُّلُوَّ فَأَخْلَفا

وَسارَ مُطِيعاً لِلْفِراقِ وَما شَفا حُشاشَةَ نَفْسٍ مِنْ رَدَاها عَلَى شَفا

وَلَمَّا وَقَفْنا وَالرَّسائِلُ بَيْنَنـا دُمُوعٌ نَهاها [٧] الْوَجْدُ أَنْ تَتَوَقَّفا

ذَكَرْنا اللَّيالِي بِالْعَقِيقِ وَظِلَّها الْـ أَنِيقَ فَقَطَّعْنـا الْقُلُوبَ تَأَسُّفا

---

(١) الخلاف (م)

(٢) مصاف (ع) و (م)

(٣) أيضاً (ل)

(٤) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٥٠)

(٥) رحمه الله (ل)

(٦) وكم (ل)

(٧) نهانا (م)

وَعاصَى ٱلْأَسَى مَنْ حَثَّ قِدْماً عَلَى ٱلْأَسَى ... وَعَنَّفَ دَمْعُ ٱلْعَيْنِ مَنْ فِيهِ عَنَّفا
وَفِي حاضِرِ ٱلتَّوْدِيعِ مَمْنُوعَةُ ٱلْحِمَى ... تُرِيكَ صَباحاً جامَعَ(١) ٱللَّيلَ مُسْدِفا
إِذَا نَظَرَتْ لَمْ تَعْدَمِ ٱلظَّبْيَ أَحْوَراً ... وَإِنْ خَطَرَتْ لَمْ تَفْقِدِ ٱلْغُصْنَ أَهْيَفا
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مَنْظَراً مِثْلَ خَدِّها ... وَقَدْ كَتَبَتْ فِيهِ يَدُ ٱلدَّمْعِ أَحْرُفا
عَشِيَّةَ وَافَتْنــــا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ ... نَوًى لَمْ أَزَلْ مِنْ قُرْبِها مُتَخَوِّفا
كَتَمْتُ ٱلْهَوَى جُهْدِي وَبِٱلصَّبْرِ مُسْكَةٌ ... وَبَرَّحَ ما أَلْقَى فَقَدْ بَرِحَ ٱلْخَفا
وَلِي سَنَةٌ لَمْ أَدْرِ ما سِنَةُ ٱلْكَرَى ... لِهَمٍّ أَتَى ضَيْفاً فَأَلْفَى مُضَيِّفا
يُمَثِّلُ(٢) لِي طَيْفاً تَجَنَّبَ فِي ٱلْكَرَى ... فَلَمَّا جَفانِي ٱلْغُمْضُ(٣) أَرْضَى وَأَسْعَفا
فَيا هَمُّ دُمْ وَٱنْفِ ٱلرُّقادَ فَإِنَّنِي ... وَجَدْتُكَ مِنْهُ ٱلْآنَ أَحْفَى وَأَرْأَفا
إِلامَ ٱتِّباعِي ٱلْقَلْبَ وَهْوَ يُضِلُّنِي ... مُطِيعُ هَوًى لَمْ يَقْوَ(٤) إِلَّا لِأَضْعُفا
وَكَمْ أَشْغَلُ(٥) ٱلْعُمْرَ ٱلْقَرِيبَ ذَهابُهُ ... بِذِكْرِ حَبِيبٍ بانَ أَوْ مَنْزِلٍ عَفا
وَأَطْلُبُ فِي أَعْقابِهِ عَدْلَ خُرَّدٍ ... عَدَلْنَ عَنِ ٱلْإِنْصافِ مِنْكَ(٦) تَنَصُّفا

---

(١) قَنَّع (ل)
(٢) تَمَثَّلَ (ل)
(٣) النوم (ل)
(٤) لم أقو (ل)
(٥) أَشْغَلَ (ع) و (م)
(٦) منذ (ل)

صَحِبْتُ لَيالِي ٱلدَّهْرِ حَتَّى مَلِلْنَنِي ... وَثَقَّلْتُ حَتَّى آنَ لِي أَنْ أُخَفِّفَا

وَما بَلَّغَ ٱلْحُسَّادَ فِيَّ مُرادَهُمْ ... قُعُودِي عَنِ ٱلْأَمْرِ ٱلدَّنِيِّ تَعَفُّفَا

وَما ٱلْمَرْءُ إِلاَّ مَنْ يَضَنُّ بِنَفْسِهِ ... إِباءً وَلاَ يَرْضَى مِنَ ٱلْعِزِّ بِٱللَّفَا(١)

وَمَنْ لاَ يَعِيفُ ٱلطَّيْرَ إِنْ سَنَحَتْ لَهُ ... وَإِنْ خالَطَ ٱلْماءَ ٱمْتِنَـانٌ تَعَيَّفَا

يَبُوءُ بِخُسْرٍ بائِـعُ ٱلْعِزِّ بِٱلْغِنَى ... وَأَخْسَرُ مِنْهُ مُشْتَرِي ٱلْغَدْرِ بِٱلْوَفا

وَما ٱلْغَرَضُ ٱلْمَطْلُوبُ مِمَّا أُرِيغُهُ ... إِذَا كانَ يَوْماً بِٱلْمُرُوءَةِ مُجْحِفا

عَرَفْتُ رِجالاً لاَ أَذُمُّ جِوارَهُمْ ... لِكَوْنِي فِيهِ ناعِمَ ٱلْبالِ مُتْرَفا

فَلَمْ أَرَ إِلاَّ شاكِماً(٢) يَبْذُلُ ٱللُّهَى ... مُصانَعَةً أَوْحاكِماً مُتَحَيِّفَــا

سِوَى مَلِكٍ يَأْبَى ٱلدَّنِيَّاتِ فِعْلُهُ ... فَيَبْذُلُ إِنْعاماً وَيَحْكُمُ مُنْصِفا

نَحا(٣) وَسَخَى فِي ٱلْمُمْحِلاتِ فَجارُهُ ... بِخَيْرٍ فَلاَ يُعْصَى وَعافِيهِ يُعْتَفَا

إِذَا ما جَرَى فِي غايَةٍ صَدَقَ ٱسْمُهُ ... وَغادَرَ كُلاًّ خَلْفَهُ مُتَخَلِّفَــا

لَعَمْرِي لَقَدْ بَذَّ ٱلْمُلُوكَ جَمِيعَهُمْ ... بِأَرْبَعَةٍ فِي غَيْرِهِ لَنْ تَأَلَّفَا

بِأَمْنٍ(٤) لِمَنْ يَخْشَى وَقَهْرٍ لِمَنْ طَغَى ... وَسَبْقٍ لِمَنْ جارَى وَعَفْوٍ لِمَنْ هَفا

---

(١) اللَّفاء : الشيء القليل ودون الحق . وفي (ع) و (م) بالكفا .

(٢) شَكَمَ : أعطى .

(٣) نحا (ع) و (م)

(٤) فأمنٌ ... وقهرٌ ... وسبقٌ ... وعفوٌ ... (ع) و (م)

فَإِنْ طَلَبَ ٱلْأَمْجادُ مَسْعاهُ قَصَّرُوا ۝ وَإِنْ حاوَلُوا إِخْفاءَ سُؤْدُدِهِ خَفا (١)

وَإِنْ صالَ لَمْ تَعْدُ ٱلْعُقُوبَةُ حَدَّها ۝ عَلَى أَنَّهُ ماجادَ إِلاَّ وَأَسْرَفا

مَلِيءٌ بِأَنْ يَأْتِي ٱلْجَمِيلَ خَلِيقَةً ۝ إِذَا ما أَتاهُ ٱلْمُحْسِنُونَ تَكَلُّفا

وَجَدْنَا ٱلْغِنىٰ وَٱلْأَمْنَ مِمَّا أَفادَهُ ۝ وَخَوْفَ ٱلرَّدىٰ وَٱلْفَقْرِ مِنْ بَعْضِ مانَفَا

أَعَمُّ ٱلْوَرىٰ جُوداً إِذَا بَخِلَ ٱلْحَيا ۝ وَأَصْدَقُهُمْ بِشْراً إِذا ٱلْبَرْقُ سَوَّفا

تُلاقِيهِ فِي ٱلْعَامِ ٱلْجَدِيبِ غَمَامَةً ۝ تَسُحُّ وَفِي ٱلْيَوْمِ ٱلْعَصَبْصَبِ مُرْهَفا

أَخَافَ ٱلزَّمَانَ ٱلْمُسْتَبِدَّ بِرَأْيِهِ ۝ فَصَارَ عَلَى أَحْكامِهِ مُتَصَرِّفا

وَيَأْنَفُ أَنْ يَسْتَصْحِبَ ٱلسَّيْفُ كَفَّهُ ۝ إِذَا لَمْ يَقُدَّ ٱلسَّابِرِيَّ ٱلْمُضَعَّفا

وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُعاوِدَ غِمْدَهُ ۝ إِلىٰ أَنْ يَرىٰ هَامَ ٱلْأَعَادِي مُنَصَّفا

وَلَمْ يُرْضِهِ أَنْ فَاقَ فِي ٱلْبَأْسِ عامِراً ۝ وَعَمْراً إِلىٰ أَنْ فَاقَ فِي ٱلْحِلْمِ أَحْنَفا (٢)

وَيُعْرَفُ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْوَرىٰ ۝ إِذَا مَا ٱنْتَمىٰ مَلْكٌ سِوَاهُ لِيُعْرَفا

وَما زُرْتُهُ إِلاَّ ٱعْتَفَيْتُ ٱبْنَ مَامَةٍ ۝ وَخَاطَبْتُ سَحْبَاناً وَشَاهَدْتُ يُوسُفا (٣)

---

(١) حفا (ع) و (م) . ومعنى خفا : ظهر .

(٢) يريد بعامر : عامر بن الطُّفَيل العامري فارس قومه . وبعمرو : عمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدي فارس اليمن . انظر الحاشية رقم (٧) ص (٦٧) والأحنف : هو الضحَّاك بن قيس سيد تميم يضرب بحلمه المثل .

(٣) ابن مامة : هو كعب بن مامة الإيادي . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩) . وسَحْبان وائل : من أشهر خطباء العرب . ويوسف عليه السلام : مشهور بالحسن .

إِذَا كَلَّ أَهْلُ ٱلْعِلْمِ أَرْهَفَ حَدَّهُمْ   وَمَا خَطِلُوا[1] إِلاَّ وَكَانَ مُثَقِّفَا
إِلىٰ أَنْ عَدَدْنَا مُعْجِزَاتٍ يُذِيعُهَا   وَيُهْدِي[2] بِهَا مِمَّا أَنَالَ وَأَتْحَفَا
وَلَمْ آتِهِ أَشْكُو ٱتِّصَالَ هِبَاتِهِ   وَضَعْفِي عَنْ شُكْرِيهِ إِلاَّ وَأَضْعَفَا
مَوَاهِبُ شَتَّىٰ لَوْ عَدَتْنِي وَحُوشِيتْ   كَفَانِيَ مَا أَحْرَزْتُهُ مُتَسَلِّفَا
بِيُمْنَايَ مِنْهَا صَمْدَةٌ وَبِأُخْتِهَا   مِجَنٌّ وَقِدْماً كُنْتُ أَعْزَلَ أَكْشَفَا
بِظِلِّكَ يَا عِزَّ ٱلْمُلُوكِ ٱبْنَ تَاجِهَا   وَفَىٰ لِي زَمَانٌ قَبْلَ قُرْبِكَ مَا وَفَا
بَقِيتَ لِذَا ٱلثَّغْرِ ٱلْعَزِيزِ فَلَمْ تَزَلْ   عَلَى سَاكِنِيهِ حَانِياً مُتَعَطِّفَا
صَرَفْتَ صُرُوفَ ٱلدَّهْرِ غَيْرَ مُشَارَكٍ   فَزَالَتْ كَمَا زَالَ ٱلْأَتِيُّ عَنِ ٱلصَّفَا
فَلَا فُلَّ عَزْمٌ شَرَّدَ ٱلْخَوْفَ عَنْهُمُ   وَأَسْكَنَهُمْ ظِلاًّ مِنَ ٱلْأَمْنِ قَدْ ضَفَا
وَلَا حَجَبَ ٱللّٰهُ ٱلْكَرِيمُ ٱبْتِهَالَهُمْ   وَلَا خَابَ دَاعِيهِمْ إِذَا ٱللَّيْلُ أَغْضَفَا[3]
لِيَهْنِكَ ذَا ٱلْعِيدُ ٱلشَّرِيفُ وَلَا تَزَلْ   لَهُ مَا أَقَامَ ٱلنَّيِّرَانِ مُشَرِّفَا
تُبَرُّ عَلَيْهِ بِٱلْجَمَالِ إِذَا أَتَىٰ   وَتَخْلُفُهُ فِي ذَا ٱلْأَنَامِ إِذَا ٱنْكَفَا
قَرَنْتَ ٱلنَّدىٰ بِٱلْبِشْرِ حَتَّى تَمَازَجَا   كَمَزْجِ ٱلزُّلَالِ ٱلْعَذْبِ صَهْبَاءَ قَرْقَفَا
تَصَرَّمُ أَخْبَارُ ٱلْكِرَامِ فَتَنْطَوِي   وَذِكْرُكَ مَا يَنْفَكُّ يُرْوىٰ وَيُقْتَفَا

---

(١) ولا خلطو (ل) وما خلطوا (م)
(٢) ونهدي (ل)
(٣) أغضف الليل : أظلم واسود .

فَضَائِلُ لَا تَخْفَىٰ عَلَى ذِي نَحِيزَةٍ ... وَهَلْ لِضِيَاءِ ٱلصُّبْحِ عَنْ نَاظِرٍ خَفَا

فَرَائِدُ قَدْ صَارَتْ بِنَظْمِي قَلَائِداً ... وَمَا كُلُّ مَنْ أَلْفَىٰ[1] ٱلْجَوَاهِرَ أَلَّفَا

بِغُرٍّ قَوَافٍ لَا أَخَافُ عِثَارَهَا ... تَجَشَّمْنَ حَزْنًا أَوْ تَيَمَّمْنَ صَفْصَفَا

إِذَا طَرَقَتْ سَمْعَ ٱلْمُعَادِيكَ خَالَهَا ... صُخُوراً وَإِنْ كَانَتْ مِنَ ٱلْمَاءِ أَلْطَفَا

تَخَيَّرَهَا مِنْ لُجَّةِ ٱلْفِكْرِ غَائِصٌ ... إِذَا حَازَ أَسْنَىٰ ٱلدُّرِّ مِنْ قَعْرِهَا طَفَا

وَمَازِلْتَ تَحْبُونِي بِإِحْسَانِكَ ٱلنَّدَىٰ ... صَرِيحًا وَأَكْسُوكَ ٱلثَّنَاءَ مُفَوَّفَا

إِلَىٰ أَنْ رَآنَا مَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِنَا ... وَكُلٌّ بِمَا حَازَتْ يَدَاهُ قَدِ ٱكْتَفَا

فَهَا أَنْتَ أَغْنَىٰ ٱلنَّاسِ عَنْ مَدْحِ مَادِحٍ ... وَهَا أَنَا بَعْدَ ٱلْعُدْمِ أُرْجَىٰ وَأُعْتَفَا

أَبَيْتُ بِشِعْرِي[2] أَنْ يَرَاهُ مُسَرْبَلاً ... سِوَاكَ وَشُكْرِي أَنْ يُرَىٰ مُتَخَطَّفَا

فَبَيَّضْتَ لِي وَجْهَ ٱلرَّجَاءِ وَطَالَمَا ... بَدَا لِي وَلَمْ أَعْرِفْكَ أَرْبَدَ أَكْلَفَا

وَأَظْهَرْتَ فَضْلِي وَهْوَ خَافٍ عَنِ ٱلْوَرَىٰ ... بِفَضْلٍ كَفَىٰ ٱلْمُدَّاحَ أَنْ تَتَكَلَّفَا[3]

وَمَا كُنْتُ إِلَّا صَارِماً فِيهِ جَوْهَرٌ ... جَلَوْتَ ٱلصَّدَا عَنْ مَتْنِهِ فَتَكَشَّفَا

* * *

(١) ألقى (ع) و (م)

(٢) كذا في جميع النسخ ولعله مصحَّف عن: «أبَيْتُ لشعري أنْ أراه مُسَرْبلاً»

(٣) أن يتكلفا (ع) و (م)

٦٩

وقال (١) وبعث بها إلى القاضي عين الدولة (٢) يشكو ابن السمسار

كِلاَنا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهِ عَلَى شَفَا ... وَقَدْ مَرَّ فِي التَّعْلِيلِ وَالْمَطْلِ ما كَفا

وَإِنِّي لأُخْفِي ما لَقِيتُ صِيَانَةً ... لِعِرْضِكَ فَامْنُنْ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ الْخَفا

سالك (٣) لا تُرْكِنْ إِلَيْهِ فَلَوْ صَفا ... لَكَ الدَّهْرُ كَالْعَهْدِ الْقَدِيمِ لَما صَفا

تَحَكَّمَ فِي دَارِ الْوَكَالَةِ فَانْبَرَتْ ... بِغَارَاتِهِ قاعاً كَما شاءَ صَفْصَفا

فَأَفْقَرَ وَاسْتَغْنَى وما كَفَّ شَرَّهُ ... وَحازَ تُرَاثَ الْعالَمِينَ وَما اكْتَفَا

أَضافَتْ لَهُ تِلْكَ الإِساءَةُ وَحْشَةً ... مَخافَةَ أَنْ يُجْزَى بِما كانَ أَسْلَفا

---

(١) لم ترد هذه القصيدة في (ل)

(٢) ورد في الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٢٠ في حوادث سنة ٤٦٢ «وفيها سار أمير الجيوش بدر من مصر في عساكر كثيرة الى مدينة صور وحصرها وكان قد تغلب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عقيل »

وورد في معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي ورقة ١٣٠ مخطوط في دار الكتب الظاهرية « عين الدولة أبو الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن أبي عقيل الصوري صاحب الساحل . كان له الحكم المطاع في جميع بلاد الساحل وقد خدمه كل رئيس فاضل وأديب كامل . أنشد في اغتنام الشباب :

أمَّا الشبيبةُ والنعيمُ فإنني ... لم أدرِ أيُّهما ألذُّ وأقصرُ

حتى انقضى عمرُ الشباب فبان لي ... أنَّ الشبابَ هو النعيمُ الأكبرُ

لا تُخْدَعَنْ عنه فبائع ساعةٍ ... منه بدنياه جميعاً يخسرُ

(٣) كذا في النسختين ولعله سألتُكَ

وَقَدْ بانَ فِي الْحَوْماهِ[١] والْجاهِ قِدْحُهُ فَلاَ يَلْغَ مَنْ لاَ يَقْوَ إِلاَّ لِتَضْعُفا

تَعَمَّدَنِي بِالْجَوْرِ كَيْ يَسْتَفِزَّنِي فَلاَ كانَ ما[٢] يَرْجُو لَدَيَّ وَلاَ أُشْتَفا

وَسَوَّفَنِي حِيناً إِلَى أَنْ شَكَوْتُهُ عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْقَ إِلاَّ مُسَوِّفا

إِذَا عُدِمَ الْإِحْسانُ عِنْدَكَ لَمْ نَجِدْ أَخا سُنَّةٍ فِي الْعَدْلِ وَالْجُودِ يُقْتَفا

إِمامُ كِرامِ الْعَصْرِ أَنْتَ فَلاَ تَجُرْ عَنِ الْقَصْدِ إِنْ جارَ[٣] الزَّمانُ وَإِنْ وَفا

وَلاَ تَنْسَ أَقْوَالاً[٤] بِشُكْرِكَ لَمْ يَزَلْ يَبُوحُ وَأَشْعاراً لِمَجْدِكَ تُصْطَفا

وَكُنْ راحِماً مَنْ يَبْتَغِي رَدَّ مالِهِ أَذَلَّ مِنَ الْمُسْتَرْفِدِي النّابِ اوقفا[٥]

* * *

(١) كذا ولعله (الحومات) جمع حومة .

(٢) من (م)

(٣) حاد (م)

(٤) كذا ولعله (قوّالاً)

(٥) كذا

قافيــة القــاف

٧٠

وقال يمدح الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن [١] بن حمدان

لَقَدْ أَذْنَتْ لَكَ ٱلْبَلَدَ ٱلسَّحِيقا فَهَلْ كانَتْ خُيُولاً أَمْ بُرُوقا

وَهَلْ مَنْ قَلَّدَ ٱلْخَيْلَ ٱلْمَخالِي كَمَنْ جَعَلَ ٱلشَّكِيمَ لَهَا عَلِيقا

سَرَتْ مُقْوَرَّةً تَجْلُو ٱلدَّياجِي بِأَرْوَعَ يُلْبِسُ ٱللَّيْلَ ٱلشُّرُوقا

أَثَرْنَ عَجاجَةً خِيلَتْ دُخاناً [٢] وَخِيلَ سَنا ٱلْحَدِيدِ بِها [٣] بُرُوقا

وَبارَيْنَ ٱلرِّياحَ لِكَسْبِ نَصْرٍ رَجَعْنَ حَوامِلاً مِنْهُ وُسُوقا

وَما لِمُمَلَّكٍ فِي ٱلعِزِّ حَقٌّ إِذَا لَمْ يَسْتَرِدَّ كَذَا ٱلْحُقُوقا

لَأَسْرَعْتَ ٱنْصِلاتاً وَٱعْتِزاماً وَفَخْرُ ٱلسَّيْفِ أَنْ يُلْفَى دَلُوقا [٤]

---

(١) في الأصل : (أبا علي الحسن) والصواب ما أثبتناه فالأمير ناصر الدولة أبو علي الحسين هو ابن الأمير ناصر الدولة أبي محمد الحسن وسيأتي ذكره في أربعة أبيات من أواخر هـذه القصيدة أولهـا : (وزاد الله قدر أبي علي ...) انظر ترجمة أبي محمد في الحاشية رقم (٤) ص (١٢) وترجمة ابنه أبي علي في الحاشية رقم (١) ص (٤٠٢)

(٢) سحاباً (مختارات البارودي)

(٣) به (هامش ع و م)

(٤) ذلوقا (ع) و (م)

نُصِرْتَ وَكُنْتَ أَوْفَى النّاسِ رِبْحاً | أَوانَ تُقِيمُ لِلْهَيْجاءِ سُوقا
وَلاقَتْ طَيِّئٌ ضَرْباً دِراكاً | أَطارَ طُلَى وَأَذْرِعَةً وَسُوقا
رَمَيْتَهُمُ بِعَزْمٍ لَوْ تَحَدّى | حَدِيدَ السَّدِّ جاوَزَهُ مُرُوقا
وَعَزْمٍ ناصِرِيٍّ بَثَّ فِيهِمْ | فَيالِقَ غادَرَتْ هاماً فَلِيقا
وَظَنُّوا الْعَزْمَ ضَحْضاحاً بَكِيّاً (١) | فَكانَ لِحَيْنِهِمْ بَحْراً عَمِيقا
وَقَدْ زَأَرَتْ أُسُودُهُمُ فَلَمّا | دَنَوْتَ غَدا زَئِيرُهُمُ شَهِيقا
وَوَلَّوْا عَنْ حَرِيمِهِمُ فِراراً | فَكُنْتَ بِصَوْنِ مَنْ تَرَكُوا حَقِيقا
وَلَوْلا أَنْ كَفَفْتَ الْجَيْشَ عَنْهُ | لَسِيقَ مَعَ السَّوامِ غَداةَ سِيقا
فَأَلْحَقْتَ الْمَتالِيَ (٢) بِالْعَذارَى | وَكَثَّرْتَ الْأُطَيْفالَ الرَّقِيقا
وَلَوْ لَمْ تَقْفُ رَأْياً حَيْدَرِيّاً | لَمّا أَوْصَلْتَهُمْ (٣) إِلّا الْعَقِيقا
وَقَدْ وَرَدَتْ رِماحُ الْخَطِّ مِنْهُمْ | مَوارِدَ لَمْ تَدَعْ بِالْقَوْمِ مُوقا
قَناً تَمْضِي مُصَمِّمَةً فَتَقْضِي | لِسَكْرانِ الْغَوايَةِ أَنْ يُفِيقا
وَقَدْ صَدَرَتْ تَمايَلُ كَالنَّشاوَى | فَهَلْ سُقِيَتْ نَجِيعاً أَوْ رَحِيقا
أَتَيْتَهُمُ بِما كَرِهُوا نَهاراً | إِباءً أَنْ تُوافِيَهُمْ طُرُوقا

(١) ركيّا (ع) و (م)
(٢) المثالي (ع) و (م)
(٣) وصلتهم (ع) و (م)

لَئِنْ وَجَدُوا ٱلثَّباتَ لَهُمْ عَدُوّاً — لَقَدْ[١] وَجَدُوا ٱلْفِرارَ لَهُمْ صَدِيقا

لَقَدْ ذَكَرُوا عَلَى جَرَشٍ[٢] طِماناً — بِلُوبِيَةٍ[٣] بَلَوْكَ بِهِ خَلِيقا[٤]

وما[٥] سَبَقُوا ٱلْحِمامَ هُناكَ إِلاَّ — كَما سَبَقَ ٱلْحَمامُ ٱلسَّوْذَنِيقا[٦]

وَلَوْ ثَبَتُوا فُواقاً لِلْمَواضِي — وَلَمْ يَتَيَقَّنُوا ٱلْخَبَرَ ٱلصَّدُوقا

جَعَلْتَ حَصَى بِلادِهِمُ عَقِيقاً — بِما سَفَكَتْ وَتُرْبَتَها خَلُوقا

وَهَلْ فِي أَرْضِهِمْ إِلاَّ فَرِيقٌ — يُحَدِّثُ بِالَّذِي لاقَى فَرِيقا

أَتَيْتَ لِتَقْتَضِي حَقّاً مُبِيناً — هُناكَ فَكانَ باطِلُهُمْ زَهُوقا

أَبَتْ لَكَ أَنْ تُسامَ ٱلْخَسْفَ نَفْسٌ — إِلَى غَيْرِ ٱلْفَضائِلِ لَنْ تَتُوقا

وَمَحْمِيَةٌ أَبَتْ إِلاَّ ٱنْتِقاماً — وَقَهْراً إِذْ أَبَوْا إِلاَّ فُسُوقا

وَإِنْ قَطَعُوا طَرِيقاً بَعْدَ هٰذا — فَقَدْ عَرَفُوا إِلَى ٱلْحَتْفِ ٱلطَّرِيقا

وَإِنْ لَزِمُوا ٱلْمُرُوقَ وَذا مُحالٌ — فَقَدْ عَرَفَتْ دِماؤُهُمُ ٱلْمُرِيقا

أَبَيْتَ سِوَى صَرِيحِ ٱلْعِزِّ غُنْماً — وَغَيْرُكَ غانِمٌ غَنَماً وَنُوقا[٧]

---

(١) فقد (ل)

(٢) جرس (ل)

(٣) بكرنية (ل)

(٤) جَرَش : مدينة قديمة من أرض البلقاء . ولوبيا : قرية قرب طبرية في فلسطين . « وفيات الاعيان ٢/٥١٥ »

(٥) وقد سبقوا (ع) و (م)

(٦) السوذنيق : الصقر .

(٧) وسوقا ؟ (ل)

شَنَنْتَ عَلَيْهِمُ شَعْوَاءَ أَبْقَتْ ... لِكُلٍّ مِنْهُمُ قَلْباً خَفُوقا
سَتُنْسِي رَاعِيَ ٱلنَّعَمِ ٱلْحُدَاءَ ٱلْـ ... ـحَنِينَ وَرَاعِيَ ٱلشَّاءِ ٱلنَّعِيقا
وَإِنْ غَادَرْتَ صَبْرَهُمُ أَسِيراً ... فَقَدْ غَادَرْتَ رُعْبَهُمُ طَلِيقا
تُزَاحِمُهُمْ إِذَا سَلَكُوا فَضَاءً ... فَكَيْفَ بِهِمْ إِذا سَلَكُوا مَضِيقا
وَإِنْ ضَاقَتْ بِلَادُ ٱللّٰهِ جَمْعاً ... بِفَلِّهِمِ فَعَفْوُكَ أَنْ يَضِيقا
وَإِنَّكَ لَوْ مَنَعْتَ ٱلدَّهْرَ شَيْئاً ... لَأَضْحَى عَنْ تَنَاوُلِهِ مَعُوقا
وَكُنْتَ إِذَا عُلًى بَعُدَتْ مَنالاً ... إِلَى غَايَاتِهَا أَبَداً سَبُوقا
أَرَى ٱسْمَ ٱلْمُلْكِ مُشْتَرَكاً مُشاعاً ... وَمَعْنَاهُ بِغَيْرِكَ [1] لَنْ يَلِيقا
وَكَمْ جَاوَزْتَ فِي طَلَبِ ٱلْمَعَالِي ... طَرِيقاً مَا وَجَدْتَ بِهِ [2] رَفِيقا
فَيَاذَا ٱلصَّدْرِ يَزْدَادُ ٱتِّسَاعاً ... إِذَا مَا ٱزْدَادَ صَدْرُ ٱلدَّهْرِ [3] ضِيقا
وَقَتْكَ مِنَ ٱلرَّدَى أَرْوَاحُ قَوْمٍ ... مَتَى بَخِلُوا بِهَا بَخِلُوا عُقُوقا
تَخِذْتَ صَلَاحَ حَالِهِمُ صَبُوحاً ... وَصَفْحَكَ عَنْ مُسِيئِهِمُ غَبُوقا
فَلَوْ مُنِيَ ٱلزَّمَانُ بِمَا تُعانِي ... لَمَا كَانَ ٱلزَّمَانُ لَهُ مُطِيقا
أَدَامَ ٱللّٰهُ أَيَّاماً جَنَيْنَا ... بِضَافِي [4] ظِلِّهَا ٱلْعَيْشَ ٱلْأَنِيقا

(١) لغيرك (ع) و (م) (٢) بها (ل)
(٣) صدر الهم (ع) و (م)
(٤) بصافي (ع) و (م)

وَزَادَ ٱللهُ قَدْرَ أَبِي عَلِيٍّ (١) وَإِنْ رَغِمَتْ أَعَادِيهِ بُسُوقَا
فَمَا أَمَّ ٱلْعِدَى إلاَّ مُشِيحاً وَلاَ قَصَدَ ٱلْوَغَى إِلاَّ مَشُوقَا
فَدَامَ أَخاً شَقِيقاً لِلْمَعَالِي وَدُمْتَ لَهَا أَباً بَرّاً شَفِيقَا
رَأَيْتُكَ دَوْحَةً طَالَتْ فُرُوعاً وَطَابَتْ مَنْبِتاً وَزَكَتْ عُرُوقَا
فَحَبْسُ ذَا ٱلثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِنِّي وَجَدْتُكَ فِي مَحَبَّتِهِ عَرِيقَا
لَقَدْ شَجِيَتْ بِكَ ٱلْحُسَّادُ غَيْظاً فَلاَ بَرِحَ ٱلشَّجَى تِلْكَ ٱلْحُلُوقَا
وَلاَ عَرِيَتْ رُبُوعُكَ مِنْ مَسَاعٍ قَضَتْ لَكَ أَنْ تَفُوزَ وَأَنْ تَفُوقَا

*
* *

(١) هو الأمير ناصر الدولة أبو علي الحسين بن ناصر الدولة أبي محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء بن عبد الله بن حمدان. ولاّه المستنصر الفاطمي دمشق سنة ٤٥٠ وأمره بالمسير إلى حلب سنة ٤٥٢ لقتال بني كلاب الذين استولوا عليها، فتوجّه إليها وكانت بينه وبينهم وقعة مشهورة تعرف بوقعة الفُنَيْدِق بظاهر حلب، انجلت عن كسر ناصر الدولة وأفلت منهزماً مجروحاً وعاد إلى مصر. فأقام هناك يناوىء رجال الدولة وأصحاب السلطان ليكون صاحب الكلمة العليا، واستولى على الأمور وتجرأ على المستنصر نفسه في حوادث يطول شرحها إلى أن قتل بمكيدة سنة ٤٦٥ وقتل معه أخواه فخر العرب وتاج المعالي، وانقرض بذلك البيت الحمداني بمصر. وكان ناصر الدولة هذا سنياً يظهر التسنّن من بين أهله.

« تاريخ دمشق لابن عساكر ٤/٢٩٠، ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٨٣، الكامل لابن الأثير ١٠/٢٨، زبدة الحلب لابن العديم مخطوط»

٧١

وقال [١] يمدح الوزير أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري [٢]

بِإِحْرَازِكَ ٱلْفَضْلَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْخَلْقَا فَرَعْتَ ذُرَى ٱلْمَجْدِ ٱلَّتِي لَمْ تَكُنْ تُرْقَا [٣]

وَمَنْ مَهَرَ ٱلْعَلْيَاءَ حِلْماً وَنَائِلاً وَمَحْمِيَةً كَانَتْ حَلاَلاً لَهُ طِلْقَا [٤]

وَقَدْ زِدْتَهَا مِنَ ٱلتَّقِيَّةِ نِحْلَةً [٥] فَكُنْتَ ٱلْأَعَفَّ ٱلْأَحْلَمَ ٱلْأَكْرَمَ ٱلْأَتْقَا

مَعَانِي مَعَالٍ فُقْتَ لَمَّا ٱبْتَدَعْتَهَا وَأَعْيَا ٱلْوَرَى مَا جَلَّ مِنْهَا وَمَا دَقَّا

رَكِبْتَ إِلَى ٱلْمَجْدِ ٱلرَّوَامِسَ وَٱمْتَطَوْا عَرَامِسَ مَا أَبْقَى ٱلْكَلاَلُ بِهَا طِرْقَا [٦]

وَحُجَّتُهُمْ كَانَتْ لِإِشْكَالِ [٧] طُرْقِهِ فَأَلاَّ وَقَدْ أَوْضَحْتَ لِلسَّالِكِ [٨] ٱلطُّرْقَا

وَمُسْتَبَقٍ لِلْأَكْرَمِينَ بِمَرْكَضٍ تَرَى ٱلْوَفْرَ مُقْنًى [٩] فِيهِ وَٱلشُّكْرَ مُسْتَبْقَا [١٠]

---

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : « وقال أيضاً يمدح الوزير الجليل أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) الذي لم يكن يرقا (ل)

(٤) الطِّلْقُ : الحلال المطلق .

(٥) النِحلة : بالكسر ويضم إعطاء المرأة مهرها ، والعطاء بغير عوض .

(٦) الرَوامس : الرياح والطير الذي يطير بالليل وكل دابة تخرج بالليل فهي رامس . والعَرامِس : جمع عِرْمِس وهي الناقة الصلبة . والطِرْق : الشحم والسِمَن .

(٧) بإشكال (ع) و (م)

(٨) للسائل (ع) و (م)

(٩) يرى الوفر مغنى (ل)

(١٠) مشتقا (ع) و (م)

عَلَوْتَ بِهِ ٱلْأَجْوَادَ طُرّاً مَكارِمَاً وَفُتَّ بِهِ ٱلْأَمْجَادَ قَاطِبَةً سَبْقا

كَأَنَّكَ لَا تَرْجُو لِذَا ٱلْفَخْرِ أَنْ يُرى مُحِقًّا إِذا لَمْ تُفْنِ(١) مَا حُزْتَهُ مَحْقا

وَمازِلْتَ ذَا ٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي صاقَبَ ٱلسُّهٰى عُلُوّاً وَذَا ٱلْقَوْلِ ٱلَّذِي جانَبَ ٱلْمَذْقا

جَلَا عَنْ جَمِيعِ ٱلْمُسْلِمِينَ غِياثُهُمْ خُطُوباً تَحَدَّتْهُمْ بِأَسْهُمِها رَشْقا

خَلِيلٌ أَتَى مَأْتَى ٱلْخَلِيلِ بْنِ آزَرٍ مِنَ ٱلْحِلْمِ وَٱلْإِغْضَاءِ قَدْ آزَرَ ٱلْخَلْقا

فَأَبْقَى عَلَى ٱلْجَانِينَ عَفْواً وَرَأْفَةً وَجادَ عَلَى ٱلْعافِينَ عَفْواً فَمَا أَبْقا

وَقَدْ تَلِدُ ٱلْمَعْرُوفَ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَلٰكِنَّها مِنْ قَبْلِهِ تُكْثِرُ ٱلطَّلْقا

سَرِيعٌ إِلَى أُكْرُومَةٍ وَحَمِيَّةٍ فَلَوْ رَافَقَتْهُ ٱلرِّيحُ قَالَتْ لَهُ رِفْقا

يَفِيضُ نَدًى فِيمَنْ أَطَاعَ، وَمَنْ عَصٰى أَتَتْهُ سُطَاهُ مِثْلَ أَنْعُمِهِ دَفْقا(٢)

مِنَ(٣) ٱلْأُسْرَةِ ٱلشُّمِّ ٱلَّذِينَ تَحَمَّلُوا إِلَى كُلِّ ذِكْرٍ طَيِّبٍ كُلَّ ما شَقّا

وَذَبُّوا عَنِ ٱلْأَعْرَاضِ عِلْماً بِأَنَّها بِغَيْرِ مِياهِ ٱلْبَذْلِ وَٱلْعَدْلِ لَا تَبْقا(٤)

بَهَالِيلُ كَمْ أَسْدَوْا إِلَى ٱلدَّهْرِ مِنَّةً وَسَدُّوا بِها خَرْقاً وَسادُوا(٥) بِها خِرْقا

رَأَيْتُ ٱلَّذِي يَبْغِي مَدَاكَ كَنَاصِبٍ حَبائِلَهُ جَهْلاً لِيَقْتَنِصَ ٱلْعَنْقا

---

(١) إذا لم يفن (ل)

(٢) لم يرد هذا البيت إلا في (ع)

(٣) من النفر البيض (على هامش ع و م) . من النفر الشم . (مختارات البارودي)

(٤) لا تسقى (على هامش ل) لا تنقى (مختارات البارودي)

(٥) وسادوا به (ل)

مَلَكْتَ مِنَ الآفاقِ غَرْباً وَقِبْلَةً فَأَنْشَأْتَ عَزْماً يَطْلُبُ الشَّامَ وَالشَّرْقا

وَقَدْ دَبَّ مِنْ أَقْصَى المَشارِقِ حَيَّةٌ لها لَدَغاتٌ لا تُداوَى وَلا تُرْقا [(١)]

فَطَبَّقَ تِلْكَ الأَرْضَ ظُلْماً وَظُلْمَةً فَكُنْ فَلَقاً يَجْلُو دَجُوجِيَّهُ [(٢)] فَلْقا

فَمِنْ دُونِ دِينٍ قَدْ تَوَلَّيْتَ نَصْرَهُ قَبائِلُ مِنْ قَيْسٍ [(٣)] وَقَحْطانَ ما تُلْقا

هُمُ سَلَبُوا كِسْرَى بْنَ ساسانَ مُلْكَهُ وَقَبْلَهُمُ عَقَّ المُلُوكَ وَما عُقّا

وَذادُوا عَلَى اليَرْمُوكِ [(٤)] ذادَةَ [(٥)] قَيْصَرٍ بِكُلِّ حُسامٍ يَمْنَعُ النّاطِقَ النُّطْقا

يُبالِغُ [(٦)] فِي نَهْيِ الطُّغاةِ وَلَمْ يَقُلْ وَيَقْسُو لَدَى الحَرْبِ العَوانِ وَإِنْ رَقّا

وَلا شَكَّ أَنَّ التُّرْكَ يَنْسَوْنَ رَمْيَهُمْ بِطَعْنٍ بِهِ أَنْسَيْتَ صَنْهاجَةَ الزَّرْقا [(٧)]

أَلا فَارْمِهِمْ مِنْهُمْ بِكُلِّ ابْنِ حُرَّةٍ يَهِيمُ بِيَوْمِ الرَّوْعِ مِنْ مَهْدِهِ عِشْقا

---

(١) يريد بالحية : طغرلبك السلجوقي . انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٨١)

(٢) دجوحته ؟ (ل) دجوجية (م)

(٣) قبائل قيس : العرب العدنانية .

(٤) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن . ووقعة اليرموك انتصر بها المسلمون على الروم بقيادة خالد بن الوليد .

« معجم البلدان »

(٥) دولة قيصرٍ (ل)

(٦) تتابع (ع) و (م)

(٧) الأتراك السلجوقية مشهورون بالرماية حتى أشار بعض خواص محمود بن سبكتكين صاحب بخارى عليه « بقطع إبهاماتهم بحيث لا يقدرون على رمي النشاب » أبو الفدا ج ٢ ص ١٦٣ . وصنهاجة : من أعظم قبائل البربر والدولة الصنهاجية من أعظم دول المغرب . والزّرْق : الرمي بالمزراق وهو الرمح القصير .

تَطِيحُ بِهِ شَقّاءُ يُجْنَبُ خَلْفَها ... إلى كُلِّ حَرْبٍ عِثْيَرٌ قَطُّ ما شُقّا(١)

جَرِيءٌ يَرى ٱلْإِقْدامَ حَقّاً عَلَى ٱلْفَتى ... فَيَحْمِلُ وِقْرَ ٱلْعَوْدِ مِنْ نَجْدَةٍ حِقّا(٢)

يَحُثُّ ٱلْجَوادَ ٱلْأَعْوَجِيَّ وَما وَنى ... وَيَسْقِي ٱلْحُسامَ ٱلْمَشْرَفِيَّ وَما ٱسْتَسْقى

مِنَ ٱلْقَوْمِ بَزُّوا رَبَّةَ ٱلرُّومِ نَفْسَها ... بِمَنْزِلِها ٱلْأَقْصى وَما بَلَغُوا ٱلْعُمْقا

رَمَيْتَ مِنَ ٱلْعَزْمِ ٱلْوَحِيِّ بِلادَها ... بِصاعِقَةٍ ما خِلْتُها بَعْدَها تَبْقى

بَعَثْتَ لَهُمْ مِنْ كُلِّ خِرْقٍ وَقُلَّةٍ ... صَوارِمَ أَعْيَتْ مَنْ يَسُدُّ لَها خَرْقا

فَأَجْرَتْ سُيُولاً مِنْ دِماءِ حُماتِهِمْ ... أَماتَتْ بِها ٱلْفُرّارَ مِنْ وَقْعِها غَرْقا

وَلَمْ نَرَ سَيْلاً قَبْلَهُ فاضَ مِنْ دَمٍ ... وَلا قُضُباً هِنْدِيَّةً قَتَلَتْ خَنْقا

وَقَدْ طالَما أَخَّرْتَ جَيْشاً عَنِ ٱلْعِدى ... وَأَرْسَلْتَ رَأْياً مِثْلَ باعِثِهِ صَدْقا

فَأَذْهَبْتَ بِٱلْإِيعادِ شِقَّ نُفُوسِهِمْ ... وَغادَرْتَ مِنْها لِلظُّبى وَٱلْقَنا شِقّا

وَلَوْ شِئْتَ لَمْ تَتْرُكْ لِبِيضٍ مِنَ ٱلظُّبى ... وَزُرْقٍ مِنَ ٱلْخِرْصانِ في مُهْجَةٍ رِزْقا

وَلٰكِنْ أَراكَ ٱلْحَزْمُ أَنَّ وُرُودَها ... دَمَ ٱلْمارِقِ ٱلْغاوِي لِهَيْبَتِها أَبْقى

قَرَعْتَ(٣) ٱلرَّزايا بِٱلرَّزايا وَلَمْ تَكُنْ ... بِمُسْتَعْمِلٍ في مَوْضِعِ ٱلشِّدَّةِ ٱلرِّفْقا

---

(١) طاح الفرس : مضى كالسهم . والشقّاء : الفرس التي تشتق في عدوها يميناً وشمالاً والبعيدة ما بين الفروج . وفي (ع) و (م) ... تجنب ... عثيراً ...

(٢) الوِقْر : الحمل الثقيل . والعَوْد : المسن من الإبل . والحِقُّ : الطاعن في الرابعة من الإبل .

(٣) قذعت (ع) و (م) قدعت (مختارات البارودي)

وَعَايَنْتَ مَا تَحْتَ ٱلْغُيُوبِ فِرَاسَةً ... وَفَجْرُ ٱلْيَقِينِ فِي دُجَى ٱلشَّكِّ مَا ٱنْشَقَّا

فَلَوْ كَانَ ظَنُّ ٱلْجَاهِلِيَّةِ صَادِقاً ... كَظَنِّكَ لَمْ تَسْأَلْ[1] سَطِيحاً وَلاَ شِقًّا[2]

مَسَاعٍ بِأَدْنَاهُنَّ تُسْتَعْبَدُ ٱلْعُلَىٰ ... وَقَبْلَكَ لَمْ يَمْلِكْ لَهَا أَحَدٌ رِقَّا

تَحَقَّقَهَا ٱلأَدْنَوْنَ سَمْعاً وَرُؤْيَةً ... وَأَشْعِرَهَا ٱلأَقْصَوْنَ مِنْ عَرْفِهَا نَشْقَا

وَأَنْجُمُ عَزْمٍ أَشْرَقَ ٱلْمُلْكُ مُذْ بَدَتْ ... فَدَامَتْ لَهُ وَقْفاً وَدُمْتَ لَهَا أُفْقَا

بِإِنْعَامِكَ ٱسْتَغْنَيْتُ عَنْ كُلِّ مُنْعِمٍ ... وَمَنْ ظَلَّ تَحْتَ ٱلْغَيْثِ[3] لَمْ يَشِمِ ٱلْبَرْقَا

أَبَتْ لِي ذَاكَ دِيمَةٌ[4] نَاصِرِيَّةٌ ... تَفُوقُ ٱلْحَيَا نَفْعاً وَتَكْثُرُهُ وَدْقَا

وَصَائِنُ مَدْحِي عَنْ مَعَاشِرَ لاَ يَرَىٰ ... أَسَفُّهُمُ بَيْنَ ٱلنَّدَىٰ وَٱلرَّدَىٰ فَرْقَا

ذَوِي ٱلْمَلَقِ ٱلْمُنْجَابِ عَنْ غَيْرِ بُغْيَةٍ ... وَكَمْ عَدِمَ ٱلإِحْسَانَ مَنْ حَسَّنَ ٱلْمَلْقَا

وَسَائِلُ مَا أَجْدَتْ لَدَيْهِمْ[5] كَأَنَّهَا ... مَسَائِلُ مِنْ عِلْمٍ عَلَى جَاهِلٍ تُلْقَا

سَقَىٰ ٱللهُ آمَالاً سَمَا بِي طُمُوحُهَا ... إِلَىٰ ٱلذِّرْوَةِ ٱلْعَلْيَاءِ وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَا

تَرَكْتُ أَكُفّاً قَرْمَطَ ٱلْبُخْلُ رِفْدَهَا ... وَعُذْتُ بِكَفٍّ فِي ٱلنَّدَىٰ تُحْسِنُ ٱلْمَشْقَا[6]

(١) لم نسأل (ع) و (م)

(٢) سَطيح وشِق : كاهنان من كهان العرب .

(٣) الغيم (ل)

(٤) همة (ل)

(٥) اليهم (م)

(٦) النسقا (م)

فَأَمَّنْتَ سِرْباً كانَ قِدْماً مُرَوَّعاً وَأَصْفَيْتَ شِرْباً كُنْتُ أَعْهَدُهُ رَنْقا

وَأَحْمَدْتَنِي ٱلْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ ذَمِّها عَلَى أَنَّ دَهْراً عَاقَنِي عَنْكَ قَدْ عَقَّا

وَلَوْ كانَ جِسْمِي مِثْلَ عَزْمِيَ لَمْ أُنِخْ قَلائِصَ يُلْوِي بِالْحَصَى وَخْدُها سَحْقا

جَدِيلِيَّةً وُرْقاً إِذا جَدَّ جِدُّها إِلى غَايَةٍ ظُنَّتْ هَدِيلِيَّةً وُرْقا

خَلِيلَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِكَ ٱعْتَلَى مَقَالِي وَقِدْماً كانَ كَالْحَرَضِ ٱلْمُلْقا

فَجَاوَزْتُ فِي مَدْحِيكَ لَمَّا نَظَمْتُهُ فُحُولاً مَضَوْا[١] مَا كُنْتُ أَرْجُو لَهُمْ لَحْقا

وَصِرْتُ إِذَا مَا قَالَهُ ٱلشِّعْرِ قُلِّبَتْ بَضَائِعُهُمْ أُلْفِيتُ أَنْفَسَهُمْ عِلْقا

وَلا حَمْدَ لِي فِي حُسْنِ قَوْلِي وَصِدْقِهِ وَلٰكِنَّهُ لِلْمُلْهِمِي ٱلْفَضْلَ[٢] وَٱلصِّدْقا

وَقَدْ تُشْكَرُ ٱلْأَرْضُ ٱلْعَمِيمُ نَبَاتُها وَإِنْ كانَ مِنْ فِعْلِ ٱلْغَمامِ ٱلَّذِي أَسْقا

إِذَا طَلَبَ ٱلْمَمْلُوكُ عِتْقَ مَلِيكِهِ أَبَى لِي مَا أَوْلَيْتَ أَنْ أَطْلُبَ ٱلْعِتْقا

فَلا زَالَ هٰذَا ٱلْعِيدُ يَأْتِي وَيَنْقَضِي وَجَدُّكَ قَاضٍ أَنَّ شَانِئَكَ ٱلْأَشْقا

فَمُنْذُ مَلَكْتَ ٱلدَّهْرَ لازِلْتَ رَبَّهُ غَدَا فِعْلُهُ فِينَا مِنِ ٱسْمِكَ مُشْتَقَّا

وَمَا هُوَ لِلْإِحْسانِ أَهْلاً وَإِنَّما تَخَلَّقَهُ خَوْفاً فَصارَ لَهُ خُلْقا

فَدُمْتَ مُوَقًّى فِي ٱلْأَجَلَّيْنِ[٣] صَرْفَهُ فَكَمْ أَرْدَيا بُطْلاً وَكَمْ أَحْيَيا حَقّا

---

(١) فحولاً صواماً كنت ... ؟ (ع) و (م) وهو تصحيف عجيب .

(٢) الحمد (ل)

(٣) يريد بالأجلين : ولدي الممدوح وهما خطير الملك وصفي الملك . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)

لَقَدْ أَشْبَهاكَ هِزَّةً وَنَزَاهَةً ... وَلاَ عَجَبٌ لِلْفَرْعِ أَنْ يُشْبِهَ الْعِرْقَا

بَقِيتَ وَإِنْ سِيءَ الْعِدَى لِتَراهُمَا ... وَلاَ مِنْبَرٌ إِلاَّ بِأَمْرِهِما يُرْقَا

وَلاَ زِلْتَ[1] مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ سَاحِباً ... مَلاَبِسَ مِنْ فَخْرٍ لِغَيْرِكَ مَا حُقَّا

٧٢

وقال [2] يمدح نصر [3] بن محمود بن صالح

أَرَقَدْتَ عَنْ قَلِقٍ[4] الْفُؤَادِ مَشُوقِهِ ... فَأَمَرْتَ بِالسُّلْوَانِ غَيْرَ مُطِيقِهِ

لاَ تُتْعِبِ اللَّوْمَ الَّذِي أَنْضَيْتَهُ[5] ... فِي كُلِّ مُعْتَدِلِ[6] الْقَوَامِ رَشِيقِهِ

يَحْكِي[7] الْقَضِيبَ إِذَا الصَّبَا مَرَّتْ بِهِ ... حَرَكَاتُهُ وَيَطُولُهُ بِبُسُوقِهِ

وَمُمَنْطَقٍ[8] يُغْنِي النَّدِيمَ بِوَجْهِهِ ... عَنْ كَأْسِهِ الْمَلأَى وَعَنْ إِبْرِيقِهِ

فِعْلُ الْمُدَامِ وَلَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا ... فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

---

(١) فلا زلت ... (ل)

(٢) عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : « وقال أيضاً يمدح الأمير نصر بن محمود ابن صالح رحمه الله »

(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٤) دنف الفؤاد (ل)

(٥) ضيعته (هامش جميع النسخ)

(٦) ممشوق القوام (ل)

(٧) لعلها (تحكي)

(٨) وَمُقَرْطَقٍ (ع) و (م)

وَبِنَفْسِيَ الطَّيْفُ الْمُلِمُّ وَإِنْ جَرَىٰ | فِي مَذْهَبِ الْإِعْرَاضِ عِنْدَ طُرُوقِهِ
فَذُنُوبُهُ كَبِعَادِهِ وَوِصَالُهُ الْـ | ـهَجْرُ الصَّرِيحُ وَبِرُّهُ كَعُقُوقِهِ
أَبَداً أُرِيهِ بَاطِلاً مِنْ سَلْوَتِي | وَأَبُثُّهُ وَلَهِي عَلَى تَحْقِيقِهِ
وَجْدٌ كَوَجْدِ أَبِي الْمُظَفَّرِ بِالنَّدَىٰ | كُلُّ امْرِيءٍ يَصْبُو إِلَىٰ مَعْشُوقِهِ
لَطَرَقْتَ فِي كَسْبِ الثَّنَاءِ مَحَجَّةً | أَبْدَعْتَهَا وَعَدَلْتَ عَنْ مَطْرُوقِهِ
وَظَهَرْتَ فِي ذَا الْمُلْكِ مَظْهَرَ سِيرَةٍ | أَفْضَىٰ الرَّجَاءُ بِهَا إِلَىٰ تَصْدِيقِهِ
مِثْلَ انْتِهَاءِ الشَّمْسِ تَمَّ ضِيَاؤُهَا | لَا كَابْتِدَاءِ الصُّبْحِ قَبْلَ شُرُوقِهِ
حَازَ السَّعَادَةَ مَنْ يُقَسِّمُ عَيْشَهُ | قِسْمَيْنِ بَيْنَ صَبُوحِهِ وَغَبُوقِهِ (١)
مَهْلاً (٢) فَضَلْتَ الْمَجْدَ مُنْذُ حَوَيْتَهُ | وَفَصَلْتَ بَيْنَ كَذُوبِهِ وَصَدُوقِهِ
لَا فَضْلَ نَائِلِهِ (٣) عَلَى مُرْتَادِهِ | بَلْ فَضْلَ خَالِقِهِ عَلَى مَخْلُوقِهِ
فَبَعِيدُ مَا قَدْ رُمْتَــــهُ كَقَرِيبِهِ | وَعَلَى سِوَاكَ (٤) قَرِيبُهُ كَسَحِيقِهِ
فَلْيُسْأَلِ الْمَالُ الَّذِي لَجَّ الْوَرَىٰ | فِي جَمْعِهِ وَلَجَجْتَ فِي تَفْرِيقِهِ
وَلْتُسْأَلِ (٥) الْخَيْلُ الَّتِي ذِيدَتْ ضُحًى | بِالطَّعْنِ عَنْ سَعَةِ الْمَكَرِّ وَضِيقِهِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٢) ولقد فضلت ... (ل)
(٣) رائده (ع) و (م)
(٤) سواه (م)
(٥) وليسأل ... (ع) و (م)

عَمَّنْ حَمى أَعْقابَها ضَنًّا بِهــا   لاَ مَنْ سَلاَ عَنْ سَرْحِهِ وَوُسُوقِهِ

يا ناصِرَ الدِّينِ الْحَنيفِ بِعَزْمَةٍ   صَدَقَتْ فَأَذْعَنَ باطِلٌ بِزُهُوقِهِ

لَنْ يَأْمَنَ اللَّيَّــانَ إلاَّ صارِمٌ   سَلَّ الصَّوارِمَ لاِقْتِضاءِ حُقُوقِهِ

فَلْيَحْقِنِ الْمُسْتَعْصِمُونَ بِمَنْبِجٍ (١)   باقِي دَمٍ مُتَعَرِّضٍ لِمُرُوقِهِ (٢)

فَلَقَدْ رَمَيْتَهُمُ بِمَنْ يَغْشَى الْوَغى   فَيَرى فِراقَ النَّفْسِ دُونَ فَرِيقِهِ (٣)

أَوْ يَنْثَني بِدَمِ الْكُماةِ مُخَلَّقاً   مِثْلَ الْعَرُوسِ مُضَمَّخاً بِخَلُوقِهِ

وَمُهَنَّدٍ يَمْضي غِراراهُ إِذا   كَلَّ الشَّقِيقُ وَمَلَّ نَصْرَ شَقِيقِهِ

وَمُطَهَّمٍ يَرِدُ النِّزالَ كَأَنَّما   يُدْعى إِلى آرِيِّهِ (٤) وَعَلِيقِهِ

ما بالُ والِيهِمْ يُعَلِّلُ نَفْسَهُ   حِيناً وَيُخْبِرُ صَبْرَهُ عَنْ مُوقِهِ (٥)

مُتَعَرِّضاً لِنِضالِ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ   جَهْلاً بِسَهْمٍ قَدْ خَلاَ مِنْ فُوقِهِ

وَتَعَذَّرُ الأَبْصارِ (٦) أَوْعَظُ واعِظٍ   لَوْ أَنَّهُ يُهْدى إِلى تَوْفِيقِهِ

في عارِضٍ فِيهِ الْمَنايا وَالْمُنى   تُرْدي وَتُحْدى (٧) قَبْلَ لَمْعِ بُرُوقِهِ

---

(١) منبج : مدينة بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ .

(٢) كذا في جميع النسخ ولعلها (لِمُرِيقِهِ)

(٣) فروقه (ل)

(٤) الآريُّ : محبس الدابة . وفي (ل) آذيِّه ، وهو تصحيف .

(٥) هذا البيت والبيتان اللذان بعده لم ترد في (ل)

(٦) لعلها (الأنصار) . (٧) لعلها (وتُجْدي) .

يَخْشَى الْهِزَبْرُ هُجُومَهُ فِي غابِهِ ... أَبَداً وَيَرْهَبُهُ الْعُقابُ بِنِيقِهِ (١)

قَدْ كانَ جَدُّكَ صالِحٌ فِي أَسْرِ مَنْ ... مَنَعَ الْمَحِيصَ وَزادَ فِي تَضْيِيقِهِ (٢)

حَتَّى إِذَا ما اللهُ أَطْلَقَهُ قَضَى ... بِبِعادِ آسِرِهِ وَمُلْكِ طَلِيقِهِ

وَكَذاكَ يَفْعَلُ فِيكَ فَاعْزِمْ عَزْمَةً ... تَجْلُو ظَلامَ الْإِفْكِ بَعْدَ غُسُوقِهِ

كَمْ حَلَّ أَنْطاكِيَّةً مِنْ مُتْرَفٍ ... مُتَشاغِلٍ بِرَحِيقِهِ وَرَقِيقِهِ (٣)

وَأَمامَ قُسْطَنْطِينَةٍ وَوَراءَها ... خَطْبٌ أُعِينَ جَلِيلُهُ بِدَقِيقِهِ

وَأَبَى مَلِيكَ الرُّومِ مِنْهُ مانِعٌ ... عَنْ نَصْرِ دَوْقَسِهِ وَعَنْ بِطْرِيقِهِ (٤)

---

(١) هذا البيت لم يرد في (ل)

(٢) كان صالح بن مرداس هاجم حلب سنة ٤٠٢ فأسره صاحبها مرتضى الدولة بن لؤلؤ مولى سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان وحبسه في القلعة . فتوصل حتى صعد من السور وألقى نفسه من أعلى القلعة إلى تلها واختفى في مسيل ماء ، ووقع الخبر بهربه فأرسل ابن لؤلؤ الخيل في طلبه فعادوا ولم يظفروا به . فلما سكن عنه الطلب سار بقيده ولبنة حديد في رجليه حتى وصل قرية تعرف بالياسرية ، فرأى ناساً من العرب فعرفوه وحملوه إلى أهله بمرج دابق ، فجمع ألفي فارس فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوماً ، فخرج إليه ابن لؤلؤ فقاتله فهزمهم صالح وأسر إبن لؤلؤ وقيده بقيده الذي كان في رجله ولبنته . ولما استقر الحال بينهما أطلقه ثم تقلبت الأحوال بابن لؤلؤ حتى خرج من حلب إلى أنطاكية وبها الروم فأقام عندهم . « الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٧٨ »

(٣) برهيقه ورحيقه (ع) و (م) والرهيق : الخمر .

(٤) الدوقس : الرئيس وهي لاتينية دوكس Dux . والبطريق : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل . وقد ورد هذا الشطر في (ع) و (م) مضطرباً على هذا الوجه : « عن نصر ذي ذوقسه بطريقه »

وَقفَ الرَّجاءُ [١] بهِ عَلَى إخْفاقِهِ ... وَالْخَوْفُ يُلْزِمُ قَلْبَهُ بخُفُوقِهِ

لاَ يَأمَنَنَّ الشِّرْكُ بَطْشَ غَشَمْشَمٍ ... يُرْجَى لقَطْعِ فُرُوعِهِ وَعُرُوقِهِ [٢]

وَمِنَ الضَّلاَلِ نِضالُ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ ... سَفَهاً بِسَهْمٍ قَدْ خَلاَ مِنْ فُوقِهِ

وَلْيَعْتَصِمْ بِمُمَلَّكٍ [٣] قَهرَ الْعِدى ... حَتَّى لَدَانَ عَدُوُّهُ لِصَدِيقِهِ

أَغْنَى عَطاؤُكَ عَنْ نَدَى مَحْرُومُهُ ... أَوْلَى بِحُسْنِ الذِّكْرِ مِنْ مَرْزُوقِهِ [٤]

جُودٌ عَلَوْتَ بِهِ الْمُلُوكَ فَما سَعَوْا ... يَوْماً إلَيْهِ وَلاَ اهْتَدَوْا لِطَرِيقِهِ

سَبَقُوا [٥] السُّؤَالَ وَعاذِلِيكَ [٦] عَلَى اللُّهى ... مَنْ ذا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مُرُوقِهِ

أَسْرَفْتَ فِي إكْثارِهِ وَشَرُفْتَ فِي ... إنْكارِهِ [٧] وَكَرُمْتَ عَنْ تَعْوِيقِهِ

فَلْتَعْلَمِ الآمالُ حَقّاً أَنَّها ... نَزَلَتْ عَلَى مَحْضِ النِّجارِ عَرِيقِهِ

عَقَلَ الْمَدِيحَ نَوالُهُ فَأَنَفْتُ [٨] مِنْ ... تَغْرِيبِهِ وَغَنِيتُ عَنْ تَشْرِيقِهِ

قَدْ كُنْتُ أَعْرِضُهُ وَلاَ سُوقٌ لَهُ ... فَالآنَ صِرْتُ أَبِيعُهُ فِي سُوقِهِ

---

(١) فرجاؤه وقف على إخفاقه (هامش (ع) و (م)

(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٣) وليعتصم بمليك من قهر العدى (ع) و (م)

(٤) عن مرزوقه (ع) و (م)

(٥) كذا في جميع النسخ ولعله (سبَقَ)

(٦) وعادلتك (ع) و (م)

(٧) إبكاره (ع) و (م)

(٨) فأبقت (ل)

حِــلاًّ لِأَنِّي أَشْتَرِيهِ بِفِكْرَةٍ جَوَّالَةٍ وَأَحِيدُ عَنْ مَسْرُوقِهِ
فِي كُلِّ مُعْجِزَةٍ تَــكَفَّلَ لِي بِهَا فَضْلٌ أَعَاذَ (١) ٱلْقَوْلَ مِنْ تَلْفِيقِهِ
حَتّٰى قَرَنْتُ بِدُرِّهِ يَاقُوتَهُ وَسِوَايَ يَقْرِنُ دُرَّهُ بِعَقِيقِهِ
مِنْ بَحْرِ نَصْرٍ أَجْتَنِيهِ فَرَائِداً (٢) وَٱلْحَظُّ لِلْعَلْيَاءِ فِي مَنْسُوقِهِ
بَحْرٌ يُغَاصُ عَلَى ٱلْغِنَى (٣) فِيهِ فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْإِعْدَامِ غَيْرُ غَرِيقِهِ



(١) أعاد القول في تلفيقه (ع) و (م)
(٢) زائداً (ل)
(٣) العلى (ل)

قافية الكاف

٧٣

وقال(١) يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه أنوشتكين الدِّزْبِري(٢)

مَا فِي ٱلْمَعَالي مَطْمَعٌ لِسوَاكَا ... أَيَنالُ ما اُسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ يَداكَا

فَلْيَسْلُها مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلاً لَها ... فَلَهَا بَرَاكَ ٱللهُ حِينَ بَرَاكَا

نامَ ٱلأَنامُ وَباتَ يَمْنعُكَ ٱلْكَرى ... هَمٌّ بِها مِنْ دُونِهِمْ أَغْرَاكَا (٣)

حَتَّى غَدَوْتَ (٤) تَؤُمُّها مُسْتَنْهِجاً ... قَصْدَ ٱلسَّبيلِ وَجارَ مَنْ جاراكَا

يا مُصْطَفَى ٱلْمُلْكِ ٱلأَغَرِّ وَعُدَّةَ ٱلْـ ... ـمَوْلَى ٱلإمامِ وَسَيْفَهُ ٱلْبَتَّاكَا

مَنْ رَامَ أَنْ يَرْقا (٥) مَحَلَّكَ فَلْيَحُزْ ... بَأْساً كَبَأْسِكَ أَوْ نَدًى كَنَداكَا

خَفِّضْ عَلَيْكَ فَمَا أَمامَكَ غايَةٌ ... وَأَقِمْ بِحَيْثُ تَرَى ٱلأَنامَ وَرَاكَا

لاَ تُنْضِ عَزْمَكَ طالِباً (٦) أَثَرَ ٱلْعِدَى ... فَلَوِ ٱكْتَفَيْتَ بِبَعْضِهِ لَكَفاكَا

---

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يأتي : « وقال ايضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري ويهنيه بما وصله من الحضرة المقدسة من التشريف والهدية »

(٢) في (ع) و (م) أبانشتكين . وهو تصحيف انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) أعراكا (ل)

(٤) عدوت (ل)

(٥) يرقى ؟ (ل)

(٦) كُلُّه (مسالك الأبصار ج ١٠) مخطوط .

إِنْ لَمْ يَنالُوا نُصْرَةً فَلَقَدْ غَدَوْا وَالرُّومَ فِي إِشْرَاكِهِمْ أَشْرَاكا (١)

خابَ الَّذِينَ رَجَوْا بِأَعْداءِ الْهُدٰى أَنْ يَسْتَرِدَّ اللهُ ما أَعْطاكا

بَغْياً عَلَيْكَ وَتِلْكَ عُقْبٰى مَعْشَرٍ كَفَرُوا الْجَمِيلَ وَهٰذِهِ عُقْباكا

فَلْيَطْلُبُوا لِلضَّيْمِ جَنْباً لَيِّناً حاشاكَ مِمَّا أَمَّلُوا حاشاكا

وَلْيَبْتَغُوا نَفَقاً سِوٰى هٰذا فَقَدْ وَقَفَ الْبَرِيَّةُ دُونَ فَصْمِ عُرَاكا

وَلْيَيْأَسُوا النَّصْرَ الْعَزِيزَ فَإِنَّهُ لَكَ دُونَهُمْ مُذْ سارَ تَحْتَ لِوَاكا

وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ النَّجابَةَ خَلَّةٌ خَصَّ الْإِلٰهُ بِنَيْلِها الْأَتْرَاكا

وَالرُّومُ إِنْ ظَهَرُوا وَلَمَّا يَظْهَرُوا كَانُوا دَرَايا فِي الْوَغٰى لِقَناكا

وَلَوَ أَنَّهُمْ رَامُوا نِزَالَكَ صِلَّةً كَانُوا كَمَنْ دَارَتْ عَلَيْهِ رَحاكا

إِنْ غَرَّهُمْ تَغْرِيرُ حَسَّانٍ (٣) بِهِمْ فَسَيَعْرِفُونَ (٤) الْكاذِبَ الْأَفَّاكا

فَلْيَخْتَبِرْ قَبْلَ التَّقَدُّمِ نَفْسَهُ مَنْ مالَهُ قِبَلٌ بِمَنْ (٥) يَلْقاكا

فَمَتٰى نَظَرْتَ الشِّرْكَ أَدْنٰى نَظْرَةٍ كانَتْ لِأَسْرٰى الْمُسْلِمِينَ فَكاكا

---

(١) الأشراك : جمع شريك . ورواية (ع) و (م) : « للروم في أشراككم أشراكا »

(٣) حسان بن المفرِّج الطائي . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)

(٤) يستعرفون (ع) و (م)

(٥) لمن (ع) و (م)

وَمَتى سَرَيْتَ إِلَيْهِمُ لَمْ يَأْمَنُوا أَنْ يُصْبِحُوا أَسْرَاكَ غِبَّ سُرَاكَا

فَلأَجْلِ ذا مَدُّوا إِلَيْكَ رِقابَهُمْ يَرْجُونَ أَنْ تَرْضَىٰ وَما أَوْلاَكَا

عَمْرِي لَقَدْ نَظَرُوا بِعَيْنِ الْحَزْمِ إِذْ خَطَبُوا إِلَيْكَ السِّلْمَ وَالْإِمْسَاكَا

وَتَطَرَّحُوا ذُلاًّ لَدَيْكَ لِيَحْرُسُوا مُلْكاً مَتىٰ نَادَيْتَهُ لَبَّاكَا

فَاسْتَدْعِ جِزْيَتَهُمْ وَخَرْجَ بِلادِهِمْ يُعْطُوكَ مَا اسْتَدْعَيْتَ خَوْفَ سُطَاكَا

أَوْ شَطْرَ مُلْكِهِمُ تَجِدْهُ عَلَيْهِمُ سَهْلاً إِذا أَمَّنْتَهُمْ عَدْوَاكَا

وَاذْكُرْ لِدِينِ الْمُسْلِمِينَ وَقائِعاً لَكَ ما نَبا لِأَحَدِّها حَدَّاكَا

لِتُخَوِّفَا (١) مَنْ يَمَّاهُ بِها وَإِنْ خافَ الْكَرىٰ مُذْ صارَ فِيهِ يَرَاكَا

أَتَظُنُّ (٢) أَرْمانُوسَ (٣) يَنْسىٰ يَوْمَهُ الْـ مَشْهُودَ مَعْ مَنْ شَرَّدَتْهُ ظُباكَا

سَيَبِينُ خَوْفُكَ فِي أَسِرَّةِ وَجْهِهِ فَلْيَنْظُرَاهُ كُلَّما ذَكَرَاكَا

وَلْيَعْلَمَاهُ بِأَنَّ هٰذِي هُدْنَةٌ أَضْحَتْ لِمُلْكِهِمُ الْمَرُوعِ مِلاَكَا

وَلَقَدْ أَطاعَكَ مَنْ أَحَبَّ حَياتَهُ لٰكِنَّ مَنْ كَرِهَ الْحَياةَ عَصاكَا

أَضْحىٰ إِباؤُكَ فَوْقَ عِزِّكَ جُنَّةً فَعَلَيْهِ أَلاَّ يُسْتَباحَ حِماكَا

وَعَلَى شِفارِ ظُباكَ أَلاَّ يُقْدِمُوا طُرَدَاكَ حَتّىٰ يَنْشُرُوا قَتْلاكَا

(١) لعلها (ليخوِّفا).

(٢) أيظن (ع) و (م)

(٣) أرمانوس ملك الروم. (العبر لابن خلدون ج ٤ ص ٢٦٢)

عِزٌّ لَهُ عَنَتِ الْحَوَادِثُ عَنْوَةً وَسَعَـــادَةٌ تَسْتَخْدِمُ الْأَفْلاكا
فَطُلِ الزَّمانَ وَمَنْ رَآهُ فَما رَأَى[(١)] في الْعالَمِينَ وَلاَ يَرَى شَرْوَاكا
وَتَهَنَّ أَلْطافَ الْإِمامِ فَإِنَّهـــا نِعَمٌ أَنالَكَ فَخْرَها مَوْلاكا
أَقْرَرْتَ عَيْنَيْهِ بِإِقْرَارِ الْهُدَى فَحَباكَ ما قَرَّتْ بِهِ عَيْناكا
وَقَطَعْتَ دَابِرَ مَنْ طَغَى فِي أَرْضِهِ فَحَظِيتَ مِنْهُ بِفَوْقِ ما أَرْضاكا
عُدَدٌ كَسا الْجَيْشَ الْمُؤَيَّدَ بَعْضُها عِزّاً وَكَرَّمَ[(٢)] بَعْضُها مَغْناكا
تَشْرِيفُهُ هٰذَا السِّدِلِّيُّ[(٣)] رُتْبَةٌ لَكَ جَلَّ مُولِيها وَما أَوْلاكا
لَمْ يَكْسُ بَعْدَ الْبَيْتِ بَيْتاً غَيْرَهُ هَلْ فِي الْبُيُوتِ أَحَقُّ مِنْهُ بِذَاكا
وَالدَّسْتُ قَدْ حازَ الْفَضائِلَ كُلَّها وَحَوَى الْعُلَى وَالْمَجْدَ مُنْذُ[(٤)] حَوَاكا
وَمَرَاتِبُ الْخُلَفَاءِ لائِقَةٌ بِمَنْ مَلَكَ الْبِلادَ وَشَتَّتَ الْأَمْلاكا
وَالسِّتْرُ سِتْرُ الْبَابِ لَيْسَ بِحاجِزٍ عَمَّا يُحاوِلُ طَالِبُو جَدْوَاكا
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بِأَنَّ هٰذِي أَنْعُمٌ لَا يَسْتَحِقُّ جَزِيلَهـــا إِلاَّكا
أَطْلَعْتَ دِينَ اللهِ بَعْدَ أُفُولِهِ فَلِذَاكَ عَادَى اللهُ مَنْ عَادَاكا

(١) فما أرى (ل)
(٢) وأكرم (ل)
(٣) السِّدِلِّي : فارسي معرب وهو كثلاثة بيوت في بيت . ويريد به قصر الإمارة بدمشق . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٢٨٩)
(٤) منه ؟ (ع) و (م)

وَبَنَيْتَ لِلْإِسْلَامِ عِزّاً ثَابِتَ ٱلْ أَرْكَانِ فَلْتَسْلَمْ لَهُ حَوْبَاكَا
حَتَّى تَرَىٰ هٰذَا ٱلْعَطَاءَ مُضَاعَفاً لَكَ مَا حَيِيتَ وَمِثْلَهُ لِفَتَاكَا
يَا عَاطِفَ ٱلنُّعْمَىٰ عَلَيَّ أَصِخْ لِمَا يَهْتَزُّ(١) مِنْ طَرَبٍ لَهُ عِطْفَاكَا
مِدَحاً إِذَا نُشِرَتْ تَضَوَّعَ نَشْرُهَا قَدْ كِدْتُ أَطْوِي ذِكْرَهَا لَوْلَاكَا
كَرِهَتْ بَدَائِعُهَا سِوَاكَ وَأَقْبَلَتْ تَنْثَالُ فِيكَ لِأَنَّهَا تَهْوَاكَا
فَٱلْيَوْمَ أَلْفَىٰ دُرٌّ وَصْفِكَ نَاظِماً مِنِّي وَصَادَفَ نَثْرُهُ سَبَّاكَا
طَوَّقْتَنِي مِنَناً إِلَىٰ أَنْ لَمْ أُطِقْ تَصْرِيحَ(٢) شُكْرٍ عَنْ جَزِيلِ جَزَاكَا(٣)
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِي بِٱلْقَوَافِي حُرْمَةٌ لَـٰكِنَّ لَدَيْكَ تَحَرُّمِي بِذَرَاكَا
مَا قَصَّرَ ٱلشُّعَرَاءُ فِيكَ تَعَمُّداً بَلْ دَقَّ عَنْ أَفْكَارِهِمْ مَعْنَاكَا
فَٱجْعَلْ لُهَاكَ مُمَيِّزَاتٍ بَيْنَهُمْ(٤) لِأَكُونَ مِمَّنْ مَيَّزَتْهُ لُهَاكَا
فَتَخُصَّ مَنْ أَثْنَىٰ فَطَالَ لِسَانُهُ وَتَعُمَّ مَنْ بِضَمِيرِهِ نَاجَاكَا
وَبِأَيِّ فِعْلٍ مَامَلَكْتَ ٱلْحَمْدَ أَمْ فِي أَيِّ شَيْءٍ مَا بَلَغْتَ مُنَاكَا
فَكَلَاكَ مَنْ مَازِلْتَ تَكْلَأُ دِينَهُ وَرَعَاكَ مَنْ لِعِبَادِهِ ٱسْتَرْعَاكَا

* * *

(١) يهتز (ع) و (م)
(٢) بصريح (ع) و (م)
(٣) عن جزاك جزاكا ؟ (ل)
(٤) منهم (ل)

قافيـــة اللام

٧٤

وقال (١) يمدح تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح (٢) عند لباسه التشريف (٣) الواصل إليه من حضرة الخلافة في جمادي الأولى سنة خمس وستين وأربعماية

لاَ زَالَ مُلْكُكَ بِالْعُلَى مَأْهُولا وَسَلِمْتَ تُدْرِكُ كُلَّ يَوْمٍ سُولا

يَعْدُو الزَّمانُ وَلاَ يُصِيبُكَ رَيْبُهُ فَيَرُدُّ طَرْفاً عَنْ ذُرَاكَ كَلِيلا

أَنْتَ الَّذِي غَمَرَ الْعُفَاةَ مَوَاهِباً لَوْ كُنَّ أَمْوَاهاً لَكُنَّ سُيُولا

فَفِدَاءُ مَجْدِكَ أُمَّةٌ هَمَّتْ بِهِ زَمَناً فَما وَجَدَتْ إِلَيْهِ سَبِيلا

حَسُنَتْ مَناظِرُهُمْ وَغَيْرُ فَضِيلَةٍ لِلسَّيْفِ يَنْبُو أَنْ يَكُونَ صَقِيلا

وَذَوَتْ أَكُفُّهُمُ فَأَغْصانُ الْمُنَى بِعِرَاصِهِمْ أَبَداً تَزِيدُ ذُبُولا

---

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يأتي : « وقال أيضاً يمدح تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح عند لبسه التشريف الواصل من حضرة الخلافة في جمادي الأولى من سنة خمس وستين وأربعماية » على قافية اللام .

(٢) في (ع) و (م) محمد بن نصر وهو من سهو الناسخ . انظر الحاشيـة رقم (١) ص (٢٦)

(٣) قال ابن الأثير في حوادث سنة ٤٦٣ « في هذه السنة خطب محمود بن صالح بن مرداس بحلب لأمير المؤمنين القائم بأمر الله ... وأرسل الخليفـة إلى محمود الخلع مع نقيب النقباء طرّاد بن محمد الزينبي فلبسها ومدحه ابن سنان الخفاجي وأبو الفتيان بن حَيُّوس » « الكامل ج ١٠ ص ٢١ »

خُلِقَتْ لِمَحْمُودِ بْنِ نَصْرٍ رَاحَةٌ ... تَنْدَى فَلاَ تَرْضَى الْغَمامَ رَسِيلا

مَلِكٌ عَناؤُكَ (١) أَنْ تُحاوِلَ مَجْدَهُ ... فَإِذَا عَدَقْتَ (٢) بِجُودِهِ التَّأْمِيلا

عَدَّ الْيَسِيرَ مِنَ السُّؤَالِ وَسِيلَةً ... وَرَأَى الْكَثِيرَ مِنَ النَّوَالِ قَلِيلا

تُثْنِي (٣) عَلَيْهِ فَتَعْتَرِيهِ نَشْوَةٌ ... فَكَأَنَّ مادِحَهُ سَقاهُ شَمُولا

يَثْنِي عُيُونَ الْحَاسِدِينَ كَلِيلَةً ... وَيَرَى حُزُونَ الْمَكْرُماتِ سُهُولا

أَأَبا سَلاَمَةَ أَنْتَ فَخْرُ قَبِيلَةٍ ... طالُوا الْبَرِيَّةَ (٤) صِبْيَةً وَكُهُولا

إِنَّ الْعُلَى رَضِيَتْكُمُ غُرَراً لَهَا ... مِنْ بَعْدِ أَنْ أَبَتِ الْمُلُوكَ حُجُولا

وَلَوِ اكْتَفَيْتَ كَما اكْتَفَى أَعْيانُهُمْ ... كُلٌّ يَكُونُ عَلَى أَبِيهِ مُحِيلا

لَكَفاكَ جَمْعُكَ وَالِداً (٥) غَمَرَ الْوَرَى ... جُوداً وَأُمّاً (٦) فِي النِّساءِ بَتُولا

لٰكِنْ (٧) أَبَتْ لَكَ هِمَّةٌ ما شَأْنُها ... أَنْ تَسْتَعِيرَ عُمُومَةً وَخُؤُولا

---

(١) غناؤك (ل)

(٢) فإذا عذقت بجوده التأويلا (ع) و (م)

(٣) نُثني (ع) و (م)

(٤) طالوا الثريّا ... (ع) و (م)

(٥) والده : نصر بن صالح بن مرداس . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)

(٦) أمه : علوية بنت وثّاب النميري صاحب حرّان وتعرف بالسيدة وكانت من عظيمات النساء عقلاً ودهاءً وفصاحةً ولها أثر جليل في سياسة دولة بني مرداس أشار إليه ابن العديم فى زبدة الحلب من تاريخ حلب .

(٧) لكن أتتها ... (ع) و (م)

وَمَنَعْتَ هٰذَا ٱلشَّامَ مِمَّنْ رَامَهُ قَسْراً كَما مَنَعَ ٱلْهِزَبْرُ ٱلْغِيلا

ما بالُ عَمِّكَ[1] ظَلَّ[2] يَخْدَعُ نَفْسَهُ سَفَهاً وَيَقْطَعُ عُمْرَهُ تَعْلِيلا

مُتَطَرِّحاً أَبَداً وَكَمْ مِنْ خامِلٍ طَلَبَ ٱلنَّباهَةَ فَٱسْتَزادَ خُمُولا

يَدْنُو مِنَ ٱلْعَلْياءِ فِتْراً كُلَّمـا عَنَّتْ فَيُبْعِدُهُ ٱلتَّخَلُّفُ مِيلا

مُتَعَوِّضاً مِنْ عِزِّ مَنْ هُوَ فَرْعُهُ ذُلّاً يُحَدِّثُ عَنْهُ جِيلٌ[3] جِيلا

فَٱرْحَمْ غَنِيّاً[4] عالَ وَٱرْثِ لِتائِهٍ قَدْ ضَلَّ وَٱعْذِرْ صَبْرَهُ إِنْ عِيلا

أَكْدَتْ مَطالِبُهُ وَهَلْ يُعْدِي عَلَى ٱلْـ ـقُرْآنِ مَنْ يَسْتَنْصِرُ ٱلْإِنْجِيلا

فَلْيَثْنِ فائِلَ رَأْيِهِ عَنْ رايَةٍ أَمَرَ ٱلْإِلٰـهُ بِنَصْرِها جِبْرِيلا

أَوْلَجْتَهُ ٱلنَّفَقَ ٱلَّذي مَنْ أَمَّـهُ ماتَتْ ضَغِينَتُهُ وَعاشَ ذَلِيـلا

وَعُقُوقُ أَرْمانُوسَ حِينَ أَبَيْتَ نُصْـ ـرَتَهُ أَباحَكَ وُدَّ مِيخائِيلا[5]

وَكَمِ ٱبْتَدَعْتَ غَرائِباً مِنْ سُؤْدُدٍ ما كُنْتَ في طُرُقاتِها مَدْلُولا

---

(١) عمه هو : عطية بن صالح بن مرداس ، ملك حلب بعد وفاة أخيه ثمال بن صالح سنة ٤٥٤ فأخذها منه ابن أخيه محمود في السنة نفسها ، فقصد عطية الرقة فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ وسار عطية الى الروم فمات بالقسطنطينية سنة ٤٦٥ . « الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٨٠ »

(٢) ضل (ع) و (م)

(٣) عنه جيلاً جيلا (ع) و (م)

(٤) عيياً ؟ (ع) و (م)

(٥) أرمانوس : ملك الروم ، وميخائيل ملك الروم بعد أرمانوس .
« الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٢٢ و ص ٢٣ »

وَلَكَ ٱلْأَدِلَّةُ أُوضِحَتْ حَتَّى رَأَىٰ ... إِثْبَاتَ فَضْلِكَ مَنْ رَأَىٰ ٱلتَّعْطِيلا

وَمَتَىٰ أَرَقْتَ دَماً عَزِيزاً سَفْكُهُ ... إِلاَّ عَلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ مَطْلُولا

مَلأَتْ وَقَائِعُكَ ٱلْقُلُوبَ مَخَافَةً ... ضَاقَتْ بِهَا عَنْ أَنْ تُجَنَّ ذُحُولا

وَلِمُرْهَفَاتِكَ بِٱلْفُنَيْدِقِ وَقْعَةٌ ... مَلأَتْ مَسَامِعَ مَنْ بِمِصْرَ صَلِيلا[1]

عُصَبٌ أُتِيحَ بَوَارُهُمْ فِي مَأْزِقٍ ... حَسَدَ ٱلْأَسِيرُ بِضَنْكِهِ ٱلْمَقْتُولا

غُرُّوا بِأَنْ شَرَّقْتَ[2] عَنْهُمْ مَذْهَباً ... فِي ٱلرَّأْيِ مَا عَرَفُوا لَهُ تَأْوِيلا

حَتَّى إِذَا دَلَفَتْ إِلَيْكَ جُمُوعُهُمْ ... جُمَلاً جَعَلْتَ لَهَا ٱلرَّدَى تَفْصِيلا

زَأَرَتْ أُسُودُهُمُ فَلَمَّا عَايَنُوا ... أَذْوَادَكُمْ[3] عَادَ ٱلزَّئِيرُ أَلِيلا

مَا كَانَ فِي ٱلْمَعْقُولِ أَنَّكَ كَائِدٌ ... تِلْكَ ٱلْغُوَاةَ بِحَلِّكَ ٱلْمَعْقُولا

أَهْمَلْتَهَا كَيْمَا يَظُنُّوا أَنَّهَا ... غَنَمٌ فَخِيلَتْ[4] بِٱلْعَرَاءِ خُيُولا

وَعَلِمْتَ أَنَّ رُغَاءَهَا[5] مُفْضٍ إِلَىٰ ... طَمَعٍ فَأَلْحَقْتَ ٱلرُّغَاءَ صَهِيلا

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان : « الفُنَيْدِق من أعمال حلب كانت به عدة وقعات وهو الذي يعرف اليوم بتل السلطان بينه وبين حلب خمسة فراسخ وبه كانت وقعة الفنيدق بين ناصر الدولة بن حمدان وبني كلاب من بني مرداس في سنة ٤٥٢ فأسره بنو كلاب » وانظر الحاشية رقم (١) ص (٤٠٢)

(٢) شرّفت (ل)

(٣) سطواتكم (ع) و (م) في رواية

(٤) فحيلت ؟ (ع) و (م)

(٥) رعاءها ؟ (م)

مِنْ مُقْرَبَاتٍ أُورِدَتْ أُمَّاتُها بَرَدَى وَأَحْرِ بِأَنْ يَرِدْنَ النِّيلا(١)

شُقْرٍ بَرَاها النَّقْعُ دُهْماً وَانْجَلَى فَنَزَعْنَ(٢) لَيْلاً وَارْتَجَعْنَ أَصِيلا

تَرْدِي بِكُلِّ مُظَفَّرٍ يُرْدِي الْعِدَى إِنْ هِيجَ أَوْ يَهَبُ الْغِنَى إِنْ سِيلا

فَسَفَيْتَهُمْ وَهُمُ الْجِبَالُ بِعَزْمَةٍ صَدَقَتْ كَمَا سَفَتِ الرِّيَاحُ نَسِيلا(٣)

قَسَمَتْ سُبَيْعَةُ ماحَوَوْا(٤) وَذُؤَيْبَةٌ(٥) وَالْعِزُّ قِسْمُكَ لَمْ تَحُزْهُ غُلُولا(٦)

فَلْتَحْذَرِ(٧) الْهِمَمُ الْمُذَالَةُ فِي الثَّرَى هِمَماً تَجُرُّ عَلَى السَّمَاءِ ذُيُولا

مُنْذُ انْبَرَتْ دُونَ الْخَلِيفَةِ(٨) جُنَّةً مَلأَتْ غِرَارَ النَّائِبَاتِ فُلُولا

وَلَقَدْ دَعاكَ إِلَى الَّتِي إِدْرَاكُها عَسِرٌ فَكُنْتَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلا

أَعْلَمْتَهُ أَنْ لَيْسَ يَذْهَبُ ثَأْرُهُ ما دُمْتَ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ مُدِيلا

وَأَبَنْتَ عَنْ فَصْلِ الْخِطَابِ بِلَفْظَةٍ أَوْضَحْتَ مِنْها حَقَّهُ الْمَجْهُولا

---

(١) بردى : نهر دمشق . والنيل : نهر مصر .

(٢) عنهن (ع) و (م) في رواية .

(٣) النَّسِيل : مايسقط من الصوف والريش عند النسل الواحدة نسيلة .

(٤) مَاحَوَتْ (ع) و (م)

(٥) سُبَيْعة و ذُؤَيْبة بطنان من عرب الشام(ورقة/٨١ من مخطوطة زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم)

(٦) لم تحزه فسيلا (ع) و (م)

(٧) فليحذروا (م)

(٨) الخليقة (ع) و (م)

وَأَتاكَ مِنْ إِكْرامِهِ وَصِفاتِهِ (١) ما جاوَزَ ٱلْإِكْرامَ وَٱلتَّبْجِيلا
وَمَلابِسٍ لَبِسَتْ بِكَ ٱلْفَخْرَ ٱلَّذي لا تَسْتَطِيعُ لَهُ ٱلْعِدٰى تَبْدِيلا
وَمُهَنَّدٍ راقَ ٱلنَّواظِرَ مُغْمَداً وَغَدا يُحَكِّمُ فِي ٱلطُّلٰى مَسْلُولا
وَأَقَبَّ لَيْسَ يَلِيقُ إِلاَّ بِٱلَّذي رِيضَ ٱلزَّمانُ بِهِ فَصارَ ذَلُولا
أَمْطاكَهُ ٱلْمُوفِي عَلَى آبائِهِ وَرَعًا وَكَمْ عَلَتِ ٱلْفُرُوعُ أُصُولا
بَذَلَتْ لَكَ ٱلْأَمْلاكُ فِي أَعْطافِها وَوِدادِها ما لَمْ يَكُنْ مَبْذُولا
وَأَبانَ مَنْ مَلَكَ ٱلْبَسِيطَةَ فَضْلَهُ لَمَّا ٱصْطَفاكَ لَهُ أَخًا وَخَلِيلا
فَلِذاكَ أَمْرُكَ حَيْثُ يَمَّمَ نافِذٌ أَرْسَلْتَ جَيْشاً أَوْ بَعَثْتَ رَسُولا
هٰذا هُوَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذي لا يُرْتَقٰى أَدْناهُ وَٱلْعِزُّ ٱلَّذي ما نِيلا
فَلْتَفْتَخِرْ كَعْبٌ بِأَنَّكَ مِنْهُمُ بَلْ عامِرٌ بَلْ نَسْلُ إِسْماعِيلا
وَبِمَنْ تُقاسُ وَقَدْ حَوَيْتَ مَآثِراً تَأْبٰى لَكَ ٱلتَّشْبِيهَ وَٱلتَّمْثِيلا
بِنَداكَ أَنْجَزَ وَعْدَهُ ٱلزَّمَنُ ٱلَّذي قَدْ كُنْتُ أَعْهَدُهُ أَلَدَّ مَطُولا
أَنْسَيْتَنِي ذِكْرَ ٱلْأَنامِ فَما أَرٰى مُسْتَخْبِراً عَنْهُمْ وَلا مَسْؤُولا
مِنَنٌ بِجِيدِي لَنْ تَزالَ قَلائِداً وَلَوَ انَّها لِسِواكَ كُنَّ كُبُولا
وَعَصَمْتَنِي مِمَّا أَخافُ فَظَنَّنِي مَنْ رامَنِي لِلْفَرْقَدَيْنِ نَزِيلا

(١) وصفائه (ع) و (م)

لِمَ لا يَكُونُ ٱلْقَوْلُ جَزْلاً فِيكَ يا ... تاجَ ٱلْمُلُوكِ وَقَدْ أَنَلْتَ جَزِيلا
جاوَزْتَ غايَةَ مَنْ يَجُودُ وَمَنْصِبِي ... يَأْبَى لِمِثْلِي أَنْ يَكُونَ بَخِيلا
ما فِي ٱلْمُرُوءَةِ كُفْرُ مَنْ أَغْنَيْتَهُ ... وَسُكُوتُ مَنْ أَنْطَقْتَهُ لِيَقُولا
فَلَأَمْلَأَنَّ ٱلْخافِقَيْنِ غَرائِباً ... مَوْسُومَةً بِكَ مِثْلُها ما قِيلا
مِمّا يَزِيدُ عَلَى زِيادٍ بَسْطَةً ... وَيُضِلُّ فِي طُرُقاتِهِ ٱلضِّلِّيلا [١]
تَطْوِي [٢] بِلاداً لا ٱلْجِيادُ تَنالُها ... خَبَباً وَلا ٱلْكُومُ ٱلْقِلاصُ ذَمِيلا
فَوْقَ ٱلرَّوامِسِ لا ٱلْعَرامِسِ مالَها ... حادٍ يَسُوقُ وَلا تُرِيدُ دَلِيلا
مَعَ أَنَّ شُكْرِيَ لا يَقُومُ بِأَنْعُمٍ ... صَحَّ ٱلرَّجاءُ بِها وَكانَ عَلِيلا
وَعَواطِفٌ لا يَبْتَغِي بَدَلاً بِها ... إِلاَّ ٱلْمُرِيدُ مِنَ ٱلْحَياةِ بَدِيلا

٧٥

وقال يمدح أمير الجيوش المظفر عدّة الإمام سيف الخلافة شرف المعالي ويهنيه بما وصل إليه من الحضرة من الملابس الفاخرة والألقاب والتشريف والحُمْلان [٣]

شَرَفَ ٱلْمَعالِي مَنْ يُساجِلُكَ ٱلْعُلَى ... وَلَكَ ٱلْإِمامُ بِمُلْكِها قَدْ أَسْجَلا
تَدْعُو ٱلْحُظُوظَ فَتَسْتَجِيبُ كَذا وَما ... لَمْ تَدْعُهُ مِنْها أَتاكَ مُطَفِّلا

---

(١) زياد : هو النابغة الذبياني. والملك الضِّلِّيل : هو امرؤ القيس بن حُجر الكندي.
(٢) يطوي (ع) و (م)
(٣) الحُمْلان : ما يحمل عليه من الدوابّ في الهبة خاصة .

فِي كُلِّ يَوْمٍ ما تَزَالُ (١) مُكَذِّباً مَنْ قالَ غايَةُ كامِلٍ أَنْ يَكْمُلا

وَلَقَدْ أَتَتْكَ اَلْيَوْمَ مِنْ نَخْرٍ حُلًى (٢) ذَا اَلْمَجْدُ صايِغُها وَمِن تِبْرٍ (٣) حُلا

هاتِيكَ تُسْمِعُ مِنْ صِفاتِكَ مُعْجِزاً (٤) لاَ يُسْتَعارُ وَذِي تُرِي ما أَذْهَلا

لَوْلاَ اَلْبَصائِرُ مِنْ عَشَى أَبْصارِنا لِضِيائِها خِلْنا اَلْعِيانَ تَخَيُّلا

وَإِذَا تَعاوَدْنا (٥) ثَناءَكَ بَيْنَنا عادَ اَلْمُكَثِّرُ ما رَآهُ مُقَلِّلا

فَهَلِ اُنْتُحِتَتْكَ مِنَ اَلْكَواكِبِ سُرْبَةٌ كَيْما تَكُونَ لِنُورِها مُتَسَرْبِلا

أَمْ لِلْغَزالَةِ فِي اَلْجَدالَةِ (٦) مَنْزِلٌ وَعَهِدْتُها لاَ تَسْتَطِيعُ تَرَحُّلا

وَهَلِ اُدَّرَعْتَ شُعاعَها فَلأَجْلِ ذَا ما إِنْ تُطِيقُ لَكَ اَلْعُيُونُ تَأَمُّلا

أَمْ قَدْ كَساكَ اَلنُّورَ ذُو اَلنُّورِ اَلَّذِي مَا زَالَ فِي آبائِهِ مُتَنَقِّلا

لُبْسُ اَلْحَرِيرِ مِنَ اَلْحَدِيدِ مُثَقَّلاً أَفْضَى إِلَيْهِ بِالنُّضارِ مُثَقَّلا (٧)

وَالْحَرْبُ لاَ تُجْنِيكَ (٨) أَرْياً غِبُّها إِلاَّ إِذَا أَجْنَتْ عِداكَ اَلْحَنْظَلا

---

(١) ماتراه (ل)

(٢) عُلىً (ل)

(٣) ومن نثر (ع) و (م)

(٤) من صفاتك كل ما (ع) و (م)

(٥) كذا في جميع النسخ ولعله (تعاورنا)

(٦) الجَدالة : الأرض .

(٧) منقلا (ل)

(٨) لاتجني كأرْيٍ (ل)

وَسَلِيلِ صَاعِقَةٍ أَتَاكَ مُعوِّضاً مِمَّا تَرَكْتَ مِنَ الضِّرَابِ مُفَلَّلا
وَالتِّبْرُ مَا لَمْ تَرْضَهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ بِنَفَائِسِ الدُّرِّ الثَّمِينِ مُكَلَّلا
وَلَوانَّ(١) كُلَّ النَّاسِ يَعْرِفُ قَدْرَهُ أَغْنَاهُ جَوْهَرُ مَتْنِهِ عَمَّا احْتَلا
وَمُضِيئَةٍ (٢) كَسَتِ النَّدِيَّ بِضَوْئِها وَالْحَاضِرِينَ بِهِ(٣) حَرِيقاً مُشْعَلا
مَا إِنْ رَأَيْنَا هَالَةً مِنْ قَبْلِها أَضْحَتْ(٤) تَضَمَّنُ عَارِضاً مُتَهَلِّلا
فَاَبْجَحْ بِمَفْخَرِها مَلابِسَ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ الإِمامِ لِمِثْلِها مُتَبَدِّلا(٥)
لَمَّا تَنَافَسَتِ الْجَوَاهِرُ وَالْحُلَى فِيها أَتَتْكَ وَجِسْمُها قَدْ فُصِّلا
بِجُذَى(٦) غَضىً مَا لَمْسُهُنَّ بِمُحْرِقٍ وَنُجُومِ دَاجِيَةٍ وَلَيْسَتْ أُفَّلا
وَأَظُنُّها تاجاً وَلَكِنْ لَمْ تَجِدْ لِعُلُوِّ قَدْرِكَ فَوْقَ خَصْرِكَ مَنْزِلا
وَسَوَابِقٍ عَدَتِ(٧) الْجَمالَ فَلَوْ مَشَى شَبْدَازُ (٨) كِسْرَى بَيْنَها لَتَخَيَّلا
مِنْ كُلِّ مَحْبُوكِ الْقَرَى لَوْ لَمْ يَكُنْ بَعْضَ الْجِبَالِ لَهَدَّهُ مَا حُمِّلا

---

(١) لو أن (ل)
(٢) يصف بهذه الأبيات المنطقة كما في مسالك الأبصار ج ١٠
(٣) بها (ل)
(٤) أمست (ل)
(٥) متبذلا (ل) ومكان هذا البيت في (ل) قبل خمسة أبيات
(٦) بحدى ؟ (ع) و (م)
(٧) حزن الجمال (مسالك الأبصار)
(٨) شبداز : تعريب شبديز ومعناه الأدهم وهو فرس كسرى أبرويز . وفي (ل) شدّاد كسرى . وهو تصحيف .

كَالطَّوْدِ تَنْقُلُهُ (١) قَوَائِمُ سابِحٍ ... فَإِذَا عَدَا صارَتْ قَوَادِمَ أَجْدَلا
نَبَذَ الْبَرَاقِعَ وَالْجِلالَ وَرَاءَهُ ... لَمَّا تَبَرْقَعَ بِالْحُلى وَتَجَلَّلا
لَبِسَتْ تَجافِيفَ النُّضارِ فَهَلْ أَتَتْ ... تُحَفاً لِمُلْكِكَ أَوْ لِتَلْقَى جَحْفَلا
وَمُحَلِّقٍ فِي الْجَوِّ (٢) تَحْسَبُ أَنَّهُ ... ظامٍ وَقَدْ ظَنَّ الْمَجَرَّةَ مَنْهَلا
أَوْفى عَلَى قَوْسِ الْغَمامِ مُعَمَّماً ... مِنْهُ بِناحِيَةٍ لِأُخْرى مُسْدِلا
مِنْ عَقْدِ مَنْ ما حَلَّ خَطْبٌ عَقْدَهُ ... كَلاَّ وَلَيْسَ بِعاقِدٍ ما حَلَّلا
يَقْتادُ مِنْ زُهْرِ الْقِبابِ شَوَامِخاً ... تُوهِي بِحِلْيَتِها (٣) الْجِمالَ الْبُزَّلا
أَعْطاكَها شُمّاً (٤) فَكَمْ مِنْ قائِلٍ ... هَلْ أَرْسَلَ الْأَهْرامَ فِيما أَرْسَلا
وَلَقَدْ غَنِيتَ عَنِ اللِّوَاءِ بِقامَةٍ ... طالَتْ فَطُلْتَ بِها الْوَشِيجَ الذُّبَّلا
وَكَفَتْكَ أَفْياءُ الْعَوَالِي أَنْ تُرى ... عِنْدَ الْهَجِيرِ بِفَيْئِهِ (٥) مُتَظَلِّلا
لِلْمَجْدِ أَخْذُكَ (٦) وَالْعَطاءُ وَلَمْ تَزَلْ ... تَعْلُو الْمُلُوكَ مُنَوِّلاً وَمُنَوَّلا
وَلَأَنْتَ مَنْ لَوْ خُوِّلَ الدُّنْيا بِما ... جَمَعَتْ لَكانَ أَجَلَّ مِمَّا خُوِّلا

---

(١) تثقله ؟ (ع) و (م)
(٢) وصف العلَم (كما في مسالك الأبصار)
(٣) بحليته
(٤) تيهاً (ع) و (م)
(٥) بفيئها (ع) و (م)
(٦) أجرك (ل)

وَمعَ ٱلرَّسُولِ إِلَيْكَ أَنْفَسُ قِيمَةً ... مِمَّا يُرَى [١] وَأَخَفُّ أَيْضاً مَحْمَلا

عَهْدٌ يُؤَوِّلُ [٢] مَأْثُرَاتِكَ لِلْوَرَى ... مَعَ أَنَّهَا ما ٱسْتَعْجَمَتْ فَتَأَوَّلا

وَافَى فَأَسْمَعَنَا وَلَيْسَ بِنَاطِقٍ ... شُكْراً لِسَعْيِكَ لَمْ يَكُنْ مُتَمَحَّلا

وَلَقَدْ أَعَاذَ ٱللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... قَوْلَ ٱلْخِلافَةِ أَنْ يَكُونَ تَقَوُّلا

كَمْ حازَ مِنْ [٣] صِفَةٍ وَكَمْ فِي ضِمْنِهِ [٤] ... قَوْلٌ دَعَاكَ بِهِ ٱلْإِمَامُ مُبَجَّلا [٥]

أَمِنَتْ خِلافَتُهُ وَدَوْلَتُهُ مَعاً ... أَنْ يُمْنَعَا مِنْ بُغْيَةٍ أَوْ يُمْطَلا

بِٱلسَّيْفِ ما عَرَفَ ٱلنُّبُوَّ غِرَارُهُ ... مُذْ سُلَّ وَٱلْعَضُدِ [٦] ٱلَّذِي لَنْ يَنْكُلا

وَٱفْخَرْ بِذَا ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي أُعْطِي ٱلْهُدَى ... فِيمَنْ أَقَامَ عِمَادَهُ ما أَمَّلا

حَتَّى لَظَنَّ ٱلنَّاسُ يَقْظَتَهُمْ كَرًى ... أَوْ مُلْكَ مِصْرَ إِلَى دِمَشْقَ تَحَوَّلا

وَلَقَلَّمَا يَصِفُ ٱلْمَحَاسِنَ وَاصِفٌ ... إِلَّا وَظَلَّ بِحُسْنِهِ [٧] مُتَمَثِّلا

عَجَباً لِمَجْنُوبٍ [٨] وَذِي أَعْبَاؤُهُ ... كَيْفَ ٱسْتَطَاعَ بِهَا إِلَيْكَ تَحَمُّلا

---

(١) نرى (ل)

(٢) يؤول مآثراً بك . على هامش (ع) و (م)

(٣) كم جاز في صفة (ل)

(٤) وكم من ضمنة (ع) و (م)

(٥) مبخلا (ع) و (م)

(٦) والعضب (ل)

(٧) لحسنه (ع) و (م)

(٨) لمحبوب (ع) و (م)

رُقتَ الأئمةَ بالمساعِي لم تدعْ عنْ ربِّها لإمامِ عدلٍ معدِلا
فإنِ اكتفوا بكَ في المُلِمِّ فلم تزلْ أُولى الزمانِ بنصرِهِمْ مُتكفِّلا
أو أجلسوكَ على مراتبِهِمْ فمَنْ أعلتْهُ همّتُهُ إلى شرفٍ علا
مُستنصِرٌ باللهِ أنتَ حسامُهُ والحقُّ يحمي آمنٌ[1] أنْ يُخذلا
ووزيرُ مُلكٍ ظلَّ وصفُكَ دأبَهُ عندَ الخلافةِ دائماً لنْ يخجلا[2]
جُليتْ[3] برأيِ الكاملِ النُّوبُ التي كانتْ تُرينا الصبحَ ليلاً أليلا
يقظٌ إذا الإسلامُ خافَ فأمنُهُ مما تخوّفَ أنْ تقولَ وتفعلا
ما زلتَ بالغاراتِ طوراً غائراً خلفَ العدوِّ وتارةً متوقّلا
تُزجي الجيوشَ تراكمتْ حتّى لقدْ منعَ القنا فيها القنا أنْ يعسِلا
وحماةَ حربٍ لا تلينُ لغامزٍ فوقَ السوابقِ تستلينُ الجندلا
حتّى تركتَ قُبيلَ[4] عودِكَ قافلاً منْ دونِ دينِ اللهِ باباً مُقفلا
وحسمتَ منْ أدوائهِ ما أعضلا وفللتَ عنهُ كلَّ نابٍ أعصلا[5]
وثنيتَ محضَ الخوفِ عنْ أوطانِنا منْ بعدِ أنْ ألقى عليها كلكلا

---

(١) آمناً . على هامش (ع) و (م)

(٢) أن يخجلا (ع) و (م)

(٣) حليت (ع) و (م)

(٤) قتيل عودك (ع) قتيل عودِ (م)

(٥) أعضلا (ع) و (م)

وَأَباحَنا سُلْطانُكَ الْأَمْنَ الَّذي لَوْ نَشْتَريهِ بِالنَّواظِرِ ما غَلا
صارَ الْعَنُودُ بِكُلِّ أَرْضٍ ناكِلاً مُذْ ظَلَّ بَأْسُكَ[1] بِالطُّغاةِ مُنَكِّلا
وَلَقَدْ أَنابُوا وَانْتَحَوْكَ فَلَمْ تَضِقْ خُلُقاً بِأَحْياءٍ يَضِيقُ[2] بِها الْفَلا
فَمَشَوْا عَلَى الْأَفْواهِ مِنْ إِعْظامِهِمْ هٰذَا الثَّرٰى أَنْ يُوطِؤُهُ الْأَرْجُلا
وَتُرابُ أَرْضٍ أَنْتَ فِيها قاطِنٌ أَوْلٰى التُّرابِ بِأَنْ يَكُونَ مُقَبَّلا
ما أَسْرَفَ الظَّمْآنُ فِي تَقْبِيلِهِ سُبُلاً تُبَلِّغُهُ الْغَمامَ الْمُسْبِلا
لَمْ يَبْقَ غَيْرَ ابْنِ الْمُفَرِّجِ[3] خائِفٌ يَبْغِي الْأَمانَ وَمُجْدِبٌ يَبْغِي الْكَلا
فَاغْفِرْ لَهُ تِلْكَ الذُّنُوبَ مُعاوِداً حِلْماً رَجَحْتَ بِهِ الْجِبالَ الْمُثَّلا
عاقَبْتَهُ لَمّا جَنٰى وَقَهَرْتَهُ لَمَّا تَجَبَّرَ فَاعْفُ حِينَ تَنَصَّلا
وَارْحَمْ عَلِيلاً ما أَصابَ مُعَلِّلا وَأَغِثْ طَرِيداً لَمْ يُصادِفْ مَوْئِلا
مُذْ زارَ رَبْعَكَ يَجْتَنِي فِيهِ الْغِنٰى وَالْعِزَّ عافَ الْمَنْزِلَ الْمُسْتَوْبَلا
عُذْ لا عَدِمْتَ الْفَضْلَ بِالْفَضْلِ الَّذي جَعَلَ الْمُلُوكَ إِلَى انْتِجاعِكَ عُمَّلا
لَمْ يُعْنَ جَبّارٌ بِبَأْسِكَ ساعَةً إِلّا وَعاوَدَ خاضِعاً مُتَذَلِّلا
تَأْبٰى رِماحُكَ أَنْ تُرٰى مَرْكُوزَةً حَتّٰى تُعَلَّ مِنَ الصُّدُورِ وَتُنْهَلا

---

(١) سيفك (ل)
(٢) تضيق (ل)
(٣) هو حسّان بن المفرّج الطائي . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)

أَوْرَدْتَهَا ثُغَرَ ٱلْأَعَادِي رَامِحـاً ... وَرَجَعْتَ تَطْعَنُهُمْ بِخَوْفِكَ أَعْزَلا

فَأَقِمْ عَلَى ذَا ٱلْعِزِّ وَٱطَّرِحِ ٱلْوَغَىٰ ... طَعْنُ ٱلْقُلُوبِ أَشَدُّ مِنْ طَعْنِ ٱلطُّلا

أَوَما تُفارِقُ ذِي ٱلْجِيادُ سُرُوجَها ... حَتّٰى تُثِيرَ وَرَاءَ غَزْنَةَ (١) قَسْطَلا

لَا فَلَّ رَيْبُ ٱلدَّهْرِ غَرْبَ عَزَائِمٍ ... مَدَّتْ عَلَى ٱلْإِسْلَامِ سِتْراً مُسْبَلا

مَوْتُورُهـا لَا يَشْتَفِي وَطَرِيدُها ... لَا يَنْـكَفِي وَقَتِيلُها لَنْ يُعْقَلا

وَمُحَاوِلٍ هٰذِي ٱلْعُلٰى قُلْتُ ٱسْلُها ... فَلَقَدْ أَرَاحَ ٱلْفِـكْرَ مَمْنُوعٌ سَلا

وَٱسْأَلْهُ ما تَحْوِي يَدَاهُ يُنِلْـكَهُ ... كَرَماً وَأَمّا مَجْدُهُ ٱلزَّاكِي فَلا

فَٱلْمَـجْدُ ما لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِغَيْرِهِ ... إِلَّا كَما يَسَعُ ٱلْإِنَاءُ إِذَا ٱمْتَلا

أَوْلَى ٱلْمُلُوكِ إِذَا ٱلْفَضائِلُ مُيِّزَتْ ... بِٱلْحَظِّ (٢) فِيها أَنْ يُعَدَّ ٱلْأَفْضَلا

مَنْ كانَ فِي ٱللَّأْوَاءِ أَنْدٰى مِنْهُمُ ... كَفًّا وَفِي ٱلْهَـيْجاءِ أَمْضٰى مُنْصُلا

فَإِذَا هُمُ حَـكَمُوا بِمَـا يَهْوَوْنَهُ ... أَمَّتْ قَضَايَاكَ ٱلْـكِتَابَ ٱلْمُنْزَلا

وَإِذَا هُمُ ٱفْتَـكَرُوا (٣) وَضَلَّ رَشادُهُمْ ... أَوْضَحْتَ غَيْرَ مُفَـكِّرٍ ما أَشْـكَلا

وَإِذَا تَنَازَعَتِ ٱلْخُصُومُ لَدَيْهِمُ ... كَانَتْ بِحَضْرَتِكَ ٱلْإِشارَةُ فَيْصَلا

---

(١) غَزْنَة : مدينة عظيمة في طرف خراسان وهي الحد بين خراسان والهند .
« معجم البلدان »

(٢) بالفضل فيها (ل)

(٣) اجتمعوا (هامش ع و م)

لَوْ كانَ حُكْمُكَ ضِدَّ حُكْمِ ٱللّٰهِ ما أَضْحٰى بَنُو ٱلدُّنْيا عَلَيْهِ نُزَّلا
وَلَكَ ٱلنَّدىٰ لَمْ تَجْرِ [١] فيهِ إِلى مَدىً يَنْحُوهُ [١] مَنْ في وَصْفِ جُودِكَ أَوْغَلا
حَتّٰى لَعاتَبَكَ ٱلْعُفاةُ فَهَلْ رَأىٰ أَحَدٌ عُفاةَ نَدىً عَلَيْهِ عُذَّلا
لَمَّا أَبَيْتَ لِمَنْ يُنِيخُ بِكَ ٱلْمُنٰى ذُلَّ ٱلسُّؤَالِ كَفَيْتَهُ أَنْ يَسْأَلا
فَٱلْعِيسُ فِي تَعَبٍ وَجُودُكَ مُقْسِمٌ أَلاَّ يُرِيحَ [٢] ظُهُورَها وَٱلْأَرْجُلا
أَنْهَجْتَنِي [٣] مِنْ قُرْبِكَ ٱللَّقَمَ [٤] ٱلَّذي ما زِلْتُ فيهِ إِلى ٱلسَّعادَةِ مُرْقِلا
وَأَبَحْتَنِي [٥] مِنَناً تَتابَعَ سَيْبُها حَتّٰى لَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَتَمَهَّلا [٦]
لَوْ أَنَّها مَطَرٌ لَكانَتْ وابِلاً وَلَوَ [٧] أَنَّها رِيحٌ لَكانَتْ شَمْأَلا
لاَ تُلْزِمَنِّي أَنْ أُفَصِّلَ شُكْرَها مِنْ بَعْدِ ما أَعْيا ٱلْقَوافِي مُجْمَلا [٨]
وَمَتٰى تَخِفُّ إِلى سِواكَ مَطامِعِي أَنّٰى وَقَدْ حَمَّلْتَنِي ما أَثْقَلا
مِنْ أَنْعُمٍ قَدْ غارَ عِدُّ مَحامِدِي فِي ضِمْنِهِنَّ [٩] وَصارَ بَحْرِي جَدْوَلا

---

(١) لعله : لم يجر . لعله : تنحوه . والبيت كله لم يرد في (ل)
(٢) ألاّ تريح (م)
(٣) أبهجتني (ع) و (م)
(٤) اللقب (ع) و (م)
(٥) وأنحتني (ل)
(٦) يتمهلا (ل)
(٧) أو أنها (ل)
(٨) لم يرد هذا البيت في (ع) و (م)
(٩) في مدحهن (ع) و (م)

وَالْفِقْهُ غَيْرُ مُبِيحَةٍ أَحْكَامُهُ مَنْ لاَ يُؤَدِّي الْفَرْضَ أَنْ يَتَنَفَّلا
وَمَتَى أَثَبْتَ عَلَى الثَّنَاءِ فَلَمْ أَقُلْ كُنْ لِي مِنَ الْفَضْلِ الْمُبِينِ مُحَلِّلا(١)
لَوْ غَيْرُ نائِلِكَ الْمَرَامِي لَمْ تَخَفْ مَعَ ذِي الْإِصابَةِ أَسْهُمِي أَنْ تَنْصُلا

٧٦

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر ويصف القَوْد (٢) المنفذ الى الحضرة سنة ثلاثين وأربعمائة

هَلْ غَيْرُ ظِلِّكَ لِلْعُفَاةِ مَقِيلُ أَمْ غَيْرُ عَفْوِكَ لِلْجُنَاةِ مُقِيلُ
شَرَفَ الْمَعَالِي ظَلْتَ (٣) مَفْتُوناً بِها فَوُعُورُها أَبَداً عَلَيْكَ سُهُولُ
وَخُلِقْتَ مُعْتَلِياً عَلَى الرُّتَبِ الْعُلَى فَعَظِيمُ ما فِي ناظِرَيْكَ ضَئِيلُ
ما كانَ مِثْلُكَ قَطُّ فِي جِيلٍ مَضَى فَلْيَفْخَرَنْ (٤) ما شاءَ هٰذَا الْجِيلُ
كَمْ فِي سُيُوفِكَ آيَةٌ قَدْ غادَرَتْ مُتَأَلِّهاً مَنْ رَأْيُهُ التَّعْطِيلُ
بِيضٌ حَقَنَّ مِنَ الدِّماءِ حَرَامَها وَحَلالُها بِشِفَارِها مَطْلُولُ
خافَتْ عَوَادِيَكَ الْمُلُوكُ فَرُسْلُها عَنْ رَهْبَةٍ أَبَداً إِلَيْكَ مُثُولُ

(١) فيحللا (ل)
(٢) القَوْد : الخيل وقيل التي تقاد بمقاودها ولا تركب .
(٣) طلت : (ع) و (م)
(٤) فليفتخر (ل)

وَلَطالَمَـــا زادَ ٱلتَّخَوُّفُ فَٱتَّقى ... بِجَنابِ مُلْكِكَ مُرْسِلٌ وَرَسُولُ
تَأْتِيكَ طائِعَةً إِذَا ٱسْتَدْعَيْتَهـــا ... وَلَها إِذَا لَمْ تَدْعُهـــا تَطْفِيلُ
أَلْهٰى عَدُوَّكَ عَنْكَ لَحْظَةُ ناظِرٍ ... وَشُهُودُ بِشْرِكَ بِٱلنَّوالِ عُدُولُ
بِشْرٌ تَكَفَّلَ بِٱلْغِنٰى إِيمــاضُهُ ... ما كُلُّ بَرْقٍ بِٱلذِّهابِ (١) كَفِيلُ
وَيَدٌ تَرٰى أَمْوالَها بِنَوالِهـــا ... جُمَلاً تَوَلّٰى هَدْمَهـــا ٱلتَّفْصِيلُ
فَٱلنُّجْحُ يا سَيْفَ ٱلْخِلافَةِ مُعْوِزٌ ... حَتّٰى يُناخَ بِبابِكَ (٢) ٱلتَّأْمِيلُ
حَرَمٌ لِإِكْرامِ ٱلْوُفُودِ مُؤَهَّلٌ ... فَفِنـــاؤُهُ أَبَداً بِهِمْ مَأْهُولُ
وَٱلظّاعِنُونَ مُواصِلُوكَ (٣) يَدَ ٱلنَّدٰى ... حَتّٰى كَأَنَّهُمُ لَدَيْكَ نُزُولُ
مَجْدٌ بِحَيْثُ تَحُلُّ (٤) لَيْسَ بِنازِحٍ ... وَحَدِيثُهُ فِي ٱلْخافِقَيْنِ يَجُولُ (٥)
فَهَلِ ٱلرِّياحُ حَمَلْنَ ذِكْرَكَ فَٱسْتَوٰى ... عَرْضُ ٱلْبَسِيطَةِ عِنْدَهُ وَٱلطُّولُ
أَخْجَلْتَ مُنْهَمِرَ ٱلْحَيا بِمَكارِمٍ ... يُخْبِرْنَ أَنَّكَ لِلْكِرامِ سَلِيلُ
ثَمَرُ ٱلْغُصُونِ تُبِينُ عَنْ أَعْراقِها ... أَيَكُونُ مِنْ غَيْرِ ٱلْغُيُوثِ سُيُولُ
ما مَجْدُ قَوْمِكَ غامِضاً وَجَمِيعُ ما ... تَأْتِيهِ مِنْ حَسَنٍ لَهُ تَأْوِيلُ

(١) الذِّهاب : الأمطار الغزيرة .
(٢) يباح (ع) و (م)
(٣) مواصلون يد الندى (ع) و (م)
(٤) يحل (ع) و (م)
(٥) يحول (ل)

لا كالَّذي إنْ عَدَّ يوماً فَخْرَهُ فَعلى مَـآثِرِ أَوَّلِيهِ يُحِيلُ
بَلَغَتْ بِكَ الأَمَدَ(١) البعيدَ فَضائلٌ لِأَقَلِّها يُسْتَوْجَبُ التَّفْضِيلُ
مِنْها لَدى سُوقِ الثَّناءِ بضائعٌ حَلَّتْ وَفي سُوقِ العُفاةِ كُبُولُ
وَأَرى الَّذي أَدْرَكْتَ وَهْوَ المُنْتَهى مُسْتَصْغَراً(٢) فِيما إِلَيْهِ تَؤُولُ
كَمْ قَدْ فَصَلْتَ بِلَحْظَةٍ وَبِلَفْظَةٍ ما الخَطْبُ يَقْصُرُ عَنْهُ وَهْوَ طَوِيلُ(٣)
سَعْيٌ تَبَتَّلَ لِلسُّمُوِّ وَهَيْبَةٌ سَلِمَتْ مِنَ الأَكْفاءِ فَهْيَ بَتُولُ
ضَمِنَتْها أَنْ لا تَخافَ وَإِنْ نَأى عَنْكَ الصَّرِيخُ(٤) فَلا يُخافُ سَبِيلُ
شَرُفَتْ بِوَطْئِكَ أَرْضُنا فَبِواجِبٍ أَنْ يُسْتَقَلَّ لِتُرْبِها التَّقْبِيلُ
فَدِمَشْقُ لَيْسَ لها نَظِيرٌ في الدُّنا وَكَذاكَ مالَكَ في المُلوكِ عَدِيلُ
ظَلَّتْ تُرَجِّي أَنْ تَعِنَّ إقامَةٌ حِيناً وَتَخْشى أَنْ يَعِنَّ رَحِيلُ
وَجَمِيعُ ما تَحْوِي تَباعَدَ أَوْ دَنا ما لِلْخُطُوبِ يَدٌ إِلَيْهِ تَطُولُ
نَكَلَتْ بِالأَحْداثِ لَمَّا أَنْ عَدَتْ(٥) فَلِصَرْفِها عَمّا حَمَيْتَ نُكُولُ

(١) الأمل (هامش ع)
(٢) مستصغر (ل)
(٣) وهو يطول (ل)
(٤) الصريح (ع) و (م)
(٥) غدت (ل)

فَأَقِمْ فَذِكْرُكَ لِلْعَوَاصِمِ عِصْمَةٌ يُخْشَى[١] وَإِنْ بَعُدَ ٱلْهِزَبْرُ ٱلْغِيلُ
رُعْتَ ٱلْقُلُوبَ وَظَلَّ[٢] ماقَلَّدْتَهُ فِي جَفْنِهِ وَكَأَنَّهُ مَسْلُولُ
سَيْفٌ يُمِيتُ وَلاَ يُعَاوِدُ غِمْدَهُ حَتَّى تَمُوتَ ضَغَائِنٌ وَذُحُولُ
إِنْ غَيْرُكَ ٱتَّخَذَ ٱلدِّلاَصَ مُذَيَّلاً فَرَقاً فَإِنَّكَ لِلدِّلاَصِ مُذِيلُ[٣]
يامَنْ قَوَاضِبُهُ تُشَايِعُ عَزْمَهُ وَلِأَجْلِ ذَاكَ تَصِلُّ[٤] حِينَ يَصُولُ
مَا دُونَ أَمْرِكَ فِي ٱلْمَمَالِكِ حَاجِزٌ قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنَّهُ مَفْعُولُ
وَٱنْشُرْ عَلَى أَرْضِ ٱلْعِرَاقِ سَحَائِباً غَيْثُ[٥] ٱلْحِمَامِ مَتَى طَلَعْنَ[٦] هَطُولُ
أَمْطَارُهُنَّ[٧] دَمُ ٱلْعِدَى وَبُرُوقُها لَمْعُ ٱلصَّوَارِمِ[٨] وَٱلرُّعُودُ صَلِيلُ
فَلَعَلَّ[٩] دِجْلَةَ أَنْ تَوَسَّطَ مُلْكَمَنْ حَفَّ ٱلْفُرَاتُ بِمُلْكِهِ وَٱلنِّيلُ
أَبَنِي نُمَيْرٍ[١٠] مَا ٱلْجَزِيرَةُ مَعْقِلاً إِنْ زَارَهَا مِنْ ذِي ٱلْجُيُوشِ رَعِيلُ

---

(١) في جميع النسخ (تُخْشَى) والأصح ما اخترناه .
(٢) فظل (ل)
(٣) مديل (ل)
(٤) يصل (ع) و (م)
(٥) عيث (م)
(٦) طلعتَ (ع) و (م)
(٧) أمطارها دم من أبى وبروقها ... (ل)
(٨) لمع الأسنة ... (هامش ع)
(٩) فلكل (ل)
(١٠) انظر الحاشية رقم (٦) ص (٧٤)

لَا يُضْمِرَنَّ سَفِيهُكُمْ بِرِضَاكُمُ ... غَدْراً فَأُمُّ ٱلْغَادِرِينَ ثَكُولُ

فَلَقَدْ أَرَدْتُمْ نَصْرَ نَصْرٍ[1] ضَلَّةً ... وَٱلْحَقُّ يُقْسِمُ أَنَّهُ مَخْذُولُ

كَانَتْ سُيُوفُكُمُ بَوَارِقَ زِبْرِجٍ ... أَجْلَى عَنِ[2] ٱلْكَعْبِيِّ وَهْوَ قَتِيلُ

أَتَخُونُكُمْ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ صَوَارِمٌ ... وَتَخُونُكُمْ بَعْدَ[3] ٱلْفِرَارِ عُقُولُ

مَنْ لَمْ يَرُعْهُ ٱلْهَوْلُ وَهْوَ بِعَيْنِهِ ... لَمْ يَثْنِهِ عَنْ عَزْمِهِ ٱلتَّهْوِيلُ

هَلْ يَسْتَعِدُّ ٱلْخِفَّ عِبْئاً مُثْقِلاً ... مَنْ يَسْتَخِفُّ ٱلْعِبْءَ وَهْوَ ثَقِيلُ

فَتَجَنَّبُوا سَرْحَ ٱلْمُظَفَّرِ إِنَّهُ ... نَعَمٌ بِأَشْطَانِ ٱلْقَنَا مَعْقُولُ

أَوْفَارْقُبُوا[4] وَشْكَ ٱلرَّدَى فِي عَزْمَةٍ ... بَيْنَ ٱلْعَزَائِمِ وَٱلْقُلُوبِ تَحُولُ[5]

سَيْفِيَّةٍ عَضُدِيَّةٍ شَرَفِيَّةٍ ... حَدُّ ٱلزَّمَانِ بِحَدِّهَا مَفْلُولُ

تُجْلَى بِهَا ٱلْأَزْمَانُ[6] وَهْيَ حَنَادِسٌ ... وَيَدِقُّ فِيهَا ٱلْخَطْبُ وَهْوَ جَلِيلُ

لَا تَأْمَنُوا رَبَّ ٱلْجُيُوشِ إِذَا غَزَتْ ... فَلَهَا بِهَامَاتِ ٱلرِّجَالِ قُفُولُ

مَنْ يَطَّبِيهِ ٱلطِّرْفُ[7] يَحْمِلُ فَارِساً ... مُتَلَبِّباً لَا ٱلطَّرْفُ وَهْوَ كَحِيلُ

(١) هو نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)

(٢) على الكعبي (ع) و (م) والكعبي هو نصر بن صالح .

(٣) عند الفرار (ل)

(٤) أو قاربوا (ع) و (م)

(٥) تجول (ع) و (م)

(٦) الأزمات (ع)

(٧) الطفل ؟ (م)

وَيَرُوقُهُ ٱلْأَسَلُ ٱلْمُحَطَّمُ في ٱلْعِدٰى يَوْمَ ٱلْوَغٰى لَا ٱلْخَدُّ وَهْوَ أَسِيلُ

مَلِكٌ تَرَدَّى بِٱلْمَهَابَةِ وَٱلنُّهٰى هٰذي ٱلْعُلٰى لَا ٱلتَّاجُ وَٱلْإِكْلِيلُ

ذُو ٱلْبَأْسِ لَوْ فِي ٱلنَّاسِ فُضَّ يَسِيرُهُ لَأنصانَ مُبْتَذَلٌ وَعَزَّ ذَلِيلُ

وَٱلْجُودِ لَوْ بَلَغُوا مَدٰى مِعْشَارِهِ لَمْ يَبْقَ بَيْنَ ٱلْخَافِقَيْنِ بَخِيلُ

يَخْتَصُّ بِٱلْعَلْيَاءِ حِينَ يَنَالُهَا ضَنًّا بِهَا وَيَعُمُّ حِينَ يُنِيلُ

لِلّٰهِ ما تَأْتِي (١) فَكُلُّ نَبَاهَةٍ تَعْدُوكَ فِي ذَا ٱلْخَلْقِ فَهْيَ خُمُولُ

لَمَّا ٱشْتَكَتْ خَيْلُ ٱلْوَغٰى مِنْ بَعْدِهَا إِدْمَانَ رَكْضِكَ وَٱلْكَلَامُ صَهِيلُ

أَسْكَنْتَهَا ظِلَّ ٱلْقُصُورِ وَلَمْ تَزَلْ مِنْ قَبْلُ فِي ظِلِّ ٱلْوَشِيجِ تَقِيلُ

وَمَنَحْتَهَا خَيْرَ ٱلْأَنَامِ مَقُودَةً وَلَهَا مِنَ ٱلنُّصْحِ ٱلصَّرِيحِ دَلِيلُ

شُقْرٌ لَوَ ٱنَّ ٱللَّيْلَ أُلْبِسَ قُمْصَهَا أَوْ خَالَطَتْهُ لَعَادَ وَهْوَ أَصِيلُ

قُرِنَتْ بِدُهْمٍ لَوْنُهَا مِنْ لَوْنِهِ وَنُجُومُهُ غُرَرٌ لَهَا وَحُجُولُ

وَغَرَائِبُ ٱلْأَلْوَانِ ظَلَّ مُقَصِّراً عَنْ وَصْفِهَا ٱلتَّشْبِيهُ وَٱلتَّمْثِيلُ

كَفَلَتْ لَهَا أَعْنَاقُهَا (٢) وَعُرُوقُهَا بِٱلسَّبْقِ وَٱلطِّرْفُ ٱلطَّمُوحُ رَسِيلُ

مَعْنُونَةٌ (٣) سِرْبٌ بِهَا مَطْرُودَةٌ مُتَقَنَّصٌ سِرْبٌ بِهَا مَشْلُولُ (٤)

---

(١) ما يأتي (ع) و (م)

(٢) أعراقها (ع) و (م)

(٣) مغنومةٌ (هامش ع و م)

(٤) مسلول ؟ (ع) و (م)

طالَتْ عَلَى ٱلْجُرْدِ ٱلسَّلاَهِبِ بَسْطَةً حَتّى أُدَّعاها شَدْقَمٌ وَجَدِيلُ [١]

لَمْ يَكْفِها ٱلْإِسْرَاجُ يَوْمَ بَعَثْتَهَا شَرَّ [٢] ٱلْعُيُونِ فَعَمَّها ٱلتَّجْلِيلُ [٣]

وَتَجَفَّلَتْ [٤] مَرَحًا فَكَمْ مِنْ قائِلٍ أَيُقادُ وَحْشٌ أَمْ تُقادُ خُيُولُ

أَسْلاَبُ مَنْ أَرْدَيْتَ مِنْ شُوسِ ٱلْعِدٰى ما عِنْدَ مَنْ يَسْخُو بِتِلْكَ غُلُولُ

يا مَنْ يَذِلُّ ٱلْمالُ عِنْدَ سُؤَالِهِ ذُلَّ ٱلسُّؤَالِ وَغَيْرُهُ ٱلْمَسْؤُولُ

إِنْ كانَ هٰذَا ٱلْفَضْلُ تاجًا لِلْعُلٰى فَمَدَائِحِي ٱلتَّرْصِيعُ وَٱلتَّكْلِيلُ

إِنِّي بِرَغْمِ عِدَايَ مَمْنُوعُ ٱلْحِمٰى ما هَزَّ [٥] هٰذَا ٱلْقِيلَ هٰذَا ٱلْقِيلُ

وَلِيَ ٱلْمَحامِدُ لَنْ يُطاوَلَ رَبُّها حَتّى يَطُولَ ٱلْفاضِلَ ٱلْمَفْضُولُ

مَا كُنْتُ أُحْسِنُ ذَا ٱلْمَقالَ وَإِنَّما عَلَّمْتَنِي بِنَداكَ كَيْفَ أَقُولُ

ذَلَّلْتَ لِي صَعْبَ ٱلْقَوَافِي مُنْعِمًا فَٱلْقَوْلُ جَزْلٌ وَٱلْعَطَاءُ [٦] جَزِيلُ

مَا عِشْتَ فَٱلْأَيَّامُ أَعْيادٌ لَنَا فَرْضٌ لَها ٱلتَّعْظِيمُ وَٱلتَّبْجِيلُ

---

(١) شَدْقَم وجَدِيل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

(٢) شرر العيون (ل)

(٣) فغمها التحليل ؟ (ع) و (م)

(٤) وتحفلت ؟ (ع) و (م)

(٥) مَا رَدَّ (ل)

(٦) والنوال (ل)

فَاَسْلَمْ لِدِينٍ قَدْ[1] غَدَوْتَ تَحُوطُهُ ... فَعَلَيْهِ ظِلٌّ مِنْ سُطَاكَ ظَلِيلُ

وَرَعِيَّةٍ أَغْنَيْتَهَا وَحَمَيْتَهَا ... فَدُعَاؤُهَا بِثَنَائِهَا مَوْصُولُ

إِنَّا نَصُولُ عَلَى ٱلْخُطُوبِ بِأَنْعُمٍ[2] ... مِنْهَا بِأَيْدِينَا قَنًى وَنُصُولُ

لَا زِلْتَ تَحْكُمُ فِي ٱلْأَنَامِ مُخَوَّلاً ... مُلْكاً يَزُولُ ٱلدَّهْرُ قَبْلَ يَزُولُ

٧٧

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر وأنشده إياها بحلب سنة تسع وعشرين وأربعمائة

اَلنَّجْمُ أَقْرَبُ مِنْ مَدَاكَ مَنَالا ... فَعَلَامَ يَسْعَى طَالِبُوهُ ضَلَالا

مَا فِي ٱلْبَرِيَّةِ مَنْ يُسَاجِلُكَ ٱلْعُلَى ... فَتَبَارَكَ ٱلْمُعْطِيكَهَا وَتَعَالَى

أَيْنَ ٱلْأُلَى قَصَرُوا خُطًى فِي طُرْقِهَا[3] ... مِمَّنْ غَدَتْ خُطُوَاتُهُ أَمْيَالا

يَا مَانِعَ ٱلْمُلْكِ ٱلْعَقِيمِ وَحَاسِمَ ٱلْـ ... ـدَّاءِ ٱلْعُقَامِ سِيَاسَةً وَنِصَالا

مَا يَمْتَطِي ٱلْعِزَّ ٱلَّذِي أَمْطَتْكَهُ ٱلْـ ... ـعَزَمَاتُ مَنْ لَا يَرْكَبُ ٱلْأَهْوَالا

مَنْ عَافَ مَاءَ ٱلْعَيْشِ وَهْوَ مُكَدَّرٌ ... عِنْدَ ٱلْكَرَائِهِ لَمْ يَرِدْهُ زُلَالا

تُضْحِي سُيُوفُكَ لِلْبِلَادِ مَفَاتِحاً ... فَإِذَا فَتَحْتَ[4] جَعَلْتَهَا أَقْفَالا

---

(١) مذ غدوت (ل)
(٢) بأسهمٍ (ل)
(٣) طرفها (ل)
(٤) فتحن (مختارات البارودي)

وَقدِاً كْتَستَحلَبُ بِكَالْعِزَّ الَّذي ... مَا ذَلَّ مَنْ يُضْحِي لَهُ سِرْبالا
كانَتْ لِأَرْمَاحِ الْخُطُوبِ دَرِيئَةً ... فَجَعَلْتَ جُنَّتَهَا[1] ظُبيً وَإلالا[2]
وَأَبَيْتَ أَنْ تَبْقَى الْعُيُونُ سَوَاهِراً ... حَذَرَ النَّوَائِبِ وَالْقُلُوبُ وِجَالا
فَانْتَابَهَا أَهْلُ الْبِلادِ[3] وَطَالَمَا ... قَدْ رَامَ عَنْهَا أَهْلُهَا التَّرْحَالا
أَعْطَى الرَّعِيَّةَ مِنْ رِعَايَتِهِ الْمُنَى ... مَنْ مُذْ حَمَى لَمْ يَعْرِفِ الْإِهْمَالا
أَجْرَى الْوَرَى إِنْ صالَ بَلْ أَعْلاهُمُ ... إِنْ طالَ بَلْ أَوْفاهُمُ إِنْ قالا
بِعَضائِهِ وَقَضائِهِ وَعَطائِهِ ... أَمِنُوا الرَّدَى وَالْجَوْرَ وَالْإِمْحالا
كَمْ رُمْتَ فِي الْغُدُوَاتِ[4] أَبْعَدَ غايَةٍ ... فَوَصَلْتَ قَبْلَ وُصُولِكَ الْآصالا
وَمِنَ الْعَجائِبِ أَنْ يَخِفَّ مُصَمِّماً ... مَنْ كانَ مِثْلَكَ يَحْمِلُ الْأَثْقالا
ضاقَتْ مَسالِكُ ما أَتَيْتَ[5] فَلَمْ يَجِدْ ... فِي ضَنْكِها أَحَدٌ سِواكَ مَجالا
وَأَهَنْتَ مالَكَ غَيْرَ ما مُتَكَلِّفٍ ... ما عَزَّ إِلَّا مَنْ أَهانَ الْمالا
وَنَبَذْتَ آراءَ الْأَنامِ وَطالَما ... عاصَيْتَ فِي طَلَبِ الْعُلَى الْعُذَّالا

---

(١) خطبتها (ل)
(٢) الإلال : جمع أَلَّة وهي الحربة .
(٣) أهل الوداد (ل)
(٤) العدوات (ع) و (م)
(٥) ما أثبتَ (ل)

إنْ شِئْتَ تعْرِفُ أَنَّ رأْيكَ ثاقِبٌ لاَ ما رَأَوْا فَانْظُرْ إلى ما [١] آلا
وَإذا هَمَمْتَ فَخُذْ بعَزْمِكَ إنَّهُ قَمِنٌ بما تَهْوى وَخلِّ الفالا [٢]
وَاسْتَخْدِمِ السَّيْفَ الَّذي ما فُلَّ في الْهَيْجاءِ وَالرَّأْيَ الَّذي ما فالا
لَنْ يَتْرُكَ الْخَصْمَ الأَلَدَّ مُجَدَّلاً إلاَّ امْرُؤٌ جَعَلَ الضِّرابَ جِدالا
وَالْحَرْبُ ما بَرِحَتْ سِجالاً في الْوَغى مَدداً فَغُودِرَتِ الْحُقُوقُ قِتالا [٣]
فَكَتَبْتَ إسْجالاً عَلَى قِمَمِ الْعِدى بِشَبا الظُّبى أَلاَّ تَكُونَ سِجالا
فَلِذاكَ ما يَنْفَكُّ مُلْكُكَ ظافِراً يَحْمِي حِماهُ وَيَقْتُلُ الأَقْيالا
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ قِدْحَكَ فائِزٌ لاَ شَكَّ مُذْ أَرْسَلْتَها إرْسالا
مَوْسُومَةً بِالنَّصْرِ لَمْ تَرَ قَبْلَها عَيْنٌ رِئالاً يَحْتَمِلْنَ رِجالا
نَضَتِ الأَجِلَّةَ [٤] وَالْبَراقِعَ وَاكْتَسَتْ مِمَّا تُثِيرُ بَراقِعاً وَجِلاَلا
خَلَقَتْ جِبالاً في الْهَواءِ شَوارِعاً ظَلَّتْ تُظِلُّ مِنَ الْجُيُوشِ جِبالا
يَقْتادُها مُرْضِيكَ عِنْدَ السِّلْمِ قَوْ الاً وَفي يَوْمِ الْوَغى فَعّالا
وَمُعَظَّمٌ مُذْ [٥] حَلَّ مِنْكَ مَحَلَّةً ما طاوَلَ الأَمْجادَ إلاَّ طالا

---

(١) من آلا (م)
(٢) القالا (ع) و (م)
(٣) فيالا (ل)
(٤) نضت البراقع والأجلة ... (ل)
(٥) مما حلّ (ع) و (م)

وَمَتَى يُجَارِي رَافِعٌ[1] مِنْ بَعْدِمَا سَرْبَلْتَهُ ٱلْإِعْظَامَ وَٱلْإِجْلَالَا

أَجْنَيْتَهُ ثَمَرَ ٱلنَّصِيحَةِ أَنْعُماً قَدْ فَاقَتِ ٱلْإِحْسَانَ وَٱلْإِجْمَالَا[2]

فَوَجَدْتَ عَيْنَ[3] ٱلدَّوْلَةِ ٱلْعَضْبَ ٱلَّذِي ضَرَبَ ٱلْأَنَامُ بِجَدِّهِ ٱلْأَمْثَالَا

سَيْفٌ عَدِيٌّ أَصْلُهُ لَا يُنْتَضَى لِلدَّاءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عُضَالَا

وَٱلْفَخْرُ فِيمَنْ عَدَّدَ ٱلْحَسَنَاتِ لَا مَنْ عَدَّدَ ٱلْأَعْمَامَ وَٱلْأَخْوَالَا

فَلْتَعْلُ مَا شَاءَتْ جَنَابٌ[4] بَعْدَمَا وَجَدُوا جَنَابَكَ مَوْئِلاً وَمَآلَا

سَحَبُوا ذُيُولَ ٱلْعِزِّ مُذْ سَحَبُوا إِلَى أَعْدَاءِ دَوْلَتِكَ ٱلْقَنَا ٱلْعَسَّالَا

وَلَقَدْ أَبَحْتَ بَنِي كِلَابٍ[5] مَوْرِداً رَأَتِ ٱلْمَوَارِدَ عِنْدَهُ أَوْشَالَا

حَسُنَتْ إِنَابَتُهُمْ[6] فَشَامُوا وَابِلاً مِنْ جُودِ مَنْ بِٱلْأَمْسِ كَانَ وَبَالَا

إِنْ كَذَّبَ ٱلْأَطْمَاعَ بَأْسُكَ فِي ٱلْوَغَى فَنَدَى يَدَيْكَ يُصَدِّقُ ٱلْآمَالَا

مَا زَالَ يَرْجِعُ مَنْ تَرَحَّلَ غَانِماً حَتَّى تَوَهَّمْتُ ٱلنُّزُولَ نِزَالَا

---

(١) هو الأمير عز الدولة رافع بن أبي الليل أمير الكلابيين . (انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٣ و ٧٥ و ٧٩) والحاشية رقم (٧) ص (٢١٥)

(٢) هذا البيت وثلاثة أبيات بعده لم ترد في (ل)

(٣) الصواب عز الدولة وهو رافع بن أبي الليل .

(٤) بنو جناب : انظر الحاشية رقم (١) ص (١٦٩)

(٥) بنو كلاب : انظر الحاشية رقم (٦) ص (٥)

(٦) إبانتهم (ع) و (م)

وَالْيَوْمَ قَدْ أَلْقَوْا إِلَيْكَ عِصِيَّهُمْ لاَ زَالَ رَبْعُكَ لِلرَّجاءِ [١] عِقالا

خابَ الَّذِي يبْغِي بِساحَتِكَ الْغِنٰى قَسْراً وَفازَ الْمُبْتَغِيهِ سُؤَالا

وَرَأَتْ نُمَيْرُ [٢] أَنَّ سُخْطَكَ عارِضٌ إِنْ لَمْ يُداوُوهُ بِعَفْوِكَ غالا [٣]

فَأَتَوْا لِحَسْمِ الْعارِضِ الْقَتَّالِ مَنْ يعْرُو فَكُنْتَ الْعارِضَ الْهَطَّالا

أَرْدَتْ صَوَاعِقُهُ فَلَمَّا أَذْعَنُوا وَالٰى مَوَاطِرَهُ عَلَى مَنْ وَالا

ما قَدْ أَنَلْتَ مُطاعِناً وَعَطِيَّةً يُدْنِي [٤] شَبِيباً رَغْبَةً وَثِمالا

فَلْيَدْنُوَا بِجَدا الْمَقِيلَ مُوَسَّماً بِجَمِيلِ رَأْيِكَ وَالْعِثارَ مُقالا

رَاجٍ أَحالَتْهُ الظُّنُونُ عَلَى سِوٰى نُعْماكَ ظَلَّ عَلَى الْمُحالِ مُحالا

بِذَرَاكَ أُمَّاتُ الرَّجاءِ [٥] مَطافِلٌ وَحِيالَ غَيْرِكَ ما تَزَالُ حِيالا

كَمْ قُدْتَ [٦] مِنْ شَطَنِ الْجَمِيلِ مَصاعِباً أَعْيَتْ عَلَى كُلِّ الْمُلُوكِ إِفالا

---

(١) للرحال (ع) و (م)

(٢) بنو نُمَير : انظر الحاشية رقم (٦) ص (٧٤)

(٣) عالا (ع) و (م)

(٤) تدني (ع) و (م). ومطاعن : هو ابن وثّاب النميري صاحب الجزيرة. وعطية بن صالح صاحب بالس . وشبيب بن وثّاب أخو مطاعن . وثمال أخو عطية .

« زبدة الحلب لابن العديم »

(٥) الرجال (ع) و (م)

(٦) كم رزت في ... (ل)

أَنْسَتْ مَكَارِمُكَ الْكِرَامَ وَمُلْكُكَ الْـ[(١)] مُتَمَلِّكِينَ وَبَأْسُكَ الْأَبْطَالا

وَعَلَوْتَ قَدْراً فِي الْوَرَى فَلْيَعْتَمِدْ صِدْقَ الْأَلِيَّةِ مَنْ بِقَدْرِكَ آلا

شَرَفَ الْمَعَالِي قَدْ عَمَمْتَ صَنَائِعاً ظَلَّتْ عَلَى ظَهْرِ الثَّنَاءِ ثِقَالا[(٢)]

هِيَ كَالْقَلَائِدِ فِي النُّحُورِ فَإِنْ صَغَتْ تِلْكَ النُّحُورُ أَحَلْتَهَا أَغْلالا

مَا أَشْرَفَ الْأَقْوَامُ إِذْلالاً[(٣)] عَلَى ذِي قُدْرَةٍ إِلَّا جَنَوْا إِذْلالا[(٤)]

وَلَكَ الْعَزَائِمُ لَمْ تَزَلْ تُرْدِي بِهَا الْـ ـفُجَّارَ أَوْ تَهْدِي بِهَا الضُّلَّالا

إِنْ شِئْتَ كُنَّ كَوَاكِباً تَجْلُو الدُّجَى أَوْ شِئْتَ كُنَّ مَنَاصِلاً وَنِصَالا

ذَلَّتْ لِهَيْبَتِكَ الْمُلُوكُ وَلَمْ تَزَلْ كُلُّ الْوُحُوشِ تَخَوَّفُ الرِّئْبَالا

مَا زِلْتَ فِي الْإِمْحَالِ أَخْصَبَ مِنْهُمُ رَبْعاً وَأَنْكَى فِي الْعَدُوِّ مِحَالا[(٥)]

وَإِذَا سَطَوْا خَتْلاً سَطَوْتَ مُصَرِّحاً وَإِذَا[(٦)] نَحَوْا قَوْلاً نَحَوْتَ فِعَالا

فَالشَّامُ ذَوْدٌ ذَادَ عَنْهُ مُصْعَبٌ قَطِمٌ تَصِلُّ الْبِيضُ إِنْ هُوَ صَالا

وَأَرَى مَمَالِكَ بِالْعِرَاقِ وَغَيْرِهِ تَشْكُو إِلَيْكَ الْجَدْبَ وَالْإِمْحَالا[(٧)]

(١) أسَّتْ ... (ل)
(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٣) كذا في جميع النسخ والأظهر ان تكون (إدلالاً)
(٤) إدلالا ؟ (م)
(٥) مكان هذا البيت في (م) بعد الذي يليه .
(٦) وإذا نحوا قولا نحوت فعالا (ع) و (م)
(٧) الحدث والأوجالا (ع) و (م)

أَغْنَتْ[١] يَدُ ٱلسُّلْطَانِ مِنْ أَمْلاكِهَا قَوْماً يُعَدُّ حُضُورُهُمْ إِخْلالا
رَضَعُوا بِهَا ٱلدَّرَّ ٱلَّذِي لَمْ يَدْرَؤُا عَنْهُ خُطُوباً مَا تَزَالُ تَوَالا
وَمَتَى فَصَلْتَ مِنَ ٱلْعَوَاصِمِ[٢] نَحْوَهُمْ لِتُبِيرَهُمْ[٣] كَانَ ٱلْفُصُولُ فِصَالا
خُذْهَا مِصَاعاً لَا ٱخْتِدَاعاً قَدْ كَفَى ذَا ٱلْمُلْكَ هٰذَا ٱلْفَتْكُ أَنْ يَغْتَالا
مِنْ كُلِّ ذِي سَيْفٍ يَقِلُّ نِجَادُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لِمَا ٱحْتَذَيْتَ[٤] قِبَالا
فَمَتَى تُدَافِعُكَ ٱلثَّعَالِبُ بَعْدَمَا رَأَتِ ٱلضَّرَاغِمَ تُسْلِمُ ٱلْأَغْيَالا
فَرَغُوا لِلَهْوِهِمُ بِشُغْلِكَ[٥] عَنْهُمُ فَٱجْعَلْ لَهُمْ بِنُفُوسِهِمْ أَشْغَالا
كَيْ يَسْمَعُوا مِنْ وَقْعِ مَا قُلِّدْتَ مَا يُنْسِيهِمُ ٱلْأَهْزَاجَ وَٱلْأَرْمَالا
وَلَدَارُ[٦] قُسْطَنْطِينَ أَكْشَفُ عَوْرَةً مِمَّنْ ذَكَرْتُ أَجَلْ[٧] وَأَكْسَفُ بَالا
لَوْ لَمْ يَذُدْ بِرِضَاكَ عَادِيَةَ ٱلرَّدَى عَنْ أَرْضِهِ لَمْ يَأْمَنِ ٱلزِّلْزَالا
وَأَظُنُّهَا مِنْ بَعْدِ سَبْعٍ نُهْزَةً مَا ٱغْتَرَّ مَنْ أَوْسَعْتَهُ إِمْهَالا
ظَلَّتْ قِصَاراً عِنْدَهُ مِنْ خَوْفِ مَا تَأْتِي وَعِنْدَ ٱلْمُسْلِمِينَ طِوَالا

(١) غيثٌ بذا السلطان ... (ل) عيت بذي السلطان ... (هامش ع و م)
(٢) العواصم : انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٢٩)
(٣) لتثيرهم (ع) و (م)
(٤) لما احتذاه (ل)
(٥) لشغلك (م)
(٦) وبدار ... (ع) و (م)
(٧) نعم (ل)

فَلْتَحْذَرِ الْهِمَمُ الْمُذَالَةُ (١) فِي الثَّرَى ... هِمَماً (٢) تَجُرُّ عَلَى السُّهَى أَذْيالا

خُلِقَ الْمُظَفَّرُ بِالثَّنَاءِ مُظَفَّراً ... وَصَلَ الْمُنَى أَوْ قَطَّعَ الْأَوْصالا

يُثْنِي (٣) بِبَأْسِكَ مَنْ أَبَحْتَ ذِمارَهُ ... وَبِفَيْضِ (٤) كَفِّكَ مَنْ مَنَحْتَ نَوَالا

لَيْسَتْ تَقَضَّى مِنْ زَمانِكَ لَحْظَةٌ ... حَتَّى تَزِيدَكَ رِفْعَةً وَجَلالا

بِكَ أَنْجَزَ الدَّهْرُ الْمَطُولُ عِداتِهِ ... مِنْ بَعْدِ ما كانَ الْمِطالُ مُطالا

ما زِلْتَ (٥) تُلْبِسُهُ مَحاسِنَ جَمَّةً ... حَتَّى مَشَى مِنْ تِيهِهِ مُخْتالا

فَأَسْعَدْ بِعِيدِكَ بَعْدَ سابِقِهِ وَلا ... نَظَرَتْ (٦) لِذَا الظِّلِّ الْعُيُونُ زَوالا

عِيدَيْنِ مِنْ عِيدٍ وَفَتْحٍ قَبْلَهُ ... زَادَا زَمانَكَ نَضْرَةً وَجَمالا

وَلِذَاكَ أَشْرَفُ فِي النُّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ ... رَمَضانُ يَفْضُلُ دائِماً شَوَّالا

لَوْلا ارْتِياحُكَ لِلثَّنَـــاءِ وَأَهْلِهِ ... لَمْ يُصْبِحِ الْأَدَبُ الْمُذَالُ (٧) مُذَالا (٨)

أَوْسَعْتَ قُوَّالَ الْقَرِيضِ فَضائِلاً ... فَلِذَاكَ مَنْ أَثْنَى عَلَيْكَ أَطالا

---

(١) المطلة (ل)

(٢) همم (م)

(٣) تثني (ع) و (م)

(٤) وتفيض (ع) و (م)

(٥) ما زال (م)

(٦) راءت (ل)

(٧) المدال (ل)

(٨) كذا ولعل الصواب (مُدالا)

لَمَّا رَأَيْتُ عُلاَكَ لاَ مِثْلٌ لَهَا [1] أَيْقَنْتُ أَنَّكَ ما اُقْتَفَيْتَ مِثالا
وَلَئِنْ عَلاَ اَلأَفعالَ فِعْلُكَ كُلُّهُ فَلَقَدْ عَلَوْتُ بِمَدْحِكَ اَلأَقْوَالا

٧٨

وقال يهنيه بمولوده الأمير أبي القاسم محمود وأنشدها في العشر الأول من شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

لِيَهْنِ اَلْعُلى فَرْعٌ غَدَوْتَ لَهُ أَصْلا وَغَرْسٌ نَمَتْهُ تُرْبَةٌ تُنْبِتُ اَلْفَضْلا
وَنُعْمى لِشَهْرِ اَلصَّوْمِ مُدَّ ظِلاَلُهَا سَيَشْكُرُها مَنْ صامَ فِيهِ وَمَنْ صَلاَّ
وَيَوْمٌ بِهِ أَضْحى اَلْمُهَيْمِنُ شائِداً لِدِينِ اَلْهُدى عِزّاً يَزِيدُ اَلْعِدى ذُلاّ
لَقَدْ رَاعَهُمْ لَيْثُ اَلشَّرى وَهُوَ وَحْدَهُ فَكَيْفَ إِذَا لاَقَوْهُ مُسْتَصْحِباً شِبْلا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَهْدى اَلْبَشِيرُ بِشارَةً تَرُدُّ[2] عَلَى اَلشَّيْبِ اَلشَّبابَ اَلَّذِي وَلاّ
بِأَسْعَدِ مَوْلُودٍ أَتى فَتَضَمَّنَتْ سَعادَتُهُ أَنْ تَطْرُدَ اَلْخَوْفَ وَاَلْمَحْلا
سَيَفْرَعُ مِنْ قَبْلِ اَلْفِطامِ مَحَلَّةً يَرى [3] زُحَلاً مِنْها لِأَخْمَصِهِ نَعْلا
وَيَبْلُغُ مِنْ قَبْلِ اَلْبُلُوغِ إِلى مَدىً تَعَذَّرَ أَدْناهُ عَلَى غَيْرِهِ كَهْلا
فَعِشْتَ لَهُ حَتّى يُرى[4] جَدَّ أُسْرَةٍ يَبِيتُونَ[5] عَنْ جَدٍّ[6] مِنَ اَلْمُشْتَرِي أَعْلا

(١) له (ع) و (م)
(٢) فَرَدَّ (ابن عساكر بترجمة أنوجور الختني)
(٣) ترى (ل)
(٤) حتى ترى حد أسرة (ع) و (م)
(٥) يبينون (ابن عساكر)
(٦) في جميع الأصول (عن حدٍّ)

وَيُلْفى لَهُ عَزْمٌ كَعَزْمِكَ وَالظُّبى ... تَصِلُّ وَنارُ الْحَرْبِ تُرْهَبُ أَنْ تَصْلا
فَهِمَّةُ مَسْعُودٍ كَهِمَّتِكَ الَّتي ... بَنَتْ شَرَفًا يَبْلى الزَّمانُ وَما يَبْلا
فَذاكَ[1] شِهابٌ مُصْطَفى الْمُلْكِ زَنْدُهُ ... وَبالْغُصْنِ قِدْمًا يُعْرَفُ الرّائِدُ[2] الْحَمْلا
بِعُدَّةِ مَوْلانا الْإِمامِ وَسَيْفِهِ ... جَلا اللهُ مِنْ رَيْبِ النَّوائِبِ ما جَلا
وَحَلَّ عُقُودًا لَوْ تَيَمَّمَها الْوَرى ... بِأَجْمَعِهِمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا لَها حَلّا
فَكَمْ مَلِكٍ خَلّاهُ فِي النّاسِ مُثْلَةً ... وَلَوْلاهُ لَمْ تَذْهَبْ طَرِيقَتُهُ الْمُثْلا[3]
أَصانَ وَجْهِي[4] عَنْ مَعاشِرَ أَصْبَحُوا ... لِصَدْرِ الْعُلى غِلًّا وَفي نَحْرِها غُلّا
رُوَيْدَكَ كَمْ خَفَّفْتَ عَنِّي بِمِنَّةٍ ... فَحَمَّلْتَني مِنْ شُكْرِ آلائِها ثِقْلا
وَمِنْ أَيْنَ يَعْدُو[5] النُّجْحُ فِيكَ وَسائِلي ... وَما نَزَلَتْ إِلّا بِأَوْفى الْوَرى إِلّا
فَلا زالَ عَنِّي ظِلُّ مَجْدِكَ إِنَّهُ ... عَتادٌ[6] لِمَنْ أَكْدى وَهادٍ لِمَنْ ضَلّا
وَلا زِلْتُ مَسْمُوعَ التَّهانِي بِحَضْرَةٍ ... عَرائِسُ أَبْكارِي[7] بِها أَبَدًا تُجْلى

(١) وذاك (ابن عساكر بترجمة انوجور الختني)
(٢) الزائد (ل)
(٣) لم يرد هذا البيت (ل)
(٤) حمدي (ابن عساكر)
(٥) يغدو ؟ (ع) و (م)
(٦) عياذ (ع) و (م)
(٧) أفكاري (ابن عساكر)

٧٩

وقال يمدح الوزير الأجل أبا الفرج المغربي (١)

بِالْحَوْلِ نِلْتَ وَنالَ النَّاسُ بِالْحِيَلِ فَسُدْ جَمِيعَ الْوَرىٰ مُسْتَوْجِباً وَطُلِ

وَأْرْسُمْ لِدَهْرِكَ ما تَخْتارُ يَجْرِ عَلَى عاداتِ مُسْتَمِعٍ لِلرَّسْمِ مُمْتَثِلِ

مَا زِلْتَ تَلْتَذُّ طَعْمَ الْعَفْوِ مُقْتَدِراً حَتّىٰ اُبْتُغِي عِنْدَكَ الْإِحْسانُ بِالزَّلَلِ

هٰذِي (٢) الْفَضَائِلُ لَمْ نَعْرِفْ لَهاشَبَهاً ضَلَّ الْوَرىٰ حِينَ قَالُوا الْفَضْلُ لِلْأُوَلِ

فَكَيْفَ (٣) يَثْبُتُ هٰـذَا فِي قِياسِهِمُ وَخِيرَةَ الْخَلْقِ أَضْحىٰ خاتَمَ الرُّسُلِ

أَجَلْتَ أَعْيُنَنا فِي كُلِّ مُعْجِزَةٍ لَمْ تَجْرِ (٤) فِي خَلَدٍ مِنْهُمْ وَلَمْ تَجُلِ

فَإِنْ أَتىٰ حَسَنٌ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمِ فَقَدْ يَصِحُّ وُقُوعُ السَّعْدِ عَنْ زُحَلِ

لِلّٰهِ رَأْيُ إِمامِ الْخَلْقِ كَيْفَ سَرى إِلَيْكَ وَالْوَقْتُ داجٍ مُظْلِمُ السُّبُلِ

---

(١) هو أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد المغربي ، اصطنعه الوزير اليازوري وولاّه ديوان الجيش سنة ٤٤٢ ، ولما وُلِّي البابلي الوزارة سنة ٤٥٠ قبض عليه في جملة أصحاب اليازوري واعتقله ، فتقررت له الوزارة في الاعتقال وخلع عليه في شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٠ فما تعرض للبابلي بسوء ، وصرف سنة ٤٥٢ وتوفي سنة ٤٧٨ (الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٧)

(٢) هذي فضائل ... (ل)

(٣) وكيف ... (ل)

(٤) لم يجر في خلد منهم ولم يخلِ (ع) و (م)

أَنَّى ٱلْوِزَارَةَ لَمْ تُسْنَدْ إِلَىٰ وَزَرٍ يَوْمًا وَلَمْ يَخْلُ طَرْفُ ٱلْعَيْنِ مِنْ خَلَلِ

فَرَبُّهَا مِنْكَ نَحْوَ ٱلْكُفْءِ يَمْهَرُهَا آرَاءَ مُكْتَهِلٍ فِي عَزْمِ مُقْتَبِلِ

مَا زَالَ إِنْ طَغَتِ ٱلْأَعْدَاءُ جَلَّلَهَا(١) رَأْيًا يَفُلُّ شَبَاةَ ٱلْحَادِثِ ٱلْجَلَلِ

أَزَلْتَ قُرَّةَ(٢) عَنْ دَارِ ٱلْقَرَارِ بِمَا أَعْمَلْتَهُ مِنْ سَدَادِ ٱلرَّأْيِ وَٱلْعَمَلِ

مَالُوا عَنِ ٱلْحَقِّ فَٱسْتَنْهَضْتَ نَحْوَهُمُ فَوَارِسًا غَيْرَ مَا مِيلٍ وَلَا عُزُلِ

لَوْ لَمْ يَنُمَّ صَهِيلُ ٱلْخَيْلِ تَحْتَهُمُ ظُنُّوا شُمُوسَ ضُحًى وَافَتْ عَلَى قُلَلِ

تَهْدِيهِمُ(٣) وَدَيَاجِي ٱللَّيْلِ مُظْلِمَةٌ لَمْعُ ٱلْأَسِنَّةِ فِي ٱلْخَطِّيَّةِ ٱلذُّبُلِ

أَوْلَغْتَهَا مِنْ(٤) دَمِ ٱلْأَوْدَاجِ ظَامِئَةً وَزِدْتَهَا دُفَعًا فِي ٱلْعَلِّ وَٱلنَّهَلِ

فَحِينَ مَا ثَمِلَتْ هَزَّتْ مَعَاطِفَهَا وَغَيْرُ بِدْعٍ تَثَنِّي ٱلشَّارِبِ ٱلثَّمِلِ

أَشْرَقْتَ حِينَ تَرَكْتَ ٱلشَّمْسَ شَاحِبَةً(٥) كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ دُكْنًا مِنَ ٱلْحُلَلِ

وَرَاحَ نَقْعُكَ فِي أَجْفَانِهَا كَحَلًا وَمَا عَهِدْنَا بِجَفْنِ ٱلشَّمْسِ مِنْ كَحَلِ

عَزَائِمٌ مَغْرِبِيَّاتٌ تَنَاذَرَهَا(٦) أَهْلُ ٱلْعِرَاقَيْنِ قَبْلَ ٱلسَّهْلِ وَٱلْجَبَلِ

---

(١) محللها ؟ (ل)

(٢) بنو قُرَّة : من عرب البحيرة (الإشارة ص ٤٢)

(٣) كذا في جميع النسخ والأظهر (يهديهم)

(٤) في دم ... (ع) و (م)

(٥) حتى تركت الشمس ساجيةً (ع) و (م)

(٦) تنازعها (ع) و (م)

لَقَدْ رَأَى طُغْلُبَكٌ (١) في تَخَوُّفِها رَأْياً بَعِيداً مِنَ ٱلتَّثْرِيبِ وٱلْخَطَلِ

أَضْحَى يَظُنُّ ضِياءَ ٱلصُّبْحِ مِنْ قُضُبٍ سُلَّتْ وَأَنَّ نُجُومَ ٱللَّيْلِ مِنْ أَسَلِ

تَرَكْتَ أَعْضَاءَهُ تَنْقَدُّ مِنْ وَجَلٍ رُعْباً وَأَضْلُعَهُ تَنْقَضُّ مِنْ وَهَلِ

فَلَا تَلُمْهُ إِذَا لَمْ يَشْكُ عِلَّتَهُ فَٱلْمَيْتُ لا يَتَشَكَّى حادِثَ ٱلْعِلَلِ

قَدْ أَصْبَحَتْ صَفَحاتُ ٱلْمُلْكِ مُشْرِقَةً وَصافَحَتْكَ بِتَسْلِيمٍ يَدُ ٱلدُّوَلِ

فَٱحْكُمْ بِسَعْدِكَ (٢) فِيما أَنْتَ فاعِلُهُ وَجاوِزِ ٱلْحُكْمَ بِٱلْجَوْزاءِ وَٱلْحَمَلِ

فَٱلسَّبْعَةُ ٱلشُّهْبُ لَوْ نالَتْ أَمانِيَها لَأَصْبَحَتْ خَوَلاً مَعْ هٰذِهِ ٱلْخَوَلِ

بِٱلْكامِلِ (٣) ٱلْأَوْحَدِ (٤) ٱسْتَخْذَى (٥) ٱلزَّمانُ لَنا وَصارَ يُنْعَتُ بِٱلْهَيَّابَةِ ٱلْوَكِلِ

آباؤُهُ ٱلْغُرُّ طالُوا ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ وَأَصْبَحَ ٱلْمَجْدُ مِنْهُمْ مُحْصَدَ ٱلطِّوَلِ

زالُوا (٦) وَخَلَّدَتِ ٱلْعَلْياءُ ذِكْرَهُمُ كَأَنَّ أَشْخاصَهُمْ فِي ٱلنَّاسِ لَمْ تَزُلِ

ٱلْحاكِمِينَ بِما فِي ٱلشَّرْعِ (٧) مِنْ حِكَمٍ وَٱلنَّاصِرِيهِ (٨) عَلَى ٱلْأَدْيانِ وَٱلْمِلَلِ

---

(١) يريد به طغرلبك السلجوقي . انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٨١)

(٢) لسعدك (ع) و (م)

(٣) فالكامل ؟ (ع) و (م)

(٤) الكامل الأوحد : من ألقاب الوزير أبي الفرج المغربي (الإشارة ص ٤٧)

(٥) استجدى ؟ (ع) و (م)

(٦) ولوا (ع) و (م)

(٧) الناس (ع) و (م)

(٨) والناصرين (غ) و (م)

لَمْ يَبْقَ فِي كَبِدِ ٱلْمَعْروفِ مِنْ غُلَلٍ (١) ... بِهِمْ وَلاَ فِي قَناةِ ٱلْمَجْدِ مِنْ مَيَلِ
وَمُتْرِبُونَ مِنَ ٱلْعَلْياءِ تُرْبُهُمُ ... أَلْمَى ٱلشِّفاهِ مِنَ ٱلتَّغْيِيرِ وَٱلْقُبَلِ
أَصِخْ إِلَى ٱلدَّهْرِ تَسْمَعْ قَوْلَهُ طَرَباً ... هٰذَا وَلِيُّ عَلِيٍّ صَفْوَةُ ٱبْنِ عَلِي
يا سامِعاً صَوْتَ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ مِنْ بُعُدٍ ... وَلَيْسَ يَسْمَعُ نَجْوَى (٢) ٱللَّوْمِ فِي ٱلْعَذَلِ
لَقَدْ حَقَنْتَ دَمَ ٱلْعَلْيا بِجُودِ يَدٍ ... مَخْضُوبَةٍ بِدِماءِ ٱلْمَحْلِ وَٱلْبَخَلِ
أَظْما إِلَى رَشْفِها يَوْماً فَيَصْدِفُنِي ... عَنْها تَعَرُّضُ سَيْلِ ٱلْعارِضِ ٱلْهَطِلِ
هٰذِي كَواعِبُ قَدْ وافَتْكَ مُقْسِمَةً ... أَنْ لَمْ تُزَفَّ إِلَى بَعْلٍ وَلَمْ تُنَلِ
قَدْ صُنْتُهُنَّ عَنِ ٱلْخُطَّابِ قاطِبَةً ... كَما تُصانُ ذَواتُ ٱلْخِدْرِ بِٱلْكِلَلِ
لَوْلاكَ ما حُلِّيَتْ (٣) يَوْماً تَرائِبُها ... وَلاَ نَضا ٱلدَّهْرُ عَنْها حُلَّةَ ٱلْعَطَلِ
إِنْ غابَ شَخْصِيَ عَنْ هٰذا ٱلْمَقامِ فَقَدْ ... صَحِبْتُهُ بِٱلرَّجاءِ ٱلْمَحْضِ وَٱلْأَمَلِ
فَٱنْعَمْ بِتَخْفِيفِ ما أَسْدَيْتَ مِنْ نِعَمٍ ... بِكَثْرَةٍ (٤) ٱلنُّورِ يَعْشَى ناظِرُ ٱلْمُقَلِ
وَٱسْتَبْقِ مُهْجَةَ عَبْدٍ رُحْتَ مالِكَهُ ... فَرُبَّ حَتْفٍ جَناهُ كَثْرَةُ ٱلْجَذَلِ (٥)
وَلْتُمْهِلَنَّ ٱللَّيالِي حاسِدِيكَ فَقَدْ ... سَقَتْهُمُ ٱلْمُهْلَ وَٱلْغِسْلِينَ (٦) فِي مَهَلِ
وَٱفْنِ ٱلزَّمانَ بِعِزٍّ غَيْرِ مُنْصَرِمٍ ... وَسُؤْدُدٍ بِنَواصِي ٱلنَّجْمِ مُتَّصِلِ

(١) علل (ع) و (م)
(٢) نحويَ (ع) و (م)
(٣) ماجليت (ل)
(٤) فكثرة (ل)
(٥) الجدل (ع) و (م)
(٦) والغسّين ؟ (م)

٨٠

وقال يمدح عز الملوك أبا الفضائل سابق بن محمود بن نصر [١] بن صالح ويهنيه بعيد الفطر سنة تسع وستين [٢] وأربعمائة .

ضَلَّ مَنْ يَسْتَزِيرُ طَيْفَ الْخَيالِ هَلْ تُدَاوَى [٣] حَقِيقَةٌ بِالْمُحالِ
سُنَّةٌ سَنَّهـا الْمُحِبُّونَ جَهْلاً كَسُؤالِ الرُّبُوعِ وَالأَطْلالِ
أَوْ كَمُزْجِي الْقِلاَصِ فِي غَيْرِ قَصْدٍ أَوْ مُرَجِّي مَكارِمِ الْبُخَّالِ
أَوْ كَلاَحٍ سَعَى بِمَنْ لاَ أُسَمِّي مُوقِناً أَنَّ سَعْيَهُ في ضَلالِ
بِأَبِي مَنْ عَدَا [٤] فَجَاوَزَ أَعْدَا ئِي وَلَوْ كانَ مِنْهُمُ لَرَثَى لِي
وَالتَّعَدِّي [٥] يُسْلِي الْمُحِبَّ فَما بالِي لاَ يَخْطُرُ السُّلُوُّ بِبالِي
ذُو عِتابٍ لِغَيْرِ مَعْنىً وَسُخْطٍ لاَ لِجُرْمٍ [٦] وَهِجْرَةٍ عَنْ مَلاَلِ
سَلَبَ الْوَحْشَ خَلَّتَيْنِ [٧] تَصُولاَ [٨] نِ وَكِلْتاهُما طَرِيقُ وَبالِ

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص ٥٠
(٢) في (ع) و (م) سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . وهو من سهو الناسخ .
(٣) يداوي (غ) و (م)
(٤) غدا لجاور (ل)
(٥) فالتعدي (ل)
(٦) بجرم (ع) و (م)
(٧) في جميع النسخ (حُلتين) والصواب ما أثبتناه .
(٨) بصولان ؟ (ع) و (م)

فَهْوَ طَوْراً يُرْدِي بِسَطْوَةِ ضِرْغا ... مٍ وَطَوْراً يَعْدُو بِعَيْنَيْ غَزَالِ

زَادَفَتْكاً وَاسْتَجْمَعَتْ(١) خُدْعَةُ الْمُخْـ ... ـتَالِ فِيهِ وَوَثْبَةُ الْمُغْتَالِ

فَلِذَا مَا أَزَالُ أَنْشُدُ قَلْباً ... ضَلَّ بَيْنَ الدَّلاَلِ وَالْإِدْلاَلِ

لاَ مَنِي(٢) ضِلَّةً وَمَا كُنْتُ أَخْشَى ... أَنْ يَصِيرَ الْحَبِيبُ مِنْ عُذَّالِي

وَلَقَدْ آنَ أَنْ أُدَاوِيَ صَبَابَا ... تِي بِدَاءٍ مِنَ الْمَشِيبِ عُضَالِ

عَادِلاً بِالْقَرِيضِ عَنْ سُنَنِ الْعُشْـ ... ـقِ إِلَى عَاشِقٍ لِحُسْنِ الْفِعَالِ

مَنْ إِذَا مَا الْكَمَالُ أَعْلَى مُلُوكاً ... طَالَ بِالْإِزْدِيَادِ فَوْقَ(٣) الْكَمَالِ

عِزُّهَا وَابْنُ تَاجِهَا مُنْشِرُ الْآ ... مَالِ جُوداً وَقَاتِلُ الْأَقْيَالِ(٤)

هَامَ بِالْهِمَّةِ الْحِصَانِ فُؤَاداً ... فَهْوَ عَاصِي الْمَلاَمِ قَاصِي الْمَلاَلِ

وَسَمَا شَارِخاً فَزَادَ عَلَى السَّا(٥) ... مِينَ بَعْدَ الْمَشِيبِ وَالْإِكْتِهَالِ

وَخِضَمٌ يَأْبَى وَإِنْ كَثُرَ الْوُرَّا ... دُ أَنْ يَظْفَرُوا بِغَيْرِ زُلاَلِ

فَتَرَى الْجَارَ عِنْدَهُ نَاعِمَ الْبَا ... لِ وَيَحْيَى بِهِ الرَّجَاءُ الْبَالِي

أَوْضَحَ الْمَجْدَ لِلْوَرَى وَحَمَاهُ ... فَهْوَ بَادِي الْمَنَارِ صَعْبُ الْمَنَالِ

(١) واستعجمت خدعة المختال ؟ (ل)
(٢) لامني فعله ولو كنت أخشى ؟ (ل)
(٣) بعد الكمال (ل)
(٤) الأفيال (ل)
(٥) الشامين (ل)

دَرَّ[١] نَيْلُ ٱلْمُنى وَإِنْ أَغْرَتِ ٱلأَطْـ ـماعُ قَوْماً[٢] غَرَّتْهُمُ[٣] بِالْمُحالِ
فَلَوَاتٌ تُجابُ بِٱلْجُودِ وَٱلإِقْـ ـدامِ لا بِٱلذَّميلِ وَٱلْإِرْقالِ
مُقْفِرَاتٌ يَكُونُ مَنْ سارَ فيها عَرَضاً لِلْبَوارِ أَوْ لِلضَّلالِ
جازَها[٤] سابِقُ بْنُ مَحْمُودٍ ٱلسَّا بِقُ يَوْمَ ٱلنَّدىٰ وَيَوْمَ ٱلنِّزالِ
وَسَعىٰ سَعْيَ أَوَّلِيهِ فَأَرْبىٰ بِٱخْتِيارِ ٱلْفَضائِلِ ٱلْأَعْقالِ[٥]
وَوَفىٰ لِٱسْمِهِ[٦] وَكُنْيَتِهِ ٱلْعَزْ مُ فَقاما مَعاً مَقامَ ٱلْفالِ
مَلِكٌ إِنْ أَتىٰ ٱلْوُفُودُ ذَرَاهُ صَدَّهُمْ عُرْفُهُ عَنِ ٱلْإِرْتِحالِ
حَيْثُ لَمْ يَفْصِمُوا عُرىٰ ٱلظَّنِّ بِٱلْيَأْ سِ وَلَمْ يُوصَمُوا بِذُلِّ ٱلسُّؤالِ
وَوَقُورُ ٱلْأَطْرَابِ إِنْ زُفَّتِ ٱلصَّهْـ ـباءُ بَيْنَ ٱلْأَهْزَاجِ وَٱلْأَرْمالِ
وَطَرُوبٌ أَوانَ تَجْتَمِعُ ٱلْأَطْـ ـرابُ بَيْنَ ٱلصَّليلِ وَٱلتَّصْهالِ
وَلَهُ مِنْ بَنِي بُوَيْهِ[٧] جُدُودٌ ذَهَبُوا بِٱلْإِعْظامِ وَٱلْإِجْلالِ

(١) دون نيل . . . (ع) و (ل)
(٢) قومٌ (ل)
(٣) وغرَّهم (م)
(٤) جارها (ع) و (م) حازها (ل) ولعل ماأثبتناه هو الصواب .
(٥) الأغفال (ل)
(٦) باسمه (ع) و (م)
(٧) أم سابق بن محمود هي بنت الملك العزيز بن جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه (الكامل لابن الأثير ج ٩ص ٨١) وانظر الحاشية رقم(٧)ص (٢٤٤)

كُلُّ مَلْكٍ قَدْ حازَ فَضْلَ أَبِيهِ ... مِثْلَ حَوْزِ ٱلْبَهاءِ فَضْلَ ٱلْجَلاَلِ(١)

فَمَساعِي ٱلْأَجْدادِ لَنْ يَبْعُدَ ٱلْعَهْـ ... ـدُ بِها وَهْيَ وُضَّحٌ فِي ٱلْحالِ

قَدْ كَفاها أَبُو ٱلْفَوارِسِ أَنْ يَقْـ ... ـدَحَ فِيها تَنَقُّلُ ٱلْأَحْوالِ

يا ٱبْنَ مَنْ ذادَ عَنْ رَجائِي وَمَدْحِي ... كُلَّ غَثِّ ٱلْحِباءِ رَثِّ ٱلْحِبالِ

عُصَبٌ مَوْقِعُ ٱلْوَسائِلِ(٢) مِنْهُمْ ... مَوْقِعُ ٱلشَّيْبِ مِنْ ذَواتِ ٱلْحِجالِ

وَعْدُهُمْ مُعْوِزٌ فَإِنْ بَذَلُوهُ ... فَهْوَ وَقْفٌ عَلَى ٱلْمِطالِ ٱلْمُطالِ

وَإِذا ما ٱلْحاجاتُ حَلَّتْ لَدَيْهِمْ ... مُتْنَ طَوْعَ ٱلْإِمْهالِ وَٱلْإِهْمالِ

زُرْتُهُ كَيْ يُظِلَّنِي فَأَصارَتْـ ... ـنِي عَطِيّاتُهُ مَدِيدَ ٱلظِّلاَلِ

لَمْ يَدَعْ حاسِداً يَفُوهُ بِإِخْفا ... قِي وَقَدْ جِئْتُ حاشِداً آمالِي

إِذْ رَجائِي لَدَيْهِ(٣) وَقْفٌ عَلَى ٱلنُّجْـ ... ـحِ وَفَأْلِي مُصَدَّقٌ مُذْ وَفىٰ لِي(٤)

نَضَلَتْ مَأْثُراتُهُ وَلُهاهُ ... كُلَّ سَهْمٍ أَعْدَدْتُهُ لِلنِّضالِ

وَحَبانِي بِٱلْاِنْبِساطِ إِلىٰ أَنْ ... حِزْتُ فِعْلَ ٱلْعَبِيدِ عِنْدَ ٱلْمَوالِي

---

(١) لعل المراد بالبهاء : بهاء الدولة سابق بن محمود انظر سطر (٣) ص (٤٨١) وبالجلال: جلال الدولة نصر بن محمود. انظر الحاشية رقم (٤)ص(٢٤٧)

(٢) المسائل (م)

(٣) عليه (ع) و (م)

(٤) مكان هذا البيت في (ع) و (م) بعد الذي يليه .

وَ ببعْضِ ٱلَّذِي أَنالَ [١] مِنَ ٱلإِكْـ ... رامِ رَبَّ ٱلنَّوَالَ رَبُّ ٱلنَّوَالِ

وَلَوَ أَنِّي أَدْلَلْتُ فِي غَيْرِ مَغْنا [٢] ... هُ لَكَفَّ ٱلإِدْلالَ بِٱلإِذْلالِ

فَسَقَى ٱللهُ تُرْبَةً حَلَّ فِيهَا ... مَوْطِنُ ٱلْفَضْلِ مَعْدِنُ ٱلإِفْضالِ

ٱلأَسَدُّ ٱلأَشَدُّ إِنْ كانَ سِلْمٌ ... أَوْ وَغًى وَٱلأَلَدُّ عِنْدَ ٱلْجِدَالِ

طالَمَا قُلْتُ لِلْمُسائِلِ عَنْكُمْ [٣] ... وَٱعْتِمادِي هِدَايَةُ ٱلضُّلَّالِ

إِنْ [٤] تُرِدْ عِلْمَ حالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ ... فَٱلْقَهُمْ فِي مَكارِمٍ أَوْ قِتالِ [٥]

تَلْقَ بِيضَ ٱلأَعْرَاضِ [٦] سُودَ مُثارِ ٱلنَّقْعِ خُضْرَ ٱلأَكْنافِ حُمْرَ ٱلنِّصالِ

أُسُرٌ [٧] إِنْ طَغَى بِهِمْ أَشَرُ ٱلعِزِّ [٨] ... أَزَالُوا رَوَاسِيَ ٱلأَجْبَالِ

وَإِذَا حارَبُوا رَأَيْتَ قُلُوبَ ٱلأُسْدِ ... قَدْ أُوْدِعَتْ صُدُورَ ٱلرِّجالِ

---

(١) أتاك (ل)

(٢) معناه (ع) و (م)

(٣) عنهم (ل)

(٤) وإذا ما أردتَ تعرفُ لَخْماً ... فَشِمِ القومَ في نَدىً أو نِزالِ
تَلْقَ بيضَ الأحسابِ حُمْرَ النِّصالِ ... خُضْرَ الأكنافِ سُودَ مُثارِ النقعِ

« مسالك الأبصار ج ١٠ »

(٥) نِزال (وفيات الأعيان ٢/١٤)

(٦) الوجوه « »

(٧) أُسر (ل)

(٨) العز (ع) و (م)

وَبِهِمْ زُلْزِلَتْ بِمَنْ (١) قارَعُوا الأَرْ ... ضُ وَهُمْ أَمْنُها مِنَ الزِّلْزَالِ
لَكُمُ عِزَّةُ (٢) السُّيُوفِ وَفِيكُمْ ... مَعَها هِزَّةُ القَنَا العَسَّالِ
وَلَكُمْ فِي المَدِيحِ أَبْقَى سِماتٍ ... تَرَكَتْها الأَقْوَالُ فِي الأَقْيَالِ
لَوْ أُتِيحَتْ لِدَارِمِ (٣) بْنِ تَمِيمٍ ... بِضْعَةٌ مِنْ فَخارِكَ المُتَوالِي
حَجَبُوا حاجِباً إِذَا عُدِّدَ الفَخْـ ... ـرُ وَلَمْ يُطْلِقُوا عِقالَ عِقالِ (٤)
مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يَرُومُوا مَدَاكُمْ ... فَرْطُ حُبِّ النُّفُوسِ وَالأَمْوَالِ
وَاكْتَفَى مُحْدَثٌ بِذِكْرِ قَدِيمٍ ... راضِياً بِالمَلابِسِ الأَسْمالِ
فَإِذَا طُولِبُوا بِما يُوجِبُ الحَمْـ ... ـدَ أَحالُوا عَلَى العِظامِ البَوالِي
وَامْتَنَعْتُمْ مِنْ أَنْ يُباحَ لَكُمْ جا ... رٌ بِبِيضِ الظُّبَى وَسُمْرِ العَوالِي
كَامْتِناعِ النُّجُومِ فِي حَيْثُ حَلَّتْ ... لا امْتِناعِ اللُّيُوثِ فِي الأَغْيالِ
وَهَمَى جُودُكُمْ جُزَافاً إِلَى أَنْ ... زالَ (٥) حُكْمُ المِيزانِ وَالمِكْيالِ
وَقَدِيماً عُرِفْتُمُ مُذْ مَلَكْتُمْ ... أَنْ يَفُوقَ المَتْلُوَّ فَضْلُ التَّالِي
وَلِهٰذَا نَنْسَى بِأَفْعالِ مَحْمُو ... دٍ مَعالِي نَصْرٍ وَمَجْدَ ثِمالِ (٦)

(١) بما (م)
(٢) عزت (ل)
(٣) بنو دارم : بطن من تميم .
(٤) حاجب بن زُرارة وعِقال بن محمد : من سادات بني تميم .
(٥) جاز (ل)
(٦) محمود بن نصر بن صالح بن مرداس: والد الممدوح سابق. وثمال: هو ابن صالح بن مرداس.

أَنْتَ أَنْدَاهُمُ إِذَا أَجْدَبَ الْعَا ... مُ وَأَهْدَاهُمُ لِطُرْقِ الْمَعَالِي
قَصَّرَ السَّابِقُونَ دُونَ مَدَاهَا ... وَتَمَلَّكْتَهَا بِسِتِّ خِصَالِ
مَكْرُمَاتٌ مَعَ اعْتِذَارٍ وَعَفْوٌ ... بِاقْتِدَارٍ وَعِفَّةٌ فِي جَمَالِ
وَبِحَقٍّ أَنْ ظَلْتَ[1] فِيهَا بِلَا مِثْ ... لٍ وَقَدْ سُدْتَهَا بِغَيْرِ مِثَالِ
لَقَمٌ جُبْتَهُ[2] بِغَيْرِ دَلِيلٍ ... وَهْوَ خَافِي الْمَجَازِ ضَنْكُ الْمَجَالِ[3]
آخِذٌ بِالْيَمِينِ مَا أَوْجَبَتْهُ ... لَكَ قَبْلُ الْيَمِينُ أُخْتُ الشِّمَالِ
مَا ذَكَرْتُ الْأَوْطَانَ مُذْ ظَلَّ طَرْفِي ... رَاتِعاً فِي جَلَالِ[4] هٰذِي[5] الْخِلَالِ
بِجَنَابٍ[6] إِذَالَةُ الْمَالِ فِيهِ ... أَعْرَبَتْ عَنْ إِنَالَةِ[7] الْآمَالِ
وَمَتَى قُلْتُ أَنْتَ بَعْضُ كِرَامِ الْـ ... ـعَصْرِ قِسْتُ الْأَتِيَّ بِالْأَوْشَالِ
وَبَنَاتُ[8] الْجَدِيلِ إِنْ عَنَّ رَكْضٌ ... لَا تُجَارِي بَنَاتِ ذِي الْعُقَّالِ

(١) ظلت (ع) و (م)
(٢) جئته (ع) و (م)
(٣) المحال (م)
(٤) خلال (ع) و (م)
(٥) هذا (ع)
(٦) بجنان (ل)
(٧) إذالة (ع) و (م) اباله (ل) . ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٨) جديل فحل من الإبل كان للنعمان بن المنذر . وذو العُقَّال فرس من عتاق الخيل كان لبني رياح بن يربوع وهو أبو داحس . انظر العمدة لابن رشيق ١٨٢/٢ ونهاية الأرب للنويري ٤١/١٠ وفيه يقول جرير :

إنَّ الجيادَ يبتنَ حولَ قبابنا ... مِن نسلِ أعوجَ أو لذي العُقّالِ

« النقائض ص ٨٤ »

كَمْ سَبَقْتَ (١) الْمُنَى بِصَوْبٍ (٢) يَمِينٍ ... في الْعَطَايَا كَثِيرَةِ الْإِرْتِجَالِ
هِيَ أَغْلَتْ بِالْعِزِّ كُلَّ رَخِيصٍ ... وَاسْتَهَلَّتْ فَأَرْخَصَتْ كُلَّ غَالِ
كُلَّمَا أَخْلَفَتْ مَوَاعِيدُ (٣) بَرْقٍ ... خَلَفَتْ كُلَّ وَابِلٍ هَطَّالِ
مَكْرُمَاتٌ إِذَا الصِّفَاتُ نَحَتْهَا ... وَقَعَتْ دُونَهَا سِهَامُ الْمُغَالي (٤)
لَوْ تَعَدَّيْتُهَا فُوَاقًا إِذًا عُدْ ... تُ بِظَنٍّ عَلَى مُحَالٍ مُحَالِ
مَا بَغَاهَا (٥) مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ مَنْ يَفْـ ... رُقُ بَيْنَ الْأَطْوَاقِ وَالْأَغْلَالِ
دُمْتَ فِيمَا حَوَتْ يَدَاكَ وَتَحْوِي ... آمِنًا مِنْ تَغَيُّرٍ أَوْ زَوَالِ
إِنَّ شَهْرَ الصِّيَامِ أَظْهَرَ أَمْرًا ... مَا عَهِدْنَاهُ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي
لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِيهِ كَانَتْ خُصُوصًا ... خُلِقَتْ لِلْعُبَّـادِ وَالْأَبْدَالِ
وَأَتَتْنَا فِي ذَا الْأَوَانِ عُمُومًا ... قَبْلَ مِيقَاتِهَا بِسَبْعِ لَيَالِ
فَشَكَرْنَا لَهُ وَلَمْ يَعْدَمِ (٦) الشُّكْـ ... ـرَ هِلَالٌ أَفْضَى إِلَى شَوَّالِ
وَلَقَدْ فَازَ بِالثَّنَاءِ هِلَالٌ ... بَشَّرَ الْبَدْرَ قَبْلَهُ بِهِلَالِ (٧)

---

(١) بسقت (ع) و (م)
(٢) بصوت (م)
(٣) مواعد (ل)
(٤) المعالي (ل)
(٥) ما نعاها ؟ (ع) و (م)
(٦) ولم نعدم الشكرَ هلالاً ... (ل)
(٧) يشير إلى مولود .

خَبَرٌ ما وَعَتْهُ أَسْمـاعُ أَعْدا ئِكَ حَتّى أَغَصَّهُمْ بِالزُّلالِ

رَهْبَةً مِنْ نِضَالِهِ (١) وَإِلى الآ سادِ قِدْماً تَنَجَّلُ الأَشْبـالِ

فَتَهَنَّ العِيدَيْنِ بِاليُمْنِ زارا مِنْ مُقيمٍ وَظاعِنٍ فِي الحالِ (٢)

سَبَقَتْ بِالجَميلِ (٣) أَفْعالُكَ الغُرُّ فَجـاءَتْ وَراءَهـا أَقْوالي

أَثْقَلَتْها أَعْبـاءُ نُعْماكَ فَابْسُطْ عُذْرَها إِنْ أَتَتْكَ غَيْرَ عِجالِ

ثُمَّ لا تَلْحَها إِذا هِيَ ضَلَّتْ (٤) بَيْنَ آلائِكَ العِراضِ الطِّوالِ

قَدْ تَوالى شُكْري وَصَحَّ وَلائي فَتَقَبَّلْ عُذْرَ المُوالي المُوالي

وَأَقِلْني إِذا عَجَزْتُ وَإِنْ كا نَ عِثـارُ المَقالِ غَيْرَ مُقالِ

مَعَ أَنّي لَمْ أُخْلِ مُلْكَكَ مِنْ نَظْـ مٍ لآلٍ تَبْقى بَقاءَ اللَّيـالي

ضَلَّ غَيْلانُ إِذْ بَغاها فَلَمْ يَحْـ ظَ بِلالٌ مِنْ بَحْرِها بِبِلالِ (٥)

* * *

(١) فضالة (ل) مصاله (ع) و (م) . ولعل الصواب ما أثبتناه .
(٢) في الحلال (ل)
(٣) بالجمال (ل)
(٤) صلت (ل)
(٥) غيلان بن عقبة العدوي المعروف بذي الرُّمة الشاعر المشهور توفي سنة ١١٧ . وبلال بن أبي بُرْدة الأشعري أمير البصرة وقاضيها وهو ممدوح ذي الرمة توفي في حدود سنة ١٢٦ .

٨١

وقال أيضاً وكتب بها الى القاضي الناصح ثقة الثقات عين الدولة [١] أبي الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن عياض إلى صور ويعاتبه في وقوف ما كان له في دار وكالته ويعرّض فيها بأبي محمد بن السمسار

ظُلاَمَةَ مَنْ أَعَدَّكَ لِلَّيالي ... وَمَنْ أَثْنى بِفَضْلِكَ غَيْرَ آلِ

أَيا ثِقَةَ ٱلثِّقَاتِ أَصِخْ فُوَاقاً ... لِتَسْمَعَ مَا يَشُقُّ عَلَى ٱلْمَعَالي

أَمَا أَنَا مُثْبِتُ ٱلْحُجَجِ ٱلْقَوَاضِي ... لَكُمْ بِٱلْمَجْدِ فِي ٱلْحُجَجِ ٱلْحَوَالي [٢]

وَمُفْرِدُكُمْ لِلاَ سَبَبٍ بِشُكْرٍ ... تَعَالَمَهُ [٣] ٱلْمُعَادي [٤] وَٱلْمُوَالي

ثَنَاءٍ لَمْ أَشُبْهُ بِٱخْتِلاَقٍ [٥] ... وَوَصْفٌ لَمْ أَشِنْهُ بِٱنْتِحالِ

إِلَيْكُمْ دُونَ ذَا ٱلْخَلْقِ ٱعْتِزَائي ... وَعَنْكُمْ كَانَ صَدِّي وَٱعْتِزَالي

وَقَدْ سَمِعَ ٱلْوَرَى فِي كُلِّ أَرْضٍ ... وَلَيْسَ ٱلْمَيْنُ مِنْ شِيَمِي ، مَقَالي

إِذَا ذُكِرُ ٱلْبُيُوتُ عَدَا [٦] قُصَيّاً ... فَآلُ أَبي عَقِيلٍ خَيْرُ آلِ

---

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٣٩٦)

(٢) الحوالي ؟ (ع) و (م)

(٣) تهاداه (ع) و (م)

(٤) المعالي (ل)

(٥) باختلافٍ (ل)

(٦) في جميع النسخ (غدا) والأظهر ما أثبتناه .

وَأَنْتَ[١] أَعَزُّهُمْ جاراً وَنَفْساً وَأَغْلَبُهُمْ عَلَى شَرَفِ ٱلْخِلَالِ
عَلَوْتَهُمُ بَنَاناً فِي ٱلْعَطَايَا وَفُتَّهُمُ ثَبَاتاً[٢] فِي ٱلنِّضَالِ
أَلَسْتَ ٱبْنَ ٱلْمُنَبِّي[٣] عَنْ سَجَايَا بِهِنَّ تَفَاوَتَتْ قِيَمُ ٱلرِّجَالِ
يَظَلُّ جَنَابُهُ مَأْوَى ٱلْأَمَانِي وَيُمْسِي بَابُهُ مَلْقَى ٱلرِّحَالِ
يُحَكِّمُ فِي ٱلذَّخَائِرِ سَائِلِيهِ وَيَمْنَعُهُمْ[٤] مِنَ ٱلْأَسَلِ ٱلطِّوَالِ
وَذَاكَ ٱلْوَفْرُ بَالٍ وَهْوَ بَاقٍ بِهٰذَا[٥] ٱلشُّكْرِ[٦] بَاقٍ وَهْوَ بَالِ
وَإِنَّكَ فِي ٱكْتِسَابِ ٱلْحَمْدِ[٧] حَقّاً لَتَأْتِي سَابِقاً وَأَبُوكَ تَالِي
تَحَيَّفَنِي ٱلزَّمَانُ بِكُلِّ فَنٍّ فَمَا أَنْفَكُّ مِنْ دَاءٍ عُضَالِ
وَأَعْوَزَتِ ٱلْأَمَانَةُ فِيهِ حَتَّى تَخَوَّفَتِ ٱلْيَمِينُ مِنَ ٱلشِّمَالِ
وَأَذْهَبَ كُلَّ مَا أَحْوِي ضَيَاعاً فَهَا أَنَا ذَا بِنَارِ ٱلْفَقْرِ صَالِ
وَقَدْ أَوْدَعْتُ مَا أَبْقَى صَدِيقاً فَعَرَّضْتُ ٱلْبَقِيَّةَ لِلْوَبَالِ
وَقَصَّرَ عَنْ أَمَانَتِهِ كَأَنِّي طَلَبْتُ ٱلْوَخْدَ مِنْ جَمَلٍ ثِقَالِ[٨]

(١) فأنت ... (ل)
(٢) بياناً (ع) و (م)
(٣) المبيّن (ع)
(٤) ويمنعها (ل) و (ع)
(٥) لهذا (ع) و (م)
(٦) الحمد (هامش ع)
(٧) المجد (ل)
(٨) الجَمَلُ الثِّقالُ : البطيء .

فَلاَ تُرْكِنْ إِلىٰ زَمَنٍ خَؤُونٍ ... لِآمِلِهِ سَرِيعِ الْإِنْتِقَالِ
فَمَا يَكُ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ... قَلِيلُ اللَّبْثِ مُنْتَظَرُ الزَّوَالِ
لَقَدْ ضَلَّ امْرُؤٌ رَامَ اهْتِضَامِي ... وَلَسْتُ مُشَايِعاً (١) أَهْلَ الضَّلاَلِ
وَأَقْدَمَ مَنْ بَغَى إِغْضَابَ مِثْلِي ... عَلَى أَمْرٍ ثَنَاهُ (٢) عَلَى مِثَالِ
وَتِلْكَ حُكُومَةٌ عَزَّتْ مَرَاماً ... فَمَا خَطَرَتْ لِذِي ظُلْمٍ بِبَالِ
سَقَى ذُو الْعَرْشِ رُهْبَانَ النَّصَارَى ... وَجَادَهُمُ بِمُنْهَلٍّ الْعَزَالِي
فَمَا مَنَعُوا الْوَدَائِعَ مُودِعِيهَا ... لِضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْإِعْتِلاَلِ
وَلاَ شَدُّوا أَكُفَّهُمُ عَلَيْهَا ... لِتُؤْخَذَ (٣) بِالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ
كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَعْطِفُهُ بِذُلٍّ ... فَأَضْرَبَ عَنْ مَقَالٍ (٤) أَوْ فِعَالِ
وَمَا (٥) قَرَأَ الْكِتَابَ وَلاَ كِتَاباً ... بِهِ عُرِفَ الْحَرَامُ مِنَ الْحَلاَلِ
وَمَا أُسْمِيهِ إِبْقَاءً لِوُدٍّ ... سَلاَ عَنْهُ وَمَا أَنَا عَنْهُ سَالِ
وَإِنْ كَانَ الْوِدَادُ الْيَوْمَ بَيْنَ الْـ ... ـرِّجَالِ كَوُدِّ رَبَّاتِ الْحِجَالِ
وَلَمَّا سِيلَ فِيَّ وَفَاضَ جُوداً ... أَحَالَ عَلَى التَّعَلُّلِ وَالْمِطَالِ

(١) متابعاً (ع) و (م)
(٢) مناه (ع) بناه (م)
(٣) لتوجيه الخصومة (ع) و (م)
(٤) مقالي أو فعالي (ل)
(٥) ولا قرأ ... (ل)

فَشَدَّ بِذَا قُوىً ضَعُفَتْ حَياءً وَسَدَّ طَرِيقَ صَبْرِي وَاحْتِمالِي
وَأَنْتَ (١) إِذَا عَدَا باغٍ سِلاَحِي الْ حَصِينُ وَإِنْ عَرَا خَطْبٌ ثِمالي (٢)
وَأَمْرُكَ نافِذٌ فِينـا فَأَطْلِقْ بِمَحْضِ الْعَدْلِ حَقِّي مِنْ عِقالِ (٣)
فَإِنَّكَ لا تَمَلُّ الْعَدْلَ بَيْنَ الْ خُصُومِ وَلاَ تَمِيلُ وَلاَ تُمالي
لَقَدْ آلَتْ (٤) بِيَ الدُّنْيا فَقُبْحاً لِما صَنَعَتْ إِلى هذا الْمَآلِ
وَغالَ الدَّهْرُ مَنْزِلَتِي وَوَفْرِي فَأَرْخَصَ مِنْ مَدِيحِي كُلَّ غالِ
مَضَى الْكُرَماءُ صانُوا ماءَ وَجْهِي بِما بَذَلُوهُ، عَنْ ذُلِّ السُّؤَالِ
وَها أَنا بَعْدَهُمْ فِي النَّاسِ أَبْغِي كَرِيماً يَشْتَرِي شُكْرِي بِمالِي
أَرى الْأَكْدارَ يَشْرَقُ شارِبُوها فَوَاشَرَقِي مِنَ الْماءِ الزُّلاَلِ
لَعَلَّكَ يابْنَ عَبْدِ اللهِ تَرْعَى قَدِيمَ الْوُدِّ أَوْ تَرْثِي لِحالي
وَلَا تَحْبِسْ جَمِيلَكَ عَنْ مُوالٍ لَكُمْ وَلِنَشْرِ فَضْلِكُمُ مُوالي
وَفِي الْأَمْرَيْنِ مِنْ مَنْعٍ وَبَذْلٍ فَإِنِّي شاكِرٌ فِي كُلِّ حالِ
وَماذَا الْقَوْلُ تَمْهِيداً لِظُلْمِي وَمِثْلُكَ لَا يَمِيلُ إِلَى الْمُحالِ

---

(١) فأنت ... (م)

(٢) في جميع النسخ (ثمالي) ولعل مـا أثبتناه هو الصواب . والثِّمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه .

(٣) عقالي (ل)

(٤) زالت (ل)

وَلَيْسَ بِغَـامِضٍ وَأَبِيكَ أَمْرِي فَأَنْسُبُهُ إِلَىٰ جَوْرِ ٱللَّيَالِي
وَلَوْلاَ فَاقَـةٌ فَاقَتْ فَعاقَتْ لَصُنْتُ عُلاَكَ عَنْ هٰذا ٱلْمَقالِ
سَأَتْرُكُ ذِي ٱلْبِلادَ بِلاَ ٱخْتِيَارٍ وَأَهْجُرُ(١) أَهْلَها لاَ عَنْ تَقالِ
بِحالٍ لَوْ تَأَمَّلَها عَدُوِّي لَسَاهَمَنِي ٱلرَّزِيَّةَ أَوْ رَثىٰ لي
فَزَوِّدْني(٢) بِمـا تَأْتي حَدِيثاً سَيُرْوٰى في ٱلْعِرَاقِ وَفي ٱلشَّمالِ
فَإِنِّي فُقْتُ غَيْلاناً مَقَـالاً يَسِيرُ وَأَنْتَ أَكْرَمُ مِنْ بِلالِ(٣)
أَدَامَ لَكَ ٱلْعُلىٰ وَٱلنَّصْرَ مَوْلىً إِلَيْـهِ في حِرَاسَتِكَ ٱبْتِهـالي

٨٢

وقال يخاطب صديقاً له

يَا غَابِراً(٤) وَجَـدَ ٱلنَّدٰى قَيْداً(٥) فَمـا أَرْجُو قُفُولَـهْ
إِنْ كُنْتَ مِنِّي في بُلُو غِكَ مَا أَرَدْتَ أَدَقَّ حِيلَـهْ
لاَ كَانَ رَأْيُكَ ذَا ٱلصَّحِيـ ـحُ وَلَا مَوَدَّتُكَ ٱلْعَلِيلَـهْ

(١) فأهجر (ل)
(٢) فردوني بما يأتي حديثاً ستروى ... (ع) و (م)
(٣) غَـيْلان : هو ذو الرُّمَّة الشاعر . وبلال : هو ابن أبي بُردة . انظر الحاشية رقم (٥) ص (٤٦٤)
(٤) يا عارياً (ع) و (م)
(٥) فنداً فما أرجو فتوله (ل)

فَمَتىٰ أَرَدْتَ بِصَاحِبٍ ضِدَّ ٱلنَّجَاحِ فَكُنْ رَسُولَهْ
وَمَتىٰ بَغَيْتَ[1] ضَلالَهُ يَوْماً فَكُنْ أَيْضاً دَلِيلَهْ
لَصَدَدْتَ عَمَّا رُمْتُهُ صَدَّ ٱلذَّلِيلِ[2] عَنِ ٱلْحَلِيلَهْ
وَتَطَلُّبِي مِنْكَ ٱلْمَنا بَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُسْتَحِيلَهْ
وَأَظُنُّهُ مُسْتَنْبَطاً مَنْ قَوْلِ دِمْنَةَ أَوْ كَلِيلَهْ
هِيَ قِصَّةٌ أَعْرَبْتَ فِيها عَنْ سَجِيَّتِكَ ٱلْبَخِيلَهْ
وَلَقَدْ نَزَلْتَ بِحَضْرَةٍ مِنْ كُلِّ نَائِبَةٍ مُزِيلَهْ
يَشْتَاقُنِي إِنْعَامُهَا وَٱلْمَطْلُ يَمْنَعُنِي سَبِيلَهْ
إِنْ أَغْضَبَتْ ذَا ٱلدَّيْنِ مَا طِلَةٌ فَقَدْ أَرْضَتْ وَكِيلَهْ
فَكَتَبْتَ تَذْكُرُ مَا أَنَا لَتْ مِنْ مَوَاهِبِهَا ٱلْجَزِيلَهْ
فَأَتىٰ كِتَابُكَ شَاهِداً لَكَ فِي ٱلْكِتَابَةِ وَٱلْفَضِيلَهْ
لَوْلَا عِبَارَتُكَ ٱلْقَبِيـ حَةُ عَنْ زِيَارَتِكَ ٱلْجَمِيلَهْ
يَمَّمْتُهَا فِي حَالَةٍ يَنْسىٰ ٱلْخَلِيلُ بِهَا خَلِيلَهْ
وَهَرَبْتُ مِنْ شَظَفِ ٱلْمَعَا شِ إِلىٰ ٱلتَّنَعُّمِ وَٱلرَّبِيلَهْ[4]

---

(١) بلغت (ع) و (م)
(٢) الحليل (ل)
(٣) الفصيحة (ل)
(٤) الربيلة : الخفض والنعمة .

مَنْ حَلَّ فِي ذَاكَ ٱلْجَنَا ... بِ سَلاَ عَنِ ٱلدِّمَنِ ٱلْمُحِيلَهْ

وَكَفَاكَ فَخْراً مَوْقِفٌ ... تَأْبَىٰ نَبَاهَتُهُ خُمُولَهْ

وَمَدِيحُ مَنْ عَشِقَ ٱلثَّنَا ... ءَ فَأَدْرَكَ ٱلرَّاجِيهِ سُولَهْ

بِغَرَائِبِ ٱلشِّعْرِ ٱلَّذِي ... حَظُّ ٱلْمَسَامِعِ أَنْ تَطُولَهْ[1]

فَقَرٌ يَحُلُّ أَبُو عُبَا[2] ... دَةَ دُونَهَا وَتَفُوقُ قِيلَهْ

أَصْبَحْتُ أُنْبَذُ بِٱلْعَرَا ... ءِ وَأَنْتَ تَرْتَعُ فِي ٱلْخَمِيلَهْ

إِنْ جَادَكَ ٱلْغَيْثُ ٱلْهَطُو ... لُ فَإِنَّنِي رَاجٍ سُيُولَهْ

يَفْدِي أَبَا ٱلْحَسَنِ[3] ٱلْكِرَا ... مُ فَلَمْ أَجِدْ فِيهِمْ عَدِيلَهْ

أَنْدَاهُمُ فِي عَامِ[4] مَسْـ ... ـغَبَةٍ وَأَكْرَمُهُمْ قَبِيلَهْ

مَنْ تَخِفُّ إِلَىٰ ٱلْمَحَا ... مِدِ وَهْيَ إِنْ حُمِلَتْ ثَقِيلَهْ

وَسَحَابَةٌ لِلطَّالِبِيـ ... ـنَ سِوَايَ صَادِقَةُ ٱلْمَخِيلَهْ

وَلَوَ ٱنَّهَا بِٱلْعَدْلِ تَقْـ ... ـضِي كُنْتُ أَقْوَاهُمْ وَسِيلَهْ

* * *

(١) أن تقوله (ع) و (م)

(٢) أبو عبادة : هو الوليد بن عبيد البحتري الشاعر المشهور .

(٣) أبو الحسن : لعله القاضي عين الدولة أبو الحسن محمد بن عبد الله قاضي صور . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٣٩٦)

(٤) يوم (ع) و (م)

٨٣

وقال يمدح سابق [١] بن محمود

أَمَا وَهَوىً عَصَيْتُ لَهُ[٢] الْعَواذِلْ ... لَقَدْ أَسْمَعْتَ نُصْحَكَ غَيْرَ قَابِلْ

وَما سَمْعِي إِلى الْعُــذَّالِ مُصْغٍ ... وَلاَ قَلْبِي عَنِ الْأَحْبابِ ذَاهِلْ

وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تُنْكِرْ وُقُوفِي ... عَلَى طَلَلٍ بِذَاتِ الضَّالِ[٣] ماثِلْ

أَأَجْحَدُ رَبْعَ رَيَّى وَهْوَ عافٍ ... زَماناً مَرَّ فِيـــهِ وَهْوَ آهِلْ

وَما أَعْطَى الصَّبابَةَ ما اسْتَحَقَّتْ ... عَلَيْهِ وَلاَ قَضَى حَقَّ الْمَنازِلْ

مُلاَحِظُهــا بِعَيْنٍ غَيْرِ عَبْرَى ... وَزَائِرُهــا بِجِسْمٍ غَيْرِ ناحِلْ

يُمَيِّلُنِي إِلى وَطَنِي هَنَـــاتٌ [٤] ... جَرَتْ ما بَيْنَ عَلْمِيَةٍ [٥] وَدَاعِلْ

وَأَذْكُرُ دَائِماً ثَمَرَاتِ عَيْشٍ ... جُنِينَ بِدَيْرِ قانُونٍ وَآبِلْ [٦]

---

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٥٠)

(٢) به (ل)

(٣) الضَّال : السِّدْر البري .

(٤) هَنات : أشياء .

(٥) عَلَمَّة (ل) وعلمية : وتدعى اليوم (عَلما) قرية في حوران من أعمال خربة الغزالة تبعد عنها أربعة كيلومترات . وهناك قرية تابعة للقنيطرة اسمها علمين بينها ستة وثلاثون كيلومتراً . وداعل : قرية من أعمال خربة الغزالة أيضاً بينهما ستة كيلومترات .

(٦) دير قانون : قرية تابعة للزبداني بينهما ثلاثة وعشرون كيلومتراً . وآبل : هي آبل السوق وهي قرية تسمى اليوم سوق وادي بردى تابعة للزبداني على مسافة ثمانية عشر كيلومتراً منها . واسمها القديم أبيلا كما في قاموس الكتاب المقدس .

تَهِيجُ بَلَابِلِي نَغَمُ ٱلْأَغَانِي ... مُجَاوِبَةً لِأَصْوَاتِ ٱلْبَلَابِلْ
لَيَالِيَ لِي إِلَى مَا أَشْتَهِيهِ ... تَلَطُّفُ وَارِشٍ وَهُجُومُ وَاغِلْ (١)
وَمَحْمُودَاتُهَا أَتْبَاعُ أَمْرِي ... وَمَذْمُومَاتُهَا عَنِّي غَوَافِلْ
وَكَمْ قَطَعَ ٱلظَّلَامَ بِغَيْرِ وَعْدٍ (٢) ... غَزَالٌ دَأْبُهُ قَطْعُ ٱلْحَبَائِلِ
بِرَاحٍ بَاتَ يَمْزُجُهَا بِرِيقٍ ... كَفَاهَا ٱلْمَزْجَ بِٱلْعَذْبِ ٱلسَّلَاسِلْ (٣)
وَأَشْرَبَهَا عَلَى ظَمَأٍ فَأَرْوَى (٤) ... كَرُمْحِ ٱلْخَطِّ يَرْوَى وَهْوَ ذَابِلْ
وَلَمَّا رَاحَتِ ٱلْأَظْعَانُ بَاحَتْ ... بِمَا نُخْفِي مَدَامِعُنَا ٱلْهَوَامِلْ
وَقَفْنَا وَٱلْإِشَارَةُ ثَمَّ رُسْلٌ ... مُعَبِّرَةٌ وَأَدْمُعُنَا ٱلرَّسَائِلْ
فَعَقْرًا لِلرِّكَابِ غَدَاةَ وَلَّتْ ... بِنُزَّالِ ٱلْحِمَى تَطْوِي ٱلْمَرَاحِلْ (٥)
فَقَدْ حَمَلَتْ جَمَالًا وَٱعْتِدَالًا ... تُجِنُّهُمَا ٱلْبَرَاقِعُ وَٱلْغَلَائِلْ
لِمُفْعَمَةٍ بُيُوتَ ٱلْحَيِّ طِيبًا ... وَمُفْعَمَةِ ٱلْأَسَاوِرِ وَٱلْخَلَاخِلْ
وَمُفْرَدَةٍ وَمَا وَضَعَتْ حَبِيبًا ... كَمَا ٱنْفَرَدَتْ عَنِ ٱلسِّرْبِ ٱلْخَوَاذِلْ

(١) الوارش: الداخل على القوم في طعامهم ليصيب منه من غير أن يدعى. والواغل: مثله ولكن على الشراب.

(٢) وغل (ع) و (م).

(٣) السَّلاسِل: الماء العذب البارد.

(٤) فأذوي (ل) فأودي (ع) و (م) ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٥) المنازل (ل)

تَفَرَّدُ بِٱلتَّعَتُّبِ وَٱلتَّجَنِّي ... وَتَذْهَبُ بِٱلْمَحَاسِنِ وَٱلشَّمَائِلْ
تَرُوقُ ٱلْعَيْنَ رَاضِيَةً وَغَضْبَى ... وَتُصْبِي ٱلْقَلْبَ حَالِيَةً وَعَاطِلْ
مُذِيبَةَ مُهْجَتِي طَالَ ٱقْتِضَائِي ... عِدَاتِكِ وَٱلْغَرِيمُ بِهَا مُمَاطِلْ
أُمَنَّى بِٱنْعِطَافِكِ وَهْوَ غَالٍ ... وَأُمْنَى بِٱنْحِرَافِكِ وَهْوَ غَائِلْ [1]
لَقَدْ أَنْفَقْتُ فِي ٱلصَّبَوَاتِ عُمْرِي ... وَكُنْتُ كَبَائِعٍ حَقًّا بِبَاطِلْ
إِلَى أَنْ ثَابَ رَأْيٌ ضَلَّ [2] حِينًا ... فَعُدْتُ إِلَى ٱلْفُرُوضِ مِنَ [3] ٱلنَّوَافِلْ
وَزَارَتْ آلَ مِرْدَاسٍ رِكَابِي ... فَأَغْنَتْنِي ٱلْبِحَارُ عَنِ ٱلْجَدَاوِلْ
وَكُنْتُ أَذُمُّ آمَالاً نَحَتْ بِي ... مَمَالِكَ لَمْ أَفُزْ فِيهَا بِطَائِلْ
بِحَيْثُ أَبُو سَلَامَةَ لَمْ يَجُدْهَا ... وَنَصْرٌ بَعْدَهُ وَأَبُو ٱلْفَضَائِلْ [4]
مُلُوكٌ أَمَّنُوا خَيْلِي وَرَجْلِي [5] ... مُكَابَدَةَ ٱلْهَوَاجِرِ وَٱلْهَوَاجِلْ [6]
وَأَمْضَوْا فِي ٱلَّذِي يَحْوُونَ حُكْمِي ... فَفُزْتُ بِعَاجِلٍ مِنْهُ وَآجِلْ

---

(١) عائل (ع) و (م)
(٢) ظل (ع) و (م)
(٣) عن (ع) و (م)
(٤) أبو سلامة : كنية محمود بن نصر بن صالح . انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦) ونصر : ابنه . انظر الحاشيـة رقم (٢) ص (٩١) . وأبو الفضائل كنية سابق .
(٥) ورحلي (م) . والرَّجْل : جمع راجل وهو خلاف الفارس .
(٦) الهواجل : جمع هَوْجَل وهي المفازة البعيدة التي ليست بها أعلام .

مَكارِمُ مُبْتَغِيهـــا مِنْ سِوَاهُمْ كَباغِي ٱلرِّسْلِ مِنْ أَخْلاَفِ حائِلْ(١)
زَرَوْا كَرَماً عَلَى مَنْ عاصَرُوهُ وَإِقْدَاماً وَأَزْرَوْا بِٱلْأَوَائِلْ
وَثالِثُهُمْ وَإِنْ عَزُّوا وَجادُوا أَمَرُّ عَدَاوَةً وَأَعَمُّ نـــائِلْ
أَظَلَّتْهُ نَوَائِبُ لَمْ تَنُبْهُمْ فَقارَعَهـــا بِرَأْيٍ غَيْرِ فائِلْ
وَفَلَّ شَبا ٱلْمَوَاضِي بِٱلْمَوَاضِي وَلاَقَى بِٱلزَّرافاتِ ٱلْجَحَـــافِلْ
مَوَاقِفُ تَشْخَصُ ٱلْأَبْصارُ مِنْها وَتَعْيا عَنْ إِبانَتِهـــا ٱلْمَقاوِلْ
وَما خَرِسَتْ بِها ٱلْأَبْطالُ حَتَّى تَـكَلَّمَتِ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلصَّوَاهِلْ
حُرُوبٌ لَمْ تَـكُنْ لِبَنِي بَغِيضٍ وَلاَ عُزِيَتْ إِلَى أَبْناءِ وَائِلْ (٢)
وَفُرْسانٍ تَحِنُّ إِلَى رَدَاهـــا حَنِينَ ٱلْهائِماتِ (٣) إِلَى ٱلْمَناهِلْ
وَشَرَّدَها إِبـــاءٌ سابِقِيٌّ تَعِزُّ بِهِ ٱلْعَقـــائِلُ وَٱلْمَعاقِلْ
ثَناهـــا عَنْ مَطامِعِها هُمامٌ لَهُ بِٱلنَّصْرِ رَبُّ ٱلْعَرْشِ كافِلْ
وَما غَمَدَ ٱلظُّبَى حَتَّى أَزَالَتْ جِبالاً لاَ تُحَرِّكُها ٱلزَّلاَزِلْ

---

(١) الرِّسْلُ : اللبن .

(٢) يريد ببني بغيض : عَبْساً وذُبْيان . وفي حروبهم يقول زهير بن أبي سلمى :

تداركتما عبساً وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر مَنْشِمِ

وأبناء وائل : بكر وتغلب وكانت بينهما حروب طويلة .

(٣) الحائمات (ل)

وكانَ يُزيرُها فِي كُلِّ عامٍ عِرَاباً شُزَّباً قُبَّ ٱلْأَيَاطِلْ
لها نَظَرُ ٱلْأَجادِلِ إِذْ تُخَلَّى (١) وَعِنْدَ ٱلْأَرْضِ (٢) أَجْنِحَةُ ٱلْأَجادِلْ
إِذَا نَزَعَ ٱلْوَجِيفُ ٱللَّحْمَ عَنْها كَساها ما تُثِيرُ مِنَ ٱلْقَساطِلْ
وَإِنْ عَضَّتْ شَكائِمَها وَطاحَتْ أَتاحَتْ (٣) لِلْعِدى عَضَّ ٱلْأَنامِلْ
وَقَلَّتِ ٱلْمُدافِعَ وَٱلْمُحامِي وَكَثَّرَتِ ٱلْأَيامى وَٱلثَّواكِلْ
وَكَمْ عَضَدَ ٱلرِّماحَ وَمُشْرِعِيها بِعَزْمٍ (٤) كانَ أَعْرَفَ بِٱلْمَقاتِلْ
هُمامٌ خَوَّفَ ٱلْأَيَّامَ حَتَّى سَعَتْ أَيَّامُها (٥) فِيما يُحاوِلْ
وَمَلْكٌ لاَ يُنازَعُ فِي مَعالٍ لَهُ ٱلْآياتُ مِنْها وَٱلدَّلائِلْ
يَعِزُّ جِوارُهُ وَٱلْخَوْفُ فاشٍ وَيُخْصِبُ جارُهُ وَٱلْعامُ ماحِلْ
وَرُبَّ صَوارِمٍ تَلِدُ ٱلْمَنايا وَتُلْفى بَعْدَ ما وَلَدَتْ حَوامِلْ (٦)
كَيُمْناهُ (٧) ٱلَّتِي تَهْمِي نَوالاً يَعُمُّ ٱلْخَلْقَ طُرّاً وَهْيَ حافِلْ
إِذَا سِيمَ ٱلْغِنى رَوَّى ٱلْأَماني وَإِنْ شَهِدَ ٱلْوَغى رَوَّى ٱلْمَناصِلْ

---

(١) تجلى (ع) و (م)
(٢) كذا في جميع النسخ ولعل الصواب : (وعند الركض)
(٣) أباحت (ع) و (م)
(٤) برأي (ل)
(٥) لعله (أيامه)
(٦) حوافل (ع) و (م)
(٧) كتمناه ؟ (ع) و (م)

خِلَالٌ فِي ٱلْعَطَايَا وَٱلرَّزَايَا ... بِهَا عُدِمَ ٱلْمُسَاجِلُ وَٱلْمُشَاكِلْ

تُنَزِّهُهُ ٱلْحَمِيَّةُ حِينَ يُعْصَى ... فَيَعْرُوهُ ٱلتَّطَوُّلُ وَهْوَ صَائِلْ

وَلَوْلَا (١) رَأْيُهُ فِي ٱلْعَفْوِ كَانَتْ ... أَيَادِيهِ كَأَنْعُمِهِ كَوَامِلْ

يَجُورُ عَلَى ٱلَّذِي تَحْوِي (٢) يَدَاهُ ... وَيَحْكُمُ فِي ٱلرَّعَايَا حُكْمَ عَادِلْ

وَيَلْبَسُ مِنْ سَجَايَاهُ ثِيَابًا ... عَلَى ٱلْجَوْزَاءِ مُرْخَاةَ ٱلذَّلَاذِلْ

لَهَا أَرَجٌ تَضَوَّعَ مِنْ نَدَاهُ ... وَمِنْ نُوَّارِهَا أَرَجُ ٱلْخَمَائِلْ

نَصِيَّةُ (٣) أُسْرَةٍ وَلِبَانُ بَيْتٍ ... بِهِ ٱفْتَخَرَتْ كِلَابُ عَلَى ٱلْقَبَائِلْ

لِأَمْلَاكِ ٱلْعَوَاصِمِ مِنْهُ بَيْتٌ ... يَفُوزُ بِشَطْرِهِ أَمْلَاكُ بَابِلْ

فَزُرْهُ عَائِلًا أَوْ مُسْتَفِيدًا ... وَجَاوِدْ مَنْ أَرَدْتَ بِهِ وَفَاضِلْ

مَنَاقِبُ لَوْ تَنَالُ ٱلشَّمْسُ أَدْنَى ... مَدَاهَا مَا دَنَتْ مِنْهَا ٱلْأَصَائِلْ

تَعَالَمَهَا جَمِيعُ ٱلنَّاسِ حَتَّى ... تَسَاوَى عَالِمٌ فِيهَا وَجَاهِلْ

جَمَعْتَ تَوَثُّبَ (٤) ٱلْأَسَدِ ٱلْمَنِيعِ ٱلْـ ... حِمَى بِرَكَانَةِ ٱلْمَلِكِ ٱلْحُلَاحِلْ

وَمِنْ تَحْتِ ٱلسَّكِينَةِ بَحْرُ عِلْمٍ ... بِهِ عُرِفَ ٱلْمُنَاظِرُ وَٱلْمُجَادِلْ

---

(١) فلولا (ل)
(٢) وهبت (ل)
(٣) بضبة أسرة ولبان ؟ (ع) لضبة ؟ (م)
(٤) تربث . (ع) و (م)

مَقالٌ تَعجِزُ ٱلْبُلَغَاءِ عَنْهُ كَعجْزِ ٱلْمَدْحِ عَمَّا أَنْتَ فاعِلْ
يَطُولُ وَتُفْقَدُ ٱلسَّقَطَاتُ فِيهِ كَفقْدِ ٱلرَّاءِ فِي أَقْوالِ وَاصِلْ[١]
سَلَكْتَ إِلىٰ ٱلثَّنَاءِ بِلاَ دَلِيلٍ سَبِيلاً مَا تَقَدَّمَ فِيهِ سَائِلْ
وَعِندِي مِنْهُ ثَاوٍ مُسْتَظِلٌّ بِظِلِّكَ وَهْوَ فِي ٱلْآفاقِ جَائِلْ
وَمَا تَنفَكُّ[٢] تَزْدَادُ ٱلْمَعَالِي بِهِ شَرَفًا وَتَزْدَانُ ٱلْمَحَافِلْ
تَعَدَّى كُلَّ مَنْ يُرْجِى[٣] نَدَاهُ وَمَيَّلَهُ ٱلْفُرَاتُ عَنِ[٤] ٱلتَّمَائِلْ[٥]
فَلَيْسَ يَزُورُ إِلاَّ مَنْ كَفَانِي تَوَدُّدَ مُعْرِضٍ وَسُؤَالَ بَاخِلْ
بَقِيتَ مُمَلَّكاً تُرْجَى وَتُخْشَى وَلاَ غَالَتْ مَسَاعِيكَ ٱلْغَوَائِلْ
وَلاَ عَدِمَتْ بِلادُكَ مَنْ كَفَاها تَغَطْرُسَ جَائِرٍ وَوُثُوبَ خَاتِلْ
يَزُولُ ٱلْفِطْرُ وَٱلْأَضْحىٰ جَمِيعاً إِلىٰ حِينٍ وَمُلْكُكَ غَيْرُ زَائِلْ
وَحَدُّكَ فِي ٱلنَّوَائِبِ غَيْرُ نَابٍ وَنَجْمُكَ فِي ٱلسَّعَادَةِ غَيْرُ آفِلْ

* * *

(١) واصل بن عطاء رأس المعتزلة كان يلثغ بالراء فتجنبها طول حياته .
(٢) وما ينفك (ع) و (م)
(٣) يرجو (ع) و (م)
(٤) الى (ع) و (م)
(٥) في الأصل (التمايل) وهو تصحيف .

٨٤

وقال [١] يمدحه ويرثي نصراً [٢]

أَبَى ٱلدَّهْرُ إِلاَّ أَنْ تَقُولَ وَتَفْعَلا ... لِتَصْفَحَ عَنْ جُرْمِ ٱلزَّمَانِ ٱلَّذي خَلا

وَمِنْ قَبْلُ عَادَاكُمْ لِقَهْرِكُمُ لَهُ ... فَلَمَّا رَآهَا فُرْصَةً مَا تَمَهَّلا

وَرَدَّ إِلَيْكَ ٱلْأَمْرَ وَٱلنَّهْيَ رَاغِماً ... وَلَوْ أَنَّهُ أَلْفَى بَدِيلاً تَبَدَّلا

فَمَا ذَمُّهُ إِذْ نَالَ بَعْضَ تِرَاتِهِ [٣] ... وَمَا حَمْدُهُ إِذْ لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَعْدِلا

فَلاَ تُنْكِرِ [٤] ٱلْحُسَّادُ أَنْ حُزْتَ يَافِعاً ... مَحَلاً لَهُ فِي ٱلْمَهْدِ كُنْتَ مُؤَهَّلا

فَصَدَّقْتَ مَنْ سَمَّاكَ مِنْ قَبْلُ سَابِقاً ... بِكَوْنِكَ سَبَّاقاً إِلَى رُتَبِ ٱلْعُلا

تَكَدَّرَ [٥] مَاءُ ٱلْعَيْشِ لَحْظَةَ نَاظِرٍ ... فَلَمَّا حَوَيْتَ ٱلْمُلْكَ عَاوَدَ سَلْسَلا

فَلِلَّهِ مَفْقُودٌ عَزِيزٌ مُصَابُهُ ... عَرَاهُ مُلِمٌّ لَمْ يَجِدْ مِنْهُ مَوْئِلا

أَتَاهُ وَحِيًّا حَتْفُهُ كَهِبَاتِهِ ... وَإِنْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ أَوْحَى وَأَعْجَلا

فَمِنْ قَبْلِهِ لَمْ تَنْشَ [٦] فِي ٱلْأَرْضِ دِيمَةٌ ... تَسُحُّ وَلاَ لاَقَى ٱلْغَمَامُ مُبَخَّلا

---

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : (وقال أيضاً يمدحه رحمه الله) .

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٣) تراثه (ع) و (م)

(٤) فلا ينكر (ل)

(٥) يكدر (ع) و (م)

(٦) لم تبق (ع) و (م)

وَعَهْدِي بِأَثْمارِ ٱلْأَمانِيِّ تُجْتَنَى ... لَدَيْهِ وَأَبْكارِ ٱلْمَحامِدِ تُجْتَلا

سَأَذْكُرُهُ ما عِشْتُ لا ذِكْرَ عاتِبٍ ... كَذِكْرِ ٱمْرِئِ ٱلْقَيْسِ ٱلدَّخُولَ فَحَوْمَلا (١)

وَإِنْ بَلِيَتْ أَوْصالُهُ وَعِظامُهُ ... فَعِنْدِي ثَناءٌ لا يُلِمُّ بِهِ ٱلْبِلا

وَلَوْ كانَتِ ٱلْأَقْدارُ تُرْدَعُ بِٱلْأَسَى ... وَتُقْدَعُ (٢) كانَ ٱلصَّبْرُ أَوْلَى وَأَجْمَلا

وَكَيْفَ وَلَيْسَ ٱلْحُزْنُ إِلَّا عُلالَةً ... يَعِيشُ بِها (٣) ٱلْغَمْرُ ٱلْجَهُولُ تَعَلُّلا

وَما ٱلنَّاسُ إِلَّا آمِنٌ مِثْلُ خائِفٍ ... وَدانٍ كَقاصٍ أَوْ مُعافًى كَمُبْتَلا

وَلَمْ نَرَ خَطْباً نالَ مِنَّا فَأَعْقَبَتْ ... إِساءَتُهُ نُعْمَى وَجارَ لِيَعْدِلا

وَلا حادِثاً راعَ ٱلْقُلُوبَ ظُهُورُهُ ... عَبُوساً وَفِي حالِ ٱلْعُبُوسِ تَهَلَّلا

أَرادَ شَقاءً فَٱسْتَحالَ سَعادَةً ... وَرامَ قَبِيحاً حِينَ صالَ فَأَجْمَلا

لَئِنْ أَخَذَ ٱلْمِقْدارُ وَهْوَ مُحَكَّمٌ ... عَظِيماً لَقَدْ أَعْطَى عَظِيماً وَأَجْزَلا

عَدا وَٱبْتَغَى مِنْهُ بَدِيلاً فَما عَدا ... هُماماً مُعِمّاً فِي ٱلنَّباهَةِ مُخْوِلا (٤)

مَناسِبُ فَنَّاخُسْرُ مِنْها وَصالِحٌ ... بِها فَلْيَطُلْ مَنْ طالَ وَلْيَعْلُ مَنْ عَلا (٥)

---

(١) يشير بذلك إلى قول امريء القيس بن حجر الكندي :

قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخولِ فحَومَلِ

(٢) في الأصل (وتقذع)

(٣) في مختارات البارودي (به)

(٤) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٥) فنّاخسرو هو عضد الدولة البويهي وهو من أجداد سابق لأمه وذلك ان أم سابق بنت الملك العزيز بن جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة . وصالح بن مرداس جد سابق لأبيه . انظر الحاشية رقم (٧) ص (٢٤٤)

سَخِطْنا فَلَمَّا قُمْتَ فينا مَقامَهُ وَزِدْتَ رَضِينا أَنْ تُقِيمَ وَيَرْحَلا
وَرَاعَ الأَعادِي أَنَّهُ المُلْكُ عَنْ يَدٍ إِلى أُخْتِها وَهْيَ اليَمِينُ تَنَقَّلا [1]
وَجَدْتُ بَهاءَ الدَّوْلَةِ المَلْكَ لَمْ يَزَلْ لَهُ العَزْمُ حَدًّا وَالتَّصَوُّرُ صَيْقَلا [2]
هُوَ الدَّاءُ أَعْيا النَّاسَ طُرًّا دَوَاؤُهُ فَلَوْ غَيْرُهُ كانَ الطَّبِيبَ لَأَعْضَلا
أَذَلَّ عَصِيَّ الخَطْبِ بَعْدَ جِماحِهِ إِلى أَنْ أَتى مِمَّا جَنى مُتَنَصِّلا
رَآهُ بِعَيْنِ الفِكْرِ قَبْلَ وُقُوعِهِ فَصادَفَ مِنْهُ قُلَّبَ الرَّأْيِ حُوَّلا
إِلى أَنْ أَقَرَّ الأَمْرَ في مُسْتَقَرِّهِ فَأَمَّنَ ما يُخْشى وَأَرْخَصَ ماغَلا
وَأَصْفا كَهُ عَفْواً وَلَمْ يُطِعِ الهَوى لِمَيْلٍ وَلَمْ يَعْصِ الكِتابَ المُنَزَّلا
أَبانَ لَنا عَنْ هِمَّةٍ عَضُدِيَّةٍ كَفى حَدُّها بِيضَ الظُّبى أَنْ تُسَلَّلا
وَذَكَّرَنا أَسْلافَهُ بِمَضائِهِ وَإِنْ كانَ أَوْفى في النُّفُوسِ وَأَمْثَلا
وَمَا جُحِدَتْ عَلْياؤُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ أَتى حادِثٌ أَنْسى القَدِيمَ وَأَذْهَلا
تَمِيدُ بِمَنْ يَعْصِيكَ أَرْضٌ تَحُلُّها وَإِنْ لَمْ تُثِرْ فِيها جِيادُكَ قَسْطَلا
وَعَجْزُهُمُ عَنْ أَنْ يُراعَ بِحَدِّهِمْ كَعَجْزِ الصَّبا عَنْ أَنْ تُحَرِّكَ يَذْبُلا [3]
وَظَنُّوا حِمى نَصْرٍ يُباحُ بِمَوْتِهِ وَأَلْفَوْهُ ظَنًّا بِالْبَوارِ مُوَكَّلا

(١) ترحّلا (ل)
(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٣) يَذْبُل : جبل بنجد .

وَوَارِثُهُ مَنْ سَدَّدَ اللهُ سَهْمَهُ ... فما إنْ رمى إلاَّ وَصَادَفَ مَقْتَلا

لَقَدْ فَتَحُوا بَابَ الْعُقُوقِ جهالَةً ... وَمَازَالَ بالإِغْضَاءِ وَالصَّفْحِ مُقْفَلا[1]

بَنِي عَامِرٍ لا تَمْتَطُوا الْبَغْيَ ضِلَّةً ... فَلَمْ يَعْلُهُ الْمَغْرُورُ إِلاَّ لِيَسْفُلا

وَإِنْ[2] نُتِجَتْ أُمُّ الْمَخَافَةِ فِيكُمُ ... فَلاَ تَأْمَنُوهَا أَنْ تُعَاوِدَ[3] مُمْغِلا

وَلاَ تَتْبَعُوا الأَهْوَاءَ فَهْيَ مُضِلَّةٌ ... وَإِنْ سَوَّفَ الشَّيْطَانُ فِيهَا وَسَوَّلا

وَلاَ تَقْتَفُوا مَنْ جَارَ عَنْ مَنْهَجِ الْهُدَى ... فَأَدْمَى يَداً مِنْ حَقِّهَا أَنْ تُقَبَّلا

وَكُونُوا كَأَشْيَاخٍ لَكُمْ غَالَهَا الرَّدَى ... تَرَى الْمَوْتَ مِنْ نَقْضِ الْمَوَاثِيقِ أَسْهَلا

فَفِي آلِ ذُبْيَانٍ وَأَبْنَاءِ وَائِلٍ[4] ... مَوَاعِظُ لاَ تَخْفَى عَلَى مَنْ تَأَمَّلا

أَعَلُّوا صَحِيحَ الرَّأْيِ وَاتَّبَعُوا الْهَوَى ... فَأَيْتَمَ مِنْهُمْ كَيْفَ شَاءَ وَأَرْمَلا

وَقَدْ حَدَثَتْ فِي الأَرْضِ وَالأَمْرُ وَاضِحٌ ... نَوَائِبُ تَنْهَاكُمْ عَنِ الْهَجْرِ وَالْقِلا

أُذَكِّرُكُمْ ذِكْرَ الصَّدِيقِ صَدِيقَهُ ... وَأُكْبِرُكُمْ عَنْ أَنْ أَلُومَ وَأَعْذُلا

وَلاَ أَجْرَحُ الأَعْرَاضَ ضَنّاً بِوُدِّكُمْ ... وَيَحْسُنُ فِيهِ أَنْ أَضَنَّ وَأَبْخَلا

---

(١) هذا البيت ساقط من (م)

(٢) هذا البيت وعشرة أبيات بعده لم ترد في (ل)

(٣) في الأصل (يعاود)

(٤) يشير بذلك إلى الحروب التي وقعت بين عبس وذبيان وإلى حروب بكر وتغلب . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٤٧٥)

فَلاَ تَرْضَ يَا عِزَّ ٱلْمُلُوكِ بِذُلِّهِمْ ... وَأَنْ يَرِدُوا مِنْ غَيْرِ بَحْرِكَ مَنْهَلا
وَصِنْوَاكَ لاَ تَعْصِ ٱبْنَ عَمِّكَ مِنْهُمَا ... وَكُنْ غَيْرَ مَأْمُورٍ إِلَىٰ ٱلسِّلْمِ أَمْيَلا (١)
فَمَا رَضِيَا بِٱلْبُعْدِ عَنْكَ زَهَادَةً ... وَلاَ ٱبْتَغَيَا مَا عَزَّ إِلاَّ تَذَلُّلا
وَهَلْ طَلَبَا ٱلْإِنْصَافَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ... وَهَلْ أَوْعَرَا (٢) فِي ٱلسَّوْمِ إِلاَّ لِيُسْهِلا
وَإِنْ بَانَ وَثَّابٌ (٣) فَمَا ضَيْفُ مُسْلِمٍ (٤) ... كَمَنْ شَطَّ عَنْ بَحْرٍ وَيَمَّمَ جَدْوَلا
وَلٰكِنَّ مَثْوًى فِي ٱلسَّمَاءِ نَبَا بِهِ ... فَعُوِّضَ فِي أُفْقٍ نَشَا مِنْهُ مَعْقِلا
فَأَكْرِمْ بِمَنْ جَابَ ٱلْمَهَامِهَ مُرْسَلاً ... إِلَيْكَ وَأَكْرِمْ بِٱبْنِ بَدْرَانَ مُرْسِلا (٥)
سَلِيلُ مُلُوكٍ أَقْسَمَتْ مَأْثُرَاتُهُمْ ... بِأَنْ لاَ يَكُونَ ٱلْمَدْحُ فِيهِمْ تَقَوُّلا
تُمَاثِلُ أَنْوَارَ ٱلْبُدُورِ أَهِلَّةً ... وَتَعْدُو كَمَا تَعْدُو ٱلضَّرَاغِمُ أَشْبُلا
وَكُلٌّ مَنِيعُ ٱلْجَارِ وَٱلْعِرْضِ وَٱلْحِمَىٰ ... يَفُوقُ ٱلْوَرَىٰ فَضْلاً وَيُرْبِي تَفَضُّلا
دَعَاكَ إِلَىٰ مَا يُكْسِبُ ٱلْحَمْدَ مُحْسِناً ... وَحَثَّ عَلَىٰ مَا يَجْمَعُ ٱلشَّمْلَ مُجْمِلا
وَخَصَّكَ فِيهِ بِٱلسُّؤَالِ كَرَامَةً ... وَمَا إِنْ بَرَاهُ ٱللهُ إِلاَّ لِيُسْأَلا

---

(١) في الأصل (أمثلا) ولعل الصواب ما أثبتناه .

(٢) اعورا في السلم ؟ (م)

(٣) وثّاب : هو أخو الممدوح سابق بن محمود .
« ابن الأثير ج ١٠ ص ٣٩ »

(٤) مسلم : هو شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي صاحب الموصل .
« ابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤ »

(٥) ابن بدران : هو شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران صاحب الموصل .

بِدَوْلَتِكَ ٱزْدَادَ ٱلزَّمَانُ نَضَارَةً فَلاَ بَرِحَتْ سِتْراً عَلَى ٱلدَّهْرِ مُسْبَلا

وَأَمَّنْتَ مُرْتاعاً وَأَرْهَبْتَ مُرْهِباً[١] وَأَنْصَفْتَ مَظْلُوماً وَأَغْنَيْتَ مُرْمِلا

فَضَائِلُ أَعْلاهَا أَبُوهَا فَلَمْ يَدَعْ لِذِي شَرَفٍ فِيهَا وَإِنْ عَزَّ مَدْخَلا

وَأَعْرَبَ[٢] عَنْ إِجْمَالِهِ بِجَمَالِهِ فَصَدَّقَ تَأْمِيلاً وَرَاقَ تَأَمُّلا

لَكَ ٱلْعَزْمُ لَا يَنْبُو إِذَا كَلَّتِ ٱلظُّبَى تُضَافِرُهُ[٣] ٱلْبِيضُ ٱلَّتِي لَنْ تُفَلَّلا

تُرَوِّعُ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا وَمِنْ بَعْدِهِ تَفْرِي ٱلْمَفَارِقَ وَٱلطُّلَى

وَخَطِّيَّةٌ مَازَالَ غَضّاً حَدِيثُهَا إِذَا شَهِدَتْ حَرْباً وَإِنْ كُنَّ ذُبَّلا

بِأَيْدٍ لَهَا أَيْدٌ تُبَرِّحُ[٤] بِٱلْعِدَى إِذَاصَارَتِ ٱلْأَيْدِي مِنَ ٱلرُّعْبِ أَرْجُلا

مِنَ ٱلْقَوْمِ حَلُّوا بِٱلْقُصُورِ فَشَيَّدُوا عُلاً أَسَّسُوهَا إِذْ هُمُ سَاكِنُو ٱلْفَلا

فَدَانُوا بِدِينِ ٱلنَّاسِ وَٱتَّخَذُوا ٱلنَّدَى كِتاباً بِتَصْدِيقِ ٱلْأَمَانِيِّ أُنْزِلا[٥]

فَمِنْ نِعَمٍ مَوْهُوبَةٍ لِعُفَاتِهِمْ وَمِنْ نَعَمٍ مَأْكُولَةٍ وَهْيَ فِي ٱلْكَلا

تَرُدُّ ٱلرَّدَى عَنْهَا ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْقَنَا وَتُودِي[٦] بِهَا إِنْ هَبَّتِ ٱلرِّيحُ شَمْأَلا

---

(١) مرهفا (ع) و (م)

(٢) وأغرب (ع) و (م)

(٣) تظافره (ل)

(٤) تبرج (ع) و (م)

(٥) نُزِّلا (ل)

(٦) ونودي لها ؟ (ع) و (م)

ذَوُو ٱلنَّارِ تُغْشَى لِلإِضاءَةِ وَٱلْقِرَى ... وَتَثْنِي ٱلْعِدَى عَنْها لَظىً لَيْسَ تُصْطَلا [1]

صَفَوْا وَٱصْطَفَوْا خَيْرَ ٱلْخُؤُولَةِ نَخْوَةً ... فَمـــا وَلَدُوا إِلاَّ مَخُوفاً مُؤَمَّلا

وَيَفْضُلُ تالِيكُمْ عَلَى مَنْ يَؤُمُّهُ ... فَمَنْ[2] جاءَ مِنْـكُمْ آخِراً عُدَّ أَوَّلا

لِيَهْنِكَ عِيدٌ أَنْتَ عِصْمَةُ أَهْلِهِ ... فَلاَ خابَ مِنْـكُمْ مَنْ دَعا وَتَبَهَّلا

يُقَصِّرُ قَوْلِي دُونَ ما أَنْتَ فاعِلٌ ... وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أُوتِيتُ قَوْلاً وَمِقْوَلا

فَخُذْ جُمْلَةً مِنْ وَصْفِ مَدْحِكَ سُطِّرَتْ ... وَلاَ تُلْزِمَنِّي مُعْيِياً[3] أَنْ أُفَصِّلا[4]

وَما جِئْتُ مَحْمُوداً وَنَصْراً[5] بِمِثْلِها ... لَعَمْرُكَ إِلاَّ فَضَّلاَها وَأَفْضَلا

وَلَوْ تَرَكا لِي بُغْيَةً أَسْتَزِيدُها ... لَـكُنْتَ بِهادُونَ[6] ٱلْوَرَى مُتَـكَفِّلا

وَتِـلْكَ ٱلْعَطايا مِنْ تُراثِكَ حُزْتَها ... وَما نَقَصَتْ عَنْ بُغْيَـتِي فَتُـكَمِّلا[7]

وَلاَ ٱلظُّلْمُ مِنْ شَأْنِي فَأَطْلُبَ آجِلاً ... وَقَدْ نِلْتُ أَقْصَى ما رَجَوْتُ مُعَجَّلا

---

(١) في الأصل (يُصطلا)

(٢) فما جاء ... (م)

(٣) معتباً (ل)

(٤) أفصّــلا (ع) و (م)

(٥) محمود : والد الممدوح . ونصر : أخوه . انظر الحـــاشية رقم (١) ص (٢٦) والحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٦) لـكنت بها دون الأنام مكفّــلا (ل)

(٧) متكملا (ل)

مَوَاهِبُ يَسْبِقْنَ ٱلسُّؤَالَ سَجِيَّةً   وَضَنّاً بِرَاجِيهِنَّ أَنْ يَتَوَسَّلا
تَخَالَفَ أَهْلُ ٱلْأَرْضِ فِيَّ وَفِيهِما   وَقَدْ أَسْرَفَا فِيما أَفادَا [١] وَخَوَّلا
فَقالَ أُناسٌ شاعِرُ ٱلْعَصْرِ نالَ مِنْ   أَشَفِّ ٱلْمُلُوكِ فَوقَ ما كانَ أَمَّلا
وَقالَ أُناسٌ إِنَّهـــا شَنُّ غارَةٍ   وَإِنِّي إِلَى مَدْحَيْهِما قُدْتُ جَحْفَلا
وَما قُدْتُ إِلَّا شُرَّداً عَزَّ مَرُّها   عَلَى بَلَدٍ لَمْ تَتَّخِذْ فِيهِ مَنْزِلا
تُحَلَّى بِها ٱلْأَمْلاكُ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ   وَإِنْ نُظِمَتْ فِيكُمْ فَأَنْتُمْ لَهَا حُلا
نَهَتْها عُلاكُمْ أَنْ تَبَدَّلَ غَيْرَكُمْ   وَآمَنَها إِنْعامُكُمْ أَنْ تَبَذَّلا
سَأُثْنِي بِما أَوْلاهُ أَبْناءُ صالِحٍ [٢]   بِجَهْدِي فَأَمَّا أَنْ أُكافِيَهُمْ فَلا

٨٥

وقال أيضاً يمدح الوزير أبا [٣] محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوزي

إِباؤُكَ لِلْمَجْدِ أَنْ يُبْتَذَلْ   أَصارَ لَكَ ٱلنَّاسَ [٤] طُرّاً خَوَلْ
وَآزَرَكَ ٱلرَّأْيُ مـــا إِنْ يَفِيـ   ـلُ وَضافَرَكَ [٥] ٱلْعَزْمُ ما إِنْ يُفَلّ

(١) في الأصل (أفاد)
(٢) هو صالح بن مرداس جد بني مرداس أصحاب حلب . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)
(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)
(٤) الخلق (ل)
(٥) وظافرك (ل)

فَلَمْ تَتْرِكْ حِصَّةً فِي ٱلثَّنَـــاءِ تُسَامُ وَلاَ فُرْصَـــةً تُبْتَذَلْ (١)
عُلًى فَضَّتِ ٱلْخَلْقَ عَنْ نَهْجِهَا فَأَفْضَتْ إِلَى رُتْبَةٍ لَمْ تُنَلْ
وَمَا هِيَ مِنْ رُتَبَاتِ ٱلْوَرَى فَهَلْ زُحَلٌ لَكَ عَنْهَا زَحَلْ
لَقَدْ كَفَلَتْ بِٱلْغِنَى وَٱلتَّوَى يَدٌ فِي ٱلنَّدَى وَٱلرَّدَى لَمْ تَطُلْ (٢)
يَدٌ كُلَّمَا فَتَكَتْ بِٱلنُّضَا رِ قَالَ ٱلرَّجَاءُ لَهَـــا لاَ شَلَلْ
تَرَى بَذْلَهُ بِيَسِيرِ ٱلسُّؤَالِ وَتَمْنَعُهُ (٣) مِنْ نِصَالِ ٱلْأَسَلْ
إِذَا قَبَّلَ ٱلنَّاسُ رَاحَ ٱلْمُلُوكِ وَقَاهَـــا تَرَى قَدَمَيْكَ ٱلْقُبَلْ
وَحُقَّ ٱلْجَلاَلُ لِرَبِّ ٱلْخِلاَلِ غَذَاهَا (٤) ٱلْحِجَى وَعَدَاهَا ٱلْخَلَلْ
فَمَشْرُوعُ إِنْصَـــافِهِ لاَ يَمِيلُ وَمَسْمُوعُ أَوْصَافِهِ لاَ يُمَلّْ (٥)
يُعَفِّي عَلَى مَنْ عَفَا أَوْ كَفَى وَيُوفِي عَلَى مَنْ وَفَى أَوْ عَدَلْ
وَيَشْرَهُ فِي ٱلْعَفْوِ عَنْ قُدْرَةٍ وَيَـكْرَهُ سَبْقَ ٱلْحُسَامِ ٱلْعَذَلْ
مَنِيعُ ٱلْجَنَابِ إِذَا ٱلدَّهْرُ صَالَ سَرِيعُ ٱلْجَوَابِ إِذَا ٱلسَّيْفُ صَلّْ
مَدِيدُ ٱلظِّلاَلِ سَدِيدُ ٱلْمَقَالِ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ بَعِيدُ ٱلْمَحَلّْ

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعلها (تُهْتَبَل)
(٢) كذا في جميع النسخ والأظهر أن تكون (تَكِلّْ)
(٣) ويمنعه (ع) و (م)
(٤) غذاها (م)
(٥) لم يرد هذا البيت في (ل)

مَحَلٌّ يَقِي[١] بِالنَّدٰى الْمَحْلَ عَنْهُ حَيا مُزْنِهِ ما وَنٰى مُذْ هَطَلْ
فَما ارْتَحَلَ الْمَجْدُ مُذْ حَلَّهُ وَلاَ انْفَصَلَ الْحَمْدُ مُنْذُ اتَّصَلْ
وَلاَ جاوَزَ[٢] الذَّمُّ فِيهِ الثَّنا وَلاَ[٣] ذَعَرَ النَّاسُ عَنْهُ الأَمَلْ
تَخَيَّرَ ذُو الْعَرْشِ لِلْمُسْلِمِينَ غِياثًا كَفٰى الدِّينَ أَنْ يُبْتَذَلْ
يُحِلُّونَهُ بِسَوادِ الْقُلُو بِ ضَنًّا بِهِ عَنْ سَوادِ الْمُقَلْ
رَعَاهُمْ بِطَرْفٍ كَثِيرِ الرُّنُوِّ وَقَلْبٍ مِنَ اللهِ جَمِّ الْوَجَلْ
فَمُذْ بَاتَ يَحْرُسُهُمْ لَمْ يَنَمْ وَمُذْ ظَلَّ يَكْلَؤُهُمْ مَا غَفَلْ
كَثِيرُ الأَناةِ وَإِنْ لَمْ تَزَلْ عَطاياهُ مَخْلُوقَةً مِنْ عَجَلْ
مَكارِمُ لَوْ لَمْ تُحَلَّلْ لَدَيْكَ لَدامَتْ مَحارِمَ لاَ تُسْتَحَلّْ[٤]
وَلَمَّا عَمَمْتَ بِها السَّائِلِيـ ـنَ عَادَتْ تَطَلَّبُ مَنْ لَمْ يَسَلْ
وَأَنْزَرُهَا كَالأَتِيِّ اسْتَمَدَّ وَأَيْسَرُهَا كَالْغَمامِ اسْتَهَلّْ
أَتاكَ هَوَاهَا أَمَامَ اللِّبانِ[٥] لِذَلِكَ لَمْ تَبْغِ عَنْها حِوَلْ

---

(١) محا آنفا بالندى ... (ل)
(٢) كذا في جميع النسخ . ولعلها (ولاِ جاوَرَ ...)
(٣) ولا دَعَرَ ... (ل)
(٤) لا يستحل (ل)
(٥) الليان (ع) و (م)

وَوَاصَلْتَهـا وَصْلَ[1] ذِي صَبْوَةٍ عَزِيزِ ٱلسُّلُوِّ عَسِيرِ ٱلْمَلَلْ
فَيَامَنْ مَرَامِيهِ لَا تُنْتَحَى وَيَامَنْ مَسَاعِيهِ لَا تُنْتَحَلْ
وَيَا عَلَمَ ٱلْمَجْدِ قَاضِي ٱلْقُضَاةِ وَيَا سَيِّدَ ٱلْوُزَرَاءِ ٱلْأَجَلّْ
لَأَنْتَ عَلَى طِيبِ أَصْلٍ نَمَا كَ مِنْ كُلِّ شَاهِدِ عَدْلٍ أَدَلّْ
وَمَا زِلْتَ فِي طُرُقَاتِ ٱلْعَلَاءِ[2] تَدُلُّ عَلَيْهَا وَمَا إِنْ تُدَلّْ
كَفَاكَ ٱلْخِدَاعَ أَوَانَ ٱلْقِرَا عِ عَزْمٌ يَقُدُّ إِذَا ٱلْعَضْبُ كَلّْ
عُرِفْتَ بِهِ وَكَذَاكَ ٱلْأُسُو دُ بِٱلْحَوْلِ تَفْعَلُ لَا بِٱلْحِيَلْ
سَطَوْتَ عَلَى ٱلدَّهْرِ لَمَّا ٱعْتَدَى وَقَدْ كَانَ ذَا مَيَلٍ فَٱعْتَدَلْ
فَخَوْفُكَ فِي صَدْرِهِ مَاثِلٌ وَأَمْرُكَ فِي صَرْفِهِ مُمْتَثَلْ
وَجَرَّدْتَ رَأْيَكَ قَبْلَ ٱلسُّيُوفِ فَأَغْنَى[3] مَوَاضِيَهَا أَنْ تُسَلّْ
وَأَعْمَلْتَهُ وَأَطَّرَحْتَ ٱلرِّمَاحَ لِمَا فِي عَوَامِلِهَا مِنْ خَطَلْ
إِذَا قَصُرَتْ دَرَجُ ٱلْمُرْتَقِينَ فَإِنَّكَ ذُو ٱلدَّرَجَاتِ ٱلطُّوَلْ
وَإِنَّ ٱلْإِمَامَ مَعَدّاً[4] رَآ كَ خَيْرَ مُعَدٍّ لِأَمْرٍ جَلَلْ
فَقَلَّدَكَ ٱلْحُكْمَ فِي مُلْكِهِ كَمَا قُلِّدَ ٱلْمَشْرَفِيَّ ٱلْبَطَلْ

---

(١) وهي ؟ (ل)
(٢) العلى (م)
(٣) فأرضى مراضيها أن تسل ؟ (ل)
(٤) مَعَدّ : هو المستنصر بالله . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٢٨٣)

فَمَنْ ذَا لِذَنْبِكَ عَنْهُ ٱسْتَقَلّ[1] وَمَنْ ذَا بِعِبْئِكَ فِيهِ ٱسْتَقَلّْ

وَأَتْحَفْتَهُ بِحُسَامِ ٱلْفُتُوحِ فَعاضَكَ ما ٱجْتَابَهُ مِنْ حُلَلْ

فُتُوحٌ أَتَتْ وَٱلْقَنا لَمْ يَرِمْ[2] مَرَاكِزَهُ وَٱلظُّبَى فِي ٱلْخِلَلْ

أَنَخْتَ[3] بِصَنْهاجَةَ[4] ٱلنَّائِباتِ فَفَاتَ زَعِيمَهُمُ ما أَمَلْ

فَمِنْ عُصَبٍ عَصَبَتْها ٱلْحُرُوبُ وَمِنْ ثُلَلٍ قَدْ مَحاها ٱلثَّلَلْ[5]

وَكانَ يُسَمَّى مُعِزّاً[6] فَمُذْ تَحَدَّيْتَهُ[7] صارَ يُدْعَى مُذَلّْ

فَما يَأْمُلَنْ[8] فَرَجاً بِٱلْبِعادِ طَرِيدُكَ مُسْتَضْعَفٌ حَيْثُ حَلّْ

وَلَوْ أَقْلَعَ ٱلْخَوْفُ عَنْهُ ٱهْتَدَى وَلٰكِنَّهُ زادَ رُعْباً فَضَلّْ

وَخَوْفُ حُذَيْفَةَ[9] عَمَّى عَلَيْهِ بِٱلْجَفْرِ ما لَمْ يَغِبْ عَنْ حَمَلْ

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعله (استقرّ)

(٢) لم ترم (ع) و (م)

(٣) في الأصل (أبحت) والأظهر ما أثبتناه .

(٤) لصنهاجة (ل)

(٥) الثَّلَل : الهلاك .

(٦) هو المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب . « انظر الاشارة ص ٤١ وابن خلكان ج ٢ ص ١٣٧ »

(٧) تحدينه (ع) و (م)

(٨) فلا تأمنن فرحاً ... (ل)

(٩) حُذَيْفة وحَمَل : ابنا بدر الفزاريّان قتلهما قيس بن زهير العبسي يوم جَفْر الهباءة . انظر شرح الحماسة للتبريزي ص ٩٦ ومعجم البلدان مادة (الهباءة)

وَلَوْ أَمَّ بابَكَ مُسْتَعْصِماً ... بِهِ صانَ مِنْ مُلْكِهِ ما بَذَلْ

مَمالِكُ (١) أَسْلَمَها رَبُّها ... وَفَرَّ (٢) فَظَلَّتْ (٣) كَشاءٍ هَمَلْ

تَخَطَّفَها كلُّ لَيْثٍ أَزَبَّ ... وَدانَ بِها كُلُّ سِمْعٍ أَزَلّْ

إِذَا رَامَ رَيَّ (٤) كُعُوبِ الْقَنا ... ةِ لَمْ تَثْنِهِ كاعِبٌ ذاتُ دَلّْ

أَعارِيبُ مُذْ صِرْتَ رِدْءاً لَها ... شَفَتْ مِنْ عِدى الْحَقِّ كُلَّ الْغُلَلْ

وَلَمَّا خَشِيتَ عَلَيْها الْخِلافَ ... وَما اخْتَلَفَ الْعِزُّ إِلَّا انْتَقَلْ

أَبَيْتَ لِأَعْناقِها أَنْ تُغَلَّ (٥) ... وَصُنْتَ غَنائِمَها أَنْ تُغَلّْ (٦)

وَأَرْسَلْتَ فِيهِمْ أَمِيناً كَفاكَ ... فَقَسَّمَ بِالْعَدْلِ ذاكَ النَّفَلْ

وَجابَ إِلى أَنْ أَجابَ الصَّرِيخَ (٧) ... مَهامِهَ مَنْ دَلَّ فِيها أَضَلّْ

مَفاوِزَ لَوْ أَمَّها الشَّنْفَرى (٨) ... عَلَى عِلْمِهِ بِالسُّرى ما وَأَلْ

(١) فمالك ؟ (ع) و (م)

(٢) وقر (ع) و (م)

(٣) فظل (م)

(٤) ربى ؟ (ع) و (م)

(٥) ان تذل (ع) و (م)

(٦) غلّ الشيء : أخذه في خفية ودسه في متاعه .

(٧) الصريح (ل)

(٨) الشّنْفرى : عمرو بن مالك الأزدي شاعر جاهلي كان من فُتّاك العرب وعدّائيهم وهو صاحب لامية العرب .

مَضَى مُعْلِناً بِشِعارِ ٱلْإِمامِ وَرَاياتِهِ فِي مَحَلٍّ مَحَلْ
يُؤَيِّدُهُ جَدُّكَ (١) ٱلْمُتَّقى وَيَعْضُدُهُ جَدُّكَ ٱلْمُقْتَبَلْ
إِلى أَنْ أَناخَ إِلى ٱلْقَيْرَوا (٢) نِ مِنْ بُزْلِهِ كُلَّ دَامِي ٱلْأَظَلّْ
فَقَضَّى ٱلْمَآرِبَ ما عاقَها شِماسٌ وَلاَ عاقَ عَنْها فَشَلْ
فَخَصَّ بِأَوْفَى ٱلْعَطِيَّاتِ مَنْ يُسَدِّدُ (٣) فِي غَزْوِهِ وَٱلْقَفَلْ
فَمَنْ لَمْ يُدِلْهُ ٱلْأَجَلُّ ٱلْمَكِيـ نُ مِنْ صَرْفِ أَيَّامِهِ لَمْ يُدَلْ
فَناقَضَ أَمْلاَكَ هٰذَا ٱلزَّمانِ بِما بَذَّ فِيهِ ٱلْمُلُوكَ ٱلْأُوَلْ
فَما ٱسْتَعْمَلُوا ٱلْغَدْرَ إِلاَّ وَفَى وَلاَ أَعْمَلُوا ٱلْفِكْرَ إِلاَّ ٱرْتَجَلْ
وَلاَ بَرَّضُوا ٱلنَّيْلَ إِلاَّ أَفاضَ وَلاَ مَرَّضُوا ٱلْقَوْلَ إِلاَّ فَعَلْ
إِذَا أَمْرَعُوا فُقْتَهُمْ فِي ٱلْمُحُولِ وَإِنْ أَسْرَعُوا (٤) فُتَّهُمْ بِٱلْمَهَلْ
فَهُمْ مَرَهٌ فِي عُيُونِ ٱلْعُلَى وَإِنَّكَ (٥) وَٱبْنَيْكَ فِيها كَحَلْ
شَبِيهُكَ (٦) فِي ٱلْعَهْدِ ما إِنْ يَحُو لُ يَوْماً وَفِي ٱلْعَقْدِ ما إِنْ يُحَلّْ

(١) جدك (ل)
(٢) القيروان : مدينة عظيمة بإفريقية مُصِّرت في أيام معاوية رضي الله عنه . « معجم البلدان » والأَظَلُّ : باطن المَنْسِم .
(٣) تسدد (ل)
(٤) وإن أعجلوا (ل)
(٥) وأنت وابنيك ؟ (ل)
(٦) كذا ولعلها (شبيهيك)

سَحابَيْ نَوالٍ زمانَ ٱلْجَدَا وَسَهْمَيْ نِضالٍ أَوانَ ٱلْجَدَلْ
فِداؤُهما كُلُّ مُرْخِي ٱلْإِزارِ جَلّى (١) أَبُوهُ وَلَمَّا يُصَلّْ
إِذَا عُدَّ فَخْرُ ٱلْأُصُولِ ٱعْتَزَى وَإِنْ عُدَّ فَخْرُ ٱلْفُرُوعِ ٱعْتَزَلْ
أَتَرْضَى مَعالِيكَ لِي أَنْ أُعَدَّ بَعْدَ ٱلنَّباهَةِ فِيمَنْ خَمَلْ
لَئِنْ جَلَّ ما خَوَّلَتْنِي لُهاكَ (٢) فَإِنَّ ٱلْكَرامَةَ (٢) عِنْدِي أَجَلّْ
فَضاعِفْ بِها كَمَدَ ٱلْحاسِدِينَ وَزِدْ (٣) فِي مَضاي تَزِدْهُمْ وَهَلْ
وَحُزْ مِدَحًا إِنْ سِواها ٱنْطَوَى بَدَتْ غُرَراً فِي وُجُوهِ ٱلدُّوَلْ
ثَناءٌ يَجُولُ بِأَقْصَى ٱلْبِلَادِ وَيُلْفَى مُقِيماً إِذَا ما رَحَلْ
وَلَا تُنْكِرَنَّ جِماحَ ٱلْمُنَى فَأَنْتَ مَدَدْتَ لَهَا فِي ٱلطِّوَلْ
وَلَمْ أَعْدُ قَدْرِي كَيْ لا يَكُو نَ ذَا أَمَلٍ طالَ حَتَّى أَمَلّْ
مَضَى ٱلصَّوْمُ مُحْتَقِباً مِنْ تُقا كَ أَحْسَنَ قَوْلٍ وَأَزْكَى عَمَلْ
وَعاوَدَكَ (٤) ٱلْعِيدُ يُثْنِي عَلَيْكَ فَدُمْتَ (٥) لَهُ زِينَةً مَا أَظَلّْ (٦)
وَقَدْ سَمِعَ ٱللّٰهُ فِيكَ ٱلدُّعَا ءَ مِمَّنْ دَعَا مُخْلِصاً وَٱبْتَهَلْ

---

(١) في الأصل (حلّى) وهو تصحيف .
(٢) نُهاك ، الكراهة ؟ (ل)
(٣) وزدني مضاء (ل)
(٤) وعاود والعبد (ع) و (م)
(٥) قدمت (ع)
(٦) ما أطل (ع) و (م)

وَلَا حُرِمَتْ سُؤْلَهَــــا أُمَّةٌ دَعَتْ لِلْأَجَلِّ بِطُولِ ٱلْأَجَلْ
كَفَىٰ ٱللّٰهُ مَجْدَكَ عَيْنَ ٱلْــكَمَالِ فَمَنْ نَالَ أَوْفَىٰ[1] مَدَاهُ كَمَلْ

٨٦

وقال أيضاً يمدحه

مَا نَرَىٰ لِلثَّنَـاءِ عَنْكَ عُدُولا لَمْ تَدَعْ[2] لِلْوَرَىٰ إِلَيْــهِ سَبِيلا
فَاْقْتَصِرْ مُنْعِماً عَلَىٰ جُمَلِ[3] ٱلْحَمْـ دِ فَإِنَّا لَا نُحْسِنُ ٱلتَّفْصِيلا
بَهَرَتْنَا صِفَـاتُ مَجْدِكَ حَتَّىٰ قَصَّرَ ٱلْوَاصِفُونَ عَنْهَا نُـكُولا
قَدْ وَهَبْتَ ٱلْغِنَىٰ بِـغَيْرِ سُؤَالٍ فَــأَعِرْنَا أَلْبَابَنَـــا مَسْؤُولا
مَعَ أَنَّ ٱلْأَفْعَالَ أَبْدَعْتَ فِيهَا غَيْرُ مُحْتَاجَــةٍ إِلَىٰ أَنْ تَقُولا[4]
وَضَحَتْ لِلْوَرَىٰ مَعَالِيكَ حَتَّىٰ مَا يَرُومُ ٱلْعِدَىٰ عَلَيْهَا دَلِيلا[5]
كُلَّ يَوْمٍ نَرَىٰ[6] وَنَسْمَعُ عَنْهَا فَعَلَاتٍ بِهَــا شُهُوداً عُدُولا
لَا يُخَامِرْكَ فِي بَقَائِكَ شَكٌّ حَسْبُكَ ٱلْعَدْلُ بِالْبَقَــاءِ كَفِيلا
فَاْسْتَدِمْهُ مُنَاقِضـاً كُلَّ مَلْكٍ مَنَعَ ٱلْجَوْرُ عُمْرَهُ أَنْ يَطُولا

(١) كذا في الأصل ولعلها (أدنى)
(٢) لم يدع (ع) و (م)
(٣) على سبل الحمد (ل)
(٤) لعلها (الى أن تقولا)
(٥) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٦) ترى وتسمع (ع) و (م)

شِدْتَ ذِكْراً عَلاَ السَّماءَ وَآلَى أَنَّهُ لاَ يَزُولُ حَتَّى تَزُولا
فَأَبْقَ لِلدِّينِ نَاصِراً وَلِأَهْلِيهِ غِيَاثاً وَلِلإِمَامِ خَلِيلا
كَفَّ لَمَّا اسْتُثِيبَ كَفَّ الْعَوَادِي[١] وَكَفَى الْمُمْحِلاَتِ لَمَّا اسْتُنِيلا
كُلَّمَا ازْدَدْتَ[٢] عِزَّةً وَاقْتِدَاراً زِدْتَ أَهْلَ الذُّنُوبِ صَفْحاً جَمِيلا
وَإِذَا مَا فَرَائِضُ الْمَجْدِ عَالَتْ حُزْتَ مِنْهُ فَرِيضَةً لَنْ تَعُولا[٣]
وَغَمَرْتَ الْمُسِيءَ جُوداً فَقُلْنَا مُسْتَقِيلاً أَتَاهُ أَوْ مُسْتَنِيلا
سُنَّةٌ أَغْرَبَ ابْتِدَاعُكَ فِيهَا لَمْ تَكُنْ فِي طَرِيقِهَا مَذْلُولا
وَلَئِنْ سُدْتَ كُلَّ مَنْ سَادَ فِي الدَّهْرِ فَبِالسُّؤْدُدِ الَّذِي مَا نِيلا
وَبِإِحْكَامِكَ النَّوَائِبَ قَسْراً وَبِأَحْكَامِكَ الَّتِي لَنْ تَمِيلا
عَنْ إِبَاءٍ سَبَقْتَ فِيهِ الْمُجَارِينَ وَعَدْلٍ عَدِمْتَ فِيهِ الْعَدِيلا
مَأْثُرَاتٌ أَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ[٤] التَّشْبِيهَ فِي وَصْفِهِنَّ وَالتَّمْثِيلا
لَوْ أُتِيحَتْ[٥] لِلأَوَّلِينَ لَكَانَتْ غُرَراً فِي صِفَاتِهِمْ لاَ حُجُولا
نَسَخَتْ ذِكْرَهُمْ كَمَا نَسَخَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ[٦] التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلا

---

(١) الأعادي ؟ (ع) و (م)
(٢) زدت (ل)
(٣) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٤) كذا ولعلها (أن نُدْخِلَ)
(٥) لو أبيحت (ع) و (م)
(٦) الكريم (ع) و (م)

فَٱعْذِرِ ٱلْجائِرِينَ عَنْها [1] ضَلالاً ... عُذْرَكَ ٱلْحائِرِينَ فِيهــا عُقُولا
وَجَدَتْ عِنْدَكَ ٱلْإِمامَةُ رَأْياً ... وارِياً زَنْدُهُ وَنَصْراً مُدِيلا
وَلَقَدْ رُقْتَهــا بِعِلْمٍ [2] وَحِلْمٍ ... يُوجِبانِ ٱلتَّعْظِيمَ وَٱلتَّبْجِيلا
فَأَحَلَّتْكَ [3] مِنْ هِضابِ ٱلْمَعالِي ... مَنْزِلاً ما وَجَدْتَ فِيهِ نَزِيلا
كانَ صَرْفُ ٱلزَّمانِ صَعْباً وَلٰكِنْ ... صارَ لَمَّا حَكَمْتَ فِيهِ ذَلُولا
بِقَضايا نَفَذْنَ [4] لَمَّا أَطَعْتَ ٱللّٰــ ... ـهَ فِيهِنَّ وَٱتَّبَعْتَ ٱلرَّسُولا
مُعْمِلاً كُلَّ بُكْرَةٍ وَأَصِيلٍ ... عَزْمَةً صَدْقَةً وَرَأْياً أَصِيلا
نَخْوَةٌ إِنْ عَدَتْ [5] أَذَلَّتْ عَزِيزاً ... وَإِذا أَنْجَدَتْ أَعَزَّتْ ذَلِيلا
وَإِذا ٱلرُّومُ لَمْ يَفُوزُوا بِأَنْ تَرْ ... ضَى فَأَجْدِرْ بِمُلْكِهِمْ أَنْ يَزُولا
وَمَتَى غُودِرُوا بِغَيْرِ أَمانٍ ... وَجَدُوا أَمْرَهُمْ وَبِيًّا وَبِيــلا
خَدَعَتْهُمْ [6] مَعاقِلٌ مَنَعَتْهُمْ ... مِثْلَ ما تَمْنَعُ ٱلْجِبالُ ٱلْوُعُولا
فَوْقَ تِلْكَ ٱلذُّرَى صَواعِقُ مِنْ عَزْ ... مِكَ تُضْحِي بِهــا كَثِيباً مَهِيلا

---

(١) عنا (ل)
(٢) بحلمٍ وعلمٍ (ل)
(٣) فأهلتك (ل)
(٤) يقدن (ل)
(٥) غدت (ع) و (م)
(٦) جدعتهم (ع) و (م)

لَيْسَ رِيحٌ هُبُوبُها يَقْطَعُ ٱلنَّسْـ ... لَ كَرِيحٍ تَطْغَى فَتَذْرُو ٱلْفِيلا

فَٱنْتَدِبْ لِلرُّبْدِ ٱلَّتِي تُنْكِرُ ٱلتَّهْلِيـ(١) ... لَ أُسْداً لاَ تَعْرِفُ ٱلتَّهْلِيلا (١)

غَنِيَتْ عَنْ أَظافِرٍ بِسُيُوفٍ ... وَقْعُها يَسْلُبُ ٱلنِّساءَ ٱلْبُعُولا

مِنْ نُصُولٍ مُنْذُ ٱخْتَضَبْنَ مِنَ ٱلْها ... مِ لَدَى ٱلرَّوْعِ ما شَكَوْنَ نُصُولا

كُلَّما شِمْتَها لِسَفْكِ ٱلدَّمِ ٱلْمَمْـ ... نُوعِ أَضْحَى بِحَدِّها مَطْلُولا (٢)

لاَ أَرَى ما يُوَلِّدُ ٱلضِّغْنَ عِزّاً ... إِنَّما ٱلعِزُّ ما يُمِيتُ ٱلذُّحُولا

وَلَعَمْرِي لَقَدْ مَدَدْتَ عَلَى ٱلإِسْـ ... لامِ وَٱلْمُسْلِمِينَ ظِلاًّ ظَلِيلا

ظَلْتَ (٣) سِتْراً عَلَيْهِمُ مَسْدُولا ... وَحُساماً مِنْ دُونِهِمْ مَسْلُولا

فَهُمُ (٤) ٱلْيَوْمَ فِي جِوارِكَ قَدْ عا ... وَدَ طَرْفُ ٱلزَّمانِ عَنْهُمْ كَلِيلا

فَرَأَوْا خَطْبَهُ ٱلْجَلِيلَ دَقِيقاً ... بَعْـدَ رُؤْياهُمُ ٱلدَّقِيقَ جَلِيلا

ما أَصاخُوا إِلَى وَعِيدِ ٱلْأَعادِي ... مُذْ أَناخُوا بِبابِكَ ٱلتَّأْمِيلا

قَصُرَتْ عِنْدَ آمِلِيكَ ٱللَّيالِي ... وَأَرَى لَيْلَ حاسِدِيكَ طَوِيلا

أَبقَتْ مِنْهُمُ ٱلْعُقُولُ وَأَبْقَتْ ... سَقَماً ظاهِراً وَهَمّاً دَخِيلا

---

(١) التهليل الأولى : قول لا إلـه إلا الله . والتهليل الثانية : الجبن والفرار .

(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٣) طلت (ل)

(٤) فهو (ع) و (م)

لاَ تَقَضَّى عِيدٌ وَلاَ عادَ إلاَّ كُنْتَ فِيهِ مُهَنَّأً مَقْبُولا

عِشْ لِمُلْكٍ قَدَعْتَ (١) عَنْهُ عِداهُ تارَةً قائِلاً وَطَوْراً فَعُولا

بالغِنَا في خَطِيرِهِ (٢) وَأَخِيهِ ذِي الْمَعالِي صَفِيِّهِ الْمَأمُولا

فَهُما الْأَشْرَفانِ قَدْراً وَأَفْعا لاً وَسِنْخاً وَوالِداً وَقَبِيلا

وصما (٣) لِلحُقُوقِ جُنَّةَ عَدْلٍ مَلأَتْ حَدَّ كُلِّ باغٍ فُلُولا

مُذْ تَأَسَّى فِينا بِعَدْلِهِما الْحُكَّا مُ لَمْ تُظْلَمِ الْأَنامُ فَتِيلا

أَوَلَيْسا مِنْ أُسْرَةٍ تُتْقِنُ التَّنْـ زِيلَ حِفْظاً وَتَعْلَمُ التَّأْوِيلا

الْكِرامِ الْأَعْراقِ طالُوا فُرُوعاً بِالتُّقَى وَالنُّهَى وَطابُوا أُصُولا

عُرِفُوا بِالْمَعْرُوفِ وَالْعُرْفِ شُبَّا ناً وَشِيباً وَصِبْيَةً وَكُهُولا

مُذْ جَرَوْا في إِزالَةِ الْجَوْرِ وَالْمُنْـ كَرِ جَرُّوا عَلَى السِّماكِ (٤) ذُيُولا

قَرَنُوا الْفَضْلَ بِالتَّفَضُّلِ عَفْواً وَأَضافُوا إِلَى الْجَمالِ الْجَمِيلا

حَيْثُ لا تَنْطَوِي الْقُلُوبُ (٥) عَلَى الْغِلِّ وَلاَ تَعْرِفُ الْأَكُفُّ الْغُلُولا

---

(١) في الأصل (قذعت)

(٢) خطير الملك وصفيّ الملك : ولدا الوزير اليازوري . انظر الحاشية رقم (٥) ص(١٩٥) وقد تصحفت الكلمة في (ع) و(م) الى (حطيرة)

(٣) كذا في (ع) و (م) ولعلها (وَضَنا) أي نسجا . والبيت كله لم يرد في (ل)

(٤) على السماء (ل)

(٥) الصدور (ل)

وَلأَنتُمْ فِينا الشُّمُوسُ أَقَامَتْ ... حِينَ غَابَتْ تِلْكَ النُّجُومُ أُفُولا

وَمَنِ اشْتَاقَ أَهْلَهُ فَاشْتِيَاقِي ... لَيْسَ يَعْدُو جَنابَكَ المَأْهُولا

حَيْثُ يَلْقَى[1] المُنَى مَقِيلاً وَمَنْ يُثْـ ... ـنِي مَقَالاً وَذُو العِثَارِ مُقِيلا

حَرَمٌ حَرَّمَ الرُّقَادَ عَلَى عَيْـ ... ـنَيَّ لَمَّا حُرِمْتُ فِيهِ المُثُولا

جِئْتُهُ لِلنَّوالِ لَمْ يَعْدُهُ ظَنِّي ... فَأَجْدَى التَّنْوِيهَ وَالتَّنْوِيلا

مَا كَفَاهُ إِزَالَةُ الفَقْرِ بِالثَّرْ ... وَةِ عَنِّي حَتَّى أَزَالَ الخُمُولا[2]

لَمْ يَزَلْ فِي جَزِيلِ جَدْوَاهُ حَتَّى ... فِضْتُ مِنْ بَعْضِهِ نَوَالاً جَزِيلا

كَالغَمَامِ الرُّكَامِ خَصَّ بِلاداً ... بِغُيُوثٍ فَعَمَّ أُخْرَى سُيُولا[3]

ثُمَّ أَنْشَأْتُ أَسْتَكِفُّ عَطَايَا ... كَ فَحَاوَلْتُ مَطْلَباً مُسْتَحِيلا

عَاذِلاً فِي النَّدَى وَلَمْ يُرَ قَبْلِي ... شَاعِرٌ صَارَ فِي السَّمَاحِ عَذُولا

كُلَّ يَوْمٍ تَزِيدُ[4] أَرْضِي مِنْ أُفْـ ... ـقِكَ غَيْثاً[4] بِمِثْلِهِ مَوْصُولا

مَكْرُمَاتٌ تَخِفُّ تَحْوِي مَعَ البُرْدِ[5] ... وَإِنْ كَانَ حَمْلُهُنَّ ثَقِيلا

وَلَوَ أَنِّي حَلَلْتُ بِالصِّينِ وَافَا ... نِي رَعِيلٌ مِنْهُنَّ يَتْلُو رَعِيلا

---

(١) كذا ولعله (تلقى)

(٢) الحمولا : (ع) و (م)

(٣) سبيلا (ع) و (م)

(٤) يزور ... غيث ... (ل)

(٥) مع الرّدِّ ... (ع) و (م)

فرُوَيْداً فَقَدْ تجَاوزَ حَظِّي مِنْ لُهَاكَ ٱلتَّتْمِيمَ وَٱلتَّكْمِيلا
وَلقَدْ عَاقَ عَنْ لقَائكَ خَطْبٌ لَيْتَهُ لَا يعُوقُ عَنْ أَنْ أَقُولا
عَارِضٌ صِرْتُ فِيهِ كَٱلصَّعْدَةِ ٱلسَّمْراءِ لَوْنًا وَدِقَّةً وَذُبُولا
فَلْتُبَلَّغْ مِصْرٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنَّنِي عَنْ وِدَادِهَا لَنْ أَحُولا
إِنْ أَعَلَّتْ جِسْماً صَحِيحاً فَأَوْهَتْهُ فَقَدْ صَحَّحَتْ رَجاءً عَلِيلا
وَعَدِمْتُ ٱلْحَيَاةَ إِنْ كُنْتُ أَرْضَى بِحَيَاتِي مِنْ أَنْ أَرَاكَ بَدِيلا[1]
وَسأُدْمِي أَخْفَافَهَا كُنْتُ مَعْذُوراً عَلَى مَا أَتَيْتُ أَوْ مَعْذُولا
رَاسِمَاتٍ لِلرَّامِسَاتِ يُنَاسِبْنَ[2] وَيُنْكِرْنَ شَدْقَماً وَجَدِيلا
مِنْ قِلَاصٍ تَرَى ٱلْبَعِيدَ قَرِيباً حِينَ تَنْحُوكَ وَٱلْحُزُونَ سُهُولا
مَنْ يَعُدَّ ٱلْإِيجَازَ فَضْلاً فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَعْشَقُ ٱلتَّطْوِيلا

٨٧

وقال يمدح فخر الدولة [3] نقيب نقباء الطالبيين

مَا كَانَ قَبْلَكَ فِي ٱلزَّمَانِ ٱلْخَالِي مَنْ يَسْبِقُ ٱلْأَقْوَالَ بِٱلْأَفْعَالِ
حَتَّى أَتَيْتَ مِنِ ٱرْتِيَاحِكَ مَاكَفَى ذُلَّ ٱلسُّؤَالِ وَخَيْبَةَ ٱلْآمَالِ

---

(١) لم يرد هذا البيت فى (ل)

(٢) يناسين (ع) و (م) . الرامسات : الرياح الدوافن للآثار . وشَدْقَم وَجَدِيل : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٥١)

لَمْ يَكْفِكَ الشَّرَفُ الَّذِي وُرِّثْتَهُ حَتَّى شَفَعْتَ مَعَالِيًا بِمَعَالِي
وَنَسَخْتَ سِيرَةَ آلِ بَرْمَكَ مُنْعِماً، فِي الشَّدِّ مَا عَفَّ عَلَى الْإِرْقَالِ
أَعْطَوْا مِنَ الْإِكْثَارِ وَالدُّنْيَا لَهُمْ دُونَ الَّذِي تُعْطِي مِنَ الْإِقْلَالِ
وَعَلَوْا بِأَنْ جَعَلُوا السُّؤَالَ وَسِيلَةً وَنَدَاكَ مُنْهَمِرٌ بِغَيْرِ سُؤَالِ
وَبِوَاجِبٍ أَنْ أَعْدَمَتْكَ مِنَ الْوَرَى مَثَلاً عُلًى بُنِيَتْ بِغَيْرِ مِثَالِ
حَامَيْتَ عَنْهَا بِالنَّزَاهَةِ وَالنَّدَى وَحَمَيْتَهَا بِالْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ
وَمَهَرْتَهَا بَأْساً وَجُوداً كَذَّبَا(١) فِيهَا مُنَى الْجُبَنَاءِ وَالْبُخَّالِ
حَاوَلْتَهَا قِدْماً وَكُلٌّ عَاشِقٌ وَبَلَغْتَ غَايَتَهَا وَكُلٌّ سَالِ
طُرُقَاتُهَا إِلاَّ لَدَيْكَ(٢) بَعِيدَةٌ وَمُهُورُهَا إِلاَّ عَلَيْكَ غَوَالِ
نَظَرُوا إِلَيْهَا مِنْ حَضِيضٍ هَابِطٍ وَأَتَيْتَهَا مِنْ مَرْقَبٍ مُتَعَالِ
وَحَرَسْتَ(٣) بِالْإِنْجَازِ وَالْإِيجَازِ مَا رَامُوهُ بِالْإِمْهَالِ وَالْإِهْمَالِ
وَلَوَ انَّهُمْ جَدُّوا وَجَدُّوا فَاتَهُمْ جَدٌّ عُرِفْتَ بِهِ وَجِدٌّ عَالِ
وَمَتَى يُحَاوِلُ أَهْلُ عَصْرِكَ(٤) ذَا الْمَدَى أَيْنَ الثِّمَادُ مِنَ الْحَيَا الْهَطَّالِ
أَجْزَلْتَ أَثْمَانَ الْمَدِيحِ وَزِدْتَهُ لَمَّا بَغَوْا حَمْداً بِغَيْرِ نَوَالِ

(١) أكذبا (ل)
(٢) إليك (ع) و (م)
(٣) كذا ولعلها (وحويت ...)
(٤) مصرك (ل)

فَإِذَا لَبِسْتَ مِنَ ٱلثَّنَاءِ مَلابِساً جُدُداً رَضُوا بِمَلاَبِسٍ أَسْمَالِ
وَإِذَا هُمُ لَمْ يَبْلُغُوا شَأْوَ ٱلْعُلَى عَدَلُوا إِلَىٰ ٱلْأَعْمامِ وَٱلْأَخْوَالِ
هُمْ ضَيَّعُوها ثُمَّ رَامُوا حِفْظَهَا مِنْ أَعْظُمٍ تَحْتَ ٱلتُّرَابِ بَوَالِ
خَصَّ ٱلْإِلٰهُ مُحَمَّداً مِنْ بَيْنِكُمْ لاَ زَالَ مَحْرُوساً بِأَكْرَمِ آلِ
وَبَرَاكُمُ مِنْ طِينَةٍ مِسْكِيَّةٍ لَمَّا بَرَى ذَا ٱلْخَلْقَ مِنْ صَلْصَالِ (١)
وَأَبُو ٱلرَّسُولِ لِجَدِّكُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ دُونِ إِخْوَتِهِ بِلاَ إِشْكَالِ
أَنَّىٰ يَكُونُ شَرِيكُهُ فِي عَمِّهِ كَشَرِيكِهِ فِي عَمِّهِ وَٱلْخَالِ (٢)
نَسَبٌ بَنُو ٱلْعَلاَّتِ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ وَبِذَاكَ تَقْضِي سُورَةُ ٱلْأَنْفَالِ (٣)
شَمَخَتْ (٤) بِفَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْهِمَمُ ٱلَّتِي حازَتْ مَدَى ٱلْإِعْظامِ وَٱلْإِجْلالِ
رَحْبُ ٱلْجَنابِ تَضَمَّنَتْ آلاَؤُهُ فَوْزَ ٱلْعُفَاةِ وَخَيْبَةَ ٱلْعُذَّالِ
فَإِذَا تُمَلُّ ٱلْمَكْرُمَاتُ فَعِنْدَهُ لَغَرَائِبُ ٱلْإِحْسانِ وَٱلْإِجْمالِ (٥)
وَصْلٌ بِغَيْرِ قَطِيعَةٍ وَرِضًى بِغَيْـ ـرِ تَسَخُّطٍ وَهَوًى بِغَيْرِ مَلاَلِ

(١) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٢) يريد أن ينقض بذلك قول مروان بن أبي حفصة في بني العباس :
أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وراثةُ الأعمامِ

(٣) إشارة إلى آخر آية في سورة الأنفال وهي (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم)

(٤) سمحت (ع) و (م)

(٥) لم يرد هذا البيت في (ل)

يَبْدُو فِرِنْدُ ٱلسَّيْفِ بَعْدَ صِقالِهِ ... وَفِرِنْدُهُ بادٍ بِغَيْرِ صِقالِ

وَحَياً لِصَيِّبِهِ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... أَثَرٌ يَعِيشُ بِهِ ٱلْهَشِيمُ ٱلْبالي

لاَ تَأْمَنُ ٱلْأَمْوالُ بَطْشَ هِباتِهِ ... هَلْ يَأْمَنُ ٱلْمَصْرُوفُ بَطْشَ ٱلْوَالي

كَمْ أَرْضَعَتْ أَمْلاَّكُنا إِجْرارَهُ[1] ... دَرَّ ٱلنَّوالِ وَلَمْ يُرَعْ بِفِصالِ

وَمُرِيدُها مِنْ غَيْرِهِ كَمُطالِبٍ ... عَيْرَ[2] ٱلْفَلاَةِ بِصَوْلَةِ ٱلرِّيبالِ

لٰكِنَّ خَيْرَ ٱلنَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَأَشَدَّهُمْ بَأْساً بِكُلِّ نِزالِ

بِكَ لاَ ٱنْطَوَتْ عَنَّا ظِلاَلُكَ أَنْجَزَتْ ... عِدَةُ ٱللَّيالي بَعْدَ طُولِ[3] مِطالِ

وَبِقُرْبِكَ ٱنْقَشَعَتْ غَمائِمُ لَمْ يَزَلْ ... ماءُ ٱلْحَيَاةِ بِهِنَّ غَيْرَ زُلاَلِ

فَٱلدَّهْرُ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَساوِي عاطِلٌ ... مُذْ ذُدْتَهُ وَبِذِي ٱلْمَحاسِنِ حالي[4]

كَمْ غَرَّتِ ٱلْآمالُ مِنْ تَكْذِيبِها ... فَأَعَرْتَها[5] فِي سائِماتِ ٱلْمالِ

وَسَبَقْتَ قَوْلَكَ بِٱلْفَعالِ وَلَمْ تَدَعْ ... شَرَفاً لِقَوَّالٍ وَلاَ فَعَّالِ

وَلَكَ ٱلْعَزائِمُ لاَ يَقُومُ مَقامَها ... ما فِي ٱلْبَسِيطَةِ مِنْ ظُبًى وَعَوالي

---

(١) احراره در السؤال ؟ (ل)

(٢) غير ؟ (ع) و (م)

(٣) بعد مطل مطال (ل)

(٤) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٥) فاتها من ؟ (ل)

وَمَنَائِحٌ كَسَبَتْ مَدَائِحَ هَدَّمَتْ ما شادَتِ ٱلْأَقْوالُ لِلْأَقْيالِ
فَٱفْخَرْ فَإِنَّكَ غُرَّةٌ فِي أُسْرَةٍ ذَهَبُوا بِكُلِّ نَباهَةٍ وَجَلالِ
تَتَزَلْزَلُ ٱلدُّنْيا إِذَا غَضِبُوا فَإِنْ بَلَغُوا ٱلرِّضٰى أَمِنَتْ مِنَ ٱلزِّلْزَالِ
نُزُلٌ عَلَى حُكْمِ ٱلرَّجاءِ وَأَهْلِهِ حَتّٰى إِذَا دَعَتِ ٱلْكُماةُ نَزالِ
سَبَقُوا ٱلسُّرُوجَ مُسارِعِينَ إِلى قِرٰى ذَيَّالَةٍ جَرْداءَ أَوْ ذَيَّالِ
حَتّٰى إِذَا طارَتْ بِهِمْ مُقْوَرَّةٌ (١) شَرُفَ ٱلْوَجِيهُ بِها (٢) وَذُو ٱلْعُقَّالِ
خَلَعُوا عَلَى ٱلْإِصْباحِ أَرْدِيَةَ ٱلدُّجٰى وَتَغَشْمَرُوا (٣) ٱلْأَهْوَالَ بِٱلْأَهْوَالِ
وَإِذَا ٱمْتَطَوْها فِي نِزَالٍ خِلْتَهُمْ آسادَ غابٍ فِي ظُهُورِ رِئالِ (٤)
ما أَوْرَدُوها قَطُّ إِلَّا أُصْدِرَتْ جَرْحٰى ٱلصُّدُورِ سَلِيمَةَ ٱلْأَكْفالِ
أُسْدٌ إِذَا صالُوا (٥) صُقُورٌ إِنْ عَلَوْا وَلَرُبَّما كَمَنُوا كُمُونَ صِلالِ
لُدٌّ إِذَا شُوسُ ٱلْكُماةِ تَجالَدُوا وَتَجادَلُوا بِٱلضَّرْبِ أَيَّ جِدالِ

---

(١) موقورةً (ل)

(٢) الوجيه : فرسان من خيل العرب نجيبان سميـا بذلك كانا لغني بن أعصُر . (تاج العروس) . وذو العُقّـال : من عتاق الخيل . انظر الحاشية رقم (٨) ص (٤٦٢)

(٣) تغشمره : أخذه قهراً .

(٤) الرِّئال : جمع رَأْل وهو ولد النعام وقيل حوليُّه .

(٥) ضاروا ؟ (ع) و (م)

لَا عِزَّ إِلَّا كَسْبُ أَبْيَضَ صارِمٍ ماضِي ٱلشَّبا أَوْ أَسْمَرٍ عَسَّالِ
لَا ما يُسَوِّلُهُ وَيُبْعِدُ نَيْلَهُ حِرْصُ ٱلْحَرِيصِ وَحِيلَةُ ٱلْمُحْتالِ
قَدْ سَدَّدَتْ عَزَماتُهُمْ أَرْماحَهُمْ حَتَّى عَرَفْنَ مَقَاتِلَ ٱلْأَقْيالِ
وَإِذَا ٱنْجَلَتْ عَنْهُمْ دَياجِيرُ ٱلْوَغَىٰ عَدَلُوا بِقَتْلِهِمُ إِلَى ٱلْأَمْوَالِ
فَلَهُمْ بِكُلِّ مَفازَةٍ مَرُّوا بِها آثارُ صَوْبِ ٱلْمُزْنِ فِي ٱلْإِمْحالِ
عَمْرِي لَقَدْ فاتُوا ٱلْأَنامَ وَفُتَّهُمْ فِي كُلِّ يَوْمِ نَدًى وَيَوْمِ نِضالِ
بِطَرائِقٍ أَبْطَلْتَ[1] مُذْ أَوْضَحْتَها لِلسَّالِكِينَ مَعاذِرَ ٱلضُّلَّالِ
أَلَّا ٱهْتَدَوْا بِكَ فِي ٱلْمَكارِمِ مِثْلَما هُدِيَ ٱلْوَرَىٰ بِأَبِيكَ بَعْدَ[2] ضَلالِ
ثَقُلَتْ وَإِنْ خَفَّتْ عَلَيْكَ فَأَصْبَحَتْ فِي ٱلْخافِقَيْنِ عَزِيزَةَ ٱلْحُمَّالِ
أَمَّا ٱلصِّيامُ فَقَدْ أَظَلَّكَ شَهْرُهُ مُسْتَعْصِماً بِذَراكَ غَيْرَ مُذالِ
كَمْ زارَ غَيْرَكَ وَهْوَ مُغْضٍ سادِمٌ وَأَتاكَ يَمْشِي مِشْيَةَ ٱلْمُخْتالِ
وَقَرْتَهُ لَمَّا أَتَىٰ وَإِذَا مَضَىٰ أَوْقَرْتَهُ مِنْ صالِحِ ٱلْأَعْمالِ
فَبَقِيتَ مَحْرُوسَ ٱلْفِناءِ مُهَنَّأً فِي سائِرِ ٱلْأَعْوامِ وَٱلْأَحْوالِ
مَا دامَ شَعْبانٌ يَجِيءُ أَمامَهُ أَبَداً وَمَا أَفْضَىٰ إِلَىٰ شَوَّالِ
لَا أَرْتَجِي خَلْقاً سِواكَ لِأَنَّنِي مَنْ لَا يَبِيعُ حَقِيقَةً بِمُحالِ

(١) أفضلت ؟ (ع) و (م)
(٢) أي ضلال ؟ (ل)

لَا دَرَّ دَرُّ مَطَامِعِي إِنْ نَكَّبَتْ بَحْراً وَأَفْضَتْ بِي إِلَىٰ أَوْشَالِ[1]

فَمَتَىٰ أَمُدُّ يَدِي إِلَىٰ طَلَبٍ وَقَدْ أَثْرَيْتُ مِنْ جَاهٍ لَدَيْكَ وَمَالِ

صَدَّقْتَ ظَنِّي فِيكَ ثُمَّتَ زِدْتَنِي مَا لَيْسَ يَخْطُرُ لِلرَّجَاءِ بِبَالِ

وَسَنَنْتَ لِي طُرُقَ ٱلثَّنَاءِ[2] بِأَنْعُمٍ وَاصَلْنَ بِٱلْغَدَوَاتِ وَٱلْآصَالِ

فَإِذَا ٱلْمَعَالِي أَعْجَزَتْ رُوَّادَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ تَطَلُّبٍ وَكَلَالِ

ذَلَّلْتَ جَامِحَهَا بِغَيْرِ شَكِيمَةٍ وَحَبَسْتَ شَارِدَهَا بِغَيْرِ عِقَالِ

إِلَّا بِإِهْدَائِي ٱلْمَدِيحَ لِحَضْرَةٍ[3] أَعْدَتْ غَرَائِبُ مَجْدِهَا أَقْوَالِي

فَجَلِيلُهَا مُتَعَالِمٌ وَدَقِيقُهَا قَدْ أَلْحَقَ ٱلْعُلَمَاءَ بِٱلْجُهَّالِ

جَادَتْ سَمَاؤُكَ لِي وَمَا ٱسْتَسْقَيْتُهَا بِٱلْغَيْثِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَوَالِ

وَسَرَحْتُ طَرْفِي فِي خِضَمٍّ مَاؤُهُ عَذْبٌ وَكَانَ مُوَكَّلاً بِٱلْآلِ

وَأَفَدْتَنِي أَنَّ ٱلْإِقَامَةَ لِلْفَتَىٰ ذُلٌّ وَأَنَّ ٱلْعِزَّ فِي ٱلتَّرْحَالِ

مِنْ بَعْدِ أَنْ كَلَّتْ وَذَلَّتْ إِذْ عَرَا[4] بَعْضُ ٱلْخُطُوبِ صَوَارِمِي وَرِجَالِي

وَلَقَدْ تَخَيَّرْتُ ٱلْمَوَاهِبَ مُغْرِباً[5] عَنْ وَصْلِ ذِي مِقَةٍ وَهِجْرَةِ قَالِ

---

(١) الأوشال (ل)

(٢) طرق الرجاء (ل)

(٣) بحضرةٍ (ع) و (م)

(٤) غزا (ع) أن عرا (ل)

(٥) مغربياً (ع)

فَبَغَيْتُ مِنْها مَا يُعَدُّ قَلائِداً وَصَدَفْتُ عَمَّا عُدَّ فِي ٱلْأَغْلالِ
أَوْضَحْتَ لِي نَهْجَ ٱلْقَرِيضِ بِنَائِلٍ رَخُصَتْ بِهِ فِقَرُ ٱلْكَلامِ ٱلْغَالِي
فَهْمِى عَلَيْكَ وَكَمْ بَغَاهُ مَعْشَرٌ لَمْ يَظْفَرُوا مِنْ بَحْرِهِ بِبِلَالِ (١)
أَغْنَيْتَنِي عَنْهُمْ كَمَا أَغْنىٰ ٱلْقَنَا عِنْدَ ٱلْكَرِيهَةِ عَنْ عِصِيِّ ٱلضَّالِ
وَلَطَالَمَا وَصَلَتْ يَدَيَّ (٢) صِلاتُهُمْ فَأَبَتْ يَمِينِي قَبْضَهَا وَشِمَالِي
وَأَرىٰ ٱلْقَوَافِيَ إِنْ أَتَتْ بِبَدائِعٍ فَٱلْحَمْدُ فِي إِبْدَاعِهَا لَكَ لَا لِي
لَا لَوْمَ يَلْزَمُها إِذَا قَصَرَتْ خُطىً مِنْ فَرْطِ ما حَمَلَتْ مِنَ ٱلْأَثْقَالِ
أَوْقَرْتَهَا مِنَناً فَأَوْسِعْ رَبَّهَا عُذْراً إِذَا جَاءَتْكَ غَيْرَ عِجَالِ
حَرَّمْتُهَا زَمَناً فَمُنْذُ خَطَبْتَهَا حَلَّلْتُها وَالسِّحْرُ غَيْرُ حَلالِ
وَكَأَنَّ مُهْدِيَها غَدَاةَ أَتىٰ بِهَا مَزَجَ ٱلشَّمُولَ بِبَارِدٍ سَلْسَالِ
مِنْ كُلِّ ثَاوِيَةٍ لَدَيْكَ مُقِيمَةٍ جَوَّالَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ كُلَّ (٣) مَجَالِ
وَكَثِيرَةِ ٱلْأَمْثَالِ إِلَّا أَنَّهَا فِي ذَا ٱلزَّمَانِ قَلِيلَةُ ٱلْأَمْثَالِ
لَمْ تُحْشَ (٤) حُوشِيَّ ٱلْكَلَامِ فَقَدْ أَتَتْ مَعْدُومَةَ ٱلْأَشْكَالِ وَٱلْإِشْكَالِ

(١) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٢) إليَّ (ع) و (م)
(٣) أيَّ مجال (ل)
(٤) في الأصل (لم تَحْشَ)

وَتَتِيهُ[١] إِدْلالاً وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ أَنْ تُوصَفَ ٱلْحَسْنَاءُ بِٱلْإِدْلَالِ
وَإِذَا أَتَىٰ غَيْرِي بِحَوْلِيَّاتِهِ أَرْبَتْ عَلَيْهَا وَهْيَ بِنْتُ لَيَالِ
وَمِنَ ٱلْأَنَامِ مُبَرِّزٌ وَمُبَهْرَجٌ وَمِنَ ٱلْكَلَامِ جَنَادِلٌ وَلآلِي

٨٨

وقال يمدح محمود[٢] بن نصر بن صالح

لِي بِٱمْتِدَاحِكَ عَنْ ذِكْرِ ٱلْهَوَىٰ شُغُلُ وَبِٱرْتِيَاحِكَ عَنْ عَيْشِ[٣] ٱلصِّبَا بَدَلُ
وَكَيْفَ يَعْدُوكَ بِٱلتَّأْمِيلِ مَنْ بَلَغَتْ بِهِ عَطَايَاكَ مَا لَمْ يَبْلُغِ ٱلْأَمَلُ[٤]
أَسْرَفْتَ وَٱخْتَصَرَ ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ مَضَوْا فَهَلْ عَلِمْتَ بِصَافِي ٱلْفِكْرِ مَا جَهِلُوا
وَلَا أُقِيمُ لَهُمْ عُذْراً بِجَهْلِهِمُ لٰكِنْ أَقُولُ مُحِقّاً جُدْتَ إِذْ بَخِلُوا
مَا جُرْتَ عَنْ طُرُقِ ٱلْعَلْيَاءِ إِذْ عَدَلُوا عَنْهَا وَجُرْتَ عَلَى ٱلْأَمْوَالِ إِذْ عَدَلُوا
وَهَبْتَهَا كَرَماً قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ بِلَا مَنٍّ وَمَنَّوْا وَمَا مَنُّوا وَقَدْ سُئِلُوا
يَا مُسْمِعِي فِقَراً تَفْضِيلُهَا[٥] لَزَمٌ وَمُوسِعِي مِنَناً تَفْصِيلُهَا جُمَلُ

---

(١) وتنير (م) وينير (ع)
(٢) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)
(٣) عصر الصبا (مسالك الأبصار ج ١٠)
(٤) المَثَلُ (ل)
(٥) تفصيلها (ل)

قُسٌّ وَسَحبانُ[١] وَالْقَوْمُ الأُلى فَصُحُوا لَوْ يَسْمَعُونَ الَّذي أَسْمَعْتَنِي ذَهِلُوا

لاَ يَبْلُغُونَ إذَا أَفْكارُهُمْ تَعِبَتْ مِعْشارَ قَوْلِكَ فِينا حِينَ تَرْتَجِلُ[٢]

فُتَّ الْوَرٰى بِأَيادٍ كُلُّهــا هُطُلٌ عَلَى الْمُنٰى وَعَوادٍ كُلُّهـا قُتُلُ

فَما لَنــا فِي حَياةٍ عَنْكَ مُنْدَفَعٌ وَالرِّزْقُ طَوْعُكَ فِيما شِئْتَ وَالْأَجَلُ

فَلْيَسْلُ مَجْدَكَ رَغْمــاً لاَ مُجامَلَةً مَنْ مالَهُ ناقَةٌ فِيهِ[٣] وَلاَ جَمَلُ

وَلاَ لَهُ فِي يَمِينٍ بَرَّةٍ صَدَقَتْ قَوْلٌ وَلاَ بِيَمِينٍ بَرَّةٍ عَمَلُ

وَلَوْ رَأَتْكَ مُلُوكٌ أَنْتَ تاجُهُمُ لَأَذْعَنُوا وَأَقَرُّوا أَنَّهُمْ خَوَلُ

وَهَلْ لَهُمْ طَمَعٌ أَنْ يَلْحَقُوكَ وَقَدْ بَلَغْتَ ما لَمْ يَنَلْ آباؤُكَ الْأُوَلُ

مَنْ لَمْ يَدِينُوا لِمَنْ دانَ الزَّمانُ لَهُ وَلَمْ يَدُوا مِنْ حُماةِ الرَّوْعِ مَنْ قَتَلُوا

تُغْنِي عَنِ السُّمْرِ فِي الْهَيْجا عَزائِمُهُمْ فَيَطْعَنُونَ الْعِدٰى شَزْراً وَهُمْ عُزُلُ

وَلَوْ[٤] غَزَوْا مَكَّةً إِذْ جاهِلِيَّتُها قُرَيْشُ لَمْ تُعْبَدِ الْعُزّٰى[٥] وَلاَ هُبَلِ

---

(١) قُس بن ساعدة الإيادي وسَحبان وائل : من أشهر خطباء العرب .

(٢) لم يرد هذا البيت فى (ل)

(٣) فيها (ل) و (م)

(٤) ولو غزا (ع) و (م)

(٥) العُزّى : سَمُرَة كانت لغطفان يعبدونها وكانوا بنوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدنة فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إليهــا فهدم البيت وأحرق السمرة . وهُبَل : أعظم أصنام الكعبة كان من عقيق أحمر على صورة الإنسان .

« معجم البلدان »

مَضَوْا وَخَلَّوْا أَحَادِيثاً مُخَلَّدَةً تُحْدَى[(١)] بِها في الدَّياجي الأَيْنُقُ الذُّلُلُ
وَنُبْتَ عَنْهُمْ وَقَدْ طَاحَ الزَّمَانُ بِهِمْ نِيابَةَ البِيضِ لَمَّا حُطِّمَ الأَسَلُ
تَنَقَّلَ[(٢)] الشَّامُ فِيكُمْ بُرْهَةً وَأَتَى مِنْ صِدْقِ عَزْمِكَ مَازَالَتْ بِهِ النُّقَلُ[(٢)]
أَكْلاؤُهُ بِشِفَارِ المُرْهَفاتِ حِمىً وَمَاؤُهُ بَيْنَ مَرْكُوزِ القَنَا غَلَلُ
وَدُونَ قَدْرِكَ مَا أَصْبَحْتَ مَالِكَهُ فَاحْكُمْ فَأَمْرُكَ فِي الآفَاقِ مُمْتَثَلُ
مَا بَعْدَ قَوْلِ مَلِيكِ الأَرْضِ[(٣)] كَيْفَ أَخِي مِنْ مَطْلَبٍ دُونَهُ مَطْلٌ وَلاَ عِلَلُ
أَثْنَى عَلَيْكَ لَدُنْ شَافَهْتَ حَضْرَتَهُ وَنَابَتِ الكُتْبُ لَمَّا بَانَ وَالرُّسُلُ
مُجَدِّداً فِيكَ أَمْراً لاَ يَخُصُّ بِهِ سِوَاكَ كُلُّ جَدِيدٍ عِنْدَهُ سَمَلُ
لَقَدْ أَحَلَّكَ إِذْ آخَاكَ مَنْزِلَةً لاَ المُشْتَرِي طَامِعٌ فِيهَا وَلاَ زُحَلُ
وَقَدْ أَظَلَّكَ[(٤)] مِنْ تَشْرِيفِهِ مِنَحٌ عَلَى صُنُوفِ العُلَى وَالعِزِّ تَشْتَمِلُ
وَمِنْ مَلاَبِسِهِ مَا فَخْرُهُ أَبَداً بَاقٍ عَلَيْكَ إِذَا مَا رَثَّتِ الحُلَلُ
وَمِنْ نَفَائِسِ مَا قَدْ كَانَ مُمْتَطِياً جُرْدٌ[(٥)] يَعِزُّ عَلَيْهَا الغَزْوُ وَالقَفَلُ

---

(١) تُخْدي (ل)
(٢) تنفّل ... النفل (ع) و (م)
(٣) يريد بمليك الأرض ألب ارسلان السلجوقي لما حاصر حلب سنة ٤٦٢ فدخل عليه محمود ومعه والدته فتلقاها بالجميل وخلع على محمود وأعاده إلى بلده .
« الكامل لابن الاثير ١٠/٢٢ »
(٤) أطلك (ع) و (م)
(٥) جُرْداً (ع) و (م)

زَادَتْ حُلاَهَا وَلَوْ جَاءَتْكَ عَاطِلَةً مِنْ خَالِصِ ٱلتِّبْرِ مَاأَزْرَى بِهَا ٱلْعَطَلُ
وَرَاءَهَا عَلَمَا ٱلنَّصْرِ ٱللَّذَا كَفَلاَ لِمَنْ أَظَلاَّ بِعِزٍّ لَيْسَ يُنْتَحَلُ
مِنْ عَقْدِ مَنْ عُذِقَ ٱلنَّصْرُ ٱلْعَزِيزُ بِهِ فَمَا لَهُ أَبَداً عَنْ ظِلِّهِ حِوَلُ
عَنَّتْ لَهُ فُرَصٌ شَتَّى دَعَاكَ لَهَا يَا مَنْ بِهِ فُرَصُ ٱلْعَلْيَاءِ تُهْتَبَلُ
وَقَلَّدَ ٱلْأَمْرَ مَيْمُونًا نَقِيبَتُهُ لِلْهَوْلِ مُقْتَحِمٌ بِٱلنَّصْرِ مُشْتَمِلُ
إِذَا عَرَا ٱلْخَطْبُ لَمْ يَحْضُرْ[1] مَشُورَتَهُ مَنْ فِيهِ حِرْصٌ وَلاَ جُبْنٌ وَلاَ بَخَلُ
وَكَيْفَ يَأْمَنُ أَبْنَاءُ ٱلزَّمَانِ سُطًى أَبُوهُمُ خَائِفٌ مِنْ بَطْشِهَا وَجِلُ
رَوَّعْتَهُ فِي مَقَامَاتٍ قَهَرْتَ بِهَا حَتَّى ٱعْتَرَاهُ عَلَى إِقْدَامِهِ فَشَلُ
لاَ فَلَّ عَزْمَكَ[2] صَرْفُ ٱلنَّائِبَاتِ فَكَمْ عَزَّتْ وَذَلَّتْ بِكَ ٱلْأَمْلاَكُ وَٱلدُّوَلُ
وَٱلرُّومُ مَنْ عَلِمُوا حَقًّا بِأَنَّهُمُ إِنْ سَالَمُوا سَلِمُوا أَوْ قَاتَلُوا قُتِلُوا
وَلاَ سَلاَمَةَ إِلاَّ أَنْ يَجُودَ لَهُمْ بِهَا أَبُوهَا[3] فَيَنْأَى ٱلْخَوْفُ وَٱلْوَجَلُ
يَرْجُونَ أَمْنًا بِهِ تَحْيَا نُفُوسُهُمُ وَٱلْأَمْنُ يَنْزِلُ وَٱلْأَرْوَاحُ تَرْتَحِلُ
قَتَلْتَ شَطْرَهُمُ خَوْفًا وَشَطْرُهُمُ عَمِيتُهُمْ فَرَحًا إِدْرَاكُ مَا سَأَلُوا
فَٱفْخَرْ فَقَبْلَكَ مَا أَبْصَرْتُ سَيْفَ وَغًى يَنُوبُ عَنْ مَضْرِبَيْهِ ٱلْخَوْفُ وَٱلْجَذَلُ[4]

(١) لم تحضر (ل) و (م)
(٢) لا فلَّ حدَّيك ... (ل)
(٣) كنية الممدوح : أبو سلامة .
(٤) والجدل (ع)

أَتَيْتَ ظَاهِرَ أَنطَاكِيَّةٍ عَبَثًا أَمَامَكَ الْقَاتِلاَنِ الرُّعْبُ وَالْوَهَلُ
وَكُلُّ أَسْمَرَ مَافِي عَوْدِهِ طَمَعٌ بَعْدَ اللِّقَاءِ وَلاَ فِي عُودِهِ خَطَلُ
وَكُلُّ أَبْيَضَ مَضْرُوبٍ بِشَفْرَتِهِ رَأْسُ الْمُدَجَّجِ مَضْرُوبٍ بِهِ الْمَثَلُ
وَكُلُّ سَلْهَبَةٍ أَنْتَ الْكَفِيلُ لَهَا أَلاَّ يُصَابَ لَهَا فِي غَارَةٍ كَفَلُ
دَهْمَاءَ كَاللَّيْلِ أَوْ شَقْرَاءَ صَافِيَةٍ تُرِيكَ فِي اللَّيْلِ ثَوْبًا حَاكَهُ الْأُصُلُ
مُذَكِّرًا بِأَبِيكَ الْمُسْتَبِيحِهِمُ بِالسَّيْفِ إِذْ كُلُّ أَلْفٍ فَلَّهُ[1] رَجُلُ
عَزَوْا[2] مِئِينَ أُلُوفٍ فِي مِئِينَ فَلَمْ يَثْبُتْ لِضِرْغَامِ كَعْبٍ ذَلِكَ الْوَعِلُ
تَخَلَّفُوا الْمُلْكَ إِذْ جَدَّ الْعِرَاكُ بِهِمْ نَهْبًا مُشَاعًا وَلَوْلاَ ذَاكَ مَا وَأَلُوا[3]
وَأُعْطِيَ النَّصْرَ نَصْرٌ يَوْمَ قَارَعَهُمْ بِعَزْمَةٍ مَا لِمَنْ أَمَّتْ بِهَا قِبَلُ
وَقَدْ تَخَلَّصْتَ نَصْرًا مِنْ حَبَائِلِهِمْ وَالْحَوْلُ يَفْعَلُ مَا لاَ تَفْعَلُ الْحِيَلُ
وَمِنْ بَدَائِعِكَ اسْتَخْرَجْتَ جَوْهَرَةً غَوَّاصُهَا الْبِيضُ وَالْخَطِّيَّةُ الْأَسَلُ
وَقَدْ قَرَنْتَ بِهَا بِالْأَمْسِ لُؤْلُؤَةً بِحَارُهَا مُقْفِرَاتُ الْبِيدِ وَالْحِلَلُ
كَرِيمَةَ الْبَعْلِ وَالْآبَاءِ زَيَّنَهَا أَصْلٌ كَرِيمٌ بِعَبْدِ اللهِ يَتَّصِلُ
تَشْكُو الْحِجَالُ الَّتِي تَاهَتْ بِهَا زَمَنًا فِرَاقَهَا بَعْدَ أَنْ تَاهَتْ بِهَا الْكِلَلُ

---

(١) كذا في جميع النسخ ولعله (فَلَّتْهُمْ)
(٢) كذا في جميع النسخ ولعله (غزوا) أو (عَدُّوا)
(٣) لم يرد هذا البيت في (ع) ولا في (م)

بَلَغْتَ ما أَنْتَ راجِيهِ وَآمِلُهُ فِيهِ وَلاَ بَلَغَ ٱلْحُسَّادُ ما أَمَلُوا
لَكَ ٱلْعَطايا ٱلَّتي ما شابَها كَدَرٌ مَعَ ٱلْخِلاَلِ ٱلَّتي ما شانَها خَلَلُ
عَلَى جَمِيعِ ٱلَّذي تَحْوِيهِ مِنْ نَشَبٍ مِنَ ٱلْمَكارِمِ وَالِ لَيْسَ يَنْعَزِلُ
مَواهِبٌ تَخْلُفُ ٱلْأَنْواءَ غائِبَةً وَيَعْجِزُ ٱلْغَيْثُ عَنْها وَهْوَ مُحْتَفِلُ
أَمَّا عُفاتُكَ لاَ أَكْدَوْا فَما لَهُمُ إِذَا ٱلْمَطامِعُ طاحَتْ عَنْكَ مُرْتَحَلُ
جاءَتْ وَسائِقُها وَخْدٌ وَسابِقُها إِلَى حِياضِكَ يا بَحْرَ ٱلنَّدَى عَجِلُ
فَأَقْلَعَ ٱلْمَحْلُ عَنْهُمْ حِينَ مُدَّ لَهُمْ لِيَرْتَعُوا [1] فِي كَلاَ إِنْعامِكَ ٱلطِّوَلُ
يُقَبِّلُونَ ثَرًى دامَتْ تُظَلِّلُهُ سُحْبُ ٱلنَّدَى فَهْوَ فِي أَفْيائِها [2] خَضِلُ
لَمْ يَظْفَرُوا بِطَرِيقٍ نَحْوَ مُلْكِكَ ما تُزاحِمُ ٱلنَّاسَ فِيهِ [3] ٱلْخَيْلُ وَٱلْإِبِلُ
فَٱلْعِيسُ تَدْرُسُ أَيْدِي ٱلْخَيْلِ ماوَطَسَتْ وَٱلْمُقْرَباتُ تُعَفِّي وَطْأَها ٱلْقُبُلُ
فَٱشْرَعْ لَهُمْ طُرُقًا ما ذُلِّلَتْ فَلَقَدْ ضاقَتْ بِمَنْ جاءَ يَبْغِي جُودَكَ ٱلسُّبُلُ
وَٱسْلَمْ وَلاَ زالَتِ ٱلْأَعْيادُ عائِدَةً وَٱلْعِزُّ مُقْتَبَلٌ وَٱلظِّلُّ مُنْسَدِلُ
ظَهَرْتَ فِينا فَأَقْرَرْتَ ٱلْعُيُونَ وَما يَعْدُو بَقاءَكَ مَنْ يَدْعُو وَيَبْتَهِلُ
وَزانَ جَيْشَكَ لَمَّا سارَ أَرْبَعَةٌ إِنْ ناضَلُوا نَضَلُوا أَوْ فاضَلُوا فَضَلُوا

---

(١) ليربعوا (م)

(٢) وردت هذه الكلمة في (ع) و (م) أفنائها وفي (ل) أيامها. ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(٣) فيها (مسالك الأبصار ج ١٠)

عَلَوْا جُدُوداً وَأَجْدَاداً فَفَخْرُهُمُ الْـ مُذَاعُ مُتَّصِلٌ[1] طَوْراً وَمُنْفَصِلُ

تَفْصِيلُهُ ابْنُ بُوَيْهٍ وَابْنُ زَائِدَةٍ[2] وَعِنْدَ نَصْرٍ حَلِيفِ الْجُودِ يَتَّصِلُ

وَأَنْتَ يَا أَكْرَمَ الآبَاءِ وَالِدُهُمْ فَمَجْدُهُمْ فِي الْوَرَى مَاضٍ وَمُقْتَبَلُ

بَقُوا وَلاَ خَيَّمُوا إِلاَّ عَلَى شَرَفٍ مَدَى الزَّمَانِ وَلاَ خَامُوا وَلاَ خَمَلُوا

يَا نَاصِرَ الدِّينِ بِالْجِدِّ ارْتَقَيْتَ إِلَى هٰذَا الْمَحَلِّ عَلَى أَنَّ الْعُلَى نِحَلُ

وَبِالْحُرُوبِ الَّتِي سَعَّرْتَهَا اعْتَزَلَ الْـ بِلاَدَ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلُ يَعْتَزِلُ

وَلَيْسَ يَجْتَمِعُ التَّدْبِيرُ وَالْخَلَلُ إِذَا تَفَارَقَتِ الأَسْيَافُ وَالْخِلَلُ

لَقَدْ مَلأْتَ الْقَوَافِي فَوْقَ مَا وَسِعَتْ فَمَا لَهَا عَنْكَ تَعْرِيدٌ[3] وَلاَ مَيَلُ

فَضَائِلٌ مَلأَتْ شِعْرِي بِكَثْرَتِهَا مِنْ أَنْ يَفُوزَ بِهِ التَّشْبِيبُ وَالْغَزَلُ

فَاسْمَعْ لِمُحْكَمَةٍ فِي الأَرْضِ[4] حَاكِمَةٍ كَالشَّمْسِ مَكَّنَهَا مِنْ بُرْجِهِ الْحَمَلُ

سَرِيعَةِ السَّيْرِ إِلاَّ أَنَّهَا أَبَداً تُقِيمُ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَهِيَ تَرْتَحِلُ

وَلاَ تُكَرَّرُ فِي سَمْعٍ فَيَحْدُثَ مِنْ تَكْرَارِهَا ضَجَرٌ مِنْهَا وَلاَ مَلَلُ

(١) متصلاً (ع) و (م)

(٢) وابن رائدة ؟ (ع) و (م) . وفي البيت إشارة إلى صلة القربى بين محمود بن نصر وبين بني بويه وبني زائدة الكلابي . انظر الحاشية رقم (٧) ص (٢٤٤) والحاشية رقم (١) ص (٢٤٦) والحاشية رقم (٢) ص (٣٢٦)

(٣) تغريد ؟ (ع) و (م)

(٤) في الفضل (ل)

جَلَّتْ صِفَاتُكَ عَنْ قَوْلٍ يُحِيطُ بِهَا ... حَتَّى اُسْتَوَى شَاعِرٌ فِيهَا وَمُنْتَحِلُ[١]

مَنَاقِبٌ فِي أَقَاصِي الْأَرْضِ قَدْ شُهِرَتْ ... فَمَا اُعْتَرَى[٢] مُطْنِباً فِي وَصْفِهَا خَجَلُ

أُعِيذُ مَجْدَكَ مِنْ عَيْنِ الْكَمَالِ فَكَمْ[٣] ... أَصَابَتِ الْعَيْنُ أَمْلَاكاً[٤] وَمَا كَمُلُوا

٨٩

وقال يمدح نصر بن محمود[٥]

أَرَى سَفَهاً وَلَوْ جَاءَ الْعَذُولُ ... بِحَقٍّ أَنْ أَقُولَ كَمَا يَقُولُ

فَمَا مِنِّي إِلَى لَوْمٍ جُنُوحٌ ... وَلَا عِنْدِي لِتَعْنِيفٍ قَبُول

وَكَيْفَ يُبَلُّ مِنْ دَاءٍ دَفِينٍ ... عَلِيلٌ ما يُبَلُّ لَهُ غَلِيلُ

أَحِنُّ لَدَى الْمَنَازِلِ وَهْيَ قَفْرٌ ... كَمَا حَنَّتْ لَدَى[٦] الْبَوِّ الْعَجُولُ

وَأَشْتَاقُ الدِّيَارَ وَسَاكِنِيهَا ... كَمَا يَشْتَاقُ صِحَّتَهُ الْعَلِيلُ

بَكَيْتُ لِهَجْرِهِمْ حِيناً وَحِيناً ... لِبُعْدِهِمُ وَقَدْ أَزِفَ الرَّحِيلُ

---

(١) وينتحل (ل)

(٢) فما اعترى مطنب ...؟ (ل)

(٣) فما (ل)

(٤) أقواماً (هامش ع)

(٥) نصر بن محمود بن صالح (ل) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٦) لذي ؟ (ل)

فَلَمْ تَذَرِ النَّوى (١) وَالهَجْرُ دَمْعاً تُجادُ بِهِ المَعالِمُ وَالطُّلولُ
وَمِمّا شَفَّني وَجْدٌ عَزيزٌ يُحاوِلُ قَهْرَهُ صَبْرٌ ذَليلُ
جَزى الرِّيحَ الدَّبُورَ اللهُ خَيْراً فَلي مِنْها إِذا هَبَّتْ رَسُولُ
أُحَمِّلُهُ إِلى سَلْمى سَلاماً تَرُدُّ جَوابَهُ الرِّيحُ القَبُولُ
وَدُونَ الظّاعِنينَ نَوىً شَطُونٌ عَرَتْنا قَبْلَها وَهُمُ حُلولُ
خُطُوبٌ يَبْعُدُ الأَدْنَوْنَ مِنْها وَيَقْطَعُ عِنْدَها البَرُّ الوَصُولُ
وَعِنْدَ أَبي المُظَفَّرِ إِنْ أَلَمَّتْ مَقيلٌ مِنْ عَوادِيها مُقيلُ
بِهِ اغْتُفِرَتْ جِناياتُ اللَّيالي وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ الزَّمَنُ المَطُولُ
أَضافَ إِلى النَّدى المُنْهَلِّ بَأْساً يَهُونُ عَلَيْهِ فيهِ ما يَهُولُ
أَبادَ مُخالِفاً وَأَفادَ ذِكْراً تَزُولُ الرّاسِياتُ وَما (٢) يَزُولُ
وَأَمْناً تَعْجَبُ الأَيّامُ مِنْهُ وَعَدْلاً مالَهُ فيهِ عَديلُ
تَدُورُ (٣) عَلى الأَداني وَالأَقاصي مَواهِبُهُ وَلَمْ تَدُرِ الشَّمُولُ
مَساعٍ وَعَّرَتْ سُبُلَ المَعالي فَلَيْسَ إِلى اللَّحاقِ بِها سَبيلُ
وَشاعَ حَديثُها حَتّى تَساوى الْ عَليمُ بِما تُؤَثِّلُ وَالجَهُولُ

(١) فلم يذر الهوى ... (ع) و (م)
(٢) ولا يزول (ل)
(٣) تدول ؟ (م)

فَأَيْقَنَ مَنْ حَوَى مُلْكاً بِجَدٍّ وَحَظٍّ أَنَّهُ فِيهِ دَخِيلُ
نَحا شَرَفُ ٱلْمُلُوكِ بِلاَ دَلِيلٍ طَرَائِقَ لَيْسَ يَعْرِفُهَا دَلِيلُ
فَوَعْرُ ٱلْمَكْرُمَاتِ عَلَيْهِ سَهْلٌ وَصَعْبُ ٱلنَّائِبَاتِ لَهُ ذَلُولُ
نَدىً تَحْيَا ٱلْعُفَاةُ بِهِ وَعِزٌّ تَمُوتُ بِهِ ٱلضَّغَائِنُ وَٱلذُّحُولُ
وَعَزْمٌ لاَ يَمِينُ وَلاَ يُمَنِّي وَرَأْيٌ لاَ يُفَلُّ وَلاَ يَفِيلُ
حَمَى ذَا ٱلشَّامَ أَجْمَعَهُ هِزَبْرٌ لَهُ بِٱلْقَلْعَةِ ٱلشَّمَّاءِ غِيلُ
مَخُوفٌ وَٱلصَّوَارِمُ لَمْ تُجَرَّدْ وَلاَ أَخْلَتْ مَرَابِطَهَا ٱلْخُيُولُ
وَلَيْسَ يَرِيمُ أَسْمَاعَ ٱلْأَعَادِي صَلِيلُ ظُبىً يُمَازِجُهُ صَهِيلُ(١)
فَفِي كَفِّ ٱلْخِلاَفَةِ حِينَ يَسْطُو حُسَامٌ لاَ يُلِمُّ بِهِ كُلُولُ(٢)
فَلاَ يَأْذَنْ إِلَى ٱلْإِرْجَافِ مُصْغٍ يَمِيلُ بِهِ ٱلْهَوَى أَنَّى يَمِيلُ
فَكُلُّ عُدَاةِ هٰذَا ٱلْمُلْكِ أَسْرَى وَهَيْبَتُكَ ٱلْجَوَامِعُ وَٱلْكُبُولُ
وَمَا (٣) تَخْشَى عِدىً لاَ أَسْرَ فِيهِمْ وَإِنْ كَثُرَ ٱلْمُشَرَّدُ وَٱلْقَتِيلُ
وَلَيْسَ يَخِيبُ حِينَ تَجُودُ إِلاَّ مُشِيرٌ بِٱخْتِصَارِكَ أَوْ عَذُولُ
فِدَاؤُكَ مَنْ نَزَاهَتُهُ لِأَمْرٍ يُخَافُ وَمَنْ نَبَاهَتُهُ خُمُولُ

---

(١) صليل ؟ (ل)
(٢) فُلولُ (هامش ع وم)
(٣) ومن تحوي (ل)

فَفِي قَلْبِ ٱلسِّيَادَةِ مِنْهُ غِلٌّ تَكَنَّفَهُ وَسُؤْدُدُهُ غُلُولُ
وَمَغْرُورٌ رَأَى ٱلْإِقْدَامَ يُرْدِي فَعَاوَدَ يَسْتَمِيلُ وَيَسْتَقِيلُ
كَسَيْلٍ عَزَّهُ طَوْدٌ مُنِيفٌ فَأَعْرَضَ حِينَ عَارَضَهُ مَسِيلُ (١)
فَكَانَتْ عَزْمَةً ذَهَبَتْ ضَلاَلاً إِلَى أَنْ أَصْحَبَ ٱلرَّأْيُ ٱلْأَصِيلُ (٢)
فَأَوَّلُهَا ٱعْتِدَاءٌ وَٱغْتِرَابٌ وَآخِرُهَا وِدَادٌ بَلْ نُكُولُ
وَغَايَةُ مَنْ غَزَا لِيَنَالَ غُنْماً وَأَعْيَتْهُ مَطَالِبُهُ ٱلْقُفُولُ
لَأَخْفَقَ (٣) ظَنُّهُ وَٱعْتَاضَ وُدّاً عَلَى غَيْرِ ٱلزَّمَانِ بِهِ يَصُولُ
فَإِنْ تَخِبِ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْعَوَالِي فَلَمْ يَخِبِ ٱلْكِتَابُ وَلاَ ٱلرَّسُولُ
فَمَا لِلرُّومِ لاَ عَدِمُوا ضَلاَلاً يَغُرُّهُمُ ٱلرَّجَاءُ ٱلْمُسْتَحِيلُ
عَهِدْتُهُمُ تَخُونُهُمُ ٱلْأَمَانِي مَتَى صَارَتْ تَخُونُهُمُ ٱلْعُقُولُ
لِذَا (٤) مَنَعُوكَ حَقَّكَ وَٱسْتَعَاضُوا بِهِ بَدَلاً فَمَا ثَبَتَ ٱلْبَدِيلُ
نَزَلْتَ عَنِ ٱلْحِصَانِ وَقَدْ أَرَادُوا مُمَانَعَةً فَعَمَّهُمُ ٱلنُّزُولُ
وَكُنْتَ بِأَخْذِهِ قَسْراً جَدِيراً وَأَنْتَ بِرَدِّهِ كَرَماً كَفِيلُ
يَحُلُّ ٱلنَّاسُ مَا عَقَدُوهُ غَدْراً وَعَقْدُكَ لاَ يُحَلُّ وَلاَ يَحُولُ

(١) لم يرد هذا البيت فى (ل)
(٢) سقط من (ل) عجز هذا البيت وصدر الذي يليه، وجعل الشطران بيتاً واحداً ملفقاً.
(٣) لحقق ... (ع) و (م)
(٤) إذا منعوك ... (م)

وَمَنْ أَعْزَزْتَ لَيْسَ لَهُ مُذِلٌّ ... وَمَنْ أَذْلَلْتَ لَيْسَ لَهُ مُدِيلُ
وَهَلْ تَعْصِي ٱلْفُرُوعُ عَلَى هُمَامٍ ... مَتَى مَا هَمَّ لَمْ تَعْصِ ٱلْأُصُولُ
فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا مَا ٱلْخَيْلُ بُثَّتْ ... فُحُولاً فَوْقَ أَظْهُرِهَا فُحُولُ
يُبَرْقِعُهَا ٱلْقَنَا فِي كُلِّ حَرْبٍ ... نَجِيعاً مَا لَهَا مِنْهُ شَلِيلُ(١)
وَيَكْسُو ٱلصُّبْحَ مِنْ نَقْعٍ خِضَاباً ... كَلَيْلٍ وَٱلنُّصُولُ بِهِ نُصُولُ
أَبَى لَكَ أَنْ تُسَامَ ٱلْخَسْفَ عَزْمٌ ... بِأَسْيَافِ ٱلْعِدَى مِنْهُ فُلُولُ
لِيَحْوِ ٱلْفَخْرَ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ ... فَإِنَّكَ لِلزَّمَانِ يَدٌ تَصُولُ(٢)
تَكَلَّفَهَا لِنَفْيِ ٱلْبُخْلِ عَنْهُ ... وَقَدْ يُسْنِي عَطِيَّتَهُ ٱلْبَخِيلُ
وَلَسْتَ مُطَاوَلاً فِي ٱلْمَجْدِ إِلاَّ ... إِذَا طَالَتْ عَلَى ٱلْغُرَرِ ٱلْحُجُولُ
عَلَتْ جَدْوَاكَ أَقْوَالِي(٣) وَقِدْماً ... عَلَوْتُ ٱلْمُنْعِمِينَ بِمَا أَقُولُ
بِهَا أَدْرَكْتُ آمَالِي وَبَيْنِي ... وَبَيْنَ قَرِيبِهَا أَمَدٌ طَوِيلُ
فَنَابُ ٱلدَّهْرِ عَنِّي ٱلْيَوْمَ نَابٍ ... لَدَيْكَ وَطَارِفُهُ دُونِي كَلِيلُ
وَكُنْتُ لِرَيْبِهِ هَدَفاً(٤) إِلَى أَنْ ... غَطَانِي(٥) ظِلُّ أَنْعُمِكَ ٱلظَّلِيلُ

---

(١) الشليل : مسح من صوف أو شعر والغلالة والدرع . وفي (ع) و (م) سليل وهو تصحيف .

(٢) بتولُ (ل)

(٣) آمالي (ل) وهامش (ع و م)

(٤) هدما ؟ (ع) و (م)

(٥) عطاني ؟ (ع) و (م)

سَأَشْكُرُهَا مُبِيناً عَنْ ثَنَاءٍ ... يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاهُ مَنْ يُطِيلُ
خَفِيفٍ حَمَّلَ الْحُسَّادَ ثِقْلاً ... مُقِيمٍ وَهْوَ فِي الدُّنْيَا يَجُولُ
تَضَمَّنَهُ (١) قَرَاطِيسٌ سَتُطْوَى ... وَيَنْشُرُ فَضْلَهَا جِيلٌ فَجِيلُ
كَوَاكِبُ فِي سَمَاءِ عُلاَكَ زُهْرٌ ... وَلٰكِنْ مَالَهَا عَنْهَا أُفُولُ

٩٠

وقال يمدح أمير الجيوش(٢)

أَجْدِرْ بِمَنْ عَادَاكَ أَنْ يَتَذَلَّلا ... وَبِمَنْ أَرَدْتَ لِقَاءَهُ أَنْ يَنْكُلا
لَمْ يُزْجِ أَرْمانُوسُ (٣) نَحْوَكَ رُسْلَهُ ... حَتَّى تَخَوَّفَ أَنْ يَكُونَ الْفَيْصَلا
كَالْعَيْرِ يُوعِرُ جَاهِداً فَإِذَا رَأَى ... إِيعَارَهُ ضَرَراً عَلَيْهِ أَسْهَلا
قَدْ نَابَ عَنْ إِسْلامِهِ اسْتِسْلامُهُ ... بَعْدَ الْخُضُوعِ عَلَيْهِ سِتْراً مُسْبَلا
مَا فَالَ رَأْيُ الرُّومِ لَمَّا عَاجَلُوا ... طَلَبَ الْأَمَانِ مَخَافَةً أَنْ يُعْجَلا
فَاسْتَنْزَلُوا عَنْ مُلْكِهِمْ مَنْ لا يُرَى ... فِيهِ بِمِثْلِ فِعَالِهِمْ مُسْتَنْزَلا
وَاسْتَصْفَحُوا هٰذِي الصِّفَاحَ فَأَطْفَؤُوا ... بِخُضُوعِهِمْ مِنْهَا حَرِيقاً مُشْعَلا

(١) تضمنه بديعات سأطوى ... (ل) وعلى هامش (ع و م)

(٢) هو أنوشتكين الدزبري انظر الحاشية رقم (١) ص (٣) . وقد سقط عنوان هذه القصيدة من (م) . ولم ترد القصيدة كلها في (ل)

(٣) أرمانوس : ملك الروم .

قَدْ ماجَ بَحْرُهُمُ فَلَمْ يَحْفِلْ بِهِ … بَحْرٌ يُغادِرُ كُلَّ بَحْرٍ جَدْوَلا
وَالرِّيحُ إِنْ هَبَّتْ يَهُزُّ[1] هُبُوبُها … نارَ الذُّبالِ بِأَنْ تُحَرِّكَ يَذْبُلا[2]
عَنِيَتْ بِشَمْسِ الْعَزْمِ بَعْدَ بُزُوغِها … فِي[3] . . . .
وَلَوَ انَّها طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ طَلْعَةً … لَرَأَيْتَهُمْ مِنْها هَباءً مُهْمَلا
فِي هُدْنَةٍ قَدْ قَلَّدَتْهُمْ مِنَّةً … تَأْبَى صَنائِعُ رَبِّها أَنْ تُجْهَلا
ضَلَّ السَّبِيلَ فَلَمْ يَفُزْ بِنَجاتِهِ … مَنْ ظَلَّ يَطْلُبُ غَيْرَ عَفْوِكَ مَوْئِلا
فَلْيَقْهَرِ الْأَدْيانَ غَيْرَ مُدافَعٍ … دِينٌ غَدَوْتَ بِنَصْرِهِ مُتَكَفِّلا
أَمُبَلِّغَ الرُّسُلِ الْمُرادَ لَقَدْ رَأَوْا … مِنْ دُونِ قَصْرِكَ ما يَسُوءُ الْمُرْسِلا
جَيْشاً تَظَلُّ لَهُ الشَّواهِقُ خُشَّعاً … وَتَكادُ مِنْهُ الْأَرْضُ أَنْ تَتَزَلْزَلا
حَتَّى رَأَوْكَ وَمَنْ رَآكَ فَلَمْ يُرَعْ … يَئِسُوا وَقَدْ نَظَرُوكَ ذاكَ الْجَحْفَلا
وَتَحَقَّقُوا ما رابَهُمْ بِتَوَهُّمٍ … وَرَأَوْا عِياناً ما رَأَوْهُ تَخَيُّلا
خَطَبَتْ إِلَيْكَ السِّلْمَ أَمْلاكُ الْوَرَى … فَغَدَتْ وُفُودُهُمُ بِبابِكَ مُثَّلا
كَمْ قَدْ أَتَتْكَ مُخِفَّةً وَأَعَدْتَها … لا تَسْتَطِيعُ بِما أَنَلْتَ تَحَمُّلا
شَيَّدْتَ لِلْإِسْلامِ فَلْتَسْلَمْ لَهُ … بِعُلاكَ عِزّاً لا يَرِيمُ مُؤَثَّلا

(١) يهز (ع)
(٢) كذا ولعله (ولا تُحَرِّكُ يَذْبُلا) ويذبل جبل بنجد .
(٣) بياض في الأصل .

لاَ يَطْمَعَنَّ بِأَنْ يُسَامِيَ ذَا ٱلْعُلَى سَامٍ وَلَوْ كَانَ ٱلسِّمَاكَ ٱلْأَعْزَلا

كَلَّا وَلاَ رَيًّا يُؤَمِّلُ دُونَهَا [(١)] ظَامٍ وَلَوْ شَامَ ٱلْغُيُوثَ ٱلْهُطَّلا

لَمَّا ٱرْتَضَتْكَ لَهَا ٱلْخِلاَفَةُ عُدَّةً ثُمَّ ٱنْتَضَتْكَ فَكُنْتَ عَضْباً مِقْصَلا [(٢)]

أَصْبَحْتَ صاحِبَ رَأْيِها إِنْ عَضَّها [(٣)] زَمَنٌ وَحاسِمَ دائِها إِنْ أَعْضَلا

وَلْتَذْخَرَنْ طَيٌّ ٱلْعَصاءَ [(٤)] لِرَعْيِ ما أَبْقَيْتَ وَلْتَذَرِ ٱلْوَشِيجَ ٱلذُّبَّلا

قَدْ أَصْبَحُوا فِرَقًا بِكُلِّ مَفازَةٍ فَرَقًا مِنَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي لا تُصْطَلا

أَنْزَلْتَهُمْ دارَ ٱلْهَوانِ وَلَوْ رَضُوا بِسُطَى سِواكَ لَما ٱرْتَضَوْها مَنْزِلا

وَسَلَبْتَ حَسَّاناً [(٥)] بِعِزِّكَ عِزَّةً وَلَكَانَ ذا وَجْدٍ بِما [(٦)] عَنْهُ سَلا

فَٱذْعَرْ بِذا ٱلْعَزْمِ ٱلْأُسُودَ ٱلْغُلْبَ فِي غاباتِها وَذَرِ ٱلنَّعامَ ٱلْجُفَّلا

فَسُيُوفُ عَزْمِكَ لَوْ لَقِيتَ مُهَلْهِلاً يَوْمَ ٱلْكُلاَبِ بِها لَعادَ مُهَلِّلا [(٧)]

وَسِهامُ رَأْيِكَ ما رَمَيْتَ بِها ٱلْعِدَى إِلاَّ أَصارَتْ كُلَّ عُضْوٍ مَقْتَلا

وَلْيَلْبَسِ ٱلطَّوْقَ ٱلْمُرَصَّعَ ناكِثٌ وَجَدَ الصَّلِيبَ أَخَفَّ مِنْهُ مَحْمَلا

---

(١) لعله (دونه)

(٢) مصقلا (هامش م)

(٣) عَظَّها (ع وهامش م)

(٤) كذا ولعله (العِصِيَّ)

(٥) هو حسَّان بن المُفرِّج الطائي أمير طيء . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)

(٦) بمن (م)

(٧) مُهَلْهِل بن ربيعة التغلبي : من شعراء تغلب وفرسانها . ويوم الكُلاب : من أيام العرب . وهَلَّلَ فهو مُهَلِّل : أي جَبُن وفرَّ .

وَلْيَهْنِ مَوْلَانا عزائمُ غَادَرَتْ — مُتَذَلِّلاً مَنْ لَمْ يَزَلْ مُتَدلِّلا

وَأَنْتَابَهُ أَهْلُ الْبِلادِ وَطَالَمَا — قَدْ رَامَ عَنْهُ أَهْلُهُ مُتَحوَّلا

قَدْ صَارَ صُبْحُ[1] الشَّامِ لَيْلاً مُسْفِراً — وَلَكَانَ فِيهِ الصُّبْحُ لَيْلاً أَلْيَلا

مُذْ ظَلَّ بَأْسُكَ عَوْنَهُ إِنْ نابَهُ — خَطْبٌ وَجُودُكَ غَيْثَهُ إِنْ أَمْحَلا

فَلْيَرْمِ مَنْ أَصْبَحْتَ عُدَّتَهُ الْعِدٰى — بِكَ عَنْ يَقِينٍ أَنَّهُ لَنْ يُنْضَلا

وَلْيَرْقَ مَنْ رَامَ الْعُلُوَّ بِنائِلٍ — فَنَدَاكَ يَحْكِي الْعَارِضَ الْمُتَهَلِّلا

فَبِمِثْلِ هٰذَا الْبَأْسِ يَحْمِي مَنْ حَمٰى — وَبِمِثْلِ هٰذَا الْجُودِ يَعْلُو مَنْ عَلا

أَيُّ الْخَلائِقِ لَمْ تَدِنْ لَكَ طَاعَةً — أَيُّ الْمَدَائِنِ لَمْ تَصِرْ بِكَ مَعْقِلا

لَوْ قِيلَ لِلأَيَّامِ وَهْيَ خَبِيرَةٌ — هَلْ كَالْمُظَفَّرِ فِي الْأَنَامِ لَقُلْنَ لا

إِنَّ الزَّمَانَ أَرَادَ كَشْفَكَ لِلْوَرٰى — فَسَطَا لِتَرْدَعَهُ وَجَارَ لِتَعْدِلا

فَعَدَلْتَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ مُتَظَلِّماً — وَمَنَعْتَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ مُتَبَذِّلا

عِزٌّ أَنَالَكَ ذُو الْجَلَالِ بَقَاءَهُ — فَلَقَدْ حَوَيْتَ بِهِ الْفَخَارَ مُكَمَّلا

وَأَرَاكَ مَحْمُوداً مُبَلَّغَ رُتْبَةٍ — مَانَالَ أَدْنَاهَا الْأَكَاسِرَةُ الْأُلٰى

فَلَقِي[2] الشَّآمَ وَسَاكِنِيهِ عِصْمَةً — أَنْ أَصْبَحَ الضِّرْغَامُ فِيهِ مُشْبِلا

مَلِكٌ إِذَا حَمَلَ الْمَغَارِمَ عَنْهُمُ — أَجْزٰى وَإِنْ بَذَلَ الْمَكَارِمَ أَجْزَلا

---

(١) كذا ولعل صوابه (قد صار ليل الشام صبحاً مسفراً)

(٢) كذا ولعله (فكفى)

سَهْلٌ عَلَى ٱلطُّلَّابِ صَعْبٌ فِي ٱلْوَرَى[(١)] أَكْرِمْ بِهِ مُسْتَصْعَباً مُسْتَسْهَلا

يَا مُصْطَفَى ٱلْمَلِكِ ٱلْمُظَفَّرِ لَمْ تَدَعْ فِي ذَا ٱلثَّنَاءِ لَدَى مُجِدٍّ مَدْخَلا ؟

حَرَّمْتَهُ إِلاَّ عَلَيْكَ فَلَنْ تَرَى[(٢)] أَبَداً لِغَيْرِكَ مَا حَيِيتُ مُحَلَّلا

مَاذَا أَرُومُ وَكُلُّ أَكْدَرَ قَدْ صَفَا لِي فِي ذَرَاكَ وَكُلُّ مُرٍّ قَدْ حَلا

حَسْبُ ٱلْمَطَامِعِ رَوْضُ بِشْرِكَ مَرْتَعاً وَكَفَى ٱلْمُنَى مُنْهَلُّ جُودِكَ مَنْهَلا

وَٱلآنَ أَغْنَانِي عَنِ ٱلثَّمَدِ ٱلْحَيَا ٱلْـ ـهَامِي وَأَنْسَانِي ٱلْمَحَلَّ ٱلْمُمْحِلا

٩١

وقال يمدح الأمير الأجل أبا علي ويهنيه بعيد الفطر سنة سبع وثلاثين وأربعمائة [(٣)]

مَحَلُّكَ مِنْ مَحَلِّ ٱلشَّمْسِ أَعْلَى فَهَلْ يَئِسَ ٱلْمُنَافِسُ فِيهِ أَمْ لا

وَمَا ٱسْتَفْهَمْتُ شَكّاً لَمْ بَغَاهُ فَمَا وَجَدَ ٱلطَّرِيقَ إِلَيْهِ سَهْلا[(٤)]

ضَرَبْتَ لِحَوْزِ أَعْشَارِ ٱلْمَعَالِي[(٥)] فَكَانَ لَكَ ٱلرَّقِيبُ مَعَ ٱلْمُعَلاّ[(٦)]

---

(١) كذا ولعله (الوغى)

(٢) كذا ولعله (فلن يُرَى)

(٣) الأظهر أن تكون هذه القصيدة بوالده أبي محمد ناصر الدولة الحمداني وقد أثنى في أثنائها على ابنه أبي علي الملقَّب بناصر الدولة أيضاً . انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢) والحاشية رقم (١) ص (١٧) والحاشية رقم (١) ص (٤٠٢) والحاشية رقم (٢) ص (٥٢٨) على أن عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : (وله من قصيدة يمدح بها ناصر الدولة) ولم يرد في (ل) من هذه القصيدة إلاّ بعضها على سبيل الاختيار.

(٤) لم يرد هذا البيت والذي بعده في (ل)

(٥) في الأصل (المغالي) وهو تصحيف .

(٦) الأعشار : الأنصباء . والرقيب : الثالث من سهام الميسر . والمعلّى : السابع .

سَمَتْ بِكَ هِمَّـةٌ كَسَبَتْكَ ذِكْراً وَسَمَتْ بِهَا الزَّمَانَ وَكَانَ غُفْلا[١]

فَطُلْ مَنْ شِئْتَ[٢] مَنْزِلَـةً فَإِنِّي أَرَى كُلاًّ عَلَى ذَا الْمَجْدِ كَلاّ

عَلَوْتَ يَفَاعَهُ[٣] يَفَعاً وَيَأْبَى إِبَاؤُكَ أَنْ تُدَانِيَ فِيهِ كَهْلا

وَبَعْدَ الْحِرْصِ لَا بَعْدَ التَّوَانِي تَخَلَّى عَنْ مَكَانِكَ مَنْ تَخَلَّى

أُضِيفَ لَهُمْ إِلَى الطَّلَبِ اجْتِهَادٌ فَكَانَ عَلَى تَخَلُّفِهِمْ أَدَلاّ[٤]

فَلاَ[٥] تَلْحَوْا عَزِيمَاتٍ إِذَا مَا أَرَادَتْ نَقْضَ حَبْلِكَ زَادَ فَتْلا

فَمَنْ ذَا[٦] يُلْزِمُ النَّكْبَاءَ ذَنْباً إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ لِلْهَضْبِ نَقْلا

أَلَسْتَ ابْنَ الأُلَى جَادَتْ ثَرَاهُمْ سَمَاءُ الْمَجْدِ تَسْكَاباً وَهَطْلا

إِذَا نَزَلَ الرَّجَاءُ بِهِمْ أَزَالُوا عَسَى مِنْ قَوْلِهِمْ وَنَفَوْا لَعَلاّ

أَفَادُوا الْفَخْرَ[٧] بِالأَمْوَالِ جُوداً لِطَالِبِهَا وَبِالأَعْرَاضِ بُخْلا

مَصَاعِبُ بُوِّئَتْ رَوْضَ الْمَعَالِي رَعَتْهُ مُصَوِّحاً وَرَعَتْهُ بَقْلا[٨]

---

(١) عطلا (ل)

(٢) من شفتَ (ع) و (م)

(٣) في الأصل (بقاعه) وهو تصحيف ، والبيت لم يرد في (ل)

(٤) هذا البيت مع بيتين بعده لم ترد في (ل)

(٥) كذا ولعله (فلا يلحوا)

(٦) فماذا ؟ (م)

(٧) الحمد (ل)

(٨) هذا البيت وستة أبيات بعده لم ترد في (ل)

بِأَرْضٍ أَنْبَتَتْ كَرَماً وَبَأْساً جَنَاهُ الْعِزُّ لا نَشَماً وَرُغْلا[1]
سَمَوْا زَمَنَ الْحَيَاةِ فَلَمْ يُسَامَوْا وَسَامُوا الدَّهْرَ طَاعَتَهُمْ فَذَلَّا
وَغَابُوا فِي صَفَائِحَ لَمْ تُغَيِّبْ صَحَائِفَ مَا أَقَامَ الدَّهْرُ تُتْلا
عُلًى حَلِيَ الزَّمَانُ بِهَا وَلٰكِنْ بِمِثْلِ صِفَاتِ مَجْدِكَ مَا تَحَلَّا
فَدَاؤُكَ عَالَمٌ لَمْ تُبْقِ فِيهِمْ مَرُوعاً بِالْخُطُوبِ وَلاَ مُقِلَّا
إِذَا لاذُوا بِجُودِكَ فِضْتَ جُوداً وَإِنْ عَاذُوا بِحِلْمِكَ فِضْتَ عَدْلا
فَيَا[2] أَوْفَى الْمُلُوكِ حِجًى وَحِلْماً وَأَطْيَبَهُمْ نَدًى وَثَناً وَأَصْلا[3]
وَأَخْشَعَهُمْ إِذَا صَلَّى فُؤَاداً وَأَشْجَعَهُمْ إِذَا مَا السَّيْفُ صَلَّا
لَقَدْ وَلَّاكَنَا مَوْلًى رَؤُوفٌ فَأَكْرِمْ بِالْمُوَلِّي وَالْمُوَلَّى
فَمُنْذُ حَلَلْتَ ذَا الْبَلَدَ اسْتَقَلَّتْ غَمَائِمُ ضُمِّنَتْ خَوْفاً وَمَحْلا[4]
وَمَا حَمَّلْتَ نَفْسَكَ فِيهِ وِزْراً وَلاَ حَمَّلْتَ عِزَّكَ فِيهِ ثِقْلا
وَكُلُّ سِعَايَةٍ أَعْرَضْتَ عَنْهَا كَأَنَّكَ سَامِعٌ فِي الْجُودِ عَذْلا
حَمَيْتَ مُشَمِّراً وَقَهَرْتَ مَنْعاً وَجُدْتَ مُيَسِّراً فَغَمَرْتَ بَذْلا

---

(١) في الأصل (لا يَتماً ورَعلا) وهو تصحيف غير يسير تصحيحه . والنَّشَمُ : شجر للقسي يقال « معه زوراء من نَشَم » والرُّغْل : بالضم نبت وقيل السَّمرْمَق وهو نبات القَطَف معرَّب . والقَطَف : شجر جبلي خشبه متين .

(٢) فتىً أوفى ... (ع) و (م)

(٣) وعدلا ؟ (ع) و (م)

(٤) هذا البيت وأربعة أبيات بعده لم ترد في (ل)

بِأَرْضٍ لَوْ عَدَاكَ ٱلْحُكْمُ فِيهَا ... لَمَا تَرَكَ ٱلْأَعَزُّ بِهَا ٱلْأَذَلَّا

وَمَنْ لَزِمَ[(١)] ٱلتُّقَىٰ قَوْلاً وَفِعْلاً ... تَوَلَّىٰ ٱللهُ عِصْمَةَ مَا تَوَلَّىٰ

رَأَيْتُ حُسَامُكَ ٱلْحَاكِيكَ قَطْعاً ... إِذَا سَفَكَ ٱلدَّمَ ٱلْمَمْنُوعَ طُلَّا[(٢)]

وَمَالُكَ مَا[(٣)] أَرَاقَ دَماً حَرَاماً ... وَكَمْ أَلْزَمْتَهُ قَوَداً وَعَقْلا

تُحَمِّلُكَ ٱلْمَكَارِمُ كُلَّ عِبْءٍ ... فَتُلْفَىٰ مُسْتَقِلاًّ مُسْتَقِلّا[(٤)]

وَإِنْ طَالَ ٱلْكَلَامُ بِلَا صَوَابٍ ... أَصَبْتَ لَدَيْكَ أَدْنَىٰ ٱلْقَوْلِ فَصْلا

بَيَانٌ وَاضِحٌ وَنَدَىٰ بَنَانٍ[(٥)] ... غَمَرْتَ تَفَضُّلاً وَبَهَرْتَ فَضْلا[(٦)]

فَطَوْراً تُعْجِزُ ٱلْحُكَمَاءَ قَوْلاً ... وَطَوْراً تُعْجِزُ ٱلْكُرَمَاءَ فِعْلا

وَمَا ٱنْتَصَرَتْ بِكَ ٱلْخُلَفَاءُ إِلَّا ... وَقَدْ وَجَدَتْكَ أَوْفَىٰ ٱلْخَلْقِ[(٧)] إِلَّا

فَأَنْتَ وَلَنْ تُدَافَعَ عَنْ مَسَاعٍ ... تَظَلُّ لِشَارِدِ ٱلْعَلْيَاءِ عَقْلا[(٨)]

أَمِينُهُمُ[(٩)] عَلَى ٱلْوَفْرِ ٱلَّذِي لَوْ[(١٠)] ... تَوَلَّىٰ أَمْرَهُ مَلَكٌ لَغَلَّا[(١١)]

(١) ومن رام ... (ع) و (م)
(٢) هذا البيت وبيتان بعده لم ترد في (ل)
(٣) في الأصل (من) والتصحيح من هامش (م)
(٤) في الأصل بدون نقط .
(٥) بيان ؟ (م)
(٦) هذا البيت لم يرد في (ل)
(٧) الناس (ل)
(٨) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٩) أمنتهم (ع) و (م) (١٠) لا (ل) (١١) تعلا ؟ (ع) و (م)

وَناصِرُهُمْ عَلَى النُّوبِ الَّتي لَوْ ... رَآهــا الْمَوْتُ مُقْبِلَةً لَوَلَّى
وَسَيْفُهُمُ الَّذي قَهَرَ الأَعادِي ... فَأَغْمَدَ كُلَّ سَيْفٍ مُنْذُ سُلَّا
اَمَتَّ جَمِيعَ مَنْ عاداكَ خَوْفاً ... لِتَفْضُلَ مَنْ أَماتَ عِداهُ قَتْلا (١)
عَزائِمُ طالَمــا فرَّجْتَ كَرْباً ... بِماضِي حَدِّها وَقتَلْتَ قَتْلا
فَما تَرَكَتْ بِقَلْبِ الدِّينِ غِلّاً ... وَلَا أَبْقَتْ لِجِيدِ الْحَقِّ غُلّاً
وَأَنْتَ جَمَعْتَ شَمْلَ الأَمْنِ فِينا ... فَلَا شَتَّتْ لَكَ الْأَيَّامُ شَمْلا
وَلَا زالَ الأَميرُ أَبُو عَلِيٍّ (٢) ... يُجِدُّ ثِيابَ عِزٍّ (٣) لَيْسَ تَبْلا
لَقَدْ عَفَّتْ سَعادَتُهُ فَدامَتْ ... عَلَى مــا ظَنَّهُ الْحُسَّادُ جَهْلا
فَأَثْمَرَ ظَنُّنـــا صِدْقاً وَحَقّاً ... وَأَثْمَرَ ظَنُّهُمْ مَيْناً وَبُخْلا
فَأَفْئِدَةٌ بِماءِ الفَوْزِ (٤) تُسْقَى (٥) ... وَأَفْئِدَةٌ لَظَى النِّيرانِ تَصْلا
وَلَمْ يَعْدِلْ بِهِ الإِرْجافُ عَمّا ... رَآهُ لَهُ إِمامُ الْعَصْرِ أَهْلا (٦)
وَخَوَّلَهُ مَعَ التَّقْرِيبِ نَعْتاً ... لِيَرْفَعَ ذِكْرُهُ اللَّقَبَ الأَجَلّا

(١) هذا البيت وثلاثة أبيات بعده لم ترد في (ل)
(٢) أبو علي : هو ابن الممدوح انظر الحاشية رقم (٣) ص (٥٢٤) .
(٣) مدح (ع) و (م)
(٤) الغور (ع) و (م)
(٥) تشفى (ل)
(٦) هذ البيت والذي يليه لم يردا في (ل)

وَما اُلْعَلَمَ اُلْمُشِيرَ إلى طِرَازٍ نَحا لَكِنْ نَحا (١) اُلْعَلَمَ اُلْمُطِلاّ
وَما(٢) مَدَحَتْ بِهِ اُلْخَنْساءُ(٣) صَخْراً مُشَبِّهَةً لَهُ فَعْــــلاً (٤) مَحَلاّ
وَلَيْسَ بِرَأْسِ ذَا نارٌ ولَكِنْ بِنُورِ جَبِينِهِ اُلظُّلُماتُ تُجْلا (٥)
وَأَعْظَمَ (٦) أَهْلُ مِصْرٍ ما رَأَوْهُ فَصارَ حَدِيثُهُ (٧) لِلْقَوْمِ شُغْلا
وَقالُوا (٨) ما عَهِدْنا اُلشَّمْسَ عِرْساً فَقُلْتُ وَلاَ (٩) عَهِدْنا اُلْبَدْرَ بَعْلا
فَلَيْتَ حُلُولَ هٰذَا اُلْأَمْنِ أَضْحىٰ لِحَتْفِ اُلْكارِهِينَ لَهُ مُحِلاّ (١٠)
بَشائِرُ أَتْعَبَتْ ربدا (١١) فَلَوْلاَ مَسَرَّتُهُ بِمــــا ضَمِنَتْ لَكَلاّ
فَبُشْرىٰ نِقْسُها (١٢) رَطْبٌ وَأُخْرىٰ تُخَطُّ وَأُخْتُها فِي اُلْحالِ تُمْلا

---

(١) يُخال لحسنه العلم المطلا (ع) و (م)
(٢) ولا ... (ل)
(٣) يشير إلى قول الخنساء :
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهداة به كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ
(٤) فِعْلاً مُجِلاّ (ع) و (م)
(٥) تحلا ؟ (ع) و (م)
(٦) وأعجب ما رآه أهل مصر (ل)
(٧) حديثهم (ع) و (م)
(٨) فقالوا (ل)
(٩) وما (ع) و (م)
(١٠) هذا البيت و ١٨ بيتاً بعده لم ترد في (ل)
(١١) كذا بلا نقط ولعلها (زنداً)
(١٢) في الأصل (نفسها) وهو تصحيف .

أَحادِيثٌ عَرَفْناها يَقِيناً فَزَالَ ٱلشَّكُّ فِيها وَٱضْمَحَلاَّ

أَلَذُّ مِنَ ٱلْغِناءِ لِسامِعِيهِ وَمِمَّا فِي بُطُونِ ٱلنَّحْلِ أَحْلا

حَلَتْ لِلنَّاطِقِينَ بِها فَظَنُّوا حَماماً طارَ بِٱلْأَخْبارِ مُحلا (١)

وَأَصْبَحَ شائِعاً خَبَرُ ٱلتَّدانِي فَكَشَّفَ كُلَّ داجِيَةٍ وَجَلاَّ

أَدالَ مِنَ ٱلْمَساءَةِ ما تَوَلَّى وَرَدَّ مِنَ ٱلْمَسَرَّةِ ما تَوَلَّى

فَسَقْياً فِي ٱلْبِعادِ لَهُ وَرَعْياً وَأَهْلاً فِي ٱلدُّنُوِّ بِهِ وَسَهْلا

فَلا تَجْعَلْ لِمَقْدَمِهِ أَوَاناً عَلَيْهِ ٱلطَّالِعُ ٱلْمُخْتارُ دَلاَّ

وَأَبْعَدُ أَنْ تُدَبِّرَهُ نُجُومٌ تَمَنَّى أَنْ تَحُلَّ بِحَيْثُ حَلاَّ

تَهاداهُ ٱلْقُصُورُ وَإِنْ تَشَكَّى أَلِيمَ ٱلشَّوْقِ ما عَنْهُ ٱسْتَقَلاَّ

بمصر (٢) مِنْهُ بِٱلْفُسْطاطِ يَخْلُو وَشَرْواهُ لَهُ بِدِمَشْقَ يُخْلا

فَعِشْتَ لَهُ وَعاشَ بِلا نَظِيرٍ يُكاثِرُ تَغْلِباً عِزّاً وَنُبْلا

وَذا ٱلْعِيدُ ٱلسَّعِيدُ فَأَنْتَ فِيهِ مِنَ ٱلْحَسَناتِ أَوْفَى ٱلنَّاسِ كِفْلا

يُقِرُّ بِذاكَ مَنْ صَلَّى وَزَكَّى وَيَشْهَدُ كُلُّ مَنْ شَهِدَ ٱلْمُصَلَّى

تَعَمَّدْتُ ٱلْإِطالَةَ عَنْ يَقِينٍ بِأَنَّ سَماعَ وَصْفِكَ لَنْ يُمَلاَّ

وَيالَيْتَ ٱلْكَلامَ وَفَى بِشُكْرِي حَيا ما شِمْتُهُ إِلاَّ ٱسْتَهَلاَّ

(١) كذا بلا نقط ولعلها (مَحْلا)

(٢) كذا ولعله (فَقَصْرٌ)

سِوَاكَ يَزِيدُهُ ٱلْمُدَّاحُ مَجْداً ... وَغَيْرُكَ بِٱسْتِماعِ ٱلْمَدْحِ حُلاَّ[1]
يُعَلَّى ٱلْعُودُ كَيْ يَزْدَادَ طِيباً ... وَيَأْبَى ٱلنَّدُّ طِيبــاً أَنْ يُعَلاَّ
بَقِيتَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ لَنَا مُدِيلاً ... وَإِنْ رَغِمَ ٱلْعِدَى وَلَهُمْ مُذِلاَّ

٩٢

وقال يمدح الوزير اليازوري[2]

لِيَهْنِكَ مَا شَادَتْ لَكَ ٱلْهِمَمُ ٱلْعُلاَ ... وَهُنِّيتَ مَجْداً لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَعْدِلا[3]
إِلَيْكَ ٱرْتَقَى إِذْ كُنْتَ مُذْ كُنْتَ فَوْقَهُ ... وَغَيْرُكَ مَا يَنْفَكُّ يَرْقَى إِذا عَلا
تَحَلَّى أُناسٌ بِٱلْمَدِيحِ لِيَشْرُفُوا ... فَأَمَّا مَنِ ٱسْتَوْلَى عَلَى ذَا ٱلْمَدَى فَلا
تَأَوَّلَ أَعْدَاءُ ٱلْمُلُوكِ عَلَيْهِمُ ... فَوَالَيْتَ إِحْسَانًا كَفَاكَ ٱلتَّأَوُّلا
فَلَوْ وَصَلَتْ أَبْوَاعُهُمْ[4] مَا تَطَاوَلَتْ ... إِلَيْهِ مُنَاهُمْ كانَ فِتْرُكَ أَطْوَلا
وَلَوْ صَلَحَتْ تِيجَانُهُمْ لَكَ زِينَــةً ... إِذاَمَا ٱسْتَطَاعَتْ أَنْ تَعَدَّى ٱلْمُخَلْخَلا
وَإِنْ بَاتَ فِي أُخْرَاهُمُ مُتَعَقِّباً ... تَــكُنْ أَوَّلاً مِنْهُمْ إِذا ٱلْفَضْلُ أَوَّلا
تَفُوقُ ٱلنُّصُولَ ٱلْبِيضَ قَطْعاً وَهِزَّةً ... وَتَسْبِقُ بِالصَّفْحِ ٱلْجَمِيلِ ٱلتَّنَصُّلا

---

(١) كذا ولعلها (جلاّ)
(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)
(٣) هذه القصيدة كلها لم ترد في (ل)
(٤) في الأصل (أنواعهم) وهو تصحيف .

وَمَا زِلتَ تَلْقَى ٱلذَّنْبَ مُعْتَذِراً لَهُ ... فَتَغْفِرُهُ طَوْلاً وَتَنْدَى تَطَوُّلا

إِلَى أَنْ حَسِبْنَا كُلَّ صَاحِبِ زَلَّةٍ ... بِمَا كَسَبَتْ مِنْهَا يَدَاهُ تَوَسَّلا

وَأَعْرَضْتَ عَنْ قَوْلِ ٱلسُّعَاةِ جَلاَلَةً ... إِلَى أَنْ حَسِبْنَاهُمْ عَلَى ٱلْجُودِ عُذَّلا

وَلاَ لَوْمَ فِي كَسْبِ ٱلثَّنَاءِ لِمَنْ صَبَا ... إِلَيْهِ وَلٰكِنَّ ٱلْمَلاَمَ لِمَنْ سَلا

نَفَى ظِلُّكَ ٱلْإِمْحَالَ عَنْ كُلِّ لاَئِذٍ ... بِهِ فَكَفَيْتَ ٱلْمَادِحِيكَ ٱلتَّمَحُّلا

مَوَاهِبُ لَمَّا لَمْ تُغَادِرْ فَرِيضَةً ... وَلاَ سُنَّةً فِي ٱلْجُودِ جَادَتْ تَنَفُّلا

إِذَا مَا أَصَابَتْ مِنْ عُدَاتِكَ مَقْتَلاً ... بِأَسْهُمِهَا عَادَتْ تَطَلَّبُ مَقْتَلا

وَإِنْ عَلِمَتْ ظُنَّ ٱلْيَقِينُ تَظَنِّياً ... وَإِنْ رُوِّيَتْ خِيلَ ٱلْعِيَانُ تَخَيُّلا

فَهُنَّ ٱلْحَيَا لَوْ كُنَّ غَيْرَ دَوَائِمٍ ... وَهُنَّ ٱلنُّجُومُ ٱلزُّهْرُ لَوْ كُنَّ أُفَّلا

أَلَسْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ تَقَيَّلُوا ... مِنَ ٱلْعِزِّ ظِلاًّ لَمْ يَكُنْ مُتَقَيَّلا[1]

وَطَالُوا إِلَى أَنْ لَمْ يُلاَقُوا مُطَاوِلاً ... وَجَادُوا إِلَى أَنْ لَمْ يُصِيبُوا مُؤَمِّلا

فَلَوْ سُطِرَتْ لِلْمُنْعِمِينَ جَرَائِدٌ ... لَمَا ثَبَتَتْ فِيهَا لِغَيْرِكُمُ حِلا

حَوَى عَلَمُ ٱلْمَجْدِ ٱلْأَجَلُّ مَآثِراً ... أَفَادَتْهُ حَمْداً لَنْ يَزَالَ مُؤَثَّلا

يَرَى ٱلصَّابَ أَرْياً حِينَ يَطْلُبُ غَايَةً ... يَرَى غَيْرُهُ فِي سُوقِهَا[2] ٱلْأَرْيَ حَنْظَلا

(١) في الأصل (متقبلا) وهو تصحيف .

(٢) لعله (في سَوْمِها)

وَيَبْذُلُ دُونَ الدِّينِ نَفْساً نَفِيسَةً عَزِيزٌ عَلَى الْعَلْيَاءِ أَنْ تَتَبَذَّلَا[١]
إِذَاحَرِجَ[٢] السُّلْطَانُ صَدْراً بِأَمْرِهِ وَعَادَ[٣] إِلَى رَأْيِ الْكُفَاةِ مُعَوِّلَا
فَتَوْقِيعُهُ الْأَعْلَى يُخَبِّرُ أَنَّهُ عَلَى اللَّهِ فِي كُلِّ الْأُمُورِ تَوَكَّلَا
فَأَبْدَى لَهُ مَا كَانَ قِدْماً مُغَيَّباً وَسَهَّلَ صَعْباً قَبْلَهُ مَا تَسَهَّلَا
وَأَوْجَدَ مَعْدُوماً وَذَلَّلَ جَامِحاً وَقَرَّبَ مُنْزَاحاً وَأَوْضَحَ مُشْكِلَا
لِأَرْوَعَ يَبْدُو فِي أَسِرَّةِ وَجْهِهِ سَنًا يُعْجِلُ الْأَبْصَارَ أَنْ يَتَأَمَّلَا[٤]
يَصُولُ فَيُضْحِي السَّابِرِيُّ مُمَزَّقاً وَيَحْمِي فَيَثْنِي الْمَشْرَفِيَّ مُفَلَّلَا
وَمُدَّرِعٍ مِنْ[٥] خَشْيَةِ اللَّهِ فِي الْمَلَا مَلَابِسَ لَا يُنْزَعْنَ عَنْهُ إِذَا خَلَا
حَلَفْتُ بِمَنْ لَوْلَاهُ مَا سَارَ وَفْدُهُ إِلَيْهِ يَحُثُّونَ الرِّكَابَ الْمُذَلَّلَا
لَقَدْ أُوقِرُوا مِنْ أَنْعُمٍ وَمَحَامِدٍ فَأَعْجِبْ بِهِمْ كَيْفَ اسْتَطَاعُوا تَحَمُّلَا
وَقَدَّمْتَ مِيقَاتَ الْمَسِيرِ لِيَأْمَنُوا بِيُمْنِكَ[٦] سَيْراً طَالَمَا كَانَ مُعْجَلَا
وَأَوْسَعْتَهُمْ مِنْ كُلِّ دَهْمَاءَ شَطْبَةٍ تُعَارِضُ بِالْبَيْدَاءِ أَدْمَاءَ عَيْطَلَا

(١) أن تتبدلا (م)
(٢) في الأصل (إذا جرح)
(٣) في الأصل (وعال)
(٤) لعله (أن تتأملا)
(٥) في الأصل (في خشية ...)
(٦) في الأصل (يمينك)

سَوَارِ إِذَا سَارَ ٱلْمطِيُّ مُحَرَّمًا صَوَافِنُ إِنْ بَاتَ ٱلْمطِيُّ مُعَقَّلا
إِذَا سَلَكُوا رَبْعًا جَدِيبًا مُرَوَّعًا شَفَعْتَ لَهُمْ حُسْنَ ٱلْكَلَاءَةِ بِالْكَلا
مُبِيحًا لَهُمْ فِي حَيْثُ لا رَعْيَ مُرْتَعًى وَمُسْتَنْبِطًا فِي حَيْثُ لَا مَاءَ مَنْهَلا
هُوَ ٱلسَّعْيُ أَرْضَى ذَا ٱلْجَلالِ وَخَلْقَهُ فَدُمْ أَبَدًا سِتْرًا عَلَى ٱلْخَلْقِ مُسْبَلا
وَلَا خَيَّبَ ٱللهُ ٱلْكَرِيمُ دُعَاءَهُمْ فَحَظٌّ لِدِينِ ٱللهِ أَنْ يُتَقَبَّلا
وَأَمَّكَ حُجَّاجُ ٱلْعِرَاقِ وَخَلَّفُوا مَوَاطِنَ قَدْ أَلْقَى بِهَا ٱلْخَوْفُ كَلْكَلا
وَأَنْتَ غِيَاثُ ٱلْمُسْلِمِينَ فَكُنْ لَهُمْ وَإِنْ نَزَحَتْ أَوْطَانُهُمْ عَنْكَ مَوْئِلا
فَلَا عُذْرَ لِلْخَيْلِ ٱلَّتِي طَالَ حَبْسُهَا إِذَا لَمْ تُثِرْ فِي أَرْضِ بَغْدَادَ قَسْطَلا
جِيَادٌ إِذَا ٱشْتَدَّتْ بِأَرْضِ مُخَالِفٍ أَرَتْكَ مُثَارَ ٱلنَّقْعِ هَامًا وَجَنْدَلا
تَجَارَى بِفُرْسَانٍ تُضَاعِفُ أَيْدَهَا إِذَا صَارَتِ ٱلْأَيْدِي مِنَ ٱلرُّعْبِ أَرْجُلا
عَصَائِبُ لَا تَجْتَابُ غَيْرَ يَقِينِهَا إِذَا غَيْرُهَا ٱجْتَابَ ٱلدِّلَاصَ ٱلْمُذَيَّلا
فَيَا مَالِكَ ٱلزَّوْرَاءِ حُزْتَ عَزَائِمًا جَرَى ٱلْفِكْرُ فِي آيَاتِهِنَّ[1] مُضَلَّلا
غِيَاثِيَّةً تَاجِيَّةً[2] نَاصِرِيَّةً إِذَا مَا سَمَتْ لَمْ تَرْضَ فِي ٱلْأُفْقِ مَنْزِلا
وَكَمْ أَخْلَفَتْ فِي مَأْزِقٍ ظَنَّ مَارِقٍ[3] وَكَمْ خَلَّفَتْ فِيهِ سِنَانًا وَمُنْصُلا
وَيَا صَاحِبَ ٱلنَّارِ ٱلْقَرِيبِ خُمُودُهَا حَذَارِ مِنَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي لَيْسَ تُصْطَلا

(١) غاياتهن (هامش م)
(٢) في الأصل (ناجية)
(٣) « « (مازق)

مِنَ ٱلسُّمْرِ وَٱلْبِيضِ ٱلرِّقَاقِ وَقُودُها وَإِنْ ظُنَّ مِنْ طِيبِ ٱلتَّضَوُّعِ مَنْدَلا
وَمَا زِلْتَ لِلْأَمْرِ ٱلعَظِيمِ مُؤَهَّلا قَدِيمًا وَلِلْمُلْكِ ٱلْعَقِيمِ مُؤَهِّلا
عُرىً أَعْرَبَتْ عَنْ ذَاتِها في ٱبْتِدَائِها فَلَمْ يَخْفَ مَغْزَاها عَلَى مَنْ تَأَمَّلا
وَعَزْمٌ أَبَىٰ في ٱلْخَطْبِ إِلاَّ تَوَقُّداً وَسَعْيٌ أَبَىٰ في ٱلْفَخْرِ إِلاَّ تَوَقُّلا[1]
فَحَلَّ رُبَاهُ وَٱجْتَلَىٰ بِعُقُودِهِ فَأَعْيَا ٱلْوَرَىٰ مَا ٱحْتَلَّ مِنْها وَمَا ٱجْتَلا[2]
فَضَائِلُ ظَلَّ ٱلدَّهْرُ مِنْها مُعَطَّراً فَلاَ عَادَ مِنْ فَخْرٍ بِهِنَّ مُعَطَّلا
(وَجارَىٰ)[3] خَطِيرَ ٱلْمُلْكِ فِيها صَفِيُّهُ فَلَمْ يَنِيَا يَوْماً وَلَمْ يَتَمَهَّلا
هُمَامَانِ مَعْلُومَانِ قَدْ سَلَكَا مَعاً طَرِيقاً إِلَىٰ ٱلْعَلْيَاءِ لَيْسَ بِأَمْيَلا
ذَوَا شِيَمٍ صِيغَتْ مِنَ ٱلْعَدْلِ وَٱلتُّقَىٰ بِها عُظِّمَا في ٱلْخَافِقَيْنِ وَبُجِّلا
إِذَا قَدَرَا فَٱلْوَالِدَانِ تَرَفُّقَاً وَإِنْ حَلُمَا عَايَنْتَ رَضْوَىٰ وَيَذْبُلا[4]
وَإِنْ أَحْكَمَا ٱلْأَيَّامَ زَالَ جِمَاحُها وَإِنْ حَكَمَا أَمَّا ٱلْكِتَابَ ٱلْمُنَزَّلا
وَلَا جَاوَدَا ٱلْأَجْوَادَ إِلاَّ وَأَرْبَيَا وَلَا فَاضَلَا ٱلْأَمْجَادَ إِلاَّ وَفُضِّلا
وَلَا نَزَعَا عَنْ هده[5] عُرِفَا بِها وَلاَ نَزَعَا مِنْ عِزَّةٍ مَا تَسَرْبَلا

---

(١) توغلا (هامش م)

(٢) في الأصل (اختلا)

(٣) محل هذه الكلمة بياض . وخطير الملك وصفي الملك : ولدا الوزير اليازوري انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)

(٤) رَضْوَىٰ : جبل بالمدينة . ويَذْبُل : جبل بنجد .

(٥) كذا ولعلها (هزّة)

لِتَهْنِ مَسَاعِيكَ الْإِمَامَ . . . (١) بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى قُوىً لَنْ تُحَدَّلا (٢)

وَهُنِّيتَ عِيداً ظَلْتَ تَعْلُوهُ بَهْجَةً وَتَخْلُفُهُ فِينَـا إِذَا مَا تَرَحَّلا

وَمَنْ جَادَ بِالْآمَالِ عَنْكَ فَإِنَّنِي أَرَى كُلَّ بَحْرٍ مُذْ رَأَيْتُكَ جَدْوَلا

وَوَالَيْتَ آلَاءً فَسُدَّتْ مَطَامِعِي (٣) فَلَمْ تَتَّرِكْ لِي عَنْ جَنَابِكَ مَزْحَلا

وَأَلْفَيْتُ إِخْلَافَ الْمَوَاعِيدِ مُعْوِزاً لَدَيْكَ وَأَخْلَافَ الْمَكَارِمِ حُفَّلا

وَأَنْشَرْتَ فِي قَحْطَانَ أَوْساً وَحَاتِماً وَأَنْشَرْتَ فِي قَيْسٍ زِيَاداً وَجَرْوَلا (٤)

وَكُنْتَ لِحُكْمِ الدَّهْرِ فِيَّ مُنَاقِضاً وَلَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ يَجُورَ وَتَعْدِلا

وَلَا غَرْوَ أَنْ تُعْطِي أَمَانِيَّ طَالِبٍ يَرَاكَ بِتَصْدِيقِ الْمُنَى مُتَكَفِّلا

مُصِيخٍ إِذَا اسْتَدْعَيْتَهُ جَاءَ مُسْرِعاً إِلَيْكَ وَإِنْ لَمْ تَدْعُ جَاءَ مُطَفِّلا

وَمَا لِيَ أَرْضَى بِالتَّعَلُّلِ (٥) بَعْدَمَا نَهَانِي نَدَاكَ الْغَمْرُ أَنْ أَتَعَلَّلا (٥)

لُهىً فَتَحَتْ بَابَ الْمُنَى فَدَخَلْتُهُ وَقَدْ كَانَ بَاباً لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَدْخَلا

رَعَى أَمَلِي فِيهَا بِكُلِّ خَمِيلَةٍ وَكَانَ قَدِيماً مُجْدِبَ الرَّعْيِ مُهْمَلا

أَرَى خَجَلاً يَعْتَادُنِي فِي مَوَاقِفِي وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَقُولَ فَأَخْجَلا

---

(١) بياض في الأصل . ولعل الكلمة (فَإِنَّها)

(٢) كذا ولعلها (لَنْ تُجَدَّلا)

(٣) مطالعي (هامش ع و م)

(٤) أوس بن حارثة بن لأم : رأس طيء . وحاتم : هو الطائي . وقبائل قيس : العرب العدنانية . وزياد : هو النابغة الذبياني . وجَرْوَل : هو الحطيئة .

(٥) بالتقلل . . . أتقللا (هامش ع و م)

وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ وَصْفَكَ جَاعِلِي بَلِيداً وَإِنْ أُوتِيتُ قَوْلاً وَمِقْوَلا
وَلا عُذْرَ فِي التَّقْصِيرِ عَنْهُ فَإِنَّنِي نَبَوْتُ نُبُوَّ السَّيْفِ صَادَفَ مَفْصِلا
وَعِنْدِي وَإِنْ أَوْضَحْتُ عَجْزاً بَقِيَّةٌ إِذَا نُشِرَتْ لَمْ أُلْفَ إِلاَّ مُفَضَّلا
ثَنَائِيَ يُنْشِي سَامِعِيهِ كَأَنَّنِي أُدِيرُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ صَهْبَاءَ سَلْسَلا
فَلا بَرِحَتْ مِنْهُ غَرَائِسُ تُجْتَنَى لَدَيْكَ وَلاَ زَالَتْ عَرَائِسُ تُجْتَلا



قافيــة الميم

٩٣

وقال [(١)] يمدح أمير الجيوش المظفّر مصطفى الملك [(٢)] ويهنيه بعيد ويذكر هزيمة طيء ومن معها

يَا لَلرِّجَالِ لِنَظْرَةٍ سَفَكَتْ دَما ... وَلِحَادِثٍ لَمْ أَلْقَهُ [(٣)] مُسْتَلْئِما [(٤)]

وَأَرَى السِّهَامَ تَؤُمُّ مَنْ يُرْمَى بِهَا ... فَعَلامَ سَهْمُ اللَّحْظِ يُصْمِي مَنْ رَمَا

يَا آمِرِي بِتَجَلُّدٍ لَمْ أُعْطَهُ ... مَا نَمَّ دَمْعِي بِالْجَوَى حَتَّى [(٥)] نَمَا

وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِدَارِ زَيْنَبَ مَوْهِناً ... وَالْوَجْدُ يَأْبَى أَنْ أَقُولَ فَأُفْهِمَا

مُسْتَخْبِراً عَنْهَا فَلَمْ أَرَ مَعْلَماً ... مِنْهَا بِأَخْبَارِ الْأَحِبَّةِ مُعْلِمَا

أَبْكِي وَيَمْنَعُنِي تَنَاسِي مَا مَضَى ... مَا يَمْنَعُ الْأَطْلَالَ أَنْ تَتَكَلَّمَا

فَعَذَلْتُ [(٦)] قَلْبِيَ إِذْ أَطَاعَ غَرَامَهُ ... وَعَصَى التَّسَلِّيَ بَعْدَهَا وَاللُّوَّمَا

---

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : (قال يمدح أمير الجيوش المظفّر مصطفى الملك عدّة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري ويهنيه بعيد ويذكر هزيمة طيء ومن معها)

(٢) هو أنوشتكين الدِّزْبري انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) لم ألفه (ع) و (م)

(٤) مستسلما (ل)

(٥) إلاّ نما (ل)

(٦) فعذرتُ . . . (ع) و (م)

وَاللَّوْمُ مِثْلُ الرِّيحِ يَذْهَبُ ضِلَّةً ... وَيَزِيدُ نِيرَانَ الْمُحِبِّ تَضَرُّما
وَخَطِيطَةٍ[1] ضَنَّ الْغَمَامُ بِرِيِّهَا ... خَلَّفْتُهَا خَلْفِي وَسِرْتُ مُيَمِّما
أَرْضاً[2] إِذَا مَا التُّرْبُ أَجْدَبَ أَخْصَبَتْ ... بِنَدًى[3] إِذَا مَا الْغَيْثُ أَنْجَمَ أَثْجَما
يَلْقَى بِهَا الرُّوَّادُ رَوْضاً مُزْهِراً ... وَيُصَادِفُ الْوُرَّادُ حَوْضاً مُفْعَما
وَتَرَى بِهَا أُمَّ الْمُدَامَةِ عَاقِراً ... أَبَداً وَأُمَّ الْحَمْدِ حُبْلَى مُتْئِما
أَضْحَتْ بِإِحْسَانِ الْمُظَفَّرِ كَعْبَةً ... لِلطَّالِبِينَ وَلِلْمَكَارِمِ مَوْسِما
مَلِكٌ إِذَا سُئِلَ الرَّغَائِبَ وَاللُّهَى ... أَعْطَى وَإِنْ لاقَى الْكَتَائِبَ أَقْدَما
يُرْبِي عَلَى الْقَدَرِ الْمُتَاحِ إِذَا سَطَا ... وَيُجَاوِدُ الْجَوْدَ السَّحَاحَ إِذَا هَمَا
أَوْفَى مِنَ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ بَهْجَةً ... وَأَشَفُّ مَنْزِلَةً وَأَبْعَدُ مُرْتَمَا
مَنَعَ اللَّيَالِيَ أَنْ تَبِيتَ مَوَانِعاً ... مَا رَامَ أَوْ مُسْتَبْذِلاتٍ مَا حَمَا
يَأْبَى الْغَوَانِيَ وَالْغِنَاءَ وَيَنْتَشِي[4] ... طَرَباً إِذَا كَانَ الصَّلِيلُ تَرَنُّما
هِمَمٌ عَلَوْنَ عَلَى السِّمَاكِ وَإِنَّمَا ... بِالْجُودِ وَالْإِقْدَامِ يَسْمُو مَنْ سَمَا

---

(١) الخطيطة : الأرض لم تمطر بين ممطورتين ، وقيل التي مطر بعضها . وفي (ل) وحطيطةٍ . وهو تصحيف .

(٢) أرضٍ (ل) و (م)

(٣) بندى إذا ما العشب أنجم أنجما (ع) و (م) . أنجمَ الغيثُ : أقلع . وأنجمت السماء : أسرع مطرها يقال « أنجمت السماء ثم أنجمت » أي أمطرت بسرعة ثم أقلعت .

(٤) وينثني (ل)

وَمَنَاقِبٌ أَعْيَا ٱلْأَعَادِيَ كَتْمُهَا ... وَٱلشَّمْسُ أَظْهَرُ أَنْ تُسَرَّ وَتُكْتَمَا
وَمَوَاهِبٌ رَاجِي جَدَاهَا لَمْ يَخِبْ ... مِنْهُ وَرَاضِعُ دَرِّهَا لَنْ يُفْطَمَا
غَدَتِ ٱلْجُيُوشُ عَزِيزَةً بِأَمِيرِهَا ... وَٱلدَّهْرُ مَحْمُوداً وَكَانَ مُذَمَّمَا
وَٱلْأَمْنُ جَمًّا وَٱلرَّجَاءُ مُصَدَّقـاً ... وَٱلْحَقُّ أَبْلَجَ وَٱلْهُدَى مُسْتَعْصِمَا
لِلّٰهِ دَرُّكَ فِي طُغَاةِ قَبَائِلٍ ... أَنْصَفْتَ مِنْهَا ٱلدِّينَ حِينَ تَظَلَّمَا
فَلَكَمْ جَنَيْتَ أَذًى حَسَمْتَ بِهِ أَذًى ... وَلَكَمْ سَفَكْتَ دَمًا حَقَنْتَ بِهِ دَمَا
لَمَّا أَزَرْتَهُمُ ٱلظُّبَى مَصْقُولَةً ... وَٱلْخَيْلَ قُبًّا وَٱلْوَشِيجَ مُقَوَّمَا
ظَنُّوكَ مَنْ لَاقَوْا فَحِينَ قَرَعْتَهُمْ ... صَارُوا وَقَدْ كَانُوا حَدِيداً حَنْتَمَا [1]
قَهَرُوا ٱلْوَرَى زَمَنًا فَمُذْ حَارَبْتَهُمْ ... طَمَّ ٱلْأَتِيُّ عَلَيْهِمُ لَمَّا طَمَا
وَهُمُ حُمَاةُ ٱلرَّوْعِ إِلَّا أَنَّهُمْ ... فَرُّوا لَعَمْرُكَ حِينَ فَرُّوا [2] ٱلْأَرْقَمَا
ثُمَّ ٱنْثَنَيْتَ إِلَى سَرَايَا طَيِّءٍ ... تَقْتَادُ أَرْعَنَ كَٱلْخِضَمِّ عَرَمْرَمَا
مُتَنَائِيَ [3] ٱلْأَقْطَارِ زَادَ قَتَامُهُ ... فَغَدَا بِهِ وَجْهُ ٱلنَّهَارِ مُلَثَّمَا
تَبْدُو بَوَارِقُهُ فَتَحْسَبُ ضَوْءَهَا ... بَرْقًا تَأَلَّقَ فِي سَحَابٍ أَظْلَمَا
وَتَخَالُ تَقْعَ [4] ٱلْأَعْوَجِيَّةِ دُونَهُ ... سِتْراً بِلَمْعِ ٱلْقَعْضَبِيَّةِ مُعْلَمَا

(١) الحَنْتَم : الجرة الخضراء .
(٢) فَرَّ (ل)
(٣) متبانى ؟ (ع) و (م)
(٤) وقع ؟ (ل)

حَتّى إِذَا أَنْشَيْتَهُمْ (١) بِسُلافَةٍ وَالْحَيْنُ يَعْجَبُ مِنْهُمُ مُتَبَسِّما
ظَنُّوا الطَّلائِعَ كُلَّ مَنْ يَأْتِيهِمُ فَتَثَبَّتُوا لِلدَّاءِ حَتّى اسْتَحْكَما
لَمّا أَتَيْتَ فَكُنْتَ رِيحاً عاصِفاً تُلْوِي بِمَا لاقَتْ وَكَانُوا خَشْرَما (٢)
لَمْ تَلْقَ إِلاَّ عارِياً سَبَقَتْ بِهِ رَوْعاءُ أَوْ مُسْتَلْئِماً مُسْتَسْلِما
وَالْعِزُّ حَيْثُ تَرى الدِّماءَ مُراقَةً تَرْوِي (٣) الثَّرى وَالسَّمْهَرِيَّ مُحَطَّما
وَالْوَهْدُ أَدْوَنُ أَنْ يَنالَ مُتَالِعاً (٤) وَالذِّئْبُ أَهْوَنُ أَنْ يَرُوعَ الضَّيْغَما
مَلَكُوا فَجَارُوا فِي الْقَضَايَا (٥) وَاعْتَدَوْا وَعَدَلْتَ فِيهِمْ إِذْ غَدَوْتَ مُحَكَّما
فَمَنَحْتَهُمْ جَبَلَيْ (٦) أَبِيهِمْ إِرْثَهُمْ عَنْهُ وَسَاءا مَنْزِلاً وَمُخَيَّما
فَهُمُ بِبِيدٍ يَصْطَلُونَ بِمَا جَنَوْا فِيها إِذَا حَمِيَ الْهَجِيرُ جَهَنَّما
مِنْ سَائِرِ الطُّرَداءِ أَبْعَدُ مَشْرَباً وَأَرَثُّ أَطْمَاراً وَأَخْبَثُ مَطْعَما
وَحَرَمْتَهُمْ طِيبَ الْكَرى حَتّى لَقَدْ ظَنُّوا الرُّقادَ عَلَى الْجُفُونِ مُحَرَّما
عَمْرِي لَقَدْ وَجَدُوا اصْطِنَاعَكَ سَالِفاً أَرْياً وَقَدْ وَجَدُوا اجْتِياحَكَ عَلْقَما

(١) أنسيتهم سُلاّفة (ل)
(٢) حسرما ؟ (ع) و (م) . الخَشْرَم : جماعة النحل والزنابير .
(٣) ريَّ الثرى (ل)
(٤) متالع : جبل بنجد .
(٥) في الفضائل (ل)
(٦) جبلا طيء : هما أجأ وسَلْمى

فَرَأَوْكَ عِنْدَ ٱلسِّلْمِ بَحْرَ مَواهِبٍ يُغْنِي وَفِي ٱلْهَيْجاءِ عَضْباً مِخْذَما

وَرَجَعْتَ تَنْظُرُ فِي ٱلْبِلادِ بِرَأْيِ ذِي عَزْمٍ يَرُدُّ ٱلْمَشْرَفِيَّ مُثَلَّما

حَصَّنْتَ شَاسِعَهَا بِرَأْيٍ لَوْ حَمَى بَدْرَ ٱلسَّماءِ عَنِ ٱلنَّوَاظِرِ لَاحْتَمَى

وَعَمَرْتَ[1] غَامِرَها بِجِدٍّ لَمْ يَزَلْ يَأْبَى لِمَا تَبْنِيهِ أَنْ يَتَهَدَّما

أَنَّى يُشَارِكُكَ ٱلْوَرَى فِي رُتْبَةٍ أَدْلَجْتَ تَطْلُبُها وَبَاتُوا نُوَّما

حَمَّلْتَ نَفْسَكَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ أَمْراً يَؤُودُ يَرَمْرَماً وَيَلَمْلَما[2]

فَبَغَتْ[3] مَطَالِعَكَ ٱلْمُلُوكُ فَقَصَّرَتْ وَرَأَى وَقَائِعَكَ ٱلزَّمَانُ فَأَحْجَما

مَهْلاً فَمَا أَبْقَى نِزَالُكَ خَائِفاً خَطْباً وَلَا أَبْقَى نَوَالُكَ مُعْدِما

لَا تُكْذَبَنَّ فَمَا أَمَامَكَ غَايَةٌ فَانْظُرْ مَلِيّاً هَلْ تَرَى مُتَقَدِّما

نَاهِيكَ مِنْ كَرَمٍ يَفُوقُ[4] بِهِ ٱلْحَيَا سَبْقاً وَمِنْ بَأْسٍ يَفُوتُ ٱلْأَنْجُما

وَعَزَائِمٍ حَشَتِ ٱلْقُلُوبَ أَسِنَّةً مِثْلَ ٱلْخَنَاجِرِ وَٱلْحَنَاجِرَ أَسْهُما

فَقَضَتْ لِذِكْرِكَ أَنْ يَسِيرَ[5] مُفَوِّزاً وَقَضَتْ لِذُكْرِكَ[6] أَنْ يَجِلَّ وَيَعْظُما[7]

---

(١) وغمرت (ع) و (م)

(٢) يرمرم : جبل في بلاد قيس . ويلملم : جبل على ليلتين من الطائف

(٣) تبعت (ع) و (م)

(٤) لعله (تفوق) وفي (ع و م) يفوت به الحيا

(٥) أن تسير (ل)

(٦) الذُّكْر بالقلب كالذكر باللسان .

(٧) أن تجل وتعظما (ل)

يَهْنِي ٱلْخِلَافَةَ أَنَّ عُدَّتَها شَجًى حَلْقِ ٱلْعَدُوِّ وَسَيْفَها لَنْ يَكْهَما
وَلْيَهْنِكَ ٱلْعِيدُ ٱلسَّعِيدُ مُضاعَفاً لَكَ أَجْرُ مَنْ صَلَّى وَصامَ وَأَحْرَما
إِنِّي لَأَشْعَرُ مَنْ رَأَيْتَ وَإِنَّنِي أَصْبَحْتُ عَنْ إِدْرَاكِ وَصْفِكَ مُفْحَما
وَلَقَدْ أَرَحْتُ ٱلْخَيْلَ نَحْوَكَ ضُمَّراً وَٱلْعِيسَ يَحْمِلْنَ ٱلْقَرِيضَ ٱلْمُحْكَما
يَحْمِلْنَ مِنْهُ مُفَصَّلاً وَمُنَظَّما وَمُحَبَّراً وَمُوَشَّحاً وَمُسَهَّما
مَدْحٌ كَزَهْرِ ٱلرَّوْضِ إِلَّا أَنَّهُ يَبْقَى إِذَا زَهْرُ ٱلرِّيَاضِ تَصَرَّما
إِنِّي كَتَمْتُ الشِّعْرَ فِي طَيِّ ٱلْمُنَى فِعْلَ ٱمْرِئٍ لَمْ يَرْضَ مَا دُونَ ٱلسَّما
لَا أَسْأَلُ ٱلرَّحْمٰنَ حَظّاً فَوْقَ مَا أَعْطَى فَقَدْ أَوْلَى ٱلْجَمِيلَ وَأَنْعَما
حَسْبِي ٱمْتِدَاحُكَ رُتْبَةً وَنَبَاهَةً وَذَرَاكَ مُعْتَصَماً وَقُرْبُكَ مَغْنَما

٩٤

وقال يمدحه ويهنيه بعيد الفطر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

تَفَرَّدْتَ بِٱلْمَجْدِ [١] دُونَ ٱلْأُمَمْ وَحُزْتَ مِنَ ٱلْعَزْمِ ما لَمْ يُرَمْ
فَما لِحَدِيثٍ أَتَى فِي ٱلْعُلَا حَدِيثٌ وَلَا لِقَدِيمٍ قَدَمْ
وَفِي كُلِّ يَوْمٍ ثَنَاءٌ يَسِيرُ وَمَجْدٌ يَخُصُّ وَجُودٌ يَعُمّْ
سَلَكْتَ إِلَى نَيْلِ مَا رُمْتَهُ [٢] سَبِيلاً لِغَيْرِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ

(١) بالحمد (ع و م)
(٢) ما نلته (ع و م)

وَقَدْ أَعْجَزَ ٱلنَّاسَ هٰذَا ٱلصُّعُودُ ... وَما بَلَغَتْ مُنْتَهاها ٱلْهِمَمْ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ ٱلْفَعالُ ... لَأَغْناكَ عَنْ فَخْرِ خالٍ وَعَمّْ

عَلَى أَنَّ مَعْشَرَكَ ٱلضَّارِبُو ... نَ هَبْراً حِيالَ (١) حِيالِ ٱلنَّعَمْ

هُمُ ٱلْقَوْمُ يَبْلُغُ مَوْلُودُهُمْ ... مَدَى ٱلْحِلْمِ قَبْلَ بُلُوغِ ٱلْحُلُمْ

إِذَا خُوشِنُوا فَبِحارُ ٱلرَّدَى ... وَإِنْ حُوسِنُوا فَبِحارُ ٱلْكَرَمْ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمُ مَفْخَرٌ ... سِواكَ لَقالَ ٱلْوَرَى حَسْبُهُمْ

وَفِي رَوْضِ (٢) أَيَّامِكَ ٱلْمُونِقاتِ ... تَنَزَّهَ طَرْفُ ٱلْمُنَى فَلْتَدُمْ

فَقَدْ ضَحِكَ ٱلدَّهْرُ عُجْباً بِها ... وَما كانَ مِنْ قَبْلِها يَبْتَسِمْ

أَنَرْتَ لَيالِيَ أَهْلِ ٱلشَّآمِ ... وَكانَ نَهارُهُمُ مُدْلَهِمّْ

وَبَيَّضْتَ بِٱلْعَدْلِ سُودَ ٱلْوُجُوهِ ... وَسَوَّدْتَ بِٱلْأَمْنِ بِيضَ ٱللِّمَمْ

أَبَى حَلُّ سَيْفِكَ عَقْدَ ٱلْعِدَى ... لِعَقْدِ ٱلْخِلافَةِ أَنْ يَنْفَصِمْ

فَلِلّهِ جِدُّكَ ماذَا بَنَى ... وَإِقْبالُ جَدِّكَ ماذَا هَدَمْ

وَلِلّهِ سَيْفُ عَلِيٍّ فَكَمْ ... أَشَمَّ ٱلْمَذَلَّةَ أَنْفاً أَشَمّْ

لَوَ ٱكَّلْتَ طَيّاً بِطَيِّ ٱلْقِفارِ ... وَلَوْ لَمْ تَرُمْ مُلْكَهُمْ (٣) لَمْ يُرَمْ

---

(١) حِيال الشيء قبالته . والحِيال خيط يشد من بطان البعير إلى حقبه .

(٢) وفي الأرض . . . (ل)

(٣) ملكها (ع) و (م)

وَفَرَّقْتَهُمْ فِرَقًا فِي الْبِلَادِ ... فَهَلْ كَانَ عَزْمُكَ سَيْلَ الْعَرِمْ

فَإِنْ (١) شَرِكُوا الرُّومَ فِي شِرْكِهِمْ ... فَمَا رُزِقُوا الْحَظَّ مِنْ مُلْكِهِمْ

عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّعْنِ أَضْعَافُ مَا ... عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ لَهُمْ مَا لَهُمْ

فَلَا يَأْمَنُوا نُصْرَةَ الْمُشْرِكِينَ ... فَعِنْدَهُمُ فَوْقَ مَا عِنْدَهُمْ

عَجِبْتُ لِمُنْهَزِمٍ عَائِذٍ ... بِمُنْهَزِمٍ مِنْ يَدَيْ مُنْهَزِمْ

وَمِنْ مُسْلِمٍ خَانَ إِسْلَامَهُ ... وَيُظْهِرُ لِلشِّرْكِ رَعْيَ الذِّمَمْ

لَقَدْ عَدِمُوا الرَّأْيَ فَاسْتَنْصَرُوا (٢) ... طَرَائِدَ مَنْ ذَلَّ (٢) فِي نَصْرِهِمْ

فَهَبْ آلَ يُونَانَ لَمْ يُخْبَرُوا ... فَأَبْنَاءُ قَحْطَانَ مَنْ غَرَّهُمْ

وَمَا يَقْبُحُ الْجَهْلُ مِنْ جَاهِلٍ ... كَمَا يَقْبُحُ الْجَهْلُ مِمَّنْ عَلِمْ

وَقَدْ أَطْمَعَ الْقَوْمَ إِهْمَالُهُمْ ... فَعَاثُوا وَأَغْرَاهُمُ حَيْنُهُمْ (٣)

فَرُدْ أَرْضَهُمْ فِي جُيُوشِ الْإِمَامِ ... لِتُنْسِيَ (٤) مَا فَعَلَ الْمُعْتَصِمْ (٥)

وَوَفِّرْ بِقَسْطُونَ (٦) قِسْطَ النُّزُولِ ... بِصَحْرَائِهَا فَالْمُسِيؤُونَ هُمْ

---

(١) وإن . . . (ع) و (م)

(٢) واستنصروا . . . دَلَّ (ع) و (م)

(٣) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٤) لتسني (م)

(٥) يشير إلى فتح المعتصم لعمورية .

(٦) قسطون : حصن من أعمال حلب خرب سنة ٤٤٨ (معجم البلدان)

فَقَدْ طالَمَا نَزَلُوا بِٱلرَّقِيمِ (١) فَصبحْتَ أَحيـــاءَهُمْ بِٱلرَّقِمْ

وَيَمِّمْ بِها مِنْ وَرَآءِ ٱلدُّروبِ لِيَلْحَقَ بِٱلْمُسْتَذِمِّ ٱلْمُذِمّْ (٢)

فَسُمْرُ ٱلرِّماحِ تَشَكَّى ٱلظَّمـا وَبيضُ ٱلصِّفاحِ تَشَكَّى ٱلقَرَمْ

فَتِلْكَ مَشارِبُهـــا فِي ٱلصُّدُورِ وَهٰذي مَطاعِمُهـــا فِي ٱلْقِمَمْ

وَقالُوا بَغَى ٱلْقَطَبانُ (٣) ٱللِّقاءَ وَأَوْعَدَ بِٱلْحَرْبِ فِيما زَعَمْ

فَقُلْتُ سَيَصْرَعُـــهُ بَغْيُهُ كَذاكَ بَغَى صالِحٌ فَٱخْتُرِمْ (٤)

وَعِيدٌ تَبَيَّنَ فِيمَنْ (٥) أَتاهُ كَتَبْيِينِ رِيحِ ٱلصَّبا فِي إِضَمْ

وَما لِلْخَصِيِّ وَما لِلِّقاءِ وَكَيْفَ تُلاقِي ٱلرِّجالَ ٱلْحُرَمْ

وَأَنْتَ قَتَلْتَ أَعَزَّ ٱلْفُحُولِ فَماذا يَظُنُّ أَذَلُّ ٱلْخَدَمْ

وَلاَ وَٱعْتِزامِكَ لاَ رُوِّعَتْ بِتِلْكَ ٱلْبَهائِمِ هٰذِي ٱلْبُهَمْ (٦)

أَأَنْصارَ مِلَّةِ (٧) خَيْرِ ٱلْوَرى أَتَرْضَوْنَ لِلْحَقِّ أَنْ يُهْتَضَمْ

---

(١) الرقيم : موضع بقرب البلقاء من أطراف الشام . والرقم : الداهية .

(٢) المذم : المجير . وفي (ل) : لتلحق بالمستذم الذمم .

(٣) القَطَبان : هو قطبان أنطـــاكية ميخائيل الخادم ، أي عاملها الرومي « ابن القلانسي ص ٩٧ » « وزبدة الحلب » . وورد ذكره في شعر ابن سنان الخفاجي قال :

إن أظهرتْ لعلاكَ أنطاكيّةٌ حزناً فقد ضحكتْ على قَطبانها

« ديوان ابن سنان الخفاجي ص ١١٣ »

(٤) هو صالح بن مرداس . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٥) فيه ؟ (م)

(٦) البُهَمُ : جمع بُهْمَة وهو الشجاع الذي يستبهم على أقرانه مأتاه .

(٧) مكة ؟ (ل)

أَلاَ فَاقْتَضُوا دَيْنَ دِينِ ٱلْهُدٰى لِيُنْجِزَ رَبُّكُمُ وَعْدَكُمْ
فَهٰذِي ٱلطَّرِيقُ إِلَى جَنَّةِ ٱلْـ خُلُودِ فَمَنْ حَادَ عَنْهَا نَدِمْ
وَقَدْ آنَ لِلْحَقِّ أَنْ يُسْتَرَدَّ كَمَا آنَ لِلدَّاءِ أَنْ يَنْحَسِمْ
فَأَبْلُوا أَمَامَ إِمَامِ ٱلْهُدٰى بَلاَءً يُؤَمَّلُ مِنْ مِثْلِكُمْ
لِتَأْتُوا إِلٰهَكُمُ فِي ٱلْمَعَادِ بِأَعْمَالِكُمْ دُونَ أَنْسَابِكُمْ
وَجُودُوا بِأَنْفُسِكُمْ إِنَّمَا يُصَانُ ٱلْوَشِيجُ لِكَيْ يَنْحَطِمْ
وَكَيْفَ يَخَافُ ٱلرَّدٰى مَعْشَرٌ إِذَا عَطِبَ ٱلْمَرْءُ مِنْهُمْ سَلِمْ
فَلاَ بُدَّ مِنْ قَوْدِهَا شُزَّبًا طِوَالٌ أَعِنَّتُهَا وَٱلْحُزُمْ
جَوَامِحُ (١) مِنْ بَعْدِ طُولِ ٱلسُّرٰى تُجَاذِبُ أُسْدَ ٱللِّقَاءِ ٱللُّجُمْ
فَكُلُّ طَرِيدٍ بِهَا مُدْرَكٌ وَكُلُّ بَعِيدٍ عَلَيْهَا أَمَمْ
كَأَنِّي بِهَا مِنْ وَرَاءِ ٱلْخَلِيجِ (٢) أَمَامَ ٱلْمُظَفَّرِ تَهْوِي زِيَمْ
وَقَدْ قَابَلَ ٱلْبَحْرَ سَيْفُ ٱلْإِمَامِ بِبَحْرِ رَدًى مَوْجُهُ مُرْتَطِمْ
وَقَدْ غَصَّ بِٱلْجَيْشِ ذَاكَ ٱلْفَضَا فَضَاقَ عَلَى ٱلْخَائِفِ ٱلْمُنْهَزِمْ
فَمَا وَهْدَةٌ مَا بِهَا صَعْدَةٌ وَلاَ عَلَمٌ مَا عَلَيْهِ عَلَمْ

(١) جوامع ؟ (ل)
(٢) الخليج : بحر دون قسطنطينية (معجم البلدان)

سَيُعْطِيكَ مَلْكُهُمُ مُلْكَهُ وَعَنْ ذِلَّةٍ ذَاكَ لَا عَنْ كَرَمْ

جَرَى لَكَ فِي اللَّوْحِ أَلاَّ عَزِيزَ يَعِزُّ عَلَيْكَ وَجَفَّ الْقَلَمْ

وَقَدْ حَكَّمَتْكَ شِفَارُ السُّيُوفِ عَلَى كُلِّ ذِي عِزَّةٍ فَاحْتَكِمْ

أَبَيْتَ (١) فَنَارُكَ لَا يُصْطَلَى لَظَاهَا وَجَارُكَ لَا يُهْتَضَمْ

وَقُمْتَ بِفَرْضِ جِهَادِ الْعَدُوِّ فَأَغْنَى قِيَامُكَ مَنْ لَمْ يَقُمْ

فَلاَ تَحْسَبِ الرُّومُ أَنْ قَدْ رَقَدْتَ فَمُذْ نَبَّهَتْكَ الْعُلَى لَمْ تَنَمْ

عَزَائِمُ تَمْضِي مَضَاءَ الظُّبَى وَتُرْبِي عَلَى كُلِّ نَجْمٍ نَجَمْ

فَمِنْهَا فَوَادِحُ تُجْلِي الْعِدَى وَمِنْهَا مَصَابِيحُ تَجْلُو الظُّلَمْ

فَأَيُّ وَلِيٍّ بِهَا مَا اهْتَدَى وَأَيُّ عَدُوٍّ بِهَا مَا رُجِمْ

أَنَخْتُ لَدَيْكَ مَطَايَا الْمُنَى وَهَلْ يَتَعَدَّى زُهَيْرٌ هَرِمْ (٢)

فَأَمَّنْتَنِي بِالْعُلُوِّ الْغُلُوَّ وَأَعْدَمْتَنِي بِالنَّوَالِ الْعَدَمْ

وَلَوْ كَانَ ذَا الْعِيدُ ذَا نَاظِرٍ لَأَعْشَتْهُ أَنْوَارُ هٰذِي الشِّيَمْ

فَقَدِمْتَ تُوَدِّعُهُ مَا مَضَى وَتَلْقَاهُ مُسْتَقْبِلاً مَا قَدِمْ

فَلَسْنَا نُرَاعُ لِظُلْمِ الْخُطُوبِ وَعَدْلُكَ عَادٍ عَلَى مَنْ ظَلَمْ

---

(١) أتيت (ع) و (م)

(٢) زهير بن أبي سُلمى المُزَني الشاعر المشهور . وهَرِم بن سنان المري ممدوح زهير كان من أجواد العرب .

إِذَا مَا أَلَمَّ بِنَـا مَا يَهُولُ فَأَنْتَ ٱلْمَلِيُّ بِدَفْعِ ٱلْمُلِمّْ
فَأَمَّنَنَا ٱللهُ فِيكَ ٱلْمَخُوفَ وَأَلْهَمَنَا شُكْرَ هٰذِي ٱلنِّعَمْ

٩٥

وقال يمدحه ويذكر إيقاع خليفة بن جابر [١] بعز الدولة ثمال بن صالح على تل خالد [٢] عند استجارته بالروم وأنشده إياها بحلب في دار عزيز الدولة يوم عيد النحر

أَمَّا وَسَيْفُكَ فِي ٱلنُّفُوسِ مُحَكَّمُ فَٱلْعِزُّ أَجْمَعُهُ إِلَيْكَ مُسَلَّمُ
مَنْ لاَ يُطِيعُكَ وَٱلْمَقَادِيرُ ٱلَّتِي تُرْضِي [٣] وَتُجْدِي بَعْضُ مَا يَسْتَخْدِمُ [٤]
فَلِكُلِّ قَلْبٍ مِنْ سُطَاكَ مُرَوَّعٌ وَبِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ جَمِيلِكَ مِيسَمُ
عُوِّدْتَ فَصْلَ ٱلْأَمْرِ أَشْكَلَ نَاطِقاً أَوْ سَاكِتاً فَٱلسَّيْفُ عَنْكَ مُتَرْجِمُ
وَخُصِصْتَ بِٱلْإِبْدَاعِ فِي فَعَلاَتِكَ ٱلْـ حُسْنَى لِيَظْهَرَ عَجْزُ مَنْ يَتَهَمَّمُ [٥]
وَمَتَى يَجِيءُ بِمِثْلِهَا مِنْ نَفْسِهِ مَنْ ظَلَّ يُبْصِرُهَا فَلاَ يَتَعَلَّمُ [٦]

(١) هو خليفة بن جابر الكعبي ، ولاه ثمال بن صالح بن مرداس حلب ، ولكن كان هواه مع الدزبري فمهد له السبيل إلى فتحها سنة ٤٢٩ .
« زبدة الحلب ج ١ ص ٢٥٥ و ٢٥٦ »

(٢) تل خالد : قلعة من نواحي حلب (معجم البلدان)

(٣) كذا في جميع الأصول ولعلها (تردي)

(٤) كذا ولعلها (بعض ماتستخدم)

(٥) تهمَّمَ الشيء : طلبه وتحسسه .

(٦) لم يرد هذا البيت في (ل)

لَوْ لَمْ يَعِزَّ (١) بَنُو أَبِيكَ وَيَكْرُمُوا طَالُوا الْوَرَى شَرَفًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ
أَبْشِرْ بِسَبْقِكَ مَنْ تَقَدَّمَ مُوقِنًا أَنَّ الْفَضَائِلَ لَا الْعُصُورَ تُقَدِّمُ
كُنَّا نَظُنُّكَ تَابِعًا آثَارَهُمْ فَأَبَنْتَ بِالْإِعْجَازِ أَنَّكَ مُلْهَمُ
وَلَقَدْ سَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا عَنْهُمُ وَعَلِمْتَ بِالْإِحْسَانِ مَا لَمْ يَعْلَمُوا (٢)
أَفَهَلْ ظَفِرْتَ بِمَنْ جَرَى فِي ذَا الْمَدَى مُذْ قَامَ بِالْإِحْسَانِ فِيهِمْ قَيِّمُ
قَلْبُ الْهُدَى بِكَ لَنْ يُرَاعَ وَقَهْرُهُ (٣) لَنْ يُسْتَطَاعَ وَعَقْدُهُ لَا يُفْصَمُ
لِلّٰهِ بَذْلُكَ حِينَ لَا مُسْتَمْنَحٌ يُرْجَى وَمَنْعُكَ حِينَ لَا مُسْتَعْصَمُ
لَنْ يَكْشِفَ الْحَقُّ الْجَلِيُّ لِثَامَهُ إِلَّا وَوَجْهُكَ بِالْعَجَاجِ مُلَثَّمُ
وَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اجْتِيَاحِ قَبِيلَةٍ كَثُرَ الْيَتِيمُ بِحَيِّهَا وَالْأَيِّمُ
يَخْشَى عَوَادِيَكَ الْهِزَبْرُ بِغِيلِهِ وَيَخَافُهَا تَحْتَ التُّرَابِ الْأَرْقَمُ
وَتُصِيبُ (٤) شَاكِلَةَ الرَّمِيِّ مُفَوِّقًا وَتَطِيشُ عَنْكَ إِذَا رُمِيتَ الْأَسْهُمُ
إِنَّ الْمُظَفَّرَ مَنْ أَبَتْ فَتَكَاتُهُ أَنْ تَخْرُجَ الْأَيَّامُ عَمَّا يَرْسُمُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ نَاطِقٌ بِلِسَانِهِمْ مِنْ خَوْفِهِمْ فَلِذَاكَ مَا يَسْتَعْجِمُ (٥)

---

(١) لولم تعز . . . (ع) و (م)
(٢) مالا تعلم (ل)
(٣) قلت الهدى ما إن يراع وقهره (ع) و (م)
(٤) ويصيب (ع) و (م)
(٥) ما تستعجم (ع) و (م)

وَإِذَا امْتَطَى سَيْفُ الْخِلاَفَةِ عَزْمَهُ(١) فَلِدَوْلَةٍ تُبْنَى وَأُخْرَى تُهْدَمُ

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عَوَاقِبِ رَأْيِهِ أَيْقَنْتَ أَنَّ ظُنُونَهُ تَتَنَجَّمُ

فَاسْأَلْهُ عَمَّا لَمْ يَكُنْ بِكِنَايَةٍ (٢) فَالْغَيْبُ مِنْ أَفْكَارِهِ يُسْتَعْلَمُ

وَلِذَاكَ حُقِّقَ ظَنُّهُ فِيمَا أَتَى وَظُنُونُ (٣) أَهْلِ الْخَافِقَيْنِ تَوَهُّمُ

رَقَّاكَ عَزْمُكَ مُخْطِراً لا يُرْتَقَى فَعَلِمْتَ مِنْ ذَا الْمَجْدِ مالاَ يُعْلَمُ

وَإِذَا عَلاَ باغِي الْغَنِيمَةِ هِمَّةً وَأَطاعَهُ الْمِقْدارُ جَلَّ الْمَغْنَمُ

شَرَفَ الْمَعالِي فُزْتَ بِالشَّرَفِ الَّذي قَدْ باتَ يَحْسُدُهُ السُّهَى وَالْمِرْزَمُ (٤)

وَقَتَلْتَ مَنْ لَوْ غَيْرُكَ الْمُجْتاحُهُ لأَبَتْ نِزَارٌ أَنْ يُطَلَّ لَهُ (٥) دَمُ

وَجَنَيْتَ أَثْمارَ الْعَوالِي وَاجْتَنَى وَمِنَ الْجَنا أَرْيٌ وَمِنْهُ عَلْقَمُ

وَإِذَا الْوَغَى عَبَسَتْ وَطالَ عُبُوسُها عِنْدَ النِّزَالِ فَعَنْ فُتُوحِكَ تَبْسِمُ (٦)

ظَفَرٌ جَمِيعُ الطِّيبِ أَضْحَى كَاسِداً مُذْ أَصْبَحَتْ أَخْبارُهُ تَتَنَسَّمُ

وَلَقَدْ تَحَقَّقَتِ الْعَوَاصِمُ أَنَّهَا بِسِوَاكَ يا سَيْفَ الْهُدَى ماتُعْصَمُ

---

(١) عزمة (ل)

(٢) بكيانه (ل) وقيامة (هامش ع و م)

(٣) فظنون (ع) و (م)

(٤) السُّهى : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى . والمِرْزَم : نجم .

(٥) لها (ل)

(٦) من هذا البيت الى آخر القصيدة ساقط من (ل)

غَرَضَ[1] ٱلنَّوَائِبِ لَمْ تَزَلْ فَمَنَعْتَهَا قَسْراً كَمَا مَنَعَ ٱلْعَرِينَ ٱلضَّيْغَمُ

ما زُرْتَهَــا إِلاَّ لِيَأْمَنَ خائِفٌ وَيُغاثَ مَلْهُوفٌ وَيُثْرِيَ مُعْدِمُ

فَلْتَعْتَصِمْ[2] بِكَ ذِي ٱلثُّغُورُ وَأَهْلُها مِمَّا تَخافُ فَطَوْدُ عِزِّكَ أَيْهَمُ[3]

وَلَقَدْ عَمَمْتَ ٱلْمُذْنِبِينَ صَنائِعاً حَتَّى لَظَنُّوا أَنَّهُمْ لَنْ يُحْرَمُوا

فَدَعِ ٱلأُلَى مَرَقُوا فَإِنَّ بِعادَهُمْ عَنْ ذَا ٱلْجَنابِ لَهُمْ عِقابٌ مُؤْلِمُ

أَوْلادُ[4] مِرْداسٍ لِسَيْفِكَ طُعْمَةٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْجَدُوا أَوْ أَتْهَمُوا

وَلَوَ أَنَّهُمْ عَقَلُوا لَدَيْكَ ظُنُونَهُمْ لَرَأَوْا بِكَ ٱلرَّشَدَ ٱلَّذِي عَنْهُ عَمُوا

وَمِنَ ٱلسَّفاهَةِ أَنْ تَضِلَّ حُلُومُهُمْ مِنْ بَعْدِ ما وَضَحَ ٱلطَّرِيقُ ٱلأَقْوَمُ

قَدْ عايَنُوا عَيْنَ ٱلرَّدَى لَمَّا رَأَوْا فِي تَلِّ خالِدٍ[5] ٱلْقَنــا يَتَحَطَّمُ

لَمَّا أَبانَ خَلِيفَةٌ[6] عَنْ رُشْدِهِ فِعْلَ ٱمْرِئٍ تَزْكُو لَدَيْهِ ٱلأَنْعُمُ

فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا رِضاكَ سِلاحَهُمْ فَلِذاكَ أَحْجَمَ مَنْ لَقُوهُ وَأَقْدَمُوا

---

(١) في الأصل (عرض) وهو تصحيف .

(٢) فليعتصم (ع)

(٣) الأيهم : الجبل الصعب الطويل الذي لا يرتقى .

(٤) رد ابن أبي حصينة على ذلك بقصيدة أولها :

مـالي وللفصحاءِ لا تتـكلمُ كثر الجُمانُ فماله لا يُـنْـظَمُ

« ديوان ابن أبي حصينة ورقة ١٢٣ صورة شمسية في المجمع العلمي العربي »

(٥) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٥٤٩)

(٦) هو خليفة بن جابر الكعبي . انظر الحاشية رقم (١) ص (٥٤٩)

نُصِرَ ٱلْقَلِيلُ عَلَى ٱلْكَثِيرِ فَما ٱنْجَلَتْ عَنْهُمْ وَفِي أَرْماحِ حِزْبِكَ[١] لَهْذَمُ

غارَتْ هُنالِكَ فِي ٱلنَّوَاظِرِ وَٱلطُّلَى عِنْدَ ٱلطِّعانِ كَما تَغُورُ ٱلْأَنْجُمُ

فَإِذَا بَعَثْتَ إِلَى ٱلْعَدُوِّ طَلِيعَةً أَغْنَتْ غَنَاءَ ٱلْجَيْشِ وَهْوَ عَرَمْرَمُ

بِظُبًى إِذَا خَرِسَ ٱلْكُماةُ بِمَوْقِفٍ فَلَها كَلامٌ فِي ٱلْجَماجِمِ يُفْهَمُ

وَبِهانَحَتَ جِسْرَ[٢] ٱلْحَدِيدِ عَصائِبٌ كانَتْ عَلَى بابِ ٱلْحَدِيدِ تُخَيِّمُ

وَٱلرُّومُ بَيْنَ مُؤَرَّقٍ سُلِبَ ٱلْكَرَى أَوْ نائِمٍ بِهُجُومِ جَيْشِكَ يَحْلُمُ

يَتَجَلَّدُونَ ضَرُورَةً مَعَ عِلْمِهِمْ لَمَّا دَنَوْتَ بِأَيِّ داهِيَةٍ رُمُوا

مُتَمَسِّكِينَ بِهُدْنَةٍ ما[٣] تَنْقَضِي إِلاَّ وَأَنْتَ عَلَى ٱلْخَلِيجِ مُخَيِّمُ

وَمَتَى رَكَزْتَ بِدارِ[٤] مَسْلَمَةَ ٱلْقَنا زُرْقَ ٱلْأَسِنَّةِ سَلَّمُوا أَوْ أَسْلَمُوا

فَلْيَسْتَكِنْ مَلِكٌ تَفُلُّ جَمِيعَهُ[٥] بِعِصابَةٍ مِمَّا فَلَلْتَ وَتَهْزِمُ[٦]

هَيْهاتَ تَجْحَدُكَ ٱلْمُلُوكُ سَفاهَةً ما قَدْ تَعالَمَهُ ٱلسَّوادُ ٱلْأَعْظَمُ

---

(١) في الأصل (حربك) والتصحيح من مختارات البارودي .

(٢) جسر الحديد : بين أنطاكية وحلب . « ابن القلانسي ص ٤١ »

(٣) لا تنقضي (م)

(٤) يريد بدار مسلمة : حصن مسلمة بالجزيرة بين رأس عين والرقة بناه مسلمة بن عبد الملك بن مروان . « معجم البلدان »

(٥) كذا ولعله (جموعه)

(٦) في الأصل (ويهدم)

رِدْءُ(١) ٱلْخِلافَةِ مِنْ مَضائِكَ عاصِمٌ ... وَرِداؤُها بِجَمِيلِ صُنْعِكَ مُعْلَمُ

مَجْــدٌ تَخَرَّمَتِ ٱلْعَمالِقُ دُونَهُ ... وَتَمَزَّقَتْ عادٌ وَبادَتْ جُرْهُمُ (٢)

فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلْدَةٌ تُحْتازُ مِنْ ... أَرْضِ ٱلْعَدُوِّ وَقَلْعَةٌ تَتَسَلَّمُ (٣)

وَكَذا إِلى أَنْ تَمْلِكَ ٱلدُّنْيا بِمــا ... جَمَعَتْ وَيُسْعِدَكَ ٱلْبَقاءُ ٱلْأَدْوَمُ

فَٱنْدُبْ لِمَمْلَكَةِ ٱلْعِراقِ ضَراغِماً ... عَلَّمْتَهُمْ فَرْسَ ٱلْعِدى فَتَعَلَّمُوا

مِنْ كُلِّ مَنْ لِسُراهُ ظَهْرُ مَطِيَّةٍ ... وَلِطَعْنِهِ ثُغَرَ ٱلْعُداةِ مُطَهَّمُ

جَنّابُ ما وَلَدَ ٱلْوَجِيهُ وَلاحِقٌ ... رَكّابُ ماوَلَدَ ٱلْجَدِيلُ وَشَدْقَمُ (٤)

كَيما تُرى عَضُدِيَّةً تُرْكِيَّةً ... قَدْ طالَما ٱسْتَوْلَتْ عَلَيْها ٱلدَّيْلَمُ

قَدْ آنَ أَنْ تَرْوى بِقُرْبِكَ أَنْفُسٌ ... ظَمِئَتْ وَأَنْ تَحْيا بِعَدْلِكَ أَعْظُمُ

لَنْ يَدْفَعَ ٱلْإِصْباحَ عَنْ إِشْراقِهِ ... مِنْ بَعْدِ مَطْلَعِهِ ٱلْهَزِيعُ ٱلْمُظْلِمُ

رُمْ أَيَّ مَمْلَكَةٍ أَرَدْتَ فَإِنَّما ... حَلَبٌ إِلى كُلِّ ٱلْمَمالِكِ سُلَّمُ

وَبِصَدْرِكَ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي لَمّا يُرَعْ ... وَبِكَفِّكَ ٱلْعَضْبُ ٱلَّذِي لا يَكْهَمُ

---

(١) في الأصل (رد)

(٢) العمالق : قوم من ولد عملاق من فلسطين تفرقوا في البلاد . وعاد : قبيلة من العرب الأولى وهم قوم هود . وجُرْهم : حي من العرب البائدة .

(٣) تتبسم ؟ (م)

(٤) جَنَبَ الدابة : قادها إلى جنبه . والوجيه : فرس نجيب كان لغني بن أعْصُر . ولاحق : من جياد العرب . وجديل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

وَارْجِعْ رُجُوعَ اللَّيْثِ وَهْوَ مُظَفَّرٌ ... وَالسَّيْفِ يَقْطُرُ مِنْ غِرَارَيْهِ الدَّمُ

مُتَجَلْبِبَ النَّصْرِ الَّذِي عُوِّدْتَهُ ... إِذْ كَانَ خَلْفَكَ حَيْثُمَا تَتَيَمَّمُ(١)

فَدِمَشْقُ مِثْلُ الْغَابِ غَابَ هِزَبْرُهُ ... وَالْجَفْنِ فَارَقَهُ الْحُسَامُ الْمِخْذَمُ

وَبِأَهْلِهَا عَطَشٌ إِلَيْكَ وَكُلُّهُمْ ... كَالنَّبْتِ نَكَّبَهُ السَّحَابُ الْمُرْزِمُ

وَسَيَقْدَمُ الْعِزُّ الْأَشَمُّ عَلَيْهِمُ ... وَالْعَارِضُ السَّحَّاحُ سَاعَةَ تَقْدَمُ

شَعْبَانُ شَعَّبَ يَوْمَهُمْ فَلْيَرْقُبُوا ... إِنَّ الْمُحَرَّمَ لِلسُّهَادِ مُحَرِّمُ

عَامٌ حُلُولُكَ فِيهِمُ بِحُلُولِهِ ... عَامٌ يُبَجَّلُ عِنْدَهُمْ وَيُعَظَّمُ

يَا غَامِرَ الْمُتَظَلِّمِينَ بِعَدْلِهِ ... حَتَّامَ مَالُكَ فِي اللُّهَى يَتَظَلَّمُ

أَنْتَ الَّذِي لَوْ لَمْ تُطِعْ حُكْمَ النَّدَى ... مَا كَانَ مَخْلُوقٌ عَلَيْهِ يَحْكُمُ

يُغْنِي الَّذِي تَحْبُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ(٢) ... وَسِوَاكَ يَنْقُصُ نَيْلُهُ فَيُتَمِّمُ

فَالْجُودُ إِلَّا مِنْ يَدَيْكَ مُصَرَّدٌ ... وَالظَّنُّ إِلَّا فِي نَدَاكَ مُرَجَّمُ

قُلْ لِلْعُفَاةِ مَضَى عَنِ الْبَحْرِ الْقَذَى ... فَرِدُوا مَشَارِعَهُ وَلَا تَتَلَوَّمُوا

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَفْرَقَتْ مِنْ دَائِهَا ... مُذْ أَفْرَقَ الْمَلِكُ الْأَجَلُّ الْأَعْظَمُ

فَلْتَبْرُدِ الْآنَ الْقُلُوبُ فَإِنَّهَا ... كَانَتْ بِنِيرَانِ الْأَسَى تَتَضَرَّمُ

لَا عَادَكَ الْأَلَمُ الْمُلِمُّ فَلَمْ يَزَلْ ... قَلْبُ الْعَلَاءِ لِأَجْلِهِ يَتَأَلَّمُ

---

(١) في الأصل (يتيمم)

(٢) أول وهلةٍ (ع)

وَٱلعِيدُ(١) يَقْصُرُ عَنْ سَلاَمَتِكَ ٱلَّتي … هِيَ فِي ٱلنُّفُوسِ أَجَلُّ مِنْهُ وَأَعْظَمُ

فَٱسْعَدْ بِهَا وَبِهِ وَدُمْتَ مُسَلَّماً … مَا طَافَ بِٱلْبَيْتِ ٱلْمُحَرَّمِ مُحْرِمُ

فَلِكَثْرَةِ ٱلدَّعَوَاتِ فِي أَرْجَائِهِ … قَدْ كَادَ يَفْهَمُهَا ٱلْحَطِيمُ وَزَمْزَمُ

كُلُّ ٱلْوَرَى دَاعٍ وَجُلُّ دُعَائِهِمْ … أَلاَّ يُزِيلَ ٱللهُ ظِلَّكَ عَنْهُمُ

أَغْنَى نَوَالُكَ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضِهِمْ … كَيْ لاَ يُرَى فِي ٱلأَرْضِ غَيْرُكَ مُنْعِمُ

فَلِذَاكَ أَلْسُنُهُمْ لِسَانٌ وَاحِدٌ … يُثْنِي بِمَا خَوَّلْتَ وَٱلدُّنْيَا فَمُ

زَادَ ٱلثَّنَاءُ بِمَأْثُرَاتِكَ بَهْجَةً … وَلَرُبَّمَا زَانَ ٱلسِّوَارَ ٱلْمِعْصَمُ

وَأَطَاعَنِي فِيكَ ٱلْكَلاَمُ وَهَلْ دَرَتْ … هٰذِي ٱلْعُقُودُ لِأَيِّ شَيْءٍ تُنْظَمُ

وَلَقَدْ تَعَمَّدْتُ ٱلإِطَالَةَ عَالِماً … أَنَّ ٱسْتِمَاعَ ثَنَاكَ مَا لاَ يُسْأَمُ

٩٦

وقال يمدحه وأنشده إياها في عيد النحر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة

أَرَى الشَّرَفَ ٱلأَعْلَى إِلَيْكَ مُسَلَّمَا … فَلاَ مَجْدَ إِلاَّ مَا إِلَى مَجْدِكَ ٱنْتَمَى(٢)

وَمَا نَالَ هٰذَا ٱلفَضْلَ مَاضٍ مِنَ ٱلْوَرَى … وَإِنْ نَالَهُ آتٍ فَمِنْكَ تَعَلَّمَا

(١) في الأصل (والعد) وهو تصحيف .

(٢) لم يرد من هذه القصيدة في (ل) الا (٢٦) بيتاً من أواخرها وسقط ما سوى ذلك وعدده (٥٢) بيتاً .

وَهٰذَا مُحَالٌ[1] قَدْ رَكِبْتَ طَرِيقَهُ ... بِكُلِّ الْوَرَى عَنْهَا[2] وَإِنْ أَبْصَرُوا عَمَا

وَمَنْ أَدْرَكَ الْعَلْيَاءَ وَالْعَجْزُ خُلْقُهُ ... وَقَالَ كَفَانِي الْحَظُّ أَنْ أَتَهَمَّمَا

فَمَا نِلْتَهَا إِلَّا عَنِ الْحُوبِ مُعْرِضًا ... وَفِي الْجَدْبِ فَيَّاضًا وَفِي الْحَرْبِ مُقْدِمَا

عَفَافٌ وَإِنْصَافٌ أَنَالا جَلَالَةً ... وَجُودٌ وَإِقْدَامٌ أَفَادَا تَقَدُّمَا

إِذَا مَا مُلُوكُ الْأَرْضِ تِيهًا تَعَظَّمُوا ... كَفَاكَ عَظِيمُ الْقَدْرِ أَنْ تَتَعَظَّمَا

لَقَدْ قَصَّرُوا أَنْ يُبْرِمُوا مَا نَقَضْتَهُ ... كَتَقْصِيرِهِمْ عَنْ نَقْضِ مَاطَلْتَ[3] مُبْرِمَا

لِهٰذَا الْعُلَى مُلْكٌ بِغَيْرِ مُشَارِكٍ ... لِأَكْرَمِ مَنْ أَعْطَى وَأَشْرَفِ مَنْ سَمَا

لِأَبْدَعِهِمْ فَضْلًا وَأَقْطَعِهِمْ ظُبًى ... وَأَبْرَعِهِمْ فِعْلًا وَأَمْنَعِهِمْ حِمَا

وَأَوْسَعِهِمْ صَدْرًا وَأَسْرَعِهِمْ نَدًى ... وَأَمْرَعِهِمْ أَرْضًا وَأَرْفَعِهِمْ سَمَا

وَمَنْ قَدَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَإِبَاؤُهُ ... وَهِمَّتُهُ عَلَى الْأَنَامِ تَقَدَّمَا

كَفَى الدَّوْلَةَ الْمُسْتَنْصِرِيَّةَ عَضْدُهَا ... نَوَائِبَ لَوْ قَارَعْنَ رَضْوَى[4] تَهَدَّمَا

وَقَدْ قَلَّدَتْهُ الْأَمْرَ فِي الدِّينِ وَالدُّنَا ... وَكَانَ أَمِينًا بِالْمَغِيبِ عَلَيْهِمَا

فَلَا يَرْهَبِ النَّاسُ الْخُطُوبَ وَرَيْبَهَا ... فَمُنْذُ رَأَى إِقْدَامَكَ الدَّهْرُ أَحْجَمَا

وَلَا يَطْلُبُوا إِلَّا بَقَاءَكَ عِصْمَةً ... فَهُمْ فِي أَمَانٍ مَا بَقِيتَ مُسَلَّمَا

---

(١) في الأصل (محال)

(٢) لعلها (عنه)

(٣) مازلت (م)

(٤) رضوى : جبل بالمدينة .

تُرِيدُ ٱلْعِدَى إِطْفَاءَ نَارِكَ خُيِّبُوا ظُنُونًا وَمَا تَزْدَادُ إِلاَّ تَضَرُّما

وَعَجْزُهُمُ عَنْ أَنْ تُرَاعَ بِجَدِّهِمْ كَعَجْزِ ٱلصَّبَا عَنْ أَنْ تَهُزَّ يَلَمْلَمَا[1]

وَلَمْ تَدْنُ عَيْنُ الشَّمْسِ مِنْ كَفِّ لاَمِسٍ فَتَقْذَى وَلاَ[2] لاَنَ ٱلْحَدِيدُ فَيُعْجَمَا

وَمَا زَالَ حَسْمُ ٱلظُّلْمِ وَٱللَّمُّ لِلْهُدَى هَوَاكَ ٱلَّذِي يُضْنِيكَ لاَ ٱلظَّلْمُ وَٱللَّمَا

وَلَمَّا تَعَدَّى الرُّومُ جَهْلاً بَعَثْتَهَا كَتَائِبَ يَحْمِلْنَ ٱلْوَشِيجَ ٱلْمُقَوَّمَا

قَنًا[3] جَدَّلَ ٱلْفُرْسَانَ قَبْلَ ٱنْحِطَامِهِ وَنَابَتْ سُيُوفُ ٱلْهِنْدِ لَمَّا تَحَطَّمَا

وَإِنَّكَ مَنْ يَعْضِي ٱلْكَهَامُ بِكَفِّهِ فَكَيْفَ إِذَا جَرَّدْتَ أَبْيَضَ مِخْذَمَا

وَتُرْدِي بِرُمْحٍ لَمْ يُرَكَّبْ سِنَانُهُ فَكَيْفَ إِذَا أَشْرَعْتَهُ مُتَلَهْذِمَا

وَتَحْكُمُ بِٱلْإِيعَادِ فِي مُهَجِ ٱلْعِدَى فَكَيْفَ إِذَا جَهَّزْتَ جَيْشًا عَرَمْرَمَا

فَغَرَّقَهُمْ[4] بَحْرُ ٱلرَّدَى وَهْوَ سَاكِنٌ فَمَاذَا يَظُنُّونَ[4] ٱلشَّقِيُّونَ إِنْ طَمَا

وَلَوْ لَمْ يَذُدْ عَنْهُمْ طُغَانُ[5] وَجَيْشُهُ لَكَانَ عَلَى شَاطِي ٱلْخَلِيجِ مُخَيِّمَا

وَقَدْ عَلِمُوا مَنْ رَاشَ بِٱلْعِزِّ سَهْمَهُ وَمَنْ طَاشَ إِذْ دَارَتْ رَحَى ٱلْحَرْبِ مِنْهُمَا

---

(١) يلملم : جبل من الطائف .

(٢) وإن لان ... (م)

(٣) في الأصل (فتى) وهو تصحيف .

(٤) فغرقهم (م) وقد تعدّد الفاعل في قوله « يظنّون الشقيّون »

(٥) في الأصل (طعان) وهو تصحيف . وطغان المظفري أحد قواد أنوشتكين الدزبري « زبدة الحلب ١/٢٥٥ »

أَظُنُّهُمُ لَمْ يَفْهَمُوا مَا أَمَرْتَهُمْ ... بِهِ فَجَعَلْتَ ٱلسَّيْفَ عَنْكَ مُتَرْجِما
حُسَامٌ هُمَامٌ ظَلَّ بِٱلْحَقِّ نَاطِقاً ... فَمَا صَلَّ فِي ٱلْهَامَاتِ إِلاَّ وَأَفْهَما
وَعِنْدَهُمُ صَبْرٌ عَلَى ٱلضَّيْمِ وَٱلأَذَى ... يُرَجُّونَ أَنْ يُضْحِي إِلَى السِّلْمِ سُلَّما
وَقَدْ طَالَمَا ٱسْتَنْقَذْتَ بِٱلأَمْنِ خَائِفاً ... وَبِٱلْجُودِ مِعْدَاماً وَبِٱلْعَفْوِ مُجْرِما
وَإِنْ كُنْتَ تَسْطُو عِزَّةً وَحَفِيظَةً ... فَإِنَّكَ تَعْفُو رَحْمَةً وَتَكَرُّما
فَدَعْهُمْ إِلَى وَقْتٍ فَلَوْ لَمْ يُعِتْهُمُ ... يَقِينُ ٱلرَّدَى ٱلآتِي لَمَاتُوا تَوَهُّما
وَقَدْ أَصْبَحُوا فِي غُمَّةٍ مَا تَكَشَّفَتْ ... وَمَنْ لَهُمُ أَنْ يُتْرَكَ ٱلأَمْرُ مُبْهَمَا
وَمَا زَالَ مِيخَائِيلُ[1] مِنْ قَبْلُ مُقْدِماً ... فَلَمَّا رَأَى عَيْنَ ٱلرَّدَى عَادَ مُحْجِما
وَإِنْ كَانَ أَبْدَى إِذْ نُصِرْتَ عَلَيْهِمُ ... سُرُوراً فَقَدْ أَخْفَى أَسىً وَتَأَلُّما
وَقَالَ لَكَ ٱحْكُمْ فِي بِلاَدِي وَأَهْلِهَا ... وَهَلْ حَكَّمَتْكَ ٱلْبِيضُ إِلاَّ لِتَحْكُما
أَلاَ فَلْيُعَلِّمْ نَفْسَهُ مَا بَدَا لَهُ ... فَإِنَّكَ أَغْنَى ٱلنَّاسِ عَنْ أَنْ تُعَلَّما
وَلَمْ أَرَ خُلْداً بَصَّرَ ٱلْبَازَ صَيْدَهُ ... وَلاَ ضَبُعاً دَلَّتْ عَلَى ٱلْفَرْسِ ضَيْغَما
وَلَوْ قَصَدَتْ ذِي ٱلْبِيضُ بَيْضَةَ مُلْكِهِ ... لَأَسْلَمَ إِعْظَاماً لَهَا وَلَسَلَّما
حَوَى حَلَباً مَنْ صَارَ مِنْ تَحْتِ حُكْمِهِ ... وَكَانَ عَلَى مُلاَّكِهَا مُتَحَكِّما
فَيَا رَوْعَةَ ٱلْيَعْقُوبِ صَاقَبَ أَجْدَلاً ... وَيَا صَرْعَةَ ٱلْعُصْفُورِ جَاوَرَ أَرْقَما
وَإِنَّ ٱلسُّهَى أَدْنَى إِلَى مُتَنَاوِلٍ ... وَأَيْسَرُ مِنْ ثَغْرٍ بِأَسْيَافِكَ أُحْتُمَا

(١) ميخائيل : ملك الروم .

وَقَدْ صَارَ طَيْرُ ٱلْأَمْنِ فِيها مُغَرِّداً ... وَكَانَتْ لِطَيْرِ ٱلذُّلِّ وَٱلْخَوْفِ مَجْثِمَا

وَبَدَّلتَ مَنْ ضَمَّتْ[1] سُرُوراً مِنَ ٱلْأَذٰى ... وَنُعمى مِنَ ٱلْبُؤْسىٰ وَرِيًّا مِنَ ٱلظَّما

وَأَمَّنْتَهُمْ لَمَّا أَخَفْتَ عَدُوَّهُمْ ... فَنَوَّمْتَ أَيْقَاظاً وَأَيْقَظْتَ نُوَّما

وَأَوْرَدْتَهُمْ بَحْراً مِنَ ٱلْجُودِ مُفْعَماً ... وَأَسْكَنْتَهُمْ طَوْداً مِنَ ٱلْعِزِّ أَيْهَما

فَلاَ تَأْمَنِ ٱلرُّومُ ٱلْمُظَفَّرَ إِنَّهُ ... وَحِيُّ ٱلرَّدٰى إِنْ هَمَّ وَٱلْغَيْثِ إِنْ هَما

وَمَا عَرَضَ ٱلْأَمْرَانِ يَوْماً لِرَأْيِهِ ... فَحَادَ عَنِ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱلْمَجْدِ مِنْهُما

عَلِيمٌ بِعُقْبىٰ ٱلْأَمْرِ إِنْ جَاءَ مُشْكِلاً ... بَصِيرٌ إِذَا مَا حِنْدِسُ ٱلشَّكِّ أَظْلَما

فَيَتْرُكُ[2] أَقْوَالَ ٱلْأَنَامِ كَأَنَّما ... بِهِ صَمَمٌ عَنْها وَيَمْضِي مُصَمِّما

شَرُوبٌ إِذَا مَا أَصْبَحَ ٱلْحَمْدُ قَهْوَةً ... طَرُوبٌ إِذَا كَانَ ٱلصَّلِيلُ تَرَنُّما

رَأىٰ أُفُقَ ٱلْعَلْيَاءِ لاَ شَكَّ عَاطِلاً ... فَأَطْلَعَ فِيهِ مِنْ مَسَاعِيهِ أَنْجُما

وَلَوْ أَنَّ أَحْكَامَ ٱلنُّجُومِ صَحِيحَةٌ ... لَخِلْنَاكَ مِنْ صِدْقِ ٱلنُّجُومِ مُنَجِّما

وَمَا هُوَ عِلْمٌ عَنْ سِوَاكَ أَخَذْتَهُ ... وَلٰكِنْ بَرَاكَ ٱللهُ لاَ شَكَّ مُلْهَما

تَوَخَّىٰ ٱلتُّقىٰ وَٱلْعَدْلَ فِعْلُكَ كُلُّهُ ... فَلَمْ تَقْتَرِفْ[3] إِثْماً وَلَمْ تَجْنِ مَحْرَما

فَلَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ قَضىٰ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ ... تَكَوَّنَ مِنْ نُورِ ٱلْهُدىٰ وَتَجَسَّما

---

(١) في الأصل (مِنْ صَمْتٍ) وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل (فتترك)

(٣) فلم يقترف إثماً ولم يجن محرما (ع) و (م)

لَقَدْ حُزْتَ فَضْلَ الأَنْبياءِ وَهَدْيِهِمْ ... فَصَلَّى عَلَيْكَ اللهُ مَلْكاً وَسَلَّما

فَضَائِلُ أَعْلَى مِنْ ذُكاءَ مَحَلَّةً ... وَأَشْرَفُ أَنْواراً وَأَبْعَدُ مُرْتَما

غَدَتْ فَوْقَ رَأْسِ الْمَجْدِ[1] تَاجاً مُرَصَّعاً ... وَفي عُنُقِ الْعَلْيَاءِ عِقْداً مُنَظَّما

يُفِيدُ[2] بِرُؤْيَاهَا الْقَرِيبُ تَنَزُّهاً ... وَيَحْظَى بِرَيَّاهَا الْبَعِيدُ تَنَسُّما

فَكُلُّ[3] نَدىً في الْخَلْقِ جُودُكَ أَصْلُهُ ... فَفي ضِلَّةٍ مَنْ عَدَّ غَيْرَكَ مُنْعِما

لأَظْهَرَ أَهْلُ الأَرْضِ حُبَّكَ رَهْبَةً ... فَأَنْعَمْتَ حَتَّى خَالَطَ اللَّحْمَ وَالدَّما

فَيَا ذَا الْعَطَايَا لَمْ تَدَعْ مُتَطَلِّباً ... وَيَا ذَا الْقَضَايَا لَمْ تَدَعْ مُتَظَلِّما

بَسَطْتَ يَدَ الْعَدْوَى[4] فَلَمْ تُبْقِ خَائِفاً ... وَأَسْرَفْتَ في الْجَدْوَى فَلَمْ تُبْقِ مُعْدِما

فَلاَ بَرِحَتْ تَعْلُو يَداً تُنْهِلُ الْقَنا ... دِمَاءَ أَعَادِيهَا وَتُنْهِلُ أَنْعُما

وَقَدْ سَمِعَ اللهُ الْكَرِيمُ لأُمَّةٍ ... تَيَمَّمَتِ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحَرَّما

وَلَوْلاكَ لَمْ يَنْزِلْ غَرِيبٌ بِمَكَّةٍ ... وَلاَ وَرَدَتْ تِلْكَ الْخَلاَئِقُ[5] زَمْزَما

وَمَوْسِمُها في كُلِّ عَامٍ وَإِنَّنا ... نَرَى كُلَّ يَوْمٍ في جَنَابِكَ[6] مَوْسِما

---

(١) رأس الملك (ل)

(٢) تفيد (ع) و (م)

(٣) وكل (ل)

(٤) العليا (ل)

(٥) الخزائق (ل) و (ع) وهامش (م)

(٦) من حياتك (ل)

وَإِنْ جَلَّ مَا خَوَّلْتَنِي وَكَتَمْتَهُ جَلالاً فَمَا أُسْتَوْدَعْتَنِيهِ لِأَكْتُمَا

فَدُونَكَ فَاسْحَبْ فِي ٱلثَّنَاءِ مَلابِساً وَأَفْخَرُهَا مَا كَانَ بِالْحَمْدِ مُعْلَما

مَدَائِحَ تَبْقَى مَا يَلِي ٱلْغَسَقَ ٱلدُّجَى (١) وَمَا بَلَّ رِيقٌ فِي بَنِي آدَمٍ فَما

حَبَسْتُ عَلَيْكَ ٱلظَّنَّ وَٱلشِّعْرَ فِعْلَ مَنْ يَرَى ٱلنَّيْلَ إِلاَّ مِنْ يَدَيْكَ مُحَرَّما (٢)

وَمَنْ عَدَّ جُودَ ٱلْقَوْمِ غُنْماً فَإِنَّنِي أَرَى مَغْنَماً مَا أَنْتَ مُولِيهِ مَغْرَما

وَإِلاَّ تَأَمَّلْ حُرَّ وَجْهِيَ هَلْ تَرَى بِصَفْحَتِهِ إِلاَّ لِجُودِكَ مِيسَما (٣)

وَحَاشَا لِحَظِّي أَنْ يُرَى وَهْوَ نَاقِصٌ لَدَيْكَ وَظَنِّي أَنْ يَكُونَ مُرَجَّما

فَمَكَّنَكَ ٱلْإِسْلَامُ عِزّاً لِأَهْلِهِ فَمَا زِلْتَ (٤) لِلْإِسْلَامِ عِيداً مُعَظَّما

وَدُمْ لِلْمُنَى كَنْزاً وَلِلْحَقِّ عِصْمَةً وَلِلْبَغْيِ مُجْتَاحاً وَلِلْإِفْكِ مُرْغِما

٩٧

وقال يمدح الوزير الأجل أبا الفرج بن المغربي (٥)

لَا تَجُزْ فِي ٱلَّذِي بَلَغْتَ ٱلْأَنَامُ فَهْوَ حَقٌّ قَضَتْكَهُ ٱلْأَيَّامُ

وَقَلِيلٌ لِمَا حَوَيْتَ مِنَ ٱلسُّؤْ دُدِ هٰذَا ٱلْإِجْلَالُ وَٱلْإِعْظَامُ

(١) الضحى (ل)
(٢) لم يرد هذا البيت فى (ل)
(٣) منسما ؟ (ع) و (م)
(٤) فلا زلت (ع) و (م)
(٥) انظر الحاشية رقم (١) ص (٤٥٢)

أَخَذَ الْمَجْدَ مُحْدَثٌ عَنْ قَدِيمٍ وَمَعَالِيكَ كُلُّهَا إِلْهَامُ

وَلَقَدْ شَاعَ مِنْ تَمَلُّكِكَ الْأَمْـ ـرَ حَدِيثٌ بِنَا إِلَيْهِ أُوَامُ

سَبَقَ الْبُرْدَ طِيبُهُ فَهْوَ مَقْرُو ءٌ وَمَا فُضَّ عَنْ كِتَابٍ خِتَامُ

وَرَأَى النَّاسُ مِنْ زَمَانِكَ فِي الْـ يَقْظَةِ مَالَا تُرِيهِمُ الْأَحْلَامُ

جَلَّ عَنْ سَائِرِ الْعُصُورِ فَقَدْ قِيـ ـلَ مَنَامٌ فَدَامَ هٰذَا الْمَنَامُ

أَمِنُوا مُذْ قَضَى عَلَى الدَّهْرِ خِرْقٌ كُلُّ أَحْكَامِهِ لَهُ(١) إِحْكَامُ

ذُدْتَهُ وَهْوَ عَانِسٌ(٢) عَنْ هَوَاهُ فَأَتَاهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ الْفِطَامُ

فَإِذَا أَقْسَمُوا بِمَا أَنْتَ مُولِيـ ـهِ فَفَرْضٌ أَنْ تَصْدُقَ الْأَقْسَامُ

مِنْ أَيَادٍ هَمَتْ عَلَى الْعَارِضِ الْهَطَّـ ـالِ لَوْ لَا عُمُومُهَا وَالدَّوَامُ

وَدِفَاعٍ عَنْهُمْ يَرَاهُ(٣) لَكَ اللَّـ ـهُ وَيُثْنِي بِهِ عَلَيْكَ الْإِمَامُ

تَبِعَتْ رَأْيَكَ الْوُلَاةُ فَعَفَّتْ وَتَأَسَّتْ بِعَدْلِكَ الْحُكَّامُ

ثُمَّ أَنْعَمْتَ(٤) صَافِحًا عَنْ ذُنُوبٍ مَا اسْتُخِفَّتْ(٥) بِمِثْلِهَا الْأَحْلَامُ

فَمَتَى يُضْمِرُ الْحَسُودُ لِمَعْرُو فِكَ جَحْدًا وَعَرْفُهُ نَمَّامُ

(١) لها (م)

(٢) عابس (ع) و (م)

(٣) براه (ع) و (م)

(٤) ألغيت (م) والكلمة غير مقروءة في (ع)

(٥) ما استحقت ؟ (م)

هَلْ لِصُبْحٍ (١) بَعْدَ الْوُضُوحِ اسْتِتَارٌ أَوْ لِشَمْسٍ بَعْدَ الطُّلُوعِ اكْتِتَامُ

كَمْ قَرِيبٍ لَدَيْكَ سَكَّنَهُ فَضْـ ـلُكَ إِذْ طَوَّحَتْ بِهِ الْأَوْهَامُ

لَمْ يُحِلْكَ السُّلْطَانُ عَنْ رَأْيِكَ الْأَوَّ لِ فِيهِ بَلْ ضُوعِفَ الْإِكْرَامُ

أَنَفًا أَنْ تَقُولَ (٢) مَاقَالَهُ الْأَبْـ رَشُ (٣) إِذْ سَامَهُ السُّجُودَ هِشَامُ

هِمَمٌ (٤) لَمْ تَزَلْ لِهَامِ الْمَعَالِي مُقَلاً غَيْرَ أَنَّهَا لَا تَنَامُ

وَلَقَدْ أَوْطَأَتْكَ (٥) ذِرْوَةَ مَجْدٍ لَا تُسَامَى وَرُتْبَةً لَا تُسَامُ

أَنْفَضَ (٦) الْمُنْفِقُونَ مِنْ كَاذِبِ الظَّنِّ عَلَيْهَا فَانْفَضَّ ذَاكَ الزِّحَامُ

وَهُوَ فِيمَا كَفَاكَ قَوْلُ حَسُودٍ نَالَهَا (٧) وَالْأَنَامُ عَنْهَا نِيَامُ

---

(١) بصبحٍ (ع) و (م)

(٢) أن يقوم ؟ (ع) و (م)

(٣) هو الأبرش بن الوليد الكلبي كان أحد الفصحاء من أصحاب هشام ابن عبد الملك ، ولما أفضت الخلافة الى هشام سجد من كان حوله شكراً ولم يسجد الأبرش ، فلما رفع هشام رأسه قال ما منعك من السجود وقد سجدت أنا وهؤلاء ؟ فقال أما أنت فقد أتتك الخلافة فشكرت الله على عطاءٍ جزيل، وأمّا هذا فكاتبك وشريكك ، وأما هذا فحاجبك والمؤدي عنك وإليك ، وأما أنا فرجل من العرب لي بك حرمة وخاصية وأنا أخاف أن تغيرك الخلافة فعلى ماذا أسجد ؟ فقال له إن الذي منعك من السجود هو ما ذكرت ؟ فقال نعم . فقال له لك ذمة الله وذمة رسوله أن لا أتغير عليك . فقال : الآن طاب السجود الله أكبر .

« تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣١٥ »

(٤) هماً (ع) و (م)

(٥) أوطنتك (ل)

(٦) أنفد (م) وهذا البيت مع أربعة أبيات بعده لم ترد في (ل)

(٧) قالها (هامش م)

مُذْ حَمَاهَا بِسَعْيِهِ ٱلْكَامِلُ ٱلْأَوْ حَدُ شَطَّ ٱلْمَرْمَى وَعَزَّ ٱلْمَرَامُ

فَإِذَا قَامَ طَامِعٌ يَبْتَغِيهَا فَسَوَاءٌ قُعُودُهُ وَٱلْقِيَامُ

أَنْتَ أَعْلَيْتَهَا(١) فَأَكْدَى مُرَجِّيـ ـهَا وَأَغْلَيْتَهَا فَمَا تُسْتَامُ(٢)

بِٱلنَّدَى حِينَ أَعْوَزَ(٣) ٱلْجُودُ وَٱلْإِقْـ ـدَامِ فِي حَيْثُ زَلَّتِ ٱلْأَقْدَامُ

وَثَبَاتٌ تُقَصِّرُ ٱلْأُسْدُ عَنْهَا وَثَبَاتٌ لَا يَدَّعِيهِ شَمَامُ(٤)

لَكَ فِي كُلِّ مَأْزِقٍ(٥) حَفِظَ ٱلْإِقْـ ـدَامُ فِيهِ مَا ضَيَّعَ ٱلْأَقْوَامُ(٥)

وَمَقَامٌ لِلْهَامِ فِيهِ ٱنْحِطَاطٌ عَنْ طُلَاهَا وَلِلْوَشِيجِ ٱنْحِطَامُ

إِذْ تَنَادَتْ يَا آلَ قُرَّةَ آسَا(٦) ذٌ وَنَدَّتْ كَأَنَّهَا آرَامُ

حِينَ طَارَتْ بِهَا سَوَابِقُ كَالْفُتْـ ـخِ وَلَوْ لَمْ تَطِرْ لَطَارَ ٱلْهَامُ(٧)

أَنْتَ كَلَّفْتَهَا ٱدِّرَاعَ ٱلدَّيَاجِي حَيْثُ لَمْ يَحْمِ(٨) مِنْ سُطَاكَ ٱللَّامُ

بَانِيًا بِٱلْمَضَاءِ وَٱلرَّأْيِ عِزًّا مَا بَنَاهُ بِسَيْفِهِ بِسْطَامُ(٩)

---

(١) في الأصل (أعلنتها)

(٢) فما قد تُسام (م)

(٣) كان أعوزها الجود (ع)

(٤) شَمام : اسم جبل لباهلة (معجم البلدان)

(٥) مارق ؟ (ل) في الأصل (الأقدام) ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

(٦) آل قُرَّة : من عرب البحيرة في مصر «الإشارة ص ٤٢»

(٧) الفتخ : جمع فتخاء وهي العقاب اللينة الجناح . وفي (ل) كالفتح .

(٨) لم تحم (ل)

(٩) بِسْطام : هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني من فرسان العرب .

وَأَرَى هٰذِهِ السَّكِينَةَ فِي ٱلْقُدْ رَةِ مِمَّا أَفَادَ ذَاكَ ٱلْعُرَامُ

وَإِذَا مَا ٱلسُّيُوفُ لَمْ تَشْهَدِ ٱلرَّوْ[1] عَ فَسِيَّانِ صَارِمٌ وَكَهَامُ

طَالَمَا أُنْضِيَتْ جِيَادُكَ حِيناً إِذْ عِدَاكَ ٱلْأَغْرَاضُ[2] وَهْيَ سِهَامُ

ثُمَّ حُطَّتْ عَنْهَا السُّرُوجُ وَمِنْ عَزْ مِكَ خَيْلٌ مَا حُلَّ عَنْهَا حِزَامُ

أَزَمَاتٌ أَلْوَتْ بِهَا عَزَمَاتٌ شَأْنُهَا ٱلْإِقْتِسَارُ وَٱلْإِقْتِحَامُ

بَالِغَاتٌ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَطَاغٍ فَوْقَ مَا يَبْلُغُ ٱلْخَمِيسُ ٱللُّهَامُ

أَخْفَقَ ٱلْمُتْرَفُ ٱلْجَنُوحُ إِلَى ٱلْخَفْ ضِ وَفَازَ ٱلْمُخَاطِرُ ٱلْمِقْدَامُ

وَحَمَى حَوْزَةَ ٱلْوِزَارَةِ قَسْراً مَنْ لَدَيْهِ ٱلْإِرْغَامُ وَٱلْإِنْعَامُ

فَٱلْعَوَادِي[3] مَوْصُولَةٌ كَٱلْأَيَادِي وَٱلرَّزَايَا مِثْلُ ٱلْعَطَايَا جِسَامُ

وَعَسِيرٌ عَلَى ٱلْعِدَى هَدْمُ عِزٍّ شَيَّدَتْهُ ٱلسُّيُوفُ وَٱلْأَقْلَامُ

وَبَنُو ٱلْمَغْرِبِيِّ أَهْلُ ٱلْمَعَالِي قَعَدُوا عَنْ طِلَابِهَا أَوْ قَامُوا

سُحُبٌ[4] لِلنَّدَى مَوَاطِرُهَا ٱلتِّبْ رُ وَلٰكِنْ بُرُوقُهَا ٱلْإِبْتِسَامُ

لَمْ أُسَوِّغْكُمْ شَهَادَةَ زُورٍ مُذْ خُلِقْتُمْ لَمْ يُعْرَفِ ٱلْإِعْدَامُ

طَلَبَ ٱلنَّاسُ شَأْوَكُمْ وَبَعِيدٌ أَنْ تَسَاوَى ٱلْوِهَادُ وَٱلْأَعْلَامُ

(١) لم تشهد الحرب ... (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٣١٥)

(٢) الأعراض (ل) و (م)

(٣) فالغوادي (ع) و (م)

(٤) سحب الندى ؟ (م)

وَعُرِفْتُمْ بَيْنَ ٱلْوَرَى بِأَسَامٍ ... لِأَسَامِي ٱلْكِرَامِ فِيهَا ٱدِّغَامُ

وَقُلُوبٍ قَضَى لَهَا ٱلْعِزُّ وَٱلنَّخْـ ... ـوَةُ أَلَّا تَحُلَّهَا أَوْغَامُ(١)

وَلَأَنْتُمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ شُمُوسٌ ... لَا يُغَطِّي أَنْوَارَهَا ٱلْإِظْلَامُ

طُلْتُمُ ذَا ٱلْأَنَامَ بِٱلطَّوْلِ لَا يُدْ ... فَعُ وَٱلْعِزَّةِ ٱلَّتِي لَا تُرَامُ

مِثْلَمَا طَالَتِ ٱلْحَضِيضَ ٱلثُّرَيَّا ... لَا كَمَا يَفْرَعُ ٱلْأَظَلَّ ٱلسَّنَامُ

جَادَنِي مِنْ غَمَامِ جَاهِكَ نَوْءُ ... طَلَبِي(٢) بَعْدَهُ لَهَاكَ ٱغْتِنَامُ

كَرَمٌ كَفَّ عَنْ مَطَامِعَ شَتَّى ... شَابَ فِيهَا ٱلرَّجَاءُ(٣) وَهْوَ غُلَامُ

وَمُلُوكٍ سَحَابُهَا لَمْ يَرِقْ قَطُّ ... كَرِيقِ ٱلْحُبَابِ(٤) وَهْوَ جَهَامُ

فَبِيُسْرَايَ حَيْثُ(٥) مَا كُنْتُ مِنْ رَأْ ... يِكَ تُرْسٌ وَفِي يَمِينِي حُسَامُ

وَبِرَغْمِي تَخَلُّفِي عَنْ حُضُورِي ... كُلَّمَا ضَمَّ مَادِحِيكَ مَقَامُ

غَيْرَ أَنِّي جَارٍ عَلَى سُنَّةٍ لِي ... سَنَّهَا ٱلْإِنْقِبَاضُ وَٱلْإِحْتِشَامُ

وَمَتَى مَا دُعِيتُ لَبَّتْ سِرَاعًا ... مُقْرَبَاتٌ عَلِيقُهَا ٱلْإِلْجَامُ

وَقِلَاصٌ أَوْفَى مَشَارِبِهَا ٱلْعِشْـ ... ـرُ وَأَدْنَى مَسِيرِهَا ٱلْإِجْدَامُ(٦)؟

---

(١) الأوغام : جمع وَغْم وهو الحقد الثابت .

(٢) طَلَّني (ل)

(٣) الرجاء (ع) و (م)

(٤) الحسان ؟ (ل)

(٥) في شمالي بحيث ما كنت ... (ع) و (م)

(٦) الاجزام؟ (ل)

فَهْيَ فِي حَمْلِ بَاهِظِ ٱلْعِبْءِ أَنْعا مٌ وَفِي طَيِّهَا ٱلْفَلَاةَ نَعَامُ

حَامِلَاتٌ حُلىً مِنَ ٱلْمَدْحِ مَا حَلَّى هُمَاماً بِمِثْلِهَا هَمَّامُ (١)

كُلُّ غَرَّاءَ لِلْمُصِيخِ إِلَيْهَا نَشْوَةٌ مَا تَقَدَّمَتْهَا مُدَامُ

مِنْ قَوَافٍ لِلْمَأْثُرَاتِ قَوَافٍ عَادَتَاهَا ٱلْإِنْجَادُ وَٱلْإِتْهَامُ

عَلِقَاتٍ بِكُلِّ سَمْعٍ وَقَلْبٍ فَلَهَا بَعْدَ أَنْ تَسِيرَ مُقَامُ

غَايَةُ ٱلسُّؤْلِ أَنْ تَعِيشَ لِمُلْكٍ بِكَ زَالَتْ عَنْ أَهْلِهِ ٱلْآلَامُ

وَجَنَابٍ مُمَنَّعٍ يُنْصَفُ ٱلْمَظْ لُومُ فِيهِ وَيُنْصَرُ ٱلْمُسْتَضَامُ

حَرَمٌ لِلْمُنَى إِلَيْهِ نُزُوعٌ وَلِأَبْنَائِهَا عَلَيْهِ ٱزْدِحَامُ

لَا طَوَتْ ظِلَّكَ ٱلظَّلِيلَ ٱللَّيَالِي مَا تَوَالَى فِطْرٌ وَكَرَّ صِيَامُ

فَضَلَتْ هٰذِهِ ٱلْمَسَاعِي عَنِ ٱلْقَوْ لِ وَضَلَّتْ فِي وَصْفِهَا ٱلْأَوْهَامُ

*
* *

(١) همّام : هو الفرزدق الشاعر المشهور .

٩٨

وقال أيضاً يمدح الأمير شرف[١] الدولة أبا المكارم مسلم بن قريش لما فتح حلب في سنة ثلاث وسبعين وأربعماية

مَاأَدْرَكَ[٢] ٱلطَّلِبَاتِ مِثْلُ[٣] مُصَمِّمِ إِنْ أَقْدَمَتْ أَعْدَاؤُهُ لَمْ يُحْجِمِ

تَرَكَ ٱلْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ مَطِيَّةً مَنْ بَطْشُهُ كَقِرَاهُ لَيْسَ بِمُعْتِمِ[٤]

إِنْ هَمَّ لَمْ يُلْمِمْ بِعَيْنَيْهِ كَرًى أَوْ سِيلَ لَمْ يَأْلَمْ وَلَمْ يَتَلَوَّمِ

أَحْرَزْتَ مَا أَعْيَا ٱلْمُلُوكَ مُصَابِراً غِيَرَ ٱلْحَوَادِثِ وَٱحْتِمَالَ ٱلْمَغْرَمِ

وَلَقَدْ تَحَقَّقَتِ ٱلْعَوَاصِمُ[٥] أَنَّهَا إِنْ لَمْ تَحُزْ[٦] أَقْطَارَهَا لَمْ تُعْصَمُ

حَنَّتْ إِلَيْكَ عَلَى ٱلْبِعَادِ فَشَوْقُهَا شَوْقُ ٱلرِّيَاضِ إِلَى ٱلسَّحَابِ ٱلْمُثْجِمِ

لِلّٰهِ يَوْمٌ فِي ٱلسَّعَادَةِ وَاحِدٌ أَلْوَى بِشِدَّةِ أَلْفِ يَوْمٍ أَشْأَمِ

---

(١) هو شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش بن بدران العُقيلي صاحب الموصل وديار ربيعة ومضر . استولى على حلب سنة ٤٧٣ وباستيلائه عليها انقرضت دولة بني مرداس . كان حسن التدبير نافذ السلطان قتل على باب أنطاكية في المصافّ سنة ٤٧٨ .

(٢) لعل هـذه القصيدة آخر ما قال ابن حيّوس من الشعر وهي من أجود شعره تظهر فيها عصبيته العربية بعد أن تناساها في أكثر شعره .

(٣) غير مصمم (ع) و (م)

(٤) أعتَم قِرى الضيف : أبطأ به فأعتم هو . لازم متعد .

(٥) العواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية . « معجم البلدان »

(٦) إن لم تطأ أقطارها (ل)

يَا رَحْمَةً بُعِثَتْ فَأَحْيَتْ أُمَّةً قَدْ طَالَمَا مُنِيَتْ بِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ
جَلَّيْتَ ظُلْمَ ٱلنَّائِبَاتِ كَمَا جَلَا ضَوْءُ ٱلْغَزَالَةِ جُنْحَ لَيْلٍ مُظْلِمِ
وَأَطَرْتَ طَيْرَ ٱلْخَوْفِ حَتَّى مَالَهُ بِٱلشَّامِ مُنْذُ طَرَقْتَهُ مِنْ مَجْثَمِ
وَأَخَفْتَ ذَا ٱلزَّمَنَ ٱلْمُضَاعَفَ جَوْرُهُ حَتَّى ٱتَّقَاكَ بِطَاعَةِ ٱلْمُسْتَخْدَمِ
إِنَّ ٱلرَّعَايَا فِي جَنَابِكَ أَمَّنَتْ كَيْدَ ٱلْغَشُومِ وَفَتْكَةَ ٱلْمُتَغَشْرِمِ (١)
لَا يَشْتَكُونَ إِلَيْكَ نَائِبَةً سِوَى تَقْصِيرِهِمْ عَنْ شُكْرِ هٰذِي ٱلْأَنْعُمِ
فَٱلْأَمْنُ (٢) لِلْمُرْتَاعِ وَٱلْإِنْعَامُ لِلْـ بَاغِي ٱلنَّدَى وَٱلْعَدْلُ لِلْمُتَظَلِّمِ
لَا ٱلظَّبْيَةُ ٱلْغَيْدَاءُ تَخْشَى ٱلْقَسْوَرَ ٱلضَّـ ـارِي وَلَا ٱلذِّمِّيُّ حَيْفَ ٱلْمُسْلِمِ
قُدْتَ ٱلْجُيُوشَ بِصِدْقِ بَأْسِكَ تَقْتَدِي وَبِهَا (٣) ٱلْفِجَاجُ إِلَى مُرَادِكَ تَرْتَمِي
فَتَضَمَّنَتْ أَبْطَالُهَا إِبْطَالَهَا خُدَعَ ٱلْمُنَى وَتَوَهُّمَ ٱلْمُتَوَهِّمِ
بِٱلْمَشْرَفِيَّةِ مَا تُوَازِي دِجْلَةً (٤) عِنْدَ ٱلزِّيَادَةِ مَا أَرَاقَتْ مِنْ دَمِ
وَٱلْخَيْلُ يَحْمِلْنَ ٱلْمَنَايَا وَٱلْمُنَى مِنْ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَأَجْرَدَ شَيْظَمِ
كَمْ حُجِّلَتْ بِدَمِ ٱلطُّغَاةِ وَأُعْجِلَتْ فِي نَهْضَةٍ عَنْ مُسْرِجٍ أَوْ مُلْجِمِ
عَلَّمْتُمُوهَا ٱلصَّبْرَ وَهِيَ كَلِيمَةٌ تَغْشَى ٱلْوَغَى وَكَأَنَّهَا لَمْ تُكْلَمِ

---

(١) تغشرم البيد : ركبها .
(٢) والأمن (ل)
(٣) وبها الفجاج إلى مرداك يرتمي ؟ (ل)
(٤) دِجْلة : نهر بغداد .

أَقْدَمْتَ أَمْنَعَ مُقْدِمٍ وَغَنِمْتَ أَوْ ... فِي مَغْنَمٍ وَقَدِمْتَ أَسْعَدَ مَقْدَمِ

وَلَقَدْ ظَفِرْتَ[1] بِمَا يَعِزُّ مَرَامُهُ ... إِلَّا عَلَيْكَ فَدُمْ عَزِيزاً وَاسْلَمِ

كَانَتْ تُعَدُّ مِنَ الْمَعَاقِلِ بُرْهَةً ... وَسَمَتْ بِمُلْكِكَ فَهْيَ[2] بَعْضُ الْأَنْجُمِ

فَضَلَتْ عَلَى كُلِّ الْقِلَاعِ وَبَيَّنَتْ ... فَضْلَ الصَّبُورِ عَلَى الْمُمِضِّ الْمُؤْلِمِ

مَنْ ذَادَ عَنْهَا نَخْوَةً لَمْ يَخْشَ مِنْ ... عَنَتِ الْعِتَابِ وَلَا مَلَامِ اللُّوَّمِ

وَكَذَا مُسَلِّمُهَا لِتَرْضَى[3] آمِنٌ ... عَضَّ الْبَنَانِ وَفِكْرَةَ الْمُتَنَدِّمِ

فَاعْرِفْ لَهُمْ مَحْضَ الْوِدَادِ فَإِنَّهُمْ ... تَرَكُوا الْعَظِيمَةَ لِلْهُمَامِ الْأَعْظَمِ

مَنْ كُنْتَ يَا فَخْرَ الْمُلُوكِ ظَهِيرَهُ ... فَبِنَاؤُهُ فِي الْمَجْدِ لَمْ يَتَهَدَّمِ

فَاعْطِفْ عَلَيْهِمْ عَطْفَةً شَرَفِيَّةً ... مَا الظَّنُّ فِي إِنْعَامِهَا بِمُرَجَّمِ

وَامْنُنْ فَكَمْ لَكَ مِنْ فَعَالٍ صَالِحٍ ... أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ فِيهِ مَا لَمْ يَلْزَمِ

هُمْ مِنْكَ إِنْ عَدَّتْ رَبِيعَةُ[4] فَخْرَهَا ... وَلُبَابُهَا[5] فِي مَحْفِلٍ أَوْ مَوْسِمِ

لَا يُنْكِرِ الْحُسَّادُ مَدْحِي مَعْشَراً ... طَالَتْ بِهِمْ هِمَمِي وَزَادَ تَقَدُّمِي

لَوْ[6] لَمْ أَقُلْ نَطَقَتْ صَنَائِعُ جَمَّةٌ ... لِأَبِيهِمُ يُعْلِمْنَ مَنْ[7] لَمْ يَعْلَمِ

---

(١) ولقد عزمت ... (ل)

(٢) وهي (ع) و (م) والضمير راجع إلى قلعة حلب

(٣) ليرضى ؟ (م)

(٤) أي قبائل ربيعة وهم من العرب العدنانية

(٥) ولبانها (ل)

(٦) لم لا أقل ؟ (ل)

(٧) ما لم يعلم (م)

فَلأُثْنِيَنَّ(١) مَدَى حَيَاتِي مُوقِنًا ... أَنِّي مَتَى أَجْحَدْ جَمِيلاً(٢) أَظْلِمِ
إِنَّ الْوَفَاءَ طَرِيقُ أَسْلاَفِي الأُلَى ... عَمَرُوهُ(٣) مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَيْثَمِ(٤)
وَمَضَوْا فَأَحْسَنْتُ النِّيَابَةَ عَنْهُمُ ... فِي الْقَوْلِ وَالأَفْعَالِ غَيْرَ مُذَمَّمِ
وَلَقَدْ جَمَعْتَ فَضَائِلاً مَا اسْتُجْمِعَتْ ... يَفْنَى الزَّمَانُ وَذِكْرُهَا لَمْ يَهْرَمِ
كَرَمًا يُبِيحُ حِمَى الْغِنَى وَمَآثِرًا ... وَضُحًا تُبِيحُ بَلاَغَةً لِلْمُفْحَمِ
مِنْ صِدْقِ قَوْلِكَ يَبْتَدِي وَإِلَى فِعَا ... لِكَ يَنْتَهِي وَإِلَيْكَ أَجْمَعُ يَنْتَمِي
مِثْلُ الْكَلاَمِ تَفَرَّقَتْ أَنْوَاعُهُ ... فِرَقًا وَتَجْمَعُهُ حُرُوفُ الْمُعْجَمِ
أَظْهَرْتَ غَامِضَهَا فَأَنْسَيْتَ(٥) الأُلَى ... عَزُّوا وَجَادُوا فِي الزَّمَانِ الأَقْدَمِ
فَكَأَنَّ بِسْطَامَ بْنَ قَيْسٍ لَمْ يَرُعْ ... يَوْمًا عِدَاهُ وَحَاتِمًا لَمْ يُكْرِمِ(٦)
وَأَرَاكَ تَعْلُو قَائِلاً أَوْ صَائِلاً ... بِقَرَا سَرِيرٍ أَوْ سَرَاةِ مُطَهَّمِ
وَهِيَ النَّبَاهَةُ فُرْصَةُ(٧) الْعَذْبِ الْجَنَا ... لاَ فُرْصَةُ الْمُتَهَوِّرِ الْمُتَهَكِّمِ

(١) فلأبنين (ع) و (م)
(٢) جميلك (م)
(٣) غمروه (ل)
(٤) الهيثم بن عثمان الغنوي : من أجداد ابن حيّوس .
« ابن خلكان ٢/١٢ »
(٥) فاكتست ؟ (ع)
(٦) بسطام : هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني من فرسان العرب . وحاتم الطائي : يضرب بجوده المثل .
(٧) برهة (ل)

وَإِذَا جَرَى ٱلْكُرَمَاءُ بَرَّزَ سَابِقاً ... خُلُقُ ٱلْكَرِيمِ تَخَلُّقَ ٱلْمُتَكَرِّمِ (١)

كَمْ فِضْتَ إِنْعَاماً وَخُضْتَ مَخَاوِفاً ... مَا هَوْلُهَا لَوْلَاكَ بِٱلْمُتَهَجِّمِ

مُسْتَنْقِذاً مِنْ كُرْبَةٍ أَوْ مَاتِحاً ... فِي لَزْبَةٍ أَوْ صَافِحاً عَنْ مُجْرِمِ

فِي يَوْمِ قَارٍ (٢) رَايَةٌ لَكَ فَهَّمَتْ ... مِنْ قَادَةِ ٱلْأَتْرَاكِ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ

لَمَّا تَقَاصَرَتِ ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْخُطَى ... حَذَرَ ٱلْبَوَارِ وَثَبْتَ وَثْبَةَ ضَيْغَمِ

فِي عُصْبَةٍ كَعْبِيَّةٍ تَرَكُوا ٱلْقَنَا ... مُتَعَوِّضِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمِ

يَلْقَوْنَ (٣) أَعْرَاءً بِكُلِّ كَرِيهَةٍ ... يَجْتَابُ فِيهَا ٱللَّيْثُ ثَوْبَ ٱلْأَرْقَمِ

فَلَلْتُمُ عَدَدَ ٱلْعِدَى بِقَوَاضِبٍ ... كَثَّرْنَ أَزْوَادَ ٱلنُّسُورِ ٱلْحُوَّمِ

مِنْ مُرْهَفَاتٍ لَمْ تَزَلْ أَيْمَانُكُمْ (٤) ... أَنْصَارَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَيْوَمِ

مَا عَايَنَتْهَا ٱلتُّرْكُ تَحْكُمُ فِي ٱلطُّلَى ... حَتَّى تَوَلَّتْ طَائِشَاتِ ٱلْأَسْهُمِ

مِنْ نَابِذٍ لِسِلَاحِهِ فَاتَ ٱلرَّدَى ... سَبْقاً وَمِنْ مُسْتَلْئِمٍ مُسْتَسْلِمِ

أَلْوَى بِهِمْ صِدْقُ ٱعْتِزَامِكَ مِثْلَمَا ... تُلْوِي ٱلرِّيَاحُ ٱلْعَاصِفَاتُ بِخَشْرَمِ (٥)

فَخَصَصْتَ بِٱلْإِذْلَالِ كُلَّ مُقَلْنَسٍ ... وَعَمَمْتَ بِٱلْإِعْزَازِ كُلَّ مُعَمَّمِ

وَبِصَدْرِكَ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي لَمَّا يُرَعْ ... وَبِكَفِّكَ ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي لَمْ يَكْهَمِ

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ع) ولا في (م)

(٢) في يوم قار وراية ... (ع) و (م)

(٣) في جميع الأصول (يلقوك) وهو تصحيف .

(٤) لم تزل أنصارها أيمانكم ... (ل)

(٥) الخَشْرَم : جماعة النحل والزنابير .

مَا شِيمَ إلاَّ بَعْدَ قَتْلِ مُعَظَّمٍ ... مَاضِي ٱلشَّبَا وَثَبَاتِ مُلْكِ مُعَظَّمِ

وغَداً ستُخْلِي(١) ٱلشَّامَ مِنْهُمْ مِثْلَما ... أَخْلَتْ خُزَاعَةُ مَكَّةً مِنْ جُرْهُمِ

دُونَ ٱلَّذِي أَمَلُوا ظُبىً هِنْدِيَّةٌ ... قَدْ حَكَّمَتْكَ عَلَى ٱلْعِدٰى فَتَحَكَّمِ

أَذْكَرْتَهُمْ بُوقَا وَبَكْتَاشَاً(٢) لَدُنْ ... طَرَقَا ٱلْبِلادَ وَأَهْلَهَا بِٱلصَّيْلَمِ(٣)

فَثَنَتْهُمَا دُونَ ٱلْمُرَادِ عَشِيرَةٌ ... وَفَتِ ٱلزَّرَافَةُ مِنْهُمُ بِعَرَمْرَمِ

مَنَعُوا ذِمَارَهُمُ بِكُلِّ مُهَنَّدٍ ... قَدَّ ٱلدِّلاَصَ وَعَادَ غَيْرَ مُثَلَّمِ

يَوْمٌ لَعَمْرُكَ لَمْ تَزَلْ أَخْبَارُهُ ... مَسْمُوعَةً مِنْ مُنْجِدٍ أَوْ مُتْهِمِ

عَزَّتْ بِهِ عَرَبُ ٱلْبِلاَدِ كَعِزِّهَا ... بِٱلْقَادِسِيَّةِ يَوْمَ مَقْتَلِ رُسْتُمِ(٤)

أَمِنَتْ قَبَائِلُ عَامِرٍ صَرْفَ ٱلرَّدٰى ... وَٱلْجَدْبَ فِي ظِلِّ ٱلْمُعِزِّ ٱلْمُنْعِمِ

مُسْتَعْصِمِينَ بِذُرْوَةٍ لاَ تُرْتَقَىٰ ... مُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَةٍ لَمْ تُفْصَمِ

إِنْ أَجْدَبُوا لاَذُوا بِغَيْثٍ هَاطِلٍ ... أَوْ رُوِّعُوا عَاذُوا بِطَوْدٍ أَيْهَمِ

---

(١) سيخلى (ل)

(٢) بُرْقا ومكْناساً (ع) و (م) وهو تصحيف . وفي الكامل لابن الأثير : بوقا وكوكتاش : وهما أميران من أمراء الغُزّ الأتراك الذين استولوا على الموصل سنة ٤٣٥ وأخشوا فيها قتلا ونهباً فحاربهم صاحبها قرواش بن المقلد العُقيلي وظفر بهم وقتل منهم كثيراً (انظر الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ١٣١ و ص ١٣٥)

(٣) بالشيلم (ل)

(٤) كان يوم القادسية بين المسلمين وبين الفرس سنة ١٦ وكان الفتح للمسلمين وقتل رستم قائد جيوش الفرس .

أَصْفَيْتَ لِلْعَرَبِ الْمَشَارِبَ بَعْدَ أَنْ[1] كانَتْ كَرُمْحٍ لا يُعَانُ بِلَهْذَمِ
لاراعَتِ الأيَّامُ مَنْ بِفِنائِهِ كَنْزُ الْفَقِيرِ وَعِصْمَةُ الْمُسْتَعْصِمِ
أَنْتَ الَّذِي نَفَقَ الثَّنَاءُ بِسُوقِهِ وَجَرَى النَّدَى بِعُرُوقِهِ قَبْلَ الدَّمِ[2]
وَتَحَقَّقَ الأَمْلاكُ طُرًّا أَنَّهَا إِنْ لَمْ تُسَالِمْ مُلْكَهُ لَمْ تَسْلَمِ
فَأَتَاكَ بِالآمَالِ غَيْرَ مُهَانَةٍ فِي ظِلِّهِ وَالْمَالِ غَيْرَ مُكَرَّمِ
مَاضٍ إِذَا مَا الصَّارِمُ الْمَاضِي نَبَا قَاضٍ بِأَحْكَامِ الْكِتَابِ الْمُحْكَمِ
وَلَهُ مَخَافَةَ أَنْ تَضِلَّ ضُيُوفُهُ[3] بِاللَّيْلِ نَارٌ مَا خَلَتْ مِنْ مُضْرَمِ
أَبَداً يُشَبُّ عَلَى الْيَفَاعِ[4] وُقُودُهَا وَوُقُودُهَا قِصَدُ الْقَنَا الْمُتَحَطِّمِ
مِمَّا تَحَطَّمَ فِي نُحُورِ عَرَامِسٍ كُومِ الذُّرَى أَوْ فِي كَمِيٍّ مُعْلَمِ
مِنْ مَعْشَرٍ عَمَرُوا الْمَعَالِي بَعْدَمَا عَمَرَتْ زَمَاناً دَارِسَاتِ الأَرْسُمِ

---

(١) بعد ما (ل)

(٢) ورد في زبدة الحلب لابن العديم أن ابن حيُّوس لما أنشد شرف الدولة هذه القصيدة ووصل إلى هذا البيت اهتز شرف الدولة وأمره بالجلوس، فأتمها جالساً وأجازه بألفي دينار وقرية . ولذلك أحب ابن حيُّوس هذا البيت . قال ابن عساكر في ترجمة ابن حيوس : « أنشدنا أبو القاسم علي بن إبراهيم العلوي من حفظه سنة سبع وخمسماية، قال أخذ الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد الغنوي بيده بحلب وقال اروِ عني هذا البيت : أنت الذي نفق الثناء بسوقه . . . »

(٣) ظنونه (ع) و (م)

(٤) البقاع ؟ (ع) و (م)

وَعَلَوْا عَلَى شُوسِ الْمُلُوكِ بِغَيْظِهِمْ[1] غَيْظَ الْوِهَادِ عَلَى هِضَابِ يَلَمْلَمِ[2]

فَلْيَيْأَسُوا الرُّتَبَ الْعَلِيَّةَ إِنَّهَا لَكُمُ وِرَاثَةُ خِضْرِمٍ عَنْ خِضْرِمِ

وَالْمَجْدُ شِنْشِنَةٌ لآلِ مُسَيَّبٍ[3] مَا كُلُّ شِنْشِنَةٍ تُنَاطُ بِأَخْزَمِ

بَيْتٌ بَنَى قِرْوَاشُهُ وَقُرَيْشُهُ[4] شَرَفاً أَطَلَّ عَلَى مَحَلِّ الْمِرْزَمِ

وَاسْتَخْلَفَاكَ فَنَوَّهَتْ بِكَ هِمَّةٌ أَرْبَى الأَخِيرُ بِهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِ

فَأَبُو الْمَنِيعِ أَبُو الْمَعَالِي فِي عُلىً أَضْعَافُهَا لأَبِي الْمَكَارِمِ مُسْلِمِ

فَبَقِيتَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ مُعَظَّماً وَسَقَى الْغَمَامُ رَمِيمَ تِلْكَ الأَعْظُمِ

تُعْطِي[5] عَلَى الشِّعْرِ الرَّغَائِبَ بَعْدَ أَنْ غَنِيَتْ صِفَاتُكَ عَنْ بَيَانِ مُتَرْجِمِ

وَالدُّرُّ مَا يَنْفَكُّ يُعْرَفُ قَدْرُهُ فِي النَّاسِ مَنْظُوماً وَغَيْرَ مُنَظَّمِ

يُفْضِي إِلَى الشَّمْسِ الْعَقِيمِ كُسُوفُهَا وَنَرَاكَ[6] شَمْساً أُفْقُهَا لَمْ يُظْلِمِ

(١) فغيظهم (ل)

(٢) يَلَمْلَم : جبل على مرحلتين من مكة .

(٣) المسيَّب بن رافع العُقيلي أبو جد الممدوح (ابن خلكان ٢/١٥٠)
وفي البيت إشارة إلى المثل المشهور « شِنْشِنَةٌ أعرفُها من أخزم »

(٤) قرواش : هو أبو المنيع قرواش بن المقلّد بن المسيَّب العُقيلي دامت إمارته خمسين سنة وقتل سنة ٤٤٤ . وقريش : هو أبو المعالي قريش بن بدران ابن المقلّد بن المسيَّب العقيلي والد الممدوح توفي سنة ٤٥٣ .
« ابن خلكان ٢/١٥٣ و ١٥٤ »

(٥) يعطى (ع) و (م)

(٦) ورأك (ع) و (م)

أَشْرَقْتَ لَمَّا أَشْرَقَتْ فَبَهَرْتَها وَكَثَرْتَها فَوَلَدْتَ سَبْعَةَ أَنْجُمِ
حَبَسَتْ رِكَابِي عَنْ ذَرَاكَ عَوَائِقٌ يَحْيَا ٱلْغَنِيُّ بِهَا حَيَاةَ ٱلْمُعْدِمِ
وَتُشَرِّدُ ٱلْآبَاءَ عَنْ أَبْنَائِهِمْ فَتَعِيشُ ذَاتُ ٱلْبَعْلِ عَيْشَ ٱلْأَيِّمِ
لَوْلَا تَوَالِيهَا لَزُرْتُكَ وَافِداً كَوُفُودِ حَسَّانٍ عَلَى ٱبْنِ ٱلْأَيْهَمِ (١)
بِغَرَائِبٍ بَيْنَ ٱلْكَلَامِ وَبَيْنَهَا كَٱلْفَرْقِ بَيْنَ مُصَرِّحٍ وَمُجَمْجِمِ
تَنْأَىٰ عَنِ ٱلْفُصَحَاءِ إِلَّا أَنَّهَا أَدْنَىٰ إِلَيَّ مِنَ ٱللِّسَانِ إِلَىٰ ٱلْفَمِ
حَتَّى أَتَاحَ ٱللهُ لِي نَيْلَ ٱلْعُلَىٰ بِقُدُومِ مَوْلًى كَانَ يَرْقُبُ مَقْدَمِي
وَكَذَا ٱلْغَمَامُ يَزُورُ مَهْجُورَ ٱلثَّرَىٰ أَمْطَارُهُ وَيَؤُمُّ غَيْرَ مُيَمَّمِ
وَلَئِنْ حَنَتْ ظَهْرِي ٱلسِّنُونَ بِمَرِّها (٢) فَٱلرُّمْحُ يَنْفَعُ وَهْوَ غَيْرُ مُقَوَّمِ
وَلَدَيَّ مَدْحٌ (٣) لَا يُمَلُّ سَمَاعُهُ فَتَمَلَّ (٤) بَاقِيَ عُمْرِيَ ٱلْمُسْتَغْنَمِ

(١) ابن الأيهم : هو جبلة آخر ملوك غسان في الشام كان يفد عليه حسان بن ثابت في الجاهلية .

(٢) بمرها : (ل)

(٣) وكذا مديحي لا يمل (ع) و (م)

(٤) فيمل (ع) و (م)

٩٩

وقال في أبي نصر بن [١] هاشم يهجوه بعد موته

لَقَدْ ثَوَى فِي ٱلنَّارِ مِنْهُ رَجِيمْ وَتُرْبَةِ ٱلْمَرْحُومِ وَٱلْحَاءُ جِيمْ

وَتَسْتَقِيلُ ٱللّٰهَ مِنْهُ ٱلْجَحِيمْ تَبْكِي لَظَىٰ أَنْ حَلَّ فِي قَعْرِهَا

فَمَا أَتَىٰ ٱللّٰهَ بِقَلْبٍ سَلِيمْ مَضَىٰ وَفِعْلُ ٱلسُّوءِ إِضْمَارُهُ

١٠٠

وقال [٢] يمدح أمير الجيوش [٣] ويعتذر إليه ويستعطفه

أَعِدْ مُنْعِماً بِالْعَفْوِ رُوحِي إِلَىٰ جِسْمِي وَعُدْلِي إِلَىٰ حُلْوِ ٱلرِّضَىٰ وَاهِباً جُرْمِي

وَكُنْ لِي مِنْ سَوْرَاتِ عَتْبِكَ مُؤْمِناً فَقَدْ جَلَّ فِي نَفْسِي وَإِنْ دَقَّ عَنْ فَهْمِي

وَإِنَّ ٱمْرَأً تُدْنِيهِ [٤] عِلْماً بِحَقِّهِ لَيَكْبُرُ أَنْ يُجْفَىٰ [٥] وَيُقْصَىٰ عَلَى ٱلْوَهْمِ

وَلَسْتُ بِمُعْتَدٍّ عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ عَلَىٰ نَزْرِهَا جَازَيْتَ بِٱلنَّائِلِ ٱلْجَمِّ

---

(١) ورد اسم أبي نصر بن هاشم في ديوان ابن سنان الخفاجي ص (٢٩) على أنه ورد في (ع) و (م) نصر بن هاشم .

(٢) وقال أيضاً يمدح المظفر أمير الجيوش ويعتذر اليه ويستعطفه رحمه الله (ل)

(٣) هو أنوشتكين الدِّزْبري انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٤) يدنيه (ع) و (م)

(٥) في الأصل (أن يخفى ويقضي) وهو تصحيف .

بلى لي بأنِّي نشء عصرك حرمةٌ إذا رعيتْ كانَ المُمَلَّى بها سهمي

أألْقى لأنيابِ النوائبِ مُضغةً وأنتَ حُسامٌ للنوائبِ ذو حسمِ

ويظلمُ أدنى الناسِ منكَ زمانهُ وعدْلُكَ مُخلي[1] الخافقين منَ الظُّلْمِ

وأبعدُ إعراضاً على غيرِ زلةٍ وقدْ شاعَ قربي منكَ في العُرْبِ والعُجْمِ

رماني منْ عنْ قوسهِ كُنتُ رامياً بسهمٍ وهى رُكني لهُ وهوى[2] نجمي

فأنهجَ أعدائي طريقَ مساءتي وأوجدَ حُسادي السبيلَ[3] إلى ذمي

نزلتُ على حُكمِ الزمانِ لأجلهِ وقدْ كانَ منْ بعضِ النزولِ على حُكمي

وإني لتُدنيني إليكَ على النوى مكارمُ أحفى بي منَ الأبِ والأمِّ

توالتْ توالي الغيثِ جادَ وليُّهُ يُكمِّلُ[4] عندَ الروضِ عارفةَ الوسمي

فلا يذوِ[5] غصنٌ أنتَ غارسُ أصلهِ وساقيهِ جوداً لمْ يزلْ جودُهُ يهمي

وإلا تُعِدْها خُلطةً تكبتُ العدى عدايَ وتُجريني لديكَ على رسمي[6]

فلا تستدِمْها جفوةً جلَّ خطبُها فقالَ بها رأيي وفُلَّ شبا[7] عزمي

---

(١) مجلي (ع) و (م)

(٢) ووهى ؟ (ل)

(٣) الطريق (ل)

(٤) فكمّل (ل)

(٥) فلا تذوِ غصناً ... (ل)

(٦) على الرسم (ل)

(٧) وفلّ بها عزمي (ل)

وَجُدْ لِي بِبَعْضِ الْقُرْبِ وَاسْمَحْ لِنَاظِرِي ... بِأَدْنَى الْكَرَى وَارْغَبْ بِقَلْبِي عَنِ الْوَهْمِ

فَقَدْ جُدْتَ لِي بِالصِّيتِ فِي النَّاسِ وَاللُّهَى ... فَوَفَّرْتَ مِنْ نَيْلِ الْعُلَى وَالْغِنَى قِسْمِي

وَأَنْطَقْتَنِي يَا مُنْطِقَ الْخُرْسِ بِالنَّدَى ... فَأَلْفَيْتَنِي[1] دُونَ الْوَرَى مُسْمِعَ الصُّمِّ

١٠١

وقال يمدح الأمير ناصر الدولة أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان[2]

إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي الْأَقْوَالِ مُحْتَكِمَا ... لَا أَدَّعِي شَرْحَ مَا يَسْتَغْرِقُ الْكَلِمَا

لٰكِنْ أَقُولُ عَلَى مِقْدَارِ مَقْدِرَتِي ... فَلَسْتُ أُظْهِرُ إِلَّا بَعْضَ مَا اكْتَتَمَا

أَبْعَدْتَ مَسْرَاكَ مِنْ مَغْدَاكَ مُرْتَقِيًا ... إِلَى الْمَعَالِي فَضَلَّ[3] الْفِكْرُ بَيْنَهُمَا

وَلَسْتُ أُعْطِي[4] مُلُوكَ الْأَرْضِ سُؤْلَهُمُ ... بِأَنْ أَقُولَ هُمُ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَا

لَقَدْ غَدَا بِكَ هٰذَا الدَّهْرُ مُحْتَلِيًا ... فَعَادَ بَعْدَ عُلُوِّ السِّنِّ مُحْتَلِمَا

وَلَمْ[5] نَخَلْ أَنَّنَا فِيمَا نَعِيشُ نَرَى ... قَبْلَ الْحِمَامِ دَوَاءً يُذْهِبُ[6] الْهَرَمَا

رَأْيٌ وَعَزْمٌ مَضَى حَدَّاهُمَا فَنَبَا ... حَدُّ الْخُطُوبِ الَّتِي قَارَعْتَهَا بِهِمَا

---

(١) وألفيتني (ل)

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٣) فظل ؟ (ل)

(٤) معطي (ل)

(٥) ولن ؟ (ل)

(٦) مذهب (ع) و (م)

أَنتَ ٱلْحُسامُ ٱلَّذِي مَا سُلَّ يَوْمَ وَغىً ... إلاَّ أَتَاحَ حِمَاماً أَوْ أَبَاحَ حِمَا

وَمَا تَمَيَّزَ[1] مُذْ أَصْبَحْتَ تَكْلَؤُنا ... مَنْ يَسْكُنُ ٱلشَّامَ مِمَّنْ يَسْكُنُ ٱلْحَرَمَا

وَهَلْ تَرَى غَيْرَ ٱلْأَيَّامِ عَادِيَةً ... وَقَدْ رَأَتْكَ مِنَ ٱلْعَادِينَ مُنْتَقِمَا

أَمْ هَلْ يُرَوِّعُ بِٱلْإِرْجَافِ مَنْ جَمَعَتْ ... جُيُوشُهُ ٱلْعَرَبَ ٱلْعَرْبَاءَ وَٱلْعَجَمَا

وَكَيْفَ تَطْمَحُ أَبْصَارٌ[2] مُذَلَّلُهَا ... وَافٍ إِذَا قَالَ مَنْصُورٌ إِذَا عَزَمَا

أَمْ كَيْفَ يَخْشَى جُمُوعَ ٱلْمُفْسِدِينَ[3] وَقَدْ ... فَلَّ[4] ٱلصَّوَارِمَ سَيْفٌ قَطُّ مَا كَهِمَا

رَأَوْا لَيَالِيَهُمْ لَمَّا عَفَا زُهُراً ... وَلَوْ سَطَا لَرَأَوْا أَيَّامَهُمْ سُحُمَا

كَذَّبْتَ آمَالَهُمْ عِزّاً أَوَانَ عَتَوْا[5] ... فَمُذْ عَنَوْا طَاعَةً صَدَّقْتَهَا كَرَمَا

مَوَاهِبٌ صَوْبُهَا يُحْيِي ٱلْعُفَاةَ وَفِي ... أَثْنَائِهَا سَطَوَاتٌ تَقْتُلُ ٱلْبُهَمَا

وَمُقْرَبَاتٌ إِذَا أَمَّتْ دِيَارَ عِدىً ... جَعَلْنَ كُلَّ بَعِيدٍ نَازِحٍ أَمَمَا

تُخَافُ وَهْيَ عَلَى ٱلْآرِيِّ[6] صَافِنَةٌ ... فَمَا يَظُنُّونَ إِنْ أَعْضَضْتَهَا ٱللُّجُمَا

يَجْنِي قَنَاكَ وَلَمْ يَبْرَحْ مَرَاكِزَهُ ... عَلَى ٱلطُّغَاةِ كَمَا يَجْنِي إِذَا ٱنْحَطَمَا

---

(١) ومَا نُمَيِّزُ (ع) و (م)

(٢) أطماع (ع) و (م)

(٣) المسلمين ؟ (ع) و (م)

(٤) ذل ؟ (م)

(٥) عزاً وتكرمة (ع) و (م)

(٦) الآرِيُّ : محبس الدابة .

وَكَمْ أَصَبْتَ بِسَهْمٍ فِي كِنانَتِهِ قَلْبَ ٱلْعَدُوِّ ٱلَّذي أَخْطاكَ حِينَ رَما

وَمُذْ فَشا خَبَرُ ٱلتَّبْرِيزِ[1] ما ٱجْتَمَعُوا فَهَلْ ضَرَبْتَ طُلًى بِٱلْقاعِ أَوْ خِيَما

وَلَوْ رَمَوا بِكَ فِي ٱلْهَيْجاءِ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ إِلَى ظِلِّكَ ٱلْمَمْدُودِ مُنْهَزَما

إِذَا أَذَمُّوا لِمَنْ تُخْشَى بَوائِقُهُ حَكَمْتَ مُقْتَدِراً أَنْ يَخْفِرُوا ٱلذِّمَما

وَمَنْ نَبَذْتَ[2] إِلَيْهِ ذِكْرَ مَوْجِدَةٍ فَقَدْ جَعَلْتَ إِلَيْهِ لِلرَّدَى لَقَما

وَمَنْ بَسَطْتَ عَلَيْهِ[3] لِلْوَعِيدِ يَداً كَمَنْ سَلَلْتَ عَلَيْهِ صارِماً خَذِما

هٰذَا هُوَ ٱلْعِزُّ مَرْئِيًّا وَمُخْتَبَراً لاَ ما يُخَبِّرُ عَنْهُ زَعْمُ مَنْ زَعَما

وَقَدْ غَمَرْتَ ٱبْنَ حَسَّانٍ[4] بِفَيْضِ نَدًى ما شَكَّ فِي ٱلْفَوْزِ راجِيهِ وَلاَ وَهِما

أَجابَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُدْعَى بِتَلْبِيَةٍ وَلَوْ سِواكَ دَعاهُ أَظْهَرَ ٱلصَّمَما

وَلا ٱعْتِدادَ بِهٰذا[5] طالَما خَطَمَتْ لَكَ ٱلْمَهابَةُ أَنْفاً قَطُّ ما خُطِما

وَكَمْ خَلَفْتَ ٱلْحَيا أَوْقاتَ غَيْبَتِهِ عَنْ ذِي ٱلْبِلادِ وَلَمْ يَخْلُفْكَ حِينَ هَما

أَمَّنْتَ قُطَّانَها[6] لاَ زِلْتَ مُؤْمِنَهُمْ مِنْ أَنْ يُعاوِدَهُمْ داءٍ بِكَ ٱنْحَسَما

(١) التبرير (ل)

(٢) تدب ؟ (ل)

(٣) إليه (مختارات البارودي)

(٤) هو غلاّب بن حسان بن المفرّج الطائي أمير طيء. انظر الحاشية رقم (٣) ص (٣٤٢) واسمه في زبدة الحلب ٢٥١/١ عَلاّن

(٥) فهذا (ل)

(٦) قاطنها لازلت تؤمنهم (ل)

وَأَمْحَلُوا فَأَمَاتَ(١) الْمَحْلَ صَوْبُ يَدٍ أَنْشَأْتَ فِي الْأَرْضِ مِنْ آلَائِهَا دِيَمَا
فَكُلُّ سَيْفٍ تُزِيلُ(٢) الْخَوْفَ شَفْرَتُهُ فِدَاءُ سَيْفٍ يُزِيلُ الْخَوْفَ وَالْعَدَمَا
إِذَا رَأَى مَذْهَبًا لِلَّهِ فِيهِ رِضًى وَدُونَهُ النَّارُ أَوْ حَدُّ الظُّبَى اقْتَحَمَا
وَكَمْ تَعَرَّضَ فِي أَبْهَى مَلَابِسِهِ لِعَيْنِهِ(٣) الْإِثْمُ مُخْتَالًا فَمَا أَثِمَا
لَوْ كُنْتَ تُجْزَى بِأَدْنَى مَا مَنَنْتَ بِهِ لَأَوْطَأُوا خَيْلَكَ الْأَبْصَارَ وَالْقِمَمَا
وَقَبَّلُوا كُلَّ نَهْجٍ ظَلْتَ تَسْلُكُهُ حَتَّى يَصِيرَ ثَرَاهُ فِي الشِّفَاهِ لَمَا
يَا بْنَ الْخَضَارِمِ أَمَّا سَيْلُهُمْ فَطَفَا عَلَى الْكِرَامِ وَأَمَّا بَحْرُهُمْ فَطَمَا
طَالُوا وَصَالُوا بِأَيْدٍ تَسْتَهِلُّ نَدًى عَلَى الْوَرَى وَسُيُوفٍ تَسْتَهِلُّ دَمَا
فَتَاهُمُ بِالتُّقَى وَالْحِلْمِ مُدَّرِعٌ وَشَيْخُهُمْ مِنْ لِبَانِ الْحَرْبِ مَا فُطِمَا
أَبَوْا(٤) فَمَا نَزَلُوا عَنْ مَنْزِلٍ نَزَلُوا خَوْفًا(٤) وَلَا طَعَنُوا فِي الرَّوْعِ مُنْهَزِمَا
وَإِنْ كَفَتْكَ صِفَاتُ الذَّاهِبِينَ عُلًى أَغْنَاكَ حَادِثُهَا عَنْ ذِكْرِ مَا قَدُمَا
لَسْتَ الْمُحِيلَ إِذَا مَا طُلْتَ(٥) مُفْتَخِرًا عَلَى فَضَائِلِ قَوْمٍ أَصْبَحُوا رِمَمَا
بَلْ أَنْتَ أَوْفَرُ(٦) مَنْ تَمْشِي الْجِيَادُ بِهِ قِسْمًا إِذَا ظَلَّ حُسْنُ الذِّكْرِ مُنْقَسِمَا

(١) بامات ؟ (ع) و (م)
(٢) يزيل (ل)
(٣) بعينه (ل)
(٤) أتوا ... حوباً ولاظعنوا ... (ع) و (م)
(٥) ظلت (ع) و (م)
(٦) أوفر (ع) و (م)

وَهْيَ اُلْمَحامِدُ أَبقَتْ خامِلاً أَبَداً مَنْ لَمْ تَسِمْ (١) وَسَما مَلْكٌ بِها وُسِما
لَقَدْ حَمَلْتَ مِنَ اُلْأَعْباءِ مُضْطَّلِعاً ما لَوْ أَلَمَّ بِطَوْدٍ شامِخٍ أَلِما
حَتّى عَلَوْتَ بِأَفْعالٍ أَمِنْتَ بِها مِنْ أَنْ يَقُولَ حَسُودٌ حافَ (٢) مَنْ قَسَما
يا ناصِرَ اُلدَّوْلَةِ اُلْمُنْسِي (٣) بِسِيرَتِهِ مَنْ عَزَّ فِي اُلزَّمَنِ اُلْخالِي وَمَنْ كَرُما
أَوْدَعْتَ غابِرَ هٰذا الدَّهْرِ فَأُبْقَ لَهُ مِنَ اُلْمَحاسِنِ ما لَمْ يُودِعِ اُلْقُدَما
مَناقِبٌ لَمْ يَفُزْ غَيْرُ اُلْحُسَيْنِ (٤) بِها حَتّى لَخِلْناكَ قَدْ ساهَمْتَهُ اُلشِّيَما
تَشابَهَتْ فَهَلِ اُلرُّوحانِ وَاحِدَةٌ فِي حَوْزِ ذا اُلْفَضْلِ أَمْ أَعْدَيْتَهُ (٥) هِمَما
إِنَّ اُلْإِمامَ اُلَّذِي أَقْوالُهُ جَمَعَتْ فَصْلَ اُلْخِطابِ وَعَنْها تَأْخُذُ (٦) اُلْحُكَما
أَبْدَتْ عِبـارَتُهُ مَعْنى إِرادَتِهِ وَفِي إِشارَتِهِ مَعْنًى لِمَنْ فَهِما
لَوْ لَمْ يَطُلْ (٧) شَرَفاً أَبْناءَ دَوْلَتِهِ لَما دَعاهُ لَها مِنْ دُونِهِمْ عَلَما

---

(١) يسم (ع) و (م)
(٢) خاف (م)
(٣) المنشي (ع) و (م)
(٤) الحسين : هو ابن ناصر الدولة ، وكنيته أبو علي، ولقبه ناصر الدولة كلقب أبيه. انظر الحاشية رقم (١) ص (٤٠٢)
(٥) أغذيته (ل)
(٦) تأخذ الحكما (ع) و (م)
(٧) لو لم تطل (ع) و (م)

غَيْرَانُ مَا جَارُهُ ٱلْأَقْصَى بِمُهْتَضَمٍ (١) ... يَوْمًا وَلَوْ (٢) أَنَّ جَارَ ٱلْفَرْقَدِ اُهْتُضِمَا (٣)

يُعْطِي ٱلْأُلُوفَ وَيَلْقَى مِثْلَ عِدَّتِهَا ... مِنَ ٱلْفَوَارِسِ فِي ٱلْهَيْجَاءِ مُبْتَسِمَا

كَمْ قَالَ رَائِيهِ فِي حَرْبٍ وَبَذْلِ (٤) لُهًى ... لَنْ تُنْبِتَ ٱلذُّلَّ أَرْضٌ تُنْبِتُ ٱلْكَرَمَا

إِنْ حَلَّ بِالْوَهْدِ كَانَ ٱلْأُفْعُوَانَ وَإِنْ ... طَلَّ (٥) ٱلرَّبِيئَةَ (٦) كَانَ ٱلْأَجْدَلَ ٱلْقَطِمَا

وَلِلثَّنَا نَغَمَاتٌ فِي مَسَامِعِهِ ... لِأَجْلِهَا هَجَرَ ٱلْأَوْتَارَ وَٱلنَّغَمَا

كَفَاكَ كُلَّ مُلِمٍّ فِيكَ نَحْذَرُهُ ... رَبٌّ جَلَا بِكَ عَنْ ذَا ٱلْعَالَمِ ٱلْغُمَمَا

وَٱللهُ يَحْرُسُ نَجْمَيْ سُؤْدُدٍ طَلَعَا ... فِينَا فَطَبَّقَ أُفْقَ ٱلْمَجْدِ نُورُهُمَا

أَمَّا مَدَاكَ فَمَا حَازَا (٧) وَلَا عَدَلَا ... وَأَشْبَهَاكَ فَمَا جَارَا وَلَا ظَلَمَا

وَكُلُّ عَصْرِكَ أَعْيَادٌ مُجَدَّدَةٌ ... فَمَا نُبَالِي مَضَى ذَا ٱلْعِيدُ أَمْ قَدِمَا

فَلَا خَبَا ضَوْءُ نَارٍ يَسْتَضِيءُ بِهَا ... مَنِ ٱسْتَجَارَ وَيَصْلَاهَا مَنِ ٱجْتَرَمَا

وَلَا أُدِيلَتْ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ مِنْ مَلِكٍ ... نَظُنُّ (٨) يَقْظَتَنَا فِي ظِلِّهِ حُلُمَا

---

(١) بمتهَّمِ (ل)

(٢) ولا (ع) و (م)

(٣) اتهما (ل)

(٤) وبلّ لهى (ل)

(٥) كذا ولعلها (طالَ الربيئةَ) أي علاها

(٦) البريئة ؟ (ل)

(٧) فما جاروا ولا عدلوا ؟ (ع) و (م)

(٨) يظن (ع) و (م)

١٠٢

وقال يمدح أمير (١) الجيوش المظفّر ويذكر إيقاعه بالروم وظفره بهم وإحراق قلعة (٢) من بلادهم وأسر الدّوْزار (٣) الوالي كان على أَرْتاح (٤) وأنشده إياها في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وأربعماية

خَيْرُ الْأَنامِ لِشَرِّهِمْ (٥) إِحْكاما مَنْ بِالسُّيُوفِ يُنَفِّذُ الْأَحْكاما

غَيْرُ الْمُظَفَّرِ مَنْ يَنامُ عَلَى قَذًى وَسِواهُ يُوسِعُ مَنْ أَلامَ مَلاما

جَعَلَ الكِتابَ إِلى الْعَدُوِّ كَتائِباً أَبْدَتْ لَهُمْ عِوَضَ الْكَلامِ كِلاما

وَاسْتَنْطَقَ الْأَسْيافَ عِلْماً أَنَّها تُغْنِيهِ أَنْ يَسْتَنْطِقَ الْأَقْلاما

يُرْجَى وَيُخْشَى رَغْبَةً وَمَخافَةً مَنْ يُجْزِلُ الْإِنْعامَ وَالْإِرْغاما

يا قامِعَ الْعَدْوَى بِنَفْسٍ مُرَّةٍ تَأْبَى الظَّلامَ وَتَكْشِفُ الْإِظْلاما

سَلَبَتْ (٦) مَخافَتُكَ اللَّيالِيَ جَوْرَها وَاسْتَعْبَدَتْ آلاؤُكَ الْأَيّاما

وَلَرُبَّ مَمْلَكَةٍ عَصَتْكَ رِجالُها حِيناً فَغادَرْتَ النِّساءَ أَيامى

---

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٢) قطعة (ع) و (م)

(٣) الرزوار (ل)

(٤) أَرْتاح : حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب « معجم البلدان »

(٥) بشرهم (ع) و (م) . والإحكام : المنع عن الفساد .

(٦) سَلَّتْ (ع) و (م)

زَلْزَلْتَ أَرْضَ ٱلرُّومِ بِٱلْفِتَنِ ٱلَّتي ظَلُّوا يَرَوْنَ ٱلْيَوْمَ مِنْهـا عاما

جَحَدُوكَ ما أَوْلَيْتَهُمْ وَمُمَرَّضٌ لِلْهُونِ مَنْ لَمْ يَحْمَدِ ٱلْإِكْرَاما

وَلَطالَمَا كَفَرَ[1] ٱلْمُعافَىٰ صِحَّةً فَأَحالَها كُفْرَانُهـا أَسْقاما

غَشَّيْتَهُمْ مُسْتَيْقِظِينَ مَخاوِفًا غَشِيَتْهُمُ[2] فِيما مَضَىٰ أَحْلاَمَا

ما صادَفُوا بَرْقَ ٱلتَّهَدُّدِ خُلَّبًا كَلاَّ وَلاَ غَيْمَ ٱلْوَعِيدِ جَهاما

أَمَّنْتَهُمْ عَنْ قُدْرَةٍ وَأَخَفْتَهُمْ كَيْ يَخْبُرُوكَ سَكِينَةً وَعُرَاما

إِنْ كانَ أَكْثَرُهُمْ طَعاماً فَٱلظُّبَى تُفْنِي ٱلْخُبارَ[3] وَلاَ تَعافُ طَعاما

بِطَلاَئِعٍ نَكِبُوا[4] فَكَيْفَ بِهِمْ غَداً إِنْ زَارَ أَرْضَهُمُ ٱلْخَمِيسُ لُهاما

فِي[5] فِتْيَةٍ تُصْلِيهِمُ نارَ ٱلْوَغَىٰ أَبَداً وَإِنْ كانُوا عَلَيْكَ كِرَاما

لاَ يَسْلُبُونَ سِوَىٰ ٱلنُّفُوسِ كَفَتْهُمُ نِعَمٌ جَنَوْها مِنْ يَدَيْكَ جِساما

تَهْذِيبُ مُلْكِكَ إِنَّهُ ٱلْمُلْكُ ٱلَّذي يُسْنِي ٱللُّهَىٰ وَيُعَلِّمُ ٱلْإِقْدَاما

خِلْطانِ مِنْ حَضَرٍ وَبَدْوٍ طالَمَا لاَقَوْا إِلَىٰ مَجْنُوبِكَ ٱلْآلاما[6]

(١) جحد (ل)

(٢) وغشيتهم (ل)

(٣) كذا في (ع) و (م) ولعلها (الخثار) وهو ما يبقى على المائدة . والبيت غير موجود في (ل)

(٤) تكبو (ع) و (م)

(٥) من فتية (ع) و (م)

(٦) لم يرد هذا البيت في (ل)

ما غَضَّ[1] فِيهِمْ وَٱلْقُلوبُ قَرِيبَةٌ ٱلأَ هْوَاءِ أَنْ يَتَباعَدُوا أَرْحاما
خَيلٌ سَبَقْنَ ٱلْمُنْذِرِينَ بِعَثْنِهَا عَزَماتُ أَرْوَعَ تَسْبِقُ ٱلأَوْهاما
كَسَتِ ٱلْبَسِيطَةَ بِٱلْحَدِيدِ إِضاءَةً وَالْجَوَّ مِنْ قَسْطالِها إِدْهاما[2]
فِي يَوْمِ أَرْتاحٍ[3] غَداةَ سَقَتْهُمُ مَوْتاً تَحَكَّمَ فِي ٱلنُّفوسِ زُؤاما
أَسَرَتْ زَعِيمَهُمُ هُناكَ وَغادَرَتْ عُظَماءَهُمْ غِبَّ ٱلْمُغارِ عِظاما
نَبَذُوا ٱلْقِسِيَّ وَأَسْلَمُوهُ لِأَنَّها طاشَتْ وَقَدْ حَمِيَ ٱلْوَطِيسُ سِهاما
وَمُبَطْرِقُ ٱلْبِطْرِيقِ[4] يَأْبَى مِثْلَهُ إِنْ أَنْتَ لَمْ تُعْطِ ٱلرَّسُولَ ذِماما
وَبَنُو عَدِيٍّ يَوْمَ لاقَوْا جَمْعَهُمْ تَرَكُوا ٱلْقَنا لا تَشْتَكِينَ[5] أُوَاما
صَدَرَتْ تَرَنَّحُ في ٱلأَكُفِّ كَأَنَّما سُقِّينَ مِنْ تِلْكَ ٱلدِّماءِ مُداما
لَمَّا رَأَوْا خَطَّ ٱلظُّبَا مُسْتَعْجِماً جَعَلُوا لَهُ وَخْزَ ٱلْقَنا إِعْجاما
وَأَبُو ٱلْفَوارِسِ شَلَّها بِمَخاضَةِ[6] ٱلْ بُرْجِيِّ شَلَّ ٱلْفَيْلَقِ ٱلأَنْعاما

---

(١) ماعضَّ (ع) و (م)
(٢) ادهما ما (مختارات البارودي)
(٣) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٥٨٦)
(٤) البِطْرِيقُ: القائد من قوّاد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .
(٥) كذا ولعله (لايشتكين)
(٦) بمخاضة الدجى ؟ (ل) . ومخاضة البرجي : كأنها منسوبة الى البرجي حاكم أنطاكية من قبل الروم . (زبدة الحلب ج ١ ص ١٨٦)

زَأَرَتْ[١] زَئِيرَ الْأُسْدِ إِلاَّ أَنَّهُمْ صَارُوا وَقَدْ جَدَّ الْعِرَاكُ نَعَاما
فَأَتَتْ رُؤُوسُ رُؤُوسِهِمْ مَحْمُولَةً ظَلَمُوا فَلَمْ يَكُنِ الرَّدَى ظَلاَّما
بَثَّتْ سَرَايَاكَ الْحُتُوفَ وَأَكْثَرَتْ فِي أَرْضِ أَنْطَاكِيَّةَ الْأَيْتَاما
وَمَضَتْ مُصَمِّمَةً وَإِنْ[٢] لَمْ تَثْنِهَا ضَرَبَتْ عَلَى شَاطِي الْخَلِيجِ خِيَاما
وَلْيَلْزَمِ الْحِصْنَ الدُّمُسْتُقُ[٣] مُحْجِماً عَنْ حَرْبِهَا فَسَيَحْمَدُ الْإِحْجَاما
لَوْ فَارَقَ الْجُدْرَانَ أَصْبَحَ جَمْعُهُ مَا بَيْنَ مُنْحَطِمِ الْوَشِيجِ حُطَاما
وَدَرَى هُنَالِكَ مَنْ أَشَدُّ شَكِيمَةً عِنْدَ اللِّقَاءِ وَمَنْ أَلَدُّ خِصَاما
مَا نَكْبَةُ الزَّرْوَارِ[٤] مِنْهُ بَعِيدَةً إِنْ رَامَ مِنْ حَسْمِ الْأَذَى مَا رَاما
دَوَّخْتَ مُلْكَ الْعُرْبِ فِي سُلْطَانِهَا وَالرُّومُ أَيْسَرُ إِنْ أَرَدْتَ مَرَاما
أَنَّى تُمَانِعُكَ الْوُعُولُ وَقَدْ رَأَتْ أُسْدَ الشَّرَى لَا تَمْنَعُ الْآجَاما
وَلَوِ الْتَمَسْتَ حُضُورَ مَلْكِهِمُ غَداً لَأَتَاكَ إِسْلَاماً أَوِ اسْتِسْلَاما
فَلْيَسْتَجِيبُوا بِالْخُضُوعِ فَمَنْ سِوَى شَرَفِ الْمَعَالِي يَغْفِرُ الْإِجْرَاما
عَمْرِي لَقَدْ سَبَرُوا رِضَاهُ وَسُخْطَهُ فَرَأَوْا حَيَاةً حُلْوَةً وَحِمَاما

---

(١) زأروا (مختارات الباروي)
(٢) ولو لم (مختارات البارودي)
(٣) الدمستق: لقب قائد جيش الروم.
(٤) الرغرار (هامش ع و م) الزوراء (ل) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٥٨٦)

وَسقَاهُمُ مَاءَ ٱلْحَيَاةِ وَقَدْ عَنَوْا ... حَتّى إِذَا عَنَدُوا[١] ٱسْتَحَالَ سِماما

قَدْ ضَلَّ مَنْ ظَنَّ ٱلْمَجَرَّةَ رَوْضَةً ... تُرْعَى وَزَاهِرَةَ ٱلنُّجُومِ سَوَاما

يَهْنِي[٢] ٱلعَوَاصِمَ أَنَّهَا مَعْصُومَةٌ ... بِأَعَزِّ مَنْ مَنَعَ ٱلذِّمَارَ وَحَاما

إِنْ شَبَّتِ ٱلْأَعْدَاءُ نَاراً رَدَّهَا ... بَرْداً عَلَى سُكَّانِهَا وَسَلَاما

بِعَضَائِهِ وَقَضَائِهِ وَنَوَالِهِ ... عَدِمُوا ٱلرَّدَى وَٱلْجَوْرَ وَٱلْإِعْدَاما

أَمِنَتْ بِذِكْرِكَ فِي ٱلْمَغِيبِ وَطَالَمَا ... غَابَ ٱلْهِزَبْرُ وَغَابُهُ مُتَحَاما

أَمْناً أَنَامَ ٱلسَّاهِرِينَ وَقَبْلَهُ ... خَوْفٌ لَعَمْرُكَ أَسْهَرَ ٱلنُّوَّاما

فَأَقِمْ وَأَمْرُكَ نَافِذٌ فَقَدِ ٱسْتَوَى ... مَنْ كَانَ مِثْلَكَ رِحْلَةً وَمُقَاما

وَلْتَدْرِ أَمْلَاكُ ٱلْبِلَادِ بِأَنَّهَا ... كَلٌّ عَلَى مَلِكٍ يَحُلُّ ٱلشَّاما

إِنْ جَارَ خَطْبٌ كَانَ حَسَّاماً لَهُ ... أَوْ قَارَعَ ٱلْأَبْطَالَ كَانَ حُسَاما

يُضْحِي ٱلْحَيَا ٱلْهَامِي حَصِيراً[٣] إِنْ سَخَا ... فَإِذَا نَحَا عِزّاً أَطَارَ ٱلْهَاما

خَصَّتْكَ بِٱلْخَطَرِ ٱلْعَظِيمِ مَنَاقِبٌ ... تَسْتَغْرِقُ ٱلْإِجْلَالَ وَٱلْإِعْظَاما

مَا زِلْتَ هَمَّاماً بِكُلِّ عَظِيمَةٍ ... فِي ٱلْمَجْدِ حَتّى مَا تَرَكْتَ هُمَاما

أَخَذَ ٱلْفَضَائِلَ آخِرٌ عَنْ أَوَّلٍ ... وَأَبَيْتَ[٤] ذَاكَ فَحُزْتَهَا إِلْهَاما

(١) غدروا (ع) و (م)

(٢) يهنا (ع) و (م)

(٣) الحصير : البخيل الممسك . وفي (ل) خصيراً وهو تصحيف

(٤) وأتيت ؟ (ع) و (م)

خلفتهم خلفاً وأنت تظنهم ... سبقوا فدهرك تطلب القداما
والجود والإقدام يا حاويهما ... قد أخرا عن نهجك الأقداما
لحملت عن قلب الخلافة سيفها ... ثقلاً يؤود متالعاً وشماما[1]
ومتى تبرم بالحوادث دولة ... جعلت إليك النقض والإبراما
فليشكرنك من تعبت[2] مشمراً ... حتى استراح ومن سهرت وناما
ما أحسن الدنيا وعزك قاهر ... ونداك منهمر فدمت وداما
ولقد غمرت المذنبين صنائعاً ... علت الثناء وجازت الإنعاما
فلو انهم قاموا[3] بأدنى فرضها ... قطعوا[3] زماناً أنت فيه صياما
فاسلم فكم لك وقفة مشهورة ... أرضيت فيها الله والإسلاما
لم لا تميل إلى بقائك أنفس ... لولاك لم تستوطن الأجساما
بل كيف لا تثني عليك خواطر ... أنت الذي أوسعتها إفهاما
فاق الملوك حمية وتقية ... ملك سرت عزماته وأقاما
أمر الكتائب بالجهاد وجد في ... تسهيل سبل الحج ثمت صاما
فليهنك الشهر الذي يثني بما ... صيرته خلفاً له وأماما

(١) متالع : جبل بنجد . وشمام : جبل لباهلة .
(٢) بعثت ؟ (ع) و (م)
(٣) باتوا ، وطغوا ؟ (ع) و (م)

شَهْرٌ جعَلْتَ ٱلْغَزْوَ[1] فاتِحَةً لَهُ وَرَعًا وَتَسْيِيرَ ٱلْحَجِيجِ خِتاما
قَدْ مَحَّصَتْ عَنْ أُمَّـةٍ أَغْنَيْتَهَـا وَحَمَيْتَهَــــا حَسَنَاتُكَ ٱلآثَاما
حَسَّنْتَ دُنْيَاهَا وَأُخْرَاهَا فَعِشْ تُفْنِي ٱلشُّهُورَ وَتُنْفِدُ[2] ٱلْأَعْوَاما

١٠٣

وقال يمدح الوزير أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري[3]

أَمَا وَمَنَــاقِبٍ عَزَّتْ مَرَاما وَمَجْدٍ شَامِخٍ أَعْيَــا ٱلْأَنَاما
لَقَدْ هَمَّتْ نُفُوسٌ بِٱلْمَعَــالِي فَمُنْذُ هَمَمْتَ لَمْ تَتْرُكْ[4] هُمَاما
وَكُلٌّ ضَارِبٌ فِيهَــــا بِسَهْمٍ وَلٰكِنْ فَازَ مَنْ جَمَعَ ٱلسِّهَاما
خُصِصْتَ بِرُتْبَـةٍ عَلَتِ ٱلثُّرَيَّا وَخَلَّتْ[5] لِلْمُحَاوِلِهَا ٱلرَّغَاما
عَلَتْ وَغَلَتْ عَلَى مُتَطَلِّبِيها لِتَأْمَنَ أَنْ تُسامَى أَوْ تُسَاما
فَمَا أَبْدَتْ لِمُسْتَامٍ خِدَامـا وَلَا فَضَّ ٱلزَّمَانُ لَهَــا خِتَاما
وَكَيْفَ يَرُومُ شَأْوَكَ رَبُّ عَزْمٍ إِذَا مَا بَاشَرَ ٱلْهَيْجَـاءَ خَاما

(١) العز (ع) و (م)
(٢) وتنفذ (م)
(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)
(٤) لم تفرع (ل)
(٥) وحلَّت (ع) و (م)

يرى طلبَ المعاشِ[١] أجلَّ غنمٍ فقد أفنى الحياةَ به اهتماما
ورائدُ برِّه يُعصى ويُقصى وواردُ بحرِه يشكو الأواما
ويرضى[٢] منسِمَ العلياء تاجاً إذا لم ترضَ أخمَصُكَ السناما
أرى الملكَ العقيمَ حمى حماهُ بأروعَ يحسِمُ الداءَ العقاما
ثنى الأزماتِ بالعزماتِ عنّا وكفَّ بجدِّها الكُرَبَ العظاما
فلا زالتْ لجاجمها خموداً ولا برحتْ لجامحها لجاما
منيعٌ جارُهُ إنْ حلَّ أرضاً جلا الإظلامَ عنها والظّلاما
فقدْ ودَّ الملوكُ على التنائي لوَ اسطاعوا لراحتِه التثاما[٣]
سخَوْا لمّا انتشَوْا وهمى نداهُ وما عرفَ الندامَ ولا المداما
يعمُّ به الأداني والأقاصي إذا لم يعْدُ رفدُهمُ الندّاما
وإنْ قرنوا ببخلِهمُ عبوساً قرنتَ بجودِكَ السَّجمِ[٤] ابتساما
يمينٌ برَّحتْ بالمالِ حتّى حسبْنا وفرَكَ اقترفَ اجتراما
وتأبى[٥] أنْ يجاوِرَها[٦] فواقاً لعلمِك أنَّ جارَكَ لنْ يُضاما

(١) طلب الحياة (ل)
(٢) وترضى ميسم ... (ع) و (م)
(٣) لثاما (م)
(٤) السحم ؟ (ل)
(٥) ويأبى (ع) و (م)
(٦) أن تجاورها (ل)

وَكَانَ ٱلدِّينُ مُعْتَصِماً وَلٰكِنْ بِنَصْرِكَ زَادَهُ ٱللّٰهُ ٱعْتِصَاما
عَزَائِمُ أَخْفَرَتْ ذِمَمَ ٱلْأَعَادِي وَلَمْ يَخْفِرْ لَهَا أَحَدٌ ذِمَاما
وَكَمْ مِنْ غَارَةٍ أَرْسَلْتَ فِيهَا إِلَى طُرَدَائِكَ ٱلْمَوْتَ ٱلزُّؤَامَا
بِبِيضٍ مَا شَحَذْتَ[١] لَهَا غِرَاراً وَخَيْلٍ مَا شَدَدْتَ[١] لَهَا حِزَاما
وَكَمْ أَغْنَى وَعِيدُكَ فِي عَدُوٍّ غَنَاءً يُعْجِزُ ٱلْجَيْشَ ٱللُّهَاما
تَوَلَّجَ[٢] فِي مَسَامِعِهِمْ كَلَاماً وَصَارَ إِلَى قُلُوبِهِمُ كِلَاما
لَغَرُّوا[٣] بِٱلسَّكِينَةِ مِنْكَ جَهْلاً وَرُبَّ سَكِينَةٍ جَرَّتْ عُرَاما
نَسَخْتَ تَلِيدَ عِزِّهِمُ بِذُلٍّ أَوَانَ[٤] مَسَخْتَ أُسْدَهُمُ نَعَاما
فَظَنَّ ٱلْقَوْمُ مَحْيَاهُمْ مَمَاتاً وَنَحْنُ نَظُنُّ يَقْظَتَنَا مَنَاما
وَقَدْ مَرَنَتْ عَلَى قَذْعٍ وَجَدْعٍ مَوَارِنُ قَطُّ مَا عَرَفَتْ خِطَاما[٥]
وَنَادَيْتَ ٱلْمَمَالِكَ فَٱسْتَجَابَتْ لِطَاعَتِكَ ٱعْتِيَاماً وَٱغْتِنَاما[٦]
تَيَقَّنَ أَنَّ أَخْذَكَهَا صَلَاحٌ[٧] كَفَاهَا أَنْ تُحِيطَ بِهَا ٱصْطِلَاما

---

(١) ما شحذن ، ما شددن (ع) و (م)

(٢) يولج (ع) و (م)

(٣) لعرُّوا (ل)

(٤) وإن مسخت أشدهم نعاماً ؟ (ل)

(٥) حظاما (ل)

(٦) واغتياما (ل)

(٧) اصطلاحاً (ل)

فَأَلْحِقْ شَرْقَهَا بِالْغَرْبِ قَسْراً كَحَوْزِكَ قَبْلَةً مِنْهَا وشَاما
غِيَاثَ الْمُسْلِمِينَ كَفَفْتَ عَنْهُمْ عَظَائِمَ تَسْلُبُ اللَّحْمَ الْعِظَاما
يَهُونُ عَلَيْكَ إِحْيَاءُ اللَّيَالِي وَإِنْ طَالَتْ إِذَا بَاتُوا نِيَاما
سَهِرْتَ لِكَيْ تُنِيمَهُمُ وَقِدْماً تَوَلَّى الْأَمْرَ مَنْ سَهِرُوا وَنَاما
وَمَا سَلَّ الْكَهَامَ عَلَى عِدَاهُ غَدَاةَ الرَّوْعِ مَنْ وَجَدَ الْحُسَاما
لَقَدْ وَطَّدْتَ بِالْآرَاءِ أَمْراً لِغَيْرِكَ مَا اسْتَقَادَ[1] وَلَا اسْتَقَاما
عُقُودٌ بِالتُّقَى وَالْعَدْلِ شُدَّتْ أَطَعْتَ اللّٰهَ فِيهَا وَالْإِمَاما
فَمَا يَخْشَى الْوَلِيُّ لَهَا[2] انْفِصَالاً وَلَا يَرْجُو الْعَدُوُّ لَهَا انْفِصَاما
دَعَتْ لَكَ بِالْبَقَاءِ وَقَدْ أُجِيبَتْ[3] حَزَائِقُ[4] أَمَّتِ الْبَيْتَ الْحَرَاما
بِجَمْعٍ تَلْبَسُ الْخَضْرَاءُ مِنْهُ تَرَحَّلَ أَوْ ثَوَى[5] غَيْماً[6] رُكَاما
إِذَا مَا حَلَّ ظَلَّلَهَا دُخَاناً وَإِنْ هُوَ سَارَ طَبَّقَهَا قَتَاما
وَيَمْنَعُ مَنْ تَحَدَّاهُ خُدُوداً[7] بِعِزِّ الْمَشْرَفِيَّةِ أَنْ تُقَاما

(١) ما استفاد (ع) و (م)
(٢) بها (ع) و (م)
(٣) أحِثَّتْ (ع) و (م)
(٤) الحزائق جمع حزيقة : الجماعة من الناس .
(٥) أو توى (ع) و (م)
(٦) غيثاً (ل)
(٧) خدودا (ع) و (م)

حَمَيْتَهُمُ مِنَ ٱلنَّكَبَاتِ طُرًّا ... وَمِثْلُكَ عَنْ وُفُودِ ٱللهِ حَامَا

يُقِرُّ بِذَاكَ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى ... وَيَشْهَدُ كُلُّ مَنْ شَهِدَ ٱلْمَقَامَا

مَوَاقِفُ يَسْأَلُونَ ٱللهَ فِيهَا ... لِدَوْلَتِكَ ٱلْحِرَاسَةَ وَٱلدَّوَامَا

لَقَدْ حَلِيَتْ بِسُؤْدُدِكَ ٱلْمَسَاعِي ... فَلاَ حَلَّ ٱلزَّمَانُ لَهَا نِظَامَا

حَيِيتَ (١) حَيَاتَهُ ٱلطُّولَى تَقَضَّى ... كَذَا أَعْوَامُهُ عَامًا فَعَامَا

مُوَقًّى فِي ٱلْخَطِيرِ (٢) وَذِي ٱلْمَعَالِي (٣) ... نَوَائِبَ مَا تَرَكْتَ لَهَا ٱحْتِكَامَا

قَرِينَا سُؤْدُدٍ بَلَغَا مَدَاهُ ... وَجَارَاهُ وَمَا بَلَغَا ٱلْفِطَامَا

لَقَدْ نَهَضَا بِعِبْئِكَ فَٱسْتَقَلاَّ ... وَقَدْ عَرَفَا سَبِيلَكَ فَٱسْتَقَامَا

وَعَمَّا ٱلأَرْضَ إِحْسَانًا وَعَدْلاً ... فَدُمْتَ لِأَهْلِهَا أَبَدًا وَدَامَا (٤)

إِذَا ٱلشُّعَرَاءُ بِٱلتَّشْبِيبِ فَاهُوا (٥) ... فَلَسْتُ بِغَيْرِ مَدْحِكَ مُسْتَهَامَا

وَمَا ذِكْرِي هَوًى لَمْ أَجْنِ مِنْهُ ... وَإِنْ أَحْبَبْتُهُ (٦) إِلاَّ غَرَامَا

نَسَبْتُ بِصَبْوَةٍ لاَ لَوْمَ فِيهَا ... تُذَكِّرُ صَبْوَةً جَلَبَتْ (٧) مَلاَمَا

---

(١) جنيت جناية ؟ (ع) (م)

(٢) الخطير وذو المعالي : ولدا الوزير اليازوري . انظر الحاشية رقم ٥ ص (١٩٥)

(٣) وذو المعالي (ع) و (م)

(٤) دواما (م)

(٥) كذا ولعلها (هاموا)

(٦) أجنيته (ع) و (م)

(٧) حليت (ل)

نَمَتْ حَالِي وَعَزَّ صَلاَحُ جِسْمِي ... بِأَرْضٍ لَا أُطِيقُ بِهَا مُقَامَا

وَلَوْلاَ مَا نَهَى ٱلْقُرْآنُ عَنْهُ ... إِذاً لَاخْتَرْتُ قُرْبَكَ وَٱلسَّقَامَا

سَأُكْرِهُ[1] فِي رَحِيلِي عَنْكَ عَزْماً ... إِلَيْكَ سَرَى يُجَاذِبُنِي ٱلزِّمَامَا

فَزَارَكَ مِنْ بَدِيعِ ٱلشِّعْرِ زَوْرٌ ... عَدِمْتُ ٱلزُّورَ فِيهِ وَٱلْأَثَامَا

مُقِيمٌ فِي جَنَابِكَ لَمْ يَرِمْهُ ... وَإِنْ غَدَتِ ٱلْبِلاَدُ بِهِ تَرَامَى

عَلاَ قِمَمِ ٱلنَّعَائِمِ مُسْتَطِيلاً ... وَسَارَ[2] وَمِنْ قَلاَئِصِهِ ٱلنُّعَامَى

قَوَافٍ فِي ٱلْفَيَافِي آنَسَتْنَا ... وَآنَسْتَنَا بِذِكْرَاكَ ٱلْكِرَامَا

وَلاَ عَجَبٌ إِذَا شُغِلَتْ أُنُوفٌ ... بِعَرْفِ ٱلْمِسْكِ عَنْ نَشْرِ ٱلْخُزَامَى

وَأَفْخَرُ[3] مَا تَسَرْبَلَهُ كَرِيمٌ ... ثَنَاءٌ سَارَ عَنْ مَجْدٍ أَقَامَا

وَمَا نَقَصَتْ عَطَايَاكَ ٱللَّوَاتِي ... عَلَتْ أَمَلِي فَأَسْأَلَكَ ٱلتَّمَامَا[4]

وَلٰكِنْ عَنَّ لِي غَرَضٌ فَطَرِّزْ ... بِتَبْلِيغِيهِ أَنْعُمَكَ ٱلْجِسَامَا

أَمَاتَ ٱلْحَاسِدِيكَ ٱللهُ غَيْظاً ... وَإِنْ كَانَتْ حَيَاتُهُمُ حِمَامَا

فَلَوْلاَ جَهْلُهُمْ بَرَدَتْ قُلُوبٌ ... تَحَقَّقُ أَنَّ مَجْدَكَ لَنْ يُرَامَا

---

(١) سأذكر (ل)

(٢) وساور من ... (ع) و (م) . والنَّعائم : منزل من منازل القمر . والنُّعامى : ريح الجنوب .

(٣) وفخر ... (ل)

(٤) لم يرد هذا البيت في (ل)

قُلُوبٌ فَاضَ سَيْلُ ٱلْيَأْسِ(١) فِيها ... وَتَأْبَى نَارُهَا إلاَّ ٱضْطِّرَاما

فَلاَ نَقَعَ ٱلْغَمامُ غَلِيلَ صادٍ ... رَأَى جَدْوَاكَ وَٱنْتَجَعَ ٱلْغَمَاما

١٠٤

وقال (٢) يمدح محمود (٣) بن نصر بن صالح

قِفُوا فِي ٱلْقِلَى(٤) حَيْثُ ٱنْتَهَيْتُمْ تَذَمُّمَا(٥) ... وَلَا تَقْتَفُوا مَنْ جَارَ لَمَّا تَحَكَّما

أَرَى كُلَّ مُعْوَجِّ ٱلْمَوَدَّةِ يُصْطَفَى ... لَدَيْكُمْ وَيَلْقَى حَتْفَهُ مَنْ تَقَوَّما

فَإِنْ(٦) كُنْتُمُ لَمْ تَعْدِلُوا إِذْ حَكَمْتُمُ ... فَلَمْ تَعْدِلُوا عَنْ مَذْهَبٍ قَدْ تَقَدَّما

حَنَى ٱلنَّاسُ مِنْ قَبْلُ ٱلْقِسِيَّ لِتُقْتَنَى ... وَثُقِّفَ مُنْآدُ ٱلْقَنَا لِيُحَطَّما

وَمَا ظَلَمَ(٧) ٱلشَّيْبُ ٱلْمُلِمُّ بِلِمَّتِي ... وَإِنْ بَزَّنِي حَظِّي مِنَ ٱلظَّلْمِ وَٱللَّمَا

وَمَحْجُوبَةٍ عَزَّتْ وَعَزَّ نَظِيرُها ... وَإِنْ أَشْبَهَتْ فِي ٱلْحُسْنِ وَٱلْعِفَّةِ ٱلدُّمَا

---

(١) الناس ؟ (ع) و (م)

(٢) لم يرد من هذه القصيدة في (ل) الا (٢١) بيتاً من أولها و (١٥) بيتاً من آخرها وسقط من وسطها (٥٩) بيتاً .

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٤) هذه القصيدة أول قصائد ابن حيُّوس في بني مرداس ، مدح بها محمود ابن نصر لما قصد حلب وافداً عليه سنة ٤٦٥ .

(٥) العلى ؟ (ع) و (م) . والتَّذَمُّمُ مجانبة الذم :

(٦) وإن (ع) و (م)

(٧) وما أظلم (ل)

أُعَنِّفُ فِيها صَبْوَةً قَطُّ ما ارْعَوَتْ وَأَسْأَلُ عَنْها مَعْلَماً ما تَكَلَّما

سَلِي عَنْهُ تُخْبِرْ بِالْيَقِينِ دُمُوعُهُ وَلا تَسْأَلِي عَنْ قَلْبِهِ أَيْنَ يَمَّما

فَقَدْ كانَ لِي عَوْناً عَلَى الصَّبْرِ بُرْهَةً وَفارَقَنِي أَيَّامَ فارَقْتُمُ الْحِمَا

فِراقٌ قَضَى أَلاَّ تَأَسِّيَ بَعْدَ أَنْ مَضَى مُنْجِداً صَبْرِي وَأَوْغَلْتُ مُتْهِما

وَفَجْعَةُ بَيْنٍ مِثْلُ صَرْعَةِ مالِكٍ وَيَقْبُحُ بِي أَلاَّ أَكُونَ مُتَمِّما (١)

خَلِيلَيَّ إِنْ لَمْ تُسْعِدانِي (٢) عَلَى الأَسَى فَما أَنْتُما مِنِّي وَلا أَنا مِنْكُما

وَحَسَّنْتُما لِي سَلْوَةً وَتَناسِياً وَلَمْ تَذْكُرا كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهِما

سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصِّبا كُلَّ هاطِلٍ مُلِثٍّ إِذا ما الْغَيْثُ أَنْجَمَ أَثْجَما (٣)

وَعَيْشاً سَرَقْناهُ بِرَغْمِ رَقِيبِنا وَقَدْ مَلَّ مِنْ طُولِ السُّهادِ فَهَوَّما

بِمَعْصُورَةٍ وَالدَّهْرُ ما اصْفَرَّ عُودُهُ فَيَلْوِي وَما أَلْوَى بِعادٍ وَجُرْهُما (٤)

أَراحَتْ مِنَ الْهَمِّ الدَّخِيلِ وَشَجَّعَتْ جَباناً وَسَنَّتْ لِلْبَخِيلِ التَّكَرُّما

---

(١) يشير بذلك إلى مقتل مالك بن نويرة ورثاء أخيه متمم له بأبيات مشهورة أولها :

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتذراف الدموع السوافك

وهذا البيت لم يرد في (ل) « شرح الحماسة للتبريزي ص ٣٧٠ »

(٢) إن لم تعذراني (ل)

(٣) أثجمت السماء : أسرع مطرها . يقال (أثجمت السماء ثم أنجمت) أمطرت بسرعة ثم أقلعت .

(٤) يلوي : يذوي . وقوله ألوى بعاد وجرهم: أي أهلكهم .وقبيلة عاد :من العرب الأولى وهم قوم هود . وجرهم : حي من العرب البائدة.

وَشادٍ جزاهُ ٱللّٰهُ رَوْحًا وَرَحْمَةً ... إذَا ما ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُحْسِنُونَ ٱلتَّرَحُّما

فَلَسْتَ تَرٰى إلاَّ يداً صافَحَتْ يَداً ... لإِنْجازِ وَعْدٍ أَوْ فَماً لاَثِماً فَما

بِأَذْيالِ دَوْحٍ نَيْرَبِيٍّ[1] كَأَنَّهُ[2] ... سَماءُ دُجًى أَبْدَتْ مِنَ ٱلنَّوْرِ أَنْجُما

إِذَا قابَلَتْ شَمْسُ ٱلْأَصائِلِ ما عَلا ... تَدَنَّرَ أَوْ بَدْرُ ٱلظَّلامِ تَدَرْهَما[3]

إلاَمَ أُمَنِّي ٱلنَّفْسَ مالاَ تَنالُهُ ... وَأَذْكُرُ عَيْشاً لَمْ يَعُدْ مُذْ تَصَرَّما[4]

وَقَدْ قالَتِ ٱلسَّبْعُونَ لِلَّهْوِ وَٱلْهَوٰى ... دَعا لِي أَسِيرِي وَٱذْهَبا حَيْثُ شِئْتُما[5]

وَلَمَّا رَأَيْتُ ٱلْخَيْرَ عَزَّ مَرامُهُ ... رَفَضْتُ ٱلتَّأَنِّي وَٱطَّرَحْتُ ٱلتَّلَوُّما

وَنَكَّبْتُ أَمْواهاً يَعِزُّ وُرُودُها ... فَأَنْقَعُ[6] لِلظَّمْآنِ مِنْ وِرْدِها ٱلظَّما

وَأَعْلَمْتُ مَنْ فارَقْتُ أَنَّ لِقاءَنا ... بَعِيدٌ وَأَعْمَلْتُ ٱلْمَطِيَّ ٱلْمُزَمَّما[7]

---

(١) نسبة الى النيرب أحد متنزهات دمشق المشهورة . وفي هامش (ع) و (م) (عنبري) وهو من تنطع الناسخ . (٢) تخاله (مسالك الأبصار ج ١٠)

(٣) لم يرد هذا البيت إلا في (ل) وفي (مسالك الأبصار)

(٤) هذا البيت و(٥٨) بيتاً بعده سقطت من (ل)

(٥) قال القاضي عياض في كتابه الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ورقة ٤٠ ب « مخطوط في دار الكتب الظاهرية » أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد المغربي قال أنشدني الأمير أبو الفتيان بن حيوس الدمشقي لنفسه :

وقد قالت السبعون للهو والصبا ... دعا لي أسيري وانهضا حيث شئتما

(٦) في الأصل (فأنفع)

(٧) في الأصل (المرمما)

قِلاَصاً إِذَا رَامَتْ خَلاَصاً مِنَ ٱلسُّرٰى مَرَقْنَ فَأَنْكَرْنَ ٱلْجَدِيلَ وَشَدْقَمَا (١)

وَلَمْ يُرْضِهَا وَخْدُ ٱلْمَهَارٰى تَعَاطِياً عَلَيْهَا فَأَسْتَنَّ (٢) ٱلنَّعَامَ ٱلْمُصَلَّمَا

تَيَمَّمْتُ لَمَّا أَعْوَزَ ٱلْمَاءُ طَاهِراً فَيَمَّمْنَ بِي بَحْراً كَفَانِي ٱلتَّيَمُّمَا

وَمُذْ وَصَلَتْ تَاجَ ٱلْمُلُوكِ أَنَخْتُهَا بِأَرْفَعِهِمْ بَيْتاً وَأَمْنَعِهِمْ حِمَى

وَأَشْرَفَ مِنْ شَمْسِ ٱلظَّهِيرَةِ رُتْبَةً وَأَشْرَقَ أَنْوَاراً وَأَبْعَدَ مُرْتَمَى

مِنَ ٱلْقَوْمِ لاَ يُغْضُونَ يَوْماً عَلَى قَذًى وَلاَ يَأْخُذُونَ ٱلْعِزَّ إِلاَّ تَغَشْرُمَا (٣)

وَفِي ظِلِّ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرِ بْنِ صَالِحٍ مَرَاقٍ لِمَنْ يَبْغِي إِلَى ٱلْمَجْدِ سُلَّمَا

وَهَا أَنَا ذَا مُسْتَعْصِمٌ بِجَنَابِهِ (٤) أُمَاثِلُ مَنْ أَغْنَى نَدَاهُ وَمَنْ حَمَى

هُمَامٌ إِذَا أَعْطَى ٱلرَّغَائِبَ كَرَّهَا مِرَاراً وَإِنْ لاَقَى ٱلْكَتَائِبَ أَقْدَمَا

وَأَرْوَعُ إِنْ أَمَّ ٱلْعُفَاةُ فِنَاءَهُ أَزَالَ عَسَى مِنْ قَوْلِهِ وَلَعَلَّمَا

نَزَلْتُ بِهِ وَٱلسَّيْلُ قَدْ بَلَغَ ٱلزُّبَى فَأَسْكَنَنِي طَوْداً مِنَ ٱلْعِزِّ أَيْهَمَا

بِأَبْنَاءِ مِرْدَاسٍ وَحَسْبُكَ نَصْرُهُمْ تَعَمَّرَ جُوداً كَانَ قِدْماً تَجَلْهَمَا ؟

وَزَادَ إِلَى أَنْ طَبَّقَ ٱلْوَهْدَ سَيْبُهُ وَلَمْ يَرْضَ أَحْقَافَ ٱلرُّبَى فَتَسَنَّمَا

---

(١) الجديل وشدقم : فحلان من الإبل كانا للنعمان بن المنذر يضرب بهما المثل .

(٢) كذا ولعلها (فَنَاسَبْنَ) .

(٣) تَغَشْرَمَ البِيدَ : ركبها عن ابن الأعرابي وأنشد :

« يصافح البيدَ على التَّغَشْرُمِ » وغُشَارِمٌ : جريء ماضٍ . (لسان العرب)

(٤) بحياته (م) بحماه (ع)

فِدَاكَ وَقَدْ يُفْدَى ٱلْكَرِيمُ بِضِدِّهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ فِي عَصْرِهِ مَنْ تَكَرَّمَا
مَنِيعُ حِمَى ٱلْمَعْرُوفِ طَالِبُ رِفْدِهِ يُمَارِسُ لَيْثاً [١] أَوْ يُلَامِسُ [٢] شَيْهَمَا
وَصَائِنُ زَادٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يَرُومُهُ لَهُ طَمَعاً فِيهِ وَلَا مِنْهُ مَطْعَمَا
ذَوُو ٱلْمُلْكِ يَتْلُو آخِرٌ نَهْجَ أَوَّلٍ وَأَنْتَ بَرَاكَ ٱللهُ وَحْدَكَ مُلْهَمَا
عَلَوْتَهُمُ خَلْقاً وَخُلْقاً وَهِمَّةً وَأَيْنَ وِهَادُ ٱلْأَرْضِ مِنْ صَهْوَةِ ٱلسَّمَا
وَذُدْتَهُمُ عَمَّا رَضِيتَ مِنَ ٱلْعُلَى وَغَادَرْتَ مَالَمْ [٣] تَرْضَ مِنْهَا [٤] مُقَسَّمَا
فَلَا يُعْظِمِ ٱلنَّاسُ ٱلْمُلُوكَ جَهَالَةً فَإِنَّ ٱلْعَظِيمَ مَنْ يَرُوقُ ٱلْمُعَظَّمَا
تَقُولُ ٱلْعِدَى زَارَ ٱنْتِقَاماً بِزَعْمِهِمْ وَهَلْ زَارَ هٰذِي ٱلْأَرْضَ إِلَّا لِيُنْعِمَا [٥]
رَعَى ٱللهُ مَا قَدَّمْتَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَأَدْنَاكَ تَبْجِيلاً وَنَادَاكَ مُكْرِمَا
أَتَاكَ فَقَالُوا جَاءَنَا مُتَسَلِّمَا وَعَادَ فَقَالُوا بَلْ أَتَاهُ مُسَلِّمَا
وَفَاهَ بِأَقْوَالٍ تُضَاهِي فِعَالَهُ أَعَزَّكَ فِيهَا ظَاعِناً وَمُخَيِّمَا

(١) ليناً (ع و م)
(٢) أو يمارس (م) والشَّيْهَمُ : ما عظم شوكه من ذكور القنافذ .
(٣) من لم ... (م)
(٤) فيها (هامش ع و م) ولعلها : نهباً مقسما .
(٥) يشير بذلك إلى محاصرة ألب أرسلان السلجوقي لحلب سنة ٤٦٣ قال ابن العديم في زبدة الحلب : « ولما حاصر السلطان ألب ارسلان حلب وشارف على أخذها خرج محمود بن نصر بن صالح بعد تردد إلى السلطان بنفسه ومعه والدته علوية المعروفة بالسيدة في أول شعبان وأخذ مفاتيح البلد معه فدخلا والعسكر سماطان بين يديه فخدماه وسلما عليه فأكرمها وأحسن إليهما » .

وَتَابَعَ آرَآءَ ٱلْخِلافَةِ قَاضِياً بِتَكْذِيبِ ظَنٍّ كَانَ فِيكَ مُرَجَّما
إِذَا رَامَ أَرْضاً بَثَّ فِي كُلِّ مَسْلَكٍ مَخُوفَ ٱلشَّذَى يُزْجِي خَمِيساً عَرَمْرَما
تُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ قُتْرٍ[1] غَمَامَةٌ صَوَارِمُهَا بَرْقٌ وَتَنْهَلُّ أَسْهُما
تَرَى لِلدِّانِ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ فَوْقَهُ سَدًى بِمُثَارِ ٱلْأَعْوَجِيَّةِ أُلْحِما
عَجَاجٌ إِذَا أَمَّ ٱلْمَجَرَّةَ صَاعِداً إِلَيْهَا رَمَى عَيْنَ ٱلْغَزَالَةِ بِالْعَمى
يَبِيتُ لِأَنْوَارِ ٱلْكَوَاكِبِ كَاسِفاً وَيُضْحِي بِهِ وَجْهُ ٱلنَّهَارِ مُلَثَّما
وَلَوْ أَنَّ ذَا ٱلْقَرْنَيْنِ يُمْنَى بِبَعْضِ مَا مُنِيتَ لَوَلَّى هَارِباً أَوْ لَسَلَّما
ثَبَتَّ فَلَمَّا أَوْضَحَ ٱلرَّأْيُ نَهْجَهُ طَفَوْتَ عَلَى ٱلْبَحْرِ ٱلْمُحِيطِ وَقَدْ طَما
وَذُدْتَ مَخُوفَاتِ ٱلْخُطُوبِ مُجَامِلاً فَعَادَ سَحِيلاً كُلُّ مَا كَانَ مُبْرَما
كَفَيْتَ ٱلسُّيُوفَ أَنْ تَرِيمَ غُمُودَهَا وَشِمْتَ مِنَ ٱلتَّدْبِيرِ أَبْيَضَ مِخْذَما
لَئِنْ وَضَعَتْ عَنْهَا ٱلْجِيَادُ سُرُوجَهَا لَقَدْ أُسْرِجَ ٱلرَّأْيُ ٱلْأَصِيلُ وَأُلْجِما
إِلَى أَنْ حَسَمْتَ ٱلدَّاءَ أَعْيَا دَوَاؤُهُ سِوَاكَ وَلَوْ كَانَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَما
وَأَعْرَبْتَ عَنْ فَصْلِ ٱلْخِطَابِ مُبَاشِراً وَلَوْ أَنَّ سَحْبَاناً[2] مَكَانَكَ أُفْحِما
مَقَالٌ يَرُوقُ ٱلسَّامِعِينَ شَفَعْتَهُ بِمَرْأًى يَرُوقُ ٱلنَّاظِرَ ٱلْمُتَوَسِّما
وَسَكَّنْتَ عَنْ حَزْمٍ زَعَازِعَكَ ٱلَّتِي إِذَا عَصَفَتْ كَانَتْ أَعَادِيكَ خَشْرَما[3]

---

(١) القُتْرُ : الناحية والجانب لغة فى القطر .

(٢) سَحبان وائل : من أشهر خطباء العرب .

(٣) الخَشْرَمُ : جماعة النحل والزنابير .

فَقَلَّدَكَ ٱلشَّامَ ٱلَّذي قَلَّدَتْكَهُ ظُبَاكَ فَشَدَّ ٱلْآخِرُ ٱلْمُتَقَدِّما

لَعَمْري لَقَدْ حَلَّتْ رَعَايَاكَ هَضْبَةً تُطَاوِلُ رَضْوَى[1] بَلْ تَطُولُ يَلَمْلَما

أَوَانَ أَحَلْتَ ٱلْخَوْفَ أَمْناً بِعَزْمَةٍ أَحَلَّتْ لَهَا ٱلنَّوْمَ ٱلَّذي كَانَ حُرِّمَا

أَعَدْتَ لَهُمْ حُبَّ ٱلْحَيَاةِ فَعَادَ فِي اُغْتِبَاطٍ[2] بِهَا مَنْ كَانَ مِنْهَا تَبَرَّمَا

وَفِيمَا مَضَى حَابَوْكَ بِٱلْحُبِّ رَهْبَةً فَأَنْعَمْتَ حَتَّى خَالَطَ ٱللَّحْمَ وَٱلدَّمَا

وَأَعْرَضْتَ عَنْ قَوْلِ ٱلسُّعَاةِ نَزَاهَةً إِلَى أَنْ ظَنَنَّاهُمْ عَلَى ٱلْجُودِ لُوَّمَا

وَمَنْ ظَافَرَ ٱلسَّاعِي عَلَى مَا يَقُولُهُ فَمِنْ قَوْلِهِ اُسْتَمْلَى وَعَنْ قَوْسِهِ[3] رَمَى

وَمَا ٱلدَّهْرُ إِلَّا طَوْعُ أَمْرِكَ رَاغِماً جَنَى أَبْؤُساً أَوْبَثَّ فِي ٱلْخَلْقِ أَنْعُمَا

إِذَا عَادَ عَنْ سُوءٍ فَأَنْتَ نَهَيْتَهُ وَإِنْ جَاءَ إِحْسَاناً فَمِنْكَ تَعَلَّمَا

وَمَا جَادَتِ ٱلْخَضْرَاءُ إِلَّا تَغَيَّمَتْ فَلِلّٰهِ نَوْءٌ لَا يَغِيمُ إِذَا هَمَى

حَلَلْتَ وَإِنْ سِيئَتْ عِدَاكَ مَحَلَّةً يَعُودُ حَسِيراً مَنْ إِلَى سَوْمِهَا سَمَا

لَئِنْ كَانَ أَدْنَاهَا عَسِيراً عَلَى ٱلْوَرَى فَمَا زَالَ أَقْصَاهَا إِلَيْكَ مُسَلَّمَا

تَبِيتُ بِهَا فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ مُطَنِّباً فَلَا رُئِيتْ حَتَّى ٱلْقِيَامَةِ أَيِّمَا

بِنَفْسِكَ طَاوِلْ غَالِباً لَا مُغَالِباً ذَوِي ٱلْمَجْدِ وَاُتْرُكْ مَنْ إِذَا طَاوَلَ اُنْتَمَى

---

(١) رضوى : جبل بالمدينة . وَيَلَمْلَم : جبل على مرحلتين من مكة .

(٢) اغتياظ ؟ (م)

(٣) في الأصل (وعن قوله) وهو من سهو الناسخ .

كَفَى صَالِحاً فَخْراً أَبُوكَ وَكَوْنُهُ ... لَهُ أُبْنَاً وَنَصْراً أَنْ تَكُونَ(١) لَهُ أُبْنَما
وَيَكْفِي كِلاَباً وَهْوَ مَيْتٌ وَعَمَّهُ ... عُمَيْراً حَيَاةً أَنَّ جَدَّيْكَ مِنْهُما(٢)
وَمَا عَنَّ هُجْرُ ٱلْقَوْلِ إِلاَّ تَأَخَّرَا ... وَلاَ كُرِهَ ٱلْإِقْدَامُ إِلاَّ تَقَدَّمَا
وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أُنْسِيتَ بِٱلْبَأْسِ وَٱلنَّدَى ... وَقَهْرِ ٱلْعِدَى مَا شَاعَ فِي ٱلْأَرْضِ عَنْهُمَا
وَمَا إِنْ رَأَيْنَا قَبْلَ سَيْفِكَ عَقْرَباً ... يُعَفِّرُ أَيْماً اوْ يُجَدِّلُ ضَيْغَمَا
لَعَمْرِي لَقَدْ أَوْسَعْتَنِي مِنْ كَرَامَةٍ ... أَضَاءَ بِهَا ٱلْحَظُّ ٱلَّذِي كَانَ أَظْلَمَا
وَأَوْضَحْتَ لِي بِٱلْبِشْرِ مَا أَنْتَ مُضْمِرٌ ... وَأَظْهَرْتَ بِٱلتَّقْرِيبِ مَا كَانَ مُبْهَمَا
وَإِنَّ عَطَايَا ٱلْأَكْرَمِينَ مَلاَبِسٌ ... وَأَفْخَرُهَا مَا كَانَ بِٱلْبِشْرِ مُعْلَمَا
سَأَشْكُرُ رَأْياً مُنْقِذِيّاً أَحَلَّنِي ... ذَرَاكَ لَقَدْ أَوْلَى جَمِيلاً وَأَنْعَمَا(٣)
وَأَبْسُطُ فِيمَا قَلَّدَ أَبْنُ مُقَلَّدٍ ... لِسَاناً إِذَا لاَقَى ٱلضَّرِيبَةَ صَمَّمَا
عَطَفْتَ عَلَيْهِ كَابِتاً كُلَّ حَاسِدٍ ... وَكُنْتَ بِهِ مِنْ سَائِرِ ٱلنَّاسِ أَعْلَمَا
وَأَسْمَعْتَنِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ فِيهِ مَا ... أَزَالَ ٱلتَّشَكِّي بَلْ أَمَاطَ ٱلتَّلَوُّمَا
هُوَ ٱلْعَبْدُ إِنْ جَرَّدْتَهُ شَهِدَ ٱلْوَغَى ... حُسَاماً وَإِنْ أَشْرَعْتَهُ كَانَ لَهْذَمَا

(١) في الأصل (أن يكون) . صالح بن مرداس هو جد الممدوح . وابنه نصر هو والد الممدوح . والابنم : الابن والميم زائدة للمبالغة .

(٢) من هذا البيت حتى آخر القصيدة موجود في (ل)

(٣) يشير بذلك الى أن الأمير علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ هو الذي قدّمه الى صاحب حلب محمود بن نصر . انظر الحاشية رقم (٥) ص (٢٢)

عَلَى أَنَّهُ لَا فُلَّ غَرْبُ لِسَانِهِ مَدَى ٱلدَّهْرِ لَا تَحْتَاجُ (١) مِنْهُ مُتَرْجِمَا
لَقَدْ لَؤُمَ ٱلدَّهْرُ ٱلَّذِي عَنْكَ عَاقَنِي وَإِنْ لُمْتُهُ مِنْ بَعْدِ ذَا كُنْتُ أَلْأَمَا
سَأُثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ يَرَانِيَ (٢) فِيهِ ٱلْجَاهِلِيَّ ٱلْمُخَضْرَمَا

١٠٥

وقال يمدح نصر بن محمود بن نصر بن صالح (٣)

يَا دِيمَتَيْ نَوْءِ ٱلثُّرَيَّا دُومَا لِتُرَوِّيَا بِٱلْأَبْرَقَيْنِ رُسُومَا
حُطَّا رِحَالَ ٱلْمُزْنِ فَوْقَ مَعَالِمٍ جَعَلَ ٱلْهَوَى مَجْهُولَهَا مَعْلُومَا
وَمَعَاهِدٍ عَهْدِي بِهَا مَأْهُولَةً بِصَرِيمِ إِنْسٍ لَمْ يَكُنْ مَصْرُومَا
وَإِذَا ٱلْغَمَامُ عَدَا ٱلْمَنَازِلَ صَوْبُهُ فَغَدَا عَلَى أَجَإٍ (٤) أَجَشَّ هَزِيمَا
وَسَقَى لِسَلْمَى دُونَ سَلْمَى (٤) مَنْزِلاً أَضْحَى بِوَسْمِيِّ ٱلْبُكَا (٥) مَوْسُومَا
بَانَ ٱلْفَرِيقُ فَكَمْ حَمِيمٍ مِنْهُمُ صَارَ ٱلْفِرَاقُ لَهُ أَخًا وَحَمِيمَا
رَحَلُوا كَأَنَّ ٱلْبَيْنَ كَانَ غَمَامَةً حَجَبَتْ بُدُوراً مِنْهُمُ وَنُجُومَا

---

(١) لا يحتاج مني مترجما (ل)
(٢) في ل (راني) بدون نقط ولعلها (تراني)
(٣) انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)
(٤) أجأ وسَلْمَى : جَبَلا طيء .
(٥) البلى (ل)

بِقَلائِصٍ لَوْلاَ ٱلْمَهَا وَخَدَتْ بِهِ ... مَا كانَ يَحْسُدُ مُهْمَلٌ مَحْرُوما[١]

يَا عَاذِلَيَّ أَرَى ٱلْمَلاَمَ جَمِيعَهُ ... فِي ٱلْحُبِّ لُؤْماً فَٱعْذِرا أَوْ لُوما

وَبِنَفْسِيَ ٱلْقَمَرُ ٱلَّذِي فِي عِشْقِهِ ... أَلْغَيْتُ رَبِّي وَٱطَّرَحْتُ ظَلُوما

رَشَأٌ تَشَابَهَ طَرْفُهُ وَمُحِبُّهُ[٢] ... وَوِدَادُهُ كُلٌّ أَرَاهُ سَقِيما

يَحْكِي تَعَرُّضُهُ لَنَا وَنِفَارُهُ ... وَٱلْجِيدُ وَٱلطَّرْفُ ٱلْكَحِيلُ ٱلرِّيما

وَيُشاكِلُ[٣] ٱلشَّمْسَ ٱلْمُنِيرَةَ وَجْهُهُ ... نُوراً وَبُعْدَ تَنَاوُلٍ وَأَدِيما

وَيُقَايَسُ ٱلْمِسْكُ ٱلذَّكِيُّ بِعَرْفِهِ ... فَيَكُونُ أَطْيَبَ فِي ٱلْأُنُوفِ نَسِيما[٤]

ذُو هِجْرَةٍ أَيَّامُها مَا تَنْقَضِي ... وَمَوَاعِدٍ إِنْجَازُهَا مَا سِيما

مَطْلٌ كَمَا مَطَلَ ٱلْبَخِيلُ بِوَعْدِهِ ... لاَ مِثْلَمَا مَطَلَ ٱلْغَرِيمُ غَرِيما

فَسَأَطْلُبُ ٱلْمَوْجُودَ عَنْ ثِقَةٍ بِمَا ... يُجْدِي عَلَيَّ وَأَتْرُكُ ٱلْمَعْدُوما

وَأَقُولُ لِلْحَدَثَانِ نَصْرٌ نَاصِرِي ... فَٱطْلُبْ لِجَوْرِكَ مَارِناً مَخْطُوما

إِنِّي أَبَيْتُ وَغَيْرُ بِدْعٍ أَنْ أَبَى ... مَنْ فِي ذَرَاهُ أَنْ يُرَى مَهْضُوما

فِي ظِلِّ أَرْوَعَ لاَ يَمُرُّ بِبُقْعَةٍ ... إِلاَّ وَكَانَ تُرَابُهَا مَلْثُوما

تَتَنَاهَبُ ٱلْأَفْوَاهُ مَوْطِيءَ رِجْلِهِ ... قُبَلاً لِمَنْعِ ٱلْهَيْبَةِ ٱلتَّسْلِيما

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٢) طرفه ووداده ومحبه ... (مسالك الأبصار ج ١٠)

(٣) وتشاكل (ع) و (م)

(٤) شميا (ل) و (مسالك الأبصار) في النفوس شميا (هامش م)

وَيَبُثُّ مِنْ كَلِمَاتِهِ ٱلْفِقَرَ ٱلَّتِي مَلَأَتْ قُلُوبَ ٱلْحَاسِدِيهِ كُلُوما
فَاقَ ٱلْمُلُوكَ فَصَاحَةً وَسَمَاحَةً وَصَبَاحَةً وَرَجَاحَةً وَعَزِيما
وَبَدَا ٱلزَّمَانُ بِهِ أَغَرَّ مُحَجَّلاً وَلَقَدْ عَهِدْنَاهُ أَغَمَّ بَهِيما
إِنْ هَمَّ بِٱلْأَعْدَاءِ كَانَ غَشَمْشَماً وَإِذَا هَمَتْ كَفَّاهُ كَانَ غَشِيما
مِنْ مَعْشَرٍ رَاعُوا ٱلْمَمَالِكَ وَٱرْتَعَوْا رَوْضَ ٱلْمَحَامِدِ بَارِضاً وَجَمِيما[1]
حَتَّى إِذَا ذَهَبُوا بِحُرِّ نَبَاتِهِ تَرَكُوهُ لِلْمُتَعَقِّبِينَ هَشِيما
أَخْفَوْا هِبَاتِهِمُ وَخَفُّوا لِلنَّدٰى وَٱلْمُسْتَغِيثِ وَيَثْقُلُونَ حُلُوما
مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ مَا ٱسْتُقِلَّ عَطَاؤُهُ فِي ٱلْمُمْحِلَاتِ وَلَا ٱسْتَقَلَّ ذَمِيما
عُدِمُوا فَمَا ضَرَّ ٱلشَّجَاعَةَ وَٱلنَّدٰى وَبُغَاتَهُ أَنْ يَظْعَنُوا وَتُقِيما[2]
وَأَتَيْتَ فِي أَعْقَابِهِمْ مُتَأَخِّراً فَأَتَيْتَ فَضْلاً أَوْجَبَ ٱلتَّقْدِيما
مَاثَلْتَهُمْ ثُمَّ[3] ٱنْفَرَدْتَ بِسُؤْدُدٍ تُلْفَىٰ إِمَاماً فِيهِ لَا مَأْمُوما
لَا تَبْكِ[4] يَوْماً بِٱلْفُنَيْدِقِ[5] حَسْبُهُ عِزّاً وَجَدِّكَ مَنْ أَذَلَّ ٱلرُّوما
وَرِثَا مَضَاءَ أَبِي عَلِيٍّ صَالِحٍ حَاوِي ٱلْمَآثِرِ حَادِثاً وَقَدِيما

---

(١) في الأصل (وحميا) . والبارض : أول ما تخرج الأرض من نبت . والجَميم ما غطى الأرض من النبات .

(٢) ويقيما (ل)

(٣) لَمَّا انفردت (م)

(٤) لا يبك يوم (ل)

(٥) انظر الحاشية رقم (١) ص (٤٢٣)

أَوْفَى ٱلْبَرِيَّةِ فِي قِرَاعِ مُلِمَّةٍ حَزْمًا وَأَوْسَعُهُمْ لَهَا حَيْزُوما

كَمْ فَازَةٍ[1] ضُرِبَتْ لَهُ بِمَفَازَةٍ تُرْدِي ٱلسَّوَابِقَ وَٱلْقِلَاصَ ٱلْكُوما

ضُرِبَتْ عَلَى مَحْضِ ٱلنِّجَارِ مُظَفَّرٍ لَا يَسْأَمُ ٱلتَّقْوِيضُ وَٱلتَّخْيِيما

بِذَوَابِلٍ إِنْ زُرْنَ أَرْضَ مُعَظَّمٍ أَكْثَرْنَ أَرْمَلَةً بِهَا وَيَتِيما

وَمُبَذَّلَاتٍ[2] لِلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا وَمُبَدَّلَاتٍ مِ ٱلْعَلِيقِ شَكِيما

طَوْرًا تُغِيرُ وَرَاءَ[3] عَانَةَ شُزَّبًا تَرْدِي وَطَوْرًا تَطْرُقُ ٱلدَّارُوما

فَبَقِيتَ مِنْ خَلَفٍ تَكَفَّلَ لِلْعُلَى أَلَّا يَبِيتَ[4] بِغَيْرِهَا مَهْمُوما

وَحُسَامِ هَيْجَاءٍ بِهِ ٱنْحَسَمَ ٱلْأَذَى وَحَيًا يَسُحُّ ٱلْمَكْرُمَاتِ هَزِيما

وَلْيَسْلُ رُتْبَتَكَ ٱلْعَلِيَّةَ رَاغِمًا مَنْ كَانَ مِنْ دَرِّ ٱلثَّنَاءِ فَطِيما

فَهِيَ ٱلنَّبَاهَةُ لَنْ يَنَالَ عَظِيمَهَا مَنْ لَا يَذُودُ مِنَ ٱلْخُطُوبِ عَظِيما

أَقْسَمْتُ حِلْفَةَ صَادِقٍ بِمَوَاهِبٍ غَادَرْنَنِي لِذَوِي ٱلثَّرَاءِ قَسِيما

لَوْلَا ٱبْنُ مَحْمُودٍ لَعَاوَدَ رَوْضُهَا مَرْعَى ٱلْخُطُوبِ وَحَوْضُهَا مَهْدُوما

---

(١) الفازة : المظلة بعمودين .

(٢) ومبدلات بالصوارم (ع) و (م)

(٣) غانة (ع) و (م) وعانة : بين الرقة وهيت . والداروم : قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر .

(٤) ألّا تبيت (ع) و (م)

بِنَدَاكَ أَصْبَحَ حَاسِدِي مَنْ كَانَ لِي مِنْ قَبْلِ إِفْضَائِي إِلَيْكَ رَحِيما
وَلَدَيْكَ قامَ بِحَقِّيَ ٱلزَّمَنُ ٱلذي مَا زِلْتُ أَعْهَدُهُ أَلَدَّ غَشُوما
فَلأُثْنِيَنَّ عَلَى سَحَابٍ غَيْثُهُ أَغْنَى ٱلْفَقِيرَ وَأَنْصَفَ ٱلْمَظْلُوما
وَأُعِيذُ مَجْدَكَ مِنْ عَطَايَا جَمَّةٍ أَبْغِي لَهَا ٱلتَّكْمِيلَ وَٱلتَّتْمِيما
أَوْ أَنْ أُرَى فِي غَيْرِ مَكَّةَ مُحْرِماً وَمِنَ ٱلثِّيَابِ خَلَعْتَهَا(١) مَحْرُوما
وَلوِ ٱنقَبَضْتُ عَنِ ٱلسُّؤَالِ لَحُقَّ لِي وَإِذَا ٱنبَسَطْتُ فَقَدْ سَأَلْتُ كَرِيما
عَلَّمْتَنَا ٱلطَّلَبَاتِ مِنْ بَعْدِ ٱلْغِنَى وَرُزِقْتَ شَيْخاً يَقْبَلُ ٱلتَّعْلِيما
فَٱمْنُنْ وَلَا تَلُمِ ٱلْعُفَاةَ إِذَا هِيَ ٱشْ تَطَّتْ فَأَنْتَ أَبَحْتَهَا ٱلتَّحْكِيما
هَلْ تُخْفِقُ ٱلآمَالُ عِنْدَ مُمَلَّكٍ يَهَبُ ٱلْأُلُوفَ وَيُقْطِعُ ٱلإِقْلِيما
يَهَبُ ٱلثَّنَاءَ وَمَالَهُ لِلْمُجْتَدِي نَهْباً فَكَانَ ٱلْغَانِمَ ٱلْمَغْنُوما
وَٱلْوَفْرُ نَافِعُهُ ٱلَّذِي يُحْبَى(٢) كَمَا نَفْعُ ٱلْمُثَقَّفِ أَنْ يُرَى مَحْطُوما
بِأَبِي ٱلْمُظَفَّرِ عَادَ ذُلِّي عِزَّةً وَٱلْخَوْفُ أَمْناً وَٱلشَّقَاءُ نَعِيما
عُصَدِّقِ ٱلأَمَلِ ٱلَّذِي أَنْضَيْتُهُ أَرْجُو ٱلْبَخِيلَ وَأَحْمَدُ ٱلْمَذْمُوما
وَأَمِيلُ طَوْعَ نَوَائِبٍ لَمْ يَسْتَطِعْ عَضُّ ٱلثِّقَافِ لِمَيْلِهَا(٣) تَقْوِيما

---

(١) جعلتها (ل)
(٢) يجي (ع) و (م)
(٣) بميلها (ع) و (م)

أُحْضِرْتُ مَجْلِسَهُ فَجَادَ بِنَائِلٍ ... بَارَى بِهِ ٱلتَّقْرِيبَ وَٱلتَّكْرِيما
دَرَّتْ خُلُوفٌ(١) مَا مَرَاهَا حَالِبٌ ... وَهَمَتْ غُيُوثٌ مَا ٱمْتَطَيْنَ غُيُوما
تُهْدِي(٢) بِرِيحِ ٱلْمِسْكِ لَا رِيحِ ٱلصَّبَا ... نَشْراً وَتَسْقِي(٢) ٱلْحَمْدَ لَا التَّنُّوما(٣)
وَرَأَيْتُ ثَغْرَ مَوَاهِبٍ مُتَبَسِّماً ... أَبَداً وَثَغْرَ مَنَاقِبٍ(٤) مَعْصُوما
لَوْ شَامَ ذِي ٱلشِّيَمَ ٱبْنُ أَوْسٍ لَمْ يَبِتْ ... جَاراً لِإِسْحٰقَ بْنِ إِبْرَاهِيما(٥)
أَوْ رَاءَ أَحْنَفُ(٦) وَهْوَ أَحْلَمُ مَنْ مَضَى ... ذَا ٱلْحِلْمِ آيَسَ أَنْ يُعَدَّ(٧) حَلِيما
أَوْ عَايَنَتْ ذَا ٱلْجُودِ سُعْدَى(٨) وَٱبْنُهَا ... أَوْسٌ لَوَدَّتْ أَنْ تَكُونَ عَقِيما
أَيَّامُ هٰذَا ٱلْمَلْكِ أَعْيَادٌ لَنَا ... تَسْتَغْرِقُ ٱلتَّبْجِيلَ وَٱلتَّعْظِيما
فَلَقَلَّ مَا نَشْتَاقُ(٩) عِيداً ظَاعِناً ... مَا دُمْتَ عِيداً لِلْأَنَامِ مُقِيما

---

(١) خلوب (ع) و (م)

(٢) يهدي ، ويشفي (ع) و (م)

(٣) التَّنُّوم : شجر .

(٤) مواهب (ع) و (م)

(٥) ابن أوس : هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور . وإسحق بن إبراهيم المصعبي : صاحب الشرطة ببغداد أيام المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل وهو من ممدوحي أبي تمام. انظر ديوان أبي تمام ص ٢١ و ٣٠١ و ٣٠٥ و ٣٢١ .

(٦) الأحنف : هو الضَّحاك بن قيس سيد تميم يضرب بحلمه المثل .

(٧) أن يكون (ل)

(٨) هي سعدى بنت عوف الطائي . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)

(٩) يشتاق (ع) و (م)

إنَّ ٱلْقَوَافِيَ لاَ عَدَتْكَ مَوَادِحًا أَمِنَتْ بِكَ ٱلْإِخْفَاقَ وَٱلتَّأْثِيما

فَمَنَعْتَهَا مَنْ كَانَ مَشْرَبُهَا بِهِ كَدِراً وَمَرْتَعُهَا لَدَيْهِ وَخِيما

لِلّٰهِ قَوْلٌ فِيكَ لَمْ أَكْسِبْ بِهِ إِثْمًا وَظَنٌّ لَمْ يَكُنْ تَرْجِيما

فَلَقَدْ أَنَلْتَ وَمَا مَطَلْتَ بِنَائِلٍ وَأَرَى مِطَالَكَ[1] بِٱلْمَحَامِدِ لُوما

١٠٦

وقال أيضاً يمدحه

دُمْ[2] بِٱلصِّيَامِ مُهَنَّأً مَا دَامَا تُفْنِي ٱلشُّهُورَ وَتُنْفِدُ[3] ٱلْأَعْوَاما

فِي عِزِّ مَمْلَكَةٍ تَذِلُّ لَكَ ٱلْعِدَى وَسَعَادَةٍ تَسْتَخْدِمُ ٱلْأَيَّاما

أَخَذَ ٱلْفَضَائِلَ آخِرٌ عَنْ أَوَّلٍ وَحَبَاكَهَا رَبُّ ٱلْوَرَى[4] إِلْهَاما

فَٱفْخَرْ فَمَا لَكَ مَذْهَبٌ عَنْ مَذْهَبٍ تُرْضِي[5] ٱلْخَلِيفَةَ فِيهِ وَٱلْإِسْلَاما

وَلْتَعْلُ دَوْلَتُهُ بِأَنَّكَ مَجْدُهَا وَلْيَعْتَصِمْ بِأَنِ ٱنْتَضَاكَ حُسَاما

---

(١) كذا ولعلها (مطالي)

(٢) في هذه القصيدة طائفة من الأبيات منتزعة بمعانيها وأكثر ألفاظها من القصيدة التي أولها :

« خير الأنام لشرهم إحكاما من بالسيوف ينفذ الأحكاما »

انظر ص (٥٨٦)

(٣) في الأصل « وتنفذ »

(٤) العلى (ع) و (م)

(٥) يرضي (ع) و (م)

وَمَتَى تُبَارَى أَوْ تُجَارَى بَعْدَ أَنْ ... فُتَّ الرِّجَالَ سَكِينَةً وَعُرَامَا

وَمَحَاسِناً (١) تَبْقَى بَشَاشَتُهَا إِذَا ... عَادَتْ أَحَادِيثُ الْكِرَامِ حُطَامَا

كَالدُّرِّ لَمَّا فَارَقَ الأَصْدَافَ لاَ ... كَالنَّوْرِ لَمَّا فَارَقَ الأَكْمَامَا

وَمَنَاقِباً (٢) لَوْ لَمْ يُوَعَّرْ نَهْجُهَا ... لاَقَيْتَ لِلسَّاعِينَ فِيهِ زِحَامَا

أَغْلَيْتَ (٣) يَاشَرَفَ الْمُلُوكِ مُهُورَهَا ... فِي بَثِّكَ الإِنْعَامَ وَالإِرْغَامَا

فَعَلَتْ فَمَا (٤) يَسْمُو إِلَيْهَا مُرْتَقٍ ... وَغَلَتْ فَلَسْتَ تَرَى لَهَا مُسْتَامَا

يَا رُبَّ نَارٍ أُجِّجَتْ فَأَحَلْتَهَا ... بَرْداً عَلَى مَنْ خُطْتَهُ وَسَلاَمَا

وَضَرَاغِمٍ زَأَرَتْ فَمُنْذُ أَزَرْتَهَا ... صُمَّ الْقَنَا عَادَ الزَّئِيرُ بُغَامَا

كَالدَّوْقَسِ (٥) الْمَغْرُورِ ظَنَّ بِجَهْلِهِ ... أَنَّ الْوِهَادَ تُطَاوِلُ الآكَامَا

وَرَجَا فَأَقْدَمَ كَيْ (٦) يُعِزَّ بِلاَدَهُ ... وَرَآكَ عَنْ بُعْدٍ (٦) فَخَابَ وَخَامَا

لَمَّا تَيَقَّنَ مَنْ أَشَدُّ شَكِيمَةً ... عِنْدَ النِّزَالِ وَمَنْ أَلَدُّ خِصَامَا

فَاعْتَاضَ مِنْ خُيَلاَئِهِ بِتَخَيُّلٍ ... وَرَأَى الرَّدَى خَلْفاً لَهُ وَأَمَامَا

---

(١) ومحاسن (ل)

(٢) ومناهج (ل)

(٣) أعليت (م)

(٤) كما يسمو ؟ (ل)

(٥) الدوقس : الرئيس وهي لاتينية Dux

(٦) أن يعز ، من بعد (ل)

فَلِذَا أَسْتَجَارَكَ كَيْ يَفُوزَ بِنَفْسِهِ ... فَأَطَعْتَ فِيهَا ٱلْوَاحِدَ ٱلْعَلاَّما

كَانَتْ مُحَلَّلَةً فَحِينَ حَمَيْتَهَا ... صَارَتْ عَلَى ٱلْبِيضِ ٱلرِّقَاقِ حَرَاما

لاَقىٰ ٱلْبَوَارَ فَعَاذَ بِٱلْعَفْوِ ٱلَّذي ... يَمْحُو ٱلذُّنُوبَ وَيَغْفِرُ ٱلْإِجْرَاما

وَمَضَىٰ مُضِيَّ ٱلطَّيْرِ يَطْلُبُ وَكْرَهُ ... يَلْحَىٰ ٱلْقِتَالَ وَيَحْمَدُ ٱلْإِحْجَاما

مُتَحَقِّقاً أَنْ لَوْ دَعَوْتَ مَلِيكَهُ ... لَأَتَاكَ إِسْلاَماً أَوِ ٱسْتِسْلاما

هِيَ فَعْلَةٌ[1] مَا أَنْتَ مَأْمُومٌ[2] بِهَا ... لَوْ لَمْ يَكُنْ مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ إِمَاما

وَبِحُكْمِهِ فِيهِمْ حَكَمْتَ مُبَيِّناً ... عَزْماً يَحُوزُ ٱلْقَهْرَ وَٱلْإِنْعَاما

أَغْنَىٰ سُيُوفَكَ عَنْ فِرَاقِ غُمُودِهَا ... وَجِيَادَكَ ٱلْإِسْرَاجَ[3] وَٱلْإِلْجَاما

وَلَقَدْ لَقِيتَ جَمَائِعاً فَشَلَلْتَهَا ... فَرْداً كَمَا شَلَّ ٱلْخَمِيسُ نَعَاما

وَطَعَنْتَ[4] فِيهِمْ حَاسِراً لاَ تَتَّقِي[4] ... وَخْزَ ٱلرِّمَاحِ وَلَا تَهَابُ[4] سِهَاما

وَنَحَاكَ[5] سَهْمٌ عَارَضَتْهُ مُدْيَةٌ ... لُطْفاً بِنَا فَثَنَتْهُ عَمَّا رَاما

لَوْ أَنَّ بِسْطَاماً رَآكَ وَعَامِراً ... وَٱللَّذْ فَعَلْتَ لَأَوْسَعَاكَ مَلاما[6]

---

(١) قلعة (م)

(٢) مأموماً (ل)

(٣) الإسراح (ع) و (م)

(٤) وأطعت ، لا يتقي ، ولا يهاب (ل)

(٥) ونجاح سهم ؟ (ل)

(٦) بِسْطام : هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني من فرسان العرب . وعامر : هو ابن الطُّفَيْل العامري من فرسان العرب وشعرائهم وساداتهم . واللَّذْ : لغة في الذي .

هَلْ تَبْتَغِي بَدَلاً بِمُهْجَتِكَ الَّتي ... وِجْدانُها قَدْ شَرَّدَ الإِعْداما
أَمْ خِلْتَ أَنَّ الْمَجْدَ لَيْسَ يَنالُهُ ... مَنْ لا يَكُونُ عَلَى الرَّدَى هَجّاما
لَوْ أَصْحَرُوا لَمْ تَحْوِ أَنْطاكِيَّةٌ ... إِلاَّ أَرامِلَ تَكْفُلُ الأَيْتاما
دُونَ الَّذِي أَمَلُوا حُسامٌ صارِمٌ ... وَوَحِيٌّ[1] عَزْمٍ يَسْبِقُ الأَوْهاما
ماضٍ يُزِيلُ الْهَمَّ إِنْ خَطْبٌ عَرا ... وَوَراءَهُ ضَرْبٌ يُطِيرُ الْهاما
وَأُسُودُ هَيْجاءٍ إِذا قَصَدَتْ وَغىً[2] ... حَمَلَتْ عَلَى أَكْتافِها الآجاما
ما ضَرَّهُمْ[3] لَمَّا تَناسَبَ فِعْلُهُمْ ... فِي الرَّوْعِ أَنْ يَتَباعَدُوا أَرْحاما
إِنْ طالَما آثَرْتَهُمْ فَلَطالَما ... خاضُوا الرَّدَى وَتَحَمَّلُوا الآلاما
تُصْلِيهِمُ نارَ الْحُرُوبِ مُغَرِّراً ... بِهِمُ وَإِنْ كانُوا عَلَيْكَ كِراما
لا يَسْلُبُونَ سِوَى النُّفُوسِ كَفَتْهُمُ[4] ... نِعَمٌ جَنَوْها مِنْ يَدَيْكَ جِساما
تَهْذِيبُ نَصْرٍ[5] إِنَّهُ الْمَلِكُ الَّذي ... يُسْنِي اللُّهَى وَيُعَلِّمُ الإِقْداما
وَيَكُونُ لِلرّاجِي حَياةً حُلْوَةً ... وَلِمَنْ طَغَى فَبَغَى عَلَيْهِ حِماما
مَنْ لا يَرَى أَنَّ الْجَمِيلَ فَضِيلَةٌ ... مَعْدُودَةٌ حَتَّى يَكُونَ[6] لِزاما

(١) ورحى عزم تسبق ؟ (ل)
(٢) وعىً (مسالك الأبصار ج ٤)
(٣) انظر ص (٥٨٧) و (٥٨٨) .
(٤) كفيتَهم نعماً ... (ع) . كفيتـهم فيما جنوها من يديك حُساما (م)
(٥) قصر ؟ (ع) و (م)
(٦) تكون (ع) و (م)

فِي ٱلْجُودِ[١] وَٱلْإِقْدَامِ لَا يَصْغُو[٢] إِلَىٰ حَزْمٍ وَلَا يُصْغِي إِلَىٰ مَنْ لَامَا
هِيَ صَبْوَةٌ كَثُرَ ٱلْعِتَابُ لِأَجْلِهَا أَوْفَىٰ ٱلْهَوَىٰ مَا كَثَّرَ ٱللُّوَّامَا
يَا نَصْرُ إِنَّ ٱلنَّصْرَ خَلْفَكَ ظَاعِنٌ أَنَّىٰ ظَعَنْتَ وَإِنْ أَقَمْتَ أَقَامَا
أَقْدَمْتَ حَتَّىٰ لَمْ تَجِدْ مُتَقَدَّماً وَهَمَمْتَ حَتَّىٰ مَا تَرَكْتَ هُمَامَا
وَحَسَمْتَ دَاءً لَا يُصَابُ دَوَاؤُهُ لَوْ غَيْرُكَ ٱلْآسِي لَكَانَ عُقَامَا
وَقَدِمْتَ مَنْصُوراً فَزَالَتْ غُمَّةٌ وَحَلَلْتَ[٣] مِنْ بَعْضِ ٱلْقُنُوطِ غَمَامَا
وَحَيَاً أَزَالَ[٤] ٱلْمَحْلَ يَتْلُو عَارِضاً فَاقَ ٱلْغُيُوثَ تَبَجُّساً وَدَوَامَا
هَامٍ يَشِفُّ ٱلْبِشْرُ عَنْ أَمْوَاهِهِ وَٱلْغَيْمُ يُحْمَدُ أَنْ يَكُونَ رُكَامَا
وَإِذَا ٱلسَّحَابُ ٱلْجَوْنُ أَظْلَمَ أُفْقُهُ أَلْفَيْتَهُ مُتَهَلِّلاً بَسَّامَا
وَيَبِينُ لِلرُّوَّادِ أَبْيَضَ سَاطِعاً لَوْلَا تَدَفُّقُهُ لَظُنَّ جَهَامَا
كَمْ قَدْ أَخَفْتَ وَمَا صَبَحْتَ بِغَارَةٍ أَهْلَ ٱلْعِنَادِ وَمَا ذَعَرْتَ سَوَامَا[٥]
قَامَتْ مَقَامَ ٱلْبَطْشِ فِيهِمْ هَيْبَةٌ تَنْفِي ٱلظَّلَامَ وَتَكْشِفُ ٱلْإِظْلَامَا
سَنَّتْ بِسُنَّتِكَ ٱلْوُلَاةُ فَمَا أَتَتْ حَيْفاً وَأَعْدَىٰ عَدْلُكَ ٱلْحُكَّامَا

(١) فالجود (ع) و (م)
(٢) لا يصغي (ل)
(٣) وجلبت (ل) وحلبت (ع) و (م) ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٤) أراك (م) ارال (ع)
(٥) لم يرد هذا البيت في (ل)

فَجَمِيعُ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ مُذْ[١] سَمِعُوا بِهِ تَرَكُوا ٱلْبِلَادَ وَيَمَّمُوا ذَا ٱلشَّامَا

إِنَّ ٱلرَّعَايَا مُذْ مَلَكْتَ تَقَيَّلُوا مِنْ ظِلِّ عِزِّكَ يَذْبُلاً وَشَمَامَا[٢]

أَمْنًا أَنَامَ ٱلسَّاهِرِينَ وَقَبْلَهُ خَوْفٌ لَعَمْرُكَ[٣] أَسْهَرَ ٱلنُّوَّامَا

مَعَ[٤] أَنْعُمٍ لَوْ لَمْ تَكُنْ مَوْصُولَةً لَتَوَهَّمُوا يَقَظَاتِهِمْ أَحْلَامَا

تَفْدِيكَ مِنْ غِيَرِ ٱلنَّوَائِبِ أَنْفُسٌ أَنْتَ ٱلَّذِي أَوْطَنْتَهَا[٥] ٱلْأَجْسَامَا

وَمُمَوَّلٌ عَبَدَ ٱلثَّرَاءَ فَعَدَّهُ ٱلرَّاجُونَ فِيمَنْ يَعْبُدُ ٱلْأَصْنَامَا

أَوَمَا دَرَى أَنَّ ٱلثَّرَاءَ يَزِيدُهُ هُونًا إِذَا مَا زَادَهُ إِكْرَامَا

أَدْنَيْتَ لِي ٱلْحَظَّ ٱلَّذِي عَهْدِي بِهِ وَإِذَا دَنَا يَوْمًا تَأَخَّرَ عَامَا

وَبَلَغْتَ بِي أَقْصَى ٱلْغِنَى هَمًّا وَقَدْ قَصَّرْتُ عَنْهُ يَافِعًا وَغُلَامَا

وَوَجَدْتُ دُرَّ ٱلْمَأْثُرَاتِ مُبَدَّدًا حَتَّى جَعَلْتُ لَهُ ٱلْقَرِيضَ نِظَامَا

أَبْلِ ٱللَّيَالِيَ وَٱسْتَجِدَّ وَلَا تُبَلْ قَعَدَ ٱلْمُنَافِسُ رَاضِيًا أَمْ قَامَا

مَا فِي ٱلْبَسِيطَةِ مَنْ يُسَاجِلُكَ ٱلْعُلَى شَطَّ ٱلْمَدَى مَرْمًى وَعَزَّ مَرَامَا

---

(١) إذ (ل)

(٢) يَذْبُل : جبل بنجد . وشمام : جبل لباهلة .

(٣) لعمري (ل)

(٤) مع أنهم (ل)

(٥) وطنتها (ل)

خالَفتَ أمْلاكاً إذا ما فاخَرُوا عدُّوا مآثِرَ[1] قد عفتْ وعِظَاما
وَكَفاكَ سُؤْدُدُكَ الّذي لا يُدَّعى أنْ تذْكُرَ الأخْوالَ وَالأعْماما[2]
مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ سطرُوا في المَجْدِ مَا أفنى الطُّرُوسَ وَأتعبَ الأقْلاما
فَهُمُ كِتَابٌ لِلفَضائِلِ جامِعٌ وَأَراكَ مِنْ مِسْكٍ عَلَيْهِ خِتَاما

١٠٧

وقال أيضاً يمدحه [3]

مَا فِي المَعالي عَلِيٌّ مِنْكَ[4] يَعْتَصِمُ مُذْ ظَافَرَتْكَ عَلَيْهَا هٰذِهِ الشِّيَمُ
وَقَدْ سَعَى النَّاسُ فِي ذا النَّهْجِ فَالْتَمَسُوا مَدَاكَ دَهْراً وَلٰكِنْ خَابَ سَعْيُهُمُ
فَلْيَيْأَسُوا مِنْ مَعَالِيكَ الَّتِي بَهَرَتْ هٰذا وَمَا بَلَغَتْ غَايَاتِهَا الهِمَمُ
وَكُلَّمَا ازْدَدْتَ بِالأفْعَالِ مَنْزِلَةً لا تُرْتَقَى زَادَ فِي حُسَّادِكَ الأَلَمُ
قَلَّدْتَهُمْ مِنَناً لا يَنْهَضُونَ بِهَا أَوَانَ أَوْضَحْتَ بِالإعْجَازِ عُذْرَهُمُ
وَقَصَّرَ القَوْمُ عَمَّا نِلْتَهُ هِمَماً فَأَقْلَعَتْ بَعْدَ تَبْرِيحٍ[5] هُمُومُهُمُ

---

(١) مفاخر (ل)

(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)

(٣) ما في هذه القصيدة من الحوادث والأسماء والألقاب يدل على أنها قيلت في الوزير اليازوري لا في نصر بن محمود . انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٤) عنك (ل)

(٥) مرح ؟ (ع) و (م)

لَقَدْ بَنَيْتَ غِيَاثَ الْمُسْلِمِينَ[١] لَهُمْ ... بِالْجِدِّ وَالْجَدِّ عِزّاً لَيْسَ يَنْهَدِمُ
فَكُلُّ[٢] مَنْزِلَةٍ حَلُّوا بِهَا حَرَمٌ ... وَكُلُّ أَشْهُرِهِمْ مِنْ أَمْنِهَا حُرُمُ
وَمَا خَلَا مِنْ جَزِيلِ الْعُرْفِ[٣] مُنْتَجِعٌ ... كَلَّا وَلَا مِنْ جَمِيلِ الصَّفْحِ مُجْتَرِمُ[٣]
أَمْنٌ وَعَدْلٌ وَعَفْوٌ فَالْغِنَى حَرِصٌ[٤] ... وَالذَّنْبُ مُغْتَفَرٌ وَالْجَوْرُ مُنْصَرِمُ
وَمُذْ عَزَزْتَ فَشَعْبُ الْإِفْكِ مُنْصَدِعٌ ... فِي كُلِّ أَرْضٍ وَشَعْبُ الْحَقِّ مُلْتَئِمُ
وَكَاتَبَتْكَ مُلُوكُ الْأَرْضِ رَاغِبَةً ... فِيمَا لَدَيْكَ وَأَقْصَى سُؤْلِهَا السَّلَمُ
كُلٌّ إِلَيْكَ يُؤَدِّي جِزْيَةً رَهَباً ... قَدْ يَبْذُلُ الْخَوْفُ مَا لَا يَبْذُلُ الْكَرَمُ
خَافُوا سُطَاكَ فَمِنْ أَمْوَالِهِمْ تُحَفٌ ... تَأْتِي الْإِمَامَ وَمِنْ أَوْلَادِهِمْ حَشَمُ
عَنْ هَيْبَةٍ لَكَ لَوْ قَبْلَ الرَّسُولِ أَتَتْ ... فُؤَادَ مَكَّةَ[٥] لَمْ يُعْبَدْ لَمْ بِهَا صَنَمُ
خِيفَتْ فَمُذْ حَطَمَتْ صُمَّ الْقَنَا خَطَمَتْ ... مِنَ الْعِدَى كُلَّ أَنْفٍ لَيْسَ يَنْخَطِمُ
فَصَارَ[٦] يَطْعَنُ فِي إِقْدَامِهِ قُبُلاً ... مَنْ كَانَ يَطْعُنُ شَزْراً وَهْوَ مُنْهَزِمُ
نَظَمْتَ مِنْ شَمْلِ هٰذَا الدِّينِ مَا نَثَرُوا ... لَمَّا نَثَرْتَ مِنَ الطُّغْيَانِ مَا نَظَمُوا
وَلَوْ أَفَادَهُمُ عَمْرٌو[٧] مَكَايِدَهُ ... مَا فَكَّهُمْ مِنْ إِسَارِ الرُّعْبِ إِفْكُهُمُ

(١) غياث المسلمين : من ألقاب اليازوري (الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٤١)
(٢) بكل (ع) و (م)
(٣) العزم ، محترم ((ع) و (م)
(٤) هكذا في جميع الأصول .
(٥) بواد بكة (ع) و (م)
(٦) فكان (ل)
(٧) هو عمرو بن العاص المشهور بدهائه .

وَمَا خَصَصْتَ عَدُوًّا دُونَ صَاحِبِهِ ... إِلاَّ لِيُنْذِرَ بَعْضُ ٱلْقَوْمِ بَعْضَهُمُ

مُكَافِحاً[1] عَنْ حُقُوقٍ مَنْعُهَا شَرَفٌ ... وَصَافِحاً عَنْ ذُنُوبٍ طَيُّهَا كَرَمُ

عَنْ رَحْمَةٍ طَالَمَا أَدْنَتْ عَوَاطِفُهَا ... مِنْ سَيْبِكَ ٱلْغَمْرِ مَنْ[2] لَمْ تُدْنِهِ رَحِمُ

لَمَّا عَتَوْا مَنَعَ ٱلْإِنْعَامَ وَاهِبُهُ ... فَمُذْ عَنَوْا بَذَلَ ٱلْإِنْعَامَ مُنْتَقِمُ

عَزَائِمٌ ذُلُقٌ مَا قَبْلَهَا حَذَرٌ ... وَأَنْعُمٌ غُدُقٌ مَا بَعْدَهَا نَدَمُ

وَمَا مُذَلُّ بْنُ بَادِيسٍ[3] وَأُسْرَتُهُ ... إِلاَّ بُغَاةُ مُحَالٍ مَانَ ظَنُّهُمُ

مَا أَبْعَدَ ٱلصِّدْقَ مِنْ ظَنٍّ تُكَذِّبُهُ ... زُرْقُ ٱلْأَسِنَّةِ وَٱلْهِنْدِيَّةُ ٱلْخُذُمُ[4]

وَخَيَّبَ[5] ٱبْنَ حَبِيبٍ خَادِعًا فَوَهَى ... جَارُ ٱلذَّلِيلِ عَلَى ٱلْعِلاَّتِ مُهْتَضَمُ

حَتَّى نَحَاكَ[6] عَلَى كُرْهٍ يَسِيرُ بِهِ ... أَقَبُّ لَمْ يَدْرِ مَا ٱلْإِعْيَاءُ وَٱلسَّأَمُ

تَسُوقُهُ ٱلرِّيحُ حَثًّا وَهْوَ يَسْبِقُهَا ... وَيُفْرَجُ ٱلْمَوْجُ عَنْهُ وَهْوَ يَلْتَطِمُ

---

(١) فكافحا (ع) و (م)

(٢) ما لم (ل)

(٣) يريد بمذل بن باديس : المعز بن باديس الصنهاجي صاحب إفريقية وما والاها من بلاد المغرب الذي قطع خطبة الفاطميين من بلاده وخطب للخليفة العباسي القائم بأمر الله . وفي هذا المعنى يقول ابن حيُّوس أيضاً في مدح اليازوري :

وكان يُسمَّى معزّاً فمذ ... تحدَّيتَه صار يُدعى مُذَلْ

ص (٤٩٠)

(٤) لم يرد هذا البيت إلا في (ل)

(٥) وحيث جا ابن حبيب ... ؟ (ع) و (م)

(٦) حتى يخال ؟ (ع) و (م)

وَمَا أُسْتَجَاشَ نَصِيراً نُطْقُهُ كَذِبٌ إِلاَّ لِيُمْطَى بَعِيراً خَلْقُهُ عَمَمُ
عَلَى الْجُيُوشِ مُطِلاًّ لاَ لِتَكْرِمَةٍ وَمَا رَأَيْتُ عُلُوًّا قَبْلَهُ يَصِمُ
يَرَى وَيَسْمَعُ مَا خَيْرٌ لِنَاظِرِهِ وَسَمْعِهِ مِنْهُمَا الْإِعْمَاءُ وَالصَّمَمُ
وَمَا أَرَاكَ بِمَا قَدْ كَانَ مُقْتَنِعاً حَتَّى يَبِيدَ(١) الْهِلاَلِيُّونَ كُلُّهُمُ
فِعْلَ الصُّلَيْحِيِّ(٢) بِالْجَيْشَانِ(٣) مُزْدَلِفاً بِرَايَتَيْكَ فَمَا زَلَّتْ بِهِ قَدَمُ
لَمَّا سَقَى الْأَرْضَ غَيْثاً مِنْ دِمَائِهِمُ لاَ تَدَّعِي مِثْلَهُ فِي سَحِّهَا الدِّيَمُ
يَوْمَ اقْتَضَتْ دَيْنَ دِينٍ أَنْتَ نَاصِرُهُ ظُبَى مَوَارِدُهَا الْأَعْنَاقُ وَالْقِمَمُ
وَقَائِعٌ لَبِسَ الْحَقُّ الشَّبَابَ بِهَا مِنْ بَعْدِ أَنْ قِيلَ قَدْ أَوْدَى بِهِ الْهَرَمُ
وَلاِبْنِ بَادِيسَ يَوْمٌ مِنْكَ تَرْقُبُهُ بِيضُ الصَّوَارِمِ إِنْ لَمْ يُبْرِهِ(٤) السَّقَمُ
يَرُوقُهُ صَبْرُهُ فَامْتَازَ(٥) مُعْتَصِماً لَوْ أَنَّ صَبْرَةَ(٦) مِنْ ذَا الْعَزْمِ مُعْتَصَمُ

---

(١) تبيد (ع) و (م)
(٢) الصليحي : هو أبو الحسن علي بن محمد الصليحي القائم في اليمن بدعوة المستنصر . انظر وفيات الأعيان (ج ١ ص ٤٦٥).
(٣) جَيْشان : مخلاف باليمن.
(٤) كذا ولعلها (يبرأ)
(٥) فامتار (ل)
(٦) صبرة : بلد قريب من مدينة القيروان وتسمى المنصورية كما في معجم البلدان . وفي صبرة ولد المعز بن باديس (وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣٨)

وَأَمَّ (١) مُرْسَلُهُ بَغْدَادَ مُنْتَجِعاً | حَمَّالَةَ (٢) الضَّيْمِ فِي سُلْطَانِهِ وَصَمُ
فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا رَامَ صَاحِبُهُ | فَعَاضَهُ مِنَحاً (٣) وِجْدَانُهَا عَدَمُ
وَعَادَ تَحْتَ ظَلَامِ اللَّيْلِ مُسْتَتِراً | حَتَّى أَذَاعَ (٤) مَلِيكُ الرُّومِ سِرَّهُمُ (٥)
يَرْجُو الرِّضَى مِنْكَ فِي إِخْفَارِ ذِمَّتِهِ | وَفِي رِضَاكَ لَعَمْرِي تُخْفَرُ الذِّمَمُ
لَقَدْ بَغَى نَصْرَ قَاصٍ قَصَّرَتْ يَدُهُ | عَنْ نَصْرِ مَنْ دَارُهُ مِنْ دَارِهِ أَمَمُ
وَمَنْ أَبُوهُ عَلِيٌّ لَا يُنَازِعُهُ | مِيرَاثَ أَحْمَدَ بَاغٍ (٦) عَمُّهُ قُثَمُ
قَدِ انْطَوَى زَمَنٌ عَزَّ الضَّلَالُ بِهِ | فَفَاتَ آلَ رَسُولِ اللهِ حَقُّهُمُ (٧)
وَلَوْ تَوَلَّيْتَ أُولَى الدَّهْرِ أَمْرَهُمُ | لَمْ يَهْتَضِمْ وَلَدَ الزَّهْرَاءِ مُهْتَضِمُ
وَلَمْ تَصِلْ (٨) غِيَرُ الْأَيَّامِ عَادِيَةً | فَالْبُطْلُ (٩) مُدَّعَمٌ وَالْحَقُّ مُدَّغَمُ

---

(١) ودام ؟ (ل)
(٢) لحمًا له ؟ (ل)
(٣) منجأ وجدانه ؟ (ل)
(٤) حتى بدا بمليك ... (ع) و (م)
(٥) لما خطب المعز بن باديس للخليفة العباسي القائم بأمر الله وردت عليه الخلع والتقليد وأرسل اليه سيف وفرس وأعلام على طريق القسطنطينية .
« الكامل لابن الاثير ج ٩ ص ١٨٠ »
(٦) جده (ل) وقُثَم : هو قثم بن العباس بن عبد المطلب استشهد بسمرقند سنة ٥٧ . وهو عم الخلفاء العباسيين .
(٧) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٨) ولم تصر (ع) و (م)
(٩) فالبطل مدغم والحق مدعم (ل)

حَوَادِثٌ وَرَّثَتْ مَرْوَانَ ظَالِمَةً ... خِلاَفَةً لَمْ يُخَلِّفْهَا لَهُ الْحَكَمُ (١)

وَعَاوَدَتْ بِبَنِي الْعَبَّاسِ قَاهِرَةً ... بَنِي أُمَيَّةَ حَتَّى زَالَ مُلْكُهُمُ

حَتَّى إِذَا أَقْلَعَتْ عَنْ جَوْرِهَا (٢) عَقَدَتْ ... مِنْ ذِي الأَمَانَةِ (٣) عَقْدًا لَيْسَ يَنْفَصِمُ

وَأَيَّدَ اللهُ بِالْمَيْمُونِ طَائِرُهُ ... هٰذَا الإِمَامَ فَقَدْ دَانَتْ لَهُ الأُمَمُ

بِعُذْرِكَ وَهْوَ لِلْهَيْجَاءِ مُعْتَزِلٌ ... مَا لَمْ يَنَلْهُ سِوَاهُ وَهْوَ مُعْتَزِمُ

يَقْظَانُ يُحْبَسُ مِنْ أَلْحَاظِهِ (٤) النَّفَسُ الْـ ... جَارِي وَتُقْبَسُ مِنْ أَلْفَاظِهِ الْحِكَمُ

لَمَّا انْتَضَاكَ لِنَصْرِ الدِّينِ شَارِعُهُ ... كُنْتَ الْحُسَامَ بِهِ الأَدْوَاءُ تَنْحَسِمُ

خَيْلٌ مِنَ الرَّأْيِ فِي الآفَاقِ جَارِيَةٌ (٥) ... يَشُدُّهَا الْحَزْمُ يَوْمَ الرَّوْعِ لاَ الْحُزُمُ

تَرُوعُ (٦) كُلَّ عَدُوٍّ وَهْيَ صَافِنَةٌ ... فَمَا يُظَنُّ بِهَا إِنْ آنَ مُقْتَحَمُ

حَمِيَّةٌ أَفْنَتِ الْمُرَّانَ تَنْصُرُهَا ... تَقِيَّةٌ زَالَ فِيهَا (٧) الشَّكُّ وَالْوَهَمُ

تَعْلُو بِهَا وُزَرَاءٌ أَنْتَ سَيِّدُهُمْ ... كَمَا سَمَا أَصْفِيَاءٌ أَنْتَ تَاجُهُمُ (٨)

(١) مروان بن الحكم : أول خلفاء بني مروان بويع بالخلافة بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة ٦٤ وتوفي سنة ٦٥ .

(٢) حوزها ؟ (ع) و (م)

(٣) لعلها (الإمامة)

(٤) ألفاظه (ل)

(٥) جائلةٌ (ل)

(٦) يرتاع كل عنيدٍ وهي صافنةٌ ... فما يظن بها إبَّانَ تَقتحمُ (ل)

(٧) عنها (ع) و (م)

(٨) من ألقاب اليازوري : سيد الوزراء تاج الأصفياء (الإشارة ص ٤٠)

هُوَ الْبِنَاءُ الَّذِي طَالَتْ دَعَائِمُهُ ... فَمَا بَنَى مِثْلَهُ عَادٌ وَلاَ إِرَمُ (١)

وَالْمَكْرُمَاتُ الَّتِي تَهْوَى بِهِنَّ نَدًى ... مَا حَاتِمٌ مِنْهُ فِي شَيْءٍ وَلاَ هَرِمُ (٢)

أَرْبَى عَلَى بَاذِلِ الْكُومِ الْعِشَارِ قِرًى ... مَنْ جُودُهُ النِّعَمُ الْمُسْنَاةُ لاَ النَّعَمُ

إِنْ هَاشِمٌ خُزِلَتْ (٣) يَوْماً فَلاَ عَرَبٌ ... تُقَارِبُ الْأَزْدَ فِي مَجْدٍ وَلاَ عَجَمُ

هُمُ الْأُلَى نَشَرَتْ أَفْعَالُهُمْ لَهُمُ ... مَنَاقِباً عَجَزَتْ عَنْ مِثْلِهَا الْقِدَمُ

وَأَنْتَ وَالْحَقُّ بَادٍ غَيْرُ مُكْتَتَمٍ ... أَعْلَى الْفُرُوعِ الَّتِي طَالَتْ بِهَا الْجِذَمُ

مِنْ مَعْشَرٍ عُرِفُوا بِالْبَذْلِ إِنْ سُئِلُوا ... وَالْفَصْلِ (٤) إِنْ نَطَقُوا وَالْعَدْلِ إِنْ حَكَمُوا

أَرْبَابُ (٥) أَرْدِيَةٍ لاَ ظُلْمَ يَصْحَبُهَا ... يَوْماً وَأَرْدِيَةٍ (٦) تُجْلَى بِهَا الظُّلَمُ

فَمِنْ طَيَالِسَ لَمْ تَعْلَقْ بِهَا تُهَمٌ ... وَمِنْ صَوَارِمَ كَمْ رِيعَتْ بِهَا بُهَمُ

قَوْمٌ أَفَادُوا بِأَيَّامِ الْحَيَاةِ عُلًى ... تَضَاعَفَتْ بِكَ (٧) أَضْعَافاً وَهُمْ رِمَمُ

---

(١) عاد بن عوص بن إرَم : جد جاهلي قديم يقال إنه كان في بابل ورحل بولده وأهله إلى اليمن وكانت له ولبنيه من بعده حضارة وعناية بالعمران « الأعلام »

(٢) حاتم الطائي : يضرب بجوده المثل . وهَرِم بن سِنان المري كذلك .

(٣) خذلت (ل) والأزد : قبيلة ينتسب اليها الوزير اليازوري .

(٤) والفضل (ل)

(٥) أصحاب (ل)

(٦) الأردية : جمع رداء وهو ما يلبس فوق الثياب . والرداء ايضاً السيف .

(٧) منه (ع) و (م)

وَأَبْنَاكَ[١] مِنْ بَعْدُ أَوْفَى ٱلنَّاسِ كُلِّهِمُ ... قِسْماً إِذَا طَلَّتِ[٢] ٱلْعَلْيَاءُ تَقْتَسِمُ

مَلَكْتُمُ ٱلْفَخْرَ مُذْ كُنْتُمْ فَنَاشِئُكُمْ ... يَحْتَلُّ أَعْلَى ذُرَاهُ قَبْلَ يَحْتَلِمُ

تَبَارَكَ ٱللّٰهُ رَبُّ ٱلْخَلْقِ خَالِقُكُمْ ... مِنْ جَوْهَرٍ جَلَّ أَنْ تُلْفَى لَهُ قِيَمُ

سَعَيْتُ لِلْمَجْدِ مِنْ طُرْقٍ ضَلَلْتُ بِهَا ... وَذَاكَ وَٱلْمَجْدُ غُفْلٌ مَالَهُ عَلَمُ

وَهَا أَنَا ٱلْيَوْمَ لَا أَرْضَى ٱلْخُمُولَ وَلِي ... هٰذَا ٱلْمَقَامُ إِلَى ٱلتَّنْوِيهِ بِي لَقَمُ

سَلْ عِلْمَكَ ٱلْجَمَّ عَنِّي فَهْوَ يُخْبِرُنِي[٣] ... يُخْبِرْكَ أَنِّي لِسَانٌ وَٱلزَّمَانُ فَمُ

وَكَيْفَ أُغْضِي لِأَيَّامِي عَلَى دَخَلٍ ... أَنَّى وَأَنْتَ عَلَى ٱلْأَيَّامِ مُحْتَكِمُ[٤]

وَمَا طَلَبْتُ ٱلْغِنَى حَتَّى عَمَمْتَ بِهِ ... وَكَانَ مِثْلُكَ[٥] هَيْنَاً عِنْدَهُ ٱلْعَدَمُ[٦]

تَحَرَّزَ ٱلْمَجْدُ حَتَّى قَالَ طَالِبُهُ ... أَمَاتَهُ ٱلدَّهْرُ أَمْ أَمَّاتَهُ عُقُمُ

أُرِي ٱلتَّجَمُّلَ أَعْدَائِي[٧] فَأَعْيُنُهُمْ ... تُسِيغُهُ ثُمَّ تَأْبَاهُ قُلُوبُهُمُ

كَخَاضِبٍ وَٱللَّيَالِي غَيْرُ آلِيَةٍ ... تُذِيعُ مِنْ شَيْبِهِ مَا يَكْتُمُ ٱلْكَتَمُ

---

(١) وانتال ؟ (ع) و (م) . وابنا الوزير اليازوري هما : خطير الملك وصفي الملك . (انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)

(٢) إذا رتب العلياء (ع) و (م)

(٣) كذا ولعلها (فهو أَخْبَرُ بي)

(٤) تحتكم (ل)

(٥) قبلك (ل)

(٦) العرم (ع) و (م)

(٧) أعداني (ع) (م)

سِمْنِي بِمِيسَمِ نُعْمَاكَ ٱلَّتِي غَمَرَتْ غَيْرِي فَمَا تُغْفِلُ ٱلْأَيَّامُ مَنْ تَسِمُ
أَرُومُ تَرْكَ دِمَشْقٍ ثُمَّ يَجْذُبُنِي حَرَّى قُلُوبٍ بِهَا لاَ مَاؤُهَا ٱلشَّبِمُ
وَحَيْثُ كُنْتُ فَإِنِّي نَاظِمٌ عُمُرِي لِذِي ٱلْمَعَالِي عُقُوداً دُرُّهَا ٱلْكَلِمُ
أَنْأَى إِذَا مَا ٱنْقَضَتْ مَشْكُورَةً خِدَمِي حِيناً وَأَدْنُو إِذَا مَا عَنَّتِ ٱلْخِدَمُ
لِلّٰهِ عَصْرُكَ مَا أَوْفَى مَحَاسِنَهُ كَمْ يَقْظَةٍ فِيهِ خِلْنَا أَنَّهَا حُلُمُ
بَقِيتَ مَا كَرَّتِ ٱلْأَيَّامُ مُغْتَنِماً شُكْرَ ٱلْوَرَى وَلَدَيْكَ ٱلْفَوْزُ مُغْتَنَمُ
وَلاَ خَلاَ مِنْكَ مَا جَلَّى ٱلدُّجَى فَلَقٌ دَهْرٌ بِكَ ٱنْكَشَفَتْ عَنْ أَهْلِهِ ٱلْغُمَمُ(١)

١٠٨

وقال أيضاً (٢)

وَلِي مَوْلًى أَسَاءَ فَلَمْ أَسِمْهُ بِمِيسَمِ مَنْ أَسَاءَ وَلَمْ أُسِمْهُ
وَقَدْ عَجِبَ ٱلْوَرَى وَٱللّٰهُ يُبْقِي لِيَ ٱلْإِحْسَانَ مِنْ عَدْلِي وَظُلْمِهْ
أُعَرِّضُ بالمال (٣) وَمَا جَنَاهُ فَيَمْزُجُهُ وَيَأْخُذُنِي بِجُرْمِهْ
وَيَحْسِبُنِي أَخَذْتُ ٱلْمَطْلَ عَنْهُ فَهَا أَنَا ضَارِبٌ فِيهِ بِسَهْمِهْ
فَلاَ تَرْكَنْ إِلَى صَبْرِي وَمَيْلِي عَلَى نَفْسِي وَلَوْ كُنْتُ ٱبْنَ أُمِّهْ
فَقَدْ يَعْدُو ٱلْحَمِيمُ عَلَى أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُ ٱبْنُ عَمِّهْ

---

(١) الظلم (ل)
(٢) لم ترد هذه القطعة في (ل)
(٣) كذا في الأصل بدون نقط ولعلها (بالمطال)

١٠٩

وقال يمدح أمير الجيوش (١)

مَا مُرْتَقَـاكَ عَلَى مَنْ رَامَهُ أَمَمُ فَلْتَسْلُ عَنْ نَيْلِ مَا أُوتِيتَهُ الْأُمَمُ (٢)

وَلْيَيْأَسُوا رمـةً (٣) كانَتْ مُؤَهَّلَةً لِـهِمَّةٍ مَا اهْتَدَتْ فِي طُرْقِها الْهِمَمُ

فَمَا تَحُطُّ مَطَايا الْمَجْدِ أَرْحُلَها إلاَّ بِحَيْثُ أَنَاخَ الْبَأْسُ وَالْـكَرَمُ

وَإِنَّ أَوْلَى الْوَرَى بِالْأَمْرِ أَوْفَرُهُمْ قِسْماً إِذَا ظَلَّتِ الْأَخْطَارُ تُقْتَسَمُ

وَمَنْ أَحَقُّ بِمُلْكِ الْأَرْضِ مِنْ مَلِكٍ بِسَيْفِهِ انْـكَشَفَتْ عَنْ أَهْلِهَا الْغُمَمُ

عَدْلَ الْقَضِيَّةِ يُمْضِي وَهْوَ مُطَّرِحٌ ثَوْبَ الْحَيَاءِ وَيَنْدَى وَهْوَ مُحْتَشِمُ

أَغَرُّ لَوْ وَهَبَ الدُّنْيا بِأَجْمَعِها لَمَا تَتَبَّعَهَـا مَنٌّ وَلَا نَدَمُ

وَرُبَّ عَفْوٍ إِذَا لاَذَ الْجُنَـاةُ بِهِ أَنْسَاهُمُ بِجَمِيلِ الصَّفْحِ مَا اجْتَرَمُوا

وَذِي يَدٍ تَلِدُ النُّعْمَى فَإِنْ قَصَدَتْ كَيْدَ الْعَدُوِّ فَمِنْ أَوْلَادِهَا الرَّقِمُ (٤)

سَيْفَ الْإِمَامِ بِكَ ازْدَادَ الْهُدَى وَضَحاً وَفِيكَ كَادَتْ تُغَطِّي نُورَها الظُّلَمُ ؟

---

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٢) لم ترد هذه القصيدة كلها في (ل)

(٣) كـذا في الأصل ولعلها (رتبةً)

(٤) الرَّقِم : الداهية .

وَمُذْ دَعَاكَ إِمَامُ ٱلْعَصْرِ عُدَّتَهُ ... ذَلَّ ٱلْعِدَى فَأَزَالَ ٱلْحَقُّ إِفْكَهُمُ

قَدْ كَانَ مُتَّهَمًا صَرْفُ ٱلزَّمَانِ وَمُذْ ... وَفَى بِقُرْبِكَ لَمْ تَعْلَقْ بِهِ ٱلتُّهَمُ

وَغَيْرُ مُسْتَوْجِبٍ ذَمَّ ٱلْوَرَى زَمَنٌ ... أَيَّامُهُ لَكَ فِيمَا تَشْتَهِي خَدَمُ

ثَبَّتَّ وَطْأَةَ دِينِ ٱللهِ مُعْتَصِماً ... بِاللهِ مِنْ بَعْدِ مَا زَلَّتْ بِهِ ٱلْقَدَمُ

لَقَدْ نَهَضْتَ بِعِبْءٍ فِي حِمَايَتِهِ ... لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ رَضْوَى وَلَا إِضَمُ(١)

بِهِمَّةٍ لَوْ أَرَادَ ٱلْعُصْمَ صَاحِبُهَا ... لَمْ يَحْمِهَا فِي ذُرَى ٱلْأَطْوَادِ مُعْتَصَمُ

وَعَزْمَةٍ مُذْ أَلَمَّتْ بِٱلشَّآمِ بَنَتْ ... دُونَ ٱلْخِلَافَةِ سُوراً لَيْسَ يَنْهَدِمُ

وَطَالَمَا عَرَّسَتْ فِي أَرْضِهِ فِتَنٌ ... تَشِيبُ مِنْهَا قُلُوبُ ٱلْخَلْقِ لَا ٱللِّمَمُ

وَرُبَّ جَيْشٍ إِذَا سَالَ ٱلْفَضَاءُ بِهِ ... رَأَيْتَ فِيهِ جِبَالَ ٱلْأَرْضِ تَصْطَدِمُ

بَحْرٌ فَإِنْ عَسَلَتْ فِيهِ ٱلرِّمَاحُ أَرَتْ ... أَمْوَاجَ بَحْرِ ٱلْمَنَايَا كَيْفَ تَلْتَطِمُ

لِخَيْلِ فُرْسَانِهِ مِنْ طَعْنِ مَا لَقِيَتْ ... بَرَاقِعٌ وَلَهُمْ مِنْ نَقْعِهَا لُثُمُ

ثَنَاهُ بَأْسُكَ فَٱنْصَاعَتْ كَتَائِبُهُ ... كَأَنَّ آسَادَهَا مِنْ ذِلَّةٍ نَعَمُ

عَنَتْ حُمَاةُ بُيُوتِ ٱلشِّعْرِ رَاغِمَةً ... مُذْ طُنِّبَتْ لَكَ فِي أَوْطَانِهَا ٱلْخِيَمُ

وَكَمْ لَهُمْ مَوْقِفٌ جَالَ ٱلْحِمَامُ بِهِ ... لَوْ كَانَ غَيْرُكَ فِيهِ ٱلْخَصْمَ مَا خُصِمُوا

وَكَمْ لَقُوا فِيكَ يَوْماً أَيْوَماً خَلَقَتْ ... فِيهِ ٱلسَّنَابِكُ لَيْلاً جَنَّهُ ٱلْخَدَمُ؟

لَيْلاً إِذَا غَطَّتِ ٱلْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهُ ... كَانَتْ مَصَابِيحَكَ ٱلْهِنْدِيَّةُ ٱلْخُذُمُ

---

(١) رَضْوَى : جبل بالمدينة . وإِضَم : جبل بين اليمامة وضريّة .

مَنَعتَ آسَادَهُمْ قَسْراً فَرَائِسَهَا ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ أَنْ تَنْبُو بِهَا الْأَجَمُ
وَمَا تَظَلُّ قَنَاةُ الْعِزِّ قَائِمَةً ... إِلاَّ بِحَيْثُ الْقَنَا الْخَطِّيُّ يَنْحَطِمُ
وَإِنْ تَكُنْ نَارُ تِلْكَ الْحَرْبِ قَدْ خَمَدَتْ ... فَإِنَّهَا فِي قُلُوبِ الْقَوْمِ تَضْطَرِمُ
عَنْ هَيْبَةٍ سَكَنَتْ أَحْشَاءَهُمْ فَقَضَتْ ... أَنْ يَقْفِلَ الْجَيْشُ عَنْهُمْ وَهْوَ عِنْدَهُمُ
عَضَّتْ رُؤُوسَهُمُ بَعْدَ الْجِمَاحِ ظُبىً ... عَلَى الْمَوَارِنِ مِنْ آثَارِهَا حِكَمُ (١)
بِيضٌ إِذَا فَارَقَتْ فِي يَوْمِ مَعْرَكَةٍ ... أَغْمَادَهَا فَارَقَتْ أَجْسَادَهَا الْقِمَمُ
وَلَوْ تَوَخَّيْتَ إِعْنَاتَ الْمُذِمِّ (٢) لَهُمْ ... لَمْ يَرْضَ سَيْفُكَ حَتَّى تُخْفَرَ الذِّمَمُ
لَوَ انَّهُمْ جَاوَزُوا الْجَوْزَاءَ مَا امْتَنَعُوا ... مِنْ ذِي الْعِتَاقِ الْمَذَاكِي أَنْ تَدُوسَهُمُ
ذَرْهُمْ وَنُصْرَةَ مَنْ لاَذُوا بِعَقْوَتِهِ (٣) ... فَقَدْ وَهَتْ عَرَبٌ بِالرُّومِ تَعْتَصِمُ
أَرَى لَيَالِيَ مَنْ أَدْنَيْتَهُ زُهُراً ... كَمَا لَيَالِيَ مَنْ أَقْصَيْتَهُ سُحُمُ
إِنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَهُمْ قُرْبَى فَبَيْنَهُمُ ... مِنَ الْمُسَاوَاةِ فِي خَوْفِ الرَّدَى رَحِمُ
غَاضَتْ دِمَاؤُهُمُ خَوْفاً فَلَوْ شَرَعَتْ ... فِيهِمْ رِمَاحُكَ لَمْ يَعْلَقْ بِهِنَّ دَمُ
وَلَوْ أَرَدْتَ لَأَغْرَيْتَ التُّرَابَ بِهِمْ ... فَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ فِي الْأَرْضِ مُنْهَزَمُ
لٰكِنْ جَرَيْتَ عَلَى رَسْمٍ ظَلِلْتَ بِهِ ... فِي الْعَفْوِ مُلْتَزِماً مَا لَيْسَ يُلْتَزَمُ

(١) لعلها (خُطُمُ) جمع خطام وهي السمة على أنف البعير .
(٢) المُذِلّ (م)
(٣) العَقْوَةُ : ما حول الدار والساحة والمحلة .

وَمُذْ رَأَيْتُكَ تُولِي ٱلْعَفْوَ كَافِرَهُ ... عَلِمْتُ أَنَّكَ بِٱلْإِنْعَامِ تَنْتَقِمُ

عِلْماً بِأَنَّ ٱلَّذِي عُوِّدْتَ نُصْرَتَهُ ... يُحِيقُ بِٱلْكَافِرِي نُعْمَاكَ كُفْرَهُمُ

وَٱلرُّومُ قَدْ أَيْقَنُوا لَا شَكَّ أَنَّهُمُ ... لَوْ سَاهَمُوكَ بِسَهْمٍ فِي ٱلْوَرَى سُهِمُوا

وَكَيْفَ تَطْمَحُ نَحْوَ ٱلْحَرْبِ أَعْيُنُهُمْ ... وَذِكْرُ بَأْسِكَ فِي أَفْوَاهِهِمْ لُجُمُ

وَلَوْ أَعَرْتَهُمُ أَلْبَابَهُمْ لَدَرَوْا ... أَنَّ ٱلَّذِي جَهِلُوا أَضْعَافُ مَا عَلِمُوا

إِنَّ ٱلْمُظَفَّرَ مَنْ مَا حَلَّ فِي بَلَدٍ ... إِلَّا تَحَمَّلَ عَنْهُ ٱلْخَوْفُ وَٱلْعَدَمُ

وَكَيْفَ تُظْلِمُ أَرْضٌ أَنْتَ سَاكِنُهَا ... نُوراً تَسَاوَتْ بِهِ ٱلْأَظْهَارُ[1] وَٱلْعَتَمُ

أَوْ تَشْتَكِي ٱلنَّاسُ إِمْحَالاً وَقَدْ فَعَلَتْ ... فِيهِمْ يَمِينُكَ مَا لَا تَفْعَلُ ٱلدِّيَمُ

وَأَيْنَ مِنْكَ حَياً يَحْيَا ٱلتُّرَابُ بِهِ ... أَنَّى وَأَنْتَ حَياً يَحْيَا[2] بِهِ ٱلنَّسَمُ

خَلَائِقٌ عَمَّتِ ٱلدُّنْيَا بِمَا نَسَلَتْ ... مِنَ ٱلْعَطَايَا وَأُمَّاتُ ٱلنَّدَى عُقُمُ

يُثْنِي بِآلَائِهَا مَنْ فِي ٱلْحَيَاةِ وَلَوْ ... تَسْطِيعُ[3] نُطْقاً إِذاً أَثْنَتْ بِهَا ٱلرِّمَمُ

وَأَيُّ بَارِقَةٍ لِلْمَجْدِ صَادِقَةٍ ... لَاحَتْ وَلَمَّا تَشِمْهَا هٰذِهِ ٱلشِّيَمُ

وَهَلْ تُسَاوِيكَ أَمْلَاكٌ مَضَوْا وَبَقُوا ... أَسْمَاؤُهُمْ فِي ٱسْمِكَ ٱلْمَشْهُورِ مُدَّغَمُ

مَنَاقِبٌ لَيْسَ تُحْصَى خَصَّ مَفْخَرُهَا ... بَنِي أَبِيكَ وَعَمَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمُ

فَمَا خَلَا عَرَبِيٌّ مِنْ مُفَاخَرَةٍ ... بِذِي ٱلْمَعَالِي وَإِنْ خُصَّتْ بِهَا ٱلْعَجَمُ

---

(١) الأظهار : جمع ظُهْر .

(٢) تحيا (ع)

(٣) يسطيع (ع)

فَاعْلُ الْوَرٰى بِمَسَاعٍ طَالَمَا اقْتَحَمَتْ إِلىٰ الْعُلَى غَمَرَاتٍ لَيْسَ تُقْتَحَمُ

وَاسْمَعْ لِحَاكِمَةٍ فِي الْقَلْبِ مُحْكَمَةٍ لَمْ يَسْتَمِعْ مِنْ زُهَيْرٍ مِثْلَهَا هَرِمُ (١)

وَإِنِّي لَجَدِيرٌ أَنْ أَطُولَ إِذَا أَصْبَحْتُ مُهْدِيَ تَاجٍ دُرُّهُ الْكَلِمُ

قَوْلٌ يُجَاوِزُ غَايَاتِ الْبَهَاءِ فَمَا تَزِيدُ فِي حُسْنِهِ الْأَوْتَارُ وَالنَّغَمُ

صَعْبُ الْقِيَادِ إِذَا أَرْعَيْتَهُ أُذُنًا عَلِمْتَ أَنِّي لِسَانٌ وَالزَّمَانُ فَمُ

وَأَيُّمَا بُغْيَةٍ تَنْأَىٰ عَلَى أَمَلِي وَذَا الْمَقَامُ إِلىٰ مَا أَبْتَغِي لَقَمُ

أَيَّامُنَا بِكَ أَعْيَادٌ وَأَشْهُرُنَا مِنْ كَثْرَةِ الْأَمْنِ فِيهَا أَشْهُرٌ حُرُمُ

فَاللهُ عَزَّ مُجِيبًا (٢) فِيكَ مُسْتَمِعٌ دُعَاءَ مَنْ ضَمَّهُ فِي أَمْنِكَ الْحَرَمُ

لَا خَابَ فِيكَ رَجَاءُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ صَحَّتْ بِعِزِّكَ دُنْيَاهُمْ وَدِينُهُمُ

وَدَامَ رَبْعُكَ مَأْهُولًا وَلَا بَرِحَتْ وَقْفًا عَلَيْكَ كَمَا تَمَّتْ بِكَ النِّعَمُ

*
* *

(١) زهير بن أبي سلمى المزني الشاعر المشهور . وهَرِم بن سنان المري ممدوحه .

(٢) مجيبٌ (م)

١١٠

وقال في محمود [١] بن نصر بن صالح وقد زلّت قوائم فرس كان تحته

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلسَّامِي ٱلَّذِي شَرُفَتْ ... بِهِ ٱلسُّعُودُ فَمَا خَلْقٌ يُلَايِمُهُ [٢]

حَاشَا لِأَشْقَرِكَ ٱلْمَيْمُونِ غُرَّتُهُ ... يَزِلُّ وَٱلْفَلَكُ ٱلدَّوَّارُ خَادِمُهُ

وَإِنَّمَا عَايَنَ ٱلْأَمْلَاكَ سَاجِدَةً ... إِلَىٰ عُلَاكَ فَلَمْ تَثْبُتْ قَوَائِمُهُ [٣]



(١) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣٦)

(٢) لم ترد هذه القطعة في (ل)

(تابع قافية الميم)

(٣) قال ابن حيّوس :

مَا أَطْيَبَ ٱلْعَيْشَ فِي ٱلتَّصَابِي ... لَوَ انَّ عَهْدَ ٱلصِّبَىٰ يَدُومُ

لَوْ كَانَ طِيبُ ٱلشَّبَابِ يَبْقَىٰ ... لَمْ يُبْلِهِ ٱلشَّيْبُ وَٱلْهُمُومُ

تاريخ الإسلام الكبير للذهبي نسخة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ١٢٨ الجزء الحادي عشر ورقة ٢٨٠ (مخطوط)

قافيـــة النـــون

١١١

وقال يمدح زيد (١) بن أحمد بن عجل كاتب ناصر الدولة بن حمدان

دَعُوا ٱلْقَوْلَ فِيمَنْ جَادَ مِنَّا وَمَنْ ضَنَّا ... فَلَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ أَسَأْتُمْ وَأَحْسَنَّا (٢)

بَلَى عَجَبٌ فِي ٱلْحَالَتَيْنِ رَجَاؤُنَا ... لَكُمْ لَيْتَهُ يَأْسٌ وَيَأْسُكُمُ مِنَّا

فَكُلٌّ رَأَى طُرْقَ ٱلْهَوَى غَيْرَ أَنَّكُمْ ... تَأَخَّرْتُمُ عَنْ قَصْدِهَا وَتَقَدَّمْنَا

وَقَدْ عَلِمَ ٱلتَّوْدِيعُ أَنَّ أَشَحَّنَا ... بِصَاحِبِهِ إِذْ جَدَّ أَسْمَحُنَا جَفْنَا

وَكَانَتْ دُمُوعُ ٱلْعَيْنِ بِيضاً كَغَيْرِهَا ... فَأَمَّا تَلَوَّنْتُمْ عَلَيْنَا تَلَوَّنَّا

فَلَا (٣) تُلْزِمُونَا مَيْنَ (٤) وَاشٍ وَشَى بِنَا ... خُذُوا ٱلْحَقَّ مِنَّا فِي ٱلْمَوَدَّةِ إِنْ مِنَّا

لَئِنْ كُنْتُ فِي ٱلْحُبِّ ٱلْمُضِرِّ بِمُهْجَتِي ... بِلَا جَسَدٍ مُضْنىً فَلِي حَسَدٌ (٥) مُضْنَى

كَذَاكَ (٦) إِذَا يَمَّمْتُ بِٱلرَّكْبِ مَنْزِلاً ... أَجَابَتْ دُمُوعِي قَبْلَ أَنْ أَسْأَلَ ٱلْمَغْنَى

---

(١) لم أطلع على ترجمة له .

(٢) لم يرد من هذه القصيدة في (ل) إلا (١٢) بيتاً من أولها وسقط الباقي وهو (٤٣) بيتاً .

(٣) ولا (ل)

(٤) وَشْيَ واشٍ (ع) و (م)

(٥) جسد (ع) و (م) ولعله « بلا حسدٍ مُضْنٍ فلي جسدٌ مضنى »

(٦) لذاك (مسالك الأبصار ج ١٠)

فَحَيَّا وَدَنَّا ٱللّٰهُ حَيًّا عَلَى ٱللِّوٰى ... بِحُبٍّ كَحِيلِ ٱلطَّرْفِ مِنْ سِرْبِهِ[1] دَنَّا
لَهُ نَظَرٌ[2] يَثْنِي ٱلعِدٰى عَنْ فَرِيقِهِ ... وَلاَ مُنْكَرٌ[3] لِلطَّعْنِ أَنْ يَمْنَعَ ٱلطَّعْنَا
وَرُبَّ جَمَالٍ فِتْنَتِي فِي ٱفْتِنَانِهِ ... فَلاَ زِلْتُ مَفْتُونًا وَلاَ زَالَ مُفْتَنَّا
تَحَقَّقْتُ أَنَّ ٱلْوَرْدَ يُجْنَى بِخَدِّهِ ... وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ ٱلْمَوْتَ مِنْ صَدِّهِ يُجْنَا
تَبَاعَدَ هَجْراً وَٱلدِّيَارُ قَرِيبَةٌ ... فَيَا طُولَ أَشْوَاقِي إِلَى ٱلأَبْعَدِ ٱلأَدْنَا[4]
وَنَفْسِي عَلَى ٱلعِلاَّتِ فِي ٱلقُرْبِ وَٱلنَّوٰى ... فِدَاءُ ٱلَّذِي مَنَّى زَمَانًا وَمَا مَنَّا
فَأَلاَّ ٱقْتَفٰى أَفْعَالَ زَيْدِ بْنِ أَحْمَدٍ ... مُكَمِّلُ مَا فِيهِ مِنَ ٱلْحُسْنِ وَٱلْحُسْنَا
فَكَمْ سُنَّةٍ مَأْثُورَةٍ سَنَّ فِي ٱلنَّدٰى ... وَكَمْ غَارَةٍ شَعْوَاءَ فِي مَالِهِ شَنَّا
رَأَى ٱلدَّهْرَ وَثَّابًا عَلَى كُلِّ مَا رَأَى ... وَأَخْنٰى عَلَى مَا حَازَ وَٱلدَّهْرُ مَا أَخْنَا
فَلَوْ سِيلَ عَنْ أَمْجَادِهِمْ مَنْ أَعَفُّهُمْ ... لِمَا فِي يَدَيْهِ قَالَ زَيْدٌ وَمَا ٱسْتَثْنَا
إِذَا عَنَّ مَجْدٌ كَانَ أَطْوَلَهُمْ يَداً ... وَإِنْ عَزَّ قَوْلٌ كَانَ أَحْضَرَهُمْ ذِهْنَا
يَرُوقُكَ مَرْأًى ثُمَّ يَسْتُرُ حُسْنَهُ ... فَتَلْقٰى مِنَ ٱلإِحْسَانِ مَا يَفْضُلُ ٱلْحُسْنَا
ضَمِيرٌ عَلَى غَيْرِ ٱلسَّلاَمَةِ مَا ٱنْطَوٰى ... وَقَلْبٌ إِلَى غَيْرِ ٱلْفَضَائِلِ مَا حَنَّا
جَدِيرٌ بِإِذْلاَلِ ٱلْخُطُوبِ إِذَا سَطَا ... عَلِيمٌ بِإِضْمَارِ ٱلْغُيُوبِ إِذَا ظَنَّا

(١) من سره (ل)
(٢) له نظرة تثني (ل)
(٣) للطعن أن يمنع الظعنا (ل)
(٤) من هذا البيت إلى آخر القصيدة ساقط من (ل)

إِذَا هُزَّ مَنْ يُرْجَى(١) لُهَاهُ فَعِنْدَهُ ... غُصُونُ ٱرْتِيَاحٍ لاَ تُهَزُّ وَلاَ تُحْنَا

أَيَا مُبْدِلَ ٱلْعَافِينَ مِنْ فَقْرِهِمْ غِنًى ... وَمِنْ ذُلِّهِمْ عِزًّا وَمِنْ خَوْفِهِمْ أَمْنَا

وَيَاذَا ٱلْعَطَايَا تَسْتَقِلُّ جَزِيلَهَا ... فَمَا تُتْبِعُ ٱلْمَنَّ ٱعْتِدَاداً وَلاَ مَنَّا

كَفَى ٱلنَّاسَ مِنْ عُلْيَاكَ قَوْمٌ غِنَاهُمُ ... فَقَرُّوا وَعَنِّي كَاذِبُ ٱلظَّنِّ مَنْ عَنَّا

هُمُ حَاوَلُوا ٱلْحَمْدَ ٱلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ ... بِكُلِّ فِعَالٍ يُوجِبُ ٱلذَّمَّ وَٱللَّعْنَا

فَفَازُوا مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي جُبْتَ لُجَّهُ ... إِلَى ٱلْحَمْدِ بِٱلْمَوْجِ ٱلَّذِي أَغْرَقَ ٱلسُّفْنَا

قَضَى ٱللهُ فِي ٱلدُّنْيَا لَهُمْ ذَمَّ أَهْلِهَا ... وَيَوْمَ ٱلْحِسَابِ لاَ يُقِيمُ لَهُمْ وَزْنَا

لِأَعْضَائِنَا(٢) شُغْلٌ لِمَجْدِكَ شَاغِلٌ ... عَنِ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا إِذَا ذِكْرُهُ عَنَّا

فَمِنْ نَاظِرٍ يَرْنُو وَمِنْ مِسْمَعٍ يَعِي ... وَمِنْ مِقْوَلٍ يُثْنِي وَمِنْ خِنْصَرٍ تُثْنَى

وَلَوْلَمْ يَضِحْ(٣) مَعْنَى ٱلنَّدَى بِكَ لِلْوَرَى ... لَكَانَ عَلَى عَادَاتِهِ ٱسْماً بِلاَ مَعْنَا

فَلاَ سَقَتِ ٱلْأَنْوَاءُ رَائِدَ نُجْعَةٍ ... رَأَى ٱلْغَيْثَ فِي كَفَّيْكَ وَٱنْتَجَعَ ٱلْمُزْنَا

وَإِنَّا لَمَفْضُولُونَ وَٱلْفَضْلُ بَيِّنٌ ... إِذَا نَحْنُ قِسْنَا مَا تَقُولُ بِمَا قُلْنَا

غَرَائِبُ فِكْرٍ لَمْ يُجَلْ قَطُّ مِثْلُهَا ... بِفِكْرٍ وَلَمْ يُتْحِفْ لِسَانٌ بِهَا أُذْنَا

يَرَى حَزْنَهَا سَهْلاً وَأَفْضَلُ مَنْ يَرَى ... وَإِنْ لَجَّ فِي ٱلدَّعْوَى يَرَى سَهْلَهَا حَزْنَا

---

(١) يرجو ؟ (م)

(٢) في الأصل (لاغضائنا)

(٣) في الأصل (يصح)

بَدائِعُ لَا تَدْرِي أَزَيْدٌ أَفادَها الْـ مَلاحَةَ أَمْ صَاغَ الْقَرِيضُ لَهَا لَحْنا
تُهَيِّجُ لِي الْأَطْرَابَ عِنْدَ سَماعِها إِلىٰ أَنْ نَظُنَّ أَنَّ مُنْشِدَها غَنّا
وَكَمْ أَخَذَتْ بِي فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ مَساعِيكَ لَمَّا رُمْتُ مِنْ وَصْفِها فَنّا
فَيا مَنْ حَبانِي الْفَضْلَ فِي بَعْضِ ما حَبا فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الْوَفْرَ أَيْسَرُ ما أَقْنا
تَجاوَزْ إِذَا أَخَّرْتُ مَدْحَكَ حِشْمَةً لِتَقْصِيرِهِ عَنْ كُنْهِ قَدْرِكَ لَا ضَنَّا
وَزَعْتُ رَجائِي عَنْ نَدَى كُلِّ باخِلٍ يُنَوِّلُ بِالْيُسْرٰى وَيَسْلُبُ بِالْيُمْنا
وَوَفَّرْتُ قِسْمِي مِنْ صَفاءِ مَوَدَّةٍ مَكانِي بِهَا الْأَعْلٰى وَحَظِّي بِهَا الْأَسْنا
إِذَا خِفْتُ كانَتْ لِي مِجَنًّا[1] مِنَ الرَّدٰى وَإِنْ رُمْتُ أَثْمارَ الْغِنٰى فَهْيَ لِي مَجْنا
وَإِنِّي مَتىٰ حاوَلْتُ سَيْبَكَ ظالِمٌ وَفِي[2] بَعْضِ مَا نَوَّلْتَنِي مِنْهُ مَا أَغْنا
فَجُدْ بِالْعَطايا عَنْ أَمانِيَّ عَمَّها جَمِيلُكَ لَا أَنِّي أَسَأْتُ بِكَ الظَّنّا
وَلٰكِنْ أَرٰى غَبْنًا لِمالِكَ أَخْذَهُ بِمَا فُقْتَنِي فِيهِ وما أَشْتَهِي الْغَبْنا
كَفاكَ الْإِلٰهُ فِي أَجَلِّ هِباتِهِ صُرُوفَ الرَّدٰى ما أَطْلَعَتْ دَوْحَةٌ غُصْنا
فَتًى يَمَّمَتْ أَفْعالُهُ الْمَجْدَ ناشِئًا إِلىٰ أَنْ عَلا فِي كَسْبِهِ مَنْ عَلا سِنّا
هُوَ الْأَبْيَضُ الصَّمْصامُ عَزْمًا وَهِزَّةً وَإِنْ كانَ يَحْكِي لَوْنُهُ الْأَسْمَرَ اللَّدْنا
سَمَتْ رُتْبَةُ الْأَيَّامِ مُنْذُ أَتَتْ بِهِ وَقَدْرُ الْمَعالِي مُنْذُ صارَ بِهَا يُكْنا

(١) نَجِيًّا (ع)
(٢) ففي (هامش م)

أَمِنَّا بِكَ الدَّهْرَ الْمَخُوفَ فَكُلَّمَا دَعَا لَكَ دَاعٍ بِالسَّلَامَةِ أَمَّنَّا
وَرُعْنَا بِكَ الْأَحْدَاثَ حَتَّى كَأَنَّمَا حَطَطْنَا عَلَى الْأَحْدَاثِ مِنْ يَذْبُلٍ رُكْنَا[1]
بَقِيتَ بِرَغْمِ الْحَاسِدِينَ مُؤَهَّلاً لِإِعْدَادِ مَا يَبْقَى وَإِنْفَادِ مَا يَفْنَى
مُطِلّاً عَلَى الدَّهْرِ الَّذِي أَنْتَ عَيْنُهُ وَمُسْتَخْدِماً فِيهِ السَّعَادَةَ وَالْيُمْنَا

١١٢

وقال يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدّة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين[2] الدّزبري ويهنيه بعيد الفطر من سنة خمس وعشرين وأربعمائة

إِدْرَاكُ وَصْفِكَ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ مَا لِلْمَقَالِ بِذَا الْفَعَالِ يَدَانِ[3]
قَدْ دَقَّ عَنْ فِكْرِ الْوَرَى وَتَحَيَّرَتْ فِيكَ الْعُقُولُ وَكَلَّ كُلُّ لِسَانِ
وَالْوَصْفُ مَا لا تَسْتَزِيدُ[4] بِهِ عُلَىً أَنَّى وَمَجْدُكَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
جَاوَزْتَ مَا لَمْ تَسْعَ فِي طُرُقَاتِهِ هِمَمٌ وَلَمْ تَطْمَحْ إِلَيْهِ أَمَانِي
وَأَبَانَ فَضْلُكَ لِلزَّمَانِ فَضِيلَةً تَبْقَى إِذَا دَرَسَتْ هِضَابُ أَبَانِ[5]

---

(١) يَذْبُل : جبل بنجد .
(٢) في الأصل (أبونشتكين) وهو تصحيف . انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٣) لم ترد هذه القصيدة في (ل) لسقوط أوراق من آخرها .
(٤) في الأصل (مالا نستزيد)
(٥) أبان : جبل بين فَيْد والنبهانية .

قَدْ كانَ مِنْ غُرَرِ ٱلْمَحَاسِنِ مُعْدِماً ... فَالْآنَ قَدْ أَفْضَى إِلَى ٱلْوِجْدَانِ

أَعْطَى ٱلرَّعِيَّةَ سُؤْلَهَا مِنْ عَدْلِهِ ... مَلِكٌ عَلَيْهَا بِٱلرِّعَايَةِ حَانِ

يُغْفِي وَلَيْسَ يَنَامُ نَاظِرُ دِينِهِ ... أَعْظِمْ بِهِ مِنْ نَائِمٍ يَقْظَانِ

فَإِذَا دَعَوْا وَتَضَرَّعُوا لَمْ يَسْأَلُوا ... إِلَّا إِدَامَةَ عِزِّ ذَا[1] ٱلسُّلْطَانِ

قَدْ كانَ هٰذَا ٱلشَّامُ نُهْزَةَ نَاكِثٍ ... حِيناً فَصَارَ أَعَزَّ مِنْ خَفَّانِ[2]

أَسْكَنْتَ مُقْفِرَهُ وَلَوْ لَمْ تَحْمِهِ ... لَخَلَتْ مَعَاقِلُهُ مِنَ ٱلسُّكَّانِ

مُذْ ظَلَّ فِي عَمَّانَ جَيْشُكَ نَازِلاً ... عَنَتِ ٱلْبَوَادِي مِنْ وَرَاءِ عُمَانِ[3]

عَنْ هَيْبَةٍ ضَمَّنْتَهَا إِذْ لَمْ تَزَلْ ... لِلعِزِّ أَوْفَى ضَامِنٍ بِضَمَانِ

أَلَّا يَقِرَّ ٱلنَّوْمُ فِي أَجْفَانِهِمْ ... حَتَّى تَقِرَّ ظُبَاكَ فِي ٱلْأَجْفَانِ

مَا زِلْتَ تُزْجِي مُزْنَةً فِي ضِمْنِهَا ... إِطْفَاءُ مَا شَبُّوا مِنَ ٱلنِّيرَانِ

حَتَّى تَرَكْتَ ظُنُونَهُمْ وَقُلُوبَهُمْ ... وَقْفاً عَلَى ٱلْإِخْفَاقِ وَٱلْخَفَقَانِ

مِنْ آخِذٍ بِعَضَلَّةٍ أَوْ عَائِذٍ ... بِعَذَلَّةٍ أَوْ عَائِذٍ بِأَمَانِ

بَيْنَ ٱلنَّبَاهَةِ وَٱلْخُمُولِ مَسَافَةٌ ... لَوْلَاكَ مَا بَعُدَتْ عَلَى حَسَّانِ[4]

---

(١) ذي السلطان (م)

(٢) خَفَّان : مأسدة قرب الكوفة .

(٣) عَمَّان بالفتح والتشديد : عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية . وعُمَان بضم أوله وتخفيف ثانيه : كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند .

« معجم البلدان »

(٤) هو حسان بن المفرِّج الطائي . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)

لَوْ لَمْ تَذُدْ عَنْهُ ٱلْإِمَارَةَ عَنْوَةً لَاُقْتَادَ مُصْعَبَهَا بِغَيْرِ حِرَانِ
لَيِّنَتَهُ وَلَوِيَّتَهُ فَتُرَاثُهُ بَيْنَ ٱللَّيَانِ يَضِيعُ وَٱللَّيَّانِ
وَسُطَاكَ تَأْبَىٰ أَنْ تَفُوزَ قِدَاحُهُ حَتَّىٰ يَفُوزَ لَدَيْكَ بِٱلْغُفْرَانِ
فَٱمْدُدْ عَلَيْهِ ظِلَّ رَأْفَتِكَ ٱلَّذِي يَجْنِي ثِمَارَ ٱلْعَفْوِ[1] مِنْهُ ٱلْجَانِي
فَمَتَىٰ يُسِرُّ ٱلْغَدْرَ مَنْ غَادَرْتَهُ حَيَّ ٱلْمَخَافَةِ مَيِّتَ ٱلْأَضْغَانِ
مُطِلَتْ[2] مَطَامِعُهُ بِمَا مَنَّيْتَهُ فَمَنِيَّتُهُ بِتَخَاذُلِ ٱلْأَعْوَانِ
مُذْ زَالَ مِيخَائِيلُ[3] عَنْ خُيَلَائِهِ زَلَّتْ بِطَالِبِ نَصْرِهِ ٱلْقَدَمَانِ
لَرَأَىٰ بِنَاظِرِ حَزْمِهِ لَمَّا رَأَىٰ أَلَّا سِلَاحَ لَدَيْكَ كَٱلْإِذْعَانِ
وَكَفَىٰ أُحْتِمَاءَ مُلْكَ قَيْصَرَ أَنَّهُ أَلْقَىٰ مَقَالِدَهُ إِلَىٰ خَاقَانِ
أَوْفَىٰ ٱلْبَرِيَّةِ نَائِلاً وَحَمِيَّةً فِي عَامِ مَسْغَبَةٍ وَيَوْمِ طِعَانِ
مَلِكٌ إِذَا مَا ٱمْتَاحَ أَرْوَاحَ ٱلْعِدَىٰ جَعَلَ ٱلْقَنَا عِوَضاً مِنَ ٱلْأَشْطَانِ
وَإِذَا ٱلْفَوَارِسُ أَمْكَنَتْ أَسْلَابُهَا لَمْ يُرْضِهِ سَلَبٌ مِنَ ٱلتِّيجَانِ
مَنْ كُنْتَ عُدَّتَهُ لِقَهْرِ عُدَاتِهِ ذَلَّ ٱلْبَعِيدُ لِعِزِّهِ وَٱلدَّانِي
بَأْسٌ لَوَ ٱنَّ ٱلْجَاهِلِيَّةَ رُوِّعَتْ بِشَبَاهُ مَا عَكَفَتْ عَلَى ٱلْأَوْثَانِ

(١) فيه (هامش ع)
(٢) هطلت (هامش ع و م)
(٣) ميخائيل : هو ملك الروم .

وَنَدًى إِذَا مَا الْغَيْثُ خَصَّ أَوَانُهُ عَمَّ الْأَنَامَ فَعَمَّ كُلَّ أَوَانِ

أَغْنَى الْخِلَافَةَ فِي ارْتِجَاعِ تُرَاثِهَا عَنْ كُلِّ مَاضِي الشَّفْرَتَيْنِ يَمَانِ

سَيْفٌ يَصُولُ بِأَلْفِ حَدٍّ فِي الْوَغَى وَلِكُلِّ عَضْبٍ بَاتِرٍ حَدَّانِ[1]

فَاقَ السُّيُوفَ وَأَيْنَ مَاسَلَّ الْوَرَى مِمَّا انْتَضَاهُ خَلِيفَةُ الرَّحْمٰنِ

لَوْ كُنْتَ لِلْمَاضِينَ مِنْ أَجْدَادِهِ لَمْ يَثْنِهِمْ دُونَ الْخِلَافَةِ ثَانِ

وَأَبَى لَهَا صِدْقُ اعْتِزَامِكَ لَا نَبَا عَنْ أَنْ تَدَاوَلَهَا بَنُو مَرْوَانِ

وَثَنَى بَنِي (....)[2] غَيْرَ مُدَافَعٍ عَنْ أَخْذِهَا بِالْإِفْكِ وَالْعُدْوَانِ

كَسَدَ النِّفَاقُ فَلَا نَفَاقَ لِأَهْلِهِ مُذْ صُلْتَ وَاشْتَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ

مَنْ ذَا يُرَوِّعُهُ وَبَأْسُكَ رِدْؤُهُ أَمْ أَيْنَ هَادِمُهُ وَأَنْتَ الْبَانِي

كَمْ ظُلْمَةٍ جَلَّيْتَهَا بِكَوَاكِبٍ يَطْلُعْنَ فَوْقَ عَوَامِلِ الْمُرَّانِ

وَقَّادَةٍ حَتَّى يَحِينَ غُرُوبُهَا فَتَغِيبَ بَيْنَ تَرَائِبِ الْفُرْسَانِ

---

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة ورد في (ع) على حدة ، بموضع بعيد غير ملحق بهذه القصيدة ، مسبوقاً بهذا العنوان : « ورأيت في نسخةٍ هذه القصيدةَ التي أولها : « إدراك وصفك ليس في الإمكان » . بعد ثمانية عشر بيتاً منها ، زيادة عشرة أبيات ، وبعد ثلاثة عشر بيتاً منها ، اختلاف إلى آخرها لا تطابق الأول فأثبتما في النسخة من الزيادة على نسق واحد . ولم نعلم هذا الاختلاف من تحريف الكتبة أم من اختلاف النسخ . وهذا أول الزيادة : سيفٌ يصولُ ... »

(٢) الكلمة المحذوفة هي (العباس) كما يقضي بذلك سياق الكلام .

وَلَئِنْ خبت تلك البَوارقُ فهي في ... نَظَرِ العَدُوِّ مُقِيمَةُ اللَّمعانِ[1]
وَ بِمُصْطَفى المُلْكِ المُظَفَّرِ أَصْحَبَتْ ... غُرُّ القَوافي بَعْدَ طُولِ حِرانِ
فَثَنَاؤُنَا مِمَّا يُنَوِّلُ وَهوَ مَحْـ ... سُوبٌ لَدَيْهِ بِأَوْفَرِ الأَثْمانِ
أَجْنَيْتَ رُوّادَ السُّؤالِ حَدائِقاً ... شَتَّى الفُنُونِ ظَلِيلَةَ الأَفْنانِ
بِلُهًى يُرَوِّضُ[2] ما أَظَلَّ سَحَابُها ... وَلَوَ أَنَّها مَرَّتْ عَلَى صَفْوانِ
وَلَطالَما أَغْنَيْتَ غَيْرَ مُشَارِكٍ ... عَنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بِصَوْبِ بَنانِ
وَفَلَلْتَ غَرْبَ كَتِيبَةٍ بِطَلِيعَةٍ ... وَشَفَعْتَ بِكْرَ صَنِيعَةٍ بِعَوانِ
فَاسْلَمْ فَكُلُّ الدَّهْرِ أَعْيادٌ لَنَا ... مَا دُمْتَ فِي أَمْنٍ مِنَ الحَدَثانِ
يَا مَنْ إِذَا عَطِشَتْ رُبُوعِي جادَها ... وَإِذَا شَكَوْتُ مُلِمَّةً أَشْكانِي
دَعْ لِلْمَناقِبِ بَعْضَ سَعْيِكَ حائِزاً ... وَانْظِمْ جَواهِرَها أَبَا الفِتْيانِ
فَهُوَ المُسَيِّرُ كُلَّ بَيْتٍ شارِدٍ ... لا يَسْتَطِيعُ مَسِيرَهُ القَمَرانِ
فِي كُلِّ مُعْوِزَةِ النَّظائِرِ طالَما ... عَامَتْ وَسَاحَتْ فِي بِحارِ مَعانِ
يُضْحِي بِمَا تَوَّجْتَها[3] يَاقُوتُها ... أَوْلَى مِنَ اليَاقُوتِ وَالعِقْيانِ
خَفَّتْ عَلَى الأَفْواهِ حَتَّى لا نَبَرَتْ ... تَحْدُو الرِّكابُ بِهَا مَعَ الرُّكْبانِ
لَمَّا اعْتَمَدْتُكَ بِالقَرِيضِ أَطاعَنِي ... وَلَوِ اعْتَمَدْتُ بِهِ سِواكَ عَصانِي

---

(١) بين هذا البيت والذي يليه ورد في (ع) ما نصه : (وبعدُ الثلاثة عشر بيتاً وبعدها الى آخرها)

(٢) رَوَّضَ المطرُ الأرضَ : جعلها كالروض .

(٣) توجته (ع)

١١٣

وقال أيضاً (١)

بِجِيدِ عُلاكَ مَدْحِي كُلَّ آنٍ ... يَلُوحُ كَأَنَّهُ عِقْدُ ٱلْجُمَانِ

وَلَوْ لَمْ يَنْظِمِ ٱلشُّعَرَاءُ مَدْحاً ... لَكُمْ أَغْنَتْكُمُ سُوَرَ ٱلْقُرَانِ

وَفِي ضِمْنِ ٱلصَّلَاةِ لَكُمْ صَلَاةٌ ... فَلَاحٌ (٢) فِي ٱلْإِقَامَةِ وَٱلْأَذَانِ

أَلَسْتَ ٱبْنَ ٱلَّذِي قَهَرَ ٱلْأَعَادِي ... وَذَادَ بِرَأْيِهِ غِيَرَ ٱلزَّمَانِ

وَرَوَّعَ كُلَّ صَاحِبِ مَشْرَفِيٍّ ... مَرُوعٍ وَهْوَ صَاحِبُ طَيْلَسَانِ

وَشَاعَ إِبَاؤُهُ فِي ٱلنَّاسِ حَتَّى ... تَنَاذَرَهُ (٣) ٱلْأَقَاصِي وَٱلْأَدَانِي

إِذَا ٱلْهَيْجَاءُ هَاجَتْهُ رَأَتْهُ ... مَلِيّاً بِٱلضِّرَابِ وَبِٱلطِّعَانِ

لَهُ فِي ٱلصُّبْحِ فَرْسَةُ لَيْثِ غَابٍ ... وَتَحْتَ ٱللَّيْلِ نَهْشَةُ أُفْعُوَانِ

وَلَمَّا غَابَ عَنَّا نُبْتَ عَنْهُ ... كَمَا نَابَ ٱلْحُسَامُ عَنِ ٱلسِّنَانِ

وَإِنْ كَانَتْ خِلَالُ ٱلنَّاسِ شَتَّىٰ ... فَمَا ٱلْعَلْيَاءُ إِلَّا فِي ثَمَانِ

إِقَالَةِ عَاثِرٍ وَغِنىً (٤) فَقِيرٍ ... وَنَيْلِ مُمَنَّعٍ وَفَكَاكِ عَانِ

وَأَمْنٍ لَمْ يُشَبْ بِعَذِيقِ خَوْفٍ (٥) ... وَمَنٍّ لَمْ يُكَدَّرْ بِٱمْتِنَانِ

---

(١) لم ترد هذه القصيدة إلا في (ع)
(٢) في الأصل (وفلاحٌ)
(٣) في الأصل (تنادره)
(٤) في الأصل (وغنا فقرٍ)
(٥) في الأصل (وأمن لم يشب يوماً بمنٍّ) ثم صحح على الهامش .

وَبَذْلِ ٱلرُّعْبِ فِي عَاصٍ وَبَاغٍ وَبَسْطِ ٱلْعَدْلِ فِي قَاصٍ وَدَانِ
صِفَاتٌ كَمَّلَتْ لَكَ مُؤْذِنَاتٌ بِأَنَّكَ فِي ٱلْكِرَامِ بِغَيْرِ ثَانِ
وَأَنَّ ٱلْمَجْدَ مَا تُولِيهِ لَا مَا يُحَدِّثُهُ فُلَانٌ عَنْ فُلَانِ
رَأَيْنَا مِنْكَ مَا لَمْ يُرْوَ عَنْهُمْ فَأَغْنَيْنَا ٱلسَّمَاعَ لَدَى ٱلْعِيَانِ
خَفُوا لَمَّا ظَهَرْتَ كَذَاكَ يَخْفَى بِضَوْءِ ٱلشَّمْسِ نُورُ ٱلزِّبْرِقَانِ[1]
وَقَهْرُكَ مَنْ أَخَافَ ٱلنَّاسَ قِدْمًا كَفَاكَ تَطَاوُلًا فِي ذَا ٱلزَّمَانِ
فَمَا مِنْ عَالَمِ ٱلْغَبْرَاءِ عَادٍ وَلَا فِي ٱلْجَمَّةِ ٱلْخَضْرَاءِ جَانِ
لِأَنَّكَ مُنْذُ صِرْتَ لَهَا قَرِينًا بَدَا فِي ٱلْأَرْضِ تَأْثِيرُ ٱلْقِرَانِ
وَإِنْ[2] جَاوَزْتَ قَدْرَ ٱلْمَدْحِ حَتَّى لَأَصْبَحَ جَاهِدٌ فِيهِ كَوَانِ
وَإِنَّ حَدِيثَكَ ٱلسَّيَّارَ أَشْهَى إِلَى سَمْعِ ٱلطَّرُوبِ مِنَ ٱلْأَغَانِي
فِدَاؤُكَ كُلُّ ذِي عَرَضٍ عَزِيزٍ عَلَى ٱلرَّاجِي وَذِي عِرْضٍ مُهَانِ
وَأَمْلَاكٌ أَبَادُوا مَا أَبَادُوا مُضَاعًا فِي ٱلْقَنَانِي وَٱلْقِيَانِ
وَعَزَّ ٱلْخَيْرُ مِنْهُمْ فَٱلتَّعَازِي إِذَا بَطَشَ ٱلزَّمَانُ بِهِمْ تَهَانِي
لَقَدْ رَوَّى وِهَادِيَ وَٱلرَّوَابِي حَيًا قَبْلَ ٱنْتِجَاعِيهِ سَقَانِي
وَأَغْنَى بِٱلسَّوَارِي وَٱلْغَوَادِي رِيَاضَ ٱلْحَمْدِ عَنْ سُقْيَا ٱلسَّوَانِي

(١) الزِّبْرِقان : القمر ليلة تمامه .
(٢) لعلها (وقد) .

هَدَايَا وَاصَلَتْ فَظَنَنْتُ كِسْرَى ... وَأَيَّاماً كَيَوْمِ الْمِهْرَجَانِ
وَمَا شِينَتْ بِمَطْلٍ وَاقْتِضَاءٍ ... وَلاَ سُبِقَتْ بِوَعْدٍ أَوْ ضَمَانِ
وَإِنْ أَغْنَى نَدَاكَ فَقَدْ تَغَنَّى ... بِمَا حَبَّرْتُ[1] فِيكَ الْخَافِقَانِ
فَأَقْصَاهُ بِأَرْضِ النَّهْرَوَانِ ... وَأَدْنَاهُ بِأَقْصَى الْقَيْرُوَانِ[2]
غَرَائِبُ لاَ يُرَدُّ لَهَا شَفِيعٌ ... إِذَا حَلَّتْ ذَرَى[3] مَلِكٍ هِجَانِ
أَوَانِسُ عَنْ سِوَاكَ لَهَا نِفَارٌ ... كَمَا نَفَرَتْ[4] مِنَ الشَّيْبِ الْغَوَانِي
زَفَفْتُ إِلَيْكَ فِيهَا كُلَّ بِكْرٍ ... وَلَمْ أَسْمَحْ لِغَيْرِكَ بِالْعَوَانِ
أَأَمْدَحُ مَنْ أُرَجِّمُ فِيهِ ظَنِّي ... وَأَتْرُكُ مَنْ بِأَنْعُمِهِ ابْتَدَانِي
وَأَدْعُو مَنْ بِهِ صَمَمٌ وَعِيٌّ ... وَأَقْعُدُ عَنْ إِجَابَةِ مَنْ دَعَانِي
وَلَسْتُ أَرَى إِرَاقَةَ مَاءِ وَجْهِي ... نَوَالُكَ عَنْ إِرَاقَتِهِ نَهَانِي
شَرُفْتَ مَنَاقِباً وَشَرُفْتُ قَوْلاً ... فَأَيْقَنَ مَنْ رَآكَ وَمَنْ رَآنِي
بِأَنَّكَ رَبُّ أَبْكَارِ الْمَعَالِي ... وَأَنِّي رَبُّ أَبْكَارِ الْمَعَانِي
فَلاَ بَرِحَتْ تَدِينُ لَكَ اللَّيَالِي ... وَتَخْضَعُ مَا تَدَانَى الْفَرْقَدَانِ

---

(١) في الأصل (خبرت)
(٢) النَّهْرَوَان : كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي . والقَيْرُوان : مدينة عظيمة بإفريقية « معجم البلدان »
(٣) في الأصل (قرى ماك)
(٤) في الأصل (فرت)

وَلاَ دَجَتِ الْبَسِيطَةُ بَلْ أَضَاءَتْ ... بِمَجْدِكَ مَا أَضَاءَ النَّيِّرَانِ

تُقَضِّي الدَّهْرَ عَاماً بَعْدَ عَامٍ ... وَتُفْنِيهِ بِعُمْرٍ غَيْرِ فَانِ

١١٤

وقال أيضاً (١)

أَسُكَّانَ (٢) نَعْمَانِ (٣) الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا ... بِأَنَّكُمُ فِي رَبْعِ قَلْبِيَ سُكَّانُ

وَدُومُوا عَلَى حِفْظِ (٤) الْوِدَادِ فَطَالَما ... بُلِينَا بِأَقْوَامٍ إِذَا حُفِظُوا (٥) خَانُوا

رَعَيْنَا لَهُمْ حِفْظَ الْوِدَادِ فَمَا رَعَوْا ... وَصُنَّا هَوَاهُمْ أَنْ يُذَالَ فَمَا صَانُوا

سَلُوا النَّومَ (٦) عَنِّي مُذْ تَنَاءَتْ دِيَارُكُمْ ... هَلِ اكْتَحَلَتْ بِالنَّومِ (٧) لِي بَعْدُ أَجْفَانُ (٨)

وَهَلْ جَرَّدَتْ أَسْيَافَ بَرْقٍ دِيَارُكُمْ (٩) ... فَكَانَتْ لَهَا إِلاَّ جُفُونِيَ أَجْفَانُ

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ل) لسقوط أوراق من آخرها .

(٢) نسب ابن خلكان أربعة من هذه الأبيات لأبي محمد بن باجّة المعروف بابن الصائغ الأندلسي المتوفى سنة (٥٣٣) « وفيات الأعيان ج ٢ ص ٩ » .

(٣) نَعمان الأراك : واد بين مكة والطائف .

(٤) على حسن الوداد (رواية في ع) و (مسالك الأبصار ج ١٠)

(٥) إذا استؤمنوا (ابن خلكان)

(٦) سلوا الليل (ع) و (مسالك الأبصار)

(٧) بالغمض لي (ابن خلكان)

(٨) لي فيه أجفان (ابن عساكر ومسالك الأبصار)

(٩) سماؤكم (ابن خلكان)

١١٥

وقال يمدح سابق بن محمود (١)

أَمَّا ٱلزَّمَانُ فَفِي يَدَيْكَ عِنَانُهُ ... يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُعَظَّمُ شَانُهُ (٢)

ذَلَّتْ جَامِحُهُ فَصَارَ كَمَا تَرَى ... لَا جَوْرُهُ يُخْشَى وَلَا عُدْوَانُهُ

وَأَرَيْتَهُ ٱلسُّنَنَ ٱلْحَمِيدَةَ رَادِعاً ... عَنْ ضِدِّهَا فَتَقَلَّبَتْ أَعْيَانُهُ

إِنْ ذَمَّ سَائِرَ مَنْ يَرَاهُ (٣) فَإِنَّهُ ... يُثْنِي عَلَيْكَ وَلَا يَكِلُّ لِسَانُهُ

لَا غَاضَ ذَا ٱلْمُلْكُ ٱلْعَقِيمُ فَإِنَّهُ ... بَحْرٌ وَأَمْلَاكُ ٱلدُّنَا خُلْجَانُهُ

طُلْهُمْ فَإِنَّكَ مَعْدِنُ ٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي ... أَخْبَارُهُ عَجَبٌ فَكَيْفَ عِيَانُهُ

أُوتِيتَ فِي أُفُقِ ٱلْعَلَاءِ (٤) مَحَلَّةً ... لَا يَدَّعِي إِدْرَاكَهَا كِيوَانُهُ

فَاسْلَمْ لِمُلْكٍ صِدْقُ عَزْمِكَ حِصْنُهُ ... وَعَلَى سُيُوفِكَ لَا نَبَتْ إِحْصَانُهُ

وَرَعِيَّةٍ أَنْسَيْتَهَا مُذْ حُطْتَهَا ... زَمَناً تَشِيبُ لِهَوْلِهِ وِلْدَانُهُ

فَمَقِيلُهُمْ بِفِنَاءِ دَوْحٍ لَمْ يَزَلْ ... عَذْباً جَنَاهُ ظَلِيلَةً أَفْنَانُهُ

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٥٠)

(٢) محل هذه القصيدة في (ع) يختلف عنه هنا فقد وردت هناك آخر قصيدة في الديوان، على أن خطها يختلف عن خط الأصل، فكأنها ألحقت به إلحاقاً. وقد سقطت كلها من (ل). وهي مستوحاة من القصيدة الآتية بعدها ذات الرقم (١١٦)

(٣) في الأصل (براه)

(٤) الأفق العلي (م)

وَعَشِيرَةٍ ظَنُّوا خِلافَكَ[1] فُرْصَةً ... طَوْعَ الْهَوَى فَأَضَلَّهُمْ شَيْطَانُهُ

وَدَوَاؤُهُمْ مَا شَاهَدُوهُ وَدَاؤُهُمْ ... إِنْكَارُ حَقٍّ وَاجِبٍ عِرْفَانُهُ

فَلَقَدْ[2] أَطَاعَكَ مَنْ أَحَبَّ حَيَاتَهُ ... فَنَجَا وَأَرْدَى خَائِناً[3] عِصْيَانُهُ

وَلَوَ أَنَّهُمْ ذَلُّوا لِعِزِّ مَلِيكِهِمْ ... لا زَالَ يَقْهَرُ مَنْ بَغَى سُلْطَانُهُ

لَمَحَا ذُنُوبَهُمُ وَجَمَّعَ شَمْلَهُمْ ... بَعْدَ الشَّتَاتِ حُنُوُّهُ وَحَنَانُهُ

لا يَطْمَعَنْ فِي حُسْنِ عَفْوِكَ طَامِعٌ ... حَتَّى يُمَاثِلَ سِرَّهُ إِعْلانُهُ

وَلْيَسْلُهُ مَنْ لا يُفَارِقُ غِلَّهُ[4] ... حَتَّى يُفَارِقَ رُوحَهُ جُثْمَانُهُ

وَلْيَتْبَعَنَّ[5] رِضَاكَ غَيْرَ مُوَارِبٍ ... مَنْ فِي يَمِينِكَ خَوْفُهُ وَأَمَانُهُ

فَلأَنْتَ مَنْ يَأْبَى النِّفَاقَ فَلَمْ يَعِشْ ... فِي ظِلِّهِ مَنْ لَمْ تَمُتْ أَضْغَانُهُ

وَغَنَاءُ مَنْ أَصْبَحْتَ عَنْهُ مُعْرِضاً ... كَغَنَاءِ رُمْحٍ بَانَ عَنْهُ سِنَانُهُ

فَلْيُصْحِبُوا لَكَ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً ... فَلَطَالَمَا ضَرَّ الْجَوَادَ حِرَانُهُ

لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ رَامَهُمْ لَتَصَعْصَعَتْ[6] ... أَعْوَانُهُ وَتَضَعْضَعَتْ أَرْكَانُهُ

وَهُمُ الأُلَى مَا أَشْرَعُوا صُمَّ الْقَنَا ... فِي مَأْزِقٍ إِلاَّ وَهُمْ فُرْسَانُهُ

---

(١) إشارة إلى خلاف بعض بني مرداس على سابق واستنصارهم عليه بملكشاه ابن ألب أرسلان . كما في زبدة الحلب – ج ٢ ص ٩٥ (مخطوط)

(٢) ولقد (م)

(٣) خائناً (م)

(٤) في الأصل (غلةً)

(٥) وليتبع ؟ (ع)

(٦) تصعصع الرجل : جبن وذل وخضع .

أَبْطَالُ صَعْصَعَةٍ(١) حُمَاةُ رَبِيعَةٍ ... فِي حَيْثُ يُزْرِي بِالْجَبَانِ جَنَانُهُ
مِنْ كُلِّ مُخْتَبَرِ الْمَضَاءِ مُجَرَّبٍ ... يَحْمِي حِمَاهُ ضِرَابُهُ وَطِعَانُهُ
مَنْ يَنْثَنِي وَمِنَ النَّجِيعِ مُدَامُهُ ... طَرَباً وَمَا طَبَعَ الْقُيُونُ قِيَانُهُ
لَيْثٌ وَفِي خَلَلِ الْوَشِيجِ عَرِينُهُ ... وَفَنِيقُ حَرْبٍ وَالْمَكَرُّ عِرَانُهُ(٢)
مَا أَمَّ قَفْراً لَمْ تَجَفَّلْ أُسْدُهُ ... فَرَقاً كَمَا جَفَلَتْ بِهِ ظُلْمَانُهُ
عُزُّوا بِأَنْ عَقُّوا سِوَاكَ وَأَسْرَفُوا ... وَعُقُوقُ مِثْلِكَ مُعْوِزٌ إِمْكَانُهُ(٣)
فَأَتَتْ عَزَائِمُ لَوْ قَرَعْنَ مُتَالِعاً(٤) ... لَتَهَافَتَتْ هَضَبَاتُهُ وَرِعَانُهُ
لِمُؤَيَّدِ الْإِقْدَامِ بِالرَّأْيِ الَّذِي ... لَمْ يَأْتِهِ عَمْرٌو وَلَا(٥) وَرْدَانُهُ
وَنَصِيَّةِ(٦) الْبَيْتِ الَّذِي طَالَ السُّهَى ... وَعَلَا الثُّرَيَّا صَاعِداً بُنْيَانُهُ
أَوْتَادُهُ بِيضُ الظُّبَا وَعِمَادُهُ ... بَعْضُ الرِّمَاحِ وَبَعْضُهَا أَشْطَانُهُ
مِنْ مَعْشَرٍ لَمْ يُطْوَ مُهْرَقُ سُؤْدُدٍ ... إِلَّا وَطِيبُ ذِكْرِهِمْ عُنْوَانُهُ
وَإِذَا انْتَهَى(٧) دَهْرٌ فَهُمْ أَعْيَانُهُ ... وَإِذَا أَتَى خَيْرٌ فَهُمْ أَعْوَانُهُ

---

(١) صعصعة : جد تنتسب إليه بنو كلاب . وقبائل ربيعة أحد قسمي العرب العدنانية .
(٢) العِران : الدار البعيدة ، والطُّرُق لا واحد لها (تاج العروس ، المستدرك)
(٣) اركانه (م)
(٤) مُتالع : جبل بنجد .
(٥) عمرو بن العاص : المشهور بالدهاء، ووردان : مولى لعمرو (تاج العروس)
(٦) في الأصل (ونضية) وهو تصحيف ،والنَّصِيَّةُ من القوم : الخيار .
(٧) لعلها (انتمى)

وَإِذَا أَتَوْا بَلَداً جَدِيباً أَخْصَبَتْ ... فِيهِ رُبَاهُ وَأَتْأَقَتْ غُدْرَانُهُ

لَوْ لَمْ تَفُزْ بِهِمُ ٱلْعُفَاةُ لَمَا دَرَى ... مُتَطَلِّبُ ٱلْمَعْرُوفِ أَيْنَ مَكَانُهُ

لَمْ (١) يَجْحَدِ ٱلْأَعْدَاءُ وَاضِحَ مَجْدِهِمْ ... كَيْفَ ٱلْجُحُودُ وَسَابِقٌ بُرْهَانُهُ

مَنْ خُصَّ بِٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي ظَنَّتْ بِهِ ... زُهْرُ ٱلْكَوَاكِبِ أَنَّهَا جِيرَانُهُ

مَمْنُوعَةٌ أَحْوَالُهُ مَتْبُوعَةٌ ... أَقْوَالُهُ مُتَتَابِعٌ إِحْسَانُهُ

مَا إِنْ يُغَادِي ٱلْعِلْمَ أَوْ يَحْوِي ٱلْغِنَى ... حَتَّى يَفِيضَ بَيَانُهُ وَبَنَانُهُ

لَا خَابَ آمِلُهُ وَلَا خَبَّ ٱلرَّدَى ... يَوْماً إِلَيْهِ وَلَا خَبَتْ نِيرَانُهُ

يَا عَوْنَ مَنْ غَدَرَتْ بِهِ أَيَّامُهُ ... وَمُعِينَ مَنْ تَنْبُو بِهِ أَوْطَانُهُ

أَغْنَيْتَ عَنْ مُرِّ ٱلسُّؤَالِ وَحُلْوِهِ ... بِنَدًى يَزِيدُ عَلَى ٱلْحَيَا تَهْتَانُهُ

هُوَ كَٱلْغَوَادِي لَا تَمُنُّ إِذَا هَمَتْ ... لَا كَٱلْغَمَامِ تَبَاعَدَتْ أَحْيَانُهُ

لِمَ لَا أُبَالِغُ فِي مَدِيحِكَ مُطْنِباً ... وَٱلشِّعْرُ طِرْفٌ خَاطِرِي مَيْدَانُهُ

أُثْنِي عَلَيْكَ بِمَا أَنَالَتْنِي يَدٌ ... بِكْرُ ٱلْغِنَى مِنْ سَيْبِهَا وَعَوَانُهُ

فَلْيَعْذِرِ ٱلْمَوْلَى ٱلَّذِي خَالَفْتُهُ ... فَأَذَعْتُ جُوداً رَأْيُهُ كِتْمَانُهُ

(١) لن (ع)

١١٦

وجد في بعض النسخ قصيدة وافقت قوله : « أمَّا الزمان ففي يديك عنانهُ » وخالفتها من البيت الخامس عشر (١) فألحقت منها بهذه النسخة

لاَ تَخْشَ (٢) عَدْوَى مَنْ أَبَحْتَ ذِمَارَهُ ... مَنْ مَاتَ قَلْباً لَمْ تَعِشْ أَضْغَانُهُ (٣)

دَعْهُ لِأَحْدَاثِ الزَّمَانِ دَرِيَّةً ... أَتُرَاهُ يُكْرِمُ مَنْ هَوَاكَ هَوَانُهُ

وَإِذَا أَرَدْتَ بَوَارَ مَمْلَكَةٍ طَغَتْ ... سَفَهاً فَبَعْثُكَ رَايَةً عُنْوَانُهُ

فَلَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ أَحَبَّ حَيَاتَهُ ... فِيهَا وَلَجَّ بِخَائِنٍ طُغْيَانُهُ

فَلْيَطْلُبِ الرُّومُ الْأَمَانَ فَقَدْ بَدَتْ ... لَهُمُ خُشُونَةُ صَارِمٍ وَلِيَانُهُ

هَجَرَ (٤) الرُّقَادُ جُفُونَهُمْ مُذْ نَبَّهُوا ... مَنْ لاَ تَنَامُ عَلَى الْقَذَى أَجْفَانُهُ

ذَا الْعَزْمُ جَأْشُ الدَّهْرِ مِنْهُ مُرَوَّعٌ ... وَالْجَيْشُ يَفْتَرِسُ الْعِدَى فُرْسَانُهُ

ضَمِنَتْ سُوَافَ (٥) مُعَانِدِيهِ سُيُوفُهُ ... فَأَمَرَّ عَيْشَ عُدَاتِهِ مُرَّانُهُ

وَلَقَدْ سَمَتْ شَرَفاً مُلُوكٌ قُسِّمَتْ ... فِيمَا تَقَدَّمَ بَيْنَهَا بُلْدَانُهُ

---

(١) من البيت السابع (ع). (٢) يختلف توزيع الأبيات بين هاتين القصيدتين في نسخة عاشر والنسخة المصرية مع الاتفاق في مجموع عدد الأبيات. وقد استصوبنا رواية النسخة المصرية. ويظهر أن الممدوح بهذه القصيدة هو أنوشتكين الدزبري. انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) سقطت هذه القصيدة كلها من (ل)

(٤) في الأصل (هجروا)

(٥) السُّوَاف : الموت .

بَجَحُوا بِهَا وَأَجَلَّ عَنْهَا نَفْسَهُ ... مُذْ حَازَهَا فَوُلَاتُهَا غِلْمَانُــهُ
فَلِذَا ٱلْجُيُوشُ يَقُودُهَا وَيَسُودُهَا ... بَنْجُوتَكِينُ (١) أَمِيرُهَا وَطُغَانُــهُ
وَٱللهُ جَاءَ بِهَا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ... لِيَفِيضَ مِنْ إِحْسَانِهِمْ إِحْسَانُـهُ
يُغْنِي غَنَاءَ سُيُوفِهِمْ إِيعَادُهُ ... وَتَفِيضُ فَيْضَ بِحَارِهِمْ غُدْرَانُـهُ
وَٱلْغَيْثُ لَيْسَ يَنُوبُ عَنْهُ وَطَالَمَا ... غَابَ ٱلْغَمَامُ فَنَــابَ عَنْهُ بَنَانُـه
يَحْوِي ٱلنَّبَاهَةَ مَنْ تَقَدَّمَ فَضْلُهُ ... لَا مَنْ تَقَدَّمَ عَصْرُهُ وَأَوَانُه
هَلْ مَنْ يُسَاهِمُ (٢) وَٱلْمُعَلَّى سَهْمُهُ ... إِنْ كَانَ بَعْدَ ٱلْأَنْبِيَاءِ زَمَانُـهُ
فَلْيَدْرِ أَمْلَاكُ ٱلطَّوَائِفِ أَنَّهُ ... فَلَكٌ تَضَمَّنَ سَلْبَهَا دَوَرَانُـهُ
فَلَمَا حَمَتْ أَتْرَاكَهَا أَتْرَاكُـهُ ... وَلَمَا حَمَتْ سُودَانَهَا سُودَانُـهُ
يَا كَافِيَ ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ مُشَارَكٍ ... فِتَنًا (٣) تَشِيبُ لِهَوْلِهَا وِلْدَانُـهُ
أَغْنَى صِفَاتِكَ عَنْ شَهَادَةِ شَاهِدٍ ... مَجْدٌ لَعَمْرُكَ وَاضِحٌ بُرْهَانُـهُ
حُزْتَ ٱلْفَضَائِلَ لَيْسَ يُمْكِنُ جَحْدُهَا ... وَٱلصُّبْحُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ كِتْمَانُـهُ
بِشْرًا يُبَشِّرُ بِٱلْغِنَى إِيمَاضُــهُ ... كَٱلْبَرْقِ دَلَّ عَلَى ٱلْوَرَى (٤) لَمَعَانُه
وَنَدًى قَصَرْتَ عَلَى ٱلثَّنَاءِ فُنُونَـهُ ... وَتُظِلُّ آمَالَ ٱلْوَرَى أَفْنَــانُـهُ

---

(١) في الأصل (ينجو تكين ... وطعانه) وهو تصحيف. و بنجو تكين وطغان من رجال الدزبري زبدة الحلب ج (١) ص (٢٥٧) و (٢٥٥)

(٢) يساهر (م) والمُعلّى : سابع سهام الميسر .

(٣) فتن ؟ (م)

(٤) كذا في الأصل وهو من سهو الناسخ أوقعه فيه كلمة (الورى) الواردة تحت هذه الكلمة في البيت التالي . ولعل الصواب (على الحيا)

وَٱلْمَالُ لاَ يَبْقَى عَلَى مُتَمَلِّكٍ ... إلاَّ وَأَبْنَاءُ ٱلْمُنَى خُزَّانُهُ
أَمَّا شَبِيهُكَ فِي ٱلْأَنَامِ فَإِنَّهُ ... مَا كَانَ قَطُّ وَلاَ يَجُوزُ كِيَانُهُ
مَا فِي طَرِيقِ ٱلْمَجْدِ غَيْرَكَ مُهْتَدٍ ... كُلٌّ سِوَاكَ يَقُولُ أَيْنَ مَكَانُهُ
فَفَعَلْتَ مَا عَجَزَ ٱلْوَرَى عَنْ فِعْلِهِ ... فَعَرَفْتَ مَا أَعْيَاهُمُ عِرْفَانُهُ
وَلَقَدْ شَفَعْتَ ٱلْحَجَّ بِٱلْغَزْوِ ٱلَّذِي ... لَوْلاَكَ أَعْجَزَ أَهْلَهُ إِمْكَانُهُ
وَبَذَلْتَ حُمْرَ ٱلْمَالِ فِي تَنْفِيذِهِمْ ... أَيَّامَ عَزَّ عَلَيْهِمُ وِجْدَانُهُ
فَمُعَجَّلٌ لَكَ مِنْ إِلٰهِكَ نَصْرُهُ ... وَمُؤَجَّلٌ لَكَ عِنْدَهُ رِضْوَانُهُ
هِيَ مِنَّةٌ يَبْقَى عَلَيْكَ ثَنَاؤُهَا ... فِي ٱلنَّاسِ مَا صَحِبَتْ حِرَاءَ[1] رِعَانُهُ
فَٱلْبَيْتُ يَشْكُرُهَا إِذَا طَافَتْ بِهِ ... زَمَنَ ٱلْحَجِيجِ وَقُبِّلَتْ أَرْكَانُهُ
فَأَجَابَ فِيكَ ٱللّٰهُ دَعْوَةَ قَارِئٍ ... يَتْلُو هُنَاكَ قِرَانَهُ قُرْآنُهُ
وَبَقِيتَ لِلْمَوْلَى ٱلَّذِي شَرُفَتْ بِهِ ... أَيَّامُهُ وَتَطَاوَلَتْ أَزْمَانُهُ
حَتَّى تَرَى أَضْعَافَ جَيْشِكَ جَيْشَهُ ... وَيَكُونَ أَكْثَرَ مَنْ بِهِ فِتْيَانُهُ
لِمَ لاَ أُبَالِغُ فِي مَدِيحِكَ مُطْنِبًا ... وَالشِّعْرُ طِرْفٌ خَاطِرِي مَيْدَانُهُ
بَلْ كَيْفَ أَجْحَدُ مَا أَنَالَتْنِي يَدٌ ... بِكْرُ ٱلْغِنَى مِنْ سَيْبِهَا وَعَوَانُهُ
فَٱسْمَعْ لِمَادِحِكَ ٱلَّذِي لاَ يَنْطَوِي ... إلاَّ عَلَيْكَ إِذَا ٱنْطَوَى دِيوَانُهُ
مَا فِي بَنِي حَوَّاءَ عِنْدِي آخَرٌ ... يُرْجَى عَطَاهُ وَيُتَّقَى حِرْمَانُهُ

---

(١) حِرَاء : جبل من جبال مكة .

فَلِذَا رَجائِي عَنْ سِوَاكَ مُنَكَّبٌ ... وَإِلَيْكَ يَتْبَعُ نَصَّهُ ذَمَلانُهُ
أَثْنَى عَلَيْكَ الْعِيدُ بِالتَّقْوَى الَّتِي[1] ... أَثْنَى بِها مِنْ قَبْلِهِ[2] رَمَضانُهُ
فَتَهَنَّهُ وَاسْلَمْ وَعِزُّكَ قاهِرٌ ... أَبداً فَسُلْطانُ الْهُدَى سُلْطانُهُ

١١٧

وقال يمدح نصر بن محمود[3] بن صالح

ظَنَّ[4] الأَرَاكَ لَدَى وَادِيهِ أَظْعانا ... فَلَمْ يُطِقْ لِرَسِيسِ الشَّوْقِ كِتْمانا[5]
فَبانَ لِلرَّكْبِ شَجْوٌ كانَ يَسْتُرُهُ ... عَنْ كُلِّ مُسْتَخْبِرٍ مِنْ حُبِّ مَنْ بانا
وَفِي الظَّعائِنِ غِزْلانٌ هَوادِجُها ... تَحْوِي بُدُوراً وَأَغْصاناً وَكُثْبانا
وَغادَةٌ عادَةٌ مِنْها الصُّدُودُ فَما ... تَنْفَكُّ تُوسِعُنا مَطْلاً وَلَيَّانا
فَهَبْ نَوَاها اسْتَبَدَّتْ دُونَنا عَبَثاً ... بِها وَإِنْ بَعُدَتْ فِي الْقُرْبِ هِجْرَانا
فَما عَلَى طَيْفِها لَوْ عادَ يَطْرُقُنا ... فَطالَما زارَ أَحْياناً فَأَحْيانا
إِنْ يُعْقِبِ الْحَزْنُ حُزْناً بَعْدَ جِيرَتِهِ ... فَقَدْ نَعِمْنا بِهِمْ دَهْراً بِنَعْمانا[6]

---

(١) في الأصل (الذي)
(٢) قبلها (م)
(٣) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)
(٤) سقطت هذه القصيدة من (ل)
(٥) فما استطاع لما أخفاه كتمانا (هامش ع و م)
(٦) نَعْمان : واد قريب من الفرات على أرض الشام قريب من الرحبة . « معجم البلدان »

أَوْ تُصْبِحِ[1] الدَّارُ صِفْراً إِنْ دَنا صَفَرٌ ... فَقَدْ تَلاءَمَ فِي شَعْبانَ شَعْبانا

وَقَدْ وَقَفْتُ بِأَصْحابِي بِمَنْزِلَةٍ ... يَبِيتُ يَقْظانُها وَهْلانَ وَلْهانا

فِيها جَنىً حِينَ حَيَّانا النَّسِيمُ بِما ... سُفْناهُ[2] يَوْمَ الْتَقَى بِالْجِزْعِ حَيَّانا

نَبْكِي وَتُسْعِدُنا كُومُ الْمَطِيِّ فَهَلْ ... نَحْنُ الْمَشُوقُونَ فِيها أَمْ مَطايانا

وَلا وَمَنْ بَرَأَ[3] الْأَشْياءَ ماوَجَدَتْ ... كَوَجْدِنا الْعِيسُ بَلْ رَقَّتْ لِشَكْوانا

بِحَيْثُ أُنْشِدُ أَشْعارِي وَأَنْشُدُهُمْ ... لَوْ تَسْمَعُ الدَّارُ إِنْشاداً وَنِشْدانا

لا وَجْدَ إِلاَّ كَوَجْدٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ ... خَوْفاً وَلا مَجْدَ إِلاَّ مَجْدُ مَوْلانا

الْحائِزُ الْفَخْرَ[4] مَوْلُوداً وَمُكْتَسَباً ... وَالْجائِزُ الْحُكْمَ فِيمَنْ شَطَّ أَوْ دانا

مُصَدَّقٌ كُلُّ ما يُثْنَى عَلَيْهِ بِهِ ... كَأَنَّ مُدَّاحَهُ يَتْلُونَ قُرْآنا

مَنْ أَظْهَرَ الْعَدْلَ فِي الآفاقِ فَامْتَنَعَتْ ... ظِباءُ وَجْرَةَ مِنْ آسادِ خَفَّانا[5]

فِي دَوْلَةٍ جَعَلَ اللّهُ الْكَرِيمُ لَها ... حَوادِثَ الدَّهْرِ أَنْصاراً وَأَعْوانا

عَزَّتْ فَمَنْ دانَ لَمْ يُلْمِمْ بِساحَتِهِ ... خَطْبٌ وَمَنْ خانَ يَوْماً رَبَّها حانا

يا بْنَ الْكِرامِ الْأُلَى كانَتْ سُيُوفُهُمُ ... قَواعِداً لِمَعالِيهِمْ وَأَرْكانا

---

(١) أو ترجيع (هامش ع و م)

(٢) في الأصل (سقناه)

(٣) فطر الأشياء (ع) و (مسالك الأبصار ج ١٠)

(٤) الفضل (هامش ع و م)

(٥) وَجْرَةُ : بينها وبين البصرة نحو أربعين ميلاً ليس فيها منزل فهي مَرَبٌّ للوحش . وخَفَّان : مأسدة قرب الكوفة .

لكَ الأُصولُ الَّتي طابَتْ مَغارِسُها قِدْماً فَجاوَزَتِ الجَوْزاءَ أَغْصانا
فَمِنْ جُدودِهِمُ الأَمْلاكُ في حَلَبٍ وَمِنْ جُدودِهِمُ أَمْلاكُ بَغْدانا (١)
الطَّيِّبونَ أَحاديثاً وَأَنْدِيَةً وَمَكْرُماتٍ وَأَفْياءً وَأَفْنانا
رُجُوا قَديماً لِما تُرْجى الرِّجالُ لَهُ أَجِنَّةً وَاسْتَحَقُّوا المُلْكَ وِلْدانا
إِذا نَبَتْ بِالوَرى أَوْطانُهُمْ فَنَأَوْا كانَتْ لَهُمْ رُتَبُ العَلْياءِ أَوْطانا
وَقَبْلَكُمْ وَالجِيادُ الجارِياتُ بِكُمْ تَشْتَدُّ ما امْتَطَتِ الآسادُ عِقْبانا
وَرِيعَ حَيٌّ لَقاحٌ (٢) لا يَرُوعُهُمُ مِنَ المُلوكِ عَظيمٌ كانَ مَنْ كانا
حَتّى مَضَوْا يَحْسَبونَ اللَّيْلَ مِنْ فَرَقٍ نَقْعَ الرَّدى وَنُجومَ اللَّيْلِ خِرْصانا
كَمِ اسْتَقَيْتُمْ نُفوساً عَزَّ ناصِرُها مُنْذُ اتَّخَذْتُمْ رِماحَ الخَطِّ أَشْطانا
حَتّى بَدَتْ أَنْجُماً في الأَرْضِ باقِيَةً فَكَمْ رَجَمْتُمْ بِها مِ الإِنْسِ شَيْطانا
قَدْ أُعْجِمَتْ طاءُ طُعّانُ العِدى فَتُرى لِخَوْفِها قَبْلَ وَشْكِ الرَّوْعِ ظُعّانا
يا طالَما ناجَزُوكُمْ عِنْدَ مُعْتَرَكٍ حِيناً فَجَرَّ طِلابُ الرِّبْحِ خُسْرانا
أَبَيْتُمُ سَلْبَ قَتْلاهُمْ فَلَوْ دُفِنُوا لَاسْتَصْحَبُوا حَلَقَ الماذِيِّ أَكْفانا
مَلَأْتُمُ الأَرْضَ إِقْداماً وَمَرْحَمَةً وَفُقْتُمُ أَهْلَها شِيباً وَشُبّانا

(١) بَغْدان : من أسماء بغداد . ويريد بأملاك بغدان بني بويه ، وهم أجداد نصر ابن محمود لأمه وهي بنت الملك العزيز بن الملك جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه « الكامل لابن الأثير ٩/٨٠ »

(٢) اللَّقاح : الحي الذين لا يدينون للملوك .

وَأَنْتَ أَرْهَفُهُمْ حَدّاً وَأَسْعَدُهُمْ ... جَدّاً وَأَعْظَمُهُمْ فِي سُؤْدُدٍ شَانَا

أَرَى رَعَايَاكَ حَلَّتْ رَوْضَةً أُنُفاً ... يَجُودُهَا ٱلْأَمْنُ وَٱلْإِنْصَافُ تَهْتَانَا

آثَرْتَهُمْ بِٱلْكَرَى لَمَّا مَلَكْتَ وَمَنْ ... أَضَافَ هَمَّكَ بَاتَ ٱللَّيْلَ يَقْظَانَا

هَمٌّ إِذَا مَا عَرَى[1] أَفْضَى إِلَى هِمَمٍ ... جَاوَرْنَ بَهْرَامَ أَوْجَاوَزْنَ كِيوَانَا[2]

بَنِي كِلَابٍ أَطِيعُوا أَمْرَ سَيِّدِكُمْ ... فَقَدْ أَعَزَّ حِمَاهُ مَنْ لَهُ دَانَا

تُضْحِي ٱلنَّعَامُ أُسُوداً تَحْتَ طَاعَتِهِ ... وَتُمْسَخُ ٱلْأَسْدُ إِنْ عَاصَتْهُ ظِلْمَانَا

لَا تُضْمِرُوا حَسَداً مَحْصُولُهُ عَطَبٌ ... إِنَّ ٱلتَّحَاسُدَ أَفْنَى آلَ ذُبْيَانَا[3]

وَلِلتَّنَافُسِ صَارَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِلَى ... مَا يَكْرَهُونَ وَعَادَ ٱلدِّينُ أَدْيَانَا

لُوذُوا بِأَرْوَعَ يُعْطِي ٱلْأَلْفَ مُقْتَضِباً ... قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ وَيَلْقَى ٱلْأَلْفَ جَذْلَانَا

فَلَوْ تَقَدَّمَ لَمْ تَفْخَرْ بِحَاتِمِهَا ... وَعَمْرِهَا سَالِفاً أَبْنَاءُ قَحْطَانَا[4]

وَلَمْ تُؤَبِّنْ إِيَادٌ فِي مَحَافِلِهَا ... مَنْ مَاتَ فِي طَاعَةِ ٱلْمَعْرُوفِ ظَمْآنَا[5]

أَبَا ٱلْمُظَفَّرِ جَاوَزْتَ ٱلْمَدَى وَعَنَا ... لَكَ ٱلزَّمَانُ فَمَا يَسْطِيعُ عِصْيَانَا

---

(١) في الأصل (ماعزى)

(٢) بهرام : المريخ ، وكيوان : زحل .

(٣) انظر الإشارة الى حروب آل ذبيان في الحاشية رقم (٢) ص (٤٧٥)

(٤) حاتم الطائي : المشهور بكرمه وعمرو بن معد يكرب الزُّبَيْدي: فارس اليمن .

(٥) يريد به كعب بن مامة الإيادي المشهور بكرمه وإيثاره والذي مات ظمأً ليسقي رفيقه . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)

لاَ يَدَّعِ ٱلْآنَ مَا أُوتِيتَ مِنْ شَرَفٍ ... مَنْ لاَ يُقِيمُ عَلَى دَعْوَاهُ بُرْهَانَا

فَٱلْمَجْدُ لَوْ أَنَّهُ شَخْصٌ يَرَى وَيُرَى ... إِذاً لَكُنْتَ لَهُ رُوحاً وَجُثْمَانَا

أَتَيْتَهُ مِنْ طَرِيقٍ قَطُّ مَا طُرِقَتْ ... أَكَانَ عَنْهَا جَمِيعُ ٱلنَّاسِ عُمْيَانَا

مَنَاقِبٌ لَكَ لَوْ فَازَ ٱلْمُلُوكُ بِهَا ... لَصَيَّرُوهَا عَلَى ٱلتِّيجَانِ تِيجَانَا

أَهَنْتَ مَا لَوْ أَهَانُوهُ لَمَا حَمَلُوا ... عَلَى ٱلْمَفَارِقِ يَاقُوتاً وَعِقْيَانَا

مُنَاقِضاً لَهُمُ فِي ٱلْأَرْضِ تُبْدِلُهَا ... بِٱلْخَوْفِ أَمْناً وَبِٱلْإِخْرَابِ عُمْرَانَا

وَكُلُّ صَامِتَةٍ فِيهَا وَنَاطِقَةٍ ... تَدْعُو لَكَ ٱللهَ إِسْرَاراً وَإِعْلاَنَا

أَمَّا أَبُوكَ ٱلَّذِي بَذَّ (١) ٱلْمُلُوكَ إِلَى ... مَدَى ٱلثَّنَاءِ بِمَا أَعْطَى ٱبْنَ سَلْمَانَا

أَهَانَ بِٱلْجُودِ مَا لَوْ فُضَّ أَيْسَرُهُ ... عَلَى كِرَامِ بَنِي ٱلدُّنْيَا لَمَا هَانَا

لَأَشْكُرَنَّ هِبَاتٍ مِنْكَ مَا كَدِرَتْ ... بِٱلْمَنِّ يَوْماً وَظَنَّا فِيهِ مَا مَانَا

مَكَارِمٌ زَانَهَا ٱلْإِكْرَامُ وَٱتَّصَلَتْ ... أَرَى ٱلْجُحُودَ لَهَا ظُلْماً وَعُدْوَانَا

أَنْسَانِيَ ٱللهُ مَا أَعْدَدْتُهُ لِغَدٍ ... إِنِ ٱعْتَمَدْتُ لِمَا أَوْلاَهُ نِسْيَانَا

أَمِنْتُ مَا خِفْتُ مُذْ يَمَّمْتُ حَضْرَتَهُ ... وَٱعْتَضْتُ مِنْ عَدَمِ ٱلْإِيسَارِ وِجْدَانَا

وَلِلْحَمِيَّةِ لاَ عَنْ زَلَّةٍ حَكَمَتْ ... بِٱلْبُعْدِ فَارَقْتُ أَخْدَاناً وَخُلاَّنَا

---

(١) في الأصل (بدّ)

تُخِيفُنِي بَلَدٌ حَتَّى أَعُودَ إِلَى أُخْرَى كَأَنِّي عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانَا (١)

وَمُذْ عَقَلْتُ الْمُنَى وَالْعِيسَ فِي حَلَبٍ حَلَّتْ آمَنَ أَرْضِ اللهِ سُكَّانَا

لاَ يَطَّبِينِي مَكَانٌ بَعْدَ ظِلِّكُمَا حَتَّى يَهُزَّ هُبُوبُ الرِّيحِ ثَهْلاَنَا (٢)

حَسْبِي الَّذِي جَادَ لِي تَاجُ الْمُلُوكِ بِهِ وَمَا أَنَالَ جَلاَلُ الدَّوْلَةِ الْآنَا (٣)

عُرْفٌ حَوَيْتَ (٤) بِهِ أَجْراً مُوَازِيَةً (٥) فَخُذْ ثَنَاءً يَجُوبُ الْأَرْضَ رُجْحَانَا

فِي كُلِّ مَعْدُومَةِ الْأَشْبَاهِ لَوْ طَرَقَتْ سَمْعَ ابْنِ جَفْنَةَ لَمْ يَحْفِلْ بِحَسَّانَا (٦)

أَعْيَتْ زِيَاداً فَلَمْ يَحْبُ الْجُلاَحَ بِهَا (٧) وَلَمْ يَجِدْهَا بِلاَلٌ عِنْدَ غَيْلاَنَا

لَهَا إِذَا حَسَّنَ الشِّعْرَ الْغِنَاءُ غِنًى عَنْ أَنْ يَصُوغَ لَهَا الشَّادُونَ أَلْحَانَا

مَا أُنْشِدَتْ قَطُّ إِلاَّ ظَلَّ مِنْ طَرَبٍ مَنْ لاَ تُحَرِّكُهُ الصَّهْبَاءُ نَشْوَانَا

بِكْرٌ إِذَا رَدَّتِ الْخُطَّابَ خَائِبَةً جَاءَتْكَ خَاطِبَةً يَا فَخْرَ عَدْنَانَا

---

(١) في الأصل (خطانا) وهو تصحيف . وعمران بن حِطَّان : من رؤوس الخوارج وخطبائهم وشعرائهم طلبه الحجاج فهرب إلى الشام فطلبه عبد الملك ابن مروان فرحل إلى عُمَان ولجأ إلى قوم من الأزد فمات عندهم سنة ٨٤ .

(٢) في الأصل (نهلانا) وهو تصحيف . وثَهْلان جبل ضخم بنجد .

(٣) تاج الملوك : لقب محمود بن نصر بن صالح . وجلال الدولة : لقب ابنه نصر .

(٤) لعلها (جزيتَ)

(٥) كذا ولعلها (مُوَازِيَهُ) أو (مُوَازَنَةً)

(٦) ابن جفنة : هو جَبَلَة بن الأيهم آخر ملوك غسان بالشام كان يفد عليه حسان بن ثابت في الجاهلية .

(٧) به (م) وزياد : هو النابغة الذبياني . والجلاح : يريد به النعمان بن وائل ابن الجلاح الكلبي مدحه النابغة (ديوان النابغة ص ٨٨) وغيلان : هو ذو الرُّمَّة كان يمدح بلال بن أبي بُردة الأشعري انظر الحاشية رقم (٥) ص (٤٦٤) .

فَهُنِّئَتْ بِكَ أَعْيَادُ ٱلزَّمَانِ فَقَدْ ... صَحَا بِظِلِّكَ دَهْرٌ كَانَ سَكْرَانَا

إِنِّي وَجَدْتُ لِطَرْفِ ٱلْمَجْدِ مِنْكَ عُلًى ... سَمَالَهَا وَلِطَرْفِ ٱلْمَدْحِ مَيْدَانَا

فَٱسْلَمْ لِبَاغِي عِداً تَبْتَزُّ مُهْجَتَهُ ... قَسْراً وَبَاغِي نَدًى تُولِيهِ إِحْسَانَا

١١٨

وقال يمدح تاج الملوك (١)

بِنَصْرِكَ يُدْرَكُ ٱلْفَتْحُ ٱلْمُبِينُ ... وَعِنْدَكَ يُؤْمَنُ ٱلزَّمَنُ ٱلْخَؤُونُ (٢)

وَجَارُكَ ضِدُّ مَالِكَ مُنْذُ أَمَّا ... مَحَلَّكَ ذَا تُعَزُّ وَذَا تُهِينُ

لَكَ ٱلْعَرَضُ ٱلْمُبَاحُ لِمَنْ بَغَاهُ ... مِنَ ٱلْعَافِينَ وَٱلْعِرْضُ ٱلْمَصُونُ

وَإِقْدَامٌ تَبُورُ بِهِ ٱلْأَعَادِي ... وَإِنْعَامٌ تَقَرُّ بِهِ ٱلْعُيُونُ

تَحُوزُ (٣) يَدَاكَ أَبْكَارَ ٱلْمَعَالِي ... وَيَأْبَاهَا إِبَاؤُكَ وَهْيَ عُونُ

وَلَمْ تَطُلِ ٱلْوَرَى حَتَّى تَسَاوَتْ ... سُهُولُ ٱلْمَجْدِ عِنْدَكَ وَٱلْحُزُونُ

بِسَاحَتِكَ ٱلْعَطَايَا وَٱلرَّزَايَا ... فَفِي يَدِكَ ٱلْأَمَانِي (٤) وَٱلْمَنُونُ

عَطَايَا إِنْ تَجَاهَلَهَا حَسُودٌ ... فَعِنْدَ وُهَيْبٍ ٱلْخَبَرُ ٱلْيَقِينُ

أَيَادٍ جُدْنَ سَحًّا وَهْيَ بِيضٌ ... بِمَا يُعْيِي ٱلسَّحَائِبَ وَهْيَ جُونُ

---

(١) هو محمود بن نصر بن صالح . انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٢) سقطت هذه القصيدة من (ل)

(٣) في الأصل (تجوز)

(٤) في الأصل (المنايا) وهو من سهو الناسخ .

وَصلْتَ بِها كَرِيمَ ٱلنَّجْرِ دَارَتْ عَلَيْهِ لِلْعَدُوِّ رَحىً طَحُونُ

فَكُنْتَ بِرَدِّ ثَرْوَتِهِ جَدِيراً وَأَنْتَ بِعَوْدِ عِزَّتِهِ قَمِينُ

وَمِنْ بَعْدِ ٱلْأُلُوفِ مَنَحْتَ كُوماً غَنِيٌّ مَنْ تُقِلُّ وَمَنْ تَمُونُ

مُحَرَّمَةُ ٱلْغَوَارِبِ ما عَلَتْها ٱلرِّ جالُ وَلاَ تَبَطَّنَها وَضِينُ

وَلا حَكَّتْ لها ٱلْأَقْتَابُ جِلْداً وَلاَ خَرَمَتْ مَناخِرَها ٱلْبُرِينُ(١)

وَلَوْ مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ يَبْتَغِيها لَعَزَّتْ عِنْدَهُ ٱلْعَنْسُ ٱلْأَمُونُ

مَتالٍ لَوْ يُعايِنُها جَرِيرٌ دَرَى أَنَّ ٱبْنَ مَرْوانٍ(٢) ضَنِينُ

وَلَمْ يَذْكُرْ هُنَيْدَتَهُ(٣) حَياءً وَعِنْدَ ٱلْمِسْكِ يُلْغَى ٱلْيَاسَمِينُ

حَلَفْتُ(٤) بِرَبِّ مَنْ صَلَّى وَضَحَّى وَماضَمِنَ ٱلْمُحَصَّبُ(٥) وَٱلْحَجُونُ

فَمَهْلاً فَٱلْحَدِيثُ مِنَ ٱلتَّعَدِّي سَيَخْلَقُ وَٱلْحَدِيثُ لَهُ شُجُونُ

---

(١) البُرِين : جمع بُرَة وهي حلقة تجعل في أنف البعير .

(٢) أن مروان ؟ (ع) وابن مروان : هو عبد الملك .

(٣) إشارة إلى قول جرير :

أَعطَوْا هُنَيْدَةَ يحدوها ثمانيةٌ ما في عطائِهِمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ

وهنيدة اسم للمائة من الإبل ، معرفة لا تنصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها .

(٤) هذا البيت وبضعة أبيات تأتي بعده غير مستقيمة الترتيب .

(٥) المُحَصَّب : موضع رمي الجمار بمنى . والحَجُون : جبل بأعلى مكة .

وَفِي ٱلتَّحْكِيمِ قَدْ رَضِيَتْ قُرَيْشٌ ... بِمَا لَمْ يَرْضَ أَنْزَعُهَا ٱلْبَطِينُ (١)

وَعِنْدَ أَبِي سَلَامَةَ (٢) ما يُدَاوِي ... بِهِ إِنْ أَعْجَزَ ٱلطِّبَّ ٱلْجُنُونُ

عِتَاقٌ لَيْسَ يَسْبِقُهَا طَرِيدٌ ... وَسُمْرٌ لَا يُبَلُّ لَهَا طَعِينُ

وَلَنْ تَنْسَى ضَغَائِنَهَا قُلُوبٌ ... لِنِيرَانِ ٱلْحُقُودِ بِهَا كُمُونُ

وَلَا تَرْضَى نُمَيْرٌ وَهْيَ حَيٌّ ... لَقَاحٌ لِلنَّوَائِبِ لَا يَلِينُ (٣)

كَأَنَّهُمُ وَقَدْ قُهِرُوا صَرِيحٌ ... كَرِيمُ ٱلْبَيْتِ رَوَّعَهُ هَجِينُ

وَمَا تُغْنِي ٱلصَّوَارِمُ وَٱلْعَوَالِي ... إِذَا مَا أَعْوَزَ ٱلرَّأْيُ ٱلرَّصِينُ

وَلَا تَحْمِي ٱلدُّرُوعُ وَمَا عَلَاهَا ... فَتًى (٤) لَمْ يَحْمِهِ أَجَلٌ حَصِينُ

وَلَوْلَا ٱلْخُلْفُ مَا خَافَتْ عِدَاهَا ... لِإِبْسَاسٍ وَلَا خَفَّ ٱلْقَطِينُ

وَلَا زَأَرَتْ عُبَادَةُ (٥) بَعْدَ صَمْتٍ ... زَئِيراً سَوْفَ يَتْبَعُهُ أَنِينُ

وَإِنْ تَبِعُوا زَعِيمَهُمُ وَنَالُوا ... مَنَالاً كُذِّبَتْ فِيهِ ٱلظُّنُونُ

فَمَا ٱنْعَطَفُوا لَهُ إِلَّا خِدَاعاً ... كَمَا ٱنْعَطَفَتْ عَلَى ٱلْبَوِّ (٦) ٱللَّبُونُ

---

(١) الأنزع البطين : هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أبو سلامة : كنية الممدوح .

(٣) بنو نمير : انظر الحاشية رقم(٦) ص (٧٤)والحيُّ اللَّقاح: الذين لا يدينون للملوك.

(٤) في الأصل (فتى)

(٥) بنو عبادة : من بني عقيل بن كعب (تاج العروس)

(٦) البَوُّ : جلد الحُوار يُحشى فيقرَّب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر.
والَّلبُون : ذات اللبن .

وَلَوْلاَ ظُلْمُهُ اشْتَمَلُوا عَلَيْهِ ... كَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَى الْحَدَقِ الْجُفُونُ

وَأَعْلَمُ أَنْ سَيَبْدُو مَا أَسَرُّوا ... إِذَا أَبْدَتْ سَرَائِرَهَا الْجُفُونُ

فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا سُلَّتْ سُيُوفٌ ... بِمَاضِي حُكْمِهَا تُقْضَى الدُّيُونُ

جَنَى وَانْصَاعَ مُغْتَرّاً بِفَتْحٍ ... أَعَانَ عَلَيْهِ مَنْ لاَ يَسْتَعِينُ

وَنَاقَضَ مَنْ يَذُودُ حُمَاةَ حَرْبٍ ... وَلاَ تَخْشَى جَرِيرَتَهُ الظُّعُونُ

يُخَافُ الْحُرُّ وَالْمَمْلُوكُ فِيكُمْ ... وَيُرْجَى الطِّفْلُ مِنْكُمْ وَالْجَنِينُ

فَلاَ عَدِمَتْ سَمَاءُ الْمَجْدِ مِنْكُمْ ... شُمُوساً لاَ تُغَيِّبُهَا الدُّجُونُ

فَأَنْتُمْ دَوْحَةٌ طَالَتْ وَطَابَتْ ... سَقَى أَعْرَاقَهَا كَرَمٌ وَدِينُ

لَهَا فِي الْعَامِ أَجْمَعِهِ ثِمَارٌ ... وَفِي أَعْلَى السَّمَاءِ لَهَا غُصُونُ

أَذَا الشَّرَفَيْنِ إِنْ أَعْتَقْتَ أَسْرِي ... فَشُكْرِي بِالَّذِي تُولِي رَهِينُ

لَقَدْ كَثُرَتْ حُسَّادِي فَأَرْبَوْا ... عَلَى حُسَّادِ آدَمَ وَهْوَ طِينُ

دَنَا فَصْلُ الشِّتَاءِ وَلِي عِدَاتٌ ... نَدَاكَ الْمُسْتَفِيضُ بِهَا قَمِينُ

بِذَاكَ شَهِدْتُ حَتَّى ازْدَدْتُ مِنْهُ ... لأَعْلَمَ أَنَّكَ الْبَرُّ الأَمِينُ

وَتَلْبَسُنِي عَلَى عَيْبِي فَعِنْدِي ... ثَنَاءٌ لاَ يَحُولُ وَلاَ يَخُونُ

يَزُورُ ذَرَاكَ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ ... غِنَاءٌ لَمْ تَدُرْ فِيهِ اللُّحُونُ

وَلَوْ فِي غَيْرِ بَحْرِكَ غُصْتُ عَاماً ... لأَعْوَزَ فِيهِ ذَا الدُّرُّ الثَّمِينُ

* * *

١١٩

وقال أيضاً :

عَدَاكُمْ هَوىً مُذْ شَفَّنا مَا تَعَدَّانا فَهَوَّنْتُمُ خَطْباً مِنَ ٱلْبَيْنِ مَا هَانا
وَقُلْتُمْ تَدَاوَوْا بِٱلْفِرَاقِ فَمَا ٱلَّذي أَلَانَ ٱلنَّوىٰ مِنْ بَعْدِ قَسْوَتِهَا ٱلْآنا
وَإِنَّا لَنَرْضىٰ أَنْ تَصُدُّوا وَتَقْرَبُوا فَرُدُّوا لَنَا ذَاكَ ٱلدُّنُوَّ كَمَا كانا
هُوَ ٱلْوَجْدُ أَرْضَانَا بِأَدْنىٰ نَوَالِكُمْ وَأَقْصىٰ مُنَانا أَنْ تَقَارَبَ أَرْضَانا
إِذَا مَا ٱدَّعَيْنَا سَلْوَةً عَنْ هَوَاكُمُ جَرىٰ ٱلدَّمْعُ مُنْهَلّاً فَكَذَّبَ دَعْوَانا
فَلَيْتَ ٱلْوُشَاةَ حِينَ رَقَّتْ حَدِيثَنَا إِلَيْهَا دُمُوعُ ٱلْعَيْنِ رَقَّتْ لِبَلْوَانا
هَبُوا ٱلْوَصْلَ بِٱلْعُذَّالِ صَارَ قَطِيعَةً فَمَاذا (١) ٱلَّذي قَدْ صَيَّرَ ٱلذِّكْرَ نِسْيانا
بِنَا حُبُّ مَنْ نَرْعاهُ وَهْوَ يَرُوعُنا وَنَذْكُرُهُ حَتّىٰ ٱلْمَمَاتِ وَيَنْسانا
وَكَيْفَ نُغَطِّي وَهْوَ دَانٍ غَرَامَنا وَنَكْتُمُ مَا نَلْقىٰ فَقَدْ بَانَ مُذْ بَانا
فَلَيتَ نَسِيمَ ٱلرِّيحِ حُمِّلَ عَرْفَهُمْ فَأَدَّاهُ أَحْيَانَاً إِلَيْنَا فَأَحْيَانا
تَجَنَّوْا فَمَا حَنُّوا عَلَيْنا وَلَا حَنَوْا وَمَنَّوْا وَمَا مَنُّوا لِيَانَاً (٢) وَلَيَّانا
وَفي ٱلْأَرْضِ عُشَّاقٌ وَلَيْسُوا كَمِثْلِنا أَسَارىٰ غَرَامٍ لَا يُرَجُّونَ سُلْوَانا

---

(١) وبعداً فماذا صيّرَ الذكر نسيانا (مسالك الأبصار ج ١٠)
(٢) اللِّيَانُ : مصدر لانَ . واللَّيَّانُ : مصدر لَوَى أي عطف .

١٢٠

وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش المظفّر (١) أنوشتكين الدِّزْبِري مستهل شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة

أَمَا وَبَدِيعِ مَا تَأْتِي يَمِينَا تَحَرَّجَ رَبُّهَا مِنْ أَنْ يَمِينَا (٢)

لَقَدْ أُوتِيتَ يَا شَرَفَ الْمَعَالِي عِنَانَ الْمَجْدِ دُونَ الْعَالَمِينَا

وَلَمْ تَرْضَ ابْتِدَاعَ سِوَاكَ عَوْنًا فَلَسْتَ (٣) بِآخِذِ (٤) الْحَسَنَاتِ عُونَا

فَعَاوَدَ شَكُّنَا فِيمَا سَمِعْنَا بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ حَسَنٍ يَقِينَا

وَكُنَّا ذَاهِلِينَ إِذَا سَمِعْنَا بِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِينَا

وَجِئْتَ فَصَارَ أَعْظَمُ مَا رَوَيْنَا هَبَاءً عِنْدَ أَيْسَرِ مَا تُرِينَا

مَسَاعٍ طُلْتَهُمْ جِدّاً وَمَجْداً بِهَا وَفَضَلْتَهُمْ دُنْيَا وَدِينَا

إِذَا قَالَ الْوَرَى بَلَغَتْ مَدَاهَا عَلَتْ شَرَفًا بِرَغْمِ الْحَاسِدِينَا

فَمُدَّةُ عَصْرِكَ الْمَاضِي حَمِيداً تُرَى سَاعًا وَإِنْ كَانَتْ سِنِينَا

وَآنِفُهُ (٥) بِعَدْلِكَ سَوْفَ تَبْقَى عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي مَا بَقِينَا

---

(١) في الأصل : (أبوتشتكين) وهو من سهو الناسخ . انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٢) هذا البيت وأربعة أبيات بعده مع عنوان القصيدة ساقطة من (ل)

(٣) فليست (ع)

(٤) تأخذ (ع) و (م)

(٥) وآبقة (ل) ولعلها (وآتية)

فَيا مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ وَلا أُحاشِي ... وَمَنْ ذا يَدْفَعُ ٱلْحَقَّ ٱلْمُبِينا
وَيا غَيْثاً يَعُمُّ ٱلْعامَ سَيْباً ... وَصَوْبُ ٱلْغادِياتِ يَخُصُّ حِينا
وَيا لَيْثاً حَمَى(١) ٱلْآفاقَ طُرّاً ... وَمَنْعُ ٱللَّيْثِ لا يُخْطِي ٱلْعَرِينا
لَيالِينا بِظِلِّ عُلاكَ بِيضٌ ... وَكانَتْ قَبْلَكَ ٱلْأَيَّامُ جُونا (٢)
أَضَفْتَ إِلَى ٱلْغِنَى أَمْناً وَعَدْلاً ... لَقَدْ جاوَزْتَ حَدَّ ٱلْمُنْعِمِينا
فَطَوْراً تَصْرِفُ ٱللَّأْوَآءَ عَنَّا ... وَطَوْراً تُجْزِلُ ٱلْآلاءَ فِينا
فَأَيْنَ قِراعُ عَمْرٍو(٣) مِنْ قِراعٍ ... حَمَيْتَ بِهِ تُراثَ ٱلْمُسْلِمِينا
وَأَيْنَ فَتَى إِيادٍ(٤) مِنْ أَيادٍ ... بِها تَسْتَعْبِدُ ٱلْمُسْتَعْبِدِينا
وَهَلْ تَعْصِي مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ مَلْكاً ... بِسُلْطانٍ سَمائِيٍّ أُعِينا
إِذا طَلَبُوا عَظِيماً فَٱسْتَعانُوا ... فَلَسْتَ بِغَيْرِ عَزْمِكَ مُسْتَعِينا
وَبِيضٍ مِنْ سُيُوفِ ٱلْهِنْدِ سُلَّتْ ... فَأَلْوَى جَهْلُها بِٱلْجاهِلِينا
وَعاوَدَتِ ٱلْجُفُونَ وَقَدْ تَقَضَّتْ ... هَناتٌ تَمْنَعُ ٱلنَّوْمَ ٱلْجُفُونا
أَحَلْتَ مَذَلَّةَ ٱلْإِسْلامِ عِزّاً ... بِها وَقَساوَةَ ٱلْأَيَّامِ لِينا

---

(١) حوى (ل)
(٢) مكان هذا البيت متقدم في (ع) و (م)
(٣) هو عمرو بن معديكرب الزُّبَيْدي . انظر الحاشية رقم (٧) ص (٦٧)
(٤) هو كعب بن مامة الإيادي المشهور بكرمه وإيثاره. انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)

وَسُمْرٍ عُوِّدَتْ فِي كُلِّ حَرْبٍ تَحَكَّمُ فِي نُفُوسِ [(١)] الدَّارِعِينا
تَحِيدُ إِلَى الْمَقاتِلِ عَنْ سِوَاهَا فَهَلْ خَلَقَ الْقُيُونُ [(٢)] لَهَا عُيُونا
وَتُرْدِي مَنْ يُقَابِلُهَا [(٣)] وَتَأْبَى جَبَاناً لاَ يُقَبِّلُهَا الْجَبِينا
وَخَيْلٍ كُلَّمَا حَاوَلْتَ أَمْراً سَبَقْنَ إِلَى مَآرِبِكَ الظُّنُونا
إِذَا عَلَتِ الْهِضَابَ فَلَسْتَ تَدْرِي أَصَخْراً دُسْنَ أَمْ طِيناً وَطِينا
تُغِيرُ عَلَى الْعِدَى مِنْ كُلِّ أَوْبٍ مُخَافِقُهَا وَإِنْ كَانَتْ صُفُونا
وَمَنْ أَضْحَى بِمُلْكِكَ مُسْتَجِيراً فَمَا يُلْفَى لِخَطْبٍ [(٤)] مُسْتَكِينا
أَخَفْتَ الْآمِنِينَ سُطىً فَلَمَّا عَفَوْتَ غَدَوْتَ أَمْنَ الْخَائِفِينا [(٥)]
نُصِرْتَ مِنَ السَّمَاءِ وَكَانَ حَقّاً عَلَى الرَّحْمٰنِ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينا
وَشِدْتَ لِهَاشِمٍ بِالسَّيْفِ عِزّاً فَقَدْ أَشْبَهْتَ [(٦)] أَنْزَعَهَا الْبَطِينا [(٧)]
وَقَائِعُ شَيَّبَتْ أَيَّامَ شُبَّتْ قُرُوناً بَعْدَ أَنْ أَفْنَتْ قُرُونا
رَآهَا الْأَقْرَبُونَ فَأَعْظَمُوهَا وَسَارَ حَدِيثُهَا فِي الْأَبْعَدِينا

---

(١) في النفوس (ع) و (م)
(٢) العيون ؟ (ع) و (م)
(٣) يقاتلها وتأبي (ع) و (م)
(٤) بخطبٍ (ع) و (م)
(٥) الآمنينا (ل)
(٦) أصبحتَ (ل)
(٧) الأنزع البطين : علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

فَلَوْ لَمْ (١) يَعْرِفُوا لَكَ ما عَرَفْنا ... لَمَا اعْتَرَفُوا بِحَقِّكَ طائِعِينا
وَقَدْ لَبَّاكَ قِرْوَاشٌ (٢) مُجِيباً ... فَبَوَّأَ مُلْكَهُ حِصْناً حَصِينا
وَجَاوَرَ دَوْحَةً عَذُبَتْ ثِمَاراً ... وَطَابَتْ مَغْرِساً وَعَلَتْ غُصُونا
رَجَا (٣) نَفَحَاتِكَ الْمَلِكُ الْمُرَجَّى ... وَقَادَ رَجَاؤُكَ الأَمَلَ الْحَرُونا
فَمَا دُونَ الْعِرَاقِ الْيَوْمَ خَصْمٌ ... يُلِطُّ وَقَدْ تَخَيَّرْتَ الضَّمِينا
أَقِلْ سُكَّانَهُ الْعَثَرَاتِ وَاحْسِمْ ... بِهٰذَا الْعَدْلِ جَوْرَ الْجَائِرِينا
فَقَدْ نَزَلَتْ رَسَائِلُكَ الْمَوَاضِي ... مَكَاناً مِنْ قُلُوبِهِمُ مَكِينا
رَسَائِلُ ضُمِّنَتْ أَمْناً وَخَوْفاً ... فَهُمْ بِسَمَاعِهَا (٤) مُتَخَالِفُونا
فَمَظْلُومٌ يَحِنُّ إِلَيْكَ شَوْقاً ... وَظَلَّامٌ يُحَاذِرُ أَنْ يَحِينا
فَكَيْفَ بِمَنْ لَهُ الزَّوْرَاءُ (٥) دَارٌ (٦) ... إِذَا فَارَقْتَ مَيَّافَارِقِينا
سَتَسْتَوْفِي الظُّبَى لِبَنِي عَلِيٍّ ... بِهَا مِنْ آلِ عَبَّاسٍ دُيُونا
وَشَطْرُ الأَرْضِ فِي يُسْرَاكَ مُلْكٌ ... أَلاَ فَاشْغَلْ بِبَاقِيهَا الْيَمِينا

---

(١) فإن لم (ل)
(٢) انظر ترجمة قرواش في الحاشية رقم (٤) ص (٥٧٦)
(٣) غدا (ل)
(٤) لسماعها (ل) و (ع)
(٥) الزوراء : بغداد . وميَّافارقين : مدينة بديار بكر .
(٦) في جميع النسخ (داراً)

فَكَمْ حَاوَلْتَ مُعْجِزَةً فَكَانَتْ وَقَدْ حَكَمَ ٱلْوَرَى أَنْ لاَ تَكُونا
وَقَالُوا أَصْحَرَتْ جَهْلاً نُمَيْرٌ (١) لِتَنْصُرَهَا جُنُودُ ٱلْمُشْرِكِينا (٢)
وَمَا أَغْنَوْهُمُ وَبَنُو كِلاَبٍ (٣) عَشِيَّةَ رُعْتَهُمْ مُتَظَافِرِينَـــــا
أَبِالطُّرَدَاءِ يَبْغُونَ ٱنْتِصَاراً وَمَا ٱنْتَفَعُوا بِبَأْسِ ٱلطَّارِدِينا
وَلَوْ عَدَّاكَ هٰذَا ٱلْجَيْشُ يَوْماً لأَصْبَحَتِ ٱلْحُصُونُ لَهُمْ سُجُونا (٤)
وَقَلْعَةُ دَوْسَرٍ (٥) بَابٌ إِلَى مَا تُحَاوِلُ فَٱرْمِهَـا بِٱلْفَاتِحِينَـا
بِأُسْدِ وَغًى إِذَا زَأَرَتْ (٦) أَحَالَتْ زَئِيرَ ٱلأُسْدِ مِنْ فَرَقٍ أَنِينَــا
كَتَائِبُ شُبْنَ حَاضِرَةً بِبَدْوٍ يُصَرِّفْنَ (٧) ٱلْمَنَايَا حَيْثُ (٨) شِينَا
فَكَمْ بَلَدٍ مَلَكْتَ بِهِ بِلاَداً وَكَمْ حِصْنٍ فَتَحْتَ بِهِ حُصُونا
وَشِمْ لِلرِّقَّةِ ٱلْبَيْضَاءِ بِيضاً بِهَا أَقْرَرْتَ فِي حَلَبَ ٱلْعُيُونَـا
كَتَبْتَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ لَهَا أَمَاناً وَكُنْتَ عَلَى رَعِيَّتِهَا أَمِينَـــا

(١) بنو نمير : انظر الحاشية رقم (٦) ص (٧٤)
(٢) مكان هذا البيت في (ع) و (م) بعد الذي يليه هنا .
(٣) بنو كلاب : بطن عظيم من عامر بن صعصعة من العرب العدنانية ومنهم بنو مرداس أصحاب حلب .
(٤) شجونا (ع) و (م)
(٥) قال ياقوت في معجم البلدان : (دَوْسَرُ قرية قرب صفين على الفرات وذكر لي من أعتمد برأيه أنها قلعة جعبر نفسها أو ربضها)
(٦) إذا راغت (ل)
(٧) يضرّمن (ع) و (م)
(٨) كيف شينا (ع) و (م)

لَئِنْ أَعْيَتْ عَلَى بَنْجُوتَكِينٍ (١) فَقَدْ وَلَّيْتَهَا بَنْجُوتَكِينا (٢)
تَعَدَّى رَبُّهَا سَفَهاً وَحَيْناً (٣) وَكُنْتَ بِأَخْذِهَا سَلَباً قَمِينَا
تَمَنَّى أَنْ يَنَالَ ٱلنَّجْمَ جَهْلاً فَمَا صَدَقَتْ مُنًى جَلَبَتْ مَنُونَا
أَعَنْتَ ٱلسَّيْفَ مُنْصَلِتاً بِرَأْيٍ إِذَا أَشْهَدْتَهُ ٱلْحَرْبَ ٱلزَّبُونَا
جَعَلْتَ طَلِيعَةً مِنْهُ أَمَامَ ٱلْـ جُيُوشِ وَمِنْ وَرَائِهِمُ كَمِينَا
أَلاَ لاَ يَدَّعِ ٱلْعَلْيَاءَ خَلْقٌ فَقَدْ فَضَحَ ٱلْمُحِقُّ ٱلْمُدَّعِينَا
وَلاَ يَقْضِي ٱلزَّمَانُ بِعِزِّ شَيْءٍ إِذَا شَاءَ ٱلْمُظَفَّرُ أَنْ يَهُونَا
وَدُونَكَهَا مَدَائِحَ بِتُّ أُنْضِي إِلَيْهَا ٱلْفِكْرَةَ ٱلْعَنْسَ ٱلأَمُونَا
لَقَدْ غَادَرْتَ بِٱلإِحْسَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلنَّائِبَاتِ نَوًى شَطُونَا
وَصَنَّ نَدَى يَدَيْكَ بِمَاءِ وَجْهِي فَمَالِي لاَ أَكُونُ بِهِ ضَنِينَا
فَمَيِّزْ خَاطِراً يَأْبَى ٱلدَّنَايَا وَشِعْراً مَا تَبَذَّلَ مُنْذُ صِينَا
وَقَفْتُ لَدَيْكَ وَٱلْعِشْرُونَ سِنِّي وَهَا أَنَا قَدْ قَرُبْتُ ٱلأَرْبَعِينَا
وَمَا جَازَيْتُ مِنْ نُعْمَاكَ يَوْماً عَلَى أَنِّي أَفُوتُ ٱلْقَائِلِينَا
لَئِنْ أَضْحَى مَعِيناً مَاءُ قَوْلِي فَمُنْذُ جَعَلْتَ فِعْلَكَ لِي مُعِينَا

(١) هو منجوتكين غلام العزيز بالله الخليفة الفاطمي ولاه حرب حلب وفتحها فاستعصت عليه (انظر النجوم الزاهرة ٤/١١٧)

(٢) لما فتح الدزبري حلب ولى عليها غلامه رضي الدولة بنجوتكين.
« زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ١/٢٥٧ »

(٣) وجبناً (ل)

مَآثِرُ أَصْبَحَتْ فِي كُلِّ تاجٍ عَلَى هامِ الْعُلى دُرّاً ثَمِينا
إِذَا ما رُمْتُ مِنْها وَصْفَ فَنٍّ أَتاحَتْ بِالْفَضائِلِ لِي فُنُونا
وَماذا يَبْلُغُ الشُّعَرآءُ مِنْها وَقَدْ ذَهِلَ الْكِرَامُ الْكاتِبُونا
فَعِشْ ما كَرَّ شَهْرُ الصَّوْمِ تَجْنِي(١) مُضاعَفَةً أُجُورَ الصَّائِمِينا
أَفادَ الْحَمْدُ مِنْ رَيَّاكَ طِيباً فَدامَ لَدَيْكَ مُحْتَبَساً(٢) رَهِينا
فَسُكَّانُ الْبَسِيطَةِ ما تَوَالَى بِحَضْرَتِكَ الْهَناءُ مُهَنَّؤُونا(٣)



(١) تحوي (ل)
(٢) محتسباً (ل) و (م)
(٣) مهنيئنا ؟ (م)
(٤) تغمده الله برحمته (ع)
(٥) والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده (ع)

هذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأمير أبي الفتيان
ابن حَيُّوس[٤] وفيه زيادة عن غيره
والحمد[٥] لله رب
العالمين
م

فهارس ديوان ابن حَيُّوس
للجزئين الأول والثاني

فهرس ما اشتمل عليه الديوان



(١) المقدمة في ٥٠ صفحة على حدة ، وأرقامها في ذيل الصفحات .

فهرس المراجع

الكتب المخطوطة

الإكمال في رفـع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والألقاب لابن ماكولا . نسخة مصورة عند الدكتور يوسف العش .

الإلماع إلى معرفة أصول الرواية والسماع للقاضي عياض. في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

تاريخ الإسلام الكبير للذهبي نسخة السلطان احمد الثالث في استانبول رقم ١٢٨ المجلد الحادي عشر ورقة (٢٨٠). تلطف فبعث بصورة عن المطلوب منه السيد محمد رشاد عبد المطلب في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

تاريخ دمشق لابن عساكر . في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

خريدة القصر للعماد الإصفهاني . نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

ديوان ابن أبي حصينة . نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب . في دار الكتب الظاهرية بدمشق.

ربيع الأبرار للزمخشري في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم. نسخة مصورة عند الدكتور سامي الدهان .

سير أعلام النبلاء للذهبي . نسخة مصورة عند الدكتور يوسف العش .

الكشف والبيان عن منافع الحيوان لابي الفتح محمد بن علي المزي الدمشقي (٩٢٦) المجلد الثاني والعشرون ورقة (١٢) تلطف فبعث بصورة عن المطلوب منه السيد محمد رشاد عبد المطلب.

المحمدون من الشعراء لجمال الدين القفطي . نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري الجزء العاشر . بعث بصورة عن المطلوب منه السيد محمد رشاد عبد المطلب.

معجم الأسماء والألقاب لابن الفوطي في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

الوافي بالوفيات للصفدي الجزء الثالث بخزانة المدرسة السليمانية باستانبول. تلطف فبعث بنسخة عن المطلوب منه الأستاذ الشيخ حمدي السفرجلاني .

الكتب المطبوعة

اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء للمقريزي

أخبار مصر لابن ميسر .

إرشاد الاريب الى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء لياقوت الرومي الحموي.

الإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي.

الاشتقاق لابن دريد.

الأعلام لخير الدين الزركلي.

اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ راغب الطباخ.
الأغاني لأبي الفرج الإصفهاني .
أقرب الموارد لسعيد الشرتوني .
تاج العروس للسيد مرتضى الزبيدي.
تاريخ الأدب العربي لبروكلمن .
تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري.
تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
تاريخ دمشق لابن عساكر تهذيب الشيخ عبد القادر بدران .
تاريخ ابن الوردي .
تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني (الأندلسي) للدكتور زاهد علي .
تقويم البلدان لأبي الفداء .
ثمار المقاصد لابن عبد الهادي .
جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي .
خطط مصر المقريزي.
الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي .
ديوان الأخطل .
ديوان البحتري .
ديوان أبي تمام الطائي .
ديوان ابن سنان الخفاجي .
ديوان ابن عنين.
ديوان النابغة الذبياني .
ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي .
زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم (الجزء الأول).
سيرة ابن هشام .
شرح الحماسة للتبريزي .
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد .
الشعر والشعراء لابن قتيبة.
العبر لابن خلدون .
غوطة دمشق للأستاذ محمد كرد علي.
الكامل لابن الأثير .
الكشكول للبهاء العاملي .
لسان العرب لابن منظور.
لسان الميزان لابن حجر العسقلاني .
مجموع بلاغات المالية لسنة ١٩٣٣
محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني .
مختارات البارودي لمحمود سامي باشا البارودي.
المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا .
مروج الذهب المسعودي .
المستطرف للأبشيهي .
معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي .
معجم البلدان لياقوت الرومي الحموي.
المنتظم لابن الجوزي .
النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي .
نقائض جرير والفرزدق .
النهاية لابن الأثير.
نهـاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي .
وفيات الأعيان لابن خلكان .

فهرس الأعلام

...



فهرس البلدان والأمكنة

فهرس القوافي

الجزء الأول

— ء —

الجزء الثاني




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com